٢٥ مظهرا من مظاهر الغلو في الصالحين

تأليف راجي رحمة ربه الغفور

ماجد بن سليمان الرسي

جمادى الأولى ، ١٤٣٥ هجري

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

تعظيم القبور ، وما أدراك ما تعظيم أصحاب القبور؟ داء عضال ، ومشكلة مزمنة ، وفتنة عمياء ، دخل بها الشيطان على الناس ، فوقعوا في عبادة الصالحين من دون الله ، ومع الله[1].

ومظاهر الغلو في أصحاب القبور كثيرة ، وكلها منتشرة في بلاد المسلمين ، وقد يسر الله في هذا البحث جمع ما تيسر الوقوف عليه ، وعددها خمسة وعشرين مظهرا ، وبيان مخالفتها لشريعة الإسلام ، لعل الله أن يجعل في ذلك ذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقد ألحقت الكلام على تلك المظاهر بملاحق علمية تعين القارىء على فهم الفرق بين حقوق الله وحقوق خلقه سواء كانوا من الأنبياء أو من أتباع الأنبياء من الصالحين ، وكيف يحصل الخلط بين الحَقَّين ، فإن الإنسان إذا ضبط الأصول والضوابط العلمية صار عنده فرقانا ، يميز به الحق من الباطل ، بإذن الله.

ومظاهر الغلو في الصالحين التي يسر الله حصرها في هذا الكتاب هي كالتالي:

١. اتخاذ القبور مساجد
٢. بناء المساجد على القبور
٣. بناء الغرف والقبب ونحوها على القبور
٤. رفع تراب القبر

---

١ أي عبدوهم استقلالا ، أو مشاركة مع الله.

٥. اتخاذ السرج على القبور
٦. وضع الستائر على القبور ، وفرشها بالسجاد والرخام ، وكسوة القبر بكسوة خاصة ، وإفاضة الطيب عليه ، وجعل سدنة وحُجاب وحرس خاصين على بابه ، أو شباك ينظر منه الناس إلى القبر
٧. دفن خواص الناس في قبور خاصة
٨. دعاء أصحاب القبور
٩. طلب الدعاء من صالحي الموتى
١٠. التوسل بالموتى من الأنبياء والصالحين
١١. تحري دعاء الله عند القبور
١٢. السفر إلى القبور
١٣. اتخاذ القبور أعيادا
١٤. العكوف عند القبور
١٥. الذبح لأصحاب القبور
١٦. الطواف حول القبور
١٧. الحلف بالصالحين
١٨. النذر لأصحاب القبور
١٩. اتخاذ الله واسطة بين المخلوق والمخلوق
٢٠. خوف السر من أصحاب القبور
٢١. تصوير الصالحين على هيئة تماثيل وصور
٢٢. التبرك بقبور الصالحين
٢٣. تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء
٢٤. دعوى الربوبية في الصالحين
٢٥. ادعاء علم الغيب لغير الله ، من الكهان وغلاة الصوفية وأشباههم

وقد قدمت لهذا البحث بمقدمات تأصيلية تمهد فَهمه ، هي كالتالي:

١. التوحيد ، تعريفه وبيان أنواعه
٢. العبادة ، تعريفها وشروط قبولها

٣. مقدمة في حقوق الصالحين الشرعية

ثم ألحقت البحث بملاحق تأصيلية ، هي:

١. ذكر أحاديث ضعيفة تفيد اتصال الموتى بعالم الأحياء

٢. تنبيه على حديثين موضوعين يُقرران الغلو بالنبي ﷺ

٣. الكلام على ما يعرف بالأبدال والنقباء والأوتاد والنجباء والأقطاب

٤. المراحل التي مر بها الفكر القبوري

٥. وصف مختصر لواقع الفكر القبوري في الأمة الإسلامية

٦. عوامل بقاء الفكر القبوري

٧. أثر الفكر القبوري على عمارة الأرض

٨. التحذير من الشبهات

٩. مظاهر إهانة القبور

١٠. بيان ما يُشرع للموتى من حقوق

١١. ملحق في بيان الوجوه الخمسين لبطلان دعاء غير الله

وقبل ختام هذه المقدمة ، فإني أشكر المشائخ وطلبة العلم الذين أعانوني على إخراج هذا الكتاب ، باقتراح أو تعديل أو إضافة علمية ، ومنهم الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله ، فقد قرأ أصل هذا الكتاب في مرض وفاته ، وقد كان الكتاب في طور إعداده ، وقدم له أيضا ، ولكن مع الأسف فقد ضاعت تلك المقدمة ، فجزاه الله خيرا على كل حال ، وجزى غيره من المشائخ ممن راجع الكتاب ، وكذلك أقدم شكري للشيخ د. باسم الجوابرة الذي أعانني كثيرا في تخريجات الأحاديث.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً ، وأجره ذُخراً ، وأن ينفع به قارئه وكاتبه وناشره ، وأن يكون حجة لهم لا عليهم ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيرا.

وكتبه أبو سليمان ماجد بن سليمان الرسي
ليلة السابع عشر من شهر جمادى الأولى لعام١٤٣٥ هجري
majed.alrassi@gmail.com

- **تعريف التوحيد:** (التوحيد) في اللغة هو مصدر وحَّد الشيء ، إذا جعله واحدا.

وفي الشرع: إفراد الله تعالى بما اختص به من خصائص الربوبية والألوهية (العبودية) والأسماء والصفات.
وضد التوحيد الشِّرك ، والشرك لغة من المشاركة ، وهو اشتراك اثنين في شيء ما ، وفي الشرع اتخاذ شريك مع الله في ربوبيته أو عبادته أو في أسمائه وصفاته.
وسيأتي ذكر أمثلة لبعض أنواع الشرك الذي يمكن أن يطرأ على كل نوع من أنواع التوحيد الثلاثة على حدة.

- **أقسام التوحيد:** ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: الأول توحيد الربوبية ، والثاني توحيد الألوهية (العبادة) ، والثالث توحيد الأسماء والصفات.

وقد جمع الله بين أنواع التوحيد الثلاثة في آية واحدة من سورة مريم وهي قوله تعالى ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾[1] ، فقوله ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ فيه إشارة إلى توحيد الربوبية ، وقوله ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ فيه إشارة إلى توحيد الألوهية (العبادة) ، وقوله ﴿هل تعلم له سميا﴾ فيه إشارة إلى توحيد الأسماء والصفات.
قال الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي[2] رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿هل تعلم له سميا﴾:
أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين ، وهذا استفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مُساميا ولا مشابها ، لأنه الرب وغيره مربوب ، الخالق وغيره مخلوق ، الغني من جميع الوجوه ، وغيره فقير بالذات من كل وجه ، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى ، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية ، وأن عبادته حق ، وعبادة ما سواه باطل ، فلهذا أمر بعبادته وحده ، والاصطبار لها وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى.[3]

---

١ سورة مريم: ٦٥ .

٢ هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام ١٣٠٧ وتوفي عام ١٣٧٦ هجري ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.
انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام رحمه الله.

٣ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» ، تفسير سورة مريم.

- **النوع الأول من أنواع التوحيد: توحيد الربوبية:**

- **تعريف توحيد الربوبية**

الرب في اللغة هو المالك المتصرِّف ، ويطلق على السَّيد ، ويطلق على الصاحب ، كقول: (رب العزة ، ورب هذه الدعوة التامة) ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.

وتوحيد الربوبية هو اعتقاد تفرد الله سبحانه وتعالى وتوحُّدِهِ بالخلق والملك والتدبير.

فأما تفرده بصفة **الخلق** فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله ، وهذا مستفاد من قوله تعالى ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾[1] ، وقال ﴿بديع السماوات والأرض﴾[2] ، وقال ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض﴾.[3]

والعقل السليم والفطرة المستقيمة يدلان على أن للعالم خالقاً واحداً ، فإنه لو كان للعالم خالقان لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، كما قال تعالى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يشركون﴾[4].

وأما إفراد الله بصفة الملك فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا يملك الكون ملكا مطلقا إلا الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ ، وقال تعالى ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ ، وقال ﴿ولله خزائن السماوات والأرض﴾.

أما إفراد الله بصفة التدبير فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر لأمور هذا الكون من إحياء وإماتة وخلق ورزق وصحة ومرض وفقر وغنى وغير ذلك إلا الله وحده ، فإذا أراد الله شيئا قال له: (كن) ، فيكون ، قال تعالى ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ ، وقال تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ، وقال تعالى ﴿ولله ملك السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه﴾ ، والآيات الدالة على هذا كثيرة.

---

١ سورة فاطر: ٣ .

٢ سورة البقرة: ١١٧ .

٣ سورة فاطر: ١ .

٤ سورة المؤمنون: ٩١ .

ويمكن أن يُعَرَّف هذا النوع من التوحيد – أي توحيد الربوبية – هو توحيد الله بأفعاله ، أي اعتقاد أنه لا يشارك الله أحد في أفعاله من خلق وملك وتدبير ، فلا يحيي ولا يميت ولا يتصرف بالكون ولا يخلق ولا يرزق إلا الله.

- **فصل في بيان ما يناقض توحيد الربوبية**

وضد توحيد الربوبيته الشِّرك فيه ، باعتقاد أن يكون أحد غير الله يتصف بشيء من صفات الربوبية ، كالخلق والملك والتدبير ، أيا كان ذلك الموضوف ، نبيٌّ أو رجل صالح أو ولي أو ملك أو ساحر أو غيره ، ومن وقع في هذا فقد أشرك بالله غيره في ربوبيته على خلقه ، نعوذ بالله من الضلال.

- **فصل**

وهذا النوع من التوحيد – أي توحيد الربوبية – أقر به الناس كلهم ، مؤمنهم وكافرهم ، في القديم والحديث ، ولم ينكره أحد من العالمين ، فلم يقل أحد: إن للعالم خالقين ، أو للعالم مالِكَين ، أو للعالم مدبِّرين ، بل الناس قاطبة يؤمنون بتفرد الله في ربوبيته لخلقه إلا نزرا قليلا من الناس ، مثل فرعون لعنه الله الذي قال لقومه ﴿أنا ربكم الأعلى﴾.

والنمرود الذي قال لإبراهيم عليه السلام ﴿أنا أحيي وأميت﴾.

وكذلك قوم هود الذين قالوا لهود عليه السلام ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾، فنسبوا التأثير في الكون لغير الله.

وممن أنكر توحيد الله بربوبيته على خلقه المجوس ، حيث قالوا: إن للعالم خالقين وهما النور والظلمة.

وكذلك طائفة من عباد القبور الذين يعتقدون أن بيد بعض الموتى – ممن يدَّعون لهم الصلاح والولاية – شيئا من التأثير في مجريات الكون.

وكذلك بعض غلاة الصوفية ، يصفون بعض رموزهم بأن لهم خصوصية تأثير في الكون ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

فهؤلاء الأنواع من الكفار قد ساووا الله بخلقه في صفة الربوبية ، وحسبك بهذا كفرا وطغيانا.

- **فصل**

ومما ينبغي التنبه له أن الإيمان بهذا النوع من التوحيد ليس كافيا للدخول في الإسلام حتى يحصل الإيمان بالقسمين الآخرين من أقسام التوحيد ، فقد كان المشركون الذين بعث إليهم النبي ﷺ يؤمنون بهذا القسم من التوحيد ، ويقرون بأن الله هو وحده الخالق الرازق المدبر ، ولكن هذا الإيمان لم ينفعهم ،

لأنهم لم يؤمنوا بتوحيد الألوهية (العبادة) ، فقد كانوا يعبدون الأصنام والأشجار والصالحين وغيرها ، فحكم الله عليهم في القرآن بأنهم كفار مشركون ، وسيأتي مزيد كلام على هذا اللون من الإنحراف في خاتمة هذا الجزء إن شاء الله.

- **النوع الثاني من أنواع التوحيد: توحيد الألوهية أو توحيد العبادة**

تعريفه

توحيد الألوهية أو توحيد العبادة ، هو صرف جميع العبادات إلى الله تعالى ، من صلاة وزكاة ودعاء وذبح ونذر وطواف وخوف وغير ذلك من أنواع العبادة ، وهو معنى شهادة الإسلام: «لا إله إلا الله».

أدلة وجوبه

والأدلة من الكتاب والسنة على استحقاق الله وحده للعبادة دون ما سواه كثيرة ، كقوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، وقال تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾ ، وقال تعالى ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾ ، وقال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾[1] ، وقال تعالى ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾[2]، وقال تعالى ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾[3] ، والدين هو العبادة ، قال تعالى ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[4] ، وقال تعالى ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾[5] ، وقال تعالى ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾[6] ، وقال تعالى ﴿وله الدين واصبا أفغير الله تتقون﴾ ، ومعنى واصبا أي خالصا[7] ، وقال ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾[8] ، والحنيف هو الراغب عن الشرك ، المنكر له ، وقد فسره ابن القيم رحمه الله فقال: (الحنيف: المقبل على الله ، المعرض عن كل ما سواه)[9].

---

١ سورة النساء: ٣٦ .

٢ سورة الحج: ٣٤ .

٣ سورة الزمر: ٢ — ٣ .

٤ سورة الزمر: ١١ .

٥ سورة الزمر: ١٤ .

٦ سورة غافر: ١٤ .

٧ رواه ابن جرير عن مجاهد في تفسير سورة النحل ، ٥٢ ، واختاره ابن كثير رحمه الله.

٨ سورة البينة: ٥ .

٩ «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ» ، (الفصل الخامس ، في ذكر إبراهيم خليل الرحمٰن ﷺ) ، ونصه: فالأمة هو القدوة المعلم للخير ، والقانت: المطيع لله تعالى ، الملازم لطاعته ، والحنيف: المقبل على الله تعالى ، المعرض عما سواه.

ص ٣٠٥ — ٣٠٦ ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[2] ، وإسلام الوجه هو إخلاص الأعمال الباطنة والظاهرة كلها لله تعالى ، وهو معنى قول الخليل عليه السلام ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[3].

وفي الصحيحين من حديث معاذ رضي الله عنه: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.[4]

وفيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟

قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك.[5]

بل إن ابن آدم مطالب بالتوحيد مُذ كان في صلب أبيه آدم عليه السلام ، ففي الصحيحين عنه ﷺ قال: يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟

فيقول: نعم.

فيقول: أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ؛ أن لا تشرك بي شيئا ، فأبيتَ إلا أن تشرك بي.[6]

وعندما أرسل النبي ﷺ معاذا إلى اليمن ، وحمّله أمانة تبليغ الرسالة ؛ كان أول ما أمره به أن يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى ، فقال له ﷺ : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.[7]

---

١ سورة الرعد: ٣٦ .

٢ سورة لقمان: ٢٢ .

٣ سورة الأنعام: ٧٩ .

٤ رواه البخاري (٢٨٥٦) ، ومسلم (٣٠).

٥ رواه البخاري (٤٧٦١) ومسلم (٨٦) ، واللفظ له ، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

٦ رواه البخاري (٦٥٥٧) ومسلم (٢٨٠٥) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٧ رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (٢٩).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينما أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخِـرة الرَّحِل ، فقال: يا معاذ.

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك.

ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ.

قلت: لبيك رسول الله وسعديك.

ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل.

قلت: لبيك رسول الله وسعديك.

قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: **حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا** ... الحديث.[1]

فهذا هو توحيد الإلٰهية ، الذي هو توحيد العبادة وتوحيد القصد والإرادة ، فمن أتى به فقد حقق شهادة «لا إله إلا الله» ، وأتى بلازِمِها وهو نفي الشرك وإنكاره والبراءة منه.

توحيد العبادة هو دعوة جميع الأنبياء

توحيد الألوهية ، أو توحيد العبادة لله عز وجل ، هو دعوة جميع الأنبياء من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ ، قال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله أنا فاعبدون﴾ ، ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾.

أهمية توحيد العبادة

أعظم الأصول التي يقررها القرآن ويبرهن عليها توحيد الألوهية والعبادة ، وهذا الأصل العظيم أعظم الأصول على الإطلاق ، وأكملها وأفضلها ، وأوجبها وألزمها على البشر ، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله ، وخلق المخلوقات ، وشرع الشرائع لقيامه ، وبوجوده يكون الصلاح ، وبفقده يكون الشر والفساد ، وجميع الآيات القرآنية إما أمر به ، أو بحق من حقوقه ، أو نهي عن ضده ، أو إقامة حجة عليه ، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة ، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين.

---

١ رواه البخاري (٦٥٠٠) ، وفي الباب عن أبي هريرة ، رواه أحمد (٣٠٩/٢) ، وصحح إسناده محققو «المسند» (٤٤٨/١٣).

وسُمِّي توحيد العبادة بذلك باعتبار وجوب ملازمة وصف العبودية بكل معانيها للعبد ، بإخلاص العبادة لله تعالى ، وتحقيقها في العبد بأن يكون عارفاً بربه ، مخلصاً له جميع عبادته ، محققاً ذلك بترك الشرك صغيره وكبيره.

وهذا النوع من التوحيد يقال له توحيد الإلٰهية ، فإن الإلٰهية وصفه تعالى ، الذي ينبغي أن يؤمن به كل بني آدم ، ويوقنوا بأنه الوصف الملازم له سبحانه ، الدال عليها الاسم العظيم وهو (الله) ، وهو مستلزم لجميع صفات الكمال.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله في بيان أهمية توحيد العبادة:

وهذا النوع زبدة رسالة الله لرسله ، فكل نبي يبعثه الله يدعو قومه يقول ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ ، ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله ، وشرع الجهاد لإقامته ، وجعل الثواب الدنيوي والأخروي لمن قام به وحققه ، والعقاب لمن تركه ، وبه يحصل الفرق بين أهل السعادة القائمين به ، وأهل الشقاوة التاركين له ، فعلى العبد أن يبذل جهده في معرفته ، وتحقيقه ، والتحقق به ، ويَعرف حَدَّه وتفسيره ، ويعرف حكمه ومرتبته ، ويعرف آثاره ومقتضياته ، وشواهده وأدلته ، وما يقويه وينميه ، وما ينقضه أو ينقصه ، لأنه الأصل الأصيل ، لا تصح الأصول إلا به ، فكيف بالفروع؟[1]

وقال ابن تيمية[2] رحمه الله:

ودين الإسلام مبني على أصلين:

---

[1] «الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين» (الناشر: مكتبة المعارف – الرياض) ، ص ٥٦ – ٥٧ ، في تعليقه على «نونية» ابن القيم رحمه الله عند قوله:

فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ أعني سبيل الحق والإيمان

[2] هو الإمام العلامة البحر الفقيه ، شيخ الإسلام حقا ، أبو العباس ، تقي الدين ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، الملقب بابن تيمية ، جدد دين الإسلام بعدما استحكمت غربته ، وأظلمت الدنيا بالبدع الكلامية وخرافات الصوفية وشركيات القبورية وإلحاد الفلاسفة والرافضة ، فجدد الدعوة للإسلام الصافي على منهاج الكتاب والسنة ، وجهر بالحق ، وناظر أهل الباطل ، وتحمل السجن في سبيل ذلك ، فكتب الله لعلمه القبول ، وسارت بمصنفاته الركبان ، وصار من بعده من علماء السنة عيالا عليه ، أما تلاميذه فصار بعضهم من أئمة الإسلام ، كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم ، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ ، وقد جمع بعض المحققين أقوال من ترجم له في جامع نفيس ، ووسموه بـ «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» ، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، ونشرته دار عالم الفوائد – مكة ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

أن لا نعبد إلا الله ، والثاني أن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع ، كما قال الفُضيل بن عياض رحمه الله في تفسير العمل الحسن الوارد في قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[1]، قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة.[2]

وقال الإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي[3] الشافعي رحمه الله في كتاب «تجريد التوحيد المفيد» ما نصه:

ولباب التوحيد: أن يرى الأمور كلها من الله تعالى ، ثم يقطع الالتفات عن الوسائط ، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ، ولا يعبد غيره.[4]

وقال السيوطي الشافعي رحمه الله في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ما نصه:

فاقتد أيها المسلم إن كنت عبدا لله بسلفك الصالح ، وتحقق بالتوحيد الخالص ، فلا تعبد إلا الله ، ولا تشرك بربك أحدا ، كما أمر تعالى بقوله ﴿وإياي فاعبدون﴾ ، وقال تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.

---

[1] سورة الملك: ٢ .

[2] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨/٨) ، قال: حدثنا أبي ، ثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالا: ثنا إسماعيل ابن يزيد ، ثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول:

الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق ، والمؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط ، والمؤمن يستر ويعظ وينصح ، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.

وسمعته يقول: قيل لسفيان بن عيينة: ويل لك إن لم يُعف عنك ، إذا كنت تزعم أنك تعرفه وأنت تعمل لغيره.

وسمعته يقول: كان يقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال لله ، وإذا عمل عمل لله.

سمعته يقول في قوله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ ، قال: أخلصه وأصوبه ، فإنه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا ، والخالص إذا كان لله ، والصواب إذا كان على السنة.

وسمعته يقول: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء ، والعمل من أجل الناس هو الشرك. انتهى مختصرا.

[3] الشيخ أحمد من علماء مصر ، درس الحديث والفقه ، وانكبَّ على تدوين التاريخ ، لقبه الزركلي بمؤرخ الديار المصرية ، له أكثر من مئتي مؤلَّف ، عُرِض عليه قضاء دمشق فأبى ، توفي سنة ٨٤٥ ، انظر ترجمته في «إنباء الغِمر» ، و«البدر الطالع» للشوكاني ، و «الضوء اللامع» للسخاوي ، و «الأعلام» للزركلي» (١٧٧/١) ، و «معجم المؤلفين» (٢٠٤/١).

٤ ص ٤٥ ، تحقيق علي بن محمد العمران ، ط دار عالم الفوائد – مكة.

فلا تعبد إلا إياه ، ولا تدع إلا هو ، ولا تستغث إلا به ، ولا تستعن إلا به ، فإنه لا مانع ولا معطي ولا ضار ولا نافع إلا هو سبحانه وتعالى ، عليه توكلت وإليه أنيب.[1]

قال مقيده عفا الله عنه في قوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾:

فيها اختصاصه وانفراده بالعبادة والاستعانة ، وأن ذلك حق لا يشركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ، والعبادة هي الغاية المقصودة من العِباد المكلفين ، والاستعانة وسيلة إلى هذه الغاية المقصودة من العباد المكلفين ، والمؤمنون بالرسل أخلصوا له العبادة وأفردوه بالاستعانة ، فهو معبودهم ومستعانهم ، وجميع الأعمال داخله في هاتين الكلمتين الشريفتين ، وقد دلت صيغة الحصر والاختصاص فيهما على التوحيد ، والعبد هُمامٌ حارِث ، لا بد له من ذلك ، وهمه وحرثه غاية ووسيلة ، فيجب أن يكون غاية قصده ومراده وجه الله ، والتماس طاعته ومرضاته ، ويجب أن تكون الوسيلة إلى ذلك استعانته بالله وحده ، والاستغاثة به ، وهذا حال أهل الكمال ، جمعوا بين عبادة الله واستعانته ، بخلاف من عبد غيره واستعان بسواه ، أو من عبده لكن قصر وأضاع ما يحصل به مقصوده من الاستعانة ، أو من استعان به ولكن على ما لا يحبه وما لم يشرعه من الأعمال الصالحة أو وسائلها.

وقد قيل: إياك أن تستعين بغير الله فيكِلك الله إليه.

وقال ابن القيم رحمه الله في «نونيته»:

هذا وثاني نوعيِ التوحيد توحيد العبادة منك للرحمٰن

أن لا تكون لغيره عبدا ولا تعبد بغير شريعة الإيـــمان

فتقوم بالإسلام والإيمـــــــــان والإحسان في سر وفي إعلان

والصدق والإخلاص ركنا ذلك التـــــــوحيد كالركنين للبنيان

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد فلا يزاحـــــــــــمه مراد ثان

لكن مراد العبد يبقى واحدا ما فيه تفريق لدى الإنسان

إن كان ربك واحدا سبحانه فاخصصه بالتوحيد مع إحسان

أو كان ربك واحدا أنشاك لم يشرَكه إذ أنشاك ربٌّ ثان

فكذاك أيضا وحده فاعبده لا تعبد سواه يا أخا العرفان

---

١ ص ١٤٠ .

لطيفة

ومن اللطائف أن القارئ إذا فتح القرآن من أوله فإنه يلاحظ أول أمر يمر عليه هو الأمر بتوحيد العبادة في قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.
وأول نهي يمر عليه هو النهي عن الشرك في عبادة الله ، ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾.
وأول خبر يمر عليه هو إقرار العبد على نفسه بتوحيد العبادة ﴿إياك نعبد﴾.
وأول دعاء يمر عليه هو الدعاء بأن يكون من أهل التوحيد ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

فصل في بيان ما يناقض توحيد الألوهية (العبادة)

ضد توحيد الألوهية الشرك في عبادته تعالى ، كعبادة القبور ، بدعائها ، والذَّبح لها ، والنّذر لها ، والطَّواف بها ، والتَّمسُّح بأعتابها ، ونحو ذلك من الأفعال ، فهذه من الأفعال الشركية التي تنقض إيمان العبد بأن الله وحده هو المستحق لأن يعبد دون ما سواه ، وهو المُعبَّر عنه بتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة.

فصل في ذكر البراهين الشرعية والعقلية على بطلان الشرك في عبادة الله

وقد أبطل الله تعالى اتخاذَ المشركين آلهة يعبدونها معه ببراهين شرعية وعقلية كثيرة ، فأما الشرعية فمثل قوله تعالى ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[1] ، وقوله ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾[2].

وأما البراهين العقلية على بطلان الشرك فكثيرة ، منها:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية ، فهي مخلوقة لا تَخلُق ، ولا تجلب نفعًا لعابديها ، ولا تدفع عنهم ضررًا ، ولا تملك لهم حياة ولا موتًا ، ولا تملك شيئًا من السماوات ، ولا تشارك في ملكيته ، قال الله تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾[3] ، وقال تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم من دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ

[1] سورة المائدة: ٧٢ .
[2] سورة الزمر: ٦٦ .
[3] سورة الفرقان: ٣ .

وَمَا لَهُ مِنْهُم من ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1] ، وقال ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[2].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة ، فإن اتخاذها آلهة من أسفَهِ السَّفهِ وأبطلِ الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يُقِرُّون بأن الله تعالى هو وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يُجير[3] ولا يُجارُ عليه ، وهذا يستلزم أن يوحِّدوه بالألوهية كما وحَّدوه بالربوبية ، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاء وَأَنزلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾[4] ، وقال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون﴾[5] ، وقال ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُون﴾[6].[7]

فصل

فإن قيل: قد أثبت الله أن هناك إلٰها آخر ، كقوله ﴿ولا تدع مع الله إلٰها آخر فتكون من المعذبين﴾ ، فلماذا تنكرون أن هناك آلهة أخرى؟

---

[1] سورة سبأ: ٢٢- ٢٣ .

[2] سورة الأعراف : ١٩١- ١٩٢ .

[3] يُجِير أي ينقذ ، وقوله: (ولا يُجار عليه) أي لا يستطيع أحد أن يُـنقِذ أحدا من عذابه.. انظر «لسان العرب» ، مادة: جور.

[4] سورة البقرة: ٢١-٢٢ .

[5] سورة العنكبوت: ٦١ .

[6] سورة يونس: ٣١-٣٢ .

[7] والبراهين العقلية على بطلان الشرك كثيرة ، وقد يسر الله إعداد بحث بعنوان «خمسون دليلا على بطلان دعاء غير الله» ، حشدت فيه جمعا من الأدلة الشرعية والعقلية على بطلان الشرك ، وقد طبعته دار الفرقان بالجزائر ودار الاستقامة بمصر ، وهو منشور على شبكة المعلومات ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

فالجواب: نحن لا ننكر أن هناك آلهة أخرى ، قال إبراهيم لقومه ﴿ءإفكا آلهة دون الله تريدون﴾ ، ولكننا نقول إنها آلهة باطلة ، أي لا تستحق العبادة ، فالأصنام مثلا كانت آلهة قريش ، والمجوس كانت آلهتهم هي النور والظلمة ، وهكذا ، وكلها آلهة باطلة ، وجميع ما اتخذه الناس من آلهة غير الله فإنها لا تستحق العبادة وإن كانت ألف آلهة ، ولا يغني عنها تسميتها آلهة شيئا ، قال تعالى عنها ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها ما أنزل الله بها من سلطان﴾.

أما الله تعالى فإنه الإلـٰه المعبود **بحق** سبحانه وتعالى ، فهو المستحق لأن يُعبد ويُتقرب إليه بأنواع العبادات ، وما سواه فلا يستحق العبادة ، قال تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو **الباطل** وأن الله هو العلي الكبير﴾.

فصل

ومن العجيب أن كثيرا من المصنفين في علم التوحيد من المتأخرين **يهتمون بتوحيد الربوبية ويهملون توحيد العبادة** ، وبعضهم تجده موصوفا بالداعية الإسلامي ، وتجد جل كلامه في تحكيم الشريعة ، في حين أن بلده تعج بمظاهر الشرك في العبادة ولا ينكرها ، وكأن توحيد العبادة ليس بأصل الدين وأساس الملة ، بل وكأن الدعوة إلى التوحيد وإنكار الشرك ليست من تحكيم الشريعة!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبات الإلـٰهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، فلا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يوالي إلا له ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، قال تعالى ﴿وإلـٰهكم إلـٰه واحد لا إلـٰه إلا هو الرحمـٰن الرحيم﴾ ، وقال تعالى ﴿وقال الله لا تتخذوا إلـٰهين اثنين إنما هو إلـٰه واحد فإياي فارهبون﴾ ، وقال تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلـٰها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ ، وقال تعالى ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمـٰن آلهة يعبدون﴾.

وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنه دعا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ ، وقال عن المشركين ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إلـٰه إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ ، وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، الذي هو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد ، وأنهم إذا شهدوا بهذا[1] وفَـنَوا فيه ؛ فقد فنوا في غاية التوحيد ، فإن الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما يتنزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيئ لم يكن موحدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده ، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له.

والإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع ، فإذا فَسر المفسر «الإلـه» بمعنى القادر على الاختراع ، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإلـه ، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد ؛ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل[2] شيء ، وكانوا مع هذا مشركين ، قال تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره ، قال تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ ، إلى قوله ﴿فأنى تسحرون﴾ ، **فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه** ، داعيا له دون ما سواه ، راجيا له خائفا منه دون ما سواه ، يوالي فيه ، ويعادي فيه ، ويطيع رسوله ، ويأمر بما أمر به ، وينهى عما نهى عنه ، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شئ وابتغوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أندادا ، قال الله تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض﴾ ، وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ ، إلى قوله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ، وقال تعالى ﴿ولقد جئتموها فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ ، وقال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ ، ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ، ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها ثم يقول: (إن هذا ليس بشرك ، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي ، فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا) ، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك.

---

١ في المطبوع: (أشهدوا هذا) ، ولعله تحريف في الطبع.

٢ كلمة «كل» ليست في المطبوع ، ولعله سقط.

انتهى كلامه.[1]

قال ابن القيم رحمه الله:

لم تدع الرسل قط الأمم إلى الإقرار بالصانع سبحانه وتعالى ، وإنما دعَوهم إلى عبادته وتوحيده ، وخاطبوهم خطاب من لا شبهة عنده قط في الإقرار بالله تعالى ، ولا هو محتاج إلى الاستدلال عليه ، ولهذا ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ ، وكيف يصح الاستدلال على مدلول هو أظهر من دليله؟! حتى قال بعضهم: كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟[2]
فالحاصل أن توحيد الربوبية يعتبر من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب ، ولا يخلُص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله ، بل لا بد أن يخلص لله الدين فلا يعبد إلا إياه فيكون دينه لله.

فصل

وهذا القسم من التوحيد – أي توحيد العبادة – هو الذي جحده المشركون قديماً وحديثاً ، وأنكرته أعداء الرسل من أولهم إلى آخرهم ، فأكثر الناس على مر العصور والدهور يعبدون غير الله ، وصدق الله ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾.

وأول من أخل بهذا القسم من التوحيد قوم نوح عليه السلام ، فإن الناس كانوا منذ آدم إلى نوح عليهما السلام على التوحيد الخالص عشرة قرون ، ثم وقع فيهم الشرك في عبادة الله ، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، فأول رسول بعثه الله بعد وقوع الشرك هو نوح عليه السلام بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾[3].
ثم بعث الله هودا عليه السلام بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ، قال تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبادوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾[4].

---

١ نقلا من «شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (٢/٢٦٠ – ٢٦٣) ، لأحمد عيسى رحمه الله ، باختصار يسير.

٢ «مدارج السالكين» (٣/١٤٢) ، منزلة الفتوة.

٣ سورة الأعراف: ٥٩ .

٤ سورة الأعراف: ٦٥ .

ثم بعث الله صالحا عليه السلام بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ، قال تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبادوا الله ما لكم من إله غيره﴾[1].

ثم أرسل الله أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام[2] بالدعوة إلى التوحيد ، قال تعالى ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾[3] ، والمراد تطهيره عن الشرك في العبادة.

وقال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾.

ثم بعث الله شعيبا عليه السلام بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ، قال تعالى ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾[4].

ثم أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام إلى بني إسرائيل بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ، فاستجابوا ، غير أنهم لم يثبتوا على التوحيد ، فعبدوا العجل لما نجاهم الله من فرعون ، ثم تابوا ، ثم وقعوا في الشرك بعبادتهم لعزير عليه السلام.

ثم بعث الله عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ، فآمن من آمن ، وكفر من كفر ، وذلك أن منهم من عبد عيسى وأمه ، قال تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي **إلهين من دون الله** قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته﴾ إلى أن قال ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به **أن اعبدوا الله ربي وربكم**﴾.

ثم بعث الله نبيه محمد ﷺ لقومه وغيرهم من أحياء العرب فقال لهم: (قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا)[5] ، فقالوا ﴿أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾[6].[7]

---

١ سورة الأعراف: ٧٣ .

٢ سمي إبراهيم عليه السلام بأبي الأنبياء لأن جميع الأنبياء ممن جاءوا بعده فإنهم من ذريته ، كإسماعيل وإسحاق وموسى وجميع أنبياء بني إسرائيل وكذلك عيسى ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام.

٣ سورة الحج: ٢٦ .

٤ سورة الأعراف: ٨٥ .

٥ انظر الخبر في كتاب «الطبقات» لابن سعد ، باب ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب في المواسم ، وفي «صحيح ابن خزيمة» (٨٢/١).

٦ سورة ص: ٥ — ٧ .

٧ روى الخبر ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فعرفوا معنى «لا إله إلا الله» وأنه توحيد العبادة لكن جحدوه.

وقال تعالى عنهم أيضا ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا **لتاركوا** آلهتنا لشاعر مجنون﴾[1] ، فهم عرفوا أن المراد من «لا إله إلا الله» **ترك** الشرك في العبادة ، وأن يتركوا عبادة ما سواه مما كانوا يعبدونه من ملك أو نبي أو شجر أو حجر أو غير ذلك.

هذا حال المشركين الذين لم يؤمنوا بدعوة النبي ﷺ .

ومنهم من استجاب لدعوة النبي ﷺ ، وترَك عبادة ما كان يعبده من عبادة المخلوقين ، وأفرد الله بالعبادة ودخل في دين الإسلام ، وهم صحابته رضي الله عنهم ، وما زال التوحيد منتقلا من عصرهم جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، إلى عصرنا هذا ، ثبتنا الله عليه إلى الممات ، آمين.

فصل

وممن وقع في الشرك في القديم والحديث عُباد القبور ، الذين يتوجهون إلى المقبورين ممن يدَّعون لهم الصلاح والولاية بأنواع العبادات القلبية –كالحب والتعظيم والخوف وغيرها ، وكذلك أنواع عبادات الجوارح من دعاء وذبح وطواف ونذر وربما سجود وغير ذلك ، نسأل الله العافية.

وهؤلاء تجد أحدهم يصوم ويصلي ويقول لا إله إلا الله ، ثم تجده يدعو غير الله أو ينذر لغير الله أو يذبح لغير الله أو يحلف بغير الله ، وهذا مناقض لشهادة التوحيد «لا إله إلا الله» ، فالذي يقول هذه الكلمة وهو في الحقيقة يتعبد لغير الله فهو كاذب في دعواه ، إذ الإله هو المعبود ، فقول «لا إله إلا الله» يعني لا معبود بحق إلا الله ، فمن عبد غير الله فقد نقض تلك الكلمة نقضا كليا ، وخرج من دين الإسلام ودخل في دائرة الشرك ، وعرض عمله للحبوط ، ولو قالها ألف مرة ، إذ العبرة بالعمل وليس بمجرد الكلام ، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾.

فوا أسفاً على من يظن نفسه مسلما وهو في حقيقة أمره مشرك!

قال ابن القيم رحمه الله في «نونيته»:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر	ذا قسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمٰن أيا كان	من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه	ويحبه كمحبة الديان

---

١ سورة الصافات: ٣٥ – ٣٦ .

والله ما ساوَوهم بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان

فالله عندهم هو الخلاق والرزاق مولى الفضل والإحسان

لكنَّهم ساووهم بالله في حب وتعظيم وفي إيمان

جعلوا محبتهم مع الرحمٰن ما جعلوا المحبة قط للرحمٰن

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان[1] حفظه الله:

وهؤلاء الذين يتخذون القبور والأضرحة في بلاد العرب هم عرب فصحاء ، وربما أحدهم يحفظ كتاب سيبويه ، ويعرف اللغة العربية والبلاغة ، ومع هذا يعبد القبور ...

ما معنى الدعوة إلى الله ما دمنا ساكتين عن هؤلاء؟ ندعوهم إلى الصدق وعدم الغش في البيع والشراء ، وترك الزنا ، أما الشرك في عبادة الله فلا ندعوهم إلى تركه؟!

كل الذنوب إلا الشرك فإنها تدخل تحت المشيئة يوم القيامة ، إذا شاء الله عذب صاحبها وإذا شاء عفا عنه ، أما الشرك فلا يقبل الله مغفرته ، ولا يدخل تحت المشيئة.

وكوننا نبدأ بالفروع ونترك الأصل فهذه ليست الطريقة الصحيحة في الدعوة إلى الله عز وجل ، فإن الرسل أول ما يبدأون بتصحيح العقيدة ، لا يبدأون بالأطراف والجوانب التي لا ينفع القيام بها إذا عُدِم التوحيد وعُدِمت العقيدة الصحيحة.

فلو أن إنسانا ترك الزنا وترك شرب الخمر وتعاطي الربا وترك جميع المحرمات ، ويصلي الليل والنهار ويصوم دائما ويتصدق بجميع أمواله ويحج كل سنة ، إلا أنه مشرك ، يعبد مع الله غيره ، من قبر أو تمثال أو غيره ، فإن كل هذا لا ينفعه عند الله ، وعمله حابط لا محالة ، لأن الله قال ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾.

أما لو كان الرجل موحِّدا سليما من الشرك ، وكان عنده كبائر ؛ فهذا تُرجى له المغفرة ، وإن لم يُغفر له فإنه يعذب في النار ولكنه لا يَخلد فيها كالمشرك الذي يمكث في النار أبد الآباد ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾.

---

[1] هو الشيخ الفقيه الذاب عن دين الله ، العالم في العقيدة والفقه ، المقدم في علوم الشريعة ، طالما دافع عن العقيدة الإسلامية ورد على أهل البدع ، جمعت ردوده فوقعت في ثلاث مجلدات ، له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة ، أوصى بالرجوع إليه الشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين قبيل وفاتهما ، حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.

الآن تعرفون جهود الدعوة وكثرة الدعاة وقد أُقيم لها مؤسسات ومراكز ، لكن الأضرحة على حالها ، بل تزيد في العالم الإسلامي ، والتصوف والبدع يكثران ، أين بركة هذه الجهود وثمراتها؟

فالواجب علينا أن ننتبه لهذا الأمر وأن ندعو إلى الله على بصيرة ، ونبدأ بما بدأت به الأنبياء والرسل ، **وهو تصحيح العقيدة ثم البناء عليها** ، لأنها هي الأساس ، وما عداها مبني عليها ، فإذا كان الأساس فاسدا انهار البناء ولا ينفع صاحبه ، ﴿أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسَّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾. انتهى.[1]

- **بيان أن القرآن كله دعوة إلى التوحيد**

ثم قال رحمه الله: بل كل سور القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ، بل نقول قولا كليا ؛ إن كل آية في القرآن فهي إما متضمنة للتوحيد ، شاهدةٌ به ، داعيةٌ إليه ، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه ؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته في نهيه وأمره ؛ فهو حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة ؛ فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فُعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يَحل بهم في العقبى من العذاب ؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

ف (الحمد لله) توحيد ، (رب العالمين) توحيد ، (الرحمٰن الرحيم) توحيد ، (مالك يوم الدين) توحيد ، (إياك نعبد) توحيد ، (وإياك نستعين) توحيد ، (إهدنا الصراط المستقيم) توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد ، الذين أنعم الله عليهم ، (غير المغضوب عليهم) الذين فارقوا التوحيد ، ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد ، وشهد له به ملائكته وأنبياؤه ورسله ، قال ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الإسلام﴾.

---

[1] باختصار وزيادة من «شرح نواقض الإسلام» ، ص ٥٤ – ٥٦ ، ط ٣ ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد ، والرد على جميع الطوائف ، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم ، وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية ببيان ما تضمنته من المعارف الإلٰهية والحائق الإيمانية. انتهى.[1]

- **توحيد الأسماء والصفات**: هو الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من غير تشبيه ولا تمثيل ، ولا تكييف ولا تعطيل ، كما جاء في القاعدة القرآنية العامة ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

ودليل إثبات الأسماء قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[2] ، ودليل إثبات الصفات لله تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾[3] أي الوصف الكامل.

والتشبيه أو التمثيل معروف ، وهو كقول: يد الله تشبه يد كذا وكذا ، أو أن عينه تمثل عين كذا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والتكييف هو ادعاء معرفة كيفية معينة لصفة معينة ، كقول إن كيفية مجيء الله يوم القيامة ككيفية مجيء المخلوقين إلى المكان الفلاني ، أو أن نزول الله في الثلث الأخير من الليل ككيفية نزول الخطيب من منبره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والتحريف هو تحريف معنى صفة معينة إلى معنى آخر ليس هو المعنى الظاهر المعروف في اللغة العربية ، كقول إن معنى اليد الوارد في قوله تعالى ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ هو النعمة ، وأن معنى الاستواء هو الاستيلاء ، وهكذا.

- **تقسيم آخر للتوحيد**

قسَّم بعض العلماء التوحيد تقسيما آخر ، فجعلوا التوحيد قسمين قسم علمي وقسم عملي ، وجعلوا النوعين الأول والثالث من التوحيد نوعا واحدا وهو العلمي ، والنوع الثاني وهو توحيد العبادة هو النوع الثاني ، وهو بكل حال لا يخالف التقسيم الأول الذي مضى ذكره ، لأن مضمونه لا يخرج عنه ، وهذا أوان الشروع في الكلام على التقسيم الثاني للتوحيد:

قال ابن القيم رحمه الله:

---

١ «مدارج السالكين» ، (٤/٤٤١ – ٤٤٣) ، منزلة التوحيد.

٢ سورة الأعراف: ١٨٠ .

٣ سورة النحل: ٦٠ .

وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه فنوعان: توحيد في المعرفة والإثبات ، وتوحيد في المطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعلوه فوق سماواته على عرشه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه لمن شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح كما في أول سورة الحديد سورة طه ، وآخر سورة الحشر ، وأول سورة تنزيل السجدة ، وأول سورة آل عمران ، وسورة الإخلاص بكمالها ، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ، وقوله ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ الآية ، وأول سورة «تنزيل الكتاب» وآخرها ، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها ، وأول سورة الأعراف وآخرها ، وجملة سورة الأنعام ، وغالب سور القرآن.

وقال أيضا رحمه الله تعالى في كتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»:

هذا فصل عظيم النفع جليل القدر ، إنما ينتفع به من عرف نوعي التوحيد: القولي العلمي الخبري ، والتوحيد القصدي الإرادي العملي ، كما دل على الأول سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ وعلى الثاني سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ، وكذلك دل على الأول قوله ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ الآية[1]، وعلى الثاني قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ الآية[2].

ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر وسنة المغرب ، ويقرأ بهما في ركعتي الطواف ، ويقرأ بالآيتين في سنة الفجر ، لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي.

والتوحيد العلمي أساسه إثبات صفات الكمال للرب ، ومباينته لخلقه ، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل ، والتوحيد العملي أساسه تجريد القصد ، بالحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والإستعانة والاستغاثة ، والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده.

ومدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين ، وأقرب الخلق إلى الله أقومهم بهما علماً وعملا ، ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أقرب الخلق إلى الله ، وأقربهم إليه وسيلة أولوا العزم ، وأقربهم الخليلان ، وخاتمهم سيد ولد آدم وأكرمهم على الله ، لكمال توحيده وعبوديته لله.

---

[1] سورة البقرة: ١٣٦ .

[2] سورة آل عمران: ٦٤ .

فهذان الأصلان هما قطب رحى القرآن وعليهما مداره ، وبيانهما من أهم الأمور ، والله سبحانه بينهما غاية البيان بالطرق الفطرية والعقلية والنظرية والأمثال المضروبة ، ونوَّع سبحانه الطرق في إثباتهما أكمل التنويع ، بحيث صارت معرفة القلوب الصحيحة والفطر السليمة لها بمنزلة رؤية الأعين المبصرة التي لا آفة بها للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء ، فذاك للبصيرة بمنزلة هذه للبصر.

فإن سُلِّط التأويل على التوحيد الخبري العلمي كان تسليطه على التوحيد العملي القصدي أسهل ، وانمحت رسوم التوحيد ، وقامت معالم التعطيل[1] والشرك ، ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين ، لا ينفكُّ أحدهما عن صاحبه ، وإمام المعطلين المشتركين فرعون ، فهو إمام كل معطل ومشرك إلى يوم القيامة ، كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما إلى يوم القيامة.[2]

[1] التعطيل هو التفريغ ، والمقضود إفراغ الصفة عن معناها والاكتفاء بلفظها ، وهذا بلا شك ينافي الإيمان ، وهو كقول فرقة المعطلة إن الله سميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

[2] انتهى نقله عن ابن القيم ، وقد ضبطته من طبعة دار العاصمة ، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله (٢/٤٠١-٤٠٣).

- **عبادة الله سبحانه وتعالى هي الغاية من خلق الجن والإنس**

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

- **تعريف العبادة**

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في تعريف العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك ، من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمته ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، هي من العبادة لله.[1]

- **ركنا العبادة**

والعبادة مبنية على أمرين عظيمين هما المحبة والتعظيم ، فبالمحبة تكون الرغبة ، وبالتعظيم تكون الرهبة والخوف والذل والخضوع ، قال ابن القيم رحمه الله: والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول: طريق معبد أي مذلل ، والتعبد ؛ التذلل والخضوع ، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له ، حتى تكون محبا خاضعا.[2]

وقال ابن تيمية رحمه الله: النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال إلاَّ بأن يكون الله معبودها ومحبوبها الذي لا أحب إليها منه ، ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب ، فلا بد أن يكون العابد محباً للإله المعبود كمال الحب ، ولابد أن يكون ذليلاً له كمال الذل.

فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها ، ومن حيث هو ربها وخالقها ، فيؤمن بالله رب كل شيء وخالقه ، ولا يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه ، وأخشى عنده من كل ما سواه ، وأعظم من كل ما سواه ، وأرجى عنده من كل ما سواه.

---

[1] «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩ – ١٥٠) ، بتصرف يسير.

[2] «مدارج السالكين» (١/١٦٠) ، فصل: فاتحة الكتاب وما اشتملت عليه من أمهات المطالب.

ومَن سوَّى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ، ويخشاه مثل ما يخشى الله ، ويرجوه مثل ما يرجو الله ، ويدعوه مثل ما يدعوه ؛ فهو المشرك الشرك الذي لا يغفره الله، ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه ، وكان حليماً شجاعاً.[1]

- **تحقيق العبادة**

تحقيق العبادة لله تعالى ليس بالدعاوى المجردة من الأفعال ، بل هو بفعل الأوامر التي أمر بها واجتناب النواهي ، فبالمحبة يحصل فعل الطاعات ، وبالتعظيم يحصل اجتناب النواهي.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية» في تعريف العبادة:

وعبادة الرحمٰن غاية حبه مع ذلِّ عابدِه هما قطبان

وعليهما فَلَكُ العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2] رحمه الله معلقا على هذه الأبيات:

---

[1] «الجواب الصحيح» (٦/٣١ – ٣٣) ، بتصرف يسير.

[2] هو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١١٩٦ في الدرعية ، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه ، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر ، كالشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي ، والشيخ عبد الله باسودان ، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري ، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

كما درس الشيخ عبد الرحمٰن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.

وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمٰن جم غفير من الطلبة ، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.

وللشيخ عبد الرحمٰن عدة مصنفات ، أشهرها كتابه «فتح المجيد» ، وهو مختصر لكتاب ابن عمه ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد» ، وله أيضا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» ، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمٰن رسائل كثيرة ، وهي مبثوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» ، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ بعد أن أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام ، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

فذَكر أصل العبادة التي يصلح العمل مع حصولها إذا كان على السُّنة ، فذكر قُطبيها ، وهما غاية المحبة لله في غاية الذل له ، وهذه الغاية تفُوت بدخول الشرك على العبادة ، وبه يبطُل هذا الأصل ، لأن المشرك لابد أن يحب معبوده ولابد أن يذِل له ، ففسُد الأصل بوجود الشرك فيه ، ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك وقصر المحبة والتذلل لله وحده ، وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة ، وهي المراد بقوله (وعليهما فلك العبادة دائرٌ) ، والدائر هي الأعمال ، ولا تصلح إلا بمتابعة السُّنة.[1]

- **شروط قبول العبادة**

كل عبادة في الإسلام فلا بد لتحقيق قبولها من تحقيق شرطين أساسيين:

١. إخلاصها لله ، أي أن يكون قصد العبد بها هو التقرب لله عز وجل وليس لغيره ، فمن توجَّه بعبادة من العبادات لغير الله فقد وقع في الشرك عياذا بالله.

٢. التأسي بالنبي ﷺ ومتابعته في كيفية أداء تلك العبادة.

وتحقيق شروط قبول العبادة هو معنى قول الفضيل بن عياض[2] رحمه الله في قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[3] ، قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة.[4]

- **تفصيل في الشرط الثاني من شروط العبادة**

لكي يكون الإنسان متأسيا بالنبي ﷺ في عبادته ، فعليه أن يلاحظ أمورا ستة:

أولا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها ، فإذا تعبد الإنسان لله بعبادة مبنية على سبب لم يثبت بالشرع فعبادته مردودة ، ودليل ذلك قول الله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود ، والترجمة لحفيده ، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن حسن ، رحمهم الله.

[1] انظر «الدرر السنية» (٢٤٩/٢) ، بتصرف يسير.

[2] هو الإمام القدوة الثَّبت ، شيخ الإسلام ، روى عنه أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه ، اشتُهِر بالورع والعبادة ، توفي سنة ١٨٦ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٢١/٨).

[3] سورة الملك: ٢ .

[4] تقدم تخريج الأثر في ملحق التوحيد.

الله﴾ ، فإذن الله بتلك العبادة مطلوب لكي تكون تلك العبادة مقبولة عنده ، وقال النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا[1] ما ليس منه فهو رد)[2] ، وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[3]

فمن أحدث عبادة في أمر الدين ، أي أتى بعبادة محدثة ، غير واردة في الكتاب والسنة ، فعبادته مردودة عليه ، غير مقبولة ، وهي المعروفة بالبِدعة.

ومن أمثلة البدع المنتشرة في أوساط المسلمين ؛ الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، والاحتفال بليلة السابع والعشرين من رجب ، والذين يفعلون ذلك يقصدون بهذا التقرب لله عز وجل بتلك الاحتفالات التي يفعلونها على أنها عبادات ، ومن المعلوم أن هذه الاحتفالات لم يفعلها النبي ﷺ ولا صحابته رضي الله عنهم ، ولم تُعرف في التابعين ولا أتباعهم ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية في قوله: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[4]

ومن المعلوم أن كل عبادة لم يأمر بها النبي ﷺ أو لم يفعلها أو يُقِر أحدا من الصحابة عليها فإن فعلها يكون بدعة.

فالبدع وإن كان ظاهرها خيرا في بعض الأحيان إلا أنها لا تُقرِّب من الله عز وجل بل تُباعد منه ، لأنها تتضمن القدح في الرسالة ، لأن مقتضى هذه البدعة أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يُتم تبليغ الشريعة ، فجاء صاحب هذه البدعة ليتمها ، وهذا باطل لأن النبي ﷺ بلَّغ الشريعة كلها ، قال تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

ثانيا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **جنسها** ، فلو ضحى إنسان بفرس لم تقبل أضحيته ، لأنه الشريعة قد دلت على أن الأضحية لا تكون إلا من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم.

ثالثا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **قَدرِها** ، فلو أن إنسانا صلى الظهر ست ركعات ، لكانت عبادته غير مقبولة ، لأنها مخالفة للشريعة في قدرها.

رابعا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **كيفيتها** (صفتها) ، فلو أن إنسانا توضأ ، فغسل رجليه ثم مسح رأسه ، ثم غسل يديه ، ثم غسل وجهه ، فوضوءه هذا غير مقبول ، وبالتالي صلاته غير صحيحة

---

[1] المقصود بالأمر هو الدين.

[2] رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

[3] رواه البخاري تعليقا مجزوما به في كتاب البيوع باب «النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع» ، ورواه مسلم (١٧١٨) ، وأحمد (١٤٦/٦) عن عائشة رضي الله عنها.

[4] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

، لأنه لم يتأسى بالنبي ﷺ في عبادته ، فخالف الشريعة في كيفية الوضوء الواردة عن النبي ﷺ .

خامسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **زمانها** ، فلو أن إنسانا صام صيام الفرض في شعبان أو في شوال ، أو صلى الظهر قبل الزوال ، فهذا صيامه غير صحيح ، وكذا صلاته ، لأنه خالف الشريعة في زمن العبادة المحددة لها من قبل الشارع الحكيم.

سادسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **مكانها** ، فلو أن إنسانا وقف في يوم عرفة بمزدلفة لم يصح وقوفه ، وعليه إعادة حجة ، لأن عبادته لم توافق الشرع في مكانها.

وكذلك لو أن إنسانا اعتكف في منزله فاعتكافه غير صحيح ، لأن مكان الاعتكاف هو المسجد.

فهذه ستة أوصاف لا تتحقق المتابعة لرسول الله ﷺ إلا باجتماعها في العبادة: سببها ، جنسها ، قدرها ، كيفيتها ، زمانها ، مكانها.

- **نوعا العبادة**

العبودية نوعان ؛ عامة وخاصة ، فأما العامة فمعناها الخضوع لأمر الله الكوني ، قال تعالى ﴿إن كل من السماوات والأرض إلا آتي الرحمٰن عبدا﴾[1] ، وقال ﴿والله بصير بالعباد﴾[2].

والعبودية العامة يشترك فيها جميع الخلق من إنسهم وجنهم ، ومؤمنهم وكافرهم ، والحيوان والجماد ، والملائكة والشياطين ، وغير ذلك ، فكلها خاضعة لأمر الله الكوني ، فإذا قدّر الله عليها شيء كان ، شاءت أم أبت.

أما العبودية الخاصة فمعناها الخضوع لأمر الله الشرعي ، وهذه خاصة بمن استجاب لشرع الله عز وجل ، وهم أهل الإيمان ، كقوله ﴿وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هونا﴾[3] ، وقوله ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده﴾[4].

---

[1] سورة مريم: ٩٣ .

[2] سورة آل عمران: ١٥ .

[3] سورة الفرقان: ٦٣ .

[4] سورة الأنعام: ٨٨ .

مقدمة في بيان حقوق الصالحين ، وبيان ما يضادها

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

فقد نظَّم الإسلام جميع شئون الحياة ، سواء فيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات أو الآداب أو غيرها ، ومما جاء الإسلام ببيانه أحسن بيان حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، سواء فيما بينهم وبين نبيهم ﷺ ، أو فيما بينهم البين ، وقبل الدخول في بيان حقوق الصالحين فإنه يحسن بيان حقوق نبينا محمد ﷺ على أمته على وجه الإجمال ، ثم بيان حقوق الصالحين من العلماء العاملين ، والعُبَّاد الصادقين ، وما ذاك إلا لأن حقوق الصالحين على الناس متفرعة من حقوق النبي ﷺ عليهم ، لكونهم لولا اتباعهم له لما كان لهم تلك الحقوق ، فأقول مستعينا بالله ومستلهما منه الرشد والتسديد:

إن لنبينا محمد ﷺ حقوقا زائدة على مجرد التصديق بنبوته ، فإن حقوق النبي ﷺ تبلغ سبعة عشرة حقا[1] ، والتصديق بنبوته هو أولها ، وهو حجر الأساس لها ، وباقي الحقوق تعتبر من لوازم الحق الأول ، وبعضها من مقتضياته.

وحقوق النبي ﷺ السبعة عشرة هي:

1. تصديقه فيما أخبر
2. طاعته فيما أمر
3. اجتناب ما نهى عنه وزجر
4. أن لا يعبد الله إلا بما شرع
5. التحاكم لشريعته
6. الدعوة إلى دينه وبيانه للناس

[1] حصْر هذه الحقوق بسبعة عشر حصل بالتتبع والاستقراء ، وأرجو أن أكون قد أتيت على أكثرها ، وقد يسر الله بسط الكلام في هذه الحقوق في بحث مطول بعنوان «النصر المؤزر للنبي الموقر ، وهو الدلائل الخمسون على عِظم قدر نبينا محمد ﷺ ، وبيان حقوقه السبعة عشر على الأمة» ، وهو منشور في شبكة المعلومات.

7. الدفاع عن دينه
8. الذب عن ذاته
9. محبته
10. الأدب معه ﷺ حيا وميتا
11. توقيره
12. تعظيم سنته
13. مجانبة من رغب عن سنته
14. الدعاء له ﷺ ، ويتضمن الصلاة والسلام عليه
15. القيام بحقوق صحابته
16. القيام بحقوق زوجاته
17. القيام بحقوق آل بيته

فصل

والقيام بحقوق النبي ﷺ هو المعبر عنه في الحديث النبوي بالنصيحة للنبي ﷺ ، والذي جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: الدين النصيحة.

قالوا: لمن؟

قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.[1]

قال النووي[2] رحمه الله: وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ؛ فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه ، وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ، ونفي التهمة عنها ،

[1] أخرجه مسلم (55) من حديث أبي رقية ، تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، والبخاري تعليقا في كتاب الإيمان.

[2] هو الإمام العالم ، مفتي الأمة في زمنه ، الفقيه الشافعي الزاهد ، أبو زكريا ، محيي الدين ، يحيى بن شرف النووي ، نفع الله الأمة بتصانيفه نفعا عظيما ، كشرح صحيح مسلم ، و «رياض الصالحين» و «المجموع» وهو شرح «المهذب» ، وغيرها ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (324/15) و «تذكرة الحفاظ».

واستثارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها ، وإعظامها ، وإجلالها ، والتأدب عند قراءاتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.[1]

طاعة النبي ﷺ وأحوال الناس فيها

ينقسم الناس إلى مسلم وكافر ، فالمسلم هو الذي قبل دين الإسلام وانقاد له ، والكافر هو الذي لم يقبل دين الإسلام ولم ينقد له.

والمسلم ينقسم إلى قسمين صالح وفاسق ، فالصالح هو القائم بما أمره الله به ، المنتهي عما نهاه الله عنه ، وهذا لا يتحقق إلا بالتأسي بالنبي ﷺ في عباداته كلها ، دقيقها وجليلها ، والابتعاد عما نهاه الله عنه ورسوله ﷺ من البدع والكبائر والصغائر.

وإن زاد المرء على هذا ، ففَعل النوافل وترك المكروهات والمشتبهات فهذا من خيار الصالحين ، ومن السابقين بالخيرات ، أما الأول فمن المقتصدين ، نسأل الله من فضله.

وأما الفاسق أو العاصي فإنه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولم يأت بما ينقض هاتين الشهادتين كعبادة غير الله أو الاستهزاء بالدين ونحو ذلك ، وإنما أتى ببعض المعاصي التي لا تخرجه من ملة الإسلام ، كالكذب أو شهادة الزور أو السرقة ونحو ذلك.

والأصناف الثلاثة قد جاء ذكرهم في كتاب الله في سورة فاطر في قوله ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾.

والأصناف الأربعة – إذا أضيف صنف الكفار – قد جاء ذكر جزاءهم في الآخرة في القرآن والسنة ، كما في سورة الرحمٰن ، وسورة الواقعة ، وسورة الإنسان ، وسورة المطففين ، وربما جاءت تسمية السابقين بالمقربين في بعض الآيات ، وتسمية أصحاب اليمين بالأبرار في آيات أخر.

وأما عصاة المؤمنين فإنهم تحت المشيئة يوم القيامة ، فإن شاء الله عفا عنهم ، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة.

وأكثر الناس إما كفار أو من عصاة المؤمنين ، وأما الصالحون والسابقون فقليل ، كما قال تعالى عن السابقين ﴿ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين﴾ ، وقال عن أصحاب اليمين ﴿ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين﴾ ، نسأل الله الهداية.

---

[1] «شرح صحيح مسلم» ، شرح الحديث المذكور.

الصلاح والفسق أمران نسبيان

الصلاح أمر نسبي ، فمن كان فاسقا فإنه لا يقال إنه ليس فيه صلاح البتة ، بل فيه صلاح بحسب ما عنده من الطاعة ، أما الكافر فليس فيه صلاح البتة ، لأن الكفر والإيمان ضدان لا يجتمعان ما تعاقب الليل والنهار.

والإنسان الصالح لا يحب الظهور ولا الشهرة ، لأنه يقصد بصلاحه التقرب لله عز وجل ، وليس التقرب للمخلوقين ، فتجده متواضعا ، مزرٍ على نفسه بالتقصير في الطاعات ، والخوف من المعاصي والسيئات ، يذكر خطيئته ولو بعُد العهد بها ، وينسى حسنته في مقابلها.

حقوق الصالحين

وحقوق الصالحين داخلة في حقوق المسلمين على بعضهم البعض ، وهو توقيرهم والدعاء لهم بالإعانة على الطاعة ، وأن يزيدهم الله من الهدى ، الذي هو العلم النافع والعمل الصالح.

ومن حقوق الصالحين بعد مماتهم الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة ، وأن يتجاوز عن سيئاتهم ، ويرفعهم في درجاتهم ، وإن كان لهؤلاء تراث علمي أو مسجد ونحو ذلك ؛ فإنه يُسعى في نشره وإصلاح ما تلف منه ليجري أجره لصاحبه.

وكذلك الأمر بالنسبة لمن كان صلاحه قليلا ، أو كان فاسقا ، فإنه حري بالدعاء له بالرحمة والمغفرة ، وقد جاء الأمر بالدعاء لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، غير أن الصالح حقيق بذلك أكثر من غيره ، لأن توقيره والدعاء له بالرحمة من توقير الله ورسوله ﷺ ، إذ لولا قيامه بحقهما لما خُص بمزيد عناية.

فحقوق الصالحين كحقوق غيرهم من المسلمين ممن ليسوا من الصالحين ، ممن ظهر منهم الفسق ، وماتوا مصرين على بعض المعاصي ، فالجميع لهم حق المسلم على المسلم.

تعريف الولي والوِلاية

وقد جاءت تسمية الصالحين بالأولياء أيضا ، أي أولياء الله ، والوِلاية هي المحبة والقرب ، قال تعالى ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ، فهذان هما شرطا الوِلاية ، جعلنا الله من أهلها.

فأولياء الله هم القائمون بما أوجب الله ، المنتهون عما حرم الله ، كما قال تعالى في وصفهم ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[1].

قال الشوكاني[2] رحمه الله في تعريف الولي والوِلاية:

(الوِلاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة ، وأصل العداوة البغض والبعد.

وقال ابن حجر[3] في «فتح الباري»: المراد بولي الله: العالم بالله ، المواظِب على طاعته ، المخلص في عبادته.[4]

وهذا التفسير للولي هو المناسب لمعنى الولي الوارد في الآية الكريمة ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾.

---

[1] سورة يونس: 62 .

[2] هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اليمني ، درس على شيوخ كثر في فنون كثيرة ، وألف كتبا كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» ، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير» ، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني» ، وله رد على أرباب القول باتحاد الخالق والمخلوق في كتاب «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد» ، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت 114 مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة 1250 . انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع» ، وانظر «الأعلام» للزركلي (298/6).

[3] هو الإمام الحافظ أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد الشهاب العسقلاني الشافعي ، لقب بابن حجر ، وهو لقب لبعض آبائه ، درس على جماعة من الشيوخ ، كل واحد منهم إمام في فنه ، ثم تصدى لنشر الحديث وقصر نفسه عليه ، فشهد له بالحفظ والاتقان القريب والبعيد ، وأجمع من يعتد برأيه على وصفه بالحافظ ، له مؤلفات كثيرة جدا ، سردها تلميذه محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي في ترجمته في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» ، وهي مؤلفات نافعة جدا ، وقد كانت الملوك تتهادى تصانيفه من عظم قيمتها العلمية ، أبرز تلك التصانيف وأنفعها «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ، و «تهذيب تهذيب الكمال» و «تقريب التهذيب» و «لسان الميزان» ، و «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر».

توفي رحمه الله سنة 842 وله من العمر تسعة وستون عاما ، وقد أفرد تلميذه السخاوي ترجمته في كتابه «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر».

انتهى باختصار وزيادة يسيرة من كتاب «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني رحمه الله.

[4] «فتح الباري» ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، شرح حديث رقم (6502).

فأولياء الله هم خُلَّص عباده ، القائمون بطاعته المخلصون له).[1] انتهى.

وقال ابن تيمية رحمه الله:

الولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد.

وقد قيل إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات ، أي متابعته لها ، والأول أصح ، والولي: القريب ، يقال: هذا يلي هذا أي يقرُب منه ، ومنه قوله ﷺ : ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فلأولى رجل ذكر.

وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: ألا إن آل أبي – يعني فلانا – ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين.[2]

وهذا موافق لقوله تعالى ﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾.

وصالح المؤمنين هو كل من كان صالحاً من المؤمنين ، وهم المؤمنون المتقون أولياء الله.

ومِثل هذا الحديث الآخر: إن أوليائي المتقون ، مَن كانوا وحيث كانوا.[3] انتهى.[4]

لوازم الوِلاية

لوازم الولاية أمران: الأول: طاعة الله سبحانه وتعالى والحذر من معاصيه.

ثانيا: بغض أعداء الله ومعاداتهم والإنكار عليهم ، قال الشوكاني رحمه الله:

والولي لا يكون ولياً لله حتى يبغض أعداء الله ويعاديهم وينكر عليهم ، فمعاداتهم والإنكار عليهم هو من تمام ولايته ومما تترتب صحتها عليه.[5]

تفاوت أولياء الله في الولاية

قال الشوكاني رحمه الله:

وأولياء الله سبحانه يتفاوتون في الولاية بقوة ما رزقهم الله سبحانه من الإيمان ، فمن كان أقوى إيماناً كان في باب الولاية أعظم شأناً ، وأكبر قدراً ، وأعظم قرباً إلى الله ، وكرامة لديه.

---

[1] «قطر الولي على حديث الولي» ، ص 21 ، الناشر دار الكتب العلمية.

[2] رواه البخاري (5990) ومسلم (215) ، واللفظ لمسلم.

[3] رواه ابن حبان (647) ، وأحمد (235/5) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح.

[4] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 53 – 62 ، باختصار.

[5] «قطر الولي على حديث الولي» ، ص 67 .

ومن لازِم الإيمان القوي العمل السوي ، والتحبب إلى الله بمحبته عز وجل ومحبة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

وكلما ازداد بعد التقرب إلى الله بفرائضه واجتناب مناهيه بفعل النوافل والاستكثار من ذكره عز وجل ، زاده الله محبة وفتح له أبواب الخير كله دِقَّه وجِله.[1]

والولاية لا تحصل بالدعاوى ، (فقد ادعت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه ، فرد الله عليهم دعواهم بقوله ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾.

بل قد ادعى ذلك مشركو العرب كما أخبر الله سبحانه عنهم في قوله ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ ، إلى قوله ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

فالكفار في الحقيقة أولياء الشيطان ، كما قال عز وجل ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

وقال ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.

وقال ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾.[2]

أفضل الأولياء

قال ابن تيمية رحمه الله:

وأفضل أولياء الله الأنبياء ، وأفضل الأنبياء المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولوا العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وأفضل أولي العزم محمد ﷺ ، خاتم النبيين وإمام المتقين ، وسيد ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وَفدوا ، صاحب المقام المحمود ، الذي يغبِطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة

[1] «قطر الولي على حديث الولي» ، ص 48 .

[2] «قطر الولي على حديث الولي» ، ص 23 – 25 ، باختصار وتصرف يسير.

والفضيلة ، بعثه الله بأفضل الكتب ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرَّقهُ فيمن قبلهم.[1]

ثم يأتي بعد الأنبياء أتباع الرسل ، فأفضل أتباع الرسول محمد ﷺ هم الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم التابعون ، ثم تابعوهم ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، ثم من تبعهم بإحسان ، الأمثل فالأمثل ، جعلنا الله منهم.

أولى الناس بوصف الولاية

وأولى الناس بوصف الولاية هم العلماء العاملون بما علموا ، المستقيمون على السنة ، الداعون لها ، الذابون عنها ، المتبعون لما جاء عن النبي ﷺ وصحابته والتابعين من بعدهم ، لأن العلماء ورثة الأنبياء ، كما قال النبي ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر.[2]

قال الإمام النووي رحمه الله: وعن الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما قالا: إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي.[3]

وقد أثنى الله على العلماء العاملين بما عملوا فقال ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وكذلك طلبة العلم والعباد المتبعون لهدي النبي ﷺ في العقيدة والشريعة والسلوك ، فكل هؤلاء حقيق بأن يكونوا من أهل الصلاح والولاية إن توافر فيهم شرطا الولاية اللذان تقدم ذكرهما.

الأولياء ليس لهم ميزة

(وأولياء الله ليس لهم ميزة على غيرهم من الأمور المباحات ، لا بلباس ولا بحلق شعر أو تقصيره ولا غير ذلك ، بل يوجدون في الزُّراع والصُّناع والتجَّار ، ويوجدون في أهل السيف والجهاد والقرآن ، ونحو ذلك).[4]

---

[1] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 55 – 56 ، وهكذا قال الشوكاني في «قطر الولي على حديث الولي» ، ص 22 – 23 .

[2] رواه البخاري (2652) ومسلم (2533) ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

3 «التبيان في آداب حملة القرآن» ، الباب الثالث في إكرام أهل القرآن والنهي عن إيذائهم.

[4] قاله د. عبد الرحمٰن اليحيى حفظه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 13 .

الأولياء ليسوا بمعصومين

(وأولياء الله ليسوا معصومين ، ومن أعتُقِد فيه ولاية الله فلا يُقبل عنه كل ما صدر منه ، بل يجب عرضه على الكتاب والسنة ، فما وافقهما أُخذ ، وما خالفهما تُرك ، لأن الواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله ﷺ).[1]

قال ابن تيمية رحمه الله:

"وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلِط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يَحسب بعض الأمور مما أمر الله به وتكون مما نهى الله عنه ، ويجوز أن يَظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان ، لبَّسها عليه لنقص درجته ، ولا يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ، فقال تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

وثبت في الصحيح أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال: قد فعلت."[2]

الوِلاية والصلاح أمر قلبي غيبي لا يعلمه إلا الله

الولاية والصلاح أمر قلبي غيبي لا يطلع عليه إلا الله ، لأن سببهما التقوى ، والتقوى لا يطلع عليها إلا الله ، فعلى هذا فلا يجوز أن يجزم بها لأحد ممن لم ينص عليه الشرع ، لأن هذا لا يقدر عليه أحد ، ولأن الذين ورد الشرع بصلاحهم ، أو النص على أنهم شهداء قد مضوا ، من الصحابة والأنبياء ، ولكن يجوز أن يقال فيمن ظهر الصلاح على أفعاله أن يقال: نحسبه صالحا ، أو على خير وهدى واستقامة ، والله حسيبه ، كما قال النبي ﷺ : من كان منكم مادحا أخاه لا محالة

---

[1] قاله د. عبد الرحمٰن اليحيى حفظه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب «الفرقان» ، ص 13 ، بتصرف يسير.

[2] «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ، ص 144 .

فليقل: أحسب فلانا والله حسيبه ، ولا أزكي على الله أحدا ، أحسبه كذا وكذا ، إن كان يُعلم ذلك منه.[1]

قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمٰن ودا﴾[2] ، قال قتادة: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه ، وزاده من عنده.[3]

وعن أنس بن مالك قال: مُرَّ بجنازة ، فأُثني عليها خيرا ، فقال نبي الله ﷺ : وجبت ، وجبت ، وجبت.

ومُرّ بجنازة ، فأُثني عليها شرا ، فقال نبي الله ﷺ : وجبت ، وجبت ، وجبت.

قال عمر: فدى لك أبي وأمي ، مُر بجنازة فأُثني عليها خيرا ، فقلت: (وجبت ، وجبت ، وجبت) ، ومُرّ بجنازة فأثني عليها شرا ، فقلت: (وجبت ، وجبت ، وجبت).

فقال رسول الله ﷺ : من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض.[4]

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الله العبد نادى جبريل: (إن الله يحب فلانا فأحببه) ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء: (إن الله يحب فلانا فأحبوه) ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض.[5]

فالحاصل أن الصلاح أمر قلبي ، وهو يظهر على الجوارح ، لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله ، فالصلاح له علامات ، كالحرص على الطاعات ، والكف عن المحرمات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومع هذا فلا يجوز الجزم بصلاحه ، فهذا من خصائص الله وحده ، فهو الذي يعلم السرائر ، فيجب التأدب معه تعالى.

مفاهيم خاطئة عن الوِلاية

قال ابن تيمية رحمه الله:

وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله ؛ أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة

---

[1] رواه البخاري (2662) ومسلم (3000) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

[2] سورة مريم: 96 .

[3] انظر تفسير الآية في «تفسير الطبري».

[4] رواه البخاري (1367) ومسلم (949) عن أنس رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم.

[5] رواه البخاري (3209) ، ومسلم (2637) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحياناً ، أو يملأ إبريقاً من الهواء ، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سُرِق لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله ، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يُغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ ، وموافقته لأمره ونهيه ، وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين ، وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يُظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يُعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلّ عليها الكتاب والسنة ، ويُعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنة ، وشرائع الإسلام الظاهرة.

مثال لذلك: أن الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل قد يكون ملابساً للنجاسات ، معاشراً للكِلاب ، يأوي إلى الحمامات والقمَّامين والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف. انتهى.[1]

وقال أيضا:

وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن **خرج عن الكتاب والسنة**.[2]

وقال أيضا: فالأحوال الرحمانية وكرامات أوليائه المتقين يكون سببه الإيمان ، فإن هذه حال أوليائه ، قال تعالى ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

وأما أصحاب الأحوال الشيطانية فهم من جنس الكهان ، يكذبون تارة ويصدُقون أخرى ، ولا بد في أعمالهم من مخالفة للأمر ، قال تعالى ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ الآيتين.

ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء ملابسا الخبائث من النجاسات والأقذار التي تحبها الشياطين ، ومرتكبا للفواحش ، أو ظالما للناس في أنفسهم وأموالهم وغير ذلك ، والله تعالى قد حرم ﴿الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله﴾ الآية ، وأولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر على المقدور.[3]

---

[1] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 168 – 169 ، باختصار.

[2] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 331 .

[3] «مجموع الفتاوى» (1/84-85) ، باختصار.

قال أبو يزيد البسطامي: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يُرفع في الهواء ؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وآداب الشريعة.[1]

حقيقة معاداة أولياء الله

إذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه ؛ كان المعادي لوليه معادياً لله في الحقيقة كما قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ ، فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، ولهذا قال: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة.

والمعادي لولي الله هو في الحقيقة معادياً لله ، ودليله قول النبي ﷺ : إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته **بالحرب**.[2]

فعلى هذا ؛ فمن عادى أولياء الله فقد عادى الله ، ومن عادى الله فقد حاربه.

ذِكر طرف من قصص الخرافة والخرافيين في مسألة الكرامة والوِلاية

وممن ادعوا الولاية والكرامة وعلم الغيب ، أو اعتقدوا ذلك في آخرين ، من ذَكَرهم عبد الوهاب بن أحمد الأنصاري[3] ، المعروف بالشعراني – وكان خرافياً كبيراً – فقد ذكر في كتابه «الطبقات الكبرى» أخبارا تتعلق ببعض الخرافيين الذين فُتِن بهم الجهال ، كأحمد بن علي البدوي[4] ، ومن تلك الخرافات أن البدوي كان يزعم أن من كراماته أن رضيعا بمصر كاد يفتك به ثور ، فمد البدوي إليه يده وكان بالعراق ، فأبعد الثور عنه.

كما ذكر في كتابه إسماعيل بن يوسف الأنباني ، وزعم أنه كان يرى اللوح المحفوظ!

ومما ذكره الشعراني في كتابه أن أحد الصوفية استضافه عنده ، فدعا جميع الأولياء – الأحياء والأموات – ليحضروا وليمته!

---

[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» (41/10).

ومما نقله أبو نعيم عنه قوله: الذي يمشي على الماء ليس بعجب ، لله خلق كثير يمشون على الماء ليس لهم عند الله قيمة. (40/10).

[2] رواه البخاري (6502) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] ترجم له خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» ، توفي سنة 973 ، من كبار الصوفية وعلمائها.

[4] ترجم له خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» ، توفي سنة 675 ، من كبار الصوفية ، اتخذ الجهال قبره في «طنطا» مزارا يفِدون إليه من أنحاء مصر!

وذكر أيضا في كتابه إبراهيم الدسوقي المصري ، وكان يدَّعي أنه رأى الله سبحانه وتعالى ، وأنه خاطبه ، وأنه أَغلق أبواب النار ، وفَتح أبواب جنة الفردوس ، وأن من زاره أسكنه جنة الفردوس ، وأنه نظر في اللوح المحفوظ وهو ابن ثمان سنين.

وذكر أمورا أخرى تضحك لسماجتها البهائم.

وللدسوقي والبدوي قبور تعظمها الناس وتتوجه إليها ، نسأل الله العافية.

تعريف الكرامة

الكرامة عند علماء الشريعة أمر خارق للعادة ، يُظهره الله عز وجل على أيدي أوليائه ، يُقصد بها الإكرام ، أو تلبية حاجة ذلك الولي ، أو التأييد له ، أو الإعانة ، أو نُصرة الدين.[1]

الإيمان بالكرامات من عقيدة المسلمين

قال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي[2] رحمه الله في تعريف الأولياء والكرامات وذكر بعض ضوابطها:

الأولياء هم المتقون من المؤمنين ، العارفون بالله وبصفاته ، المقبلون على الطاعات ، المعرضون عن المعاصي والزلات ، فهؤلاء **قد يقع لهم كرامات** يكرمهم الله بها ، تأييداً لتقواهم ، لحكمة منها: حجة للدين ، أو لحاجة المسلمين.

وما حصل لهم هذا الإكرام إلا ببركة اتباع خير الأنام عليه من الله أفضل الصلاة والسلام.

وهي أمرٌ خارق للعادة كالمعجزة ، غير أنها لا تقترن بدعوى النبوة ، ولا بتحدٍ ، ولا فيها قصد ، بحيث كلما أراد جرت ، لأنها من الآيات ، وهي على وِفق إرادته تعالى ، قال جل ذكره ﴿إنما الآيات عند الله﴾.

وليس لمخلوق فيها تصرفٌ بما أراد ومتى أراد.[3]

---

[1] انظر «قطر الولي على حديث الولي» ، ص 11 ، و «شرح الواسطية» (298/2).

[2] صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي ، واعظ فقيه ، محدث أديب ، له أرجوزة في الحديث ، وله كتاب مشهور في إبطال الغلو في الصالحين «سيف الله على من كذب على أولياء الله». توفي سنة 1120 . انظر ترجمته في «هدية العارفين» (428/1) و«معجم المؤلفين» (483/1).

[3] «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص 102 ، وانظر ما قاله ابن القيم رحمه الله في هذا الباب في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي في «زاد المعاد» (627/3).

الكرامات ليست دليلاً على كمال الولاية لله وإنما تحصل بحسب الحاجة

الكرامات ليست دليلاً على كمال الولاية لله ، بل تكون بحسب الحاجة إليها ، فيحتاجها ضعيف الإيمان ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عنها ، ولهذا كانت في التابعين أكثر منها في الصحابة.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله:

ومما ينبغي أن يُعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج ؛ أتاه منها ما يُقوي إيمانه ويَسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهديٍ الخلق ولحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة.[2]

كرامات الأولياء تعتبر من جملة آيات الأنبياء

الكرامات من جملة آيات الأنبياء ، لأنها لا تحصُل إلا لمن اتبعهم ، ولأنه لولا الأنبياء لما كان الأولياء أولياء ، لأنهم ما صاروا أولياء إلا باتباعهم للنبي ﷺ .

ولكن كرامات الأولياء تعتبر من الآيات الصغرى ، أما الآيات الكبرى فخاصة بالأنبياء ، لا يُشاركهم فيها أحد غيرهم ، لا الأولياء ولا غيرهم ، وهي كخلق الطين من الطير ، ونزول الكتب ، وفلق البحر ونحو ذلك.

وعلة عدم المشاركة أن الله فضَّل الأنبياء على غيرهم ، فلا بد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله ، إذ لو أتى بمثل ما أتى به الفاضل لكان مثله ، لا دونه.[3]

كرامات الأولياء لا يُقصد بها التحدي ، بخلاف آيات الأنبياء

كرامات الأولياء لا يُقصد بها التحدي إطلاقا ، وإنما يُقصد بها الإكرام وتلبية حاجة ذلك الولي ، بخلاف آيات الأنبياء فقد يُقصد بها التحدي وقد يقصد بها تلبية حاجات الناس ، وعلى كل حال ففيها تنويه بكرامة ذلك النبي.[4]

---

[1] انظر «شرح العقيدة الواسطية» (2/302 – 303) لابن عثيمين رحمه الله.

[2] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 320 – 321 .

[3] انظر كتاب «النبوات» (501 ، 802 ، 823 ، 866).

[4] انظر كتاب «النبوات» (1084 - 1085).

الكرامات قد تكون للابتلاء

الكرامات من جنس الابتلاء الذي ذكره الله في قوله ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾.

ولهذا الكرامة لا يُتبجح بها ، بل إن كثيراً من الصالحين يكره ذلك ، وإذا ما حصلت يسأل الله زوالها ، خوفاً على نفسه من الفتنة أو نقص درجته.[1]

حصول الكرامة لأحد لا يُسَوِّغ الغلو فيه

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[2] رحمه الله:

ولو كان المخلوق قد ثبت له من الكرامة ما ثبت ؛ فالكرامة من فِعل الله لا من فعل غيره ، والمستغاث هو الله لا غيره ، ولم يكن الصحابة يستغيثون ويسألون من ظهرت له كرامة ، أو حصلت له خارقة من الخوارق.[3]

فإثبات الكرامات لمن جعل الله على يديه كرامات لا يلزم منه إثبات أن لهم تصرفا في الكون ، أو جواز دعائهم وطلب الشفاعة منهم ، "ومما يبين ذلك أنه وقع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في

---

[1] قاله د. عبد الرحمٰن اليحيى حفظه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 15 .

[2] هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة 1225 في بلدة العلم والعلماء ؛ الدرعية ، درس على يد عدد من المشايخ ، منهم والده الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن محمود الجزائري ، وغيرهم.

وبعد تضلعه في العلم تتلمذ عليه عدد من التلاميذ ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه ؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل ، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» ، وأيضا «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى ، وبعضها يقع في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة 1293 .

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام» لمحققه د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

[3] «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، ص 344 .

غزوة خيبر من الكرامات ما لم يقع مثله لغيره ، ومع هذا فلما بلغه عن أناس لما كان منزله بالكوفة أنهم اعتقدوا فيه الإلٰهية ؛ خدَّ لهم الأخاديد ، وجعل فيها الحطب ، وأوقدها بالنار ، وقذفهم فيها إعظاماً لهذا الأمر ، وهو بالنسبة إلى ما وقع من عباد القبور في هذه الأزمنة وقبلها قليل من كثير ، والكرامة أمر يجعله الله لا صنع للبشر فيه ، والذي أوجد الكرامة لمن شاء من عباده هو الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له ، فإن الكرامة إنما تقع للموحدين المخلصين بسبب توحيدهم وإخلاصهم".[1]

الناس في الكرامات ثلاثة أصناف

الناس في الكرامات ثلاثة أصناف ، طرفان ووسط ، فمنهم من يُـكذِّب بحصول الكرامات لغير الأنبياء ، وهذه زلة كبيرة كما قال الذهبي[2] رحمه الله[3] ، ومنهم من يَظن أن كل من حصل له كرامة كان ولياً ، فيظن ذلك في السحرة والكهان ممن يستعينون بالجن والشياطين فتحصل لهم خوارق فيدَّعون أنهم أولياء وأنه حصلت لهم كرامات ، فيظنها الجهال كذلك ، والصواب أن الاعتبار في الولاية بالإيمان والتقوى ومتابعة الرسول ﷺ .

ومنهم من يعتقد أن الكرامات قد تحصل لبعض الأولياء كرامة من الله تعالى سدا لحاجته.

الفرق بين الكرامات الإلٰهية والأحوال الشيطانية

ينبغي التفريق بين **الكرامات الإلٰهية والأحوال الشيطانية** ، فإن الكهان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات مما يسترقه من السمع ، ثم يدَّعون بأن هذا من الكرامات وأنهم من أولياء الله!

---

[1] بتصرف من «تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان» ، ص 108 ، للشيخ صالح بن محمد الشثري ، المتوفى سنة 1309 ، تحقيق: د. محمد بن ناصر الشثري ، الناشر: دار الحبيب – الرياض.

[2] هو العلامة المؤرخ ، شيخ الجرح والتعديل ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الذهبي ، تركماني الأصل ، شافعي المذهب ، له مؤلفات لا يستغني عنها من جاء بعده ، كـ «سير أعلام النبلاء» ، و«تاريخ الإسلام» ، و «تذكرة الحفاظ» ، و «العلو للعلي الغفار» ، له رواية للحديث النبوي ، وهو من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله ، توفي سنة 748 ، انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (153/3).

[3] انظر «سير أعلام النبلاء» (355/17).

(والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كُفره فقتلوه.

وكذلك مسيلمة الكذاب ، كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ، ويعينه على بعض الأمور.

وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة ، وكانت الشياطين تُخرج رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفُذ فيه ، وتُسبح الرُّخامة إذا نقرها بيده ، وكان يرى الناس بجبل قاسيون[1] رجالاً ركباناً[2] على خيل في الهواء ، ويقول: هي الملائكة ، وإنما كانوا جنّاً ، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك: إنك لم تُسَمِّ الله ، فسمَّى الله وطعنه فقتله.[3] انتهى.

والدجال يكون على يديه خوارق كثيرة ، من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب[4] ، وأن يقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، إلى غير ذلك من الأمور المهولة.

قال أبو عبد الله الذهبي رحمه الله:

فلا يَغتر المسلم بكشف ولا بحال ، ولا بإخبار عن مُغيَّب ، فابن صائد وإخوانه من الكهنة لهم خوارق ، والرهبان فيهم من قد تمزق جوعا وخلوة ومراقبة على غير أساس ولا توحيد ، فصفت كُدورات أنفسهم ، وكاشفوا[5] وفَشروا[6] ، ولا قدوة إلا في أهل الصفوة وأرباب الولاية المنوطة بالعلم والسنن ، فنسأل الله إيمان المتقين ، وتألُّه المخلصين ، فكثير من المشايخ نتوقف في أمرهم حتى يتبرهن لنا أمرهم ، وبالله الاستعانة.[7] انتهى.

قلت: وقصة ابن صائد (ويقال: ابن صياد) معروفة ، رواها عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لابن صَيادٍ: إني قد خَبَأْتُ لك خَبيئاً.

---

1 قاسيون: جبل معروف في دمشق.

2 كذا في المطبوع ، ولعل الصواب: وركبانا.

3 «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 324– 325 .

4 يعاسيب جمع يعسوب ، وهي ملكة النحل. انظر «النهاية».

5 أي ادعوا أنهم كُشِف لهم اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء.

6 الـفَـشر كلمة عامية ، تعني الكذب.

7 «سير أعلام النبلاء» (179/22).

فقال ابن صياد: هو الدُّخ.

قال: اِخْسَأ ، فلن تَعْدُوَ قدركَ.[1]

يعني: لست أنت إلا من إخوان الكهان.

وقوله (الدُّخ) يريد الدُّخْن ، وهو نوع من الحبوب.

فالذي فعله النبي ﷺ مع ابن صياد أنه خَبَأَ له (دُخنا)[2] في كفه ، ثم سأله: ماذا خَبَأت لك؟ فأخبر القرين الجني أو الشيطان ابن صياد بما خبأه النبي ﷺ في كفه ، وكان قد رآه قبل أن يقبض النبي ﷺ يده ، ولكن ابن صياد لم يسمع من الجني كلمة (الدُّخن) كاملة ، فسمعها إلا الحرف الأخير (النون) ، فسمعها على هذا النحو (الدُّخ) ، فأدَّاها كما سمعها ، فقال له النبي ﷺ : اِخسأ ، فلن تعدو قدرك.[3]

قال القرطبي[4] رحمه الله: كان ابن صياد على طريقة الكهنة ، يخبر بالخبر فيَصِحُّ تارة ويَفسُدُ أخرى ، فشاع ذلك ولم ينزل في شأنه وحي ، فأراد النبي ﷺ سلوكَ طريقةٍ يختبر حاله بها.[5]

فالكهان يَفزَعون إلى الجن في أمورهم ، ويستفتونهم في الحوادث ، فيُلقون إليهم الكلمات ، وقد يتوافق ما يُخبِر به الكاهن مع القدر ، فيظن من سمعه أن الكاهن قد كُشِف له شيء من الغيب ، فيفتتن به ، فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة ، وأن ذلك الكاهن وليٌّ من أولياء الله ، وهو من أولياء الشيطان ، كما قال تعالى عنهم في سورة الشعراء ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنزلُ الشَّيَاطِين * تَنزلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون﴾[6].

وقد حسم الإسلام – ذلك الدين العظيم – مادة هذا المدخل الشيطاني ، فحرَّم الذهاب للكهان ، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

---

[1] رواه البخاري (1354) ومسلم (2924).

[2] الدُّخن نوع من الحبوب.

[3] تقدم تخريجه ، وانظر تقرير ابن تيمية رحمه الله لهذه المسألة في «مجموع الفتاوى» (62/19).

[4] هو الإمام أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري ، الأندلسي القرطبي ، الفقيه المفسر ، سارت بتفسيره «الجامع لعلوم القرآن» الركبان ، توفي سنة 671 . انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (229/15).

[5] نقله ابن حجر عنه في «فتح الباري» ، شرح حديث (3055).

[6] سورة الشعراء: 221 – 223 .

وجوب الحذر من الأحوال الشيطانية ، وبيان أن الكرامات لا تكون بالحيل الطبيعية ولا في أماكن البدع

ما كان من هذه الخوارق في أماكن البدع فهو أقرب إلى الأحوال الشيطانية ، كالذي يحصل عند المشاهد ونحوها.[1]

ومن هذه الأحوال الشيطانية ما يكون بواسطة حِيل طبيعية ، كمن يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارِج ودهن الضفادع ونحوها.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله في «الاقتضاء»: ثم من غرور هؤلاء وأشباههم اعتقادهم أن استجابة مثل هذا الدعاء[3] كرامة من الله تعالى لعبده ، وليس في الحقيقة كرامة ، وإنما تشبه الكرامة من جهة أنها دعوة نافذة ، وسلطان قاهر ، وإنما الكرامة في الحقيقة ما نفعت في الآخرة ، أو نفعت في الدنيا ولم تضر في الآخرة ، وإنما هذا بمنزلة ما ينَعم به الكفار والفساق من الرياسات والأموال في الدنيا ، فإنها إنما تصير نعمة حقيقية إذا لم تضر صاحبها في الآخرة.[4]

كيف يُـميَّـز المسلم بين الخوارق الشيطانية والكرامات الرحمانية

قال ابن تيمية رحمه الله:

ولكن أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذُكر عندهم ما يطردها ، مثل آية الكرسي ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكّله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ : ما فعل أسيرك البارحة؟ ، فيقول: زعم أنه لا يعود ، فيقول: كذبك وإنه سيعود.

فلما كان في المرة الثالثة قال: دعني حتى أعلمك ما ينفعك ، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخرها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فلما أخبر النبي ﷺ قال: "صدقك وهو كذوب" ، وأخبره أنه شيطان.

---

[1] قاله د. عبد الرحمٰن اليحيى حفظه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 16 .

[2] قاله د. عبد الرحمٰن اليحيى حفظه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 16 .

[3] أي دعاء أصحاب القبور!

[4] «اقتضاء الصراط المستقيم» (705/2).

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصِدق أبطلتها.[1] انتهى.

كرامات الله لأولياء الله كثيرة ، والصحابة وأهل القرون الثلاثة المفضلة الأولى أولى من غيرهم بها ، وقد ورد في صحيح السنة شيء منها ، فمن ذلك ما حصل عباد بن بشر وأُسيد بن حُضير لما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة مظلمة ، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما.[2]

وأبو بكر الصديق لما ذهب بأضياف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثلاثة جعل لا يأكل لقمة إلا ربا مثلها ، فلما شبعوا كانت أكثر مما هي قبل ، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء أقوام كثيرون فأكلوا منها.[3]

ونزلت السكينة وفيها الملائكة مثل الظُلة لقراءة أُسيد بن حضير.[4]

وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين.[5]

وخُبيب بن عدي كان أسيراً للمشركين يؤتى بعنب يأكله ، وليس بمكة عنب.[6]

وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعترضه الأسد ، فقال: إني مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمشى الأسد معه حتى أوصله إلى مقصده.[7]

---

[1] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص 234 .

[2] «صحيح البخاري» ، رقم 3805 .

[3] «صحيح البخاري» ، برقم (602) ، و «مسلم» برقم (2057).

[4] رواه البخاري (5018) ، ومسلم (796) ، من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه.

[5] روى مسلم (1226) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: وقد كان يُسَلَّمُ عليَّ حتى اكتويتُ فتُرِكتُ ، ثم تركتُ الكيَّ فعاد.

أي كانت الملائكة تسلم علي حتى استعملت الكي لأتداوى به من البواسير ، فتوقفت الملائكة عن السلام علي ، ثم لما تركت الكي عادت تسلم علي.

وانظر ما قاله الذهبي في «الكاشف» في ترجمته ، وابن تيمية في «المجموع» (276/11).

[6] رواه البخاري (4086) ، والطيالسي (2720) ، ومن طريقه البيهقي (145/9-146).

[7] رواه الطبراني في «الكبير» (6432) ، والحاكم في «المستدرك» (606/3) ، وعبد الرزاق في «المصنف» (20544) ، وصحح إسناده الحاكم.

والبراء بن مالك رضي الله عنه كان إذا أقسم على الله أبر قسَمه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: كم من أشعث أغبر ذي طِمرَين[1] لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك.[2]

وكان مرة في جيش له ، فلقيهم العدو ، فأقسم على الله بالظفر والشهادة ، فوقع شهيداً ، وانهزم العدو.[3]

وروى ابن عساكر بإسناده عن أبي السفر أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما نزل الحيرة نزل على أم بني المرازبة فقالوا: احذر السم لا يَسقيكَهُ الأعاجم ، فقال: ائتوني به ، فأُتي به فأخذه بيده ثم اقتحم الحصن.

وفي رواية: قال ابن المقرئ: اقتَحَمَ وقال: بسم الله ، فلم يضره شيئا.[4]

وروى باسناده عن خيثمة قال: أتي خالد بن الوليد برجل معه زِقُّ[5] خمر ، فقال: اللهم اجعله عسلا ، فصار عسلا.

وروى بإسناده عن رجل يقال له صعصعة قال: فَشَتِ الخمر في عسكر خالد بن الوليد ، فجعل يطوف عليهم ، وكان رجل منا بعث به أصحابه فاشترى زقا من خمر وجعله بين يديه ، فاستقبله كفة بكفة فقال: ما هذا؟

قال: خل.

قال: جعله الله خلا.

فانطلق إلى أصحابه ففتحه فإذا خل كأجود ما يكون من الخل.

وفي رواية عن محارب بن دثار أن الآتي بالخمر قال: هذه والله دعوة خالد بن الوليد.[6]

---

1 الطِّمر هو الثوب الخَلِق. انظر «النهاية في غريب الحديث».

2 رواه الترمذي (3854) ، وصححه الألباني.

3 رواه الحاكم في «المستدرك» (3/291-292) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

4 «تاريخ دمشق» ، ذكر من اسمه خالد ، ورواه الطبراني في «الكبير» (3808) عن أبي بردة ، و (3809) عن قيس بن أبي حازم.

5 الزِّقُّ هو الوعاء الذي ينقل فيه الخمر. انظر «لسان العرب».

6 «تاريخ دمشق» ، ذكر من اسمه خالد.

وسعد بن أبي وقاص كان مجاب الدعوة ، فعن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك.[1]

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن جعفر بن زيد أن صلة بن أشيم جاءه الأسد مرةً وهو يُصلي في غَيضة[2] ، فلما سلَّم قال: اطلب الرزق من مكان آخر ، فولَّى الأسد وإن له زئيرا تصدعت منه الجبال.[3]

ولما عُذِّبت أحدى الصحابيات ذهب بصرها ، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت: كلا والله ، فرد الله عليها بصرها.[4]

وقد ورد في كرامات سادات التابعين أخبار كثيرة.[5]

وانظر لزاما كلاما جامعا نفيسا لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين[6] رحمه الله في مفهوم كرامات الأولياء في شرحه على «العقيدة الواسطية».[7]

---

[1] «سنن الترمذي» (3751) ، وصححه الألباني.

[2] الغَيضة هي الشجر الملتف. انظر «النهاية في غريب الحديث».

[3] «الحلية» (2202).

[4] رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (283/2) ، الناشر: دار الكتب العلمية.

[5] انظر «الصحيح المسند من كرامات الأولياء» ، للشيخ عبد الرقيب الأبي ، الناشر: دار العاصمة – صنعاء.

[6] هو الشيخ الأصولي الفقيه المفسر محمد بن صالح بن عثيمين ، من علماء القرن الخامس عشر الهجري ، برَّز في العقيدة والفقه والتفسير ، نفع الله به الناس في زمانه نفعا عظيما ، وانتشر علمه في الآفاق ، سواء منه ما كان مسجلا على الأشرطة أو ما كان مدونا في الكتب ، له طلبة كثر ، جُمعت فتاواه ورسائله فوقعت إلى حين كتابة هذه الأسطر في 29 مجلدا ، وبعد وفاته استؤجرت قناة فضائية لبث علمه ، فتضاعف انتشار علمه على ما كان في حياته ، وهذا من دلائل إخلاصه ، نحسبه كذلك والله حسيبه ، والله يؤتي فضله من يشاء.

انظر ترجمته في كتاب «ابن عثيمين الإمام الزاهد» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[7] (297/2 – 306).

مجاوزة الحد الشرعي في تعظيم الصالحين (الغلو فيهم)

مقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا كما قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، وأرسل الرسل لذلك قال ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ، ونهى عباده عن أن يشركوا معه في عبادته أحدا غيره فقال ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ ، وبين لنا أن الشرك أعظم الذنوب فقال ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، ولأجل بيان توحيد العبادة لله عز وجل والتحذير من الشرك بعث الله الأنبياء من لدن نوح إلى محمد – عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم[1] – فمن هُدي إلى عبادة الله وحده لا شريك له فقد هدي إلى الصراط المستقيم الذي بعث الله محمدا ﷺ لبيانه ، ومن حاد عنه وأشرك معه غيره في أي نوع من أنواع العبادة فقد خاب وخسر.

واتِّباع الصراط المستقيم يكون بإخلاص العبادة لله ، واجتناب الشرك به ، والإيمان بالنبي ﷺ بفعل ما أمر ، وترك ما نهى عنه وزجر ، وتصديقه فيما أخبر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع ، لا طريق إلى رضوان الله إلا ذلك ، ومن خالف هذا الطريق المستقيم فقد ضل وهلك ، قال تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾.

وأسباب الانحراف عن الصراط المستقيم كثيرة ، ومن أخطرها وأكثرها وقوعا الغلو في الدين ، والغلو في اللغة هو المجاوزة والتعدي في الأشياء[2] ، وفي الشرع هو مجاوزة الحد الشرعي في الأمر والنهي ، والغلو في الدين هو سبب انحراف من قبلنا من أهل الكتاب ، وقد نهاهم الله عن ذلك فلم ينتهوا ، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾.

---

[1] ولا ينافي ذلك أن أول الأنبياء هو آدم عليه السلام ، فإن نوحا عليه السلام هو أول رسول بعثه الله بعد وقوع الشرك ، أما قبل وقوعه فأول الأنبياء هو آدم عليه السلام.

2 انظر «النهاية في غريب الحديث».

ولما كانت هذه عاقبة الغلو ، نهى الرسول الكريم ﷺ – وهو الشفيق الرحيم – أمته عن الغلو في الدين ، وبين أنه سبب هلاك الأمم السابقة ، فقال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين ، فإنه أهلك من قبلكم الغلو في الدين.[1]

والغلو في الدين له صور كثيرة ، **ولكن أخطرها وأعظمها شيوعا هو تعظيم الصالحين** ، وصورته أن يُجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء ، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارِك هو الكمال المطلق ، والغنى المطلق ، والتصرف المطلق من جميع الوجوه ، وأنه لا يستحق العبادة والتألُّه أحد سواه ، فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء ؛ فقد ساواه برب العالمين ، وذلك أعظم الشرك.

والغلو في تعظيم الأنبياء والصالحين هو سبب هلاك اليهود والنصارى ، قال ابن تيمية في معرِض كلام له عن الغلو الواقع عند اليهود والنصارى:

وقد افترق اليهود والنصارى ، فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفرقا تقتلون﴾.

والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله ، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ – إلى قوله – ﴿فسيحشرهم إليه جميعا﴾.

فبالإيمان بهم وتصديقهم وطاعتهم يخرج المسلم عن مشابهة اليهود ، وبعبادة الله وحده والاعتراف بأنهم عباد الله لا يجوز اتخاذهم أربابا ولا الشرك بهم والغلو فيهم ؛ يخرج عن مشابهة النصارى ، فإن اتخاذهم أربابا كفر ، قال تعالى ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾.

والنصارى يُشركون بمن دون المسيح من الأحبار والرهبان ، قال تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ ، فمن غلا فيهم واتخذهم أربابا فهو كافر ، ومن كذب شيئا مما جاءوا به أو سبهم أو عابهم أو عاداهم فهو كافر ، فلابد من رعاية هذا الأصل.[2]

---

1 حديث صحيح ، رواه النسائي (3057) ، وابن ماجه (3029) واللفظ له ، وأحمد (215/1) ، وابن خزيمة (2867) ، وابن حبان (3871) ، وأبو يعلى (2472) ، والحاكم (446/1) ، وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (1283).

2 «الرد على الإخنائي» ، ص 474 .

وصدق ابن تيمية رحمه الله ، فالنصارى غلوا في تعظيم عيسى عليه الصلاة والسلام حتى ادعوا أنه هو الله ، وقال آخرون: إنه ابن الله ، وقال آخرون: إنه ثالث ثلاثة – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا –.

واليهود غلو في ذم عيسى عليه السلام ، فقالوا إنه ابن زانية ، حاشا نبي الله من ذلك ، وقتلوا كثيرا من الأنبياء كما قال الله عنهم في القرآن ﴿وتقتلون النبيين بغير حق﴾.

فالحاصل أن النصارى عظّموا الأنبياء حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم ، واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم ، والأمة الوسط عرفت مقاديرهم ؛ فلم تغلوا فيهم غلو النصارى ، ولم تجفوا عنهم جفاء اليهود.[1]

وقد تجاوز أناس الحد الشرعي في تعظيم الصالحين ، سواء في حياتهم أو في مماتهم ، فصرفوا لهم حقوقا إلٰهية ، أو وصفوهم بصفات ربانية ، أو جعلوا لهم خصائص نبوية ، وكل هذا من أبطل الباطل ، فأما الحقوق الإلٰهية فكالدعاء والذبح ونحو ذلك ، وأما الصفات الربانية فكادعاء علم الغيب لهم ، وبعضهم أطلقوا عليهم خصائص لا تنبغي إلا للنبي ﷺ ، كالتبرك بما انفصل منه من وضوء وعرق ونحو ذلك مما خص به النبي ﷺ ، عياذا بالله من ذلك كله.

وهذا التصرف نوع من أنواع الغلو ، إذ الغلو في اللغة هو المجاوزة وتعدي الحد ، وفي الشرع: مجاوزة الحد الشرعي في الأمر والنهي.

وهذا النوع من الغلو هو الذي أدى بكثير من الأمم إلى الوقوع في الشرك ، سواء كان الغلو في أنبياء أو فيمن ليسوا بأنبياء ، بدءا من قوم نوح إلى أمة محمد ﷺ ، وقد كان منشأُ الشرك في عهد نوح عليه الصلاة والسلام من تعظيم الصالحين ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا[2] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا

---

1 قاله الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي رحمه الله في كتابه «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور»: ص 52 ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكه.

2 أي ماتوا.

إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[1] ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم[2] عُبدت.[3]

وروى ابن جرير بإسناده إلى الثوري عن موسى عن محمد بن قيس أنه قال عن يغوث ويعوق ونسرا: كانوا قومًا صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس ، فقال: إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، **فعبدوهم**.[4]

وقال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[5]

وبعد نشوء الشرك وعبادة الأصنام في قوم نوح تتابع الناس على ذلك وانتشر بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ ، أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل[6] ، وأما سُواع فكانت لهُذيل ، وأما يغوث فكانت لمُراد ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمْدان ، وأما نسر فكانت لحِمْير ، لآل ذي الكَلاع.[7]

وقال قتادة: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ، **ثم اتخذها العرب بعد ذلك**.[8]

وبناء على ما تقدم من الحقائق التاريخية ، فقد قرر ابن القيم في «زاد المعاد» أن غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور.[9]

فمنشؤ الشرك وعبادة غير الله مع الله مشاركة أو استقلالا هو الغلو في الصالحين ، عياذا بالله من ذلك كله.

---

[1] أي اصنعوا أنصابا ، وهي تماثيل تصنع على هيئتهم ثم تنصب في المجالس ليراها الناس فيقتدوا بهم في أفعالهم! وهكذا دخل عليهم الشيطان.

[2] أي تحول من حال إلى حال. انظر «النهاية».

قال مقيده: وسبب التحول والتحريف هو عدم الحفظ.

[3] رواه البخاري (4920).

[4] «تفسير ابن جرير» ، سورة نوح: 24 .

[5] «إغاثة اللهفان» (332/1)

[6] موضع في شمال جزيرة العرب.

[7] رواه البخاري (4920).

[8] «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: 24 ، (254/12).

[9] «زاد المعاد» (458/3).

والصالحون صدقا يكرهون الغلو فيهم ويزجرون عنه الناس ، أما الصالحون ادعاءً فيحبون هذا ، لأنهم يريدون الشهرة والرفعة ، وهؤلاء ليسوا صالحين ، بل طالحين.

فصلٌ في النهي عن الغلو

ولما كان الغلو من أعظم أسباب انحراف الأمم من قبلنا ، سواء كان في حق من كانوا أنبياء أو من ليسوا بأنبياء ؛ نهى الله أهل الكتاب عن ذلك ، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾.[1]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي لا تُجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تُطروا[2] من أُمرتم بتعظيمه ، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية ، كما صنعتم في المسيح ، وهو نبي من الأنبياء ، فجعلتموه إلٰها من دون الله ، وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم ، شيوخ الضلال ، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً. انتهى.

وقال في تفسير آية النساء ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾:

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلٰهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه ، فادَّعوا فيهم العصمة ، واتَّبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً ، أو ضلالاً أو رشاداً ، أو صحيحًا أو كذبًا ، ولهذا قال الله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.

ثم ساق حديث عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[3] انتهى.

قال د. محمد بن خليفة التميمي حفظه الله:

(**والغلو في الصالحين طريقة النصارى** ، فإن المتأمل للنصوص القرآنية يجد أن النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفْعِه إلى درجة الألوهية ، بل غلوا أيضاً في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والاتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه.

---

[1] سورة المائدة: 77 .

[2] الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

[3] رواه البخاري (3445).

فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان ، فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول والطاعة ، قال تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ ، فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، ولهذا قال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ ، أي الذي إذا حرم شيئاً فهو الحرام ، وما حلله فهو الحلال ، وما شرَعه اتُّبِع ، وما حكَم به نَفَذ ، ﴿لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ ، أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد والأولاد ، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

ولم يقتصر غلو النصارى عند هذا الحد ، بل قدسوهم أمواتاً كما قدسوهم أحياءً ، فأقاموا على قبورهم الأضرحة ، وقدموا لهم القرابين ، فكان ذلك سبباً في لعنهم ، قال ﷺ : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود ، كما في الصحيحين عن عائشة ، أن النبي ﷺ ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة بأرض الحبشة ، وذكَرَتا من حسنها وتصاوير فيها ، فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.[1]

والنصارى كثيراً ما يعظمون آثار القديسين منهم ، فلا يستبعد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه.[2]

فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى).[3]

والغلو في الأشخاص يهدم أصلي الدين ؛ التوحيد والاتباع ، نرى هذا ظاهرا في النصارى ، فالنصارى هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية ، وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهبانهم حق التشريع والتحليل والتحريم ، فانظر كيف كان الغلو سبباً لهدم الدين.

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال ، باتخاذ أنداد لله من خلقه ، واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الإلهية.

---

[1] رواه البخاري (1341) ، ومسلم (528) واللفظ له.

[2] «مجموع الفتاوى» (460/27).

[3] بتصرف من «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص 645 .

والغلو يدخل في الاعتقادات والعبادات ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله (إياكم والغلو في الدين) ؛ عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.[1]

ومن الغلو في العبادات ما حدّث به أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أن ثلاثة رهط[2] أتوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني.[3]

وفي رواية مسلم: (لا آكل اللحم) بدلا من (أصوم ولا أفطر).

فسمى النبي غلوهم رغبة عن الشرع الذي جاء به ، وتبرأ ممن هذه حاله ، حتى وإن كان الدافع لذلك هو التقرب إلى الله تعالى ، لأن هذا الغلو فيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ، ألا وهو أصل الاتباع للنبي ﷺ ، فنحن مأمورون بالاقتداء به ﷺ والأخذ بسنته ، فلا غرابة أن يتبرأ النبي ﷺ ممن غلا في جانب ما سنه وشرعه للأمة ، لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة الله مجالاً لأهواء الناس وعقولهم ، فيتلاشى دينها وتنطمس معالمه ، فتستحق بذلك غضب الله ومقته ، فتهلك كما هلكت الأمم السابقة.

ولهذا قال النبي ﷺ : هلك المتنطعون ، قالها ثلاثا.[4]

قال النووي رحمه الله: (هلك المتنطعون) ، أي المتعمقون الغالون ، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وقال أيضا: المتنطعون ؛ المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد. انتهى.

---

[1] باختصار من «اقتضاء الصراط المستقيم» (293/1).

[2] الرهط هم ما دون العشرة من الرجال. انظر «النهاية».

[3] رواه البخاري (5063) ، ورواه مسلم (1401) بنحوه.

[4] رواه مسلم (2670) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ولما قال النبي ﷺ لابن عباس في الحج وهو على ناقته: (القط لي حصى) ؛ لقط له سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا ، ثم قال: **أيها الناس ، إياكم والغلو في الدين.**

وهذا ينبهنا إلى أمر هام ، وهو أن الغلو قد يبدأ صغيرا ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم.

وقد حصل الغلو في هذا الباب ، فترى بعض الناس يرمي بالحجارة الكبار والأحذية ونحو ذلك ، ظنا منه أنه قد بالغ في الرمي بما هو خير من الحصى الصغار ، والله المستعان.

وكما تقدم ؛ فإن صورة الغلو (أن يُجعل للصالحين شيء من حقوق الله الخاصة به ، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارِك هو الكمال المطلق ، والغنى المطلق ، والتصرف المطلق من جميع الوجوه ، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه ، فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء ؛ فقد ساوى به رب العالمين ، وذلك أعظم الشرك ، ومن رفع أحدًا من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه ، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين).[1]

أحوال الناس في تعظيم الصالحين

(وينقسم الناس في **معاملة** الصالحين إلى ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.[2]

أهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية ، ولكنهم يبرءون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم ، والصالحون أيضا يتبرءون من أن يدَّعوا لأنفسهم حقًا من حقوق ربهم الخاصة ، كما قال تعالى عن عيسى ﷺ ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾).[3]

---

[1] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله في كتابه «القول السديد» ، باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

[2] رفْعُهم فوق منزلتهم ليس محصورا باعتقاد أنهم ليسوا بشرا ، كما تقول النصارى في عيسى ابن مريم ، بل يكون أيضا بنسبة شيء من خصائص الله لهم ، والتي تقدم ذكرها في صورة الغلو.

[3] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله في كتابه «القول السديد» ، باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

تحذير النبي ﷺ أمته من الغلو

كان النبي ﷺ يحذر الناس من الغلو عموما ومن الغلو في شخصه خصوصا ، وقد جاء بعض تحذيره وهو في مرض موته ، بل وهو في سياق الموت ، وسنقتصر هنا على ذكر عشرة أحاديث:

1. عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله.[1]
والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.[2]

2. وعن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: أتيت الحِيرة[3] ، فرأيتهم يسجدون لمرزُبان[4] لهم فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك ، قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟
قلت: لا.
قال: فلا تفعلوا ، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهن من الحق.[5]

3. ولما قدم معاذ رضي الله عنه من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟
فقال: أتيت الشام ، فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم[6] وبطارقتِهم[7] ، فأردتُ أن أفعل ذلك بك.
قال: فلا تفعل ، فإني لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء ؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.[8]

---

[1] رواه البخاري (3445).

[2] انظر «النهاية في غريب الحديث».

[3] الحيرة بلد معروف بالعراق آنذاك.

[4] المرزبان هو الفارس الشجاع وهو مُقدم عندهم.

[5] رواه أبو داود (2140) ، والدارمي في «كتاب الصلاة» (1435) ، والحاكم (187/2) ، وصححه الألباني.

[6] الأساقفة جمع أُسقُف – بضم الهمزة – ، وهو رئيس النصارى في الدين. انظر «لسان العرب».

[7] بطارقة جمع بِطريق ، بكسر الباء ، ويقال بطريك ، وهو لقب يطلق على المقدمين عند النصارى. انظر «لسان العرب» و «المعجم الوسيط».

[8] رواه ابن ماجه (1853) وابن حبان (4171) ، وحسنه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (55/7) ، وكذا الشيخ شعيب كما في حاشيته على «صحيح ابن حبان».

4. وعن ابن بريدة عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إيذن لي فلأسجد لك.

قال: لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها.[1]

5. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت.

فقال له النبي ﷺ : أجعلتني والله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.[2]

وفي لفظ: جعلت لله نداً؟ ما شاء الله وحده.[3]

6. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت.[4]

7. وعن طُفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها ، أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن اليهود.

قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرا ابن الله.

فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن النصارى.

فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله.

قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

فلما أصبح أخبر بها من أخبر ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحدا؟

---

[1] رواه الدارمي في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يسجد لأحد ، (1436) ، الناشر: دار القلم – دمشق.

قلت: وقد تكرر هذا الفعل عدة مرات أمام النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ ينكره في كل مرة أشد الإنكار ، انظر ما رواه الدارمي عن قيس بن سعد وعن ابن بريدة عن أبيه في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يسجد لأحد ، وكذا ما ما رواه الترمذي (1159) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني كما في «الإرواء» (54/7).

[2] رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (988) ، وأحمد (214/1) ، واللفظ له ، وصححه لغيره محققو «المسند» ، وخرجه الألباني في «الصحيحة» (139).

ولفظ النسائي: أجعلتني لله عدلاً؟

[3] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (783).

[4] رواه ابن ماجه (2117) ، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ، (1093).

قال عفان[1]: قال: نعم ، فلما صلوا خطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إن طفيلا رأى رؤيا ، فأخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها ، قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد.[2]

8. وعن خالد بن ذكوان قال: قالت الرُّبيِّع بنت مُعوِّذ: جاء النبيُّ ﷺ يدخل حين بُنيِ عليَّ[3] ، فجلسَ على فِراشي كمجلِسكَ[4] منّي ، فجعلتْ جُوَيْرِياتٌ[5] لنا يَضربنَ بالدُفِّ ويَندُبنَ[6] مَن قُتلَ من آبائي يومَ بدرٍ ، إذ قالت إحداهنَّ: وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدِ.

فقال: دَعي هذِهِ وقولي بالذي كنتِ تقولين.[7]

وفي لفظ قال: أَمَّا هٰذَا فَلاَ تَقُولُوهُ ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّه.[8]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ مر بنساء من الأنصار في عرس لهن يُغَنِّين:

وأهدى لها كبشًا تنحنح في المِربد[9] وزَوجُكُمُ في النادي[10] ويعلم ما في غدِ

فقال رسول الله ﷺ : لا يعلم ما في غدٍ إلا الله.[11]

9. ولم يقف النبي ﷺ عند هذا ، بل قد نهى عن مدحه بما فيه من الخصال سدًّا لباب الغلو فيه ، فكيف بمن مدحه بما ليس فيه ، كمن نسب له شيئا من خصائص الربوبية أو الألوهية؟

---

[1] وهو الذي روى عنه أحمد ، وهو عفان بن مسلم الصفار.

[2] رواه أحمد (72/5) ، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (138) ، والشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لـ «المسند».

[3] أي حين دخل عليها زوجها ليلة عرسها.

[4] لم يأتِ في الحديث بيان من هو المخاطَب ، والظاهر أنه خالد بن ذكوان ، راوي الحديث عن عائشة ، رضي الله عنها.

[5] الجويرية تصغير جارية ، والمقصود بنيات صغيرات.

[6] الندب هو عَدُّ خصال الميت ، وهو وسيلة لتهييج الحزن.

[7] قال ابن حجر رحمه الله: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو.

[8] رواه البخاري (5147) ، واللفظ الآخر لابن ماجه (1897) وصححه الألباني.

[9] المربد: هو الموضع الذي تحبس فيه الغنم والإبل. انظر «النهاية».

[10] النادي: هو مجتمع القوم وأهل المجلس. انظر «النهاية».

[11] رواه الطبراني في «الأوسط» (3401) ، وحسن إسناده ابن حجر في «الفتح» ، شرح حديث رقم (5147).

فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا.

فقال: السيد الله تبارك وتعالى.

قلنا: وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طَولا[1].

فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان.[2]

10. وعن أنس رضي الله عنه أن أناسا قالوا: يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال: يا أيها الناس ، عليكم بتقواكم[3] ، لا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني.[4]

ففي هذين الحديثين وغيرهما نرى كيف سد النبي ﷺ طرق الغلو بأن نهى عن مجرد الزيادة في مدحه وإن كان المدح منصبا على ما فيه من الخصال ، فهو سيد ولد آدم وخير الناس وأفضلهم ، ولكن لما كان ذلك المدح يفضي إلى الغلو فيه وربما عبادته ، نهاهم عنه ، وقال لهم: لا يستجرينكم الشيطان ، أي لا يتدرج بكم ويستزلكم إلى الغلو فيَّ.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ[5] حفظه الله في كتابه «كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد»:

---

[1] أي أعظمُنا عطاءً وعلُواً على الأعداء ، انظر «عون المعبود».

[2] رواه أبو داود (4806) ، والنسائي في «الكبرى» (10076) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (211) ، وأحمد (24/4).

[3] أي عليكم بمراعاة تقوى الله في أقوالكم.

واللفظ الآخر لأحمد – وهو لفظ ابن حبان –: (قولوا بقولكم) ، أي تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسله ، تنطقون عن لسانه. نقلا من حاشية محققي «المسند» (167/21).

[4] رواه أحمد (153/3 ، 241) ، واللفظ له ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (248) (249) ، وابن حبان (6240) ، وصححه محققو «المسند» (23/20) وقالوا: على شرط مسلم.

[5] الشيخ صالح من نسل إمام الدعوة ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ومن العلماء في التوحيد والعقيدة ، تولى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف عام 1420 ، له مؤلفات عديدة في العقيدة والتوحيد تدل على قوة تبصره فيهما.

فإن في سنة النبي عليه الصلاة والسلام من الدلائل على قاعدة سد الذرائع ما يبلغ مائة دليل أو أكثر ، وأعظم الذرائع التي يجب أن تسد ذرائع الشرك التي توصل إليه ، ومن تلك الذرائع قول القائل: أنت سيدنا وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا ونحو ذلك.[1]

11. وعن جابر رضي الله عنهما قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد ، وأبو بكر يُسمِع الناس تكبيره ، فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعدنا ، فصلينا بصلاته قعودا ، فلما سلم قال: إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم ؛ يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا ، ائتموا بأئمتكم ؛ إن صلى قائما فصلوا قياما ، وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: فإذا كان قد نهاهم مع قعوده – وإن كانوا قاموا في الصلاة – حتى لا يتشبهوا بمن يقومون بعظمائهم ، وبيَّن أن من سَرَّه القيام له كان من أهل النار ، فكيف بما فيه[3] من السجود له ، ومن وضع الرأس ، وتقبيل الأيادي؟[4]

فصلٌ في اتبِّاع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

12. وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هدي نبيهم في **التحرز من الغلو في الأنبياء والصالحين** ، ومن ذلك تعميتهم لقبر «دانيال» وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل وجد الصحابة قبره في «تُستَر»[5] لما فتحوها ، فما كان منهم إلا أن أخفوا قبره حتى لا يفتتن به الناس إذا وجدوه فيغلون في تعظيمه ، وقصته رواها محمد بن إسحاق عن خالد بن دينار قال: حدثنا أبو العالية قال: لما فتحنا «تُستَر» وجدنا في بيت مال الهرمزان[6] سريرا عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية[7] ، فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءةً مثل ما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟

---

[1] شرح «باب حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك».

[2] رواه مسلم (413).

[3] أي بما في ذلك القيام للمعظمين.

[4] «مجموع الفتاوى» (93/27).

[5] هي مدينة في خوزستان فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر رضي الله عنه ، والخوز هم أهلها وأهل نواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان. انظر «معجم البلدان» ، مادة: خوز.

[6] أطلق العرب لقب الهرمزان على الكبير من ملوك العجم. انظر «المعجم الوسيط».

[7] أي ترجمه إليها.

قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم[1] وما هو كائن بعد.

قلت: فما صنعتم بالرجل؟

قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبُشونه.

قلت: وما يرجون منه؟

قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون.

قلت: من كنتم تظنون الرجل؟

قال: رجل يقال له دانيال.

قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟

قال: منذ ثلاثمائة سنة ما تغير منه شيء؟

قال: لا ، إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليه الأرض ولا تأكله السباع.[2]

قال ابن كثير رحمه الله: هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً منذ ثلثمائة سنة فليس بنبي ، بل هو رجل صالح ، لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في «البخاري» ، والفترة التي كانت بينهما كانت أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة ، وقيل ستمائة وعشرون سنة ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال ، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر ، فإنه قد يكون رجلاً آخر إما من الأنبياء أو الصالحين ، ولكن قربت الظنون أنه دانيال ، لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونا كما تقدم.

وقد روي بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر.

وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع.

فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المُدد ، والله أعلم.[3]

فالشاهد من القصة هو ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم من تعمية قبر ذاك النبي لئلا يفتتن به الناس إذا علموا أنه قبر نبي فيغلون في تعظيم قبره ، الأمر الذي قد يؤدي إلى عبادته ، فسد الصحابة ذلك الباب بأن عموا قبره تماما.

---

[1] لحن الكلام هو معناه وفحواه.

[2] ذكر هذه القصة محمد بن إسحاق في «مغازيه» ، ص 66 – 67 ، تحقيق سهيل زكار.

[3] «البداية والنهاية» ، (40/2) ، ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أُتي بالزنادقة – الذين قالوا أنه هو الله – أحرقهم بالنار ، كما روى ابن حجر رحمه الله في «الجزء الثالث» من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوما على باب المسجد يدّعون أنك ربهم!

فدعاهم فقال لهم: ويلكم ، ما تقولون؟

قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا!

فقال: ويلكم ، إنما أنا عبد مثلكم ، آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني إن شاء ، وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجِعوا.

فأبوا ، فلما كان الغد غدوا عليه ، فجاء قَنبر[1] فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام.

فقال: أدخلهم.

فقالوا كذلك.[2]

فلما كان الثالث[3] قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قِتلة.

فأبوا إلا ذلك ، فأمر بفَعَلةٍ[4] مَعهم مَرُورهم[5] ، فخد لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر ، وقال: (أحفروا) ، فأبعدوا في الأرض ، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا.

فأبوا أن يرجعوا ، فقذف بهم فيها ، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قَنبرا

ثم قال الحافظ: وهذا سند حسن.[6]

---

[1] قَنبر هو مولى لعلي رضي الله عنه.

[2] أي كقولهم في اليوم الأول.

[3] أي اليوم الثالث.

[4] الفَعلة صفة غالبة على من يعملون في الطين والحفر ونحو ذلك. انظر «لسان العرب».

[5] المَرُّ هو المسحاة. انظر «لسان العرب».

[6] «فتح الباري» شرح حديث (6922) ، باختصار يسير.

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (الناشر: دار الفكر – بيروت) (42/475-476) في ترجمة علي بن أبي طالب ، والأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (2/342-343) (الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت) عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة ، فذكره بنحوه.

فائدة: قال السمعاني في «الأنساب» (5/396) (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت) في النسبة إلى (النصيري):

وعلى هذا سار أئمة الهدى ، قال علي بن عبد الله الطيالسي: مسحتُ يدي على أحمد بن حنبل ، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر[1] ، فغضب غضبا شديدا ، وجعل ينفض نفسه ويقول: (عمن أخذتم هذا؟!) ، وأنكره إنكارا شديدا.[2]

فالحاصل أن هذه الأحاديث والآثار تدل دلالة واضحة على تحريم المبالغة في تعظيم النبي ﷺ ، ومن باب أولى من هم دونه من الصالحين.

وهذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم النصيرية ، والنسبة إليها نُصيري ، وهذه الطائفة ينتسبون إلى رجل اسمه نُصير ، وكان في جماعة قريبا من سبعة عشر نفسا كانوا يزعمون أن **عليا هو الله** ، وهؤلاء شر الشيعة ، وكان ذلك في زمن علي ، فحذّرهم وقال: إن لم ترجعوا عن هذا القول وتجددوا إسلامكم وإلا عاقبتكم عقوبة ما سُمِع مثلها في الإسلام.

ثم أمر بأخدود ، وحُفِر في رَحَبة جامع الكوفة ، فأشعل فيه النار ، وأمرهم بالرجوع فما رجعوا ، فأمر غلامه قنبر حتى ألقاهم في النار ، فهرب واحد من الجماعة اسمه نصير ، واشتهر هذا الكفر منه ، وأن عليا لما ألقاهم في النار التفت واحد وقال: الآن تحققت أنه هو الله ، لأنه بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: لا يعذب بالنار إلا ربُّها ، وكان علي يرميهم في النار وينشد:

إني إذا أبصرت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قَنبرا

ولما بلغ ابن عباس ما فعل علي رضي الله عنه قال: لو كنت مكان علي رضي الله عنه كنت أقتلهم وما كنت أحرقهم.

وهذه الطائفة بالحديثة ، بلدة على الفرات.

سمعت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني شيخ الزيدية بالكوفة يقول: لما انصرفت من الشام دخلت الحديثة مجتازا ، فسألوا عن اسمي فقلت: عمر ، فأرادوا أن يقتلوني لأن اسمي عمر ، حتى قلت إني علوي وإني كوفي ، فتخلصت منهم ، وإلا كادوا أن يقتلوني. انتهى كلام السمعاني.

وروى البخاري بسنده عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعذبوا بعذاب الله) ، ولقتلتهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه). «صحيح البخاري» (6922).

[1] أي بقصد التبرك كما يفعله بعض الناس هداهم الله!

[2] «طبقات الحنابلة» (216/1) ، ترجمة رقم (316) ، الناشر دار الكتب العلمية.

فصلٌ في بيان مظاهر الغلو في الأنبياء والصالحين

ومظاهر الغلو في الأنبياء والصالحين كثيرة ، تنيف على العشرين مظهرا ، يفعلها بعض الناس في بعض من يُنسبون للصلاح والولاية من الأحياء والموتى ، عافانا الله من ذلك ، وهي كالتالي على سبيل الإجمال:

المظهر الأول: اتخاذ القبور مساجد

المظهر الثاني: بناء المساجد على القبور

المظهر الثالث: بناء الغرف والقبب ونحوها على القبور

المظهر الرابع: رفع تراب القبر

المظهر الخامس: اتخاذ السرج على القبور

المظهر السادس: مظاهر متنوعة من مظاهر تعظيم القبور

المظهر السابع: دفن خواص الناس في قبور خاصة

المظهر الثامن: دعاء أصحاب القبور

المظهر التاسع: طلب الدعاء من صالحي الموتى

المظهر العاشر: التوسل بالموتى من الأنبياء والصالحين

المظهر الحادي عشر: تحري دعاء الله عند القبور

المظهر الثاني عشر: السفر إلى القبور

المظهر الثالث عشر: اتخاذ القبور أعيادا

المظهر الرابع عشر: العكوف عند القبور

المظهر الخامس عشر: الذبح لأصحاب القبور

المظهر السادس عشر: الطواف حول القبور

المظهر السابع عشر: الحلف بالصالحين

المظهر الثامن عشر: النذر لأصحاب القبور

المظهر التاسع عشر: اتخاذ الله واسطة بين المخلوق والمخلوق

المظهر العشرون: خوف السر من أصحاب القبور

المظهر الحادي والعشرين: تصوير الصالحين على هيئة تماثيل وصور

المظهر الثاني والعشرين: التبرك بقبور الصالحين

المظهر الثالث والعشرين: تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء

المظهر الرابع والعشرين: دعوى الربوبية في الصالحين

المظهر الخامس والعشرين: ادعاء علم الغيب لغير الله ، من الكهان وغلاة الصوفية وأشباههم

ومما ينبغي التنبه له أن **بعض تلك المظاهر – وليس كلها – ليس شركاً بحد ذاته ، لكنها وسيلة للوقوع في الشرك ، وما كان حاله كذلك فإنه ممنوع** ، لأن من قواعد الشريعة أن ما كان وسيلة إلى محرم فهو محرم ، والوسائل لها أحكام المقاصد.

والغلو في الصالحين والأولياء سبيل الكفار وأهل البدع الغلاة ، فالشيعة وغلاة الصوفية يعتقدون أن للأولياء والأئمة حق التشريع والتحليل والتحريم لأنهم معصومون – على حد اعتقادهم – ، وعلى هذا فإن أقوالهم حجة يجب اتباعها عندهم كما يزعمون[1].

والرافضة الغلاة يفضلون أئمتهم المعصومين – بزعمهم – على النبي ﷺ .

وغلاة الصوفية يفضلون كبارهم على النبي ﷺ ، ويسعون في رفعهم لمقام الألوهية والربوبية.[2]

ومن الغلاة من غلوا في تعظيم النبي ﷺ والصالحين حتى عبدوه ، وصرفوا له خالص حق الله تعالى من أفعال العباد ، من دعاء ونذر وذبح وغير ذلك ، أو وصفوه بصفات الله الخاصة به كعلم الغيب ونحو ذلك ، وهذا كثير في عباد القبور عياذا بالله من ذلك.

وكل هذه الاعتقادات زندقة وكفر وإلحاد – والعياذ بالله – ، ومخالفة للنصوص المتواترة وإجماع المسلمين.

وطائفة أخرى من الصوفية عظَّموا النبي ﷺ بأنواع من التعظيم البدعي ، لم يعرفها صحابة رسول الله ﷺ ، كعمل الموالد ، أو التوسل بجاهه ، ونحو ذلك.

وأما أهل السنة والجماعة – جعلنا الله والقارئين منهم – فهم الذين عظموا النبي ﷺ والصالحين التعظيم الشرعي ، واجتنبوا طرق التعظيم البدعي والشركي.

والإسلام دين الوسط ، فكما أنه نهى عن الغلو في الصالحين ؛ فقد نهى عن ذمهم ، وأعظم مظاهر ذلك الاستهزاء بالنبي الكريم ﷺ ، أو غيره من الأنبياء ، فإن هذا من أعظم الكفر ، أو سب الصحابة كما تفعله الرافضة ، أو سب العلماء وتنقصهم والإزراء بهم ، كما يفعله بعض المتحمسين الجهال ، لاسيما من تلوثوا بشيء من فكر الخوارج ، وكذلك الاستهزاء بالقائمين على الأمر

---

[1] يراجع كتاب «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمٰن الوكيل.

[2] انظر كتاب «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» ، ص 59 ، الفصل الرابع: القول بالحلول.

بالمعروف والنهي عن المنكر كما يفعله بعض العلمانيين الذين يريدون التحرر ومسخ المجتمع من الناحية الأخلاقية.

تمت المقدمة بحمد الله ، والآن نشرع في صلب الكتاب ، مستعينين بالله ، ومستلهمين منه التأييد والتوفيق ، والله أعلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليما كثيرا.

المظهر الأول: اتخاذ القبور مساجد

فصل في بيان معنى كلمة «مسجد»

معنى جملة: اتخاذ القبور مساجد

أحوال الذين يتخذون القبور مساجد مع القبور

فصل في بيان علة النهي عن الصلاة عند القبور

فصل في بيان أدلة النهي عن اتخاذ القبور مساجد

فصل في ذكر أقوال بعض أئمة الإسلام في حكم الصلاة عند القبور

صور اتخاذ القبور مساجد ، وبيان تحريم ذلك أيًّا كان مكان القبر من المصلي

فصل في بيان حكم الصلاة عند القبور من جهة صحتها أو بطلانها

استثناء

شبهة والجواب عنها

فصل في بيان معنى كلمة «مسجد»

كلمة «مسجد» لها استعـمالان ، عام وخاص ، أما العام فيُعنى به: كل موضع في الأرض تصح الصلاة فيه ، سهلها ووعرها ، بِناؤها وفِناؤها ، ومنه قول النبي ﷺ : جُعِلت لي الأرض مسجدا وطهورا.[1]

والمقصود بـ (طهورا) هنا: أنه يصح التطهر منها ، وذلك بالتيمم.

وأما الاستعمال الخاص فيُعنى به بناء المسجد المعروف ، ومنه قول الله تعالى ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ولم يخش إلا الله﴾[2].

معنى جملة: اتخاذ القبور مساجد

اتخاذ القبر مسجدا يتناول شيئين: أن يُـبنى عليها مساجد ، أو يُصلَّى عنده من غير بناء.[3]

أحوال الذين يتخذون القبور مساجد مع القبور

الذين يتخذون القبور مساجد لهم حالتان:

الأولى: عبادة القبر نفسه ، بالصلاة له والسجود ، كما يفعل عباد الأوثان أمام أوثانهم ، وهذا كفر صِرفٌ لا شك فيه.

الثاني: الصلاة بجانب القبر على اعتقاد أن الصلاة بجانبه لها مَزِيَّة وفضل على الصلاة التي ليست بجانب قبر ، مع كون المقصود بالصلاة هو الله تعالى ، وهذه الصورة هي التي ورد النهي عنها في الأحاديث النبوية ، كما سيأتي سردها قريبا بإذن الله.

فصل في بيان علة النهي عن الصلاة عند القبور

جاءت الشريعة الإسلامية بالنهي عن الصلاة عند القبور – سواء كان القبر تحت بناء مسجد أم كان في أرض فلاة – لستة أسباب:

---

1 رواه البخاري (335) ومسلم (521) عن جابر رضي الله عنهما.

2 سورة التوبة: 18 .

3 قاله ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (160/27).

السبب الأول: أن غالب الذين يصلون عند القبور يعتقدون أن الصلاة عندها لها بركة خاصة ومَزِيَّة وفضل على غيرها من الصلوات في البقاع الأخرى ، وهذا الاعتقاد ليس له أصل في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، فإن الشريعة لم تنص على أفضلية الصلاة في بقعةٍ غير المسجد الحرام[1]، والمسجد النبوي[2] والمسجد الأقصى[3] ومسجد قُباء بالمدينة[4] ووادي العقيق – على الصحيح – بجانب ميقات ذي الحليفة بالمدينة[5] ، وبناء على هذا فالصلاة عند القبور من البدع والمحدثات

---

1 والدليل على ذلك حديث جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، **وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه**.

رواه ابن ماجه (1406) واللفظ له ، وأحمد (343/3) وصححه الألباني ومحققو «المسند».

2 والدليل على ذلك حديث جابر المتقدم ، وكذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه** إلا المسجد الحرام.

رواه البخاري (1190) ومسلم (1394).

3 والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، **ومسجد الأقصى**.

رواه البخاري (1189) ومسلم (1397).

4 والدليل على ذلك أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قُباء كل سبت راكبا أو ماشيا ويصلي فيه ركعتين.

رواه البخاري (1193) ومسلم (1399) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن أُسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الصلاة في مسجد قباء كعمرة.

رواه الترمذي (324) وابن ماجه (1411) وصححه الألباني.

5 والدليل على ذلك قول النبي ﷺ : أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة.

رواه البخاري (1534) عن عمر رضي الله عنه.

فالسنة أن يصلي المسلم في وادي العقيق إذا مر به من غير شد رحلٍ إليه ، وليس ذلك مخصوصا بسفر الحج أو العمرة ، بل إذا مرَّ به لسفر أو غيره استُحِب له الصلاة فيه كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخرج (أي من المدينة) من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المُعرَّس ، وإن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشَّجرة ، **وإذا رجع صلى بذي الحليفة ببطن الوادي** ، وبات حتى يصبح. رواه البخاري (1533).

ونقل ابن رجب في «فتح الباري» نقولات عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في استحباب الصلاة فيه.

العملية ، ومن المعلوم أن البدع مردودة على أصحابها غير مقبولة عند الله تعالى ، بل تعود على فاعلها بالإثم العظيم ، كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ **قال:** ... **وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.**[1]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **من أحدث في أمرنا** هذا ما ليس منه فهو رد.[2]

وفي رواية لمسلم: **من عمل عملا ليس** عليه أمرنا فهو رد.[3]

قال الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي[4] رحمه الله:

اعلم أن كل مكان لا فضل له في الشريعة أصلاً ، ولا فيه ما يوجب تفضيله ، بل هو كسائر الأمكنة أو دونها ، وقصْدُ ذلك المكان أو قصْدُ الاجتماع فيه لصلاة أو دعاء أو ذكر أو غير ذلك من معتقد قاصده ؛ من الضلال الواضح ، والخطأ الفاضح ، إذ هو تشريع في الدين ، وتفضيل بقعة لم تفضلها الشريعة ، بل مجرد الهوى الذي جعله الله تعالى بمنزلة إله يعبد ، فقال سبحانه ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾[5] ، وفي ذلك مشابهة للمشركين في تفضيلهم أماكن بمجرد هوى أنفسهم ، فإنهم كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك ، أو غير تمثال ، يعتقدون أن ذلك يقربهم إلى الله تعالى.[6] انتهى.

انظر (3/435-436) (كتاب الصلاة – باب المساجد التي على طرق المدينة).

وقال ابن حجر في «فتح الباري» في شرحه لحديث عمر المتقدم: وفي الحديث فضل العقيق كفضل المدينة ، وفضل الصلاة فيه. اهـ. والله أعلم.

1 رواه أبو داود (4607) ، والترمذي (2676)، وابن ماجه (42) ، وأحمد (4/126 – 127) ، وابن حبان (1/179) واللفظ له ، وغيرهم ، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

2 رواه البخاري (2697) ومسلم (1718).

3 رواه مسلم (1718).

4 هو الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي ، محدث فقيه مؤرخ أديب ، كان أحد أكابر علماء الحنابلة بالقاهرة ، له مصنفات كثيرة ، من أهمها «دليل الطالب لنيل المطالب» في فروع الفقه الحنبلي ، و «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات» ، وغيرها ، توفي بمصر سنة 1033 ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار من «معجم المؤلفين».

5 سورة الجاثية: 23 .

6 «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور» ، ص 58 – 59 .

كذلك فإن القول بأفضلية الصلاة في المقابر يعتبر من الافتراء على الشريعة ، والقول على الله بغير علم ، وهذا من كبائر الذنوب ، قال تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[1].

السبب الثاني من أسباب النهي عن الصلاة عند القبور: أن الدافع للصلاة عند القبر هو تعظيم صاحب القبر نفسه ، في حين أن الواجب أن يكون تعظيم الله تعالى هو المسيطر على لُبِّ المصلي.

السبب الثالث: أن تعظيم صاحب القبر بالصلاة عند قبره يتضاعف مع الزمن ويزيد حتى يؤول إلى صرف شيء من العبادات لصاحب القبر نفسه ، والسجود له والركوع والدعاء والذبح والطواف ، فيقع في الوثنية عياذا بالله ، قال النووي رحمه الله: قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به ، وربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية.[2]

وقال جلال الدين السيوطي الشافعي[3] رحمه الله في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ما نصه:

وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع ﷺ هي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه ، ولهذا تجد أقواما كثيرين من الضالين يتضرعون عند قبور الصالحين ويخشعون ويتذللون ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله – المساجد – ، بل ولا في الأسحار بين يدي الله تعالى ، ويرجون من الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال ، فهذه المفسدة هي التي أراد النبي ﷺ حسم مادتها ، **حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة ولا ذلك المكان ، سدا للذريعة إلى تلك المفسدة التي من أجلها عُبدت الأوثان.**[4]

---

1 سورة الأعراف: 33 .

2 «المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج» ، شرح حديث رقم 529 .

3 هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي ، إمام حافظ مؤرخ أديب ، برز في جميع الفنون ، له نحو 600 مصنف ، منها في علوم القرآن «الإتقان في علوم القرآن» ، وله في التفسير «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» ، وله في علوم الحديث «ألفية السيوطي في الحديث» ، وله في الحديث «الجامع الكبير» و «الجامع الصغير». توفي عام 911 . انظر ترجمته في «البدر الطالع» للشوكاني ، و«الأعلام» للزركلي.

4 ص 138 – 139 .

وقال ابن تيمية رحمه الله: فإن من أصول الشرك بالله ؛ اتخاذ القبور مساجد.[1]
وقال أيضا: فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد ، وبناء المساجد عليها.[2]

والسبب الرابع للنهي عن اتخاذ القبور مساجد – وهو مختص بالقبور التي في المساجد – هو أن بناء القبور في المساجد فيه مناقض للحكمة الحقيقية التي من أجلها شرع الله بناء المساجد ، وهي جعل المساجد بيوتا خالصة لله ، لا يَشركه فيها أحد غيره ، في حين أن بناء القبور فيها فيه تشريك بين الله وبين خلقه ، بجعل المساجد بيوت لله وللمخلوقين.

والسبب الخامس – وهو مختص بالقبور التي في المساجد – أن الله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين بناء المساجد بقصد تعظيم الله وحده وتعظيم الصلاة له ، وليس لقصد تعظيم الموتى ، أيّا كان أولئك الموتى ، أنبياء أو علماء صالحين أو غير ذلك ، فالصلاة عندها منهي عنها ، لأن التعظيم القائم في نفس المصلي ليس خالصا لله ، بل يَشرَكُه معه غيره وهو ذلك المقبور.

والسبب السادس – وهو مختص بالقبور التي في المساجد – أن الله لم يشرع للمسلمين دفن الموتى في المساجد أصلا ، ولم يفعله النبي ﷺ ولا صحابته ولا التابعين في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، وعلى هذا فاتخاذ القبور في المساجد بدعة في دين الله ، وكل بدعة ضلالة ، كما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه المتقدم.

فصل في بيان أدلة النهي عن اتخاذ القبور مساجد

جاء نهي النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد في أحاديث كثيرة ، ثم جاء تأكيد النهي في مرض وفاته ، بالرغم من ثقل المرض وشدته ، ثم أكد نهيه مرة أخرى وهو في سياق الموت ، فدل ذلك

---

1 «مجموع الفتاوى» (191/27).
2 «الجواب الباهر لمن سأله من أولياء الأمور عما أفتى به في زيارة المقابر» ، ويقع في «مجموع الفتاوى» (327/27-328).

على خطورة الأمر وأهميته ، حيث لم يشغله نزع الروح عن النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، وقد ورد في هذا الباب ما يزيد على العشرين حديثا عن رسول الله ﷺ ، هذا أوان الشروع في سردها:

1. حديث جندب بن عبدالله البجلي رضى الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس[1] يقول: ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك.[2]

قال مقيده عفا الله عنه : ولهذا دفن الصحابة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في المقبرة لئلا يُتخذ قبره مصلى ، وقد صرحت عائشة بهذه العلة كما سيأتي.

2. حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

قالت: لولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خُشِي أن يتخذ مسجدا.[3]

فكلام عائشة رضي الله عنها صريح في أنه لولا خشية الصحابة أن يتخذ الناس قبر النبي ﷺ مسجدا يُصلَّى عنده لأبرزوه – أي لدفن في المقبرة ولصار ظاهرا للناس كالقبور الأخرى – ، ولكن لمخافة أن يتخذ الناس قبره ﷺ مصلى ؛ أجمع الصحابة على دفنه في بيته لسد الطريق على من يريد أن يبني عليه مسجدا أو يصلي عند قبره.

3. حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، يُحَرِّم ذلك على أمته.[4]

---

1 أي خمس ليال.

2 رواه مسلم (532).

3 رواه البخاري (1330) ، ومسلم (529) واللفظ له.

4 رواه النسائي (2045) وأحمد (252/6) ، وصححه الألباني.

4. حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نُزِل[1] برسول الله ﷺ ؛ طَفِقَ[2] يطرحُ خميصة[3] له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ، يُحذر ما صنعوا.[4]

وهذا الحديث كالذي قبله ، يحذر فيه النبي ﷺ **بطريق اللعن** من اتخاذ القبور مساجد كما فعل أهل الكتاب ، تحذيرا لأمته أن يفعلوا مثلهم.

قال ابن حجر رحمه الله: وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض ، فخاف أن يُعظم قبره كما فَعل من مضى ، فلعن اليهود والنصارى ، **إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم**.[5]

وليلاحظ القارىء الكريم أن النبي ﷺ أكد نهيه عن الغلو فيهم في مرض موته قبل أن يموت بخمس ليال كما في حديث جندب ، ثم أكد ذلك مرة أخرى –كما في هذا الحديث – وهو في سياق الموت ، فدل ذلك على عظم الأمر وخطورته.

وقال الشيخ أحمد الرومي الحنفي[6] رحمه الله معلقا على هذا الحديث:

---

1 أي نزل به الموت.

2 أي جعل يفعل كذا وكذا. انظر «غريب الحديث» لابن الأثير.

3 الخميصة ثوب صوف له أعلام.

4 رواه البخاري (435 ، 436) واللفظ له ، ومسلم (531).

5 «فتح الباري» ، شرح حديث (435 ، 436).

إشكال والجواب عليه:

قال ابن حجر رحمه الله: وقد استُشكل ذكر النصارى فيه لأن اليهود لهم أنبياء ، بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبي غيره ، وليس له قبر (أي عيسى عليه السلام) ، والجواب:

أنه كان فيهم أنبياء أيضا لكنهم غير مرسلين ، كالحواريين ومريم في قول ، أو الجمع في قوله «أنبيائهم» بإزاء المجموع من اليهود والنصارى ، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم ، فاكتفى بذكر أنبيائهم ، ويؤيده قوله في رواية «مسلم» من طريق جندب : كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ولهذا لما أفرد النصارى في الحديث الذي قبله قال : إذا مات فيهم الرجل الصالح ، ولما أفرد اليهود في الحديث الذي بعده قال : قبور أنبيائهم ، أو المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداعا أو اتباعا ، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت ، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود.

6 هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي ، ويعرف بالرومي ، من علماء الدولة العثمانية ، له تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة ، توفي سنة 1043 هـ ، له كتاب «حاشية على تفسير أبي السعود» ، وكذا كتاب «مجالس

«هذا الحديث من صحاح المصابيح ، روته أم المؤمنين عائشة ، وسبب دعائه عليه الصلاة والسلام على اليهود والنصارى باللعنةِ ؛ أنهم كانوا يُصلُّون في المواضع التي دفن فيها أنبياؤهم ... ولهذا نهى النبي ﷺ أمته عن الصلاة في المقابر احترازاً عن مشابهتهم بهم.

قال بعض المحقِّقين: والصلاة في المواضع المتبَرَكة من مقابر الصّالحين داخلة في هذا النهي ، لاسيما إذا كان الباعث عليها تعظيم هؤلاء ، فإن مبتدأ عبادة الأصنام كان في قوم نوح النبي عليه السلام من جهة عكوفهم على القبور ، كما أخبر الله تعالى في كتابه[1]».[2]

5. حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: أدخِلوا عليَّ أصحابي ، فدخلوا عليه وهو مُتقنِّع بِبردة مَعافِري[3] ، فكشف القناع فقال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.[4]

وهذا الحديث فيه دليل على اهتمام النبي ﷺ بهذه المسألة حيث لم يكتف بسماع بعض أصحابه له ؛ بل حرِص على بيانه لعامة أصحابه ، حيث قال: أدخِلوا علي أصحابي.[5]

6. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : قاتل الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.[6]

الأبرار ومسالك الأخيار في شرح مائة حديث من المصابيح» ، وغيرها ، انظر ترجمته موسعة في «هدية العارفين» (157/1) ، ط دار الكتب العلمية ، سنة 1413 هـ ، و «معجم المؤلفين» (252/2).

كلامه في التحذير من دعاء غير الله مذكور في كتابه «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار» ، المجلس السابع عشر والسابع والخمسين.

1 يشير إلى ما أخبر الله به في كتابه عن قوم نوح في سورة نوح ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ ، وانظر كلام المفسرين في تفسير الآية.

2 «المجالس الأربعة من مجالس الأبرار» ، ص 7 – 9 ، بتحقيق د. محمد بن عبد الرحمٰن الخميس ، الناشر: دار العاصمة ، باختصار.

3 مَعافِري ؛ نوع من أنواع البُرُد منسوبة إلى معافر ، وهي قبيلة في اليمن ، كانت تنسج تلك الأنواع من البرد. انظر «النهاية».

4 أخرجه أحمد (204/5) ، والطيالسي (669) ، وحسنه الألباني في «تحذير الساجد» ص 16 .

5 «دمعة على التوحيد» ، ص 6 ، بتصرف يسير ، وهو كتاب يحوي بحوثا قيمة عن مظاهر عبادة القبور في العالم الإسلامي ، وهو من منشورات «المنتدى الإسلامي» – لندن.

6 رواه البخاري (437) ، ومسلم (530) ، ورواه النسائي (2046) بلفظ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

7. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد.[1]

8. حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال: آخر ما تكلم به النبي الله ﷺ : أخرِجوا يهود الحجاز وأهل نجران[2] من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد.[3]

9. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : اللهم لا تجعل قبري وثنا ، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.[4]

قال الشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق[5] رحمه الله معلقا على هذا الحديث : لما قرن ﷺ بين دعائه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد وبين إخباره باشتداد غضب الله على متخذي القبور مساجد ؛ دل ذلك على أن **الثاني سبب للأول**.[6]

وقال ابن عبد البر[7] المالكي رحمه الله: «الوثن الصنم ، وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال ، **وكل ما يُعبد من دون الله فهو وثن ، صنما كان أو غير صنم** ، وكانت

---

1 رواه أحمد (405/1) ، وصححه الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» ، ص 19 .

2 يعني نصارى نجران.

3 رواه أحمد (195/1) ، وصححه محققو «المسند» (223/3) ، والألباني في «الصحيحة» (1132).

4 رواه أحمد (246/2) ، وصححه الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» ص 18 ، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي.

5 هو العلامة الورع الزاهد الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن علي بن عتيق ، من علماء نجد الأعلام في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، درس الحديث في الهند على جماعة من علمائها ، ثم سافر إلى مكة ودرس على بعض مشايخها ، ثم عاد إلى بلده نجد وتولى القضاء والتدريس ، درس عليه خلق كثير ، صاروا فيما بعد من علماء نجد الأعلام ، منهم مفتي الديار السعودية في زمنه الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز مفتي الديار في زمنه أيضا. توفي رحمه الله عام 1349 .

انظر ترجمته في «مشاهير علماء نجد» لعبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ.

6 «عقيدة الطائفة الناجية في توحيد الإلٰهية» ، للشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، ص 38 ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

7 هو شيخ الإسلام ، حافظ المغرب ، أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَري ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، محدث فقيه ، صاحب التصانيف الفائقة ، أشهرها كتاب «التمهيد» في شرح أحاديث موطأ مالك ، وكتاب «الاستذكار» في شرح آثاره ، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ، و «جامع

العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها ، فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم ، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يُصنع بالصنم ، فقال ﷺ : اللهم لا تجعل قبري وثنا يُصلَّى إليه ويُسجد نحوه ويُعبد ، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك ، وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله ، الذين **صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدا كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويُعظمونها ، وذلك الشرك الأكبر** ، فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه ، وأنه مما لا يرضاه ، خشية عليهم من امتثال طرقهم.

وكان ﷺ يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار ، وكان يخاف على أمته اتِّباعهم ، ألا ترى إلى قوله ﷺ على وجه التعيير والتوبيخ: «لَتَتَّبِعُن سَنَن الذين كانوا قبلكم ، حذو النعل بالنعل ، حتى إن أحدهم لو دخل جحر ضَبٍّ لدخلتموه»[1]».[2]

وقال ابن تيمية رحمه الله: وقد استجاب الله دعوته فلم يُتخذ ولله الحمد وثناً كما اتُّخذ قبر غيره ، بل ولا يتمكن أحد من الدخول إلى حجرته بعد أن بُنيت الحجرة ، وقبل ذلك ما كانوا يمكنون أحدا من أن يدخل إليه ليدعو عنده ولا يصلي عنده ولا غير ذلك مما يُفعل عند قبر غيره.

لكن من الجهال من يصلي إلى حجرته أو يرفع صوته أو يتكلم بكلام منهي عنه ، وهذا إنما يُفعل خارجا عند حجرته لا عند قبره ، وإلا فهو ولله الحمد استجاب الله دعوته ؛ فلم يُمكَّن أحد قط أن يدخل إلى قبره فيصلي عنده أو يدعو أو يشرك به كما فُعل بغيره ؛ اتُّخذ قبره وثنا ، فإنه في حياة عائشة رضي الله عنها ما كان أحد يدخل إلا لأجلها ، ولم تكن تُمكِّن أحدا أن يفعل عند قبره شيئا

بيان العلم وفضله» ، له رواية للحديث النبوي ، توفي سنة 463 ، انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (217/3).

1 رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (45) عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده ، وقال الألباني في تحقيقه عليه: إسناده ضعيف جدا.

قلت: والحديث الصحيح هو ما رواه البخاري (3456) (7320) ، واللفظ له ، ومسلم (2669) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشر ، وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جُحر ضبٍّ لسلكتموه.

قلنا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟

قال النبي ﷺ : فمن؟

2 «التمهيد» ، كتاب «جامع الصلاة» ، (177/5).

مما نهى عنه ، وبعدها كانت مغلقة إلى أن أُدخلت في المسجد ، فسُد بابها وبُني عليها حائط آخر ، كل ذلك صيانة له ﷺ أن يتخذ بيته عيدا وقبره وثنا ، وإلا فمعلوم أن أهل المدينة كلهم مسلمون ، ولا يأتي هناك إلا مسلم ، وكلهم مُعظِّمون للرسول ﷺ ، وقبور آحاد أمته في البلاد معظمة ، فما فعلوا ذلك ليستهان بالقبر المكرم ، بل فعلوه لئلا يُتخذ وثنا يُعبد ولا يُتخذ بيته عيدا ، ولئلا يُفعل به كما فعل أهل الكتاب بقبور أنبيائهم.[1] انتهى.

10. حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: لا تصلوا إلى القبور ، ولا تجلسوا عليها.[2]

وفي رواية: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها.[3]

والصلاة إلى القبر تعني استقباله.

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى القبر.

11. حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : لا تصلوا إلى قبر ، ولا تصلوا على قبر.[4]

12. حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن **يُبنى على القبور** ، أو يُقعد عليها ، **أو يُصلَّى عليها**.[5]

13. حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام.[6]

دل هذا الحديث بمنطوقه على أن المقبرة والحمام ليست بمحل للصلاة.

---

1 «الجواب الباهر لمن سأله من أولياء الأمور عما أفتى به في زيارة المقابر» ، ويقع في «مجموع الفتاوى» (27/327-328).

2 رواه مسلم (972).

3 رواه مسلم (972).

4 رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (12051 ، 12168) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» ، ص 22- 23 ، وفي «السلسلة الصحيحة» (1016).

5 رواه أبو يعلى في «مسنده» (1020) ، وصحح الألباني رحمه الله إسناده في «تحذير الساجد» ، ص 22 .

6 رواه أبو داود (492) ، والترمذي (317) ، وصححه الألباني رحمه الله.

ويمكن أن يقال إن الصلاة في الحمام أخف إثما وأقل قبحا من الصلاة في المقبرة ، لأن الأحاديث تواترت في لعن وذم من اتخذ القبور مساجد.

14. حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ، ولا تتخذوها قبورا.[1]

وفي رواية: اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ، ولا تتخذوها قبورا.[2]

وفي رواية: صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا.[3]

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» في شرح الحديث: استُنبط من قوله في الحديث: (ولا تتخذوها قبورا) ؛ أن القبور ليست بمحل للعبادة ، فتكون الصلاة فيها مكروهة. انتهى.

وقال ابن المنذر رحمه الله في «الأوسط»: والذي عليه الأكثر من أهل العلم ؛ كراهية الصلاة في المقبرة ، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه[4].[5]

قلت: المراد بالكراهة هنا كراهة التحريم لا كراهة التنزيه ، لأن الكراهة عند المتقدمين هي التحريم كما هي طريقة القرآن ﴿وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾[6] ، وعند المتأخرين: ما يثاب تاركه امتثالا ، ولا يعاقب فاعله[7] ، ومقصود كلام ابن المنذر هو الأول ، لأنه من المتقدمين ، يُبين هذا ما

---

1 رواه البخاري (432).

2 رواه مسلم (777) ، وأحمد (16/2).

3 رواه الترمذي (451) ، والنسائي (1597) ، وأحمد (6/2) ، وصححه الألباني.

4 وهو حديث: (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام) ، وقد تقدم قريبا.

5 (458/5) ، الناشر: دار الفلاح – مصر.

6 سورة الحجرات: 7 .

7 انظر تقرير أن الكراهة عند السلف تعني التحريم في: «إعلام الموقعين» للإمام ابن القيم (52/1) ، (فصل: تحريم القول على الله بغير علم – قد يطلق لفظ الكراهة على التحريم) ، و «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (241/32) ، و «المذكرة في أصول الفقه» للشنقيطي ، ص 22 ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.
وبعض أهل العلم يعرفون المكروه بأنه ما تركُهُ خيرٌ من فعله ، أو ما نُهي عنه نهيا غير جازم.
انظر «شرح الورقات» ، ص 39 ، للشيخ د. سعد بن ناصر الشثري حفظه الله ، الناشر: كنوز أشبيليا – الرياض.

قاله بعد كلامه الأول بقليل: وفي حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا) أبين البيان على أن الصلاة في المقبرة غير جائزة.[1]

15. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تتخذوا قبري عيدا ، **ولا تجعلوا بيوتكم قبورا** ، وحيثما كنتم فَصَلوُّا علي ، فإن صلاتكم تبلغني.[2]

ففي هذا الحديث شبَّه النبي ﷺ البيوت التي لا يُصلَّى فيها بالقبور ، فدل على أن القبور ليست محل صلاة أصلا ، وهو الشاهد.

16. ومن الأدلة كذلك على النهي عن الصلاة عند القبور ما رواه سعيد بن منصور في «سننه» عن سهيل بن أبي سهيل أن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنه رآه دنا عند قبر الرسول ﷺ فقال له: مالي رأيتك عند القبر؟

فقال: سلَّمتُ على النبي ﷺ .

فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّم[3] ، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ، **ولا تتخذوا بيوتكم مقابر** ، لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليَّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم.

ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.[1]

---

1 (459/5).

2 رواه أبو داود (2042) وأحمد (367/2) ، واللفظ له ، وسنده حسن كما قال الألباني في «أحكام الجنائز» ، ص 280 .

3 يقصد السلام المشروع على النبي ﷺ عند الدخول إلى المسجد ، كما علمنا رسول الله ﷺ ذلك في قوله: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ... الحديث.

رواه أبو داود (465) والترمذي (465) وابن ماجه (772) عن أبي حميد – أو أبي أسيد – الأنصاري رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

وفي الباب عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، رواه ابن ماجه (771) ، وعن أبي هريرة ، رواه ابن ماجه (773) وكلاهما صححهما الألباني.

قلت: وهذا الحديث كسابقه ، شبَّهَ فيه النبي ﷺ البيوت التي لا يُصلَّى فيها بالقبور ، فدل على أن القبور ليست محل صلاة أصلا.

قال ابن تيمية رحمه الله : قوله ﷺ : (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) ؛ أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري العبادة في البيوت ، ونهى عن تحريها عند القبور ، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم.[2]

17. وعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيدا ، **ولا بيوتكم قبورا** ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم.[3]

وفي رواية إسماعيل القاضي: وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم ، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم.

قلت: وهذا الحديث كسابقه ، شبَّه فيه النبي ﷺ البيوت التي لا يُصلَّى فيها بالقبور ، فدل على أن القبور ليست محل صلاة أصلا.

18. ومن أدلة تحريم الصلاة في المقابر أن موضع مسجده ﷺ كان مقبرة للمشركين قبل بنائه ، فنَبش النبي ﷺ قبورهم ، ونقل رُفات الموتى ، ثم سوَّى الأرض ، ثم بنى المسجد ، ولم يُتخذ المكان مسجدا إلا بعد إزالة القبور منه.[1]

---

1 رواه سعيد بن منصور في «سننه» واللفظ له ، كما نقله ابن تيمية رحمه الله في «الاقتضاء» (302/1) بإسناده ، وليس هو في القسم المطبوع منه ، وقال الألباني رحمه الله: (إسناده قوي) ، انظر «أحكام الجنائز» ، ص 280 .

وقوله: (ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء) من كلام الحسن رضي الله عنه.

ورواه إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (30) ، وصححه الألباني في تحقيقه له.

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (577/3) ، وكذا ابن أبي شيبة في «مصنفه» (152/2) مقتصرا على المرفوع منه فقط.

2 «اقتضاء الصراط المستقيم» (662/2).

3 رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (150/2) واللفظ له ، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (428) ، ورواه أبو يعلى (361/1) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (20) ، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تحقيقه له فقال: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

19. ومن أدلة تحريم الصلاة في المقابر إنكار الصحابة على من فعل ذلك ، وكفى بإنكار الصحابة رضي الله عنهم حجةً ، فإنهم القدوة للمسلمين إلى قيام الساعة ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قمت يوما أصلي وبين يَدَيَّ قبرٌ لا أشعر به ، فنادني عمر: (القبر ، القبر) ، فظننت أنه يعني القمر ، فقال لي بعض من يليني: (إنما يعني القبر) ، فتنحَّيت عنه.[2]

قال ثابت كما في رواية عبد الرزاق: فكان أنس يأخذ بيدي إذا أراد أن يصلي فيتنحى عن القبور.

قلت: فهذا يدل على أن المستقر عند الصحابة تحريم الصلاة عند القبور.

والقول بتحريم الصلاة عند القبور ورد عن جمع من الصحابة والتابعين كأنس وعبد الله بن عمرو ، والحسن العرني[3] والمسيب بن رافع[4] وخيثمة بن عبد الرحمٰن المدني[5] وابراهيم النخعي[6] وابن سيرين[7] ومكحول[8].[9]

---

1 جاء ذلك في الحديث الذي رواه البخاري (428) ، ومسلم (524) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفيه: أن النبي ﷺ لما نزل المدينة أمر ببناء المسجد في مكان حائط – أي بستان – لبني النجار ، وكان فيه نخل وقبور مشركين ، فأمر بالنخل فقُطِعت ، وبالقبور فنُبِشت ، ثم بنى المسجد.

2 رواه البخاري تعليقا في كتاب الصلاة ، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويُتخذ مكانها مساجد ، ووصله البيهقي في «الكبرى» (435/2) ، واللفظ له ، وعبد الرزاق في «مصنفه» (1581) ، وقال الحافظ في «المطالب العالية» (الناشر: دار العاصمة) (رقم 339): (هذا خبر صحيح علقه البخاري) ، وانظر «تغليق التعليق» للحافظ (228/2-230) ، الناشر: المكتب الإسلامي.

3 الحسن بن عبد الله العرني الكوفي ، ثقة ، انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب».

4 المسيب بن رافع الأسدي الكاهلي ، أبو العلاء الكوفي ، الأعمى ، ثقة من الرابعة ، مات سنة 105 هـ ، انظر «التقريب».

5 خيثمة بن عبد الرحمٰن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي ، ثقة ، مات دون المائة بعد سنة 80 هـ ، انظر «تقريب التهذيب».

6 إبراهيم النخعي هو فقيه العراق ، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، الكوفي ، الفقيه ، مات سنة 95 هـ ، انظر «تذكرة الحفاظ» (/95).

7 هو الإمام الرباني أبو بكر ، محمد بن سيرين ، مولى أنس بن مالك ، مات سنة 110 هـ ، انظر «تذكرة الحفاظ» (62/1).

8 هو عالم أهل الشام ، مكحول بن أبي مسلم الهذلي ، الفقيه الحافظ ، مات سنة 113 هـ ، انظر «تذكرة الحفاظ» (82/1).

9 انظر أقوالهم في «مصنف ابن أبي شيبة» (7574 - 7578 ، 7581 ، 7582 ، 7585).

20. ومن أدلة النهي عن اتخاذ القبور مساجد كونه من المحال أن تكون الصلاة عند قبور الصالحين من الأمور الفاضلة ولم يفعلها النبي ﷺ ولا صحابته من بعده ، وهم أحرص الناس على الخير ، وأعلمهم به ، وهم قدوة المسلمين إلى قيام الساعة ، لا سيما وقد أعلمنا النبي ﷺ بالأماكن الفاضلة وحث أمته على الصلاة فيها كالمساجد الثلاثة ومسجد قباء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : **لم يكن أحد من سلف الأمة لا في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابع التابعين** يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين ولا يسألونهم ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم.[1]

وقال أيضا: ففي حياة عائشة – رضي الله عنها – **كان الناس** يدخلون عليها لسماع الحديث ولاستفتائها وزيارتها من غير أن يكون إذا دخل أحد يذهب إلى القبر المكرم ، لا لصلاة ولا لدعاء ولا غير ذلك ، بل ربما طلب بعض الناس منها أن تريه القبور فتريه إياهن.[2] اهـ.

وقال أيضا: وهذا مما عُلم بالتواتر والضرورة من دين الرسول ﷺ ، فإنه أمر بعمارة المساجد والصلاة فيها ، ولم يأمر ببناء مشهد لا على قبر نبي ، ولا على غير قبر نبي ، ولا على مقام نبي ، **ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم** في بلاد الإسلام لا الحجاز ولا الشام ولا اليمن ولا العراق ولا خراسان ولا مصر ولا المغرب مسجد مبني على قبر ، ولا مشهد يُقصد للزيارة أصلا.[3]

21. ومن أدلة تحريم الصلاة عند القبور أن عمر رضي الله عنه – وهو **الخليفة الراشد ذو السُّنة المُتَّبعة** – نهى عن الصلاة في مكان صلى فيه النبي ﷺ عرَضًا بدون قصد تخصيص الصلاة في ذلك المكان ، فكيف بالصلاة في مكان نهى الرسول ﷺ عن قصده للصلاة فيه كالقبور؟

فعن المعرور بن سُوَيد قال: خرجنا مع عمر في حَجة حَجها ، فقرأ بنا في الفجر ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ ، و ﴿لإيلاف قريش﴾ ، فلما قضى حَجّه ورجع والناس يبتدِرون[4] ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجدٌ صلى فيه رسول الله ﷺ .

---

1 «مجموع الفتاوى» (81/27).

2 «الجواب الباهر لمن سأله من أولياء الأمور عما أفتى به في زيارة المقابر» ، ويقع في «مجموع الفتاوى» (324/27).

3 «اقتضاء الصراط المستقيم» (760/2-762).

4 أي: يبتدِرون مكاناً يقصدونه للصلاة والعبادة.

فقال: هكذا هلك أهل الكتاب ، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً[1] ، من عَرضت له منكم الصلاة فليُصلِّ ، ومن لم تعرِضْ له منكم فيه الصلاة فلا يُصلِّ.[2]

وفى روايةٍ: أنه رأى أناسًا يَنزِلون فيُصلون في مسجدٍ ، فسأل عنهم فقالوا: مسجدٌ صلى فيه النبي ﷺ .

فقال: **إنما هلك من كان قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيعاً** ، من مرَّ بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليُصلِّ ، وإلا فليمضِ.[3]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا الحكمة من قول عمر: وهذا لأن الله لم يشرع للمسلمين مكانا يتناوبونه للعبادة إلا المساجد خاصة ، فما ليس بمسجد لم يُشرع قصده للعبادة وإن كان مكان نبي أو قبر نبي.[4]

22. ومن أدلة تحريم الصلاة عند القبور أن في ذلك تشبها بالكفار ، كما دلت على ذلك الأحاديث الثلاثة الأول ، وقد جاء الوعيد الشديد في حق من تشبه بالكفار في قوله ﷺ : من تشبه بقوم فهو منهم.[5]

وكان ﷺ يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار ، ويخاف على أمته اتِّباعهم ، ألا ترى إلى قوله ﷺ على وجه التعيير والتوبيخ: لتتَّبعن سَنَنَ[6] من كان قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه.

قلنا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟

---

1 البِيَع جمع بيعة بكسر الباء ، وهي كنيسةٌ للنصارى. انظر «مختار الصحاح» ، مادة: «بيع».

2 هذه رواية ابن أبي شيبة في «مصنفه» (153/2).

3 هذه رواية عبد الرزاق في «المصنف» (118/2) رقم (2734).

ورواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ، باب ما جاء في اتِّباع الآثار ، وعزاه ابن تيمية في «الاقتضاء» (751/2) إلى «سنن سعيد بن منصور» ، وليس في القسم المطبوع منه ، فلعله في المفقود.

والأثر صححه ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (33/27) و «الرد على البكري» (433/2) ، وكذا ابن حجر في الفتح (678/1) شرح أثر رقم (483) ، والألباني في «فضائل الشام ودمشق» ، ص 50 ، (ط 1 ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض).

4 «مجموع الفتاوى» (33/27 – 34).

5 رواه أبو داود (4031) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال الألباني: حسن صحيح.

6 سَنَن جمع سُنة ، وهي الطريقة.

قال: فمن.[1]

ومن الأمثلة التطبيقية المعاصرة على أن اتخاذ القبور مساجد هو دين الكفار ما ذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[2] رحمه الله تعالى في كتابه «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» ، قال:

وقد قرأت مقالا في مجلة المختار عدد مايو 1958 تحت عنوان: «الفاتيكان المدينة القديمة المقدسة» يصف فيه كاتبه «رونالد كارلوس بيتي» كنيسة «بطرس» في هذه المدينة فيقول (ص 40):

إن كنيسة القديس بطرس – وهي أكبر كنيسة من نوعها في العالم المسيحي – تقوم على ساحة مكرسة للعبادة المسيحية منذ أكثر من سبعة عشر قرنا ! إنها قائمة على قبر القديس نفسه: صياد السمك ، حوارِي المسيح ، وتحت أرضيتها يقع تِيهٌ[3] من المقابر الأثرية ، والخرائب الرومانية القديمة ، ثم ذكر أنه يقصدها نحو مائة ألف شخص في أيام الأعياد الكبيرة للعبادة.[4]

---

1 رواه البخاري (3456) (7320) ، ومسلم (2669) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[2] هو الشيخ العلامة المحدث ، محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي ، الألباني أصلا ، السوري منشأً ، من المجددين لدين الله تعالى في القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الذي بعده ، خدم تراث المسلمين في الحديث والعقيدة والفقه في مجال تحقيق المخطوطات وتخريج الأحاديث وتمييز صحيحها من ضعيفها ، حتى صار كثير ممن بعده عيالا عليه ، وعُدَّ منعطفا حادا في تاريخ خدمة السنة النبوية ، ترك رحمه الله كمًّا ضخما من التراث العلمي أوصله أحد الباحثين إلى 231 كتابا ، ما بين تأليف وتحقيق وتخريج وتعليق.

وللشيخ رحمه الله جهد مبارك في الرد على أهل البدع والتصوف وعُبَّاد القبور وأتباع المناهج الدعوية المحدثة ، وكثير من التيارات المنحرفة عن الكتاب والسنة ، وكشف شبهاتهم في بلاد الشام وغيرها من البلاد.

توفي رحمه الله في رجب عام 1420 عن سبع وثمانين سنة ، وكانت وفاته بعد وفاة قرينه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز بأشهر يسيرة ، فثلم الإسلام ثلمة عظيمة ، وحزن المسلمون على فقدهما حزنا جما.

يُنظر للتوسع في الاطلاع على حياة الشيخ وسيرته العلمية:

1. «الإمام الألباني رحمه الله ، دروس ومواقف وعبر» ، د. عبد العزيز بن محمد السدحان ، الناشر: دار التوحيد – الرياض.
2. «حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» ، محمد بن إبراهيم الشيباني ، الناشر: مكتبة السداوي – مصر.

3 أي عدد كبير.

4 ص 124 .

23. ومن أوضح الأدلة على تحريم الصلاة عند القبور ؛ اتفاق أئمة الإسلام على ذلك ، ومن المعلوم أن إجماع المسلمين حجة شرعية ، لقوله ﷺ : (إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة)[1] ، ولقوله ﷺ : (يد الله مع الجماعة)[2].

وقد حكى ابن رجب الحنبلي[3] رحمه الله في شرح حديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) اتفاق الأئمة على تحريم الصلاة عند القبور ، قال رحمه الله: (**وقد اتفق أئمة الإسلام** على هذا المعنى)[4] ، يعني تحريم الصلاة عند القبور.

كما نقل إجماعهم أيضا ابن تيمية رحمه الله حيث قال: فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه ، **وابتداع دين لم يأذن الله به ، فإن المسلمين قد أجمعوا** على ما علموه **بالاضطرار** من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر – أي قبر كان – لا فضل فيها لذلك ، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا ، **بل مزية شر**.[5]

وقال أيضا: ولهذا لم يقل أحد من السلف : إن الصلاة عند القبور وفي مشاهد القبور مستحبة أو فيها فضيلة ، ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة في غير تلك البقعة والدعاء ، **بل**

---

1 رواه الترمذي (2167) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وصححه الألباني ، وكذا الحاكم في «مستدركه» (115/1 ، 116) ، وحكى بعد روايته للحديث إجماع أهل السنة على هذه القاعدة ، وأنها من قواعد الإسلام.

2 رواه الترمذي (2166) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الألباني.

3 هو زين الدين أبو الفرج ، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي ، من علماء الشام الأفذاذ ، عاش في القرن الثامن الهجري ، بلغ عدة شيوخه أربعين شيخا ، منهم ابن القيم وابن عبد الهادي رحمهما الله ، برَّز في الحديث والفقه فصار من أعلام المذهب الحنبلي ، له مؤلفات عديدة أبرزها «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ، و «القواعد الفقهية» و «شرح علل الترمذي» و«جامع العلوم والحكم» ، و «ذيل طبقات الحنابلة». جمع بعض الباحثين رسائله المتفرقة في مجموع يقع في خمسة مجلدات ، ونشرتها دار الفاروق الحديثة بمصر. ترجم له ابن حجر رحمه الله في كتابه «إنباء الغمر» وابن العماد في «شذرات الذهب». توفي ابن رجب رحمه الله في دمشق سنة 795 هـ .

4 «فتح الباري» (248/3) لابن رجب ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة.

5 «اقتضاء الصراط المستقيم» (193/2).

اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند القبور – قبور الأنبياء والصالحين – سواء سميت مشاهد أو لم تسمَّ.[1]

وقال أيضا: واتفقوا أيضا على أنه لا يشرع قصد الصلاة والدعاء عند القبور ، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين: إن الصلاة عنده[2] والدعاء عنده أفضل منه في المساجد الخالية عن القبور ، بل **اتفق علماء المسلمين** على أن الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تبن على القبور أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بنيت على القبور ، بل الصلاة والدعاء في هذه منهي عنه **مكروه باتفاقهم ، وقد صرح كثير منهم بتحريم ذلك ، بل وبإبطال الصلاة فيها**.[3]

وقال أيضا: **وقد اتفق أئمة المسلمين** على أن الصلاة في المشاعر ليس مأمورا بها ، لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب ، ولا في الصلاة في المشاهد التي على القبور ونحوها فضيلة على سائر البقاع فضلا عن المساجد ، **باتفاق أئمة المسلمين** ، فمن اعتقد أن الصلاة عندها فيها فضل على الصلاة على غيرها ، أو أنها أفضل من الصلاة في بعض المساجد فقد **فارق جماعة المسلمين** ، ومرَق من الدين ، بل الذي **عليه الأمة** أن الصلاة فيها منهي عنه نهي تحريم.[4]

وقال أيضا: وهذه المعاني قد نص عليها أئمة الدين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأهل العراق وغيرهم ، بل ذلك منقول عن أنس.[5]

خلاصة

تبيَّن لنا مما تقدم من الأحاديث قطعية الدلالة على تحريم الصلاة عند القبور ، كيف لا وقد وردت بخمس صيغٍ فيها زجرٌ شديد لمن فعل ذلك:

الأولى: لعنُ من فعل ذلك.

---

1 «مجموع الفتاوى» (27/77-78).

2 أي القبر النبوي.

3 «اقتضاء الصراط المستقيم» (2/774-775).

4 «مجموع الفتاوى» (24/318) ، وانظر ما قاله في «الرد على الإخنائي» ، ص 159 .

5 «مجموع الفتاوى» (27/34).

الثانية: أنه من سنن اليهود والنصارى وطرقهم.

الثالثة: النهي الصريح عن هذا الفعل ،كقوله: لا تتخذوا ...

الرابعة: الدعاء على من فعل ذلك بالمقاتلة ، أي مقاتلة الله له.

الخامسة: وصف فاعلي ذلك بأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

فهل يُجادل مؤمن بالله واليوم الآخر بعد هذه الزواجر في تحريم الصلاة عند القبور؟!

فصل في ذكر أقوال بعض أئمة الإسلام في حكم الصلاة عند القبور

قال **الشافعي** رحمه الله: أخبرنا **مالك**[1] أن رسول الله ﷺ قال: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقى دينان بأرض العرب.

قال: وأكره هذا للسنة والآثار.

وإنه[2] كَرِه – والله تعالى أعلم – أن يُعظّم أحد من المسلمين ، يعني يُتخذ قبره مسجدا ، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعدُ.[3]

قلت: وكما تقدم ، فإن الكراهة عند المتقدمين هي كراهة التحريم كما هي طريقة القرآن ﴿وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ ، وعند المتأخرين: ما يثاب تاركه امتثالا ، ولا يعاقب فاعله ، ومقصود كلام الشافعي هو الأول ، لأنه من المتقدمين.

وقال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبد الله – يعني **أحمد**[4] – يُسأل عن الصلاة في المقبرة ، فكَرِهَ الصلاة في المقبرة ، فقيل له: (المسجد يكون بين القبور ، أيُصلَّى فيه؟) ، فكره ذلك.

قيل له: (إنه مسجد ، وبينه وبين القبور حاجز) ، فكرِه أن يُصلَّى فيه الفرض ، ورخص أن يُصلَّى فيه على الجنائز ، وذكر حديث أبي مرثد الغنوي عن النبي ﷺ قال: لا تصلوا إلى القبور ، وقال: إسناد جيد.[5]

وممن كره الصلاة في المقبرة الثوري **وأبو حنيفة** والأوزاعي **والشافعي** وأصحابهم ، قاله ابن عبد البر في «التمهيد».[6]

---

1 أي مالك بن أنس ، الإمام المشهور.

2 أي النبي ﷺ .

3 «الأم» ، كتاب الجنائز ، باب ما يكون بعد الدفن ، (278/1) ، ونقله النووي عنه بنحوه في شرحه على حديث (972) ، وكذا ابن رجب في «فتح الباري» (248/3) ونصه: (قال الشافعي رحمه الله: وأكره أن يُعظم مخلوق حتى يُتخذ قبره مسجدا ، خشية الفتنة عليه وعلى من بعده).

4 أي أحمد بن حنبل.

5 كلام أبي بكر الأثرم عن الإمام أحمد نقلته من كتاب «فتح الباري» لابن رجب ، (195/3).

6 كتاب وقوت الصلاة ، باب النوم عن الصلاة.

وقال **ابن قدامة** في «المغني»: وممن روي عنه أنه كَرِه الصلاة في المقبرة علي وابن عباس وابن عمر وعطاء والنخعي وابن المنذر.[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد نص على النهي عن بناء المساجد على القبور غير واحد من علماء المذاهب ؛ من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ، ومن فقهاء الكوفة أيضا ، وصرَّح غير واحد بتحريم ذلك ، وهذا لا ريب فيه بعد لعن النبي ﷺ ومبالغته في النهي عن ذلك.[2]

صور اتخاذ القبور مساجد ، وبيان تحريم ذلك أيًّا كان مكان القبر من المصلي

اعلموا رحمني الله وإياكم أن اتخاذ القبور مساجد له ثلاث صور:

الأولى: أن يكون القبر في أرض مكشوفة ، سواء كانت مقبرة أو أرض فلاة ، فيرتاده المصلي ويصلي عنده.

الثانية: أن يكون القبر داخل بناء مسجد ، سواء كان القبر سابقا لبناء المسجد ثم بُنِي المسجد عليه ، أو كان المسجد هو السابق ثم دُفِن الميت فيه ، وسواء كان في قبلة المسجد أو في مؤخرته ، أو في يمينه أو شماله.

الثالثة: أن يكون القبر في فِناء المسجد ، كما هو الحال في بعض المساجد المحاطة بفناء من بعض جوانبها ثم يلي ذلك جِدار أو سور يحيط بأرض المسجد ، فالصلاة عند القبر في هذه الحالة يعتبر من اتخاذ القبور مساجد ، لأن القبر يقع ضمن الأرض الموقوفة للمسجد.

وأما بيان تحريم ذلك فاعلم – رحمنا الله وإياك – أن تحريم الصلاة في المساجد المبنية على القبور مُطَّرِدٌ في كل حال ، سواء كان القبر يقع في مسجد أو في مقبرة أو في أرض فلاة ، وسواء كان القبر أمام المصلي أو خلفه ، أو عن يمينه أو عن شِماله ، أو في أرض مكشوفة أو في مسجد ، وسواء كان المسجد الذي يقع فيه القبر هو السابق ثم دُفن الميت فيه ، أم كان القبر هو السابق ثم بُنِي المسجد عليه ، وسواء كان القبر في نفس الطابق الذي يُصلي فيه المصلي أو في طابقٍ علوي أو سفلي ، وسواء كان القبر داخل بناء المسجد أو في فِنائه ، لأن فناء المسجد تابع للمسجد ، فلما كان تعظيم صاحب القبر مشتَركا بين جميع هذه الحالات فإن الصلاة فيها محرمة ، لأنه من المعلوم في

---

1 «المغني» ، باب الصلاة في النجاسة وغير ذلك ، (468/2).

2 «مجموع الفتاوى» (27/ 160).

الشريعة الإسلامية أن الحكم الشرعي يدور مع علته وجودا وعدما ، والعلة هنا هي وجود القبر في مكان الصلاة ، ومن ثم التفات القلب إليه في الصلاة بدلا أن يكون التفاته خالصا لله تعالى.

تنبيه:

واعلم حفظك الله أن التحريم يشتد إذا كانت الصلاة إلى جهة القبر لسببين:

الأول: أن المصلي إذا جعل القبر أمامه انطوى ذلك على تعظيم أكثر لصاحب القبر مقارنة بحاله لو لم يكن القبر أمامه.

الثاني: أن هذا الفِعل فيه تشبه بعبدة الأوثان الذين يجعلون معبوداتهم أمامهم ثم يعبدونها ، والتشبه بالكفار في عباداتهم منكر مستقل.

تنبيه آخر:

ثم اعلم رحمك الله أن الصلاة في مسجِدٍ فيه قبر أشد تحريما من الصلاة عند قبر مجرد عن مسجد ، كقبر في مقبرة أو في أرضِ فلاة ، لأن الدافع للمصلي في الحالة الأولى سيكون هو وجود القبر فيه وتعظيمه لذلك القبر ، وهذا حرام ، وهو من التنقص لجناب التعظيم لله تعالى ، لأن الذي ينبغي هو أن يكون التعظيم خالصا لله تعالى ، لا يَشْرَكُهُ فيه أحدٌ غيره ، وبهذا يتبين أن تحريم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر أشد تحريما من الصلاة عند القبور المجردة من المساجد ، والله الهادي.

فصل في بيان حكم الصلاة عند القبور من جهة صحتها أو بطلانها

قد يسأل سائل فيقول: أما وقد علمنا أن الصلاة عند القبور غير جائزة ، فهل هذا يقتضي بطلان الصلاة ووجوب إعادتها ، أم أن الصلاة صحيحة مع حصول الإثم؟

الجواب: اعلم رحمك الله تعالى أن العلماء قد اختلفوا في صحة الصلاة ، فمنهم من قال ببطلانها بمقتضى نصوص اللعن الواردة في ذلك ، مستندين على كون اللعن على فعل أمر معين يقتضي بطلانه ، وممن قال بهذا القول وجزم به ابن تيمية رحمه الله حيث قال:

فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم ؛ يتعين إزالتها بهدم أو بغيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين ، **وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه ، ولا**

تصح عندنا في ظاهر المذهب لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك ولأحاديث أخر ، وليس في هذه المسألة خلاف.[1] اهـ.

ونقل عنه قولهُ جلال الدين السيوطيُّ الشافعي في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع»[2].

وقال تلميذه العلامة ابن القيم[3] رحمه الله: ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لنهي الرسول ﷺ عن ذلك ، ولعنِهِ من اتخذَ القبر مسجدا ، أو أوقد عليه سراجا[4] ، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه ، وغُربته بين الناس كما ترى.[5]

وقال ابن تيمية أيضا: ولم يقل أحد من أئمة المسلمين: (إن الصلاة عنده والدعاء عنده أفضل منه في المساجد الخالية من القبور) ، بل اتفق علماء المسلمين على أن الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تبن على القبور أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بنيت على القبور ، **بل الصلاة والدعاء في هذه منهي عنه مكروه باتفاقهم** ، وقد صرح كثير منهم بتحريم ذلك ، **بل وبإبطال الصلاة فيها.**[6]

---

1 «اقتضاء الصراط المستقيم» (675/2).

2 ص 124 .

3 هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة 728 ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة 751 ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

4 يشير رحمه الله إلى حديث: "لعَن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" ، وقد تقدم الكلام على لفظة «السرج» وبيان أنها ضعيفة ، ولا يعني هذا جواز إسراج القبور ، بل هو ممنوع ، لكونه من الغلو بالمقبور ومن البدع المحدثة في الدين ومن إضاعة المال أيضا.

5 «زاد المعاد» (572/3).

6 «اقتضاء الصراط المستقيم» (774/2-775).

فالحاصل أن جمهور العلماء يقولون ببطلان الصلاة عند القبور ، ومن العلماء من قال أن الصلاة عند القبور صحيحة ولا تجب إعادتها ولكن فاعل ذلك قد ارتكب كبيرة ، وفي كلا الحالين ففاعل ذلك آثم باتفاق العلماء ، والقول ببطلان الصلاة قول قوي كما ترى ، فالواجب الحذر ، والله أعلم.

استثناء

اعلم رحمني الله وإياك أن المقصود بالصلاة المنهي عن أدائها عند القبور هي الصلاة ذات الركوع والسجود ، أما صلاة الجنازة لمن فاته أداؤها في المسجد فجائز أداؤها في المقبرة ، ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلا أسود – أو امرأة سوداء – كان يَقُمُّ[1] المسجد فمات ، فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات ، قال: أفلا كنتم آذنتموني به؟ دلوني على قبره – أو قال: على قبرها – ، فأتى قبره فصلى عليه.[2]

شبهة والجواب عنها

ظن بعض أهل العلم أن علة النهي عن الصلاة عند القبور إنما هي لأجل نجاسة صديد الموتى ، والأمر ليس كذلك من وجوه ستة نلخصها من كلام ابن تيمية[3] وتلميذه ابن القيم[4] رحمهما الله:

الأول: أن هذا التعليل بهذا ليس مذكورا في الحديث ، ولم يدُل عليه الحديث لا نصّا ولا ظاهرا ، وإنما هي علة ظنوها ، والعلة الصحيحة عند غيرهم ما ذكره غير واحد من العلماء من السلف والخلف في زمن مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ؛ إنما هو ما في ذلك من التشبه بالمشركين ، وأن تصير ذريعة إلى الشرك.

الثاني: أن القول بأن تعليل النهي بنجاسة التراب لا يستقيم مع كون قبور الأنبياء داخلة في النهي عن الصلاة عندها ، فإن قبور الأنبياء لا تُنتن لأن الأنبياء لا يَبلون أصلا ، وليس للنجاسة عليها

---

1 يقُمُّ المسجِد أي يكنِسه ويُزيل قُمامته.

2 رواه البخاري (458) واللفظ له ، ومسلم (956).

3 انظر «مجموع الفتاوى» (27/159 – 160).

4 انظر «إغاثة اللهفان» ، ص 339 – 342 .

طريق البتة ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[1] ، فهم في قبورهم طريون ، فتراب قبورهم طاهر.

الثالث: أن نجاسة التراب لا يباشرها المصلي في صلاته ، بل بينه وبينها حائل ، وهو إما تراب طاهر ، أو فرشٌ طاهر.

الرابع : أن النبي ﷺ نبش قبور المشركين من الأرض وأخرج رفاتهم ولم يأمر بنقل التراب المختلط بهم ، ولو كانت علة النهي عن الصلاة في المقبرة هي نجاسة صديد الموتى المختلط بالتراب لأمر بنقل التراب أيضا.

الخامس : أن نجاسة البقعة ليست وسيلة إلى اتخاذ القبور أوثاناً التي هي علة النهي الواردة في الأحاديث ، فلا يصح أن يعلل النهي عن الصلاة عند القبور بذلك ، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[2] ، وتبعه جلال الدين السيوطي الشافعي[3] ، رحمهما الله تعالى.

السادس: أنه أخبر أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ، ولو كان ذلك لأجل النجاسة ، لكان ذكر الحشوش والمجازر أولى من ذكر القبور.

وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه ، وفَهِمَ عن الرسول ﷺ مقاصده ؛ جزم جزماً لا يحتمل النقض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي ليس لأجل النجاسة ، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه.

---

1 انظر الحديث الوارد في هذا الباب عند أبي داود (1047) والنسائي (1373) وابن ماجه (1085) وأحمد (8/4) عن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه ، وقد صححه الألباني رحمه الله.

2 انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (678/2).

3 انظر كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ، ص 136 .

شبهة أخرى

روى ابن حبان في كتاب «المجروحين» عن بكر بن زياد الباهلي ، عن عبد الله بن المبارك ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن زرارة بن أوفى ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

لما أسري بي إلى بيت المقدس ، مر بي جبريل بقبر أبي عليه السلام فقال : يا محمد ، انزل فصل هنا ركعتين ، هذا قبر أبيك إبراهيم.

ثم مر بي ببيت لحم[1] فقال: انزل فصل هٰهنا ركعتين ، فإن هٰهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام.

ثم أَتى بي إلى الصخرة فقال: يا محمد ، هٰهنا عرج إلى السماء.

قال ابن حبان: وذكر كلاما طويلا أكره ذكره.

ورواه ابن الجوزي من طريق ابن حبان به في كتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات».[2]

فربما ظن بعض الناس أن في هذا الحديث دلالة على جواز الصلاة عند القبور ، والجواب:

هذا حديث موضوع ، رواه ابن حبان ثم قال: حدثناه محمد بن أحمد بن إبراهيم – بالرملة – ، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن عميرة البلوي المقدسي ، قال: حدثنا بكر بن زياد الباهلي ، فذكره.

قال ابن حبان في بكر: شيخ دجال ، يضع الحديث على الثقات ، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه.

قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»[3]: (صدق ابن حبان) ، قلت: ولهذا ذكره في «ترتيب الموضوعات».[4]

وذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة».[5]

---

[1] هي بلدة قرب «بيت المقدس». انظر «معجم البلدان» (521/1) ، الناشر: دار صادر – لبنان.

2 (162/1).

3 (61/2) في ترجمة بكر بن زياد.

4 رقم 8 .

5 ص 441 .

فصل في بيان أدلة النهي عن بناء المساجد على القبور

فصل في بيان أن بناء المساجد على القبور محرمٌ في المذاهب الأربعة ، بل قد أجمع العلماء على تحريمه

شبهات والجواب عنها

لم يكتف أقوام بمجرد الصلاة عند القبور ، بل بنوا عليها مساجد لتستقر الصلاة عندها وتثبت على الدوام ، فريضة كانت أو نافلة ، اعتقادا منهم أن ذلك أعظم أجرا من الصلاة في المساجد الخالية من القبور ، وأن الدعاء في المساجد التي تضم قبورا أقرب للإجابة من المساجد الخالية من القبور ، بل إن بعضهم ينفق أموالا طائلة لبناء مسجد ، ثم يوصي بأن يدفن فيه!

ولو رجعنا إلى السنة النبوية لوجدنا أن النبي ﷺ لعن فاعلي ذلك ، ونص على أنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

فصل في بيان أدلة النهي عن بناء المساجد على القبور

تقدم في أول هذا البحث ذكر تسعة أدلة من السنة النبوية الصحيحة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، وقد علمنا أن من أشد صور اتخاذ القبور مساجد هو بناء المساجد عليها.

وهذا حديث عاشر خاص وصريح في النهي عن بناء المساجد على القبور وهو حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات **بنوا على قبره مسجدًا** وصوَّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة.[1]

قال ابن عبد البر رحمه الله: هذا يُحرِّم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد.[2]

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: هذا الحديث يدل على **تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين** وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى ، **ولا ريب أن كل واحد منهما محرَّم على انفراده** ، فتصوير صور الآدميين محرم ، وبناء المساجد على القبور بانفراده محرم كما دلت عليه نصوص أخر.[3]

---

1 رواه البخاري (427) ، ومسلم (528) واللفظ له.

2 «التمهيد» ، كتاب الجامع ، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة ، (326/14).

3 «فتح الباري» لابن رجب ، شرح حديث رقم (427).

الدليل الحادي عشر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، **والمتخذين عليها المساجد** والسُّرُج.[1]

الدليل الثاني عشر: دليل من القرآن في النهي عن بناء المساجد على القبور[2]:

قال ابن رجب رحمه الله:

وقد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث[3] ، وهو قول الله عز وجل ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾[4] ، فجعل اتخاذ القبور على المساجد[5] من فِعل أهل الغلبة على الأمور ، وذلك يُشعر بأن مستندَهُ القهر والغلبة واتباع الهوى ، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المتبعين لما أنزل الله على رسله من الهدى.[6] اهـ.

أقول: وقد كتب لي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي[7] رحمه الله فائدة فقال: بل الأصح أن قومهم كانوا كفاراً ، بدليل قوله تعالى بعدها ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق﴾ ، والذي لا يعلم أن وعد الله حق كافر. انتهى.

---

1 رواه أبو داود (3236) والترمذي (320) ، والنسائي (2042) وأحمد (229/1) ، وهو حديث صحيح لغيره كما قرره الألباني في «السلسلة الضعيفة» (225) ، إلا لفظة «السرج» فإنها ضعيفة ، ولكن هذا لا يعني أن اتخاذ السرج والمصابيح جائز ، بل هو ممنوع لكونه من مظاهر تعظيم القبور ، والذين يُسرجون القبور يقصدون بذلك تعظيم الميت بألا يكون قبره مظلما ، وهذا غلو واضح ، وقد مات النبي ﷺ وصحابته ولم يوص أحد منهم بأن يضاء قبره ، وهم أحق الناس بذلك لو كان مشروعا ، وسيأتي مزيد كلام على مسألة إسراج القبور.

2 تعمدتُ تأخير هذا الدليل مع كونه من القرآن مراعاة لقوة الاستدلال ، فالأدلة المتقدمة تدل بمنطوقها على النهي عن بناء المساجد على القبور ، وهذا الدليل يدل بمفهومه (أي بالاستنباط) على ذلك النهي.

3 يعني حديث: لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

4 سورة الكهف: 21 .

5 هكذا ، ولعله سبق قلم ، ولا شك أن قصده: (اتخاذ المساجد على القبور ...)

6 «فتح الباري» ، كتاب الصلاة ، باب: هل تنبش قبور الجاهلية ، (193/3).

7 هو العلامة المحدث مجدد الدعوة السلفية باليمن الشيخ مقبل بن هادي الهمداني الوادعي ، طلب العلم في مكة والمدينة ، ثم عاد إلى بلده وقام بالدعوة السلفية ، وأنشأ مدرسة علمية بقرية «دماج» تسمى بدار الحديث ، رحل إليه طلبة العلم من أنحاء الدنيا واستفادوا منه ، ثم صار بعضهم في مصاف العلماء. للشيخ مقبل مؤلفات كثيرة تزيد على الأربعين مؤلفا. توفي رحمه الله عام 1422 .

قلت: فإذا تبين أن بناء المساجد على القبور من طُرُق الكفار التعبدية ؛ فالواجب على العبد مجانبة فعلهم وتركه.

الدليل الثالث عشر: إجماع الصحابة والتابعين ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، على ترك دفن الموتى في المساجد ، وكذلك بناء المساجد على القبور ، مع كون المقبورين في زمانهم هم أفضل الناس وخير الأمم.

ومما جاء عن الصحابة في كراهية بناء المساجد على القبور ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن أنس أنه كان يكرهُ[1] أن يَبنِيَ[2] مَسجِدًا بين القبور.[3]

ومما جاء عن التابعين في كراهية بناء المساجد على القبور ؛ ما رواه ابن أبي شيبة بإسناده عن إبراهيم النخعي ، أنه كان يكره أن يجعل على القبر مسجدا.[4]

قال الألباني رحمه الله: وإبراهيم هذا هو ابن يزيد النَّخَعي الإمام ، وهو تابعي صغير ، مات سنة 96 ، فقد تلقى هذا الحكم بلا شك من بعض الصحابة أو ممن أدركهم ، ففيه دليل قاطع أنهم يرون بقاء هذا الحكم واستمراره بعده ﷺ .[5]

قال ابن تيمية رحمه الله: وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد ؛ محدثةٌ في الإسلام ، والسفر إليها محدث في الإسلام ، لم يكن بُني من ذلك شيء في القرون الثلاثة المفضلة.[6]

بل قد قرر ابن تيمية أن بناء المساجد على القبور لم يعرف إلا في أواخر المائة الثالثة ، قال رحمه الله: وكان ظهور المشاهد وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة ، وكثر فيهم الزنادقة الملبِّسون على المسلمين ، وفشت فيهم كلمة أهل البدع ، وذلك من دولة المقتدر **في أواخر المائة**

انظر ترجمته في كتاب «الإبهاج بترجمة العلامة المحدث أبي عبد الرحمٰن مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج» ، لحميد بن قائد العتمي ، الناشر: دار شرقين – صنعاء.

1 تقدم بيان معنى الكراهة عند المتقدمين وأنها تعني التحريم.

2 الفاعل مستتر تقديره (هو) ، أي الرجل أو العبد.

3 رقم (7579).

4 «مصنف ابن أبي شيبة» ، برقم (11743).

5 «تحذير الساجد» ، ص 92 – 93 .

6 «الاستغاثة في الرد على البكري» ، ص 334 – 335 .

الثالثة ، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ، ثم جاءوا إلى أرض مصر ، وقريباً من ذلك ظَهَر بنو بُويه ، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية.[1]

فصل في بيان أن بناء المساجد على القبور محرمٌ في المذاهب الأربعة ، بل قد أجمع العلماء على تحريمه

وبناءً على النهي الوارد في الأحاديث فقد قال علماء المذاهب الأربعة بتحريم بناء المساجد على القبور ، وفيما يلي نص أقوالهم[2]:

مذهب الأحناف

قال الإمام محمد الشيباني رحمه الله ، تلميذ أبي حنيفة:

لا نرى أن يزاد على ما خرج من القبر ، ونكره أن يجصص أو يطين **أو يجعل عنده مسجدًا**.[3]

والكراهة عند الحنفية إذا أطلقت فهي للتحريم كما هو معروف عندهم.

وقد عقد د. شمس الدين الأفغاني رحمه الله فصلا في كتابه «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» ذكر فيه جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية في البناء على القبور ، ثم نقل بعض الشبهات التي تثار حول هذا الموضوع وأجاب عنها.[4]

مذهب المالكية

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»:

اتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه لا يجوز.

ثم ساق الأحاديث الدالة على ذلك ثم قال:

---

1 «مجموع الفتاوى» (466/27).

2 وقد نقلت أقوالهم وبعض مظانها من الكتاب النفيس «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للعلامة الألباني رحمه الله.

3 كتاب «الآثار» ، ص 45 .

4 انظر الصفحات 1613- 1646 .

قال علماؤنا: وهذا يحرِّم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد.

وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها.[1]

أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى ، فيؤدي إلى عبادة من فيها ، كما كان السبب في عبادة الأصنام.[2]

قلت: وللشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله – من متأخري المالكية – كلام طويل في تحريم الصلاة عند القبور واتخاذ المساجد عليها ، ذكره في كتابه «أضواء البيان» عند تفسير قوله تعالى ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ من سورة الحجر.

مذهب الشافعية

قال الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب «الأم» ما نصه: وأكره أن يبنى على القبر مسجد.[3]

وقال النووي رحمه الله: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر ، سواء كان الميت مشهورا بالصلاح أو غيره ، لعموم الأحاديث.[4]

وقال جلال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع»:

«وما سوى ذلك من المحدثات كالصلاة عندها واتخاذها مساجد **وبناء المساجد عليها** ؛ فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك ، والتغليظ على فاعله ، فأما بناء المساجد عليها وإشعال القناديل أو الشمع أو السرج عندها ؛ فقد لُعن فاعله كما جاء عن النبي ﷺ ، **وصرح عامة علماء الطوائف بالنهي عن ذلك** ، متابعة للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك ، ولا ريب في القطع بتحريمه».

ثم ذكر حديث جندب رضي الله عنه.[5]

---

1 تقدم تخريجه.

2 «الجامع لأحكام القرآن» (388/10 – 389) ، تفسير سورة الكهف: 21 .

3 «الأم» ، كتاب الجنائز ، باب ما يكون بعد الدفن ، وقد تقدم بيان أن معنى الكراهة عند المتقدمين هو التحريم.

4 «المجموع» ، (289/5) ، وسيأتي قريبا إن شاء الله ذكر كلام جلال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله وحكايته اتفاق أهل العلم على النهي عن بناء المساجد على القبور.

5 ص 129 – 130 باختصار يسير.

مذهب الحنابلة

قال ابن قدامة رحمه الله: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر[1] ، ولأن النبي ﷺ قال: لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر مثل ما صنعوا. متفق عليه.

ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها.

وقد رُوِينا أن ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحِها والصلاة عندها.[2]

وسُئل ابن تيمية رحمه الله: هل تصح الصلاة فى المسجد إذا كان فيه قبر والناس تجتمع فيه لصلاتي الجماعة والجمعة أم لا؟

وهل يُمهَّد القبر أو يعمل عليه حاجز أو حائط؟

فأجاب:

الحمد لله ، اتفق الأئمة أنه **لا يبنى مسجد على قبر** ، لأن النبى ﷺ قال: إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك.

وأنه لا يجوز دفن ميت فى مسجد ، فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر ، إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدا.

وإن كان المسجد بُني بعد القبر ؛ فإما أن يُزال المسجد وإما أن تُزال صورة القبر ، فالمسجد الذي على القبر لا يُصلَّى فيه فرض ولا نفل ، فإنه مَنهي عنه.[3]

وقال ابن تيمية أيضا: فإن نهيه عن اتخاذ القبور مساجد يتضمن **النهي عن بناء المساجد عليها** ، وعن قصد الصلاة عندها ، **وكلاهما منهي عنه باتفاق العلماء** ، فإنهم قد نهوا عن بناء المساجد على القبور ، بل صرحوا بتحريم ذلك ، كما دل عليه النص.[4]

وقال ابن القيم رحمه الله عند ذكر الفوائد المستنبطة من قصة مسجد الضِّرار الذي بناه المنافقون: ومنها[5]: أن الوقف لا يصح على غير بِرٍّ ولا قربة ، كما لم يصح وقف هذا المسجد[6] ، وعلى هذا

---

1 يعني قوله ﷺ : لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد.

2 «المغني» (3/ 441) ، باختصار.

3 «مجموع الفتاوى» (22/194-195)..

4 «اقتضاء الصراط المستقيم» (2/774-775).

5 أي من الفوائد.

6 أي مسجد الضرار.

فيهدم المسجد إذا بُني على قبر ، كما ينبش الميت إذا دفن في المسجد ، **نص على ذلك الإمام أحمد وغيره ، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر** ، بل أيهما طرأ على آخر مُنع منه ، وكان الحكم للسابق ، فلو وُضِعا معاً لم يجز ، ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز ، ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لِنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ولعنه من اتخذ القبر مسجدا ، أو أوقد عليه سراجاً ، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه ، وغربته بين الناس كما ترى.[1]

وقال أيضا في «زاد المعاد» في ذكر فوائد غزوة الطائف:

ومنها[2] : أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً ، فإنها شعائر الكفر والشرك ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، **وهكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور** التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد **للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل** ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وأعظمُ شركاً عندها وبها ، والله المستعان.[3]

وقال أيضا بعد كلام له عن قطع عمر رضي الله عنه لشجرة الرضوان : وأبلغ من ذلك[4] ؛ أن رسول الله ﷺ هدَم مسجد الضرار ، ففي هذا دليل على هدم ما هو **أعظم فسادا منه ، كالمساجد المبنية على القبور** ، فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها ، حتى تُسوَّى بالأرض ، **وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار**.[5]

قال مقيده عفا الله عنه: ومن غير علماء المذاهب الأربعة ، فقد قال العلامة محمد بن علي الشوكاني[6] رحمه الله:

---

1 «زاد المعاد في هدي خير العباد» (572/3).

2 أي من الفوائد.

3 «زاد المعاد» (506/3) .

4 أي من قطع عمر للشجرة.

5 «إغاثة اللهفان» (380/1).

6 هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اليمني ، درس على شيوخ كثر في فنون كثيرة ، وألف كتبا كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» ، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير» ، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني» ، وله رد على أرباب القول باتحاد الخالق

كيف يقال إن المسلمين لم ينكروا على من فعل ذلك وهم يرددون أدلة النهي عنه ، واللعن لفاعله ، **خلفا عن سلف في كل عصر** ، ومع هذا فلم يزل علماء الإسلام منكرين لذلك ، مبالغين في النهي عنه ، وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين – وهو الإمام المحيط بمذاهب سلف الأمة وخلفها – **أنه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور**.

ثم قال: **وصَرَّح أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك** ، وطائفة أطلقت الكراهة ، لكن ينبغي أن يحمل ذلك على كراهة التحريم إحسانا للظن بهم[1] ، وأن لا يُظن بهم أن يُجوِّزوا ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه.[2]

وقال أيضا رحمه الله في كتابه «شرح الصدور في تحريم رفع القبور» ما نصه:

وقال أيضا: فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد **بنيت عليه قبة** فدخلها ، ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلألئة ، وقد سطعت حوله مجامر الطيب ، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه **تعظيما لذلك القبر** ، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة ، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله إلى إضلال العباد ، وما يزلزله عن الإسلام قليلا قليلا **حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه فيصير في عداد المشركين** ، وقد يحصل له هذا الشرك لأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة وعند أول زَورة له ، إذ لا بد أن يخطر بباله أن هذه الغاية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه **إما دنيوية وإما أخروية** ، ويستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه زائرا لذلك القبر وعاكفا عليه ، ومتمسكا بأركانه ، وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون على ذلك القبر يخادعون من يأتي إليه من الزائرين ، يُهوِّلون عليه الأمر ، ويصنعون أمورا من أنفسهم ، وينسِبونها إلى الميت على وجه لا يفطن له من كان من المغفلين ، وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت ويبثونها في الناس ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس ، فتَشيع وتستفيض ويتلقاها

والمخلوق في كتاب «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد» ، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت 114 مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة 1250 . انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع» ، وانظر «الأعلام» للزركلي (298/6).

1 مقصود الشيخ أن الطائفة التي قالت بكراهة البناء على القبور تقصد كراهة التحريم لا التنزيه.

2 «شرح الصدور» ، ص 37 .

من يُحسن الظن بالأموات ، ويقبلُ عقلُه بما يُروى عنهم من الأكاذيب ، ويرويها كما سمعها ويتحدث بها في مجالسه فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد ، وينذرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم ، ويحبسون على قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلى قلوبهم لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيرا عظيما وأجرا بليغا ، ويعتقدون أن ذلك قربة عظيمة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة ، فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم على ذلك القبر ، فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل وهوَّلوا على الناس بتلك التهاويل وكذبوا بتلك الأكاذيب لينالوا جانبا من الحُطام[1] من أموال الطَّغام[2] الأغتام[3].

وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقاف على القبور وبلغت مبلغا عظيما ، حتى بلغت غلاَّت ما يُوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه لاقتاته[4] أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين ، ولو بيعت تلك الحبائس[5] الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء ، وكلها من النذر في معصية الله ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : "لا نذر في معصية الله" ...

ولا شك أن غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طَلب منهم طالب أن ينذر بذلك الذي نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقربة من القربات لم يفعل ولا كاد ، فانظر إلى أين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء في هُوَّة بعيدة القعر ، مظلمة الجوانب!

فهذه مفسدة من مفاسد **رفع القبور وتشييدها** وزخرفتها وتجصيصها.[6]

فالخلاصة أن بناء المساجد على القبور حرام ، وعليه فيحرم إدخال القبور في المساجد ، والذي جاءت به الشريعة أن تجعل المقابر على حدة ، والمساجد على حدة ، لأن الله لم يشرع بناء المساجد لدفن الموتى فيها ، ولا المقابر للصلاة فيها ، بل شرع الله المساجد للعبادة فحسب ، والمقابر لدفن الموتى فحسب ، واللهُ أَعلَمُ.

---

1 أي حطام الدنيا.

2 الطغام هم أوغاد الناس. انظر «لسان العرب».

3 الأغتم هو الذي لا يفصح شيئا ولعل المقصود عظم جهلهم وبلادة تفكيرهم.

4 أي جعلوه قوتا.

5 أي الأوقاف كما في «النهاية في غريب الأثر».

6 «شرح الصدور» للشوكاني ، ص 30 - 34 .

شبهات والجواب عنها

الشبهة الأولى: استدل كثير من الناس على جواز بناء المساجد على القبور بكون قبر النبي ﷺ في المسجد النبوي ، ولو كان هذا الفعل حراما لم يجعل القبر في المسجد – بحسب ظنهم!

والجواب عن هذه الشبهة: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد ، وإنما دُفن في بيته في حجرة عائشة رضي الله عنها كما تقدم ، وهذا أمر معروفٌ مقطوعٌ به لا خلاف فيه ، وكان المسجد آنذاك مفصولاً عن بيت النبي ﷺ بجدار كان يخرج منه النبي ﷺ ويدخل ، وفي عام ثمانية وثمانين هجري بعد موت النبي ﷺ وكافة الصحابة ، احتاج المسلمون إلى توسعة المسجد ، وكان ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك ، فأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ ، فأُدخل بيت عائشة برُمته في المسجد ، فصارت الحجرة النبوية في المسجد بما في ذلك قبر النبي ﷺ ، فظن بعض الناس ممن أتوا بعد ذلك أن النبي ﷺ قبر في المسجد ابتداء.[1]

ولكن مما ينبغي التنبه إليه هو أن المسجد النبوي قد وُسِّع عدة مرات ، في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما لما كثُر المسلمون ، ولكنهم لم يجعلوا التوسعة من جهة الحجرات بل من الجهات الأخرى ، لعلمهم بما سيحصل جرَّاء ذلك من محذور ، ولهذا لما وسَّع عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسجد النبوي لم يتعرض للحجرة النبوية التي تلي المسجد ، بل قال: (إنه لا سبيل إليها)[2] .

قال الألباني رحمه الله: ولهذا نقطع بخطأ الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه ، ولئن كان مضطرا إلى توسيع المسجد ، فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة النبوية.[3]

---

1 انظر قصة توسعة المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك في «تاريخ الأمم والملوك» ، المعروف بـ «تاريخ الطبري» ، أحداث سنة 88 .

2 «طبقات ابن سعد» (21/4) ، كما في «تحذير الساجد» ص 65 .

3 «تحذير الساجد» ، ص 64 .

قال العلامة الحافظ محمد بن عبد الهادي[1] رحمه الله في «الصارم المنكي»: وإنما أُدخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك **بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة** ، وكان من آخرهم موتا جابر بن عبد الله ، وتوفي في خلافة عبد الملك فإنه توفي سنة ثمان وسبعين ، والوليد تولى سنة ست وثمانين وتوفي سنة ست وتسعين ، فكان بناء المسجد وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك.[2]

وقال أيضا: وكانت الحجرة على عهد الصحابة خارجة عن المسجد متصلة به ، وإنما أُدخلت فيه في خلافة عبد الملك بن مروان بعد موت العبادلة ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وابن عمرو ، بل **موت جميع الصحابة الذين كانوا بالمدينة.**[3]

قلت: ولهذا ذكر ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية»[4] أنه حُكي عن سعيد بن المسيب – وهو أحد كبار التابعين – إنكاره على الوليد بن عبد الملك إدخاله حجرة عائشة رضي الله عنها التي فيها قبر الرسول ﷺ في المسجد ، ولهذا قال الألباني رحمه الله معلقا: إن إنكار سعيد على الوليد ليس ببعيد ، لأنه تابعي ، وهو أحد رواة حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: "قاتل الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ، والوليد عفا الله عنه فعل ذلك دون استشارة لأهل العلم ، وفِعلُه ليس بحجة.[5]

---

1 هو الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ، تفقه على ابن تيمية وابن القيم والذهبي والمزي وغيرهم ، ترجم له الذهبي في «المعجم المختص بالمحدثين» فقال: (الفقيه البارع المقرىء المجود المحدث الحافظ النحوي الحاذق ذو الفنون ، كتب عني واستفدت منه). وقال ابن كثير رحمه الله: (كان حافظا علامة ناقدا ، حصَّل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ، وبرع في الفنون ، وكان جبلا في العلل والطرق والرجال ، حسن الفهم ، صحيح الذهن ...). له عدة مؤلفات منها «المحرر في الأحكام» ، و «الصارم المنكي في الرد على السبكي» في مسألة تجويز السفر لزيارة القبور ، وله كتاب «اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية» ، وله غيرها. توفي عام 744 عن تسعة وثلاثين سنة. باختصار وزيادة من «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر رحمه الله.

2 ص 137 ، ط دار الكتب العلمية.

3 المرجع السابق ، ص 305 – 306 .

4 حوادث سنة ثمان وثمانين.

5 «تحذير الساجد» ، ص 61 – 62 ، وذكره ابن تيمية كما في «الفتاوى» (418/27).

وقد حاول المسلمون تقليل المخالفة التي وقع فيها الوليد نوعاً ما ، فرفعوا جدار البيت الذي يقع في ناحية القبلة حتى لا يُتصور القبر للمصلين بصورة العبادة ، قال ابن رجب: "قال القرطبي رحمه الله تعالى: بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعلَوا حيطان تربته[1] ، وسَدُّوا الداخل إليها وجعلوها مُحدقةً بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يُتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مُستقبل المصلين فتُتصور الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره ، ولهذا السبب قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره."[2]

وخلاصة القول في جواب هذه الشبهة ثلاثة أمور:

الأول: أن النبي ﷺ لم يُدفن في المسجد وإنما دفن في بيته.

الثاني: أن الصحابة لم يشهدوا إدخال الحجرة النبوية في المسجد ، ولو كانوا ثمَّ لما حصلت التوسعة من جهة الحجرات ، فقد وُسِّع المسجد مرارا في زمن الخلفاء الراشدين ، ولم تتناول التوسعة الحجرات النبوية.

الثالث: أن إدخال الحجرة النبوية في المسجد كان خطأً من الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه.

تنبيه: ولو أن القائمين على شئون المسجد النبوي الآن أرجعوا حد المسجد النبوي إلى ما كان عليه في السابق لكان خيرا وأبعد عن الفتنة ، وذلك بفصل جدار الحجرة الغربي عن المسجد بحائط يمتد من جدار المسجد الجنوبي إلى الشمال بمسافة كافية لئلا يُتصور حائط القبر للمصلي ، ثم ينثني الحائط شرقا إلى أن يلتقي بجدار المسجد الشرقي الذي تم إنشاؤه في التوسعة الحديثة التي قام بها الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله ، فلو فعلوا ذلك لكان خيراً وأبعد للناس عن الافتتان بقبر النبي ﷺ ، وفقهم الله لذلك ... آمين.[3]

الشبهة الثانية : استدل بعض الناس على جواز البناء على القبور بكون النبي ﷺ دُفن في حجرة عائشة رضي الله عنها.

والجواب على هذا من وجهين:

---

1 أي حجرته .

2 «فتح الباري» لابن رجب ، (3 /248) .

3 استفدت هذه الفائدة من «تحذير الساجد» ، ص 68 .

الأول: جواب مجمل ، وهو أن يقال إن شريعة الله ليس فيها تناقض ، فمن المحال أن ينهى النبي ﷺ عن أمر ثم يفعله صحابته به بعد وفاته مباشرة مجمعين على ذلك .

الثاني: جواب مفصل ، وهو أن الصحابة لم يدفنوا النبي ﷺ في غرفة عائشة بقصد تعظيمه ، وإنما لسببين:

الأول: عزل قبره عن الناس لئلا يغلو في تعظيمه ، وقد تقدم ذكر أدلة ذلك.

الثاني: تحقيق ما اختص الله به نبيه ﷺ وسائر أنبياءه ، وهو دفنه في المكان الذي قُبِض فيه وهو حجرة عائشة رضي الله عنها ، ودليل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما قُبِض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه ، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته ، قال: (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه) ، ادفنوه في موضع فراشه.[1]

فإن قيل: فهل يجوز إذن دفن سائر الناس في البيوت؟

فالجواب: قال ابن قدامة رحمه الله: والدفن في مقابر المسلمين أعجب إلى أبي عبد الله[2] من الدفن في البيوت ، لأنه أقل ضررا على الأحياء من ورثته ، وأشبه بمساكن الآخرة ، وأكثر للدعاء له ، والترحم عليه ، ولم يزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يُـقبرون في الصحارَى.[3]

أما الذين يبنون الأبنية على القبور فإنهم يقصدون بذلك تعظيم صاحب القبر لا إبعاد الناس عن تعظيمه ، فداعي الأمرين مختلف ، وبهذا تزول الشبهة والحمد لله.

الشبهة الثالثة: استدل بعضهم على جواز بناء المساجد على القبور بما رواه الطبراني فقال:

حدثنا عبدان بن أحمد ، ثنا عيسى بن شاذان ، ثنا أبو همام الدلال ، ثنا ابراهيم بن طهمان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : في مسجد الخيف قُبِر سبعين نبيا.[4]

---

[1] رواه الترمذي (1018) عن عائشة رضي الله عنها ، وصححه الألباني رحمه الله في «أحكام الجنائز» ، ص (174) بما له من الطرق والشواهد.

ورواه غيره عن سلم بن عبيد الأشجعي موقوفا ، انظر تخريج شعيب الأرناؤوط للحديث في حاشيته على «سنن الترمذي» (1039) ، ط الرسالة العالمية – بيروت.

[2] أي أحبُّ إلى أبي عبد الله وهو الإمام أحمد .

[3] «المغني» (441/3).

4 «المعجم الكبير» (414/12) ، برقم (13525).

ورواه البزار عن أبي همام به.[1]

وقد أجاب العلامة الألباني رحمه الله عن هذه الشبهة مبينا أن هذا الحديث ضعيف الإسناد ، لأن في إسناده عيسى بن شاذان ، قال فيه ابن حبان في « الثقات»: يُغْـرِب ، أي يأتي الغرائب.
وفي إسناده أيضاً إبراهيم بن طهمان وهو ثقة يُغْـرِب أيضا ، كما قال الحافظ ابن حجر.[2]
ثم قال الألباني: "وأنا أخشى أن يكون الحديث تحرف على أحدهما[3] فقال «قُـبِر» بدل «صلى» ، لأن هذا اللفظ الثاني هو المشهور في الحديث ، فقد أخرج الطبراني في «الكبير»[4] بإسناد رجاله ثقات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا: "صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا" ، وقال المنذري (116/2): رواه الطبراني في «الأوسط»[5] ، وإسناده حسن.
ولا شك في حُسن الحديث عندي[6]."[7]
فالحاصل أن الثابت هو أن مسجد الخَيف الذي بمِنى صلى فيه سبعون نبياً ولم يُقبر فيه سبعون نبياً ، وبهذا تزول الشبهة والحمد لله.

الشبهة الرابعة: استدل بعضهم على جواز بناء المساجد على القبور بما رواه الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صلى جبريل عليه السلام على آدم عليه السلام ، كبر عليه أربعا ، صلى جبريل بالملائكة يومئذ ، **ودُفن في مسجد الخَيف** ، وأُخذ من قِبل القبلة ، ولُحِّد له ، وسُنِّم قبره.[8]

والجواب ما قاله محقق الكتاب[9] حفظه الله:

---

1 «كشف الأستار عن زوائد البزار» (48/2).
2 «تحذير الساجد» ، ص 70 – 71 .
3 أي عيسى بن شاذان أو ابراهيم بن طهمان.
4 ج 11 برقم (12283).
5 (468/5) برقم (5407).
6 قال في «صحيح الترغيب والترهيب» (1127): حسن لغيره.
7 «تحذير الساجد» ، ص 69 وما بعدها.
8 «سنن الدارقطني» ، كتاب الجنائز ، باب مكان قبر آدم ﷺ والتكبير عليه أربعا ، برقم (1794).
9 وهو الشيخ مجدي بن منصور الشورى ، والكتاب من منشورات مكتبة عباس أحمد الباز – مكة.

إسناده ضعيف جدا ، قلت: عبد الرحمن بن مغول ، قال أبو داود: كان يضع الحديث ، وقال البخاري: حديثه ليس بشيء ، وعبد الله بن مسلم بن هرمز ضعيف كما في «التقريب».

الشبهة الخامسة: استدل بعض الناس على جواز بناء المساجد على القبور بما رواه الحاكم في «الكنى»[1] عن عائشة مرفوعا: "إن قبر إسماعيل في الحِجر" ، على جواز الصلاة في المساجد المبنية على القبور.

والجواب عن هذه الشبهة أن هذا الحديث ضعفه أهل العلم ، كالسخاوي في «المقاصد الحسنة»[2] ، والعجلوني في «كشف الخفاء» وقال: رواه الديلمي بسند ضعيف عن عائشة مرفوعا.[3]

وكذا ضعفه الألباني في «تحذير الساجد»[4].

وقال الألباني رحمه الله: لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دُفنوا في المسجد الحرام ، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة كالكتب الستة ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة وغيرها من الدواوين المعروفة ، وذلك من أعظم علامات كون الحديث ضعيفا بل موضوعا عند بعض المحققين ، وغاية ما يروى في ذلك آثار معضلات ، بأسانيد واهيات موقوفات ، أخرجها الأزرقي في «أخبار مكة» ، ثم ذكر الأثر المتقدم.[5]

وقد ضعَّف الحديث المتقدم جمع من أهل العلم ، انظر للتوسع «موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة»."[6]

---

1 «الأسامي والكنى» (239/1) ، برقم (126) ، لأبي أحمد الحاكم ، تحقيق: يوسف الدخيل ، الناشر: مكتبة الغرباء.

2 انظر «مختصر المقاصد الحسنة» للزرقاني برقم (704) ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

3 «كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» ، برقم (1854) ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

4 «تحذير الساجد» ، ص 76 .

5 «تحذير الساجد» ، ص 75 – 76 .

6 برقم (15589).

الشبهة السادسة: تعلق بعضهم بما ورد في قصة أبي جندل رضي الله عنه التي ذكرها ابن عبد البر رحمه الله في «الاستيعاب» عن موسى بن عقبة أنه لما توفي أبو بصير رضي الله عنه دفنه أبو جندل وصلى عليه وبنى على قبره مسجدا!

والجواب عن هذه الشبهة[1] من وجوه:

الأول: أن القصة ضعيفة الإسناد ، فإن موسى بن عقبة راوي القصة لم يسمع من أحد من الصحابة لا أبي بصير ولا غيره ، لأنه لم يدرك أحداً من الصحابة أصلاً ، فسند القصة معضل.

الثاني: أن هذه الرواية تخالف روايات أصح منها ، فقصة أبي جندل نفسها مع أبي بصير قد رواها البخاري (2731) وأحمد (328/4 – 331) موصولة من طريق عبد الرزاق عن معمر قال: أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بها ، دون هذه الزيادة ، أي: وبنى على قبره مسجدًا.

وكذلك أوردها ابن إسحاق في «السيرة» عن الزهري مرسلا ، ووصله أحمد (323/4 – 326) من طريق ابن اسحاق عن الزهري عن عروة به ، مثل رواية معمر ، وليس فيها هذه الزيادة.

وكذا رواها ابن جرير في «تاريخه» (271/3 – 285) من طريق معمر وابن اسحاق وغيرهما عن الزهري به دون هذه الزيادة.

فدل ذلك على أن هذه الزيادة منكرة لإعضالها وعدم رواية الثقات لها.

الثالث: لو قدرنا جدلاً صحة هذا النقل عن أبي جندل ، فإن فعله لا يصح أن يقدم على قول النبي ﷺ ، فكيف إذا كان المنقول عنه غير ثابت نسبته إليه ، وبهذا يزول الإشكال والحمد لله.

الشبهة السابعة : قال بعضهم بجواز بناء القباب على القبور استدلالا بوجود قبة الآن على قبره ﷺ !

والجواب على هذه الشبهة قد قاله الصنعاني[2] رحمه الله تعالى في كتابه «تطهير الاعتقاد من أدران الشرك والإلحاد» بقوله:

---

1 ملخصا من «تحذير الساجد» ، ص 80- 82 .

2 هو محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير ، المنتهي نسبه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف ، ولد سنة 1099 هـ ، برع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء ، له مصنفات جليلة منها «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» ، و «الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف» ، و«مسألة في الذبائح على

هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ ، ولا من الصحابة ، ولا من تابعيهم ، ولا تابعي التابعين ، ولا من علماء أمته وأئمة ملته ، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين ، وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنه 678 هـ ، ذكره في «تحقيق النصرة بتخليص معالم دار الهجرة» ، فهذه أمور دولية لا دليلية ، يَتْبَع فيها الآخر الأول.[1]

قال مقيده عفا الله عنه: وقد وجه سائل من السودان سؤالا إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية فقال:

عندي في السودان بعض رجال المتصوفة يستدلون على بناء القباب على الميت بالقبة المشيدة على قبر النبي ﷺ ، ما حكم الدين في ذلك ؟ فأجابت لجنة الإفتاء بما نصه:

ليس في إقامة القبة على قبر النبي ﷺ حجة لمن يتعلل بذلك في بناء قباب على قبور الأولياء والصالحين ، **لأن إقامة القبة على قبره لم تكن بوصية منه ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الهدى في القرون الأولى التي شهد لها النبي ﷺ بالخير ، إنما كان ذلك من أهل البدع** ، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ، وثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهيَّاج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته. رواه مسلم.

القبور وغيرها» ، و«سبل السلام» اختصره من «البدر التمام» للمغربي ، و «العدة» ، وهي حاشية على «شرح العمدة» لابن دقيق العيد ، وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين. توفي رحمه الله سنة 1182 .

انتهى باختصار وزيادة من «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للإمام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله.

[1] «تطهير الاعتقاد» ، ص 43 ، باختصار.

فإذا لم يثبت عنه ﷺ بناء قبة على قبره ولم يثبت ذلك عن أئمة الخير بل ثبت عنه ما يبطل ذلك لم يكن لمسلم أن يتعلق بما أحدثه المبتدعة من بناء قبة على قبر النبي ﷺ ، وبالله التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.[1]

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

نائب رئيس اللجنة	**عضو**	**عضو**
عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان	عبد الله بن قعود

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

[1] «فتاوى اللجنة الدائمة» (2/182-183) ، فتوى رقم 6258 ، ط مكتبة المعارف ، الرياض.

المظهر الثالث: بناء الغرف والقبب ونحوها على القبور

واجب المسلمين تجاه المساجد المبنية على القبور

خلاصة في بيان المفاسد المترتبة على اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها

فائدة

خاتمة لمظاهر اتخاذ القبور مساجد الثلاثة المتقدم ذكرها وهي:

(اتخاذ القبور مساجد ، بناء المساجد على القبور ، بناء الغرف والقبب على القبور)

المظهر الثالث: بناء الغرف والقبب ونحوها على القبور

ومن الأمور المنتشرة في بعض بلاد المسلمين ؛ البناء على القبور بالآجُرِّ[1] أو الرخام أو السيراميك ، أو طلاؤها بالجص ، وهو ما يعرف بالتجصيص[2] أو التقصيص ، سواء كان البناء يباشر القبر من الخارج ، أو كان على شكل قبة أو غرفة فوق القبر ، فكل هذا محرم شرعا للأسباب الخمسة التالية:

الأول: أنه مخالف لهدي النبي ﷺ في دفن الميت.

الثاني: أن البناء سبب لتعظيم الميت والغلو فيه ، فإن الزائرين إذا رأوا بناءً فوق القبر هالهم ذلك ، ومن ثم عَظُم الميت في نفوسهم ، فتعلقت قلوبهم به ، ومن ثم دعوه وتوجهوا إليه ، كما هو واقع في بعض بلاد المسلمين مع الأسف الشديد ، والمشروع هو ترك القبر بلا بناء ، يستوي في ذلك المسلمون كلهم.

الثالث: تحجير الأرض على من سيُدفن فيها بعد أن يَبلى الميت الأول ، لأن الناس سيتحرجون من هدم البناء ودفن ميت آخر مكانه ، فيكون في ذلك البناء تحجير وتضييق على من سيدفن لاحقا ، بخلاف ما لو أعطي للقبر الأول مجال أن يندثر فيُدفن مكانه ميت جديد.

الرابع: لو جعل الناس على كل قبر معظم بناء لامتلأت البلد أبنية للموتى بدلا من أن تكون أبنية للأحياء ، وفي هذا من المشقة ما لا يخفى.

الخامس: أن تجصيص القبور من المباهاة وزينة الحياة الدنيا ، وتلك منازل الآخرة ، **وليس بموضع للمباهاة** ، وإنما يزين الميت علمه الصالح.

أدلة النهي عن البناء على القبور

وقد جاء في النهي عن البناء على القبور عدة أحاديث وآثار عن النبي ﷺ وصحابته والتابعين ، منها:

حديث جابر رضى الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن **يُجصّص القبر** ، وأن يُقعد عليه ، **وأن يُبنى عليه**.[3]

---

1 الآجر نوع من الطوب ، ومادته طبيخ الطين. انظر «لسان العرب».

2 التجصيص هو طلاء الأبنية بالجص ، والجص طلاء أبيض ، يستعمل للتزيين ، وهو سبب لتقوية ما طلي به ، لأنه إذا يبس صار صلبا متماسكا ، فإن طلي به تراب القبر كان ذلك سببا في ثبات التراب وعدم اندثاره ، والجص هو الذي يسمى في زماننا بالجبس.

3 رواه مسلم (970).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله ﷺ أن **يُبنى على القبر أو يُجصَّص**.[1]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ **نهى أن يبنى على القبور** ، أو يقعد عليها ، أو يُصلَّى عليها.[2]

وقال النعمان بن أبي شيبة: توفي عَمٌّ لي بالجَنَد[3] ، فدخلت مع أبي على ابن طاووس فقال: يا أبا عبد الرحمٰن ، هل ترى أن أُقَصِّص[4] قبر أخي ، قال: فضحك وقال: سبحان الله يا أبا شيبة ، خير لك ألا تعرف قبره ، إلا أن تأتيه فتستغفر له وتدعو له ، أما علمت أن رسول الله ﷺ نهى عن قبور المسلمين أن يبنى عليها أو تجصص أو تُزْدرع[5] ، فإن خير قبوركم التي لا تُعرف.[6]

وأوصى أبو موسى رضي الله عنه حين حضره الموت فقال: إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي ، ولا يتبعني مِجمَر[7] ، ولا تجعلوا في لحدي[8] شيئا يحول بيني وبين التراب ، **ولا تجعلوا على قبري بناءً** ، وأُشهدكم أني بريء من كل حالقةٍ أو سالقةٍ أو خارقة.[9]

قالوا: أوَسمعت فيه شيئا؟

قال: نعم ، من رسول الله ﷺ .[10]

---

1 رواه أحمد (299/6) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره (179/44).

2 رواه أبو يعلى في «مسنده» (1020) ، وصحح الألباني رحمه الله إسناده في «تحذير الساجد» ، ص 22 .

3 الجَنَد بلدة باليمن في مدينة «تعز» جنوب صنعاء ، وانظر «معجم البلدان» لياقوت الحموي.

4 أي أُجَصِّص.

5 أي يُزرع عليها شيء من الزروع ، والذين يفعلون هذا إما يقصدون تخفيف العذاب على الموتى ، وهذا باطل لأنه حادثة عين فعلها النبي ﷺ مرة واحدة وهي خاصة به ﷺ ، لم يشرعها لأمته ، ولهذا لم يفعلها أحد من الصحابة ، أو يقصدون التشبه بالنصارى ، فإن قبور النصارى تشبه الحدائق من كثرة الزروع والورود ، وهذا الفعل باطل لأن التشبه بالكفار في شعائرهم الدينية حرام.

6 «مصنف عبد الرزاق» ، رقم (6495).

7 المِجمر بكسر الميم هو الإناء الذي يوضع فيه النار للبخور ، وقصده ألا يلحقه أحد بنار.

8 اللحد هو الشق الذي في جانب القبر.

9 الحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والسالقة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة ، والخارقة التي تخرق ثوبها عند المصيبة ، وهذه كلها من مظاهر النياحة على الميت التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم لأنها تخالف ما أمر به الإسلام من الرضا بقضاء الله وقدره.

10 رواه أحمد (397/4) ، وقال الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» ص 92 : إسناده قوي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى أن يُبنى على القبر.[1]

وأوصى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أهله بألا يضربوا على قبره فُسطاطا.[2]

ورأى ابن عمر رضي الله عنهما فُسطاطا ، وهو البيت المصنوع من الشَّعر ، ويسمى أيضا بالخيمة ، رآه على قبر عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق ، أخي عائشة رضي الله عنها ، فقال: انزعه يا غلام ، فإنما يُظله عمله.[3]

وكذا أبو هريرة رضي الله عنه ؛ أوصى بأن **لا يُبنى على قبره** فُسطاطا.[4]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن محمد بن كعب قال: هذه الفساطيط التي على القبور محدثة.[5]

ومما يدل على أن البناء على القبور محدث في الإسلام أن مقبرة البقيع بالمدينة النبوية تضم جما غفيرا من سادات الأمة ، من الصحابة وسادات أهل بيت النبي ﷺ وسادات التابعين ، غير أن اجتناب السلف الصالح للبناء عليها **وتجصيصها** أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم ، فلذلك لا يُعرف قبور أفرادٍ معدودة منهم.[6]

بل قال مالك: (مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف ، وباقيهم تفرقوا في البلدان)[7] ، وغالبهم لا يعرف عين قبره ، ولا جهته.

وقد عدَّ ابن بطة[1] رحمه الله تجصيص القبور والبناء عليها من البدع فقال: ومن البدع **البناء على القبور وتجصيصها** ، وشد الرحل إلى زيارتها.[2]

---

1 رواه ابن ماجه (1564) ، وصححه الألباني.

2 رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (11748).

3 رواه البخاري معلقا في كتاب الجنائز ، باب الجريد على القبر ، رقم الباب (81) ، ووصله الحافظ في «تغليق التعليق» (2/492-493) ، الناشر: المكتب الإسلامي.

4 رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (11747) ، ورواه أحمد (2/292) ، وقال محققو «المسند» (13/293): صحيح لغيره.

5 «مصنف ابن أبي شيبة» (11751).

6 انظر «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» ، ص 916 ، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – لبنان.

7 عزا السمهودي ما بين القوسين إلى كتاب «المدارك» للقاضي عياض رحمه الله. انظر كتابه «وفاء الوفاء» (ص 916).

وقال الشافعي رحمه الله: وأحب ألا يُجصص[3] ، فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء ، وليس الموت موضع أحد منهما ، ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة.

وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها ، فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك.[4]

قال القرطبي رحمه الله: ويكره الآجر في اللحد ، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه ، لأن الآجر لإحكام البناء ، والقبر وما فيه للبِلى ، فلا يليق به الإحكام ، وعلى هذا يُسوَّى بين الحجر والآجر.[5]

وقال الإمام مالك : أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبنى عليها.[6]

وقال ابن القيم رحمه الله: وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها ، لأنها أُسِّست على معصية الرسول ، لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم ، فبناءٌ أُسِّس على معصيته ومخالفته بناء محرم ، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعا.[7]

وقال الشيخ العلامة صديق حسن خان القنوجي[8] رحمه الله: الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور ، فما صدَق عليه أنه قبر مرفوع أو مُشرف فهو منكر شرعا يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها ، من غير فرقٍ بين نبي وغير نبي ، وصالح وطالح ، فقد مات جماعة من أكابر

---

[1] هو عبيد الله بن محمد بن محمد العكبري ، المعروف بابن بطة ، الإمام الصالح القدوة ، الفقيه الحنبلي ، له كتاب مسند في عقيدة أهل السنة والجماعة وهو «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» ، توفي سنة 387 ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (612/8) – الناشر: دار الغرب الإسلامي.

2 انظر «الإبانة الصغرى» ص 366 ، تحقيق: د. رضا بن نعسان معطي ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

3 أي القبر.

4 «الأم» ، كتاب الجنائز ، باب ما يكون بعد الدفن.

5 «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ، تفسير سورة الكهف ، آية رقم 21 ، باختصار يسير.

6 «المدونة» (189/1).

7 «إغاثة اللهفان» (380/1).

8 هو الإمام العلامة المحقق محيي السنة وقامع البدعة ، أبو الطيب ، صديق بن حسن بن علي لطف الله القِنَّوجي ، نزيل بهوبال بالهند وأميرها ، له عدة مؤلفات ، منها في العقيدة «الدين الخالص» و«قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» ، وله في الفقه «الروضة الندية شرح الدرر البهية» ، وله غيرها في التفسير والحديث ، توفي رحمه الله سنة 1307 .

باختصار وزيادة من مقدمة د. عاصم بن عبد الله القريوتي لتحقيق كتاب الشيخ صديق «قطف الثمر» ، الناشر: عالم الكتب – لبنان.

الصحابة في عصره ﷺ ولم يرفع قبورهم ، بل أمر عليا بتسوية المشرف منها ، ومات صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يَرفع قبره أصحابه.

فما أحقُّ الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشِّعار الذي أرشدهم إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لا يناسب العلم والفضل ، فإنهم لو تكلموا لضجوا من اتخاذ الأبنية على قبورهم وزخرفتها ، لأنهم لا يرضون بأن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته ، فإن رضوا بذلك في الحياة –كمن يوصي مَن بعده أن يجعل على قبره بناء أو يزخرفه – فهو غير فاضل ، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قبره ما هو مخالف لهدي نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبور وتشييدها.[1]

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله منكرا لمظهر البناء على القبور ، ومبينا أن سكوت بعض العلماء عليها ليس إقرارا لها:

«فما كل سكوتٍ رضَى ، فإن هذه منكرات أسَّسَها من بيده السيف والسنان ، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه ، وأعراضهم تحت قوله وكلامه ، فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد؟ فإن هذه القباب والمشاهد أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد ، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه ، وغالب – بل كل – من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة ، إما على قريب لهم ، أو على من يحسنون الظن فيه».[2]

وقال الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله حاكيا **إجماع المسلمين على** تحريم البناء على القبور ، **و**وجوب أن يكون القبر مكشوفا إلى السماء ، غير مغطى بغرفة ولا قبة ولا مسجد ولا غير ذلك ، قال:

«اعلم أنه قد **اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت** أن رفع القبور **والبناء عليها** بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها ، واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها كما يأتي بيانه ، **ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين**».[3]

---

1 «الروضة الندية» ، كتاب الجنائز ، باختصار وتصرف يسير.

2 «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» ، ص 52 – 53 ، تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله.

3 «شرح الصدور في تحريم رفع القبور» ص 20 ، الناشر: دار الهجرة – صنعاء.

واجب المسلمين تجاه المساجد المبنية على القبور

تبين لنا مما سبق أن اتخاذ القبور مساجد حرام ومنكر ، وما كان منكرا فيجب على المسلمين إزالته بحسب قدرتهم ، وهذه مسؤولية ولي الأمر أو من يقوم مقامه من أهل الحسبة ، كما قال النبي ﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان.[1]

فاذا كان المسجد سابقًا للقبر فالواجب نبش القبر وإخراج الميت ودفنه في المقبرة ، وبهذا يكون المسجد سليما.

واذا كان القبر سابقا للمسجد ، ثم اتُّخِذ المسجد عليه فالواجب هدم المسجد ، لأنه لم يؤسس على تقوى من الله ، ولقصد تعظيم الله ، بل لقصد تعظيم ذلك الميت ، فوجب هدمه ، لأن كل ما أُسِّس لغير الله فالمشروع هدمُه ، ولهذا هدم النبي ﷺ مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ، لأنه لم يؤسس على تقوى من الله ورِضوان.

كذلك فإن الله تعالى لم يَشرع بناء المساجد لتكون قبورا ، ولا القبور لتكون مساجدَ ، فوجب ردُّ كُلَّ شيء إلى عِلَّته الشرعية ، والله أعلم.

خلاصة في بيان المفاسد المترتبة على اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها

بناء على ما تقدم ، **فاتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها** تترتب عليه مفاسد عظيمة منها:

1. المفسدة الكبرى : وهي ما يزينه الشيطان للمصلي في المسجد المبني على القبر من دعوة هذا الميت والاستغاثة به أو الصلاة له ، وهذا هو الشرك الأكبر.
2. ما يزينه الشيطان في قلب المصلي من اعتقاد فضيلة العبادة في تلك المساجد التي دفن فيها الموتى ، وهذا اعتقاد لا صحة له لأن جميع المساجد متساوية في أجر الصلاة فيها إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد بيت المقدس ، فمن ادعى أن الصلاة في غير هذه الأماكن فيها مزيد أجر فقد افترى على الله وعلى رسوله ﷺ .

---

1 رواه مسلم (49) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

3. أن اتخاذ القبور مساجد فيه تحريفٌ للحكمة التي من أجلها شرع الله بناء المساجد ، من عبادة الله والصلاة فيها إلى دفن الموتى فيها.
4. أن اتخاذ القبور مساجد دافعه هو تعظيم المقبور لا تعظيم الله ، وهذا أيضا فيه تحريف للحكمة التي من أجلها شرع الله بناء المساجد.
5. أن اتخاذ القبور مساجد مؤد إلى بطلان الصلاة عندها ، وعليه فسيكون عمل الإنسان سُدى.
6. أن اتخاذ القبور مساجد فيه تشبه باليهود والنصارى ، وهذا محرم بحد ذاته ، والواجب مخالفتهم لا متابعتهم!

فلأجل هذه المفاسد وغيرها ، أتت الشريعة بتحريم اتخاذ القبور مساجد ، ومن باب أولى بناء المساجد على القبور ، فالواجب أن تجعل المقابر على حدة ، والمساجد على حدة ، لأن الله لم يشرع بناء المساجد لدفن الموتى فيها ، ولا المقابر للصلاة فيها ، بل شرع الله المساجد للعبادة فحسب ، والمقابر لدفن الموتى فحسب ، والله أعلم.

فائدة

اعلم رحمك الله أن الأماكن التي يُنهى عن الصلاة فيها ليست مخصوصة بالمقابر أو المساجد التي فيها قبور ، بل هي متعددة ، ولكن أشدها تحريما القبور ، لما يترتب على ذلك من مفسدة التعلق بالمقبور ، والكلام في ذكر تلك الأماكن يطول ، ولكن نسردها هنا على سبيل الإيجاز[1]:

1. الصلاة في مواضع الخسف والعذاب ، ودليله أن عليا رضي الله عنه مر بخسْفِ «بابل» فلم يُصلِّ بها.[2]

---

1 بحث هذه المسألة بتوسع الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله في «الأضواء» عند الكلام على تفسير قوله تعالى ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ من سورة الحجر.
كما أودع الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله كتابه «الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب» بحثا نفيسا في المواضع العشرة المنهي عن الصلاة فيها في نحو ستين صفحة (1/357 – 416) ، فليراجعها من أراد التوسع.

2 رواه ابن أبي شيبة في كتاب الصلاة ، باب في الصلاة في الموضع الذي قد خُسِفَ به ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه» في كتاب الصلاة ، باب الصلاة في المكان الذي فيه العقوبة.

2. الصلاة في الأماكن الغير محترمة ، كالحمام والمزبلة ، وقد ورد في النهي عن الصلاة في الحمام حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكره في أول الكتاب ، والمزبلة مَقِيسةٌ على الحمام.
3. الصلاة في الكنائس التي فيها تماثيل ، وقد قال عمر رضي الله عنه: إنا لا ندخل كنائسكم من أجل الصور التي فيها – يعني التماثيل.[1]

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يكره أن يصلِّي في الكنيسة إذا كان فيها تماثيل.[2]

والكنائس معابد النصارى ، والبِيَع معابد اليهود.

4. الصلاة في مَبَارِك الإبل ، ودليل النهي عن ذلك قول النبي ﷺ لما سأله رجل فقال: أصلي في مبارك الإبل؟ فقال: لا.[3]
5. ما كان فيه تشبه بصلاة الكفار ، كالصلاة إلى التماثيل – ولو لم تكن في كنائس – وإلى النار ونحو ذلك ، ومن المعلوم أن التشبه بالكفار في عباداتهم هو أقبح أنواع التشبه.

---

1 رواه عبد الرزاق في «مصنفه» في كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة.

2 انظر المرجع السابق.

3 رواه مسلم (360).

خاتمة لمظاهر اتخاذ القبور مساجد الثلاثة المتقدم ذكرها وهي:
(اتخاذ القبور مساجد ، بناء المساجد على القبور ، بناء الغرف والقبب على القبور)

خلاصة القول أن الصلاة عند القبور وبناء المساجد عليها محرمة بدلالة النصوص الشرعية ، وكذا بناء الغرف والتوابيت عليها ، لأن هذا وسيلة للغلو فيها وتعظيمها ، ومن ثم العبادة والصلاة عندها ، كما حصل في الأمم السابقة ، والواجب أن تكون المساجد على حِدةٍ ، والقبور على حِدة ، فما بُنِيت المساجد لتكون مقابر ، وما بُنِيت القبور لتكون مساجد ، والله أعلم.

اعلم رحمني الله وإياك أن رفع مستوى القبر بزيادة التراب عليه منهي عنه إلا بقدر شبر ، ليعرف أنه قبر فلا يُمتهن بوطءٍ أو جلوس ، وعلة النهي أن في رفع مستوى القبر تعظيمًا لصاحب القبر ، والواجب تسويته بالأرض إلا مقدار شبر[1] ، وقد جاء في النهي عن رفع تراب القبر عدة أحاديث وآثار عن رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ، منها:

لما تولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ ؛ بعث لهدم ما بُني على القبور أبا الهَيَّاج الأسدي وكان رئيس شرطته ، فعن أبي الهَيَّاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟

أن لا تدع تمثالا إلا طمستَهُ ، **ولا قبرا مُشرفا إلا سوَّيتَهُ**.[2]

مشرفا أي مرتفعا.

وليلاحظ القارىء الكريم أن النبي ﷺ قرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور المرتفعة ، إذ بكليهما يُتوصل لعبادة غير الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وعن جابر رضى الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُبنى على القبر **أو يُزاد عليه** أو يُجصَّص.

زاد سليمان بن موسى[3]: أو يُكتب عليه.[4]

وعن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برَودَس[5] ، فتوفي صاحب لنا ، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسُوِّي ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ **يأمر بتسويتها**.[6]

وعن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة أن عثمان خرج فأمر بتسوية القبور فسويت ، إلا قبر أم عمرو ابنة عثمان ، فقال: ما هذا القبر؟

فقالوا: قبر أم عمرو.

فأمر به فسُوِّي.[7]

---

1 سيأتي قريبا إن شاء الله بيان دليل التخصيص بمقدار شبر.

2 رواه مسلم (969).

3 هو أحد رواة الحديث.

4 رواه أبو داود (3226) والنسائي (2026) واللفظ له ، وصححه الألباني.

5 «رَوْدَس» جزيرة قبالة الإسكندرية في وسط بحر الشام ، فتحها المسلمون سنة ثلاث وخمسين. انظر «معجم البلدان» مادة «أفرنجة».

6 رواه مسلم (968).

7 رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (11795) ، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» ص 88 .

وروى ابن أبي شيبة عن مولى لابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي ابن عباس: إذا رأيت القوم قد دفنوا ميتا فأحدثوا في قبره ما ليس في قبور المسلمين ؛ **فَسَوِّه** بقبور المسلمين.[1]

وقال معاوية رضي الله عنه: إن **تسوية القبور** من السنة ، وقد رفعت اليهود والنصارى فلا تتشبهوا بهم.[2]

وقال الشافعي رحمه الله: وأحب ألا يزاد في القبر تراب من غيره ، وإنما يشخص على وجه الأرض شبرا أو نحوه.[3]

وكما تقدم ، فإنه يُستثنى من النهي عن رفع القبور تسنيمها ، وهو رفعها قليلا بمقدار شبر كهيئة السَّنام حتى يُعرف أنه قبر ، فلا يُجلس عليه ولا يوطأ ولا يُنبش مرة أخرى.

قال القرطبي رحمه الله: والتسنيم في القبر ؛ ارتفاعه قدر شبر ، مأخوذ من سنام البعير.[4]

وقد وردت عدة آثار عن السلف الصالح رضي الله عنهم على جواز التسنيم ، منها ما رواه البخاري عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبي ﷺ مُسنَّما.[5]

وروى ابن أبي شيبة عن سفيان التمار قال: دخلت البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ ، فرأيت قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وعمر مسنمة.[6]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن الشعبي قال: رأيت قبور شهداء أحد جُثًا[7] مسنمة.[8]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن أبي ميمونة عن أبيه أن عمران بن حصين أوصى أن يجعلوا قبره مرتفعا ، وأن يرفعوه أربع أصابع أو نحو ذلك.[9]

---

1 «المصنف» برقم (11796).

2 أخرجه الطبراني في «الكبير» (352/19) ، وروى شطره الأول ابن أبي شيبة في «المصنف» (11797).

3 «الأم» ، كتاب الجنائز ، باب ما يكون بعد الدفن ، باختصار.

4 «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ، تفسير سورة الكهف ، آية رقم 21 ، باختصار يسير.

5 «صحيح البخاري» (1390).

6 «مصنف ابن أبي شيبة» برقم (11733).

7 الجُثا جمع جُثوة ، وهو الشيء المجموع. انظر «النهاية» ، مادة «جثا» ، والمعنى أن قبور شهداء أحد كانت مجموعة إلى بعضها البعض غير مفرقة.

8 «مصنف ابن أبي شيبة» برقم (11735).

9 «مصنف ابن أبي شيبة» برقم (11746).

وقال الشافعي رحمه الله: أكره أن يرفع القبر إلا بقدر ما يعرف أنه قبر ، لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه.[1]

قال ابن قدامة رحمه الله: ولا يستحب رفع القبر إلا شيئا يسيرا ، لقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: لا تدع تمثالا إلا طمستَهُ ، ولا قبرا مشرفا إلا سوَّيتَهُ. رواه مسلم وغيره.

ثم قال: وتسنيم القبر أفضل من تسطيحه[2] ، وبه قال مالك وأبو حنيفة والثوري.[3]

فإن قيل: فما هو المشروع إذن في قبر الميت من الداخل؟

فالجواب أن المشروع هو تغطية الميت بألواح اللَّبِن[4] ، ثم إهالة التراب عليه ، ثم رفعه قليلا لكي يعرف أنه قبر.[5]

وأما تطيين القبور – وهو تغطيتها بشيء من الطين أو رش الماء عليها بعد الدفن – فليس داخلا في تعلية القبور ، لأن المقصود منه تثبيت سنامه ليعرف أنه قبر فلا يوطأ ولا يجلس عليه ، فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده عن الحسن البصري أنه لم يكن يرى بأسا برش الماء على القبر.[6]

وروى أيضا بإسناده عن أبي جعفر أنه قال: لا بأس برش الماء على القبر.[7]

قال الترمذي رحمه الله: وقد رخص بعض أهل العلم – منهم الحسن البصري – في تطيين القبور ، وقال الشافعي: لا بأس أن يطين القبر.[8]

---

1 «سنن الترمذي» (367/3).

2 أي أن يُجعل كهيئة السنام ، وسطه أعلى من طرفيه ، بخلاف المسطح ، وهو المستوية جميع أجزائه.

3 «المغني» ، كتاب الجنائز ، (435/3 – 437).

4 هي قطع مضروبة من الطين دون أن تطبخ بالنار ، فإن طبُخ صار آجُرّا. انظر «لسان العرب».

5 انظر للتوسع «كتاب الجنائز» للشيخ الألباني رحمه الله.

6 «المصنف» برقم (12055).

7 «المصنف» برقم (12056).

8 قاله الترمذي في «سننه» بعدما ساق حديث جابر رضي الله عنهما رقم (1052).

المظهر الخامس: اتخاذ السرج على القبور

ومن مظاهر تعظيم القبور إنارتها بالسُّرُج والمصابيح ونحوها ، والذين يُسرجون القبور يقصدون بذلك تعظيم الميت لئلا يكون قبره مظلما ، وهذا من الغلو المذموم ، فقد مات النبي ﷺ وصحابته ولم يوص أحد منهم بأن يضاء قبره ، وهم أحق الناس بذلك لو كان مشروعا.

ثم إن في إيقاد السرج على القبور صرفا للمال في غير فائدة ، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال.

قال ابن قدامة رحمه الله: ولا يجوز اتخاذ السرج على القبور لأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة ، **وإفراطا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام.**[1]

وقد عدَّ ابن حجر الهيتمي[2] رحمه الله إسراج القبور من كبائر الذنوب ، فقال في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر»:

الكبيرة الحادية والثانية والثالثة والعشرون بعد المائة: اتخاذ المساجد أو السرج على القبور ، وزيارة النساء لها ، وتشييعهن الجنائز. انتهى.

فائدة:

تقدم التنبيه إلى أن حديث: "لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج"[3] حديث صحيح لغيره كما قرره الشيخ الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (225 ، 525) إلا لفظة "السرج" فذكر أنها زيادة ضعيفة.

وممن ضعف زيادة "السرج" الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله ، حيث قال في فائدة كتبها لي شخصيا:

حديث لعن المتخذين السرج على القبور ضعيف ، لأن في سنده أبا صالح مولى أم هانئ واسمه باذام أو باذان ، وهو ضعيف ، لكن اتخاذ السرج على القبور بدعة لأنه لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. انتهى.

فإن قيل: ما حكم الإنارة بالسراج ونحوه في حالة الدفن بالليل لرؤية الطريق ومكان الدفن ونحوذلك؟

---

1 «المغني» (3/440 – 441) ، باختصار.

2 هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي ، فقيه شافعي ومتصوف ، قدم إلى مكة فجاور بها إلى أن مات ، توفي سنة 973 . انظر ترجمته في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ، لابن العماد ، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

3 رواه أبو داود (3236) ، والترمذي (320) ، والنسائي (2042) ، وأحمد (1/229) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فالجواب أنه لا بأس في هذه الحالة بأن يصطحب القائمون على دفن الميت معهم سراجا لرؤية الطريق ومكان الدفن ونحو ذلك ، ثم يُخرجونه معهم.[1]

1 انظر «القول المفيد على كتاب التوحيد» (429/1) للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

ومما يُلحق بمظاهر تعظيم القبور وضع الستائر عليها ، وفرشها بالسجاد والرخام ، وكسوة القبر بكسوة خاصة ، وإفاضة الطيب عليه ، وجعل سدنة وحُجاب وحرس خاصين على بابه ، ووضع شباك ينظر منه الناس إلى القبر ، وكذلك وضع العساكر عند القبر كما هو معمول على قبر رئيس مصر السابق (أنور السادات) ، فقد مررت ذات مرة في أحد سفراتي إلى القاهرة بالشارع الذي يمر بقبره ، فإذا بعسكري في وضع التحية واقف عند قبره ، فلما سألت رفاقي عن هذا قالوا لي إن حكومة مصر أمرت بأن يقف عسكري على مدار الساعة عند قبر أنور السادات في وضع التحية ، يذهب عسكري وعند نهاية دوامه يأتي عسكري آخر ، وهكذا على مر الأيام والسنين!!!

فهذا كله من التعظيم الزائد ومن البدع المحدثة في دين الله التي لم يرد الحث عليها في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ، قال الشيخ علي بن محمد سعيد السُّويدي الشافعي[1] رحمه الله في كتابه «العقد الثمين في بيان مسائل الدين» منتقدا ما يفعله بعض الناس عند القبور:

فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع ، ويكتبون عليها الآيات القرآنية ، ويعملون لها التوابيت من خشب الصَّندل والعاج ، ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العِقيان[2] والفضة الخالصة ، ولم يُرضِهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيرها ، وعلقوا عليها قناديل الذهب ، وبنوا عليها قبابا من الذهب أو الزجاج المنقوش ، وزخرفوا أبوابها ، وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها ، خوفا عليها من اللصوص ، كل ذلك مخالِف لدين الرسل ، وعين المحادة لله ورسوله ، فإن كانوا متبعين ؛ فلينظروا إليه ﷺ كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب ، وينظروا إلى قبره الشريف وما عملت الصحابة فيه.[3]

وقال الشيخ الحسين بن محمد المغربي[4] رحمه الله في كتابه «البدر التمام شرح بلوغ المرام»:

---

1 هو أبو المعالي ، علي بن محمد سعيد السويدي البغدادي العباسي ، محدث مؤرخ ، له كتاب «الكوكب المنير في شرح المناوي الصغير» وغيرها ، توفي سنة 1237 ، انظر ترجمته في «معجم المؤلفين» (506/2) ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

2 العِقيان هو الذهب الخالص. انظر «النهاية».

3 نقلا من «الشرك ووسائله عند أئمة الشافعية» ، المبحث الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية ، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.

4 الشيخ الحسين من علماء اليمن في القرن الحادي عشر الهجري ، سمي بالمغربي لأنه من غرب اليمن ، وإلا فهو يمني الأصل والنشأة ، درس على جمع من علماء اليمن ، ثم تولى القضاء والتدريس ، شرح كتاب بلوغ المرام

وظاهر هذه الأخبار المقترنة باللعن والتشبيه بالوثن بقوله: (لا تجعلوا قبري وثنا يعبد من دون الله) ؛ تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتجصيص[1] ، ووضع الصندوق المزخرف ، ووضع الستائر على القبر وعلى سمائه ، والتمسح بجدار القبر ، وأن ذلك قد يفضي مع بُعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان ، فكان في المنع عن ذلك بالكلية قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد ، وهو المناسب للحكم المعتبر في تشريع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد ، سواء كانت بنفسها ، أو باعتبار ما تُفضي إليه.[2]

لابن حجر في كتابه «البدر التمام» ، ثم اعتمده الصنعاني في شرحه المطول «سبل السلام» . توفي رحمه الله سنة 1119 هـ.

باختصار وزيادة من ترجمته التي قام بها محقق كتابه المذكور: علي بن عبد الله الزبن ، وانظرها مطولة في كتاب «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف» ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني اليمني الصنعاني رحمه الله.

1 التجصيص هو طلاء الأبنية بالجص ، وقد تقدم الكلام عليه.

2 «البدر التمام» (4/232 – 233) ، تحقيق علي بن عبد الله الزبن ، بتصرف يسير.

المظهر السابع: دفن خواص الناس في قبور خاصة وليس في مقابر المسلمين

لقد كان من هدي النبي ﷺ دفن الموتى في المقابر بلا تفريق بين الناس ، سواء من كان منهم من العلماء أو من الوجهاء أو من العامة أو غير ذلك ، ثم سارت على هذا الأمة من الصحابة والتابعين.

وينبغي التنبه إلى أن الشريعة لم تستثن إلا الأنبياء ، لأن الأنبياء يدفنون حيث يموتون ، كما تقدم في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

تأصيلات علمية تتعلق بعبادة الدعاء

- **مكانة الدعاء بين سائر العبادات**
- **فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره**
- **فصل في بيان بعض أنواع الدعاء (الاستغاثة ، الاستعاذة ، الاستعانة)**

فصل في بيان أدلة بطلان دعاء غير الله

تأصيلات علمية تتعلق بعبادة الدعاء

مكانة الدعاء بين سائر العبادات

الدعاء عبادة جليلة ، قد خصها الله بالذكر في كثير من الآيات ، وبيَّن النبي ﷺ شرفها في كثير من الأحاديث الصحيحة ، فمنها حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله حَيِيٌّ كريمٌ يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين.[١]

وقال رسول الله ﷺ : لا يرُدُّ القضاء إلا الدعاء.[٢]

وقال رسول الله ﷺ : ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء.[٣]

وقد جاء تصريح النبي ﷺ بتعظيم شأن الدعاء في قوله ﷺ : الدعاء هو العبادة ، وقرأ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ إلى قوله ﴿داخرين﴾.[٤]

وحَصْرُ العبادة في الدعاء ليس حصْرا كليا ، بمعنى أن الدعاء يضم جميع أنواع العبادات ، كلا ؛ بل المراد به التنبيه على عِظم الدعاء وشرف مكانته ، وأنه لُبُّ العبادة وخالصُها وركنــها الأعظم ، وهو كقوله ﷺ : (الحج عرفة)[٥] ، وقوله ﷺ : (الدين النصيحة)[٦].

وقد شكَّك بعض الناس في كون الدعاء عبادة ، ليصِلوا بذلك إلى جواز صرفِه لغير الله ، وهذا الزعم مردود عليهم ، فقد سمى الله الدعاء عبادةً في قوله ﴿قل إني نهيت أن **أعبد** الذين **تدعون** من دون الله لما جاءني البينات من ربي﴾ ، وقال تعالى ﴿وقال ربكم **ادعوني** أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن **عبادتي** سيدخلون جهنم داخرين﴾ ، أي أذلاء ، فَوَصَفَ اللهُ الدعاء بالعبادة في الآيتين ، فدل ذلك على عِظم شأنه.

---

١ رواه الترمذي (٣٥٥٦) ، وصححه الألباني.

٢ رواه الترمذي (٢١٣٩) ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وحسنه الألباني ، انظر «الصحيحة» (١٥٤).

٣ رواه الترمذي (٣٣٧٠) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني.

٤ رواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) ، وغيرهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني.

٥ رواه النسائي (٣٠١٦) وغيره ، عن عبد الرحمٰن بن يَعمَر رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

٦ رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه.

كما سمى الله الدعاء دينًا كما في قوله تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دَعَوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[1].

فجعل الله سبحانه الدين بدلاً من الدعاء ، وعرَّفه بالألف واللام التي تُفيد العهد ، فدل ذلك على أن الدعاء دينٌ ، وما كان دينا فهو عبادة.

ثم إن الله تعالى قد أمر بدعائه ، وكل ما أمر الله بفعله فهو عبادة واجبة أو مستحبة ، كما في الآية المتقدمة ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ ، وقال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾.

وكذلك النبي ﷺ أمر بدعاء الله ، كما في قوله: فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب تعالى ، وأما السجود **فأكثروا من الدعاء** ، فَقَمِنٌ[2] أن يستجاب لكم.[3]

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين[4] رحمه الله:

وكل ما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة عند جميع العلماء ، فمن قال إن دعاء العبد ربه ليس بعبادة له فهو ضال ، بل كافر.[5]

---

١ سورة العنكبوت: ٦٥ .

٢ أي حريٌّ.

٣ رواه مسلم (٤٧٩).

٤ هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، ولد سنة ١١٩٤ هـ في روضة سدير ، تتلمذ على بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تولى القضاء والافتاء ، وصار من أكابر علماء نجد ، حتى لُقِّب بـ «مفتي الديار النجدية» ، برع في الفقه ، ودرَّس في بلاد كثيرة ، وله تلامذة كثر ، منهم أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٣٢٩ هـ) ، شارح نونية ابن القيم ، وعثمان بن عبد الله بن بشر (١٢٩٠ هـ) ، المؤرخ المعروف ، له عدة كتب في الذب عن العقيدة الإسلامية ، منها «الانتصار لحزب الله الموحدين ، والرد على المجادل عن المشركين» ، وكتاب «الرد على البردة» ، وكتاب «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وله رسائل وردود بعضها مثبت في كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ، وبعضها مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، توفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار وزيادة من ترجمته في مقدمة كتابه «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وهي من إعداد د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله ، وانظر للتوسع في ترجمته كتاب «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، مفتي الديار النجدية» ، تأليف د. علي بن محمد العجلان ، الناشر: دار الصميعي – الرياض.

٥ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٢٧ .

ومن دلائل أن الدعاء عبادة كونه يتضمن عبادات ، وبيانه أن الداعي راغبٌ راهبٌ كما قال تعالى﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ ، والرغبة والرهبة بحد ذاتها عبادات ، لأن الله أمر بها في قوله تعالى ﴿وإلى ربك فارغب﴾ ، وقال ﴿وإياي فارهبون﴾.

كذلك فإن الدعاء يتضمن الخوف من الله والرجاء لما عند الله ، وهي عبادات أيضا لكون الله قد أمر بها كما في قوله تعالى ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ، وقوله تعالى ﴿اعبدوا الله وارجو اليوم الآخر﴾.

ومما يدل أيضا على أن الدعاء عبادة هو أن الدعاء جزء من الصلاة ، فإن المصلي لا ينفك عن الدعاء من أول الصلاة إلى آخرها ، في الفاتحة وفي السجود وبين السجدتين وفي التشهد الأخير ، ولما كانت الصلاة عبادة ، لزم من ذلك أن يكون الدعاء عبادة أيضا لأنه جزء منها ، وهو المطلوب إثباته.

وخلاصة القول أن الدعاء عبادة ، وإنكار ذلك تحكم واستكبار ، ومنابذة ومجافاة لما تقتضية الأدلة الشرعية واللغة العربية ، والله الهادي.

فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره

القرآن والسنة يأمران بإفراد الله وحده بالدعاء ، وينهيان عن دعاء غيره ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿واسألوا الله من فضله﴾[2].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[3] رحمه الله:

---

١ سورة الأعراف: ٥٥ .

٢ سورة النساء: ٣٢ .

٣ الشيخ عبد الرحمٰن من علماء نجد المعروفين ، ولد سنة ١٣١٩ هـ ، ودرس على يد جملة من علماء نجد ، تميز الشيخ بخدمة التراث العلمي من مصادره ثم تحقيقه وطباعته ، أبرزها فتاوى ابن تيمية ، جمعها في خمسة وثلاثين مجلدا عدا الفهارس ، وطبعت على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٨١ هـ ، وكذا جمع فتاوى علماء نجد بدءا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر إلى العلماء المعاصرين في زمنه ، وهي المعروفة بـ «الدرر السنية في الفتاوى النجدية» ، وتقع في ستة عشر مجلدا ، وطبعت على نفقة الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٥٦ هـ ، وجمع الشيخ أيضا فتاوى مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في ثلاثة عشر جزءا ، وطبعت بأمر من الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله في عام ١٣٩٠ هـ.

وللشيخ مؤلفات وشروحات في العقيدة وأصول التفسير والفقه والحديث والنحو ، قد نفع الله بها كثيرا واستفاد منها المسلمون ، رحمه الله وأجزل ثوابه.

توفي الشيخ عبد الرحمٰن سنة ١٣٩٢ هجرية رحمه الله رحمة واسعة.

وأما إفراد الله بالدعاء فجاء ذكره في نحو ثلاثمائة موضع منوع ، تارة على صيغة الأمر به ، كقوله ﴿أدعوني أستجب لكم﴾[١] ، ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾[٢].

وتارة يذكره الله بصيغة النهي كقوله ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾[٣].

وتارة يقرنه بالوعيد كقوله ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾[٤].

وتارة بتقرير أنه هو المستحق للألوهية والتعبد كقوله ﴿ولا تدع مع الله إلٰهاً آخر لا إله إلا هو﴾[٥].

وتارة في الخطاب بمعنى الإنكار على الداعي كقوله ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾[٦].

وتارة بمعنى الإخبار والاستخبار ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات﴾[٧].

وتارة بالأمر الذي هو بصيغة النهي والإنكار ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾[٨].

وتارة أن الدعاء هو العبادة ، وأن صرْفَه لغير الله شرك ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ إلى قوله ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[٩] ، ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾ إلى قوله ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾[١٠].

---

١ سورة غافر: ٦٠ .

٢ سورة الأعراف: ٢٩ .

٣ سورة الجن: ١٨ .

٤ سورة الشعراء: ٢١٣ .

٥ سورة القصص: ٨٨ .

٦ سورة يونس: ١٠٦ .

٧ سورة الأحقاف: ٤ .

٨ سورة سبأ: ٢٢ .

٩ سورة الأحقاف: ٥ – ٦ .

١٠ سورة مريم: ٤٨– ٤٩ .

وفي الحديث: (الدعاء هو العبادة)[1] ، صححه الترمذي وغيره ، وقد أتى فيه بضمير الفصل ، والخبر المعرَّف باللام ليدل على الحصر ، وأن العبادة ليست غير الدعاء ، وأنه مُعظم كل عبادة[2] ، ونهى أن[3] يشرك معه أحد فيه ، حتى قال في حق نبيه ﷺ ﴿قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً﴾ [4] ، وأخبر أنه لا يَغفر أن يشرك به.[5] انتهى.

قلت: ومن أدلة وجوب إفراد الله بالدعاء ؛ حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال: إذا سألت **فاسأل الله** ، وإذا استعنت فاستعن بالله.[6]

فلو كان سؤال غير الله جائزا لأرشده النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : واسألني ، أو: استعن بي ، فلما لم يقع هذا – والمقام مقام تعليم – دلَّ ذلك على أن سؤال غير الله لا يجوز.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟[7]

وقد جاء النهي صريحا عن دعاء غير الله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من مات وهو يدعو من دون الله نِدًّا[8] دخل النار.[9]

---

١ تقدم تخريجه.

٢ صدق رحمه الله ، فلا تكاد تخلو عبادة من دعاء ، فالصلاة والحج والأذكار والجهاد كلها عبادات يُشرع فيه دعاء الله عز وجل ، فضلا عن كون الدعاء بحد ذاته عبادة مستقلة.

٣ في المطبوع: (ألا) ، وهو خطأ ظاهر ، فلعله خطأ في النسخ ، والصواب ما أثبت.

٤ سورة الجن: ٢٠ .

٥ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، باختصار وتصرف يسير.

٦ رواه الترمذي (٢٥١٦) ، وأحمد (٣٠٣/١) ، وصححه الألباني.

٧ رواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (١٧٧٢) ، وغيرهما.

٨ الند هو المثيل والنظير.

٩ رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : تخرج عنق من النار يوم القيامة ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول: إني وُكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد ، **وبكل من دعا مع الله إلها آخر** ، وبالمصورين.[1]

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾[2]: أي هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته ، وهو واسع الجود والكرم ، فكل الخلق مفتقرون إليه ، يسألونه جميع حوائجهم بحالهم ومقالهم ، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وهو تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ، يغني فقيرًا ويجبر كسيرًا ، ويعطي قوما ويمنع آخرين ، ويميت ويحيي ، ويخفض ويرفع ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تُغَلِّطُه المسائل ، ولا يُبرِمُهُ[3] إلحاح الملحين ، ولا طول مسألة السائلين ، فسبحان الكريم الوهاب الذي عمَّت مواهِبه أهل الأرض والسماوات ، وعم لُطفُه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات ، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين ، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه.[4]

وقال الشيخ سليمان بن سحمان[5] رحمه الله:

---

١ رواه الترمذي (٢٥٧٤) ، وصححه الألباني.

٢ سورة الرحمٰن ، الآية ٢٩ .

٣ أي يُمِلُّه ويُضجره. انظر «لسان العرب».

٤ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

٥ هو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح من آل عامر من قبيلة خثعم ، ولد في قرية السُّقا من بلدان أبها ، درس على الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ودرس كذلك على ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ، ولازمهما عشر سنوات ، ودرس كذلك على الشيخ حمد بن عتيق سبعة عشر سنة ، كما درس على الشيخ حمد بن فارس ، ألف كتبا كثيرة تقرب من الأربعين كتابا ، وله أشعار كثيرة ، فقد كان أديبا بارعا ، وشاعرا خرِّيتا ، سخر لسانه للدفاع عن عقيدة أهل السنة ، له دواوين في الدفاع عن الإسلام ، رد على قريب من خمسين ضالا بشعره ، فكان بحق «حسَّان السنة» في زمانه.

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٩ هجري ، وله من العمر ثمانين عاما.

ذُكِر أنه لما خرجت روحه شموا من جسده رائحة مسك طيبة لم يعهدوا مثلها.

انظر ترجمته في «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان» ، حوادث سنة ١٣٤٩ هجري ، للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن رحمه الله ، وكذا كتاب «ابن سحمان ، تاريخ حياته ، وعلمه ، وتحقيق شعره» ، لمحمد بن حمد العقيل ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

اعلم أن سؤال الله عزَّ وجلَّ دون خلقه هو المتعين ، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدر المسئول على دفع الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودفع المضار ، لا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده ، لأنه حقيقة العبادة.

وكان الإمام أحمد رحمه الله يدعو ويقول: "اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك ، فصنه عن المسألة لغيرك ، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك" ، كما قال تعالى ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ ، وقال ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ ، والله تعالى يحب أن يُسأَل ويُرغَب إليه في الحوائج ، ويُلَـح في سؤاله ودعائه ، ويَغضب على من لا يسأله ، ويَستدعي من عباده سؤله ، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤالهم من غير أن ينقص من ملكه شيء ، والمخلوق بخلاف ذلك كله ؛ يكره أن يُسأل ، ويُحِب أن لا يُسأل لعجزه وفقره وحاجته ، ولهذا قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك: ويحك تأتي من يُغلق عنك بابه ، ويُظهر لك فقره ، ويُواري عنك غناه ، وتدَعُ من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ، ويظهر لك غناه ، ويقول: ادعني استجب لك؟!

وقال طاووس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، ويجعل دونها حجابه ، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسأله ، ووعدك أن يجيبك.

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

---

١ «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

فصل في بيان بعض أنواع الدعاء (الاستغاثة ، الاستعاذة ، الاستعانة)

١. الاستغاثة ، تعريفها ، وبيان نوعيها الشرعي والشركي

الاستغاثة من أبلغ ألفاظ الدعاء ، ومن أخص أنواعه ، فالاستغاثة تكون في حال الكرب ، والدعاء أعم من ذلك ، فإنه يعم حالة الكرب وحالة الرخاء ، فكل استغاثة دعاء ، وليس كل دعاء استغاثة.

والاستغاثة تنقسم إلى أقسام فمنها ما هو شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، ومنها ما هو جائز لا بأس به.

فأما الاستغاثة الجائزة بالمخلوق فهي الاستغاثة بالمخلوق الحي القادر الحاضر للمساعدة في أمر يقدر عليه البشر ، كأن يطلب الرجل من أخيه أن ينجيه من غرق ، أو أن يساعده في رد صائل ، أو قتل سبُع ، ونحو ذلك ، كما فعل موسى ﷺ لما طلب منه الإسرائيلي أن يغيثه من القبطي فأغاثه ، قال تعالى ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ ، ومع هذا فالمستغيث يستغيث بالله أيضا.

وأما الاستغاثة الشركية فهي الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كمن يدعو صاحب قبر أن يشفيه من مرض أو يفرج كربته أو يجلب له خير ، فهذا النوع غير جائز ، بل هو شرك أكبر.

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في كتابه «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ما نصه:

والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه ، كقولهم: يا آل زيد ، يا للمسلمين ، بحسب الأفعال الظاهرة بالفعل.

وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير ، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه ؛ **فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره**. انتهى.

وقد أمر الله ورسوله بالاستغاثة بالله وحده لكشف الكربات فقال تعالى ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾.

وقال تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾.

وقال تعالى ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بغتة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾.

والاستغاثة بالله وحده فيما لا يقدر عليه إلا الله هو دأب الأنبياء ، فعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان إذا **كربه** أمر قال: يا حي يا قيوم **برحمتك أستغيث**.[١]

وهذا من التوسل بصفات الله ، والمعنى اللهم إني استغيث بك بأن لك صفة الرحمة.[٢]

وعنه أن النبي ﷺ قال: أَلِظُّوا[٣] بياذا الجلال والإكرام.[٤]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ كان يقول عند **الكرب**: لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم [٥].

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: علمني رسول الله كلمات أقولهن عند الكرب: الله ، الله ربي ، لا أشرك به شيئا.[٦]

وعلى هذا دَأَبَ الأنبياء عليهم السلام ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.[٧]

وأيوب عليه السلام أصابه البلاء في ماله وولده فذهب عن آخره ، ثم ابتلي بالمرض ولم يبق منه سليما إلا قلبه ولسانه يذكر بهما الله حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته فلم يستغث إلا بالله وحده ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾[٨].

---

١ رواه الترمذي (٣٥٢٤) ، وصححه الألباني.

٢ سيأتي الكلام إن شاء الله على أنواع التوسل الشرعي.

٣ أي: الزموه واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم. انظر «النهاية في غريب الحديث».

٤ رواه الترمذي (٣٥٢٥) ، وصححه الألباني.

٥ رواه مسلم (٢٧٣٠) ، ورواه أحمد (٢٦٨/١) ، وابن ماجه (٣٨٨٣) بنحوه.

٦ رواه ابن ماجه (٣٨٨٢) ، وصححه الألباني كما في «الصحيحة» (٢٧٥٥).

٧ رواه البخاري (٤٥٦٣).

٨ سورة الأنبياء : ٨٣ – ٨٤ .

وكذلك نبي الله يونس بن متى عليه السلام لما التقمه الحوت استغاث بربه ، فلم يأكل له لحما ، ولم يهشم له عظما ، قال تعالى ﴿نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾[1].

وزكريا عليه السلام استغاث بربه أن يرزقه الولد فأغاثه الله مع أن امرأته كانت عاقرا ، ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين. فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾[2].

٢. الاستعاذة ، تعريفها ، وبيان نوعيها الشرعي والشركي

أمر الله بالاستعاذة به وحده فقال ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ، وقال ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ، كما أنكر الله على العرب ما كانوا عليه في الجاهلية أنهم كانوا إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا استعاذوا بعظيم الجن في ذاك المكان ليعيذهم من أن يصيبهم سوء ، فما رأت الجن منهم ذلك زادوهم رهقا ، أي خوفا وذعرا ، قال تعالى ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾.[3]

فعلى هذا فلا يجوز الاستعاذة بغيره سبحانه وتعالى.

ولما كانت الاستعاذة من أنواع الدعاء ؛ لزم القول بأنها عبادة ، وجميع العبادات لا يجوز أن تصرف لغير الله ، قال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله: فلما كان مستقرا عند العلماء أن الاستعاذة بالله عبادة له ؛ قالوا: لا تجوز الاستعاذة بمخلوق.

ثم قال: فالعلماء القائلون بامتناع الاستعاذة بالمخلوق يقولون: (لا يجوز دعاء المخلوق) ، لأن الاستعاذة دعاءٌ حقيقة ، لأن المستعيذ بربه يطلب منه دفع مكروه أو رفعه ، **وهذا حقيقة الدعاء.**[4]

وقال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله: "**فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة** كلها نوع من الدعاء ، وهي ألفاظ متقاربة ، وسمى النبي ﷺ الاستعاذة دعاءً ، كما في السنن أن رجلاً قال يا رسول الله: علمني **دعاءً** أدعو به. قال: قل: اللهم إني **أعوذ بك** من شر سمعي ، ومن شر بصري ، ومن شر لساني ، ومن شر قلبي ، ومن شر منيِّي.[5]

---

١ الأنبياء : ٨٧ – ٨٨ .

٢ سورة الأنبياء : ٨٩ – ٩٠ .

٣ انظر «تفسير ابن كثير» ، تفسير سورة الجن : ٦ .

٤ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ٨٣ .

٥ رواه أبو داود (١٥٥١) ، وصححه الألباني.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ **يدعو** فيقول: اللهم إني **أعوذ بك** من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة.[1] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان **يدعو** بهؤلاء الكلمات: اللهم إني **أعوذ بك** من فتنة النار ، وعذاب النار ، ومن شر الغنى والفقر.[2]

وفي صحيح مسلم: كان من **دعاء** النبي ﷺ : اللهم إني **أعوذ بك** من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفُجاءة نقمتك ، وجميع سخطك[3]."[4]

فالحاصل من إيراد هذه الأحاديث بيان أن الاستعاذة تسمى دعاءً في كلام النبي ﷺ وأصحابه ، ولهذا أدخل بعض أئمة الحديث أحاديث الاستعاذة في كتاب «الدعوات» من كتبهم الحديثية.

وإذا تقرر أن الاستعاذة دعاء ، والدعاء عبادة ، تعين القول بأنه لا يجوز الاستعاذة إلا بالله وحده لا شريك له ، فمن استعاذ بغير الله فقد أشرك شركا أكبرا مخرجا من ملة الإسلام.

٣. الاستعانة ، تعريفها ، وبيان نوعيها الشرعي والشركي

وكذلك الاستعانة ، وهي نوعان:

الأول: استعانة لا يصح طلبها إلا من الله ، وهي المشار إليها بقوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ، فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله ، مثل جعل العلم والهدى في القلب ، وخلق القوى الظاهرة والباطنة ، وعليه فإن طلبها من المخلوق شرك ، لكونها عبادة ، وجميع العبادات لا يصح طلبها إلا من الله ، قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في شرح الآية المتقدمة:

"فإن تقديم المفعول وهو "إياك" وتكريره للاهتمام والحصر ، أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين ، فالأول التبرؤ من الشرك ، والثاني التبرؤ من الحول والقوة ، فقوله ﴿إياك نعبد﴾ أي إياك نوحد ، ومعناه أنك تعاهد ربك أن لا تشرك في عبادته أحداً ، لا ملِكاً ولا نبياً ولا غيرهما ، فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه ، والدعاء هو العبادة.

وقوله ﴿إياك نستعين﴾ ؛ هذا فيه سؤال الله الإعانة ، وهو التوكل والتبرؤ من الحول والقوة."[5]

---

١ رواه أبو داود (١٥٤٧) ، وحسنه الألباني.

٢ رواه أبو داود (١٥٤٣) ، وصححه الألباني.

٣ رواه مسلم (٦٩٤٣).

٤ نقله الشيخ أبابطين في «التأسيس» ، ص ٨٣ – ٨٤ .

٥ «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص ١٩٨ – ٢٠٠ ، باختصار.

وقال أيضا رحمه الله:

وأما الاستعانة بالله عزَّ وجلّ دون غيره من الخلق ؛ فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ، ولا مُعين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عزَّ وجلَّ ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله فهو المخذول ، وهذا تحقيق معنى قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» ، فإن المعنى: لا تحوَّل للعبد من حال إلى حال ، ولا قوة له على ذلك إلا بالله ، وهذه كلمة عظيمة ، وهي كنز من كنوز الجنة ، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات ، وترك المحظورات ، والصبر على المقدرات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة ، ولا يقدر على ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ ، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: "احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز" ، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره ؛ وكَله الله إلى من استعان به ، فصار مخذولاً.

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: لا تستعين بغير الله فيكلك الله إليه.

ومن كلام بعض السلف: يا رب عجبت لمن يعرفك ، كيف يستعين بغيرك[1]!؟[2]

انتهى كلام ابن سحمان رحمه الله.

النوع الثاني من الاستعانة هي الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق ، وهذه جائزة ، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾.

ومن أمثلة ذلك طلب الرجل من أخيه أن يعينه على ركوب دابته ، فهذا جائز ، لأنه مما يقدر عليه المخلوق ، ولأن المخلوق حي حاضر ، وأمثال ذلك كثير.

فخلاصة القول أن الاستعانة بالمخلوق جائزة إذا كان حيا حاضرا قادرا ، أما إذا لم تتوفر فيه هذه الثلاث مجتمعة فإنها لا تجوز ، بل قد تصل في بعض الأحوال إلى أن تكون من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام ، كمن طلب من صاحب قبر أن يعينه على دفع ضر أو جلب نفع.

---

١ في المطبوع : لغيرك ، ولعل الصواب ما أثبت.

٢ «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص ٢٠٢ .

فصل في بيان أدلة بطلان دعاء غير الله

بالرُّغم من عِظم مكانة الدعاء بين سائر العبادات ؛ إلا أنه من أكثر العبادات التي شَرّك كثيرٌ من الناس فيها بين الله وبين خلقه ، وقد وصف الله دعاء غيرِه بأنه باطل في موضعين من القرآن ؛ الموضع الأول قوله تعالى في سورة الحج ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾.[1]

والموضع الثاني قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾.[2]

وكذلك مدح النبي ﷺ من قال إن عبادة غير الله باطلة ، قال **عليه الصلاة والسلام**: أصدقُ **كلمةٍ قالها الشاعر ؛ كلمة** لبيد[3]:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ[4]

وصدق الله ورسوله ﷺ ، فدعاء غير الله باطل من خمسين وجهاً ، وقد أفردتها في ملحق مستقل بآخر الكتاب ، لمن أراد الاطلاع عليها.

---

١ آية: ٦٢ .

٢ آية: ٣٠ .

٣ هو لبيد بن ربيعة العامري ، ذكره البخاري وابن أبي خيثمة في الصحابة ، سكن الكوفة ، وتوفي في خلافة عثمان ، عاش مائة وخمسين سنة ، وقيل أكثر ، وهو القائل:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس: كيف لبيدُ

انتهى مختصرا من «فتح الباري» في شرح الحديث المذكور.

٤ رواه البخاري (٣٨٤١) ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وتمام البيت: وكل نعيم لا محالة زائل.

الأدلة الشرعية والعقلية على تحريم طلب الدعاء من صالحي الموتى

شبهات والجواب عليها

فائدة في مراحل الروح

من مظاهر الغلو بالموتى طلب الدعاء منهم ، فإن بعض الناس يقولون: سلَّمنا بما ذكرتم من أن دعاء الصالحين شرك أكبر ، فلن نطلب من ميت شيئا ولو عوداً من أَراك ، ولكن هل هناك مانع من أن نطلب منهم أن يدعوا لنا الله عز وجل كما يطلب الأحياء من الأحياء أن يدعوا لهم الله ، فنقول مثلا: يا رسول الله ادع الله لنا ، أو: يا بدوي ادع الله لي ، أو: يا سِتْ نفيسة ادعِ الله لي أن يرزقني الولد ، أو نحو ذلك من الدعوات؟

والجواب: أن هذا الفعل خطأ من ستة وجوه:

الأول: أن الموتى لا يسمعون نداء من ناداهم أصلا فكيف يصح طلب الدعاء منهم؟ وقد قرر الله ذلك في مواطن كثيرة من القرآن فيجب الإيمان بذلك ، قال تعالى ﴿إن تدعوهم **لا يسمعوا دعاءكم** ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ ، وقال تعالى ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء **وما أنت بمسمع من في القبور**﴾.

ومما يدل أيضا على أن الموتى لا يسمعون قول الرسول ﷺ : إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام.[1]

ففي هذا الحديث دلالة صريحة على أن النبي ﷺ لا يسمع سلام من سلم عليه ، إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان هناك حاجة إلى من يُبلغه السلام من الملائكة ، فغير الرسول ﷺ أولى وأحرى ألا يسمع من كلام الناس شيئا ، سواء طلب دعاء أو غيره.

ويستفاد من الحديث أيضا أن الرسول ﷺ لا يبلُغه عن طريق الملائكة إلا السلام من كلام الناس لأنه لم يذكر في الحديث شيئا غير السلام ، لا طلب دعاء ولا غيره.

ومن الأدلة كذلك على أن الموتى لا يسمعون خطاب الأحياء حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: إذا حُضِر المؤمن[2] أتته ملائكة الرحمة بحريرةٍ بيضاء ، فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنكِ إلى رَوحِ الله وريحان ، ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريحِ مسكٍ ، حتى إنه لينالوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض.

فيأتون به أرواح المؤمنين ، فَلَهُم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدُم عليه ، **فيسألونه:**

---

١ رواه النسائي (١٢٨١) ، وأحمد (٤٥٢/١) ، والدارمي في الرقاق (٢٧٧٧) ، وابن حبان (٩١٤) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٨٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح النسائي» (١٢١٥).

٢ أي حضرته الوفاة.

ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ ... الحديث.[1]

والشاهد من الحديث سؤال أرواح المؤمنين للروح الجديدة التي جاءتهم عن حال فلان وفلان ، فدل هذا على عدم علمهم –كأموات – بأحوال الأحياء وإلا لما كانوا سألوها.

وقد صرح النبي ﷺ بأنه لا يعلم أحوال أمته بعد وفاته ، فغيره من أمته أولى بأن لا يعلم أحوال الناس بعد وفاته ، فضلا عن كونه يسمع كلامهم ويدعو لهم ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة — فذكر الحديث وفيه أن رسول الله ﷺ قال:

ألا وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي ، فيقال: **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ الحديث.[2]

ففي قول الملائكة للنبي ﷺ : "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" ، وكذلك استشهاده ﷺ بقول عيسى عليه السلام ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم بأحوال أمته بعد وفاته مطلقا ، وإذا كان الرسول ﷺ كذلك فمن دونه من الناس من باب أولى وأحرى.

والعقل يدل على ما دل عليه الشرع ، فما آتاه الله البشر من حاسة السمع والإدراك فإنه يذهب بالموت ، بل إن كل جسد الميت يفنى وتأكله الأرض بما فيه من أدوات الحواس ، ولا يبقى منه إلا عَجْبُ الذَّنَب – وهو الفقرة الأخيرة في ظهر الإنسان –كما جاء في الحديث الصحيح[3].

الوجه الثاني: أن طلب الدعاء من الموتى ذريعة قوية لدعاء الموتى أنفسهم ، وهو الشرك الأكبر الموجِب للخلود في النار ، ومن قواعد الشريعة الإسلامية أن ما كان ذريعة إلى محرم فهو محرم ، وبيان ذلك أن من طلب الدعاء من ميت فإن قلبه سيتعلق به ، ومن ثم سيقصد مكان قبره ليطلب منه الدعاء ، كما وقع في ذلك المشركون ومن ضاهاهم من أهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين تدرَّج بهم الشيطان من طلب الدعاء من الميت إلى دعاء الميت نفسه.

---

١ أخرجه النسائي (١٨٣٣) ، وابن حبان (٣٠١٤) ، وصححه الألباني رحمه الله.

٢ رواه البخاري (٤٦٢٥) ، ومسلم (٢٨٦٠).

٣ رواه البخاري (٤٨١٤) ، ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظُ مسلم: ... وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى ، إلا عظما واحدا ، وهو عجْبُ الذَّنَب ، ومنه يُـرَكَّب الخلق يوم القيامة.

قال ابن تيمية رحمه الله: وكذلك الأنبياء والصالحون ، وإن كانوا أحياء في قبورهم ، وإن قُدِّر أنهم يدعون للأحياء ، وإن وردت به آثار[1] ، فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من السلف ، **لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى** ، بخلاف الطلب من أحدهم في حياته ، فإنه لا يُفضي إلى الشرك.[2]

الوجه الثالث: لو كان النبي ﷺ يعلم أن دعاءه قريب للاستجابة بعد موته لعلَّم أمته أن يطلبوا منه الدعاء بعد موته ، ولقال للصحابة: (إذا أنا مت فاطلبوا مني الدعاء) ، فهو الشفيق الرحيم بأمته ﷺ ، لا سيما وهو يعلم بأن أمته ستحل بها فتن ودواهي ، وستعتريهم حاجات بطبيعة حال هذه الحياة الدنيا ، بينما الذي نجده خلاف ذلك ، فقد علَّم النبي ﷺ أمته أن **تدعوا له ، لا أن تطلب منه الدعاء** ، فمن ذلك أنه علمنا أن ندعوا له في دعاء التشهد: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

كما طلب النبي ﷺ من أمته أن تسأل الله له الوسيلة ، وهي درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، والنبي ﷺ يرجو أن يكون هو ذلك العبد ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ؛ صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة.[3]

الوجه الرابع: أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلفوا في مسائل كثيرة بُعَيد وفاته ﷺ ، كتسيير جيش أسامة وقتال مانعي الزكاة ، بل اختلفوا في موضع دفنه ﷺ ، فلم يأتوا قبره ويطلبوا منه الدعاء أن تُحل مشاكلهم ، ثم بعد وفاته بزمن مرَّ على الصحابة سنين أصابهم فيها قحط وجدب شديد ، كما حصل في عام الرمادة ، فما ذهب واحد منهم إلى قبر النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له الله أن يُنزل عليهم القطر كما كانوا يفعلون في حياته ، ولو حصل ذلك لحفظ في الكتب ولنُقل إلينا

---

١ لعله رحمه الله يشير إلى حديث: "تُعرض عليَّ أعمالكم ، فما رأيتُ من خير حمدت الله عليه ، وما رأيتُ من شر استغفرت الله لكم " ، وهو حديث ضعيف. انظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٩٧٥) ، وسيأتي الكلام عليه مفصلا في فصل: ذكر أحاديث ضعيفة تفيد اتصال الموتى بعالم الأحياء – الحديث السادس.

٢ «مجموع الفتاوى» (١/٣٣٠).

٣ رواه مسلم (٣٨٤).

قطعا ، لأن هذا من الأمور التي تتوافر الهمم على نقله ، فلمَّا لم يحصل من ذلك شيء لا في عهد الصحابة ولا في القرون الثلاثة المفضلة الأولى عُلم أنه بدعة محدثة ، وما كان بدعة فيجب الحذر منه.

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما سؤال الميت فليس بمشروع ، لا واجب ولا مستحب ، بل ولا مباح ، ولم يفعل هذا قطُّ أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا استحب ذلك أحد من سلف الأمة ، لأن ذلك فيه مفسدة راجحة وليس فيه مصلحة راجحة ، والشريعة إنما تأمر بالمصالح الخالصة أو الراجحة ، وهذا ليس فيه مصلحة راجحة ، بل إما أن يكون مفسدة محضة أو مفسدة راجحة ، وكلاهما غير مشروع.[1]

الوجه الخامس: أن النبي ﷺ نهى عن أن يكون قبره مكان عبادة ودعاء وتوسل أصلا ، فعن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيدا ، **ولا بيوتكم قبورا** ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم.[2]

الوجه السادس: أن القول بأن الميت يسمع خطاب من كلمه باطل عقلا ، فكيف يستطيع الميت سماع كلام الحي وبينهما هذا الحاجز الكثيف من التراب والطين؟[3]

شبهات والجواب عليها

الشبهة الأولى: ربما غلِط بعض الناس في فهم الحديث التالي ، ففهموا منه سماع الموتى لكلام الأحياء ، وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: اطَّلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقا؟

فقيل له: تدعو أمواتا؟

فقال: ما أنتم بأسمع منهم ، ولكن لا يجيبون.[4]

---

١ «قاعدة جليلة» ، ص ٧١-٧٢ .

٢ رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٠/٢) واللفظ له ، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٢٨) ، ورواه أبو يعلى (٣٦١/١) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (٢٠) ، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تحقيقه له فقال: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

٣ وسيأتي قريبا بيان الفهم الصحيح لحديث سماع الميت لقرع نعال الحي.

٤ رواه البخاري (١٣٧٠).

وعن أبي طلحة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقُذِفوا في طَوْي[1] من أطواء بدر خبيث مُخبث ، وكان إذا ظهر على قوم[2] أقام بالعرْصة[3] ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدَّ عليها رحْلها ثم مشى ، واتَّبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركِي[4] ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، أيسركُم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟

فقال عمر: يا رسول الله ، ما تُكلم من أجساد لا أرواح فيها؟

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمَعَهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما.[5]

وفي روايةٍ أن عمر قال: يا رسول الله ، أتناديهم بعد ثلاث؟ وهل يسمعون؟ يقول الله عز وجل ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾!

فقال: والذي نفسي بيده ، ما انتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا.[6]

أقول: ربما فهِم بعض الناس من الحديثين المتقدمين – واللذَين يتضمنان خطاب النبي ﷺ لموتى قليب بدر – أن الموتى يسمعون خطاب الأحياء لكون النبي ﷺ خاطبهم ، والجواب على هذا الفهم من وجهين:

الأول: أن كلام قتادة كاشف للمسألة ، فإنه يُفيد أن سماع أهل القليب لخطاب النبي ﷺ سماع عارض مؤقت في تلك الحِينة لأولئك الناس فحسب ، وليس دائما ، بحيث يعم عموم الأزمان ، يؤكد ذلك كلمة "الآن" الواردة في اللفظ الآخر للحديث وهو:

وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟

ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول.

---

١ الطوي هي البئر المبنية بالحجارة من الداخل.

٢ أي انتصر عليهم.

٣ العرْصة موضع واسع لا بناء فيه. انظر «النهاية في غريب الحديث».

٤ أي حافة الركي ، وهي البئر أيضا.

٥ رواه البخاري (٣٩٧٦) ، وأحمد (٢٩/٤).

٦ رواه مسلم (٢٨٧٣) عن أنس رضي الله عنه ، ورواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما (٤٠٢٦).

فذُكِر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ : إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ حتى قرأت الآية.[1]

فكلمة (الآن) تفيد أنهم يسمعون في ذاك الوقت فحسب ، ولو كان سماعا عاما لكل الأوقات لما كان لتلك الكلمة أي معنى ، وقد بين هذا قتادة رحمه الله أيضا ، التابعي الجليل ، ومن المعلوم أن فهمه رحمه الله قد تلقاه عن الصحابة الذين تلقى عنهم العلم.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ أقر عمر رضي الله عنه على استغرابه من كلامه ﷺ لأهل القليب لما قال: "**يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟!**" ، فدل ذلك على صحة ما كان يعتقده رضي الله عنه من أن الأموات لا يسمعون ، ولو كان ما يعتقده خطأً لصحَّح النبي ﷺ اعتقاده في الحال ، ولقال له مثلا: إن الموتى يسمعون كلام الأحياء دائما فعلام الاستغراب؟

الشبهة الثانية: فإن قيل: وما معنى قول النبي ﷺ : "إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان ... الحديث"[2]**؟**

ألا يفيد أن الميت يسمع كلام الحي مطلقا؟

فالجواب: أن سماع الميت لقرع نِعال من شيَّعوه ليس عاما ، بل هو خاص بوقت معين كما جاء في الحديث ، وهو وقت وضع الميت في قبره ومجيء الملكين إليه ، ثم يتوقف سمعه لهم ولا يستمر ، فلا عموم في النص ، ولا يجوز أن يُحمَّل النص فوق ما يحتمِل.

الشبهة الثالثة: قال بعض الناس: إن تسمية زيارة القبور بذلك تفيد أن المزور يعلم بزائره.

والجواب ما قاله الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله: قد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان **يزور** البيت في الحج ، وأنه كان وهو في المدينة **يزور** قِباء راكبا وماشيا ، ومن المعلوم تسمية طواف الإفاضة بطواف **الزيارة** ، فهل من أحد يقول بأن البيت وقباء يشعر كل منهما **بزيارة الزائر** ، أو أنه يعلم **بزيارته؟**[3]

---

١ رواه البخاري (٣٩٨١).

٢ رواه البخاري (١٣٧٤) ، ومسلم (٢٨٧٠) عن أنس رضي الله عنه.

٣ «الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات» ، ص ٣٣ ، بتصرف يسير ، للعلامة نعمان ابن المفسر محمود الآلوسي ، تحقيق الألباني رحمه الله ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

للفائدة ، فقد قال الشيخ علي رضا على كتاب «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص ٤٢ :

الشبهة الرابعة: فإن قيل: إن النبي ﷺ علم أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية.[1]

قالوا: وفي خطاب الرسول ﷺ للموتى بضمير الخطاب دليل على سماعهم ، وإلا فما هو المقصود من خطابهم بضمير المخاطب؟

والجواب على هذه الشبهة: إن الكلام بضمير المخاطَب لا يلزم منه سماع من قُصِد بالخطاب ، فالنبي ﷺ كان يقول حين يرى الهلال: "اللهم أهِله علينا باليمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، **ربنا وربك الله**"[2] مع أن الهلال لا يسمع.

كذلك فإن النبي ﷺ علَّم المصلي أن يسلم في آخر صلاته على الإمام والمأمومين والحفظة من الملائكة ويقول **سِرًّا**: "السلام عليكم ورحمة الله" ، مع أنهم – أي الإمام والمأمومين – لا يسمعون تسليمه.

بل قد قال النبي ﷺ مخاطبا مكة: والله **إنكِ** لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخرجت **منكِ** ما خرجتُ.[3]

أقول: وقد يكون خطاب الموتى أو الجمادات لتنبيه الحاضرين إلى فائدة ما ، وليس بقصد الاسماع ، كما حصل من النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم فقال ﷺ : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، **وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.**[4]

قال ابن حجر في «الفتح»: **وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك** ، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يَفهم الخطاب لوجهين: أحدهما صغره ، والثاني نزاعه[5].

وقد ألف النيلوي – من الحنفية المعاصرة – كتاباً جيداً يشبه في مضمونه كتاب العلامة الآلوسي ، سماه «الكتاب المسطور في الجواب عن سماع الموتى وتسكين الصدور» ، ردَّ به على أحد غُلاةِ القبورية.

١ رواه مسلم (٩٧٤) عن عائشة رضي الله عنها. ورواه ابن ماجه (١٥٤٧) ، وأحمد (٣٥٣/٥) عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما.

٢ رواه الترمذي (٣٤٥١) ، وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٨١٦).

٣ رواه الترمذي (٣٩٢٥) واللفظ له ، وابن ماجه (٣١٠٨) ، وأحمد (٣٠٥/٤) عن عبد الله بن عدي رضي الله عنه ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

٤ رواه البخاري (١٣٠٣) ، ومسلم (٢٣١٥) عن أنس رضي الله عنه.

٥ أي نزع روحه.

وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين ، إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق[1]. انتهى.

أقول: وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب خاطب الحجر الأسود ، مع أن الحجر لا يسمع ، فقال: والله إني لأعلم **أنك** حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي ﷺ **يُقبِّلُك** ما **قبلتك**.[2]

قال السندي رحمه الله في شرح الحديث: والكلام وإن كان خطابا للحجر فالمقصود إسماع الحاضرين ، ليعلموا أن **الغرض الاتباع لا تعظيم الحجر**.[3]

قلت: وقد كانت العرب تخاطب الديار على بعد المزار ، كما في قول عنترة:

حُيِّـيت من طللٍ تقادم عهده أقفى وأقفر بعد أم الهيثم

وقوله أيضا:

يا دار عبلة بالجِواءِ[4] تكلمي وعِمي صباحا دار عبلة واسلمي

فإذا تقرر أن خطاب الجمادات لا يلزم منه سماعها ؛ فخطاب أهل القبور عند دخول المقبرة لا يلزم منه سماعهم أيضا ، بل هو أمر تعبدي ، لعل المقصود منه مزيد استشعار الداعي لدعائه ، أو غير ذلك من الحكم الخفية ، الله أعلم بها.

الشبهة الخامسة: ومن الآيات التي كثيرا ما استُدِلَّ بها على جواز طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد وفاته قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ، وقوله تعالى ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم﴾ ، وقوله تعالى ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ، فقال بعض الناس: وفي أمر الله لرسوله ﷺ بالاستغفار للمؤمنين دلالة على جواز طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته!

والجواب عن هذا الإشكال من سبعة وجوه:

الأول: أن الآية الأولى وهي قوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ نزلت في أحد المنافقين الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت ولم يرض بحكم رسول الله ﷺ ، فظلم نفسه بهذا الفعل ، ثم لم يجيء إلى رسول الله ﷺ ويعلن

---

١ أي نهيه عن البكاء أو النياحة.

٢ رواه البخاري (١٥٩٧) ، ومسلم (١٢٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٣ «حاشية السندي على سنن النسائي» حديث رقم (٢٩٣٦).

٤ الجِواء هو وادٍ في ديار عبس أو أسد. انظر «معجم البلدان».

توبته ويطلب من الرسول ﷺ أن يستغفر له الله من هذا الذنب الذي ارتكبه ، كما هي عادة أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين كانوا إذا صدر من بعضهم ما يستوجب التوبة أتى إلى رسول الله ﷺ – إذ كان حيا – وقال له: (يا رسول الله ، إني فعلت كذا وكذا ، فاسأل الله أن يغفر لي) ، فلما لم يكن المنافقون يفعلون ذلك ، كان هذا فرقا بينهم وبين المؤمنين ، وعلامة على نفاقهم.

الثاني: أن كلمة «إذ» الواردة في الآية تفيد الماضي المنقطع لا الزمان المستقبل كما هو معروف في اللغة العربية.

الثالث: كيف يصح أن يقال أن استغفار النبي ﷺ للناس لم ينقطع بعد موته وقد انقطعت باقي أعماله الأخرى بعد وفاته كإمامته الصلاة ، وإمامته للمسلمين الإمامة الكبرى ، والجهاد والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأعمال ، كما قال ﷺ : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)[1]؟

الرابع: لو كان استغفار النبي ﷺ للمذنبين من أمته ماضيا بعد وفاته لأرشد النبي ﷺ إليه صريحا ، كما أرشد إلى ما هو أدنى من ذلك ، لا سيما وأنه ﷺ لم يترك خيرا إلا ودلنا عليه ، ولا شرا إلا وحذرنا منه.

الخامس: **أن** النبي ﷺ نهى عن كثرة معاودة قبره سواء لطلب الاستغفار لهم أو لغير ذلك ، كما في قوله ﷺ : "لا تجعلوا قبري عيدا" ، (ولو كان يُشرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفرِ له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به.)[2]

السادس: لو كان طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد وفاته مشروعا للزم من ذلك أن القرون الثلاثة المفضلة الأولى قد جهِلت هذا الخير وأعرضت عنه ، لكونهم لم يرد عنهم ذلك ، وهذا باطل ، لأنه من الثابت المعلوم أن أهل القرون الثلاثة المفضلة الأولى هم أفضل الناس وأحرصهم على الخير ، كما قال ﷺ : خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[3]

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله:

إن أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه – وهم سلف الأمة – لم يَفهم أحد منهم إلاَّ المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم ، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبره ويقول: (يا رسول الله ، فعلتُ كذا وكذا فاستغفر لي) ، ومن نَقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت.

---

١ رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ قاله ابن عبد الهادي رحمه الله في «الصارم المنكي في الرد على السبكي» ، ص ٣٢١ .

٣ رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) ، واللفظ للبخاري.

فلو كان هذا منسحبا إلى ذا الآن وإلى ما شاء الله ، لما تَرك الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان هذه القربة التي ذم الله سبحانه من تخلف عنها ، وجعل التخلف عنها من أَمارات النفاق ، ووُفِّق لها من بعدهم ممن لا يؤبه له من الناس ولا يُعدُّ في أهل العلم.

ويالله العجب ، أكان ظُلمُ الأمة لأنفسها ونبيها حيٌ بين أظهرها موجوداً ، وقد دُعِيت فيه إلى المجيء ليستغفر لها ، وذُمَّ من تخلف عن هذا المجيء ، فلما تُوفي ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء إليه ليستغفر له؟![1]

فالحاصل أن المقصود من الآية المتقدمة حث العصاة والمذنبين أن يأتوا إلى الرسول ﷺ – لما كان حيا – ويطلبوا منه أن يستغفر لهم الله ، لأن استغفار النبي ﷺ لأمته من أعظم أسباب المغفرة لكون دعائه قريب للاستجابة.

وقد رد الشيخ العلامة محمد بشير السهسواني الهندي[2] رحمه الله في كتابه «صيانة الإنسان من وساوس الشيخ دحلان» على هذه الشبهة من وجوه كثيرة جدا ، فليراجعها من أراد الإستزادة.[3]

وقد سُئل فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري[4] رحمه الله عن حكم الإسلام فيمن يقول بجواز طلب الإستغفار من النبي ﷺ بعد موته ، وزعَمَ أن رسول الله ﷺ يستغفر حيا وميتا لمن جاءه قاصدا رحابه ، فأجاب رحمه الله بما نصه:

---

١ «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص ١٠٧ – ١٠٨ ، بتصرف يسير ، وهو رد على محمد عطاء الله الكسم في شطحات له في التوحيد ، كان مفتيا للجمهورية السورية ، توفي سنة ١٣٥٧ .

٢ الشيخ بشير رحمه الله من كبار علماء الحديث في الهند ، وكان قويا في الدعوة إلى التوحيد ، فُوِّضت إليه رئاسة المدارس الدينية في أمارة بهوبال ، وكان يُدرس فيها التفسير والحديث ، كان يرجع في مسائل الخلاف إلى الكتاب والسنة وآثار الصحابة ، تناظر شفهيا في بعض المسائل في التوحيد مع مفتي الشافعية في زمانه بمكة وهو الشيخ محمد زيني دحلان ، وقد كان يطعن في الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وفي دعوة التوحيد التي جاء بها ، ثم لما رجع الشيخ بشير إلى الهند ألف كتابه الذي اشتَهر في الجزيرة العربية وهو «صيانة الإنسان من وساوس الشيخ دحلان». توفي رحمه الله عام ١٣٢٦ عن أربع وسبعين سنة. انظر ترجمته في مقدمة كتابه المذكور ، وقد صحح طبعة هذا الكتاب فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن جبرين رحمه الله ، وعلق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله وغيره ، وقدم للكتاب بمقدمة عاطرة الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله.

٣ انظر كتابه «صيانة الإنسان من وساوس الشيخ دحلان» ، ص ٣٠ – ٤١ ، ط مكتبة العلم بجدة.

٤ الشيخ حمود من علماء القرن الرابع عشر الهجري ، كانت له رحمه الله همة عالية في العلم والبحث فيه ، وقد فرَّغ وقته له ، فصار يؤلِّف الكتب الكبار والصغار ، وقد تصدى لكل من حاد عن سبيل الله من الكتاب المعاصرين ، وجعل يرد عليهم بقلمه ، منافحاً عن السنة ، مدافعاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وربما نشر ذلك في كتابات

أما طلب الاستغفار من النبي ﷺ **في حال حياته فهو جائز** لقول الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله **واستغفر** لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما﴾ ، ولأن الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات فقال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله **واستغفر** لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ، وقال تعالى ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم **واستغفر لهم** وشاورهم في الأمر﴾ ، وقال تعالى ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن **واستغفر لهن الله** إن الله غفور رحيم﴾ ، وقال تعالى مخبراً عن المنافقين ﴿وإذا قيل لهم تعالوا **يستغفر لكم رسول الله** لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون * سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ، وقال تعالى ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.

وأما طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته فهو من المحدثات التي لم تكن في عهد الصحابة والتابعين ، وقد قال رسول الله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.

رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية لأحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ، الردُّ هو المردود ، والمعنى: فهو باطل غير معتد به.

وروى الإمام أحمد أيضاً وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، **وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.**

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم وابن عبد البر والذهبي.

ومقالات في بعض الصحف المحلية والخارجية ، وقد بلغ عدد مؤلفاته أكثر من خمسين كتابًا. ترجم له الشيخ إبراهيم بن عبيد آل محسن في كتابه «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان» فقال: هو ثاني الرجلين المدافعين عن الإسلام وأهله ، أحدهما الشيخ سليمان بن سحمان ، والآخر حمود بن عبد الله التويجري. انتهى. توفي رحمه الله عام ١٤١٣ في مدينة الرياض.

انظر ترجمته في موقعه في شبكة المعلومات وفي الكتاب المذكور (١٧٢/٨).

وقد ترجم له الشيخ عبد الله البسام في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، وكذا إبراهيم بن محمد السيف في كتابه «المبتدا والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر وبعض تلاميذهم».

وروى الإمام أحمد أيضاً ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، **وشر الأمور محدثاتها** ، وكل بدعة ضلالة.[1]

زاد النسائي: وكل ضلالة في النار.

وفي هذه الأحاديث أبلغ رد على من أجاز سؤال الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته ، لأن النبي ﷺ لم يأمر أمته بذلك ، ولم يكن ذلك من سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ولا مِن عمل غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ولو كان جائزاً لكان الصحابة أسبق إليه من غيرهم ، وقد قال الراجز وأحسن فيما قال:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ومما يدل على رد هذه المحدثة أيضا ما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة – فذكر الحديث ، وفيه – : أن رسول الله ﷺ قال: ألا وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ الحديث.

ففي قوله: (**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**) ، وقوله ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ دليل على أن النبي ﷺ إنما كان يعلم بسؤال الذين يسألونه الاستغفار لهم إذ كان حياً شهيداً عليهم ، وأنه لا يدري بما أحدثه الذين يسألونه الاستغفار لهم بعد موته ، وما يُذكر في هذا الباب من الحكايات عن بعض الجهال الذين يسألون الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته فلا عبرة بها ، **لأنها من المحدثات ، والمحدثات كلها مردودة بالأحاديث الصحيحة التي تقدم ذكرها** ،

وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية في كتاب «التوسل والوسيلة»:

إن الذين يطلبون الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته قد خالفوا إجماع الصحابة والتابعين وسائر المسلمين.[2]

انتهى كلام الشيخ حمود رحمه الله.[3]

---

١ رواه مسلم (٨٦٧).

٢ «الأجوبة الجلية عن الأسئلة الكويتية» ، ص ٤ – ٧ .

٣ ينظر «جامع المسائل والرسائل» لابن تيمية (٢/٣٧٥ – ٣٧٩).

الشبهة السادسة:

استدل بعض الناس على جواز طلب استغفار الله من النبي ﷺ بعد موته بما رواه ابن النجار في كتابه «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» فقال:

أخبرنا عبد الرحمٰن بن أبي الحسن في كتابه ، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن نصر ، أخبرنا محمد بن القاسم ، سمعت علي بن غالب الصوفي يقول: سمعت إبراهيم بن محمد يقول: سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمد عن أبي فضيل النحوي عن محمد بن روح عن محمد بن حرب الهلالي قال:

دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير المرسلين ، إن الله عز وجل أنزل كتابا عليك صادقا قال فيه ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ، وإني جئتك مستغفرا إلى ربي من ذنوبي ، مستشفعا بك ، ثم بكى وأنشد يقول:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظُمه	فطاب من طيبِهن القاع والأَكَمُ[1]
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذي تُرجى شفاعته	عند الصراط إذا ما زلت القدم

ثم استغفر وانصرف ، فرقَدتُ فرأيت النبي ﷺ وهو يقول: اِلحق بالرجل فبشره بأن الله عز وجل قد غفر له بشفاعتي.[2]

وقد روى هذه القصة البيهقي في «شعب الإيمان» عن محمد بن روح بن يزيد البصري ، حدثني أبو حرب الهلالي قال: حج أعرابي ، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها ، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا ، مستشفعا بك على ربك ، لأنه قال في محكم كتابه ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ ، وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا ، اَستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي ، وأن تشفع فيَّ ، ثم أقبل في عَرض الناس ويقول:

---

١ الأكم جمع أَكمةَ وهي المرتفع من الأرض.

٢ ص ٢٩٦ ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط مكتبة دار الزمان – المدينة.

يا خير من دفنت في التراب أعظمه فطاب من طيبهِ الأبقاع[1] والأَكَمُ[2]
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

انتهى.[3]

وفي غير هذه الرواية: فطاب من طيبه القيعان والأكم.[4]

وقد اشتهرت هذه القصة في بعض الكتب بقصة العتبي ، وذكرها أبو منصور الصباغ في كتاب «الشامل» بلا إسناد – كما قال الشيخ نسيب الرفاعي رحمه الله في كتابه «التوصل إلى حقيقة التوسل» – ، فنقل من الكتاب المذكور عن العتبي قوله:

كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ ، وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً إلى ربي ، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دُفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني ، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي ، الحق بالأعرابي فبشره أن الله قد غفر له.

وقد روى هذه القصة أيضا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبدالله بن عبد الرحمٰن الكرخي عن علي بن محمد بن علي ، ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي ، ثنا أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت من الله عز وجل ما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ ، وقد ظلمت نفسي ، وجيتك لتستغفر لي.

فنودي من القبر: إنه غُفِر لك!

---

١ الأبقاع جمع بقعة.

٢ الأكم جمع أكمه وهي الرابية من الأرض أي المكان المرتفع. انظر «النهاية».

٣ رقم (٤١٧٨) ، (٤٩٥/٣).

٤ «شعب الإيمان» ، (١٠٩/٨) برقم (٣٨٨٠).

والجواب: أن هذه قصة مكذوبة ، وإثبات ذلك من ثلاثة وجوه:

الأول: انقطاعها ، فقد قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي[1] رحمه الله:

إن بين العتبي الذي يروى هذه القصة وبين الأعرابي انقطاعاً يربو على مائتي سنة تقريباً ، وإليك البيان:

قال زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبى الفخر المراغي في كتابه «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة»[2] في ترجمة العتبي:

اسمه محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ، توفي سنة **ثمان وعشرين ومائتين**.

وقال ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان»[3]:

أبو عبد الرحمٰن محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القريشي الأموي المعروف بالعتبي ، الشاعر البصروى المشهور ، كان أديباً فاضلاً ، وشاعراً مجيداً ... إلى أن قال: وتوفى سنة **ثمان وعشرين ومائتين** رحمه الله تعالى.

انتهى كلام الشيخ نسيب رحمه الله.[4]

والحاصل أنه إذا كان العتبي راوي القصة قد قال عنه المؤرخون إنه توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين هجرية ، فهل يمكن أن يحضر الحادثة التي وقعت للأعرابي بعدما دفن الرسول بثلاثة أيام كما في رواية الكرخي؟!

فإن قيل: وما أدراك أن هذه الترجمة تخص العتبي المعني بالرواية عن الأعرابي؟

---

١ الشيخ محمد من علماء حلب ، وُلِد وتعلم بها وتتلمذ على كبار علمائها وعلماء دمشق ، شارك في مقاومة الفرنسيين فسجنوه ، ترك طريق التصوف وهو في السجن وعلى الأخص الطريقة الرفاعية التي كان يأخذ بها ، ثم لما خرج من السجن أسس «جمعية الدعوة السلفية للصراط المستقيم». له عدة كتب أشهرها مختصر تفسير ابن كثير الموسوم «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» ، وله الكتاب الذي نقلنا منه وهو «التوصل إلى حقيقة التوسل» ، وله «نقد قصيدة البردة لما في بعض أبياتها من البدعة والكفر والردة» ، وله غيرها.

انتقل رحمه الله إلى الأردن فأقام بها إلى أن توفاه الله سنة ١٤١٣ .

باختصار من «إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي) » ، ص ٤١٧ ، الناشر: دار صادر – لبنان.

٢ ص ١١١ .

٣ (١/٥٢٢ – ٥٢٣).

٤ باختصار وتصرف يسير من كتابه «التوصل إلى حقيقة التوسل» ، ص ٢٧٨ .

فالجواب[1]: إن هذا ما قرره السبكي في صفحة ٢٣٦ من كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» فقال:

العتبي ، واسمه محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ، كان من أفصح الناس رواية للأدب ، وحدَّث عن أبيه وسفيان بن عيينة ، توفى سنة ثمان وعشرين ومائتين ، يكنى أبا عبد الرحمٰن.

الوجه الثاني: أما رواية الكرخي عن علي بن أبي طالب فموضوعة ، قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي رحمه الله في كتابه «التوصل إلى حقيقة التوسل»:

الهيثم جدُّ أحمد بن محمد الهيثم ، أظنه ابن عدي الطائي ، فإن يكُنهُ فهو متروك كذاب ، وإلا فهو مجهول ، وقد وُلد الهيثم بن عدي بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها.

"قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب.

وقال العجلي وأبو داود: كذاب.

وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: متروك الحديث.

وقال السعدي: ساقط قد كشف قناعه.

وقال أبو زرعة: ليس بشيء.

وقال البخاري: سكتوا عنه. أي تركوه.

وقال ابن عدي: ما أقلَّ ما له من السند ، وإنما هو صاحب أخبار وأسماء ونسب وأشعار.

قال ابن حبان: كان من علماء الناس بالسِّير وأيام الناس وأخبار العرب ، إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات ، يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها.

وقال أبو عبدالله الحاكم: الهيثم بن عدي الطائي حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة.

وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول: قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح جلس يكذب. اهـ.

وأما أبو صادق فقد قال فيه محمد رشيد رضا: أبو صادق ، لم يسمع من علي ﷺ ."[2]

---

١ الجواب منقول من كتاب الشيخ نسيب أيضا.

٢ نقلا من «التوصل إلى حقيقة التوسل» ، ص ٢٧١ – ٢٧٢ .

الوجه الثالث: أن في رواية هذه القصة اضطرابا عظيما ، ففي رواية ابن النجار عن محمد بن حرب الهلالي أنه دخل المدينة فأتى قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال ما قال.

وبنحوه روى البيهقي.

وتارة تُروى عن محمد بن حرب الهلالي عن أبي محمد الحسن الزعفراني عن الأعرابي.

والزعفراني هذا من أجلة أصحاب الشافعي وأعيانهم ، توفي سنة ٢٤٩ هجري رحمه الله ، فكيف يمكنه الرواية عن الأعرابي الذي تدَّعي رواية الكرخي أنه أتى القبر النبوي بعد وفاة النبي ﷺ بثلاثة أيام؟!

ثم إنه قد اختُلِف في اسم محمد بن حرب الهلالي ، ففي كتاب «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» اسمه محمد بن حرب الهلالي.

وقال الزبيدي في كتابه «شرح أحياء علوم الدين» إنه محمد بن كعب الهلالي.

ثم إن وفاة الهلالي متأخرة عن وفاة شيخه الزعفراني الذي توفي سنة ٢٤٩ هجري ، فكيف يمكنه الرواية عن الأعرابي الذي يعزون زمن قصته إلى ثلاثة أيام خلت بعد دفن رسول الله ﷺ ؟![1]

وتارة تُروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ... الخ.

وتارة عن العتبي أنه قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال ما قال.

وبناء على ما تقدم فالحكاية بـيِّنة الوضع ، ولو قُدِّر ذلك – جدلا – فالأحكام الشرعية فلا تثبت بفعل الأعراب المجاهيل ، وإنما بالدليل الناصع الساطع من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، قال ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي في الرد على السبكي»:

وأما حكاية العتبي التي أشار إليها[2] ؛ فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين ، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي ، وقد رُويت عن غيره بإسناد مظلم كما بيَّنا ذلك فيما تقدم ، وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي ، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعاً مندوباً لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم ، وبالله التوفيق.[3]

قال مقيده عفا الله عنه: وممن قال بجواز طلب الاستغفار من النبي ﷺ عمر التلمساني ، المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ، في كتابه «عمر بن الخطاب شهيد المحراب» ، فاحذر وتنبه.

---

١ انظر «التوصل إلى حقيقة التوسل» ، ص ٢٧٩ .

٢ أي أشار إليها السبكي في كتابه «شفاء السقام».

٣ ص ٣٢٣ . ط دار الكتب العلمية.

الشبهة السابعة: أخطأ بعض الناس في فهم المراد من بعض النصوص ، فظنوا أن فيها دلالة على حياة النبي ﷺ في قبره الحياة الدنيوية المعروفة المحسوسة عند البشر ، فبنوا على هذا جواز طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد وفاته ، ومن تلك النصوص قوله عليه الصلاة والسلام: "ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عز وجل علي روحي حتى أرد عليه السلام"[١].

وقوله: "إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام"[٢].

وقوله: إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة ، فإن صلاتكم معروضة علي.
قالوا: يا رسول الله ، وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرِمت؟ – أي يقولون: قد بليت –
قال: إن الله عز وجل قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام.[٣]

ففهم بعض الناس من كونه ﷺ يرد السلام ، وكون جسده لا تأكله الأرض ؛ أنه حي في قبره كحياتنا ، فأجازوا طلب الدعاء والاستغفار منه ﷺ وهو في قبره ، فترى بعضهم يأتي قريبا من قبر الرسول ﷺ ويطلب منه أن يدعو له بناء على هذا الفهم للحديث[٤] ، وهذه الشبهة مردودة من اثنتي عشرة وجها:

الوجه الأول: أن حياة البرزخ تابعة للحياة الآخرة وليست تابعة للحياة الدنيا كما قال النبي ﷺ : "إن القبر أول منازل الآخرة"[٥] ، والآخرة من الغيب ، والغيب لا يعلم حقيقته إلا الله كما قال تعالى ﴿قل لا

---

١ رواه أبو داود (٢٠٤١) ، وأحمد (٥٢٦/٢) واللفظ له ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني رحمه الله.

٢ تقدم تخريجه.

٣ رواه أبو داود (١٠٤٧) ، والنسائي (١٣٧٣) ، وابن ماجه (١٠٨٥) ، وأحمد (٨/٤) عن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

٤ وقد صليت خلف رجل في أحد بلاد المسلمين فلما فرغنا من الصلاة قال في معرض دعاءٍ الجماعي والناس يؤمنون: "اللهم صل على محمد الذي تقضى به الحوائج ويستسقى به الغمام" ، فلما انصرفنا سألته عن ذلك فقال: "نعم ، نحن في اعتقادنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمت" ، فسبحان الله ، ما أغرب هذا الكلام على العقل الصريح ، وما أوضح مخالفته للكتاب والسنة الصحيحة وفهم السلف الصالح ، وصدق ابن مسعود رضي الله عنه: "ويحكم يا أمة محمد ، ما أسرع هلكتكم".

٥ رواه ابن ماجه (٤٢٦٧) ، وأحمد (٦٣/١) ، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ ، فبناء على هذا لا يصح قياس الحياة في القبر على الحياة الدنيا ، لأنهما أمران مختلفان.

الوجه الثاني: أن موت النبي ﷺ ومفارقة روحه للدنيا حق ثابت بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، فمن الكتاب قوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ، وقوله ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ، وقوله ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

والسنة دلت أيضا على موت النبي ﷺ ، فقد قال ﷺ في مرض وفاته: لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات.

قالت عائشة: ثم نصَب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) ، حتى **قُبِض ومالت يده**.[1]

وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت وهو مستند إلى صدرها ، وأصغت إليه يقول: اللهم اغفر لي ، وارحمني ، وأَلحقني بالرفيق الأعلى.[2]

وعن عائشة قالت: ما أغبط أحدا بهونِ موتٍ بعد الذي رأيت من شدة **موت رسول** الله ﷺ .[3]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته فلما سلَّم قام فقال: أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد.[4]

قال النووي رحمه الله: المراد أن كل نفس منفوسة[5] كانت الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة ، سواء قلَّ عمرها قبل ذلك أم لا.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال لأصحابه: ما منكم من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية.[6]

---

١ رواه البخاري (٤٤٤٩) عن عائشة رضي الله عنها.

٢ رواه البخاري (٤٤٤٠) ، ومسلم (٢٤٤٤) ، والترمذي (٣٤٩٦) ، وابن ماجه (١٦١٩) ، وأحمد (٢٣١/٦) ، ومالك في الجنائز واللفظ له.

٣ رواه الترمذي (٩٧٩) ، وصححه الألباني رحمه الله.

٤ رواه البخاري (١١٦) ، ومسلم (٢٥٣٧).

٥ منفوسة أي مولودة ، قاله ابن الأثير في «النهاية».

٦ رواه مسلم (٢٥٣٨) ، والترمذي (٢٢٥٠) ، وأحمد (٣٧٩/٣) واللفظ له.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ : تعلموا العلم وعلموه الناس ، تعلموا الفرائض وعلموه الناس ، تعلموا القرآن وعلموه الناس ، **فإني امرؤ مقبوض** ، والعلم سيُقبض وتظهر الفتن ، حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما.[1]

فهذه الأدلة صريحة في موت النبي ﷺ ، فلا يصح أن يصرف معنى الكلام الشرعي عن ظاهره ، لأن الأصل هو أن الرسول ﷺ يخاطب الناس بما يفهمون.

وقد أجمع الصحابة الذين هم أعلم الناس بأمر النبي ﷺ على موته ﷺ ، وإجماعهم حجة ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه – أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ – قال بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة أمام جموع الصحابة أن النبي ﷺ قد مات فأقرُّوه ولم يخالفوه ، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنُح[2] – قال إسماعيل: تعني بالعالية[3] – فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ .

قالت: وقال عمر: (والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك[4] ، وليبعثنَّه الله فليُقطِّعن أيدي رجال وأرجلِهم) ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله فقال: (بأبي أنت وأمي ، طبت حيا وميتا ، والله الذي نفسي بيده ؛ لا يذيقك الله الموتتين أبدا[5]) ، ثم خرج فقال: (أيها الحالِف ، على رِسْلِك[6]) ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن **محمدا قد مات** ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ، وقال ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾.

قال: فنشجَ[7] الناسُ يبكون. [8]

---

١ رواه الدارمي في المقدمة ، باب: الاقتداء بالعلماء.

٢ السنح هي منازل بني الحارث بن الخزرج بالمدينة ، بينها وبين منزل رسول الله ﷺ ميل. انظر «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي. الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٣ أي عالية المدينة وهي السُّنُح المتقدم ذكرها.

٤ أي ما وقع في قلبي إلا أنه ما مات.

٥ سيأتي الكلام قريبا على مقصوده بالموتتين قريبا إن شاء الله.

٦ معنى (على رِسلِك) أي تأنى ولا تعجل.

٧ النشج هو صوت معه توجع وبكاء. قاله ابن الأثير في «النهاية».

٨ رواه البخاري (٣٦٦٧).

وليلاحظ القارئ الكريم أن أبا بكر رضي الله عنه قال هذا بعدما نفاه عمر رضي الله عنه ، واستشهد بالآية ، ثم أقرَّه الصحابة بل بكوا لما تيقنوا موته ﷺ ، فماذا بعد هذا البيان من بيان؟

فبهذا تقرر لنا أن موت النبي ﷺ حق ثابت لا ريب فيه ، قد دلت على ثبوته النصوص القطعية وأجمع عليه المسلمون ، فالنبي ﷺ مات كما مات الأنبياء قبله ، إلا عيسى عليه السلام ، فقد رفعه الله إليه ، وسينزل في آخر الزمان حكما عدلا ، ثم يموت ويقبر في الأرض كغيره من الأنبياء ، ثم يُبعث منها حين يُبعث الناس.

ويقال أيضا لمن ادَّعى أن الرسول ﷺ لم يمت: ما معنى دفن الصحابة له في حجرة عائشة رضي الله عنها ، وصلاة الصحابة عليه صلاة الجنازة ، ودعائهم له بالمغفرة والرحمة ، وهو منطرح بين أيديهم؟

وما معنى اعتداد أزواجه عليه ﷺ عدة المتوفى عنها زوجها؟

ولماذا حزن عليه المسلمون طالما أنه حيٌّ وفي إمكانهم أن يطلبوا منه أن يدعو لهم الله عز وجل كلما وقعت بهم نائبة كما كانوا يفعلون في حياته؟

وهل من يدعو له المسلمون في صلاة الجنازة بالمغفرة والرحمة يصح أن يُطلب منه الدعاء بعدما دُفن؟

الوجه الثالث: أن هذه الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام: "ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عز وجل علي روحي حتى أرد عليه السلام" ، وغير ذلك من النصوص تدل على أن الروح منزوعة أصلا وإلا لما كان لرد الروح الذي جاء في الحديث أي معنى ، وأما بقاء جسده في قبره لا تأكله الأرض فلا يلزم منه بقاء الروح ، لأن الوفاة والقبض في الروح وليست في الجسد كما قال تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾.

قال ابن عبد الهادي رحمه الله في «الصارم المنكي في الرد على السبكي»:

وليُعلم أن رد الروح إلى البدن وعودها إلى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ، ولا يستلزِم حياة أخرى قبل يوم النشور نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح إلى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت.[1]

قال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله:

ويقال لمن ادَّعى أن النبي ﷺ في قبره كحياته كما كان على وجه الأرض: ثبَت أنه ﷺ مات بنص القرآن ، فما حُجتكم على أنه عاد حياً كما كان على وجه الأرض قبل موته؟

فلن يجد إلى ذلك سبيلاً.

---

١ ص ٢٢٣ ، ط مؤسسة الريان.

وليس عندهم إلا مجرد دعوى أو شبهة لا حقيقة لها ، ويدل على بطلان هذه الدعوى ما رواه أبو داود عنه ﷺ قال: "ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام".

فهذا يدل على أن روحه الشريفة ﷺ ليست في بدنه دائماً ، وإنما هي في أعلى عليين ، ولها اتصال بالجسد ، الله أعلم بحقيقته ، لا يدركه الحس ولا العقل.[1]

ومما يدل على مفارقة الروح للجسد حديث عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: نَسمة المؤمن طائر يَعْلقُ في شجر الجنة حتى يرُدَّها الله إلى جسده يوم القيامة.[2]

والنَّسمة هي النفس والروح ، قاله ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر».

فقوله إنها عالقة في شجر الجنة يدل على انفصالها عن الجسد وبالتالي عدم شعوره بما حوله ، لأن الروح هي مناط الشعور.

الوجه الرابع: أن تبليغ الملائكة للسلام يدل على أن الرسول ﷺ لا يسمع مباشرة بالأذن ، لا سيما وبينهما هذا الحاجز الكثيف من التراب والطين ، فأفاد هذا أنه غير متصل بالدنيا بل منقطع عنها.

الوجه الخامس: في الحديث تنبيه على أن الملائكة تبلغ الرسول ﷺ السلام فحسب ، ولم يقل إن الملائكة تبلغه غير ذلك البتة ، لا طلب دعاء ولا غيره.

الوجه السادس: أن إعادة الروح للنبي ﷺ ورد السلام مخصوص بما إذا سلم عليه أحد من أمته ، وليست عامة في كل حين ، أو كلما خوطِب النبي ﷺ .

الوجه السابع: ما ذكره الشيخ محمد بن حسين الفقيه[3] رحمه الله في ثنايا رده على أحد من قالوا بحياة النبي ﷺ في قبره الحياة الدنيوية المعروفة:

---

١ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١١٩ .

٢ رواه ابن حبان (٥١٣/١٠) ، وأحمد (٤٥٥/٣) ، وغيرهما ، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه عليه.

٣ الشيخ محمد مصري الأصل ، ثم سافر إلى جدة للحج فطاب له الجلوس فيها ، ثم سافر إلى دمشق فدرس العلم على الشيخ جمال الدين القاسمي مدة تنيف على خمس سنوات ، فاستفاد منه فائدة عظيمة لاسيما في الحديث ، واستفاد أيضا منه العقيدة الصحيحة ونبذ البدع والخرافات والتقليد الأعمى ، ثم رجع إلى جدة فانكب على العلم وعلى التعليم ، فنفع الله به نفعا عظيما. لم يذكر الذين ترجموا له من التصانيف – على سعة علمه – إلا هذا الكتاب الذي نقلنا منه كلامه وهو «الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي – تكملة الصارم المنكي» ، وقد طبعته دار الفضيلة بالرياض ، بتحقيق د. صالح بن علي المحسن و د. أبو بكر بن سالم شهال.
توفي رحمه الله عام ١٣٥٥ عن واحد وخمسين سنة.

فإن كنت تريد أن حياة الأنبياء في قبورهم كالحياة الدنيوية فهذا دونه خرط القتاد ، لأنهم أحياء بالمعنى الذي يعلمه الله تعالى ، لا بالمعنى الذي نعلمه ، ومع هذا فنحن نعتقد أنها حياة أنعم من الحياة الدنيوية ، فإنها لو كانت كحياتنا في هذا الدار **لكان أقل الناس أعلى منهم** ، لأنه مطلقٌ سراحه ، ويمشي ويسافر ويتمتع بلذات الدنيا ، وهم مسجونون تحت الأرض في قبورهم ، فأي شرف في هذا؟[1]

الوجه الثامن: لو قيل إن حياة الأنبياء في قبورهم كالحياة الدنيوية لاقتضت جميع لوازمها من أعمال ، وتكليف ، وعبادة ، وغير ذلك ، ولهذا اضطر القائلون بهذا القول أمورا فاسدة ، فقالوا بإمكان رؤية النبي ﷺ ، وخروجه من قبره سامعا كلام من يكلمه كما هو شأن كل حي ، فانظر إلى التأصيل الخاطئ أين يصل بصاحبه؟

الوجه التاسع: يقال لمن قال إن الرسول ﷺ حيٌّ في قبره الحياة الدنيوية المعروفة: لماذا خَصصتم الرسول ﷺ بذلك؟ لماذا لا تقولون أيضا أن الشهداء أحياء في قبورهم كحياتنا اعتمادا على قول الله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل **أحياء** عند ربهم يرزقون﴾؟!
ولماذا لا تقولون إن الموتى – من غير الشهداء – أحياء في قبورهم أيضا كحياتنا لكونهم يجيبون الملائكة في قبورهم عند السؤال ، ولكونهم يُنعَّمون أو يعذبون في قبورهم؟

الوجه العاشر: لو كان النبي ﷺ في قبره حيا كحياتنا للزِم منه أنه سيموت مرة أخرى عند النفخ في الصور ، يعني أنه سيموت ميتتين ، الميتة الأولى التي ماتها بين أيديهم ، ثم الميتة الثانية التي تعقب الحياة المطابقة للحياة الدنيا والتي عاشها في قبره على زعمهم ، وهذا مخالف لما قرره أبو بكر رضي الله عنه بعد موت النبي ﷺ مباشرة: (بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، أما الموتة التي كُـتِبت عليك فقد مُتَّها ، ولن يجمع الله عليك موتتين)[2]. [3]

"وقد قام الدليل القاطع أنه عند النفخة في الصور لا يبقى أحدٌ حياً ، فلو كان الأمر كما يزعمون لكان الله قد يجمع عليه موتتين.

قال ابن القيم رحمه الله في «نونيته»:

انظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه المذكور.

١ انظر «الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي» ، ص ٣٧٨ .

٢ رواه البخاري (١٢٤١) وغيره.

٣ انظر «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٢٠ للشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله.

فصل في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

لو كان حيا في الضريح حياته ... قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل مِن فوقها ... والله هٰذي سنة الرحمٰن
أتُراه تحت الأرض حيا ثم لا ... يفتيهم بشرائع الإيمان
ويُريح أمته من الآراء ... والخُلف العظيم[1] وسائر البهتان
أم كان حيا عاجزا عن نطقه ... وعن الجواب لسائلٍ لهفان
وعن الحَراك فما الحياة اللاتِ قد ... أثبتموها؟ أوضحوا ببيان

قال الشيخ محمد خليل هراس[2] رحمه الله معلقا على هذه الأبيات:

زعموا أن الرسول ﷺ حي في قبره كما كان فوق الأرض تماما رغم وجوده تحت أطباق التراب وإقامة الجدران المبنية باللبِن عليه ، وهذا زعم باطل لا أساس له ، فإنه لو كان عليه السلام حيا في ضريحه كحياته قبل موته من غير فارق بينهما لما ساغ بقاؤه تحت الأرض ، بل يجب أن يعيش فوقها ، فهذه سُنَّة الله في خلقه ؛ أن الموتى هم الذين يُدفنون تحتها ، وأما الأحياء فيعيشون على ظهرها ، وكيف يكون تحت الأرض حيا ثم لا يفتي أصحابه فيما أشكل عليهم من شرائع الإيمان ، ويريحهم مما وقع بينهم من خلاف ، وينبههم على ما جدَّ بينهم من بدع ومفتريات؟

وقد اختلف أصحابه بعد موته في كثير من المسائل التي كانوا يحتاجون فيها إلى قوله الحاسم.

أم تقولون إنه كان حيا ولكنه كان عاجزا عن النطق وعن رد الجواب لمن سأله متلهفا على سماع ذلك منه ، وكان كذلك عاجزا عن الحركة والنهوض؟

---

١ أي الاختلاف العظيم.

٢ هو العلامة السلفي ، محمد خليل هراس ، مصري ، ولد عام ١٩١٦ م ، عمل رئيسا لشعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى ، ثم عاد إلى مصر وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، ثم رئيسا لها ، له عدة مؤلفات وتحقيقات ، منها «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتحقيق «كتاب التوحيد» لابن خزيمة ، و «شرح نونية ابن القيم» في مجلدين ، توفي رحمه الله عام ١٩٧٥ م عن ستين عاما ، قضاها في الدعوة والتعليم والذب عن العقيدة الإسلامية.

باختصار من مقدمة تحقيق كتابه شرح «العقيدة الواسطية» ، لعلوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر: دار الهجرة ، السعودية.

فما هي تلك الحياة التي أثبتموها له إذا لم تقتض حسا ولا حركة ولا كلاما؟ دلونا على كُنهِها إن كنتم صادقين !"[1]

ثم قال ابن القيم رحمه الله:

هذا ولِم لا جاءهُ أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
إذْ كان ذلك دأبهم ونبيهم حيٌّ يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم أثرٌ بأن صِحابه سألوه فُتيا وهو في الأكفان
فأجابهم بجوابِ حيٍّ ناطق فأتوا إذًا بالحق والبرهان
هلاّ أجابهم جوابا شافيا إن كان حيا ناطقا بلسان

قال الشيخ هراس رحمه الله معلقا:

وإذا كان حيا في قبره كما زعمتم فلم لم يجئه أصحابه شاكين ما يلقونه من بأس عدوهم ، وقد كان ذلك دأبهم حين كان نبيهم حيا بينهم يشاهدهم ويشاهدونه ، وهل بلغكم من أثرٍ بأن أحدا من أصحابه جاءه مستفتيا إياه وهو مُدرجٌ في أكفانه ، وأنه أجابهم بما يجيب به الحي الناطق مَن سأله إن كان عندكم شيء من ذلك؟ فأْتُوا به ليكون برهانا على صدق دعواكم ، فهلا إن كان حيا قادرا على الكلام يجيبهم عما سألوا بما يشفي نفوسهم ويزيل حيرتهم؟[2]

ثم قال ابن القيم رحمه الله:

هذا وكم من أمرٍ أشكل بعده أعني على علماء كل زمان
أو ما ترى الفاروق ودَّ بأنه قد كان منه العهد ذا تبيان
بالجَدِّ في ميراثِه وكلالةٍ وببعض أبواب الربا الفتان
قد قصَّر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسَله وهو في الأكفان
أتُراهم يأتون حول ضريحه لسؤال أمِّهِمُ أعز حُصان[3]
ونبيهم حيٌّ يشاهدهم ويسمعهم ولا يأتي لهم ببيان
أفكان يعجِز أن يجيب بقوله أن كان حيا داخل البنيان

---

١ «شرح القصيدة النونية» (٤/٢) ، توزيع دار الباز – مكة.

٢«شرح القصيدة النونية» (٦/٢).

٣ يعني عائشة رضي الله عنها.

يا قومـنا استحـيوا من العـقـلاء والـمبـعـوث بالـقـرآن والرحـمٰن
والله لا قدْرِ الرسول عرفتم كلا ولا للنفس والإنسان
من كان هذا القدرُ مبلغُ علمه فليستتِر بالصمت والكتمان

قال الشيخ هراس رحمه الله معلقا:

هذا وكم من مشكلات جدَّت بعد موته عليه السلام ، والتبس أمرها على العلماء في سائر القرون ، ولم يهتدوا إلى وجه الصواب فيها ، حتى إن الفاروق عمر رضي الله عنه ودَّ لو كان الرسول ﷺ قد عهِد إليهم بشيء واضح في ميراث الجدِّ والكلالة ، وفي بعض أبواب الربا ، وفيمن يكون خليفة بعده.

روى الحاكم باسناده عن عمر بن دينار قال: سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة يحدث عن عمر بن الخطاب قال: لإن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاثٍ ، أحبُّ إلي من حُمَر النَّعَم[1]:

مَن الخليفة بعده؟

وعن قوم قالوا: نُقِرُّ بالزكاة ولا نؤديها إليك ، أيحل قتالهم؟

وعن الكلالة.[2]

ثم روى هذا الإسناد عن سفيان بن عيينة عن عمر بن مرة عن عمر قال: ثلاثٌ لئن يكون النبي ﷺ بيَّنهن لنا أحب إلي من الدنيا وما فيها: الخِلافة والكلالة والربا.

فعلى رأيكم[3] يكون الفاروق رضي الله عنه قد قصَّر إذ لم يطلب من الرسول ﷺ بيان هذه الأمور وهو في أكفانه ، ما دمتم تعتقدون أنه حي يسمع ويجيب.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون إلى بيت عائشة ، الصديقة بنت الصديق رضي لله عنها ، ليسألوها عما أشكل عليهم ، حتى يقول في ذلك أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما.[4]

فلو كان نبيهم عليه السلام حيا يشاهدهم ويسمعهم وهم حول ضريحه في بيت أمهم إنما كان ينبغي أن يجيبهم عما سألوه عنه بدلا من إحالتهم على من يحتمل قولها الخطأ والصواب.

أم كان عاجزا وهو حي داخل قبره أن يسعفهم بالجواب؟

---

١ وهن الإبل.

٢ «المستدرك على الصحيحين» (٣٠٣/٢).

٣ الخطاب موجه لمن يقولون بحياة النبي ﷺ في قبره الحياة الدنيوية المعروفة.

٤ رواه الترمذي (٣٨٤٧) وصححه ، وقد ضبطت النص من «جامع الترمذي».

يا قوم ألا تستحيون من هذا الكلام الذي لا يقره عقل ولا يرضى عنه الله ولا رسوله ، والذي يدل جهلكم الفاضح بقدر الرسول ﷺ وبحقيقة النفس الإنسانية ، وكيف تفارق البدن عند الموت فتزول عنه الحياة ولا تعود إليه إلا عند البعث ، فمن كان هذا القدر من المعرفة هو مبلغ علمه فليستحيِ من نفسه وليلذ بالصمت والكتمان حتى لا يظهر للناس جهله ، فيكون كلامه مثارا للسخرية والازدراء من جميع العقلاء.[1]

الوجه الحادي عشر: أن النبي قال ﷺ : أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة علي.

قالوا: كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ[2]؟

قال: إن الله حــرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

وهناك شاهد من الحديث على أن النبي ﷺ ليس حيا في قبره الحياة الدنيوية المعروفة وهو أنه لم يقل لهم ذلك لما سألوه ، ولو كان حيا الحياة المعروفة لكانت الإجابة بذلك أولى من الإجابة بقوله: (إن الله قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء).

الوجه الثاني عشر: لو كان الأنبياء أحياء كحياتهم في الدنيا لكانوا فوق الأرض لا تحتها ، فهذه سنة الله في خلقه أن الأحياء مكانهم فوق الأرض ، والأموات تحت الأرض.[3]

خلاصة في مسألة اتصال الروح بالجسد

قال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحنفي رحمه الله في مسألة اتصال الروح بالجسد:

"ذلك حق ، والإيمان به واجب ، وهو من الغيب ، واتصال ذلك لا يعلم كيفيته إلا العليم الخبير ، ومن تأمل قدرة الله وعجائب تدبيره وغرائب صنعه لم يستنكف عن قبول الإيمان به ، لأن للنفس نَشَآت ، وهي في كل نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة ، فكما أنها تشاهد في المنام صوراً لا تشاهدها في اليقظة ، كذلك تشاهد في حال انخلاعها عن البدن أموراً لم تكن تُشاهَد في الحياة ، فإن الأعمال القِباح والصفات المهلكات قد تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت ، فيكون آلامها كآلام لدغ

---

١ شرح «نونية ابن القيم» (٢/٧ – ٨).

٢ أرِمتَ أي بليت.

٣ قاله الشيخ أحمد بن محمد بن الصادق النجار في كتابه «المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل» ، ص ٥٣ ، الناشر: دار النصيحة – المدينة.

الحيات والعقارب من غير وجود ذلك ، كما تشاهد من النائم شيئاً يذعُره ويراه ويتألم به وينزعج منه ، كحية لدغته ، وأنت تراه ساكناً لا حيَّة عنده ، فكذلك العذاب يحصل وأنت لا تراه ، فسلِّم تَسْلَم قبل أن تقع في ساحة الندم.

وفي قوله جل ذكره ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ كفاية لكل مؤمن عاقل ، لأن الروح من عالم الأمر التكويني الحاصل من غير مادة ، فهي من جنس ما استأثر الله به ، فتكون من الأسرار الخفية التي لا يحوم حولها عقول البشر ، ولا تدركها الصُّور."[1]

فالحاصل أن حقيقة حياة الإنسان في قبره تعتبر غيبا من الغيوب ، لا يدري كُنهها إلا الله سبحانه وتعالى ، ولكن من الثابت المعلوم قطعا أنها تختلف عن الحياة الدنيوية ولا تخضع لقوانينها ، فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب ويتنفس ويتزوج ويتحرك ويمرض ويتكلم ويسمع من حوله ويقضي حاجته ، أما الميت فليس كذلك ، ولو كان كذلك لاحتاج على أقل تقدير إلى الهواء ، فعلى هذا فلا يجوز أن تقاس الحياة البرزخية على الحياة الدنيوية ، بل لكل واحدة كنهٌ خاص وأحكام معينة ، ولا تتشابه مع الأخرى إلا في الاسم ، كما تشترك كثير من الأشياء في الاسم ، أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى ، ولهذا نظائر في الشريعة ، فمن ذلك ما ذكره الله تبارك وتعالى من نعيم الآخرة من المطعومات ، كالرمان والطير واللبن والعسل والماء ، فإنها كلها تشترك مع ما يقابلها من المطعومات الدنيوية في الاسم فحسب ، أما حقيقتها وطعمها فيختلف بلا ريب ، فكذلك الحياة البرزخية فإنها تشترك مع الحياة الدنيوية في الاسم فحسب ، أما الكُنه والحقيقة فلا.

الشبهة الثامنة: فإن قيل: إن نساء النبي ﷺ حرامٌ على غيره من بعده ، أفلا يدل هذا على حياته وعدم موته ، ومن ثم جواز طلب الاستغفار منه والدعاء كما كان يُفعل معه في حياته!

فالجواب أن هذه خصوصية اختصه الله بها ، وقصْرُ أزواجه عليه إنما هو لكونهن أمهات للمؤمنين ، أي كأمهاتهم في الحرمة والتوقير ، ومن ثَمَّ فلا يليق الزواج بهنَّ من بعده ﷺ .

ثم إنهن زوجاته ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولهذا حرُمنَ على غيره مِن بعده صيانة لهن عن دخولهن في فراش ثان.

ثم إن تزوُّج المرأة برجل بعد وفاة زوجها الأول يعتبر من دواعي نقصان محبة الأول.

---

١ «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص ٤٥ – ٤٧ ، باختصار يسير.

ثم إنهن اعتددن بعد وفاته بالعدة الشرعية ، أربعة أشهر وعشرا ، احتددْن فيها ولزِمن بيوتهن كما تفعل كل متوفى عنها زوجها ، امتثالا لقوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾ ، فدل هذا على وفاته ﷺ الوفاة الطبيعية.

فهذا جواب شبهة من ظن أن تحريم زوجات النبي ﷺ من بعده إنما هو لكونه حيا لم يمت.

قال ابن القيم رحمه الله:

لكن رسول الله خُصَّ نساؤه بخصيصةٍ عن سائر النسوان

خُيِّرْن بين رسوله وسواه فاخترن الرسول لصحة الإيمان

زوجاته في هذه الدنيا وفي الأخرى يقينا واضح البرهان

فلذا حرُمنَ على سواه بعده إذ ذاك صونٌ عن فراش ثان

لكن أتين بعِدة شرعية فيها الحداد ومَلزمُ الأوطان

الشبهة التاسعة: احتج بعضهم على حياة الرسل في قبورهم الحياة الدنيوية المعروفة بحياة الشهداء في قبورهم ، والمذكورة في قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل **أحياء** عند ربهم يرزقون﴾.

قالوا: إذا كان الشهداء أحياء في قبورهم ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام أولى منهم بهذا ، لأن الرسل أفضل من الشهداء ، فيكونون أحياء في قبورهم أيضا ، ومن ثَمَّ فهم يستمعون لمن خاطبهم وطلب منهم أن يدعوا له!

والجواب من وجهين ، **الأول:** أن هذا الدليل في الحقيقة دليل على من استشهد به وليس دليل له ، وذلك أن الشهداء وإن كانوا أحياء في قبورهم ولكنها ليست الحياة الدنيوية المعروفة ، يدل لذلك أن نساء الشهداء حلال تزوجهن بعد موتهم ، ومالهم مقـــسوم بين ورثتهم ، ولحومهم تأكله الطير والسباع والطير والديدان ، فلو كانوا أحياءً الحياة الجسدية الدنيوية المعروفة لاستمرت حرمة نسائهم وملكيتهم لأموالهم ، ولما كان لأكل الهوام للحومهم أي معنى ، فلما لم يكن ذلك ؛ لزم لزوما قطعيا أن حياة

الشهيد المذكورة في القرآن ليست من جنس الحياة الدنيوية الجسدية المعلومة لدينا ، بل هي حياة أخرى لا يعلم كُنهها إلا الله ، وإذا ثبت هذا في حق الشهيد ، ففي حق الأنبياء والرسل من باب أولى.

الثاني: أن الرسول ﷺ أخبر بأن أرواح الشهداء حية ، وأنها في حواصل طير خضر ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتأكل من ثمارها ، وتشرب من أنهارها ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، فالحياة للروح في الجنة وليست للجسد في القبر ، فعن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله[1] عن هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ قال: أمَا إنا قد سألنا عن ذلك[2] فقال: أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من **الجنة** حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطَّلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟

قالوا: أيُّ شيء نشتهي ونحن نسرح من **الجنة** حيث شئنا؟

ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يَسألوا قالوا: يا رب نريد أن **تُرد أرواحنا في أجسادنا** حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى.

فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا.[3]

فالعندية المذكورة في قوله تعالى ﴿عند ربهم﴾ ، وطَلبُ الشهداء في الحديث ردَّ أرواحهم إلى أجسادهم ؛ كل هذا يدل دلالة قاطعة على أن روح الشهيد منفصلة أصلا عن جسده الذي هو في القبر ، وأن حياته ليست في جسده في قبره ، بل علوية.

فإذا ثبت هذا للشهداء ، فلا شك أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أولى بتلك الحياة العلوية ، لأن الأنبياء أفضل من الشهداء وأرفع درجة منهم.

بل إن نعيم الحياة العلوية حاصلة لجميع أرواح المؤمنين ، كما حكاه ابن تيمية رحمه الله عن جمع من الأئمة ، فقد قال رحمه الله:

ما ذُكر من حياة الشهداء ورزقهم قيل إنه مختص بهم ، والصحيح الذي عليه الأئمة أنه ليس مختصاً ، كما دلت عليه النصوص ، وخُصَّ الشهيد بالذكر لكونِ الظان يظن أنه يموت ، فينكِل[4] عن الجهاد.[5]

---

١ أي ابن مسعود رضي الله عنه.

٢ أي: سألنا رسول الله ﷺ .

٣ رواه مسلم (١٨٨٧).

٤ أي الظان.

٥ نقله عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما في «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» ، ج ١١ ، ص ٤٦ – ٤٧ .

هذا هو الفهم الصحيح للآية والحديث ، ونعيم الحياة العلوية حاصلة لجميع أرواح المؤمنين.

وقال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد عدوكم ، وترك معاصيه ، وأداء سائر فرائضي عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: (هو ميت) ، فإن الميت مِن خلقي مَن سلبتُه حياته وأعدمته حواسه ، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً ، فإن من قُتِل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي أحياء عندي ، في حياةٍ ونعيم وعيش هنيء ، ورزقٍ سَنِي ، فرحين بما آتيتهم من فضلي ، وحبَوتُهم به من كرامتي.

كما حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾: من ثمرات الجنة ، ويجدون ريحها وليسوا فيها. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله: لم يرد حديث صحيح أنه ﷺ حي في قبره ، لكن نقطع أن الأنبياء – لاسيما خاتمهم وأفضلهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين – أعلى رتبة من الشهداء ، وقد قال سبحانه عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، فالأنبياء أولى بذلك ، قال تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ ، ومع ذلك فالشهداء داخلون تحت قوله ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ، ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ، فأثبت سبحانه للشهداء موتاً بدخولهم في العموم كالأنبياء وهو الموت المشاهد ، ونفى عنهم موتاً ، فالموت المثبت غير الموت المنفي ، فالموت المثبت هو فراق الروح الجسد وهو مشاهد محسوس ، والمنفي زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن.[1]

وقال البيضاوي[2] رحمه الله على قوله سبحانه ﴿بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون﴾: وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يُحسُّ به من الحيوانات ، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل ، بل بالوحي.[3]

تنبيه:

---

١ عزاه الشيخ عبد الله أبابطين إلى ابن القيم كما في «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١١٨ .

٢ هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، أبو الخير ، ناصر الدين ، البيضاوي ، كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والعربية ، نظارا صالحا متعبدا زاهدا شافعيا. انظر «طبقات المفسرين» للداوودي ، ص ١٧٣ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣ «تفسير البيضاوي» ، سورة البقرة: ١٥٤ .

فإن قيل: (فإن كان هذا حكم لا يختص بالشهداء ، فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص)؟

فالجواب إن تخصيصهم بالذكر في هذه النصوص دل على التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجاتها ، وأن هذا مضمونٌ لأهلها ولا بد ، وأن لهم منه أوفر نصيب ، فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم ، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة من كثير منهم فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه ، ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ، فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبدانا خيرا منها تكون فيها إلى يوم القيامة ، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير ، وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال: (نسمة المؤمن طير) ، فهذا يعم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهيد بأن قال: (هي في جوف طير) ، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدَق عليها أنها طير ، فصلوات الله وسلامه على من يُصدِّق كلامه بعضه بعضا ، ويدل على أنه حق من عند الله ، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر[1] وترجيحه رواية من روى: (أرواحهم كطير خضر) ، بل الروايتان حق وصواب ، فهي كطير خضر وفي أجواف طير خضر.[2]

فإن قيل: فلماذا إذن نهى الله المؤمنين عن وصف الشهداء بأنهم أموات؟

فالجواب ما قاله الشيخ فوزان السابق[3] رحمه الله:

ثم إن نهيُ المؤمنين عن أن يقولوا في شأن الشهداء "أموات" إما أن يكون دفعاً لإيهام مساواتهم لغيرهم في ذلك البرزخ ، وتلك خصوصية لهم وإن شاركهم النعيم – بل وزاد عليهم – بعض عِباد الله تعالى المقربين ممن يقال في حقهم ذلك ، وإما أن يكون صيانة لهم عن النُّطق بكلمة قالها أعداء الدين والمنافقون في شأن أولئك الكِرام ، قاصدين بها أنهم حُرِموا من النعيم ولم يروه أبدا ، وليس في الآية نهيٌ

---

١ أي ابن عبد البر رحمه الله ، وقد نقل كلامه قبل ذكر كلامه هذا.

٢ المسألة الخامسة عشرة من كتاب «الروح» ، ص ٢٥٩ – ٢٦١ ، بتحقيق يوسف بديوي ، ط دار ابن كثير – دمشق.

٣ هو الشيخ فوزان بن سابق السابق ، من طلبة العلم ، نشأ في بريدة بالقصيم من نجد ، وصفه خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» بأنه من فضلاء الحنابلة ، له مشاركة سياسية في أيام الملك عبد العزيز رحمه الله ، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٣ هجرية ، ألف الكتاب المنقول منه في الرد على مطاعن وجهها مختار بن أحمد المؤيد العظمي إلى علماء نجد. انظر «الأعلام» (١٦٢/٥) ، وله ترجمة في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣٧٨/٥ – ٣٨٣).

عن نسبة الموت إليهم بالكلية ، بحيث أنهم ما ذاقوه أصلاً ولا طَرفة عين ، وإلا لقال تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله ماتوا) ، فحيث عدل عنه إلى ما ترى عُلِم أنهم امتازوا بعد أن قُتلوا بحياة لائقة بهم مانعة عن أن يقال في شأنهم "أموات".[1]

فالحاصل أن الذين نفوا الموت عن النبي ﷺ لا يُفرِّقون بين حياة الأنبياء والشهداء بعد الموت وحياتهم في الدنيا ، وتهربوا من المعنى الظاهر لقوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ إلى معاني أخرى غير مقصودة ، والجواب سهل جدا وهو أن الحياة البرزخية تجامع الموت ولا تنافيه.[2]

الشبهة العاشرة: ومن عجائب الشبه ؛ ما احتج به بعض الناس على نفع الأموات للأحياء بأن موسى ﷺ قال للرسول عليه الصلاة والسلام في ليلة الإسراء: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، ففعل ، فرجع إلى ربه ، فخفَّف الصلاة من خمسين صلاة في اليوم والليلة إلى خمس صلوات.

قالوا: هذا دليل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ينفعون بعد وفاتهم ، فلا بأس من طلب الدعاء منهم!

فالجواب: أن روح موسى ﷺ التقت بجسد نبينا محمد ﷺ في السماء ، وحصل بينهما من المحادثة والمناصحة ما حصل ، وهذا من معجزاته ﷺ ، وطلب الحاجات من الحاضرين القادرين الأحياء جائز ، وليس هذا كمن يطلب حاجاته ممن لم يلتق به لا فوق الأرض ولا تحت الأرض ولا في السماء ، بل هذا في عالم وذاك في عالم آخر ، بدون التقاء أجساد ولا أرواح؟

الشبهة الحادية عشرة: احتج بعض الناس على حياة الأنبياء في قبورهم الحياة الدنيوية – ومن ثم تجويز خطابه كما يخاطب الأحياء – بما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ قال: أتيت – وفي رواية هداب: مررتُ – على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره.[3]

وكذا حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون.[4]

فقالوا: إن الصلاة حركات وأقوال لا تحصل إلا من حي ، فجوزوا خطابه كما يخاطب الأحياء!

والجواب من وجوه:

---

١ «البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار» ، ص ٣٠٢ ، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

٢ انظر «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ١٥٨ .

٣ رواه مسلم (٢٣٧٥).

٤ وهذا حديث صحيح كما بينه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٨٧/٢).

الوجه الأول: أن قيام موسى ﷺ في قبره يصلي ليس مختصا به وحده ، فباقي الأنبياء صلى بهم النبي ﷺ في بيت المقدس كما في قصة الإسراء والمعراج ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : وقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي ، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم – يعني نفسه – فحانت الصلاة فأممتهم ... الحديث.[1]

الوجه الثاني: قال بعض العلماء: إن صلاة موسى ﷺ في قبره محمولة على التمثيل فقالوا: إن جسمه قد مُثِّل للنبي ﷺ فرآه ، لأننا نعلم يقينا أن موسى قد مات.[2]

ويمكن أن يقال إن موسى ليس مخصوصا بذلك وحده ، بل حتى العبد المؤمن يتمنى الصلاة في قبره ، ومع هذا فلا يجوز طلب الدعاء منه ، فعلى هذا فليس في موسى ﷺ خصوصية ، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا دخل الميت القبر ، مُثِّلت له الشمس عند غروبها ، فيقول: دعوني أصلي.[3]

ولهذا دعا ثابت البناني – وهو أحد رواة حديث أنس المتقدم — دعا الله عز وجل أن يجعله مصليا في قبره إن كان قد أعطى ذلك لغيره من الناس ، فقد قال ابن سعد في «الطبقات»:

أخبرنا عفان بن مسلم ، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت قال: إن كنتَ أعطيتَ أحدا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبره.[4]

الوجه الثالث: لو كان قيام موسى ﷺ مصليا في قبره يفيد جواز كلامه أو دعائه أو طلب الدعاء منه لبيَّنه النبي ﷺ بعد ذكر الحديث وما كتمه.

وقد سُئل ابن تيمية رحمه الله عن هذه الأحاديث: أن النبي ﷺ رأى موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره ، ورآه وهو يطوف بالبيت ، ورآه في السماء ، وكذلك بعض الأنبياء.

---

١ رواه مسلم (١٧٢).

٢ نقلا من شرح نونية ابن القيم (١٦/٠٢) للشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي بتصرف يسير.

٣ «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان» (٣٨٥/٧) ، برقم ٣١١٦ ، وابن أبي عاصم في السنة (٨٩٣) وابن ماجه في الزهد (٤٢٧٢). وحسنه البوصيري في «الزوائد» والشيخ شعيب الأرناؤوط في حاشيته على صحيح ابن حبان ، والدكتور باسم الجوابرة في حاشيته على كتاب «السنة» لابن أبي عاصم.

٤ «طبقات ابن سعد» (١٢١/٧) ، ترجمة ثابت البناني. وقال الشيخ أبو مالك الرياشي: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وهل إذا مات أحد يبقى له عمل ، والحديث أنه (ينقطع عمله).

وهل ينتفع بهذه الصلاة والطواف؟

وهل رأى الأنبياء بأجسادهم في هذه الأماكن أم بأرواحهم؟

فأجَاب:

الحمد للّه رب العالمين ، أما رؤيا موسى عليه السلام في الطواف ، فهذا كان رؤيا منام ، لم يكن ليلة المعراج – كذلك جاء مفسرا – كما رأى المسيح أيضًا ، ورأى الدجال.

وأما رؤيته ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء – لما رأى آدم في السماء الدنيا ، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة أو بالعكس – ؛ فهذا رأى أرواحهم **مصوَّرة** في صور أبدانهم.

وقد قال بعض الناس : لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور ، وهذا ليس بشيء.

لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده ، وكذلك قد قيل في إدريس.

وأما إبراهيم وموسى وغيرهما فهم مدفونون في الأرض.

والمسيح – ﷺ وعلى سائر النبيين – لابد أن ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فيقتل الدجال ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ، ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون ، لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة ، بخلاف غيره.

وآدم كان في سماء الدنيا ، لأن نَسَمَ[1] بنيه تُعرض عليه ، والأشقياء لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط[2] ، فلا بد إذا عُرضوا عليه أن يكون قريبًا منهم.

وأما كونه رأى موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء أيضًا ؛ فهذا لا منافاة بينهما ، **فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة** ، في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالمَلَك ، ليست في ذلك كالبدن ، وقد بسطتُ الكلام على أحكام الأرواح بعد مفارقة الأبدان في غير هذا الموضع ، وذكرتُ بعض ما في ذلك من الأحاديث والآثار والدلائل.

---

١ نسم جمع نسمة ، وهي الروح.

٢ سم الخياط هو ثقب الإبرة.

وهذه الصلاة ونحوها **مما يتمتع بها الميت** ، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح ، فإنهم يُلْهَمون التسبيح كما يُلهم الناس في الدنيا النَّفَس ، فهذا ليس من عمل التـكليف الذي يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وقول النبي ﷺ : (إذا مات ابن آدم[1] انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له) ؛ يريد به العمل الذي يكون له ثواب ، لم يرد به نفس العمل الذي يتنعم به ، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى الله ، ويتنعمون بذكره وتسبيحه ، ويتنعمون بقراءة القرآن ، ويقال لقارئ القرآن: (اقرأ وارْقَ ، ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها)[2] ، ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته ، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالا يترتب عليها الثواب ؛ فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه ، وهذه كلها أعمال أيضًا ، والأكل والشرب والنكاح في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة ، وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعم به ، والله أعلم.[3]

الشبهة الثانية عشرة: تمسك بعض الناس بآثار ضعيفة وردت في هذا الباب ، أخذوا منها جواز طلب الدعاء من النبي ﷺ أو من الصالحين بعد موتهم ، ومن ذلك هذا الأثر الذي رواه ابن أبي شيبة فقال:

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال – وكان خازن عمر على الطعام – قال:

أصاب الناس قحطٌ في زمن عمر ، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله ، استسق لأمتك ، فإنهم قد هلكوا) ، فأُتي الرجل في المنام ، فقيل له: اِئت عمر فأقرئه السلام ، وأخبره أنكم مَسقيُّون وقل له: عليك الكَيَسْ[4] ، عليك الكَيَس.

فأتى عمر فأخبره ، فبكى عمر ، ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه.[5]

ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» عن أبي معاوية به.[6]

---

١ الصواب: إذا مات الإنسان ...

٢ رواه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) ، وأحمد (١٩٢/٢) ، وقال الألباني رحمه الله: حسن صحيح.

٣ «مجموع الفتاوى» (٣٢٨/٤ – ٣٣٠) ، باختصار يسير.

٤ الكَيَس هو العقل.

٥ «مصنف ابن أبي شيبة» ، (٣٥٩/٦) برقم (٣١٩٩٣).

٦ «دلائل النبوة» ، (٤٧/٧).

وقد أجاب الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتابه «التوسل ، أنواعه وأحكامه» عن هذه الشبهة فقال ما نصه:

"والجواب من وجوه:

الأول: عدم التسليم بصحة هذه القصة ، لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط ، وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح ، وقد أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/١-٢١٣) ولم يذكر راويا عنه غير أبي صالح هذا ، ففيه إشعار بأنه مجهول ، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه – مع سعة حفظه واطلاعه – لم يحكِ فيه توثيقا ، فبقي على الجهالة.

الثاني: هب أن القصة صحيحة[١] فلا حجة فيها ، لأن مدارها على رجل لم يسمَّ[٢] ، فهو مجهول أيضا ، وتسميته بلالا في رواية سيف[٣] لا يساوي شيئا ، لأن سيفاً هذا – وهو ابن عمر التميمي – متفق على ضعفه عند المحدثين ، بل قال ابن حبان فيه: "يروي الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا: إنه كان يضع الحديث" ، فمن كان هذا شأنه لا تقبل روايته ولا كرامة ، لا سيما عند المخالفة.

الثالث: أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء ، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة ، وعمل به جماهير الأمة ، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار ، وهي قوله تعالى في سورة نوح ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ ، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس كما سبق بيانه ، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا ، ولم ينقل عن أحد منهم مطلقا أنه التجأ إلى قبر النبي ﷺ ، وطلب منه الدعاء للسقيا ، ولو كان ذلك مشروعا لفعلوه ولو مرة واحدة ، فإذا لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ما جاء في القصة.[٤]

انتهى كلام الألباني رحمه الله باختصار وتصرف.

وصدق رحمه الله ، فما فائدة صلاة الاستسقاء طالما أن الغيث يُستنزل بالذهاب إلى قبر النبي ﷺ وطلب الاستسقاء منه؟

فإن قيل إن ابن حجر رحمه الله صحح هذا الأثر فقال:

---

١ أي إلى مالك الدار.

٢ أي الرجل الذي أتى إلى قبر النبي ﷺ .

٣ ذكر سيف بن عمر في كتابه «الفتوح» أن اسم الرجل: بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة ، وكلام سيف مردود أصلا لأنه متروك الحديث كما سيأتي.

٤ ص ١٣١ – ١٣٤ .

"وروى ابن أبي شيبة **باسناد صحيح** من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار[1] ... الخ."[2]

فالجواب من كلام الشيخ الألباني أيضا رحمه الله:

إنه ليس نصا في تصحيح جميع السند ، بل إلى أبي صالح فقط ، ولولا ذلك لما ابتدأ هو الإسناد من عند أبي صالح ، ولقال رأسا: "عن مالك الدار ... وإسناده صحيح" ، ولكنه تعمد ذلك ، ليلفت النظر إلى أن هٰهنا شيئا ينبغي النظر فيه ، والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب ، منها: أنهم قد لا يحضُرهم ترجمة بعض الرواة ، فلا يستجيزون لأنفسهم حذف السند كله ، لما فيه من إيهام صحته لا سيما عند الاستدلال به ، بل يوردون منه ما فيه موضع للنظر فيه ، وهذا هو الذي صنعه الحافظ رحمه الله هنا ، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار كما سبق نقله عن ابن أبي حاتم ، وهو يحيل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك هذا أو يشير إلى جهالته. والله أعلم.

وهذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة ، ويؤيد ما ذهبت إليه أن الحافظ المنذري أورد في «الترغيب» (٢/٤١ – ٤٢) قصة أخرى من رواية مالك الدار عن عمر ثم قال:

"رواه الطبراني في الكبير ، ورواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون ، ومالك الدار لا أعرفه."

وكذا قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٢٥).

انتهى كلام الألباني رحمه الله.

وانظر للفائدة تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على الأثر المذكور في حاشيته على «فتح الباري».

ثم إنه لو قدرنا جدلا تبوث هذه القصة والرؤيا التي فيها ، فإن الرؤى لا تُعتمد في الأحكام الشرعية ولو كان المرئي هو النبي ﷺ ، بل تؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كيف لا ، والشيطان يتلاعب في الناس في يقظتهم فضلا عن منامهم؟

وخلاصة القول أن الأثر ضعيف لجهالة مالك الدار والرجل الذي أتى قبر النبي ﷺ في المنام ، ولكون الرؤى لا تعتمد في الأحكام الشرعية ، والله الهادي.

الشبهة الثالثة عشرة: تمسك به بعض الناس باجتهادات خاصة لبعض الصحابة ، ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، فبكى طويلا وحوَّل وجهه إلى الجدار ، وفي آخر الحديث قال رضي الله عنه: فإذا أنا متُّ ، فلا تصحبني نائحة ولا نار ،

---

١ الذي وقع في «فتح الباري» تحت حديث (١٠١٠) (مالك الداري) ، والمثبت من «المصنف».

٢ انظر المرجع السابق الذكر: «فتح الباري» تحت حديث (١٠١٠).

فإذا دفنتموني فشُنُّوا[1] علي التراب شَنًّا ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويُقسم لحمها ، حتى **أستأنس بكم وأنظر** ماذا أراجع به رسل ربي.[2]

فالجواب أن هذا اجتهاد خاص من عمرو بن العاص رضي الله عنهما[3] ، لم يُقِرَّهُ عليه النبي ﷺ ، ولم تُنقل موافقة الصحابة عليه ، ومن قواعد الشريعة أن الصحابي إذا تفرد برأي لم يوافقه عليه جمهور الصحابة فإن اجتهاده لا يُقبل ، لأن الصواب مع الجمهور وليس مع أفراد الناس وإن كان المتكلم من الصحابة ، فهذا أبو قتادة رضي الله عنه كان يأكل البَرَد وهو صائم ويقول أنه لا يُفَطِّر ، واجتهاده مردود عليه ، لأنه مخالف للشرع ، ولأنه اجتهاد لم يوافق عليه أحد من الصحابة.

وكذلك ابن عمر رضي الله عنهما كان يقف في الأماكن التي كان النبي ﷺ يقف عندها في سفره ويستريح فيها ظنا منه بأن فعل هذا من السنة ، ولم يوافــقه الصحابة على ذلك رضي الله عنه.

وكذلك أبو هريرة رضي الله عنه تأول حديث "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء" ، فكان يغسل يده في الوضوء حتى يشرع في العضد ، وكذا القدم حتى يشرع في الساق ، واجتهاده هذا لم يفعله واحد من الصحابة ، بل لم يفعله الرسول ﷺ أصلا ، فرُدَّ عليه اجتهاده ، ولم يتابعه عليه أحد من الصحابة مع أنه هو راوي الحديث.

وهكذا أمثلة كثيرة في تفردات بعض الصحابة عن اجتهاد منهم ، والسعيد من وافق الهدي النبوي ، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويرد ، وخير القول قول محمد ﷺ .

تنبيه

واعلم – رحمك الله – أنه قد وردت آثار عن بعض السلف وأقوال لبعض أهل العلم في أن الأموات يعلمون بأحوال الأحياء إذا قدم عليهم ميت ، ولكن هذه الأخبار عند التحقيق غير مقبولة ، لأنها غير ثابتة عن النبي ﷺ بنقل صحيح ، بل هي من كلام الناس ، فضلا عن كونها غير ثابتة عنهم ، ثم إنها تصادم ما دلت عليه الآيات والأحاديث وفهم الصحابة رضوان الله عليهم ، فالواجب رد هذه الأخبار ، لا سيما وهي متعلقة بالإيمان بالغيب.

تنبيه آخر

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام مسألة طلب الدعاء من الملائكة ، فهذا الفعل باطل ، لأن الملائكة تدعوا للمؤمنين وتستغفر لهم من غير أن يسألهم أحدٌ من ذلك شيئا ، قال تعالى ﴿الذين يحملون العرش

---

١ الشن هو الصب المتقطع.

٢ رواه مسلم (١٢١).

٣ قاله ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لـ «مشكاة المصابيح» ، مسجلا.

ومن حوله يسبحون بحمد ربهم **ويستغفرون لمن في الأرض** ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما **فاغفر** للذين تابوا واتبعوا سبيلك **وقهم** عذاب الجحيم * ربنا **وأدخلهم جنات عدن** التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * **وقهم السيئات** ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾.

والملائكة تستغفر لمن ينتظر الصلاة تقول: اللهم **اغفر** له ، اللهم ارحمه.[1]

وإذا دعا المؤمن لأخيه في ظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين ، **ولك** بمثل.[2]

وقال رسول الله ﷺ : ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم **أعط** منفقا خلفا ، ويقول الآخر: اللهم **أعط** ممسكا تلفا.[3]

كذلك فإن الملائكة تعمل بأمر الله لا بأمر الناس ، كما جاء وصفهم في القرآن ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ، فطلب الدعاء من الملائكة لا تأثير له إطلاقا.

فالحاصل أن طلب الدعاء أو غيره من الملائكة باطل ، ومن التعلق بالظنيات ، وسبيل إلى الوسوسة ، لم يرشد إليه الله ولا رسوله ، ولم يفعله أحد من سلف الأمة ، بل ربما كان ارتكاب هذا سببا لحرمان العبد من استغفار الملائكة له ، وربما كان سببا ووسيلة لدعاء الملائكة نفسها ، ومن ثَـمَّ الوقوع في الشرك ، فالواجب الحذر ، والله أعلم.

---

١ تقدم تخريجه.

٢ رواه مسلم (٢٧٣٢) عن أبي الدرداء ، وابن ماجه (٢٨٩٥) عن أم الدرداء رضي الله عنهم.

٣ رواه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (١٠١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فائدة في مراحل الروح

إنه من المتقرر شرعا وعقلا أن روح الإنسان تمر بخمسة مراحل ، فالأولى في بطن أمه وليس قبل هذه المرحلة شيء البتة ، وهو في هذه المرحلة تُنفخ في الروح إذا بلغ مئة وعشرين يوما.

والحياة الثانية تكون في الحياة الدنيا بعد ولادته إلى موته حين يكون مستيقظا ، وبين هذه الحياة والتي قبلها فرق ظاهر.

والحياة الثالثة حياته إذا نام ، فإنه يكون فيها حيا من جهة النَّفْس ، أما روحه فإن الله يقبضها كما قال تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾.

والحياة الرابعة حياته في البرزخ وهي التي ما بين نزع روحه إلى حين مبعثه من قبره عند قيام الساعة ، وفيها تكون الروح في عليين أو في سجين بحسب عمل الميت ، وفي هذه المرحلة تتصل الروح بالجسد أحيانا ، ولكنها لا تعلم شيئا مما يدور في الدنيا ولا تشعر به.

والحياة الخامسة ما بعد مبعثه ، وهنا تتصل الروح بالجسد ولا تنفك عنه أبدا لا بنوم ولا بموت.

فأهل السنة والجماعة متوسطون – بحمد الله – ، فلا يقولون بقول الدهرية: إن الميت إذا مات صار عدما ، ولا يقولون إنه حي كحياته في الدنيا ، بل يقولون إن روحه قد فارقت جسده ، وأنه في حياة أخرى لا يعلم كُـنهها إلا الله عز وجل ، يتنعَّم فيها أو يتعذب ، غير متصل بالحياة الدنيا البتة ، ولله في **خلقه شؤون**.

مقدمة تأصيلية لفهم التوسل الشرعي

أنواع التوسل الشرعي

بيان التوسل البدعي وأدل بطلانه

كلام جامع في معنى الوسيلة وأنواع التوسل

شبهات والجواب عليها

خلاصة في الأحاديث الواردة في فضل التوسل بجاه المخلوقين من الأنبياء والصالحين

مقدمة تأصيلية لفهم التوسل الشرعي

التوسل لغة هو التقرب إلى المطلوب منه بوسيلة ما لتكون سببا لقضاء حاجته ، وشرعا هو التقرب بطاعة الله للحصول على مصلحة شرعية.

قال ابن جرير في تفسير قوله عز ذكره ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ :

يعني جل ثناؤه بذلك: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعد من الثواب وأوعد من العقاب ؛ ﴿اتقوا الله﴾ ، يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك ، وحققوا إيمانكم وتصديقكم ربكم ونبيكم بالصالح من أعمالكم ، ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ ، يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه ، والوسيلة هي الفعيلة من قول القائل: توسلت إلى فلان بكذا ، بمعنى تقربت إليه. انتهى.

وقال الشنقيطي رحمه الله في تفسير سورة المائدة ، آية رقم 35 :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ الآية ، اعلم أن **جمهور العلماء** على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، على وِفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاصٍ في ذلك لله تعالى ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضى الله تعالى ، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

وأصل الوسيلة الطريق التي تُقَرِّب إلى الشيء وتُوصل إليه ، **وهي العمل الصالح بإجماع العلماء** ، لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ ، وعلى هذا فالآيات المبيِّنة للمراد من الوسيلة كثيرة جدا ، كقوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ، وقوله ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات.

وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه ؛ أنه تخبط في الجهل والعمى ، وضلال مبين ، وتلاعب بكتاب الله تعالى ، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار كما صرح به تعالى في قوله عنهم ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، وقوله ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضى الله وجنته ورحمته هي اتباع رسوله ﷺ ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل ، ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به﴾ الآية.

انتهى الغرض من كلامه رحمه الله.

وقد حكى الإجماع ابن كثير[1] رحمه الله على أن معنى الوسيلة القربة إلى الله ، حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ من سورة المائدة بعدما نقل كلام الأئمة في بيان أن معنى الوسيلة هي القربة:

وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة **لا خلاف بين المفسرين فيه**.

فائدة:

والوسيلة تطلق على درجة في الجنة ، قال عليه الصلاة والسلام: سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة.[2]

أنواع التوسل الشرعي

التوسل الشرعي هو التوسل الذي شرعه الله ورسوله ، ويقابله التوسل البدعي أو الشركي.

والتوسل الشرعي يكون بثلاثة أمور[3]:

الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا كما قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ، والمعنى ادعوا الله متوسلين إليه بأسمائه الحسنى ، كقول يا رحمٰن ارحمني ، يا رزاق ارزقني ، ويا غفار اغفر لي ونحو ذلك ، فهذا النوع من التوسل مشروع ، ومن أسباب قبول الدعاء.

قال العلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله في كتابه «القول السديد في مقاصد التوحيد» ، باب قول الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ الآية ، قال رحمه الله:

أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى ، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة ، والمعارف الجميلة ، والتعبد لله بها ودعاؤه بها ، فكل مطلب يطلبه العبد

---

[1] هو عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البُصروي الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في مطلع القرن الثامن ، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ ، له تصانيف مفيدة ، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم» ، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، توفي سنة 774 .

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ، و «البدر الطالع» للشوكاني ، رحمهم الله.

[2] رواه مسلم (384) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

[3] وسيأتي قريبا إن شاء الله بيان التوسل البدعي وأنواعه.

من ربه من أمور دينه ودنياه فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى ، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق ، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمٰن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة ، وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها ، وتمتلئ بأجل المعارف.

فمثلا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيما لله وإجلالا له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقا له وحمدا له وشكرا.

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعا لله وخشوعا وانكسارا بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات ، وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارا واضطرارا إليه ، والتفاتا إليه كل وقت ، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته ، وتَعَبُّدَه بها لله ، لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها ، وهي أفضل العطايا من الله لعبده ، وهي روح التوحيد وروحه ، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكُمّل من الموحدين.

انتهى كلامه رحمه الله.

الثاني: التوسل بدعاء صالحٍ حيٍّ حاضرٍ ،كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبة فيذهب إلى رجل من أهل الصلاح والاستقامة ويطلب منه أن يدعو له الله عز وجل أن يفرج عنه ما هو فيه من كربة ، فإن هذا من أسباب إجابة الدعاء[1] ، ولهذا كان الصحابة يأتون إلى النبي ﷺ ليدعو لهم إذا نزلت بهم نازلة ، فعن خبَّاب بن الأرَت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّد بردةً له في ظِلِّ الكعبة ، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا **تدعو لنا؟**[2]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أُوَيس ، وله والدة ، وكان به بياض ، فَمُروه **فليستغفر لكم**.

---

1 ودليله قوله تعالى ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾.

2 رواه البخاري (3612).

فكان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد[1] أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال له: **استغفر لي** ، فاستغفر له.[2]

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتُـطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت[3] ، فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عُرِضوا علي غزاة في سبيل الله ، يركبون ثبج[4] هذا البحر ، ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة – شك إسحاق – .

قالت: فقلت: يا رسول الله ، **ادع الله أن يجعلني منهم** ، فدعا لها رسول الله ﷺ ، ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال في الأول. قالت: فقلت: يا رسول الله **ادع الله أن يجعلني منهم**. قال: أنت من الأولين. فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان ، فصرعت[5] عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.[6]

ومن ذلك أيضا أن أمة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني أتكشف **فادع الله لي** ، قال: إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيكِ. فقالت: أصبر ، فقالت: إني أتكشف **فادع الله لي** أن لا أتكشف ، **فدعا لها**.[7]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثم قال: يا رسول الله ، هلكت الأموال ،

---

1 الأمداد هم الجماعة الغزاة الذين يُمِدون جيوش الإسلام في الغزو ، وأحدهم مَدد. «شرح النووي على صحيح مسلم».

2 رواه مسلم (2542).

3 أي أنها زوجته.

4 أي وسطه.

5 أي سقطت عن ظهرها.

6 رواه البخاري (2789) ، ومسلم (1912).

7 رواه البخاري (5652) ، ومسلم (2576) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وانقطعت السبل ، **فادع الله يغيثنا** ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا.[1]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا[2] فتسقينا ، **وإنا نتوسل إليك بعم نبينا**[3] فاسقنا ، قال: فيُسقون.[4]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: وقد بين الزبير بن بكار في «الأنساب» صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة ، والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يُكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث) ، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخْصَبت الأرض وعاش الناس.[5]

ولما قحِط الناس في عهد معاوية توسلوا إلى الله بدعاء رجل صالح ليس له قرابة من النبي ﷺ وهو يزيد بن الأسود الجرشي ، وعنده جمع من الصحابة وأجلاء التابعين موافقون له على ذلك ، والقصة رواها الحافظ يعقوب بن سفيان في كتاب «المعرفة والتأريخ»[6] فقال:

حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا صفوان عن سليم بن عامر الخبائري أن السماء قحطت ، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون ، فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطى الناس ، فأمره معاوية فصعد المنبر ، فقعد عند رجليه فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا ، اللهم إنا نستشفع إليك[7] بيزيد بن الأسود الجرشي ، **يا يزيد ارفع يديك إلى الله** ، فرفع يزيد يديه ، ورفع الناس أيديهم ، فما كان أوشك أن فارت سحابة في الغرب كأنها تُرس ، وهبت لها ريح فسقينا ، حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

---

1 رواه البخاري واللفظ له (1013) ، ومسلم (897).

2 أي بدعاء نبينا.

3 أي بدعاء عم نبينا ﷺ .

4 رواه البخاري (1010).

5 «فتح الباري» ، شرح حديث 1010 .

6 انظرها في ترجمة يزيد بن الأسود الجرشي.

7 أي نجعل دعاء يزيد لنا شفاعة عندك ، لأن الدعاء للغير شفاعة ، وليس المقصود أنهم يطلبون الحاجة من يزيد.

وهذا الأثر رواه ابن عساكر أيضا في «تأريخ دمشق» ، وصحح إسناده الألباني في «التوسل»[1] ، ونقل عن ابن حجر تصحيحه أيضا[2].

وفي ولاية الضحاك بن قيس فعل المسلمون ذلك أيضا ، فتوسلوا بدعاء يزيد مرة أخرى ، فقد روى الحافظ يعقوب بن سفيان في كتاب «المعرفة والتأريخ»[3] ، وابن عساكر في «تأريخ دمشق»[4] أن الضحاك ابن قيس خرج يستسقي بالناس فقال ليزيد بن الأسود: قم يا بكَّاء.

زاد ابن عساكر في رواية: فما دعا إلا ثلاثا إلا أُمطِروا مطرا كادوا يغرقون منه.

وهذا الأثر صحح إسناده الألباني في «التوسل»[5].

ومما يستفاد من هذه القصة أن صلاح المرء وتقواه سبب لقبول دعائه ، فإن اجتمع مع هذا قرابته لرسول الله ﷺ كان خيرا على خير ، أما مجرد القرابة من غير صلاح فإنها ليست وسيلة مطلقا ، ولو كانت القرابة من النبي ﷺ تقرب إلى الله لنفعت عمه أبو طالب أو أبو لهب في الآخرة ، وأنَّا لهما ذلك؟

قال الشيرازي في «المهذب»: ويستسقى بالخِيار من أقرباء رسول الله ﷺ ، لأن عمر استسقى بالعباس ، ثم ساق الأثر المتقدم عن عمر.

ثم قال: ويُستسقى بأهل الصلاح لما رُوي أن معاوية استسقى بيزيد بن الأسود ، ثم ساق الأثر.[6]

فالحاصل أن طلب الدعاء من الصالحين الأحياء أمر مشروع ، ولكن لا ينبغي أن يجعل الإنسان هذا ديدنه ، أو أن يترك العبد الدعاء في الشدة اعتمادا على دعاء من طلب منه الدعاء من الصالحين ، بل يجمع بين هذا وهذا ، والله أعلم.

ثالثا: ومن أنواع التوسل المشروع توسل الداعي بعمل صالح قام به ، كأن يقول: اللهم بإيماني بك ، واتباعي لرسولك ، وببري بوالدي ، اغفر لي وارحمني ، أو فرج عني ما أنا فيه ، أو ارزقني الولد ، ونحو ذلك من الأدعية.

---

1 ص 45 .

2 انظر «الإصابة» (698/6) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الناشر: دار الجيل – بيروت.

3 انظرها في ترجمة يزيد بن الأسود الجرشي.

4 انظرها في ترجمة يزيد بن الأسود الجرشي.

5 وصحح إسناده الألباني في كتاب «التوسل» ، ص 45 .

6 انظر «المجموع» شرح «المهذب» ، باب صلاة الاستسقاء عند قول المصنف رحمه الله: إذا أراد الإمام الخروج للاستسقاء وعظ الناس.

والدليل على مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة ما ذكره الله في القرآن الكريم من **توسل المؤمنين بإيمانهم** ليقيهم عذاب النار كما في قوله تعالى ﴿ربنا إننا سمعنا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وقنا عذاب النار﴾.

ومن الأدلة أيضا توسل الثلاثة الذين انطبق عليهم فم الغار بأعمالهم الصالحة ، فتوسل الأول ببره بوالديه ، وتوسل الثاني بتعففه عن الزنا ، وتوسل الآخر بأمانته ، فانكشفت عنهم الصخرة فخرجوا ، ونص القصة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر ، فدخلوا في غار في جبل ، فانحطت عليهم صخرة ، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه ، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان ، شيخان كبيران ، فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب ، فأجيء بالحِلاب[1] فآتي به أبوَي فيشربان ، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي ، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان ، قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون[2] عند رجلي ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر.

اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء.

قال: فَـفُـرِّج عنهم.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء ، فقالت: لا تنال ذلك منها[3] حتى تعطيها مائة دينار ، فسعيتُ فيها حتى جمعتها ، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ، ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركتها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة.

قال: ففرج عنهم الثلثين.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بـفَـرَقٍ[4] من ذرة فأعطيته ، وأبى ذاك أن يأخذ ، فعمدت إلى ذلك الفَـرَق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها ، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي ،

---

1 أي الحليب الذي حلبته.

2 يتضاغون أي يبكون ، من ضغا. انظر «النهاية».

3 أي لا ينال وطؤها بالحرام.

4 الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا. انظر «النهاية».

فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك ، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك ، ولكنها لك ، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ، فكشف عنهم.[1]

فهذه هي أنواع التوسلات الثلاثة ، التي جاء ذكرها في القرآن والسنة ، فمن توسل بها في دعاءه كان دعاؤه قريبا للإجابة بإذن الله.

بيان التوسل البدعي وأدلة بطلانه

التوسل البدعي هو التوسل إلى الله بما لم يجعله الله وسيلة لحصول المقصود ، كالتوسل إلى الله بذوات الموتى أو بجاههم أو بحقهم ونحو ذلك ، كقول: اللهم بجاه النبي ، أو بحق قبره ، أو ببركته ، اغفر لي ذنبي ، أو فرج عني كربتي ، أو قول: اللهم بجاه فلان ، أو بحقه عليك ، ارزقني ، أو اغفر لي ذنبي.

والذين يفعلون هذا يعتقدون أن توسلهم هذا سببا لحصول المقصود ، والحق أن توسلهم هذا باطل وليس سببا لحصول المقصود ، بل هو بدعة ، وما كان بدعة فهو سبب لحصول الإثم ، وبيان ذلك من ثمانية وجوه:

الأول: أن جاه الميت وقدره عند الله يعود نفعه على الميت نفسه وليس على الآخرين ، وعليه فلا يصح أن يكون السؤال بالجاه سببا لإجابة سؤال من سأل الله به ، لأنه لا تلازم بين الأمرين ، فيكون السائل قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سببا لحصول مقصوده ، كما لو أن رجلا قال لأميرٍ أو وزيرٍ: (أسألك بطاعة فلان لك وبجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا) ، فهذا سؤال بأمر أجنبي عن السائل لا تعلق له بحاجته ، ولا يوجب على ذلك الأمير إجابة سؤاله من أجله ، فكذلك إذا توسل إنسان بذات الرسول ﷺ أن يجيب الله دعاءه ، فإن التوسل بذات الرسول ﷺ وقدره عند الله بحد ذاته لا توجب إجابة الدعاء ، بخلاف ما لو توسل إنسان إلى الله بطاعته للرسول ﷺ واتباعه له فهذا من أسباب إجابة دعائه ، لأنه توسل بعمل يوجب قبول دعائه ، وهو طاعة الله ورسوله.

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما بمجرد الأنبياء والصالحين[2] ومحبة الله لهم وتعظيمه لهم ورعايته لحقوقهم التي أنعم الله بها ، فليس فيها ما يوجب حصول مقصود السائل إلا بسبب بين السائل وبينهم ، إما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك ، وإما دعاؤهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه.

---

[1] رواه البخاري (2215) واللفظ له ، ومسلم (2743).

2 يعني التوسل بمجرد ذواتهم.

فالتوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين: إما بطاعتهم واتباعهم ، وإما بدعائهم وشفاعتهم[1] ، فبمجرد دعاءه بهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه ، وإن عَظُم جاهُ أحدهم عند الله تعالى.[2]

وقال أيضا: وأما إذا لم نتوسل إليه سبحانه بدعائهم ولا بأعمالنا ، ولكن توسلنا بنفس ذواتهم ؛ لم تكن نفس ذواتهم سببا يقتضي إجابة دعائنا ، فكنا متوسلين بغير وسيلة ، ولهذا لم يكن هذا منقولا عن النبي ﷺ نقلا صحيحا ، ولا مشهورا عن السلف.[3]

وقال أيضا: فإذا قال الداعي: (أسألك بحق فلان) ، وفلان لم يدعُ له ، وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته ، بل بنفس ذاته ، وما جعله له ربه من الكرامة ؛ لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب.[4]

وقال الألباني رحمه الله في كتاب «التوسل» بعدما بيَّن صفة التوسل الشرعي: وهذا الذي بيناه من معنى الوسيلة هو المعهود في حياة الناس وفي استعمالهم ، فإنه إذا كانت لإنسان حاجة ما عند مدير أو رئيس أو موظف مثلا ، فإنه يبحث عمَّن يعرفه ثم يذهب إليه ويكلمه ، ويعرض له حاجته فيفعل ، ويَنقل هذا الوسيط رغبته إلى الشخص المسؤول ، فيقضيها له غالبا ، فهذا هو التوسل المعروف عند العرب منذ القديم ، وما يزال ، ولا يَفهم أحد من ذلك أنه ذهب إلى الأول وقال له: بحق فلان عندك ومنزلته لديك اقض لي حاجتي.[5]

وقد يسأل سائل فيقول: فما فائدة جاه الأنبياء إذن؟

فالجواب: أن فائدة جاه الأنبياء ترجع عليهم أنفسهم بأن يرفع الله درجاتهم في الآخرة ويُعظِّم أقدارهم ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لأهل التوحيد في الآخرة ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة والله أعلم.

الوجه الثاني من وجوه بطلان التوسل بجاه الأنبياء والصالحين هو أن هذا الفعل ليس له أصل في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ، ولم يُذكر عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه توسل بالنبي ﷺ عند قبره أو بعيدا عن قبره ، بل لم يكن ذلك معروفا أصلا في القرون الثلاث المفضلة الأولى ، ولا يُعرف ذلك في

---

1 أي في حياتهم.

2 «اقتضاء الصراط المستقيم» (2/802-803).

3 «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 275 .

4 «اقتضاء الصراط المستقيم» (2/786).

5 «التوسل» ، ص 60 ، باختصار.

شيء من الأدعية الصحيحة ، وإنما يُنقل ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمَّن قولُه ليس بحجة ، ولو كان للتوسل بالموتى أصل في دين الإسلام لنُـقل ذلك إلينا قطعا لأن الله تكفل بحفظ دينه ، وقد كان الصحابة يُعذبون في مكة قبل هجرة الرسول ﷺ على أيدي الكفار فما كانوا يتوسلون بذات النبي ﷺ أو يقولون: اللهم بجاه نبيك فرج عنا ما نحن فيه ، أو نحو ذلك من الأدعية ، مع أنهم كانوا في حالة ضرورة ، وإنما كانوا يدعون الله أن يفرج عنهم ، أو يذهبون إلى النبي ﷺ ويطلبون منه أن يدعو لهم كما تقدم.

ثم إن الصحابة تتابعوا على ذلك رضي الله عنهم ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، العربي الأصيل ، ذو السنة المتبعة ، الذي صحب النبي ﷺ ولازمه في أكثر أحواله ، وفهم دينه حق الفهم ، وعرَفه حق المعرفة ، بل وافق القرآن قبل نزوله مرارا ؛ لما أصاب الناس قحط شديد في عهده في العام الذي عرف بعد بعام الرمادة لم يتوسل بجاه النبي ﷺ ولا بذاته ، بل طلب من العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أن يدعو الله أن ينزل عليهم المطر لقرابته من النبي ﷺ من ناحية ، ولصلاحه ودينه وتقواه من ناحية أخرى ، فدل ذلك على أن التوسل بذات الرسول ﷺ ليس مشروعا وليس معلوما أصلا ، بل المشروع هو ما فعله رضي الله عنه ، وهو التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر ، ولو كان التوسل بذات النبي ﷺ معروفا عند الصحابة والتابعين لوُجد من يعارض الفاروق رضي الله عنه من جموع الصحابة والتابعين لعدوله عن الوسيلة الفاضلة إلى المفضولة ، ولقيل له مثلا: إن التوسل بذات النبي ﷺ أولى من التوسل بمن ليس بنبي.[1]

وللعلم فقد عورض رضي الله عنه في مواقف أخرى كما في مسألة التيمم ودية الأصابع ، وعورض أيضا لما أراد تغيير وجهته لما بلغه أن الطاعون قد انتشر في الشام ، فلما لم يعارضه أحد من تلك الجموع التي اجتمعت في عام الرمادة ؛ **عُدَّ ذلك إجماعا من الصحابة على صحة ما ذهب إليه عمر رضي الله عنه**.[2]

فالحاصل أن التوسل بذوات الصالحين – سواء كانوا أحياء أو أمواتا – **لا وجود له** في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، وإنما كان التوسل بدعاء الصالحين كالنبي ﷺ وغيره من الصحابةوتابعيهم لما كانوا أحياء ، وأما بعد مماتهم فلم يقع توسل بهم البتة ، **لا بدعائهم ولا بذواتهم** ، فتعين القول بأنه بدعة يجب الحذر منها لقوله ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ، أي مردود على صاحبه غير مقبول ، وكذا قوله ﷺ : وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.

1 انظر «التوسل» للألباني ، ص 61 .

2 انظر «التوسل» للألباني ، ص 70 .

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: والتوسل بالأنبياء على ضربين: توسل بمحبتهم واتباعهم فهذا مشروع ، كما قص الله عن أولي الألباب في آخر سورة آل عمران.

وتوسُّلٌ بذواتهم فهذا ممنوع ، لأنه لم يأت عن النبي ﷺ شيء في ذلك ، ولم يُعلمه أمته ، ولم يفعله الصحابة رضوان الله عليهم.[1]

الثالث: ومما يدل على بطلان التوسل بذوات الصالحين أن أئمة الإسلام قد أنكروا ذلك ، وممن أنكره أئمة الحنفية[2] ، فعن أبي حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استُفيد من قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

وله نحوه في «الفتاوى الهندية».[3]

وقال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بـ «شرح الكرخي» في باب الكراهة: قال بشر بن الوليد: حدثنا أبو يوسف[4] قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك ، أو بحق خلقك.

قال أبو يوسف: معقد العز من عرشه هو الله ، فلا أكره هذا ، وأكره أن يقول: **بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام.**[5]

قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز ، لأنه لا حق للخلق على الخالق ، فلا تجوز **وِفاقا**.

وقال الزبيدي: كره أبو حنيفة وصاحباه[6] أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام ، ونحو ذلك ، إذ ليس لأحد على الله حق.[7]

قلت: المراد بالكراهة هنا في كلام أبي حنيفة كراهة التحريم لا كراهة التنزيه ، لأن الكراهة عند المتقدمين هي التحريم كما هي طريقة القرآن ﴿وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾[1] ، وعند المتأخرين: ما يثاب تاركه امتثالا ، ولا يعاقب فاعله[2] ، ومقصود كلام أبي حنيفة هو الأول ، لأنه من المتقدمين.

---

1 ملخصا من إجابة شفهية في برنامج «نور على الدرب».

2 نقله ابن تيمية الأقوال التالية عن أئمة الحنفية في كتابه «قاعدة جليلة» ، ص 82 - 83 ، وقد نقلت الإحالات العلمية من حاشية محقق الكتاب الشيخ ربيع المدخلي عليه.

3 انظر (280/5).

4 وهو من كبار أصحاب أبي حنيفة.

5 انظر «الدر المختار» (630/2).

6 أي أبو يوسف ومحمد بن الحسن رحمهما الله.

7 «شرح الإحياء» (285/2).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله:

إن مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين قد نص على المنع منها جمهور أهل العلم ، بل ذكر الشيخ[3] في «رده على ابن البكري» أنه لا يعلم قائلاً بـجوازه إلا ابن عبد السلام في حق النبي ﷺ ، ولم يجزم بذلك[4] ، بل علَّق القول به على ثبوت حديث الأعمى وصحته ، وفيه من لا يُحتج به عند أهل الحديث ، ولم يُجِز التوسل بالنبي ﷺ ولا بالأنبياء والصالحين أحد ممن يُعتد به ويُقتدى به كالأئمة الأربعة وأمثالهم من أهل العلم والحديث.

الرابع: ومما يدل على بطلان التوسل بذوات الصالحين كونه غير قطعي ، وهو مخالف لأنواع التوسل الثلاثة المشروعة القطعية ، ومتعارض معها.

الخامس: ومما يدل على بطلان التوسل بذوات الصالحين أنه ذريعة للوقوع في الشرك الأكبر ، بدعائهم وطلب الحاجات منهم ، وما كان ذريعة للوقوع في محرم فهو محرم.

تنبيه

ينبغي التنبه إلى أن القول بتحريم التوسل بجاه النبي ﷺ لا يقتضي إنكار أن للنبي ﷺ جاها عند الله ، فأهل السنة يؤمنون بذلك ويعتقدونه اعتقادا جازما من غير توسل به ، بل ويؤمنون أيضا بأن لغير النبي محمد ﷺ من الأنبياء جاها ، قال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿**وجيها** في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ ، وقال عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وكان عند الله **وجيها**﴾.

ولكن الشأن في التوسل بذلك الجاه ، فهو بدعة في دين الله ، لم يأمر بها الله ولا رسوله ﷺ .

كلام جامع في معنى الوسيلة وأنواع التوسل

---

1 سورة الحجرات: 7 .

2 انظر تقرير أن الكراهة عند السلف تعني التحريم في: «إعلام الموقعين» للإمام ابن القيم (52/1) ، (فصل: تحريم القول على الله بغير علم – قد يطلق لفظ الكراهة على التحريم) ، و «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (241/32) ، و «المذكرة في أصول الفقه» للشنقيطي ، ص 22 ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

وبعض أهل العلم يعرفون المكروه بأنه ما تركُهُ خيرٌ من فعله ، أو ما نُهي عنه نهيا غير جازم.

انظر «شرح الورقات» ، ص 39 ، للشيخ د. سعد بن ناصر الشثري حفظه الله ، الناشر: كنوز أشبيليا – الرياض.

3 أي ابن تيمية رحمه الله.

4 أي ابن عبد السلام رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله:

لفظ «الوسيلة» مذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ ، وفي قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ ، فالوسيلة التي أمر الله بها أن تُبتغى إليه ، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه ؛ هي ما يُتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات ، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب ، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك ، سواءً كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً ، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول ، فأمر به أمر إيجاب أو استحباب ، وأصل ذلك: الإيمان بما جاء به الرسول ، فجِماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول ، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك.

والثاني[1]: لفظ «الوسيلة» في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ : سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي يوم القيامة.[2]

وقوله: من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آتِ محمداً **الوسيلة** والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)[3] ؛ حلت له الشفاعة.

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة ، وقد أَمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة ، وأَخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله ، وهو يرجو أن يكون ذلك العبد ، وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول ، وأخبر أن من سأل له هذه الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة ، لأن الجزاء من جنس العمل ، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم ، فإن الشفاعة نوع من الدعاء ، كما قال: إنه من صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشراً.[4]

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته ، والتوسل به في عُرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به ، والسؤال به ، كما يُقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يَعتقدون فيه الصلاح.

---

1 أي أن المعنى الثاني للوسيلة هو: ...

2 تقدم تخريجه.

3 رواه البخاري (614) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

4 رواه مسلم (384) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وحينئذ فلفظ «التوسل به» يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنّة ، فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما هو أصل الإيمان والإسلام ، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته ، **والثاني**: دعاؤه وشفاعته كما تقدم ، فهذان جائزان بإجماع المسلمين ، ومن هذا قول عمر بن الخطاب: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.[1] أي بدعائه وشفاعته.

وقوله تعالى ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ ، أي القربة إليه بطاعته ، وطاعة رسوله طاعته ، قال تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ، فهذا التوسل الأول هو أصل الدين ، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر فإنه توسل بدعائه لا بذاته ، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس ، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس ، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس عُلم أن ما يُفعل في حياته قد تعذر بموته ، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له ، فإنه مشروع دائماً ، فلفظ «التوسل» يراد به ثلاثة معانٍ:

أحدها: التوسل بطاعته[2] ، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ، ويكون يوم القيامة ، يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته[3] ، والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة رضي الله عنهم يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا قبر غيره ، ولا يُعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنما يُنقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة ، أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه أنه لا يجوز ونهوا عنه ، حيث قالوا: لا يُسأل بمخلوق ، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك ، قال أبو الحسن القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بـ «شرح الكرخي» في باب الكراهة ، وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة:

قال بشر بن الوليد: حدثنا أبو يوسف ، قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك ، أو بحق خلقك.

وهو قول أبو يوسف.

---

1 تقدم تخريجه.

2 الضمير راجع إلى النبي ﷺ .

3 لازال الضمير راجع إلى النبي ﷺ .

قال أبو يوسف: بِمعقِد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا ، وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام.

قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز ، لأنه لا حق للخلق على الخالق ، فلا تجوز وِفاقاً.[1]

1 «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (، ص 79 – 85).

شبهات والجواب عليها

الشبهة الأولى: تعلق بعض الناس ببعض النصوص الواردة في باب التوسل ، ففهموا منها جواز التوسل بجاه النبي ﷺ ، وأشهر ما ورد في ذلك حديثان ، **الأول:** حديث عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ، ادع الله أن يعافيني.

فقال: إن شئت أخَّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك.

قال: لا ، بل ادع الله لي.

فأمره أن يتوضأ ، وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتُـقضى ، وتُشـفِّـعُني فيه وتشفعُه فيَّ.

قال: فكان يقول هذا مرارا.

ثم قال بعد: أحسب أن فيها: أن تُشفِّـعني فيه.

قال: ففعل الرجل فبرِأ.[1]

وقد فهم بعض الناس من كلام الأعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ ، وهذا فهم خاطئ من وجوه:

1. أن الأعمى صرح بطلب الدعاء من النبي ﷺ إذ قال: يا نبي الله ، **ادع الله أن يعافيني** ، فقال: إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك. قال: لا ، بل **ادع الله لي**.
2. أن معنى قول الأعمى (وشفعني فيه) ، أي اقبل شفاعتي ودعائي في أن تقبل شفاعة النبي ﷺ لي في أن ترد عليَّ بصري ، فليلاحظ القارئ الكريم أن الأعمى دعا للنبي ﷺ أن يقبل الله دعاءه له ، فلو لم يكن النبي ﷺ دعا للأعمى لما كان لدعاء الأعمى للنبي ﷺ أن يقبل الله دعاءه أي معنى.
3. أن معنى قول الأعمى: (وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ) أي بدعاء نبيك ، بحذف المضاف ، وهذا سائغ في اللغة العربية ، كما في قوله تعالى ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ ، أي واسأل أهل القرية ، ولو كان قصد الأعمى هو التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة لأن يأتي إلى النبي ﷺ أصلا ليطلب الدعاء منه ، بل كان يكفيه أن يقعد في بيته ويتوسل بذات النبي ﷺ وهو في مكانه ، ويقول مثلا: اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني وترد علي بصري ، أو نحو ذلك من الأدعية ، ولكنه لم يفعل.

---

1 رواه الترمذي (3578) وابن ماجه (1385) وأحمد (138/4) ، وصححه الألباني كما في «صحيح الترمذي» ، وكذا محققو «المسند».

4. لو كان التوسل بذات النبي ﷺ شائعا ذائعا ، وعملا جائزا مستساغا ، لما اختص به عثمان بن حنيف وحده من دون الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ، لا سيما الخلفاء الراشدين ، بل لفعلوه مرارا ، لا سيما وقد مرت عليهم نوائب أعظم من مجرد الإصابة بالعمى ، فقد أصاب الصحابة طاعون عمواس ، وأصابهم القحط في عام الرمادة في خلافة عمر رضي الله عنه ، وظهرت الخوارج على عثمان وعلي رضي الله عنهما وقتلاهما ، وغير ذلك من البلايا والفتن ، ولم ينقل عن واحد منهم بنص صحيح أنه توسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه ، والله أعلم.

وفي الحديث فوائد منها أن الرسول ﷺ وجَّه الأعمى أيضا إلى أن يدعو لنفسه ، ففي هذا إرشاد من النبي ﷺ إلى أنه ينبغي لمن طلب من أخيه أن يدعو له ألا يعتمد اعتمادا كليا على دعاء الغير ويترك الدعاء ، بل ينبغي أن يدعو هو لنفسه عملا بقوله تعالى ﴿وقال ربكم أدعوني أستجب لكم﴾.

ومن فوائد الحديث أن الأعمى كان يَعلم أن دعاء النبـــي ﷺ أرجى للقبول أكثر من دعائه أو دعاء غيره ، فلهذا طلب منه أن يدعو له.

تنبيه:

إذا تقرر هذا ، علمت الخطأ الذي وقع فيه العز بن عبد السلام رحمه الله في القول بجواز التوسل بذات النبي ﷺ ، وهذا نص السؤال الذي ألقي عليه وجوابه منقولا من كتاب «فتاوى سلطان العلماء[1]»:

ما يقول سيدنا وفقه الله تعالى في الداعي يقسم على الله تعالى بمُعَظَّم من خلقه في دعائه ، كالنبي ﷺ والولي والملك ، هل يكره ذلك أم لا؟

الجواب: أما مسألة الدعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ علم بعض الناس الدعاء ، فقال في أقواله: قل (اللهم إني أقسم عليك بنبيك ﷺ بني الرحمة) ، **وهذا الحديث إن صح** فينبغي أن يكون محصورا على رسول الله ﷺ لأنه سيد ولد آدم ، وأن لا يُقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته.[2] انتهى.

والحديث المقصود هو حديث عثمان بن حنيف في قصة الأعمى ، وهو صحيح كما بين أهل العلم ، لكنه لا يفيد التوسل بذات النبي ﷺ كما ظن الفقيه ابن عبد السلام رحمه الله كما بينا آنفا.

وممن زل في هذه المسألة الشوكاني رحمه الله ، فقد ذهب في كتابه «الدر النضيد» إلى جواز التوسل بالصالحين ، وكل يؤخذ من قوله ويرد ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ .

---

[1] لقب (سلطان العلماء) هو اللقب الذي كان يطلق على العز بن عبد السلام رحمه الله.

[2] ص 82 – 83 .

الحديث الثاني الوارد في جواز التوسل بجاه النبي ﷺ والجواب عليه.

قال الطبراني رحمه الله:

حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المقري المصري التميمي ، حدثنا أصبغ بن الفرج ، حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف[1] إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له ، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته[2] ، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل:

(اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي جل وعز ، فيقضي لي حاجتي) ، وتذكر حاجتك ، ورُح إلي حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان ، ثم أتى باب عثمان ، فجاء البواب حتى أخذ بيده حتى أدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطِّـنـفِـسة[3] وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ، ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف قال له: جزك الله خيرا ، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته فيَّ.

فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمتُه ، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أفتصبر؟

فقال: يا رسول الله ، إنه ليس لي قائد ، وقد شقَّ علي.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اِئت الميضاة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات.

قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط.

لم يروه عن رَوح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي ، وهو ثقة ، وهو الذي يحدث عنه أحمد (ابن أحمد)[4] بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي.

---

[1] أي يتردد عليه بالزيارة.

[2] سيأتي الكلام على بُعد أن يأتي هذا التصرف من عثمان الخليفة الراشد الذي كان يهتم بأمور المسلمين ، وكانت تستحيي منه الملائكة؟

[3] الطِّـنـفِـسة هو البساط الذي له خمل رقيق.

[4] هكذا بين قوسين في المطبوع.

وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة ، تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة ، والحديث صحيح.[1]

وروى هذا الحديث عون بن عمارة عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه ، وهِم فيه عون بن عمارة ، والصواب حديث شبيب بن سعيد.[2]

قال مقيده عفا الله عنه: استدل بعض الناس بقول الأعمى (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك (ربي)[3] جل وعز) على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ .

والجواب: أن هذه القصة ضعيفة من ثلاثة وجوه:

الأول: نكارة الإسناد ، فإن حديث الأعمى أتى من أحد عشر طريقا ، لم يأت في واحد منها القصة المذكورة ، مع أنها ملحقة بالحديث الذي رواه الطبراني ، فدل على نكارتها ، فقد رواها أحمد من ثلاث طرق[4] ، والترمذي[5] وابن ماجه[6] والنسائي[7] وابن السني[8] ، ورواها الحاكم من أربع طرق[9] ، بل إن طريق ابن السني واثنين من طرق الحاكم متفقة مع طرق الطبراني ولم ترد فيها القصة المذكورة ، فدل هذا على نكارتها.

---

1 يريد الحديث الذي رواه أحمد وقد تقدم ذكره.

2 رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (183/1).

3 هكذا بين قوسين في المطبوع.

4 انظرها في «مسند أحمد» (138/4).

5 «جامع الترمذي» (3578).

6 «سنن ابن ماجه» (1385).

7 «عمل اليوم والليلة» برقم (658) ط دار الكلم الطيب ، و «السنن الكبرى» (10419) (10420).

8 رقم (629) من «عجالة الراغب المتمني في تخريج عمل اليوم والليلة لابن السني».

9 «مستدرك الحاكم» (526/1 – 527 ، 519/1 – 520).

الثاني: جهالة طاهر بن عيسى شيخ الطبراني ، فإنه مجهول لا يعرف بالعدالة ، ذكره الذهبي ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، فهو مجهول الحال ، لا يجوز الاحتجاج بحديثه لا سيما فيما يخالف الكتاب والسنة. قاله الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[1] رحمهم الله جميعًا.[2]

الثالث: أن رواية عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد منكرة عند أهل الحديث وقد تفرد بها ، والمحدثون لا يقبلون من حديث شبيب إلا ما كان من رواية ابنه أحمد عنه عن يونس بن يزيد ، قاله ابن عدي في «الكامل».

فإن قيل: إن الطبراني أشار إلى صحة الأثر عن عثمان بن حنيف فقال بعدما خرجها في «المعجم الصغير»: والحديث صحيح!

فالجواب: أن هذا الأثر يحتوي على قصة وحديث ، فأما القصة فلم يشر الطبراني إلى صحتها ، وإنما صحح الحديث فقال: والحديث صحيح.

وأما القصة – التي هي متعلق من أجاز التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته – فلم يتعرض لها الطبراني بتصحيح أو تضعيف.

الرابع: أن في القصة لفظة منكرة ، وهي: (فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته) ، وكذلك قول الأعمى (ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته فيَّ) ، فإن عثمان خليفة راشد ، وكان عظيم الاهتمام بأمور المسلمين ، وكان شديد الحياء من الناس ، ولهذا كانت تستحيي منه الملائكة ، مما يدل على أن القصة موضوعة ، ليست صحيحة.

الشبهة الثالثة:

ومن الأحاديث التي أُسيء فهمها أيضا حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه الإمام أحمد فقال: حدثنا يزيد ، أنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري — فقلت لفضيل: رفعه؟ قال: أحسبه قد رفعه – قال:

---

[1] الشيخ سليمان من فحول علماء نجد ، ولد سنة 1200 هـ ، درس على عدة مشايخ ، وعنده إجازة في رواية الكتب الستة ، درَّس وولي القضاء ، وتوفي شابا شهيدا بإذن الله سنة 1234 هـ ، له عدة مؤلفات ، من أشهرها كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، والكتاب على مدى ثلاث قرون ينهل منه العلماء وطلبة العلم إلى وقتنا هذا ، وهو عمدة في علم توحيد العبادة ، وما بعده عيال عليه ، رحمه الله رحمة واسعة.

[2] قاله في كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

من قال حين يخرج إلى الصلاة: اللهم إني أسألك **بحق السائلين** عليك ، وبحق ممشاي ، فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضـــاتك ، أسألك أن تنقذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، وكَّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته.[1]

ورواه ابن ماجه عن الفضل بن الموفق أبو الجهم: ثنا فضيل بن مرزوق به.[2]

ورواه ابن السني عن عبد الله بن صالح بن مسلم قال: حدثنا فضيل بن مرزوق به.[3]

وقد استدل بعضهم بلفظة: (بـحق السائلين عليك) على جواز التوسل بالذوات ، والجواب أن هذا خطأ ، لأن حق السائلين على الله هو إجابة دعائهم ، فعلى تقدير صحة الحديث فإن قوله: (أسالك بحق السائلين عليك) تكون من باب السؤال بصفات الله ، وليس من باب السؤال بذوات المخلوقين.[4]

واستدلوا كذلك بقوله: (وبحق ممشاي هذا) على جواز التوسل بالحقوق ، وهذا خطأ أيضا ، لأن حق المشي إلى الصلاة هو الإثابة.

فالحاصل أن الحديث لا يفيد جواز التوسل بذات أحد ، وإنما يُفيد جواز التوسل بصفة من صفات الله وهي إجابة الدعاء ، ويُفيد أيضا جواز التوسل بالعمل الصالح وهو المشي إلى المساجد.

قال الألباني رحمه الله: إن حق السائلين على الله تعالى هو أن يجيب دعاءهم ، فلو صح هذا الحديث وما في معناه فليس فيه توسل ما إلى الله بمخلوق ، بل هو توسل إليه بصفة من صفاته وهي الإجابة ، وهذا أمر مشروع خارج عن محل النزاع ، فتأمل منصفا.[5]

ثم إن الحديث ضعيف أصلا كما بينه الألباني في «السلسلة الضعيفة»[6] ، ولكن هذا لا يشكل على صحة التوسل بالعمل الصالح ، لأن التوسل بالعمل الصالح ثابت من أحاديث أخرى ، وإنما يفيد فقط عدم مشروعية هذا الذكر عند الخروج إلى المسجد لضعف الحديث ، والله أعلم.

وقد رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» بسند آخر فقال:

---

1 (21/3).

2 برقم 778 .

3 رقم 86 من «عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني».

4 قاله الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله كما في «الدرر السنية» (160/2).

5 «السلسلة الضعيفة» (98/1).

6 المرجع السابق.

حدثنا ابن منيع قال: حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا علي بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن جابر بن عبد الله عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ قال:

كان رسول الله إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا ، فإني لم أخرجه أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة.[1]

هذا إسناد ضعيف ، في سنده الوازع بن نافع العقيلي ، قال أبو حاتم: ضعيف الحديث.

وقال ابن معين: ليس بثقة.[2]

وقال أحمد: ليس حديثه بشيء.[3]

الشبهة الرابعة:

فإن قيل: ألا يفيد هذا الحديث جواز التوسل بالذوات؟

وهو حديث أبي أمامة الباهلي الذي رواه الطبراني في «المعجم الكبير»[4] فقال:

أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض بكل حق هو لك ، **وبحق السائلين عليك** ؛ أن تقبلني في هذه الغداة – أو في هذه العشية – وأن تجيرني من النار بقدرتك.

والجواب: أن الحديث ضعيف ، فقد قال الهيثمي[5] في «مجمع الزوائد»[6]: وفيه فضالة بن جبير ، وهو ضعيفٌ مُجمع على ضعفه.

الشبهة الخامسة:

ومن الأحاديث التي أسيء فهمها أيضا الحديث الذي رواه الطبراني فقال:

---

1 «عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني» ، رقم 85 .

2 «كتاب الجرح والتعديل» (39/9).

3 «كتاب العلل ومعرفة الرجال» (24/3).

4 (265/8).

5 هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، نور الدين ، المصري ، حافظ ، رافق العراقي في سماع الحديث ولازمه ، له كتب عديدة في تقريب الحديث النبوي ، منها «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» ، توفي عام 807 . انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (266/2) ، و «معجم المؤلفين» (410/2).

6 (120/10).

حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه ، حدثنا أبي ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثني أبي عن أبيه عن أمية ابن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين.[1]

ثم رواه من طريق آخر عن أمية بن عبد الله بلفظ: كان يستفتح ويستنصر بصعاليك المهاجرين.[2]

قال بعض الناس: هذا دليل على جواز التوسل بذوات الصالحين!

فالجواب ؛ أن الاستفتاح ليس معناه التوسل في لغة العرب ، بل معناه الاستنصار ، وسيأتي بيان أن معنى الاستنصار هو الدعاء.

قال ابن الأثير في «غريب الحديث»: وفيه: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ، أي يستنصر بهم ، ومنه قوله تعالى ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾.

ومن حديث الحديبية: أهو فتح؟ أي نصر. انتهى.[3]

ثانيا: أن هذا الحديث ضعيف ، للانقطاع بين أمية بن عبد الله والنبي ﷺ ، فإن أمية ليست له صحبة كما قاله الحافظ في «الإصابة».[4]

ولهذا ضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع».[5]

ثالثا: على تقدير صحة الحديث ، فلا يمكن أن يكون معنى الحديث هو التوسل بذوات المهاجرين ، لأن النبي ﷺ أعلى قدرا منهم فكيف يُتوسل بهم؟!

رابعا: أن هناك أحاديث أخرى تكشف معنى الاستنصار بالفقراء ، فقد روى البخاري عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلا على من دونه ، فقال النبي ﷺ : هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟[6]

ورواه النسائي وزاد: **بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم.**[7]

---

1 «المعجم الكبير» (858).

2 «المعجم الكبير» (859).

3 انظر مادة: فتح.

4 (1/127 – 128).

5 «ضعيف الجامع» (4558).

6 رقم 2896 .

7 رقم (3178). وفي الباب عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، رواه أبو داود (2594) ، والترمذي (1702) ، والنسائي (3179) ، وصححه الألباني.

فهذه الزيادة كاشفة لكيفية حصول الاستفتاح بالضعفاء ، وأن معنى استفتاحهم هو دعاؤهم ، وهو توسل شرعي كما تقدم ، والحمد لله.

الشبهة السادسة:

ومن الآثار التي أسيء فهمها أيضا أثر عمر رضي الله عنه المتقدم لما توسل بدعاء العباس ، فقد قال بعضهم: إن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بذات العباس ليس بدعائه ، وأن معنى قول عمر رضي الله عنه: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا) ، أي: إنا كنا نتوسل إليك بذات نبينا.

وأن قوله: (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) أي بذات عم نبينا!

والجواب على هذه الشبهة من سبعة وجوه:

أولا: أن التوسل بذوات الصالحين لم يكن معروفا عند الصحابة البتة ، فلا يجوز أن يُفسر فعل عمر بما لم يكن معروفا عندهم إطلاقا ، بل الواجب أن يُفسر فعله بما كانوا يفعلونه مع نبيهم ﷺ ، وقد تقدم أن الصحابة رضي الله عنهم لما كان النبي ﷺ بين أظهُرهم كانوا إذا وقعت بهم مصيبة أو حلَّت بهم نازلة توسلوا إلى الله **بدعاء النبي ﷺ وليس بذاته** ، وقد تقدم بيان بعض الأحاديث التي دلت على ذلك ، كحديث خباب بن الأرَت ، وحديث الأمة السوداء ، وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وغير ذلك من الأحاديث والآثار.

فإذا تحقق لنا أن توسل الصحابة بالنبي ﷺ إنما كان بدعائه ؛ تأكد لدينا أن توسل عمر بالعباس إنما كان بدعائه أيضا ، لأن الصحابة – لا سيما الخلفاء الراشدون – هم أتبع الناس للنبي ﷺ .

ثانيا: لو كان قصد عمر هو التوسل بذات العباس لما كان هناك حاجة في استصحابه معه لمكان صلاة الاستقاء ، لأن استصحاب بالذوات – لو كان التوسل بها جائزا – ليس شرطا لصحة التوسل بها ، ولكفى أن يتوسل بذاته وهو في مكانه.

ثالثا: لو كان قصد عمر هو التوسل بذات العباس لنُقل عنه أيضا التوسل بذات النبي ﷺ في مواطن أخرى ، فهو أولى وأحرى ، ولنُـقل أيضا عمَّن أتى بعده كالتابعين ، لأنه من غير الممكن أن تجتمع القرون الثلاثة على ترك التوسل بذات النبي ﷺ لو كان ذلك جائزا ، فهم خير القرون ، وأعلم الناس بأمر الدين ، وأحرص الأمة على تطبيق شرع الله بحذافيره ، فلما لم يحصل شيء من ذلك البتة ، دل ذلك على أن توسل عمر بالعباس إنما كان بدعائه لا بذاته.

رابعا: لو كان قصد عمر هو التوسل بذات العباس حقا لما قَبِل العباس ذلك ، لأن فيه تقديم له على رسول الله ﷺ ، فإن الصحابة يعرفون قدر نبيهم ومكانته التي لا يدانيها أحد ، فهذا الصديق رضي الله

عنه امتنع عن الاستمرار في إمامة المسلمين لما رأى رسول الله ﷺ قادما ، مع أنه كان قد دخل في الصلاة.[1]

بل قد كان الصحابة رضوان الله عليهم يَخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ تعظيما له وتقديما لحقه ، لأنهم يعلمون أن مجرد رفع الصوت على رسول الله ﷺ من أسباب حبوط العمل ، كما بين الله ذلك في سورة الحجرات ، فإذا كان الصحابة كذلك ، فهل يا ترى سيرضون بأن تُقدم ذواتهم على ذات رسول الله ﷺ لو كان ذلك جائزا؟!

خامسا: لو افترضنا جدلا أن توسل عمر كان بذات العباس لحصل على أقل تقدير استفسار من أحد الحاضرين عن سبب تركه للتوسل بذات النبي ﷺ ، لأنه سيكون إذن أمرا مخالف للعادة ، فلما لم ينقل شيء من ذلك عن جموع الحاضرين عُلم أن عمر إنما فعل أمرا معلوما من قبل ، وهو التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر ، وهو المقصود.[2]

سادسا: ومما يدل على أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بدعاء العباس لا بذاته هو ما تُشعره لفظة الحديث من أن التوسُّلَين كانا من نوع واحد في قوله: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، **وإنا نتوسل إليك بعم نبينا**) ، وقد ثبت عندنا أن توسلهم بالنبي ﷺ إنما كان بدعائه ، فيكون توسلهم بالعباس إنما هو بدعائه أيضا ، لأن التوسلين من نوع واحد كما تُشعره لفظة الحديث.[3]

سابعا: ومما يدل أيضا على أن مقصود عمر إنما هو التوسل بدعاء العباس لا بذاته هو أن العباس دعا للمسلمين ولم يكتف بمجرد حضوره ، كما هو لازم قول من يجيزون التوسل بالذوات.

قال الألباني رحمه الله: وفي هذا رد واضح على الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس لا بدعائه ، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس فيدعو بعد عمر دعاء جديدا.[4]

الشبهة السابعة:

فإن قيل: إن عمر رضي الله عنه ترك التوسل بذات الرسول ﷺ وتوسل بذات العباس ليبين للناس جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل!

والجواب عن هذا الكلام من أربعة وجوه:

---

1 انظر «التوسل» ، ص 63 .

2 انظر «التوسل» ، ص 70 .

3 انظر «التوسل» للألباني ، ص 69 .

4 «التوسل» ، ص 68 – 69 .

الأول: أنه لا يُتصوَّر من عمر رضي الله عنه – المعروف بشدة شفقته على رعيته ، وعظيم خوفه من الله فيهم – أن يترك الوسيلة الكبرى ويفعل الوسيلة الصغرى – على افتراض جوازها – وهو يرى الناس في حالة ضرورة وبؤس شديد ، وضنك وكرْب ، وهلاك للماشية ، وجدب للأرض من الخضرة والزرع ، حتى سمي ذلك العام بعام الرمادة ، لا لشيء إلا ليعلمهم حكما فقهيا ، وهو جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل![1]

نعم ، لا يمكن لعمر أن يترك التوسل بذات النبي ﷺ – لو كان ذلك جائزا – ، ويتوسل بمن ليس بنبي ، لأنه من المعلوم عند الناس كلهم أن الإنسان إذا حلت به شدة لجأ إلى أقوى وسيلة يستطيعها ، ولهذا كان الجاهليون إذا حلت بهم ضرورة دعوا الله وحده ونسوا ما يشركون.

أما الوسائل الصغرى فقد يلجأ إليها الإنسان في حالة الأمن واليسر ، لا في حالة الضرورة والعسر.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله مشيرا إلى بعض الفوائد من توسل عمر رضي الله عنه:

"**ثانيا**: لو كان المقصود دفع التوهم المذكور لكان أولى بأن يُتوسل بحيٍّ غير النبي ﷺ في حياته ، أو بميت غير النبي ﷺ بعد وفاته ، أو بميت غير النبي ﷺ في حياته ، فإن هذه الصور الثلاث أبعد من أن يبدو فيها الاحتمال الآتي من أنه إنما استسقي بالعباس لأنه حي ، والنبي ﷺ قد مات ، وأن الاستسقاء بغير الحي لا يجوز ، فلما ترك عمر رضي الله عنه تلك الصور ، واختار الصورة التي يتأتَّى فيها الاحتمال المذكور ؛ دل هذا الصنيع على أن مقصوده رضي الله عنه ليس دفع التوهم المذكور.

الثالث: أنَّ توهم عدم جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ أخف من توهم عدم جواز الاستسقاء بالميت ، لا سيما إذا كان ذلك الميت غير النبي ﷺ ، فكان هذا التوهم أولى بالدفع ، فكان الأنسب حينئذ أن يستسقي بميت غير النبي ﷺ .

الرابع: أن هذا التعليل فاسد لأن المُعلَّل لم يقم عليه برهان ولا دليل فلا يُصغى إليه."[2]

انتهى المقصود منه.

خامسا: ما قاله الشيخ الألباني رحمه الله: هب أن عمر رضي الله عنه خطر في باله أن يبين ذلك الحكم الفقهي المزعوم ، تُرى فهل خطر ذلك في بال معاوية والضحاك بن قيس حين توسلا بالتابعي الجليل يزيد بن الأسود الجرشي أيضا؟[3]

---

1 انظر «التوسل» ، ص 66 .

2 «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص 271 – 272 ، بتصرف يسير.

3 قاله الألباني في كتاب «التوسل» ، ص 67 .

سادسا: لو افترضنا جدلا أن توسل عمر بالعباس كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل لكان كافيا أن يفعل ذلك مرة واحدة ، ولكن الظاهر هو أن استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما كان أمرا متكررا كما يدل عليه لفظ الحديث وهو قوله: إن عمر بن الخطاب **كان إذا قحطوا** استسقى بالعباس بن عبد المطلب.[1]

سابعا: لو افترضنا جدلا أن توسل عمر بذات العباس كان لبيان الجواز لحصل على أقل تقدير استفسار من أحد الحاضرين عن سبب تركه للتوسل بذات النبي ﷺ ، لأن ترك التوسل بالنبي ﷺ – لو افترضنا مشروعيته – يعتبر أمر ذا بال ، خصوصا في ذاك الظرف العصيب ، فلما لم ينقل شيء من ذلك عن جموع الصحابة والتابعين عُلم أن عمر لم يفعل أمرا مخالفا للعادة ، بل فعل أمرا كان معلوما من قبل ، وهو التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر ، وهو المقصود.

الشبهة الثامنة:

فإن قيل: إن بعض الناس قد يتوسل بذات المخلوقين من الأنبياء والصالحين فيحصل به المقصود ، ألا يدل هذا على صحة فعله شرعا؟

والجواب على هذا من وجهين:

الأول: أن الذي نهى عن التوسل بالمخلوقين هو الله ، والذي أجاب دعاء من توسل بذوات المخلوقين هو الله ، فتكون إجابة دعاء ذاك الداعي من الله ابتلاء له واختبار ، ليبتلي الله اتباعه للدليل وتمسكه بسنة النبي ﷺ ، أو استدراجا من الله ، فالواجب الحذر.

الثاني: أن الدعاء عبادة يجب أن تكون صفته مبنية على الكتاب والسنة لا على العاطفة والعقل والاستحسان أو الحكم على النتائج ، فإن بعض الناس قد يدعو بأدعية محرمة باتفاق المسلمين كمن يدعو الكواكب والتماثيل فيجيب الله دعاءه استدراجا له ومكرا به ، جزاء له على إعراضه عنه أول مرة ، فيظن الداعي أن الكواكب هي التي أجابت دعاءه ، أيقال هنا أن دعاءه صحيح لكونه قد استجيب له؟ الجواب لا طبعا ، لأن الدعاء عبادة يجب أن تراعى فيها الصورة الشرعية ، فما وافق الكتاب والسنة وجب الأخذ به ، وما لا فلا ، كما قال تعالى ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ ، وقال تعالى ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ ، والله أعلم.

---

1 انظر «التوسل» ، ص 71 .

الشبهة التاسعة:

احتج بعض الناس على جواز التوسل بذات النبي ﷺ بما رواه الدارمي في المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته فقال:

حدثنا أبو النعمان ، ثنا سعيد بن زيد ، ثنا عمرو بن مالك النُّكري ، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قُحِط أهل المدينة قحطا شديدا ، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ ، فاجعلوا منه كُوَى[1] إلى السماء ، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا ، فمُطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم ، فسمي عام الفتق.[2]

والجواب:

أن هذا الأثر ضعيف الإسناد ، ومخالف للتأريخ والعقل من اثني عشر وجها:

1. أن عمرو بن مالك النكري ضعيف الحديث ، قال ابن عدي: منكر الحديث عن الثقات ، ويسرق الحديث. سمعت أبا يعلى يقول: عمرو بن مالك النكري كان ضعيفا.[3]
2. أن الراوي عن عمرو وهو سعيد بن زيد ضعيف أيضا ، فقد قال الدارقطني: ضعيف ، تكلم فيه يحيى القطان.[4] وقال النسائي: ليس بالقوي.[5] وذكره الذهبي في «الضعفاء».[6]
3. أن الحديث مرسل ، فإن أبا الجوزاء – وهو أوس بن عبد الله – لم يسمع من عائشة. قاله ابن عبد البر في «التمهيد»[7] ، وهكذا قال ابن عدي في «الكامل»[8].
4. ذكر ابن تيمية جوابا انقله من «تلخيص الاستغاثة» ص 68- 69 :

ما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده ، وإنما نَقَّل ذلك من هو معروف بالكذب ، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كُوَة ، بل كان بعضه باقيا كما كان على عهد النبي ﷺ ، بعضه مسقوف وبعضه

---

1 جمع كُوة وهي الفتحة.

2 (47/1).

3 «الكامل في ضعفاء الرجال» (258/6).

4 «موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله» ، ترجمة رقم 1424 .

5 «كتاب الضعفاء والمتروكين» برقم 275 .

6 ترجمة رقم 2394 .

7 انظر «التهذيب».

8 (108/2).

مكشوف ، وكانت الشمس تنزل فيه ، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد.

ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد ، وإلا فهي قبل ذلك كانت خارج المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته.

ثم إنه بُني حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال ، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها ما ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف.

وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بيِّـن ، ولو صح ذلك لكان حجة ودليلا على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، ولا يتوسلون في دعائهم بميت ، ولا يسألون الله به ، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة[1] عليه[2]. انتهى باختصار.

5. أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهتهم نوائب ، ولم يرد عنهم أنهم فتحوا تلك الكوة إلى السماء ، ولماذا لم يفتحها عمر رضي الله عنه في عام الرمادة ، بدلا من خروجه بالناس يستسقي؟!

6. ثم لو أن الصحابة جعلوا كوة فوق القبر النبوي يستنزلون منها المطر كلما أجدبوا لكان هذا حجة على من زعم أن الصحابة توسلوا بذات العباس رضي الله عنه وليس بدعائه ، لأنه لو كان الأمر كذلك لاستغنوا عن التوسل بدعاء العباس ولذهبوا للكوة مباشرة.

7. في أثر عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "انظروا قبر النبي ﷺ ، فاجعلوا منه كوًى إلى السماء" ، وهذا يفيد أنها طلبت منهم عمل كوة في القبر ذاته ففعلوا ، وهذا مخالف لأمر النبي ﷺ في عدم نبش قبور ، فبعيد أن يفعل الصحابة ذلك ، بل هو محال[3] ، يؤكده:

8. أن الذين صنفوا في تاريخ المدينة النبوية أو المسجد النبوي أو الحجرة النبوية لم يذكروا شيئا من هذا ، فدل على أن شيئا من هذا لم يحصل قطعا ، لاسيما وقد رووا ما هو أدق من هذا بكثير.

9. لو كان الاستسقاء بقبور الأنبياء جائزا أو فضيلة لنصب المهاجرون والأنصار علما على قبر دانيال[4] ولم يُـعمُّوا قبره كما تقدم.

---

[1] أي المطر.

[2] هذا على تقدير صحة الأثر ، وأنَّى له ذلك!

[3] نقلا من «التوصل إلى حقيقة التوسل» ، ص 260 .

[4] تقدم ذكر قصة دانيال في باب: «مقدمة في حقوق الصالحين الشرعية».

10. على تقدير صحة الأثر ، فليس فيه أنهم استسقوا بالرسول ﷺ عنده تحت الكوة ولا غير ذلك ، وإنما فيه أنهم جعلوا كوة فوق القبر فسقاهم الله من غير طلب من النبي ﷺ أن يستسقي لهم الله ، فبماذا يحتج من احتج بهذا الأثر؟

قال ابن تيمية: بل قد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كشفت عن قبر النبي ﷺ لينزل المطر فإنه[1] رحمة تتنزل على قبره ، ولم تستسق عنده ، ولا استغاثت هناك.[2]

11. أنه ليس في تأريخ الصحابة عام يسمى عام الفتق.[3]

12. أن الفتق ليس له علاقة بكثرة الأمطار ولا كثرة الشحم على ظهور الإبل ، لإن الإبل لا تتفتق من الشحم مهما كثر.[4]

13. ما ذكره الشيخ نسيب الرفاعي رحمه الله: إذا كان كشف قبر الرسول ﷺ مجلبة لنزول المطر ، فإن رسول الله ﷺ لما كان حيا كان دائما معرضا جسمه إلى السماء ككل الناس في غدواته وروحاته ، وقد قحطوا في عهده ﷺ فلم ينزل الغيث بمجرد كون جسم رسول الله معروضا للسماء بطبيعة الحال ، بل بقي القحط مستمرا حتى خرج رسول الله بالمسلمين ﷺ إلى ظاهر المدينة فاستسقى لهم ، أي دعا لهم فسُقوا ، فلماذا لم يغثهم الله إلا بالدعاء؟[5]

الشبهة العاشرة:

من أشهر الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ في باب التوسل بجاه الأنبياء حديث: **توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**.

والجواب أن هذا الحديث تناقله الناس مع أنه ليس له أصل في دواوين الحديث المعروفة عند المسلمين كصحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن الأربع وغيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذا الحديث كذب ، ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث.[6]

---

1 أي المطر.

2 «اقتضاء الصراط» (2/684 – 686).

3 نقلا من حاشية الأستاذ عبد الله بن دجين السهلي على كتاب «الاستغاثة» (1/404).

4 المصدر السابق.

5 «التوصل إلى حقيقة التوسل» ، ص 260 .

6 «قاعدة جليلة» ، ص 252 .

وذكره الألباني في «السلسلة الضعيفة» وقال: لا أصل له.[1]

الشبهة الحادية عشرة:

ومن الأحاديث الضعيفة في باب التوسل بحق الأنبياء الحديث الذي رواه الحاكم في «مستدركه» فقال: حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل ، حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، حدثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري ، حدثنا إسماعيل بن مسلمة ، أنبأنا عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب **أسألك بحق محمد** لَمَا غفرت لي.

قال الله: وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟

قال: يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعتُ رأسي ، فرأيتُ على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمدا رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك.

فقال الله: صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إلي ، **ادعني بحقه** فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك.[2]

ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» في باب «ما جاء فيما تحدث به ﷺ بنعمة ربه» من طريق أبي عبد الله الحاكم به.[3]

ورواه الشيخ أبو بكر الآجري في كتاب «الشريعة»[4] موقوفا على عمر رضي الله عنه فقال:

حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو الحارث الفهري قال: حدثني سعيد بن عمرو قال: حدثنا أبو عبد الرحمٰن بن عبد الله بن إسماعيل بن بنت أبي مريم قال: حدثني عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب فذكره موقوفا.

ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» من طريق آخر عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم به.[5]

فالجواب أن هذا الحديث ضعيف جدا ، فقد تفرد عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم بجميع الروايات المتقدمة ، وهو ضعيف الحديث.

---

1 برقم 22 .

2 (615/2).

3 (488/5).

4 (249/2) برقم (1012) ، تحقيق الوليد بن محمد النصر.

5 «المعجم الصغير» (82/2).

قال فيه الساجي: منكر الحديث.[1]

وقال الطحاوي: حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف.[2]

وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة.[3]

وقال ابن سعد: كان كثير الحديث ، ضعيفا جدا.[4]

وذكره الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكون».[5]

وقال ابن حبان: كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم ، حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف ، فاستحق الترك.[6]

ونقل ابن أبي حاتم عن يحيى بن معين قوله: عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم ليس حديثه بشيء ، ضعيف.[7]

وقال أبو حاتم: ليس بقوي الحديث ... ضعفه علي بن المديني جدا.[8]

وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث.[9]

وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه.[10]

وقد ضعَّف البيهقي إسناد الحديث ، فقال بعدما خرجه: تفرد به عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه ، وهو ضعيف. [11]

وأما أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري فقال الذهبي عنه: روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم خبرا باطلا فيه: يا آدم لولا محمد ما خلقتك.[12]

---

1 «تقريب التهذيب».

2 المصدر السابق.

3 المصدر السابق.

4 «الطبقات» (235/5).

5 رقم 331 .

6 «المجروحين» (22/2).

7 «الجرح والتعديل» (233/5).

8 «الجرح والتعديل» (233/5-234) برقم (1107).

9 المرجع السابق.

10 انظر «تهذيب التهذيب» (345/3).

11 (489/5).

12 «ميزان الاعتدال» ترجمة رقم (4609).

وقال في «تلخيص المستدرك» متعقبا الحاكم في تصحيحه لهذا الحديث: بل موضوع ، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم المذكور في إسناده واه. انتهى.

ووافقه ابن حجر في «اللسان».[1]

وضعَّف السيوطي إسناد هذا الحديث في كتابه «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا».[2]

وحكم ببطلان هذا الخبر ابن عرَّاق الكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة».[3]

كما حكم بوضعه الألباني في «السلسلة الضعيفة».[4]

فإن قيل: إن الحاكم صحح هذا الحديث فقال بعدما ذكره: هذا حديث صحيح الإسناد!

فالجواب: إن هذا خطأ من الحاكم لم يفطن له ، إذ إن الحاكم نفسه ضعَّف عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في كتابه «المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم» فقال:

عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه. انتهى.

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله ؛ فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث ، وقالوا: إن الحاكم يُصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث ، ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم ، وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح ، لكن هو في المُصححين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه وإن كان الصواب يغلب عليه ، وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه.[5]

وقد روى الآجري هذا الحديث من طريق آخر فقال: أنبأنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد التاجر قال: حدثنا أبو مروان العثماني قال: حدثني أبي – عثمان بن خالد – عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه قال: من الكلمات التي تاب الله بها على آدم عليه السلام ، قال: اللهم إني أسألك **بحق محمد** ﷺ عليك.

قال الله عز وجل: يا آدم ، وما يدريك بمحمد؟

---

1 (360/3).

2 ص 30 ، نقلا من كتاب «هذه مفاهيمنا» للشيخ صالح آل الشيخ.

3 (76/1).

4 (88/1).

5 «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 169 – 170 ، تحقيق د. ربيع بن هادي ، باختصار.

قال: يا رب ، رفعت رأسي ، فرأيت مكتوبا على عرشك: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك.[1]

والجواب: هذه رواية ضعيفة ، فيها عبد الرحمٰن بن أبي الزناد وهو ضعيف الحديث.

قال النسائي: ضعيف. وقال أيضا: لا يحتج بحديثه.[2]

وقال ابن حبان: كان ممن ينفرد بالمقلوبات عن الأثبات ، وكان ذلك من سوء حفظه وكثرة خطئه.[3]

وقال يحيى بن معين: ضعيف.[4]

قلت: وقد رواه ابن عساكر عن شيخ من أهل المدينة من أصحاب ابن مسعود من قوله موقوفا عليه ، قال الألباني: وفيه مجاهيل.[5]

ثم إن هذا الخبر باطل متنه من وجهين:

الوجه الأول: أن فيه أن الله سبحانه وتعالى ما خلق آدم إلا لأجل محمد ﷺ ، بينما كتاب الله يقرر خلاف هذا كما في قوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

الوجه الثاني: أن ما ذُكر في هذا الحديث من أن الله تاب على آدم بسبب توسله بمحمد ﷺ مخالف لما ثبت في القرآن العزيز من أن الله تعالى إنما تاب على آدم ﷺ بسبب كلمات تلقاها آدم عن ربه فتاب عليه وعلى زوجته حواء ، وقد ذكر المفسرون ثمان أوجه عن الصحابة والتابعين في تفسير تلك الكلمات ، وليس فيما قالوه شيء من التوسل بحق محمد ﷺ البتة ، انظرها في «تفسير ابن جرير الطبري» و «تفسير ابن أبي حاتم» عند تفسير قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ من سورة البقرة.

قال ابن جرير رحمه الله بعدما ساق أقوال الصحابة والتابعين في تفسير تلك الكلمات:

والذي يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلا بقيلها[6] إلى ربه ، معترفا بذنبه ، وهو قوله ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا

---

1 (246/2) برقم 1006 ، تحقيق الوليد بن محمد النصر.

2 «منهج الإمام النسائي في الجرح والتعديل وجميع أقواله في الرجال» ، ترجمة رقم 114 ، تأليف د. قاسم علي سعد ، ط دار البحوث الإسلامية – دبي.

3 «كتاب المجروحين من المحدثين» ، ترجمة رقم 21 .

4 المصدر السابق.

5 انظر «السلسلة الضعيفة» (91/1).

6 أي متملقا إلى الله بقولها.

لنكونن من الخاسرين﴾ ، وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قوله ، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى آدم ، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه.[1]

الشبهة الثانية عشرة:

فإن قيل: وما الجواب عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ، قال: سأل **بحق محمد** وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبتَ علي ، فتِيب عليه.

فالجواب أن هذا الحديث ضعيف جدا ، فقد أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ثم قال:

قال الدارقطني: تفرد به عمرو بن ثابت عن أبيه أبي المقدام ، ولم يروه عنه غير حسين الأشقر.

قال يحيى بن معين: عمرو بن ثابت ليس بثقة ولا مأمون.

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات.[2]

ثم إن ابن تيمية رحمه الله قد نبه على ماهية الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فقال:

فأما الكلمات فقد جاءت في القرآن مفسرة في قوله تعالى ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ ، ومن المعلوم أن من هو دون آدم من الكفار والفساق إذا تاب أحدهم إلى الله توبة نصوحا تاب الله عليه وإن لم يُقسم عليه بأحد ، ونبينا ما أمر أحدا في توبته بمثل هذا الدعاء.[3]

الشبهة الثالثة عشرة:

روى الحاكم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

أخبرني الشيخ أبو بكر بن إسحاق ، أنبأنا محمد بن أيوب ، ثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء:

اللهم إنا نسألك **بحق محمد** النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم.

---

1 «تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن» ، تفسير سورة البقرة ، آية رقم 37 .

2 باب في فضل أهل البيت ومحبتهم ، برقم 785 .

3 «المنتقى من منهاج الاعتدال» للذهبي ، (370/1).

قال: فكانوا إذا التقوا دَعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله: وقد كانوا يستفتحون بك يا محمد على الكافرين.

قال الحاكم: أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب من حديثه.[1]

ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» عن الحاكم به.[2]

والجواب عن هذه الحديث من أربعة وجوه:

الأول: أن هذا حديث موضوع ، فقد قال الذهبـي رحمه الله في «تلخيص المستدرك»: لا ضرورة لذلك[3] ، فعبد الملك متروك هالك.

وصدق رحمه الله ، فقد قال فيه ابن حبان: كان ممن يضع الحديث ، لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة الإعتبار.[4]

وقال البخاري في «تاريخه»: عبد الملك بن هارون بن عنترة منكر الحديث.[5]

وقال أبو حاتم: متروك الحديث ، ذاهب الحديث. وقال مرَّة: ضعيف الحديث.[6]

وقال الإمام أحمد: عبد الملك بن هارون بن عنترة ضعيف الحديث.[7]

وقال بهز بن أسد[8] ويحيى بن معين[9]: كذاب.

وقال النسائي: متروك الحديث.[10]

وذكره الدارقطني في «الضعفاء والمتروكون».[11]

---

1 «مستدرك الحاكم» (289/2) ، حديث رقم (3042).

2 (76/2).

3 أي لإخراجه.

4 «كتاب المجروحين من المحدثين» (115/2).

5 (277/5) برقم (1423).

6 «كتاب الجرح والتعديل» (374/5).

7 «العلل (371/2) رقم (2648).

8 «الضعفاء» للعقيلي (796/3).

9 «تاريخ ابن معين» (1688).

10 «كتاب الضعفاء والمتروكين» برقم 384 .

11 رقم (362).

وروى ابن عدي بإسناده عن السعدي قوله: عبد الملك بن هارون بن عنترة دجال كذاب. ثم قال ابن عدي: وعبد الملك بن هارون له أحاديث غرائب عن أبيه عن جده عن الصحابة مما لا يتابعه عليه أحد.[1]

وذكره الذهبي في «الضعفاء».[2]

وذكره العلامة الهندي الفتني في «تذكرة الموضوعات».[3]

وضعف السيوطي إسناده في «الدر المنثور» ، وهو لا يقول «ضعيف» إلا إذا لم يكن في الإسناد حيلة يُصحح بها.[4]

الثاني: أن قوله تعالى ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ نزلت – باتفاق أهل التفسير – في اليهود المجاورين للمدينة أولا ، كبني قينقاع وقريظة والنضير ، وليست في بني غطفان ويهود خيبر.[5]

الثالث: أن ما جاء في الحديث المتقدم – في أن اليهود نُصروا على غطفان لما قالوا هذا الدعاء – لم يذكر في شيء من كتب السير ، بل لم يعرف أن اليهود كانوا ينتصرون على العرب أصلا.[6]

الرابع: أن هذا النقل الذي نقل الحاكم رحمه الله نقل شاذ مخالف للنقول الكثيرة المدونة في كتب السيرة ودلائل النبوة[7] والتفسير ، والتي أخرجها ابن جرير رحمه الله في تفسيره عن ابن عباس وعلي الأزدي وقتادة وأبي العالية والسدي وعطاء ومجاهد وابن زيد ، وكذا ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه عند قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾.[8]

---

1 «الكامل في ضعفاء الرجال» (529/6).

2 برقم (3851).

3 ص 57 .

4 نقلا من «هذه مفاهيمنا» ص 40 للشيخ صالح آل الشيخ ، وكلام السيوطي مذكور في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) من سورة البقرة: 89 .

5 انظر «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 228 .

6 انظر «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 230 .

7 انظر «دلائل النبوة» للبيهقي (75/2 ، 76).

8 انظر «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 224 .

ثم إن هذه الروايات التي رووها لم يفسرها أحد من هؤلاء الأئمة بأن معنى «يستفتحون» هو «يتوسلون به» ، بل هي مطبقة على معنى واحد وسبب نزول واحد ، وهو أن اليهود كانوا يستنصرون على مشركي العرب ، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نَغلب المشركين ونقتلهم ، فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾.

الخامس: أن اللغة العربية – لغة القرآن – لم تأت بأن معنى الاستفتاح هو التوسل ، وحسبك بهذه حجة.[1]

فالحاصل أن معنى الاستفتاح هو الاستنصار ، وأما تفسيره بالتوسل فباطل من جهة اللغة العربية والروايات الحديثية.

الشبهة الرابعة عشرة:

ومن الأحاديث الضعيفة الواردة في هذا الباب الحديث الذي رواه الترمذي[2] وأبو داود[3] من طريق ابن أبي ليلى عن ثابت البناني عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: قال أبو ليلى: قال رسول الله ﷺ :

إذا ظهرت الحية في المسكَن فقولوا لها: إنا نسألك بعهد نوح ، وبعهد سليمان بن داود أن لا تؤذينا ، فإن عادت فاقتلوها.

فالجواب أن الحديث ضعيف ، فابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى ، قال ابن حجر: صدوق سيء الحفظ جدا.[4]

وقد أخرجه الألباني في «السلسلة الضعيفة».[5]

الشبهة الخامسة عشرة:

ومن الآثار الضعيفة كذلك أثر الأربعة الذي أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «مجابو الدعوة» فقال:

---

1 هذه فائدة مَنَّ الله بها.

2 (1485).

3 برقم (5260).

4 ترجمة رقم (6081).

5 رقم (1508).

حدثني أبو الحسن أحمد بن عبد الأعلى الشيباني ، حدثنا إسماعيل بن أبان الغنوي ، حدثنا سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي أنه قال:

لقد رأيت عجبا! كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عـــمر وعبد الله بن الزبير ومـــــصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان ، فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني ويسأل الله حاجته فإنه يُعطي من ساعته.

قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود وُلد في الهجرة ، فقام فأخذ بالركن ثم قال:

اللهم إنك عظيم تُرجي لكل عظيم ، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك **وحرمة نبيك** ﷺ ألاَّ تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلَّم عليَّ بالخلافة ، وجاء حتى جلس.

فقالوا: قم يا مصعب بن الزبير ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني فقال:

اللهم إنك رب كل شيء ، واليك مصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني بسكينة بنت الحسين ، وجاء حتى جلس.

فقالوا: قم يا عبد الملك بن مروان ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني فقال:

اللهم رب السماوات السبع ، ورب الأرضين ذات النبت بعد القفر ، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك ، وأسألك بحرمة وجهك ، وأسألك بحقك على جميع خلقك ، وبحق الطائفين حول بيتك ، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الدنيا وغربها ، ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه ، ثم جاء حتى جلس ... الخ.[1]

فاحتج بعض الناس على لفظة توسل عبد الله بن الزبير بحرمة النبي ﷺ الواردة في دعاءه على جواز التوسل بحرمة النبي ﷺ ، والجواب أن هذا أثر ضعيف جدا ، فإسماعيل بن أبان راوي هذا الأثر كذاب.

قال أبو حاتم: متروك الحديث ، كان كذابا.[2]

وذكره الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكون».[3]

وقال البخاري: متروك الحديث.[4]

---

1 كتاب «مجابو الدعوة» لابن أبي الدنيا ، ص 120 ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع – مكة.

2 «الجرح والتعديل» (160/2).

3 ترجمة رقم 75 .

4 «الضعفاء الصغير» ، ترجمة رقم 19 .

وكذا قال النسائي.[1]

وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات.[2]

وقد خولف ابن أبي الدنيا فروى هذا الأثر أبو نعيم في «الحلية» بإسناد فيه رجل ضعيف ، ولكنه خيرٌ من ذاك الإسناد لأنه ليس فيه كذاب ، وبلفظ آخر ليس فيه توسل بحق المخلوقين فقال:

حدثنا أحمد بن بندار قال: حدثنا عبد الله بن سليمان الأشعث قال: حدثنا سليمان بن معبد قال: حدثنا الأصمعي عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

اجتمع في الحِجْر مصعب بن الزبير وعروة بن الزبير وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا: تمنوا ، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق ، والجمع بين عائـــشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وقال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أما أنا فأتمنى المغفرة.

قال: فنالوا كلهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غُفر له.[3]

قال ابن تيمية رحمه الله: وهذا إسناد خير من ذاك الإسناد باتفاق أهل العلم ، وليس فيه سؤال بالمخلوقات.[4]

الشبهة السابعة عشرة:

ومن الأحاديث الضعيفة الواردة في باب التوسل بحق الأنبياء حديث أنس الذي رواه الطبراني فقال:

حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة ، قال: حدثنا روح بن صلاح ، قال: حدثنا سفيان الثوري ، عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك قال:

لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب ، دخل عليها رسول الله ﷺ ، فجلس عند رِأسها فقال: رحمك الله يا أمي ، كنتِ أمي بعد أمي ، تجوعين وتشبعيني ، وتعرَين وتكسينني[5] ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني ، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة ، ثم أمر أن تغسل ثلاثا وثلاثا ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه عليها ﷺ بيده ، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه ،

---

1 «الضعفاء والمتروكين» ، ترجمة رقم 31 .

2 «كتاب المجروحين من المحدثين» (136/1).

3 «حلية الأولياء» (200/2) ، ترجمة عروة بن الزبير.

4 «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 183 .

5 أصلها في المطبوعة: "تكسونني" ، وهو تصحيف ، وصوبتها من «المعجم الكبير».

وكفنت فوقه ، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود ليحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، **بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي** ، فإنك أرحم الراحمين ، ثم كبر عليها أربعا ، ثم أدخلوها القبر هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم.[1]

ورواه أبو نعيم في «الحلية» من طريق الطبراني به.[2]

ورواه ابن الجوزي في كتابه «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» من طريق أبي نعيم به.[3]

والجواب أن هذا حديث ضعيف ، فيه روح بن صلاح.

قال ابن عدي بعد أن روى عنه حديثين: ولروح بن سيابة أحاديث ليست بالكثيرة عن ابن لهيعة والليث وسعيد بن أبي أيوب ويحيى بن أيوب وحيوة وغيرهم ، وفي بعض حديثه نكرة.[4]

وقال الدارقطني: كان ضعيفا في الحديث.[5]

وقال ابن الجوزي بعدما ذكر الحديث: تفرد به روح بن صلاح ، وهو في عداد المجهولين ، وقد ضعفه ابن عدي.

وقال ابن يونس في «تاريخه»: رُوِيت عنه مناكير.[6]

وقد ذكر الألباني هذا الحديث في «السلسلة الضعيفة».[7]

الشبهة السادسة عشرة:

ومن الآثار الضعيفة الواردة في باب التوسل بحق الأنبياء الأثر الذي رواه موسى بن عبد الرحمٰن الصنعاني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أنه قال:

---

1 رواه الطبراني في «الأوسط» (111/1) برقم (191) ، و «الكبير» (351/24) برقم (871).

2 (143/3).

3 رقم (433).

4 «الكامل في ضعفاء الرجال» (63/4).

5 «المؤتلف والمختلف» (1377/3).

6 «لسان الميزان» (466/2).

7 رقم 23 .

من سرَّه أن يُوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم ، فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر وليشربه على الريق ، وليصم ثلاثة أيام ، وليكن إفطاره عليه ، ويدعو به في أدبار صلواته:

اللهم إني أسألك بأنك مسئول لم يُسأل مثلك ولا يسأل ، **وأسألك بحق محمد نبيك ، وإبراهيم خليلك ، وموسى نَـجِـيُّـك ، وعيسى روحك ، وكلمتك ووجيهك** ... وذكر تمام الحديث.[1]

والجواب أن هذا الحديث موضوع ، فموسى بن عبد الرحمٰن راوي الحديث من الكذابين.

قال فيه ابن عدي: منكر الحديث.[2]

وقال فيه ابن حبان: شيخ دجال ، يضع الحديث ... وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتابا جمعه من كلام الكلبي ومقاتل بن سليمان ... لا تحل الرواية عن هذا الشيخ ولا النظر في كتابه إلا على سبيل الاعتبار.[3]

وقد رُوي هذا الحديث بعدة أسانيد قال فيها ابن تيمية: وهذه أسانيد مظلمة لا يثبت بها شيء.[4]

وقد روى هذا الأثر ابن الجوزي في «الموضوعات»[5] عن ابن مسعود رضي الله عنه فقال:

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز ، قال: أنبأنا أبو يعلى محمد بن الحسين الفقيه ، قال: أنبأنا علي بن عمر السُّكري ، قال: حدثنا أبو أحمد حامد بن بلال ، قال: حدثنا محمد بن عبد الله البخاري ، قال: حدثنا بحر بن النضر ، قال: حدثنا عيسى بن موسى غنجار ، قال: حدثنا عمر بن الصبح ، عن أبي عبد الله الشامي ومحمد بن أبي عائشة السعدي بريد عمر بن عبد العزيز إلى الفقهاء ، عن مجاهد بن جبر ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال:

من أراد أن يوعيه الله حفظ القرآن فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف بعسل ماذي[6] ، ثم ليغسله بماء المطر قبل **أن** يمس الأرض ، فليشربه على الريق ثلاثة أيام ، فإنه يحفظه بإذن الله:

---

1 نقلا من «التوسل والوسيلة» ص 176 . وقد علق محققه الشيخ ربيع المدخلي حفظه الله فقال: لم أجده في كتب الموضوعات منسوبا لابن عباس ، وإنما ينسب إلى ابن مسعود. انتهى.

قلت: سيأتي الأثر عن ابن مسعود رضي الله.

2 «ميزان الاعتدال» (549/6).

3 «كتاب المجروحين من المحدثين» (250/2).

4 «التوسل والوسيلة» ص 178 .

5 (355/2).

6 العسل الماذي هو العسل الأبيض. انظر «لسان العرب».

اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يُسأل مثلك ، **أسألك بحق محمد رسولك ونبيك ، وإبراهيم خليلك وصفيك ، وموسى كليمك ونَـجِـيُّـك ، وعيسى كلمتك وروحك** ، وأسألك بصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، وفرقان محمد ، وأسألك بكل وحي أوحيته ، وكل حق قضيته ، **وبكل سائل أعطيته ، وبكل ضال هديته ، وغني أقـنيته ، وفقير أغنيته** ، وأسألك بأسمائك التي دعاك بها أنبياؤك فاستجبت لهم ، وأسألك بكل اسم أنزلته في كتابك ، وأسألك باسمك الذي أثبتَّ به أرزاق العباد ، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار ، وأسألك باسمك الذي وضعته على الليل فأظلم ، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فَرَسَتْ ، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت ، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك ، وأسألك باسمك الواحد الأحد ، الصمد الفرد العزيز ، الذي ملأ الأركان كلها ، الظاهر الطاهر المطهِّر المبارك المقدس الحي القيوم ، نور السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، وأسألك بكتابك المنزل بالحق ، ونورك التام ، وبعظمتك وبكبريائك ؛ أن ترزقني حفظ كتابك القرآن ، وحفظ أصناف العلم ، وثبِّتها في قلبي وسمعي وبصري ، تخلطها بلحمي ودمي ، وتستعمل بها جسدي في ليلي ونهاري ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ، والمتهم به عمر بن الصبح ، قال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات ، لا يحل كتب حديثه إلا على وجه التعجب.[1]

وقال الدارقطني: متروك الحديث.[2]

وقال أبو حاتم: منكر الحديث.[3]

وقال ابن حجر: متروك[4] ، ونقل عن ابن راهويه قوله: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير في البدعة والكذب: جهم بن صفوان وعمر بن الصبح ومقاتل بن سليمان.[5]

---

1 «كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» (436/3) برقم (1669).

2 «سنن الدارقطني» (57/2).

3 «كتاب الجرح والتعديل» (117/6).

4 «تقريب التهذيب» ، ترجمة رقم (4922).

5 «تهذيب التهذيب» ، ترجمة رقم (5767).

وقد ذكر العلامة الفتني الهندي هذا الحديث في «تذكرة الموضوعات»[1] ، والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة».[2]

الشبهة السابعة عشرة:

ومن الأحاديث المكذوبة أيضا الحديث الذي رواه أبو العباس بن تركمان الهمداني في كتاب «الدعاء» قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن محمد الدقاق ببغداد ، أنبأنا محمد بن عثمان بن خالد العكبري حينئذ ، حدثنا الحسن بن عرفة العبدي ، حدثنا زيد بن الحباب العكلي ، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني عن أبيه ، أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال:

إني أتعلم القرآن فيتفلت مني ، فقال النبي ﷺ : قل اللهم إني **أسألك بمحمد نبيك** ، وبإبراهيم خليلك ، وموسى نَجِيُّك ، وعيسى روحك وكلمتك ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وفرقان محمد ، وكل وحي أوحيته ، أو قضاء قضيته ، أو شيء أعطيته ، أو فقير أغنيته ، أو غني أفقرته ، أو ضال هديته ، وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى ، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت ، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فأرست ، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك ، وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد ، الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين ، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار ، وعلى الليل فأظلم ، وبعظمتك وكبريائك ، وبنور وجهك ، أن ترزقني القرآن والعلم ، وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري ، وتستعمل به جسدي ، بحولك وقوتك ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.[3]

ورواه أبو الشيخ الثواب فقال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عقبة ، حدثنا الحسن بن عرفة العبدي به.[4]

والجواب: هذا حديث موضوع ، فيه عبد الملك بن هارون بن عنترة ، من المعروفين بالكذب ، وقد تقدم نقل كلام الأئمة فيه.

الشبهة الثامنة عشرة:

ومن الحكايات التي استدل بها بعض الناس على جواز التوسل به ﷺ بعد موته وعند قبره ؛ الحكاية التي رواها القاضي عياض في كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » فقال:

---

1 ص 57

2 (299/2) .

3 اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ، ص 299 – 300 .

4 «اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ، ص 299 - 300 .

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا: أنبأنا أبو العباس أحمد بن عمر ابن دلهاث قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن الفرج ، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب ، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا ابن حميد قال:

ناظر أبو جعفر – أمير المؤمنين – مالكا في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدَّب قوما فقال ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ ، ومدح قوما فقال ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ ، وذم قوما فقال ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ ، وإن حرمته ميتا كحرمته حيا.

فاستكان له أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله ، ءأستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال: ولِم تصرف وجهك عنه وهو **وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟** بل استقبله واستشفع به فيُشفعك الله ، قال الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾.[1]

فاستدل بعض الناس بقول مالك: (ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة) ، على جواز التوسل بذات النبي بعد موته وطلب الاستغفار منه!

والجواب أن هذا الأثر ضعيف من وجوه:

الوجه الأول: أن رجال هذا الإسناد مجهولون ، بدءا من أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهاث وانتهاء بيعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل[2] ، ولهذا وصف شيخ الإسلام هذا الإسناد بأنه غريب.[3]

الوجه الثاني: أن راوي القصة ابن حميد ، وهو محمد بن حميد الرازي ، متهم بالكذب.

قال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير.[4]

وقال صالح جزرة: ما رأيت أحدق بالكذب منه ، ومن ابن الشاذكوني.[5]

---

1 (2/41-42).

2 قاله الشيخ د. ربيع بن هادي ، انظر حاشيته على «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 121 .

3 انظر «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 121 .

4 «المغني في الضعفاء» للذهبي ، (2/289).

5 «المغني في الضعفاء» للذهبي ، (2/289).

وقال أبو زرعة: ثلاثة ليس لهم عندنا محاباة ، فذكر فيهم محمد بن حميد.[1]

وقال ابن حبان: كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات ، لا سيما إذا حدَّث عن شيوخ بلده.[2]

الوجه الثالث: الانقطاع الكبير بين ابن حميد وبين مالك وأبي جعفر المنصور ، فقد قال ابن تيمية رحمه الله:

وهذه الحكاية منقطعة ، فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا ، لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور ، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه ، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث ...

ثم قال: وآخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

وآخر من روى عن مالك على الإطلاق هو أبو حذيفة أحمد بن إسماعيل السهمي ، توفي سنة تسع وخمسين ومائتين ، وفي الإسناد أيضا من لا تعرف حاله.[3]

الوجهُ الرابع: نقدها من جهةِ نقلها عن أصحابِ مالك ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه ، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند ، فكيف إذا أرسل حكاية لا تُعرف إلا من جِهته؟ هذا إن ثبت عنه ، وأصحاب مالك متفقون على أنه بِمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه ، بل إذا روى عنه الشاميون كالوليد بن مسلم ومروان بن محمد الطاطري ضعَّفوا رواية هؤلاء ، وإنما يعتمدون على رواية

---

1 «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي ، (529/7).

2 «كتاب المجروحين من المحدثين» (321/2).

3 «مجموع الفتاوى» (228/1).

تنبيه: دفع الإمام ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي في الرد على السبكي» وهما وقع فيه السبكي حيث ظن أن ابن حميد هو أبو سفيان محمد بن حميد المعمري ، أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم ، فقال ابن عبد الهادي رحمه الله:

وقد ظن المعترض أنه أبو سفيان محمد بن حميد المعمري أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم ، فإن الخطيب ذكره في الرواة عن مالك ، وقد أخطأ فيما ظنه خطأ فاحشا ووهم وهما قبيحا ، فإن محمد بن حميد المعمري رجل متقدم ، لم يدركه يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل راوي الحكاية عن ابن حميد ، بل بينهما مفازة بعيدة.

انظر ص 260 ، ط مؤسسة الريان – بيروت.

المدنيين والمصريين ، فكيف بحكاية تُناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث؟[1]

الوجه الخامس: أن الثابت عن مالك خلاف ما دلت عليه القصة ، فقد قال ابن تيمية رحمه الله:

وهو خلاف الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه كما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي وغيره ، مثل ما ذكروا عنه أنه سئل عن أقوام يطيلون القيام **مستقبلي الحُـجرة يدعون لأنفسهم** ، فأنكر مالك ذلك[2] ، وذكر أنه من البدع التي لم يفعلها الصحابة والتابعون لهم بإحسان وقال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

ولا ريب أن الأمر كما قاله مالك ، فإن الآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين تبين أن هذا لم يكن من عملهم وعادتهم ، ولو كان استقبال الحجرة عند الدعاء مشروعا لكانوا هم أعلم بذلك ، وكانوا أسبق إليه ممن بعدهم.[3]

وقال أيضا: فإن المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين أن الداعي إذا سلم على النبي ﷺ ، ثم أراد أن يدعو لنفسه ، **فإنه يستقبل القبلة** ، ويدعو في مسجده ، ولا يستقبل القبر ويدعو لنفسه ، بل إنما يستقبل القبر عند السلام على النبي ﷺ والدعاء له.[4]

وقال أيضا بعد تقرير طويل لمذهب مالك في المسألة:

فدل ذلك على أن ما في الحكاية المنقطعة من قوله: "استقبِله واستشفع به" كذب على مالك مخالف لأقواله وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم التي يفعلها مالك وأصحابه ونقلها سائر العلماء ، إذ كان أحد منهم لم يستقبل القبر للدعاء لنفسه فضلا عن أن يستقبله ويستشفع به يقول له: (يا رسول الله ؛ اشفع

---

1 «مجموع الفتاوى» (1/228 – 229).

2 لعله يشير إلى ما نقله القاضي عياض في المبسوط عن الإمام مالك رحمه الله حيث قال: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي.

وقال أيضا: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

فقيل له: فإن ناسا من أهل المدينة لا يَقدمون من سفر ولا يريدونه ، ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر ، فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه أوسع ، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

3 «مجموع الفتاوى» (1/353).

4 «مجموع الفتاوى» (1/229 – 230).

لي ، أو ادع لي) ، أو يشتكي إليه مصائب الدين والدنيا ، أو يطلب منه أو من غيره من الموتى من الأنبياء والصالحين أو من الملائكة الذين لا يراهم أن يشفعوا له ، أو يشتكي إليهم المصائب ، فإن هذا كله من فعل النصارى وغيرهم من المشركين ومن ضاهاهم من مبتدعة هذه الأمة ، ليس هذا من فعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ولا مما أمر به أحد من أئمة المسلمين ، وإن كانوا يُسلمون عليه إذ كان يسمع السلام عليه من القريب ويبلغ سلام البعيد.[1]

وقال أيضا:

ومما يوهن هذه الحكاية أنه قال فيها "ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة" ، إنما يدل على أنه يوم القيامة تتوسل الناس بشفاعته ، وهذا حق كما تواترت به الأحاديث ، لكن إذا كان الناس يتوسلون بدعائه وشفاعته يوم القيامة كما كان أصحابه يتوسلون بدعائه وشفاعته في حياته فإنما ذاك طلب لدعائه وشفاعته فنظير هذا – لو كانت الحكاية صحيحة – أن يطلب منه الدعاء والشفاعة في الدنيا عند قبره. ومعلوم أن هذا لم يأمر به النبي ﷺ ولا سَنَّهُ لأمته ، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، لا مالك ولا غيره من الأئمة ، فكيف يجوز أن يُنسب إلى مالك مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل لا يعرف الأدلة الشرعية ولا الأحكام المعلومة أدلتها الشرعية مع علو قدر مالك وعظم فضيلته وإمامته ، وتمام رغبته في اتباع السنة ، وذم البدع وأهلها؟

وهل يأمر بهذا أو يشرعه إلا مبتدع؟ فلو لم يكن عن مالك قول يناقض هذا لَعُلِم أنه لا يقول مثل هذا.

ثم قال في الحكاية: "استقبله واستشفع به فيشفعك الله" ، والاستشفاع به معناه في اللغة أن يطلب منه الشفاعة كما يستشفع الناس به يوم القيامة ، وكما كان أصحابه يستشفعون به.[2]

الوجه السادس: أن سبب إيراد القاضي عياض لهذه القصة إنما هو لبيان حرمته ولم يذكرها في باب زيارة قبره.

قال ابن تيمية رحمه الله:

والقاضي عياض لم يذكرها في كتابه في باب زيارة قبره ؛ بل ذكر هناك ما هو المعروف عن مالك وأصحابه ، وإنما ذكرها في سياق أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازمٌ كما كان حال حياته ، وكذلك عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه.[3]

---

1 «مجموع الفتاوى» (223/1).

2 «مجموع الفتاوى» (239/1).

3 «مجموع الفتاوى» (225/1 – 226).

الوجه السابع: أن التوسل المذكور في القصة ليس فيه تقرير التوسل بالموتى ، كما وضح ذلك ابن تيمية رحمه الله حين قال:

مع أن قوله: "وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة" ؛ إنما يدل على توسل آدم وذريته به يوم القيامة ، وهذا هو التوسل بشفاعته يوم القيامة ، وهذا حق كما جاءت به الأحاديث الصحيحة ، حين تأتي الناس يوم القيامة آدم ليشفع لهم ، فيردهم آدم إلى نوح ، ثم يردهم نوح إلى إبراهيم ، وإبراهيم إلى موسى ، وموسى إلى عيسى ، ويردهم عيسى إلى محمد ﷺ ، فإنه كما قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر آدم ، فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر).[1]

وبعد بيان مطاعن هذه القصة رواية ودراية ، تبين كذب نسبة هذه القصة إلى الإمام مالك ، كما قال ابن تيمية رحمه الله:

وكذلك من نقل عن مالك أنه جوز سؤال الرسول أو غيره بعد موتهم أو نقل ذلك عن إمام من أئمة المسلمين – غير مالك – كالشافعي وأحمد وغيرهما فقد كذب عليهم ، ولكن بعض الجهال ينقل هذا عن مالك ، ويستند إلى حكاية مكذوبة عن مالك ، وأصلها ضعيف.[2]

الشبهة التاسعة عشرة:

ورد في بعض أخبار بني إسرائيل أن الأنبياء آدم وإدريس ونوح وأيوب توسلوا بالنبي ﷺ ، كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها.

وقد أجاب عن هذه الشبهة ابن تيمية رحمه الله فقال:

وهذه القصص التي يُذكر فيها التوسل عن الأنبياء بنبينا ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، ولا لها إسناد معروف عن أحد من الصحابة ، وإنما تُذكر مرسلة كما تُذكر الإسرائيليات التي تروى عمن لا يُعرف.

والحديث المرسَل عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يُعرف علمه وصدقه لا يُقبل **باتفاق المسلمين** ، ومراسيل أهل ديننا عن نبينا ﷺ لا تُقبل عند أئمة العلماء مع كون نبينا قريبا وديننا محفوظا محروسا ، فكيف بما يُرسل عن آدم وإدريس ونوح وغيرهم؟

والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيه شيء من هذا الذي ذكروه.

---

1 «مجموع الفتاوى» (1/229 – 230).

2 «مجموع الفتاوى» (1/225) باختصار.

وقد نقل أبو نعيم في «الحلية» أن داود عليه السلام قال: يا رب ، أسألك بحق آبائي عليك ، إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

فقال الله له: يا داود ، وأي حق لآبائك علي؟[1]

فإن كانت الإسرائيليات حجة فهذا الأثر يدل على أنه لا يُسأل بحق الأنبياء ، وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الإسرائيليات.[2]

الشبهة العشرون:

فإن قيل: ألا يفيد قوله تعالى ﴿تسَاءلون به والأرحام﴾ جواز التوسل بالرحم ، ومن المعروف أن الرحم من الذوات؟

فالجواب من كلام ابن تيمية رحمه الله:

وأما قول بعض الناس: أسألك بالله وبالرحم ، وقراءة من قرأ ﴿تسَّاءلون به والأرحام﴾ فهو من باب التسبب بها ، فإن الرحم توجب الصلة ، وتقتضي أن يصل الإنسان قرابته.

فسؤال السائل بالرحم لغيره يتوسل إليه بما يُوجب صلته من باب القرابة التي بينهما ، ليس هو من باب الإقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب ، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب ، كالتوسل بدعاء الأنبياء وطاعتهم.

ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر أنه قال: كنت إذا سألت علياً شيئاً فلم يعطنيه ، قلت له: (بحق جعفر إلا ما أعطيتنيه) فيعطنيه ، أو كما قال ، فإن بعض الناس ظن أن هذا الباب من باب الإقسام عليه بجعفر ، ومن باب قولهم: أسألك بحق السائلين ، ونحو ذلك ، وليس كذلك ، بل جعفر هو أخو علي ، وعبد الله ابنه ، وله عليه حق الصلة ، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر ، كما في الحديث: إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يُوَلِّي.

---

[1] لم أجده في «الحلية» ، والذي وجدته هو الأثر عن يوسف عليه السلام قال: اللهم إني أتوجه إليك بصلاح آبائي إبراهيم خليلك ، وإسحاق ذبيحك ، ويعقوب إسرائيلك.

فأوحى الله إليه: يا يوسف ، تتوجه بنعمة أنا أنعمتها عليهم؟

انظر «حلية الأولياء» (7/10).

[2] «تلخيص الاستغاثة» (7/10).

ولو كان من هذا الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي ﷺ وإبراهيم الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ، ولكان علي إلى تعظيم رسول الله ﷺ ومحبته وإجابة السائل به أسرع منه إلى إجابة السائل بغيره.[1]

الشبهة الحادية والعشرون:

قال بعضهم: أنا أتوسل بذات الرسول لحبي له وتعظيمي إياه ، وهو أمر يحبه الله.

والجواب أن حب الرسول ﷺ أمر طيب يحبه الله ودليل على الإيمان به ، ولكن حب الرسول ﷺ ينبغي أن يدعو صاحبه إلى طاعته وامتثال أمره ، لا إلى إحداث أمور في شريعته لم ينزل الله بها من سلطان ، كما قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾.

وقد تبرأ النبي ﷺ ممن خالف سنته فقال: فمن رغب عن سنتي فليس مني.[2]

فمن كان صادقا في حب النبي ﷺ فليتبع هديه ، ويعض عليه بالنواجذ ، وينبذ ما خالفه ، والله أعلم.

---

1 «اقتضاء الصراط المستقيم» (792/2).

2 رواه البخاري (5063) ومسلم (1401).

خلاصة في الأحاديث الواردة في فضل التوسل بجاه المخلوقين من الأنبياء والصالحين

قال شيخ الإسلام بعد ذكر بعض الأحاديث التي تمسك بها القائلون بجواز التوسل بذات النبي ﷺ والصالحين:

والمقصود هنا: أنه ليس في هذا الباب[1] حديث واحد مرفوع إلى النبي ﷺ يُعتمد عليه في مسألة شرعية باتفاق أهل المعرفة بحديثه ، بل المروي في ذلك إنما يَعرف أهل المعرفة بالحديث أنه من الموضوعات ، إما تعمدا من واضعه وإما غلطا منه ، وفي الباب آثار عن السلف أكثرها ضعيفة.[2]

وقال أيضا: وليس في الأحاديث المرفوعة في ذلك[3] حديث في شيء من دواوين المسلمين التي يُعتمد عليها في الأحاديث ، لا في الصحيحين ، ولا كتب السنن ولا المسانيد المعتمدة كمسند الإمام أحمد وغيره ، وإنما يوجد في الكتب التي عُرف أن فيها كثيرا من الأحاديث الموضوعة المكذوبة التي يختلقها الكذابون ، بخلاف من قد يَغلط في الحديث ولا يتعمد الكذب ، فإن هؤلاء توجد الرواية عنهم في السنن ومسند الإمام أحمد ونحوه ، بخلاف من يتعمد الكذب ، فإن أحمد لم يرو في مسنده عن أحد من هؤلاء.[4]

وقال الشيخ بكر أبو زيد[5] رحمه الله: أحاديث السؤال بالمخلوقين واهية أو موضوعة ، وهذه من المسائل التي نفخ فيها أهل الأهواء حتى صيروها من مسائل العلم الكبار ، ووقعت بسببها أمور ذات أذيال ،

---

1 أي باب التوسل **بالمخلوقين**.

2 «قاعدة **جليلة** في التوسل والوسيلة» ، ص 180 .

3 أي في التوسل بالمخلوقين.

4 «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص 160 .

5 بكر بن عبد الله أبو زيد ، من قبيلة بني زيد القضاعية ، ولد عام 1365 هـ ، درس على عدد من المشائخ بجانب دراستة النظامية ، منهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، وفي المدينة لازم سماحة شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نحو عشر سنين حتى توفي عام 1393 هـ – رحمه الله تعالى– ، فقرأ عليه في تفسيره «أضواء البيان» وغيره من الكتب.

وللشيخ بكر نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها ، وقد جمعها في ثبت مستقل .

عين قاضيا في المدينة ، ثم مدرسا في المسجد النبوي الشريف ، ثم إماما وخطيبا في المسجد النبوي الشريف ، ثم وكيلا عاما لوزارة العدل ، وفي عام 1406هـ عين عضوا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي ، وفي عام 1412 هـ صدر أمر ملكي كريم عضوا في لجنة الفتوى ، وهيئة كبار العلماء.

ووهاءُ ما ورد فيها واضح لكل منصف ، وقد جلى شيخ الإسلام عنها في مواضع من كتبه ، رحمه الله تعالى.[1]

وقال الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله:

ومن الآثار السيئة التي تركتها هذه الأحاديث الضعيفة في التوسل أنها صرفت كثيرا من الأمة عن التوسل المشروع إلى التوسل المبتدع ، ذلك لأن **العلماء متفقون** – فيما أعلم – **على استحباب التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه ، أو صفة من صفاته تعالى ، وعلى توسل المتوسل إليه تعالى بعمل صالح قدَّمه إليه عز وجل.**

ومهما قيل في التوسل المبتدع فإنه لا يخرج عن كونه أمرا مختلفا فيه ، فلو أن الناس انصفوا لانصرفوا عنه احتياطا وعملا بقوله ﷺ : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) ، إلى العمل بما أشرنا إليه من التوسل المشروع ، ولكنهم – مع الأسف – أعرضوا عن هذا ، وتمسكوا بالتوسل المختلف فيه ، كأنه من الأمور اللازمة التي لا بد منها ، ولازموها ملازمتهم للفرائض ، فإنك لا تكاد تسمع شيخا أو عالما يدعو بدعاء يوم الجمعة وغيره إلا ضمنه التوسل المبتدع.

وعلى العكس من ذلك ، فإنك لا تكاد تسمع أحدهم يتوسل بالتوسل المستحب ، كأن يقول مثلا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، المنان ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، **مع أن فيه الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى** ، كما قال ﷺ فيما صح عنه.[2]

فائدة: اعتاد كثير من المحدثين المتأخرين – كالطبراني وابن أبي الدنيا وغيرهم – التوسع في رواية ما كان صحيحا أو ضعيفا من الأحاديث ، ويجعلون العهدة على الناقل ، خصوصا فيما يتعلق بفضائل الأوقات أو الأمكنة أو الأشخاص أو العبادات ، بخلاف أئمة الحديث المتقدمين كالبخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وأصحاب السنن وابن خزيمة ومالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وغيرهم كثير ، فهؤلاء معرفتهم برجال الحديث أقوى من كثير من المتأخرين لقرب عهدهم من العهد النبوي والتابعين ، ومعاصرتهم لكثير

وللشيخ بكر مؤلفات كثيرة تقارب الخمسين كتابا ، في العقيدة والفقه – لاسيما فقه النوازل – والآداب ، وقد قام رحمه الله بالإشراف على مشروع إخراج مؤلفات ابن القيم ، ورسائل ابن تيمية التي لم تطبع.

وللشيخ بكر جهود في الذب عن عقيدة أهل السنة والرد على المبتدعة ، وله في هذا كتاب «الردود».

توفي رحمه الله 1429هجري.

1 «التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث» ، ص 132 .

2 «السلسلة الضعيفة» (94/1) ، باختصار يسير.

من الكذابين الذين وضعوا الحديث وافتروه على رسول الله ﷺ ومعرفتهم بهم ، ولهذا لا يوجد في كتبهم شيئ من الأحاديث الضعيفة المخالفة لأصول الدين الإسلامي كالتي تقدم ذكر بعضها.[1]

1 انظر «قاعدة جليلة» ، ص 178 .

فصل في بيان أن تحري إجابة دعاء الله عند القبور باطل

ذَكر قول الإمام مالك وغيره من العلماء في مسألة تحري الدعاء عند القبور

فصل في بيان الأسباب الشرعية لإجابة الدعاء

فائدة في أسباب إجابة الدعاء من كلام ابن القيم رحمه الله

شبهات والجواب عنها

خاتمة الفصل وخلاصته

تمهيد

الدعاء عبادة جليلة ، قد خصها الله بالذكر في كثير من الآيات ، وبيّن النبي ﷺ شرفها في كثير من الأحاديث الصحيحة ، وقد بينت الشريعة وسائل إجابة الدعاء ، التي إن تحراها المسلم فإن دعاءه يكون أقرب للإجابة عما إذا خلا دعاؤه من ذلك السبب ، وهذه الأسباب ستة أنواع[1]:

السبب الأول متعلق بذات الداعي.
السبب الثاني متعلق بعبادة قام بها الداعي
السبب الثالث متعلق بحال الداعي.
السبب الرابع متعلق بزمن الدعاء.
السبب الخامس متعلق بمكان الدعاء.
السبب السادس متعلق بآداب الدعاء.[2]

وبالرغم من بيان الشريعة لأسباب إجابة الدعاء ؛ فقد انقسم الناس في مسألة تحري إجابة الدعاء إلى ثلاثة أقسام ، **فقسم** توجه بالدعاء لأصحاب القبور ممن يُنسبون غالبا إلى الصلاح والوِلاية ، زاعمين أن دعاءهم قريب للإجابة ، ولا شك أن هذا الفعل خطأ من ثلاثة وجوه:

الأول أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، لأن الدعاء عبادة[3] ، وجميع العبادات لا يجوز صرفها إلا لله وحده ، فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد أشرك.

والثاني أن الموتى لا يسمعون دعاء من ناداهم ، كما قال تعالى ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾[4].

---

[1] قول مقيده عفا الله عنه إنها ستة أنواع إنما هو بحسب ما توصل إليه بحثه واستقراؤه ، والله المستعان.

[2] سيأتي الكلام على كل نوع من هذه الأنواع قريبا إن شاء الله.

[3] كما قال النبي ﷺ : الدعاء هو العبادة. رواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) ، وغيرهما عن النعمان بشير رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

[4] سورة فاطر: ٢٢ .

والثالث: أن الموتى ليس لهم تصرف ولا مقدرة على نفع أنفسهم فضلا عن غيرهم ، وعليه فدعاؤهم وطلب الحاجات منهم من أسفه السفه وأبطل الباطل.[1]

والقسم الثاني هم الذين يدعون الله تعالى وحده ، ولا يدعون غيره ، ولكنهم يتحرون بعض الأماكن لإجابة دعائهم لم تأت بها الشريعة ، بل ربما جاءت الشريعة بالنهي عن تحري الدعاء عندها ، كالذين يتحرَّون إجابة الدعاء عند القبور ، سواء كانت قبور أنبياء أو رجال صالحين أو غير ذلك ، فتجد أحدهم يذهب بجوار قبر ويقول: يا رب ارزقني الولد ، يا رب اقض ديني ، ونحو ذلك.

والقسم الثالث من الناس هم الذين يدعون الله تعالى ، ويتحرَّون مواطن الإجابة التي وردت في الكتاب والسنة لكي يستجاب دعاؤهم ، كالدعاء في ثلث الليل الآخر ، والدعاء في السجود ، والدعاء يوم عرفة ، وغير ذلك من مواطن إجابة الدعاء ، وهؤلاء هم المستقيمون على الشريعة ، أتباع النبي ﷺ ، جعلنا الله منهم.

وفي هذا الفصل من الكتاب ناقشت اعتقاد القسم الثاني من الناس ، وبينت خطأه من عدة وجوه ، ثم بينت البديل الشرعي ، بذكر الأماكن والأزمنة والأحوال التي دلت النصوص الشرعية على قرب إجابة الدعاء عندها ، ليكون القارىء على بصيرة بالحق وضده ، لأن العبد إذا عمل عملا لم ترد به الشريعة رُدَّ عليه عمله ، وباء بإثم الزيادة في دين الله كما قال النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا[2] ما ليس منه فهو رد)[3] ، وفي رواية لمسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).[4]

والله أسأل أن يوفقنا والمسلمين جميعا لإخلاص العمل لله ، والمتابعة لرسول الله ﷺ ، وأن يجنبنا وإياهم طرق الغواية.

---

[1] وقد يسر الله إعداد كتاب يتعلق ببطلان دعاء غير الله بعنوان «خمسون دليلا على بطلان دعاء غير الله» ، وقد طبعته دار الفرقان بالجزائر ودار الاستقامة بمصر ، وقد ألحقته كملحق في آخر هذا الكتاب ، وهو بكل حال منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

[2] المقصود بالأمر هو الدين.

[3] رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

[4] رواه مسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

فصل في بيان أن تحري إجابة دعاء الله عند القبور باطل

دعاء الله عند القبور رجاء الإجابة ليس شركا بحد ذاته ، ولكنه وسيلة عظمى للوقوع في الشرك ، لأن الشيطان سيُزين لفاعله دعاء ذاك المقبور ، لاسيما من كان في حالة اضطرار ، فإن فعل وقع في الشرك الأكبر عياذا بالله.

وتحري إجابة الدعاء عند القبور باطل من خمسة وجوه:

الأول: أنه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ما يدل على أفضلية دعاء الله عند القبور ، وقد تقرر في شريعة الإسلام أن كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة فهي مردودة على صاحبها ، لقول النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا[1] ما ليس منه فهو رد.[2]

وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[3]

الثاني: أنه لو كان تحري الدعاء عند القبور أمرًا مشروعًا – وجوبًا أو استحبابًا – ؛ لفعله الصحابة رضوان الله عليهم عند قبر النبي ﷺ ، كما لم يرد ذلك عن السلف الصالح في القرون الثلاثة المفضلة الأولى.

ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم قد أَجدِبوا مرات ، ودهمتهم نوائب ، وما نقل عنهم البتة أنهم جاؤوا ودعوا الله عند قبر النبي ﷺ ولا عند قبر أحد من كبار الصحابة ، ولو كان ذلك مشروعا لفعلوه ولنقل إلينا فعلهم ، لأنه مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله ، فكان إجماعا منهم على بدعية هذا الفعل ، فتأمل هذا فإنه مفيد.

قال ابن تيمية رحمه الله:

ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف تيقن قطعا أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور **ولا يتحرون الدعاء عندها أصلا** ، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم ، كما قد ذكرنا بعضه ، فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون ، فإن كان أفضل لم يجُز أن يخفى علم هذا على الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلةً بهذا الفضل العظيم ويعلمه من بعدهم ، ولم يجُز أن يعلموا ما فيه من الفضل العظيم ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء ، فإن المضطر يتشبث بكل سبب

---

[1] المقصود بالأمر هو الدين.

[2] تقدم تخريجه.

[3] تقدم تخريجه.

وإن كان فيه نوع كراهة ، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه؟!

هذا محال طبعا وشرعا.

وإن لم يكن الدعاء عندها أفضل ؛ كان قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية ، كما لو تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها ، من شطوط الأنهار ومغارس الأشجار وحوانيت الأسواق وجوانب الطرقات وما لا يُحصي عدده إلا الله.

وهذا قد دل عليه كتاب الله في غير موضع ، مثل قوله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾[1] ، فإذا لم يشرع الله استحباب الدعاء عند المقابر ولا وجوبه ؛ فمن شرَّعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله.

وقال تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[2].

وهذه العبادة عند المقابر نوع من أن يُشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا ، لأن الله لم ينزل حجةً تتضمن استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره ، ومن جعل ذلك من دين الله فقد قال على الله ما لا يعلم ، وما أحسن قوله تعالى ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ ، لئلا يُحتج بالمقاييس والحكايات. انتهى.[3]

وقال ابن القيم رحمه الله بعد كلام له عن الزيارة الشرعية:

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله ، وهذه سنة خلفائه الراشدين ، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة **قصدوا القبور فدعوا عندها** وتمسحوا بها ، فضلا أن يصلوا عندها ، أو يسألوا الله بأصحابها ، أو يسألوهم حوائجهم؟

فليوقفونا على أثر واحد ، أو حرف واحد في ذلك.[4]

---

[1] سورة الشورى: ٢١ .

[2] سورة الأعراف: ٣٣ .

[3] «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٨٧-٦٨٨) ، وانظر للفائدة: (٢/٧٢٨) ، وكذا «مجموع الفتاوى» (٢٧/١٢٩-١٣٠).

[4] «إغاثة اللهفان» ، ص ٣٦٧ – ٣٦٨ .

قلت: والمأثور عن **السلف الصالح أنهم كانوا يزورون القبور من غير قصد تحري الدعاء عندها** ، فالواجب الوقوف حيث وقفوا ، فعن ابن عون قال: سأل رجل نافعا: هل كان ابن عمر[1] يُسلِّم على القبر؟

فقال: نعم ، لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة ، كان يمر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبي ﷺ ، السلام على أبي بكر ، السلام على عُمَرَ أبي.[2]

وروى مالك في «الموطأ» عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ ، فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر.[3]

وروى البيهقي في «شعب الإيمان»[4] عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بقبر النبي ﷺ ، فصلى عليه وسلم ودعا له ولا يمس القبر ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم قال: السلام عليك يا أبتِ.

ففي هذه الآثار عن ابن عمر رضي الله عنهما رَدٌّ واضح على من قال بفضيلة الدعاء عند قبر النبي ﷺ ، لأنه لو كان للدعاء هناك مزية وفضل لفعله ابن عمر رضي الله عنهما ، لأنه من أحرص الصحابة على الخير واتِّباع السنة ، لا سيما وقد رؤي عشرات المرات عند القبر النبوي.

وفي هذا الأثر نرى أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا زار قبر النبي ﷺ **دعا له ولم يدعُ لنفسه** ، ولو كان للدعاء عند القبور شرف ومَزِيَّة لدعا لنفسه قطعا ، ولكنه اكتفى بالدعاء للمقبور ، اتباعا منه للشريعة.

---

[1] أي الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

[2] رواه البيهقي في «الكبرى» (٥/٢٤٥) عن نافع به ، والآجري في «الشريعة» (١٩١٤) ، عن معاذ بن معاذ عن ابن عون عن نافع به ، باب ذكر دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي ﷺ .

ورواه مالك في «الموطأ» ، كتاب قصر الصلاة والسفر ، باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ، عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر ... الخ.

وعزاه ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (٢/٦٦٨) لابن بطة في «الإبانة» ، وصحح إسناده.

معاذ بن معاذ هو العنبري أبو المثنى ، ثقة متقن ، ومن شيوخه ابن عون. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال».

ملاحظة: في «الشريعة»: «ابن عوف» ، والصحيح ابن عون ، وهو عبد الله بن عون المزني ، أبو عون البصري ، ثقة ثبت فاضل. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال».

[3] كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب ما جاء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

[4] (٨/٨٨ – ٨٩) برقم (٣٨٥٤) ، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٧٢٤).

الدليل الثالث على بطلان تحري الدعاء عند القبور: أنه قد ورد عن بعض خيار السلف نهي الناس عن تحري الدعاء عند القبور ، ومن ذلك ما جاء عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها **فيدعو** فنهاه فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول ﷺ قال: لا تتخذوا قبرى عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وسلموا عليَّ ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.[1]

وفي رواية إسماعيل القاضي: وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم ، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم.

قال ابن تيمية رحمه الله: فهذا علي بن الحسين ، زين العابدين ، وهو من أجل التابعين علما ودينا ، حتى قال الزهري: (ما رأيت هاشميا مثله) ، وهو يذكر هذا الحديث بإسناده ، ولفظه: (لا تتخذوا بيتي عيدا ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم) ، وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند بيته ، كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته[2] ، بل قد نهى عن تخصيص بيته بهذا وهذا.[3]

فيستفاد من هذا الأثر أن علي بن الحسين – الذي هو من أعظم وأعلم رجال آل بيت النبي ﷺ ، ومن أعرف الناس بحقوق جده ﷺ – قد أنكر على الرجل الذي كان يأتي إلى قبر النبي ﷺ للدعاء عنده ، ولا يعرف له مخالف ، فهو إجماع من التابعين في وقته على تحريم الدعاء عند القبور.

الرابع: ومن أدلة بطلان تحري الدعاء عند القبور أن الباعث على ذلك تعظيم أهلها ، والواجب أن يكون باعث المسلم على الدعاء وسائر العبادات هو تعظيم أمر الله وأمر رسوله ﷺ ، لا تعظيم المخلوقين من المقبورين وغيرهم.

الخامس: أن دعاء الله عند قبور الصالحين وسيلة عظمى إلى الوقوع في دعاء صاحب القبر نفسه ، لاسيما من كان في حالة اضطرار ، وما كان وسيلة إلى محرم فهو محرم ، قال جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ما نصه:

---

[1] رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/٣٦١) رقم (٤٦٩) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٥٤١) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (٢٠) ، وقال الألباني في حاشيته عليه : حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وقد خرجتها في «تحذير الساجد».

[2] يشير إلى حديث : لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ... الخ.

[3] «الرد على الإخنائي» ، ص ٢٦٥ .

وقد يحكى عندها[1] من الحكايات التي فيها تأثير مثل أن رجلا دعا عندها فاستجيب له ، أو نذر لها فقضيت حاجته ، أو نحو ذلك ، **وبمثل هذه الأمور كانت تعبد الأصنام ، وبمثل هذه الشبهات حدث الشرك في الأرض.**[2]

ذَكر قول الإمام مالك وغيره من العلماء في مسألة تحري الدعاء عند القبور

ومما قاله أهل العلم في هذا الباب ؛ ما أُثر عن الإمام مالك رحمه الله في بدعية الدعاء عند قبر النبي ﷺ ، فقبر غيره أولى بكونه بدعة ، حيث قال رحمه الله:

وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء.

وقال أيضا: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

فقيل له: فإن ناسا من أهل المدينة لا يَقدمون من سفر ولا يريدونه ، ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر ، فيُسلمون ويدعُون ساعة.

فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه أوسع ، ولا يُصلِح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.[3]

قال ابن القاسم[4]: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا ، قال: وذلك رأيٌ.

---

[1] أي القبور.

[2] ص ١٢٣ .

[3] نقل هذه الأقوال القاضي عياض رحمه الله عن الإمام مالك في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» – ٩٩) ، باب في حكم زيارة قبره ﷺ ، وفضيلة من زاره وسلم عليه ، وكيف يسلم ويدعو ، وعزاها لكتاب «المبسوط» للسرخسي ، وكذا نقلها ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (١١٨/٢٧).

[4] هو عبد الرحمٰن بن القاسم ، عالم الديار المصرية ومفتيها ، صاحب الإمام مالك ، روى عن مالك وغيره ، وروى عنه جماعة ، توفي سنة ١٩١ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢٠/٩).

تنبيه: في المطبوع من كلام ابن القاسم: (رأي) ، والذي في «مجموع الفتاوى» (١١٨/٢٧): دأبي.

قال الباجي[1]: ففرقٌ بين أهل المدينة والغرباء ، لأن الغرباء قصدوا ذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصِدوها من أجل القبر والتسليم. انتهى.[2]

علَّق ابن تيمية رحمه الله فقال: فهذا مالك وهو أعلم أهل زمانه – أي زمن تابع التابعين بالمدينة النبوية الذين كان أهلها في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أعلم الناس بما يشرع عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم – يكرهون الوقوف للدعاء بعد السلام عليه ، وبيَّن أن المستحب هو الدعاء له ولصاحبيه ، وهو المشروع من الصلاة والسلام ، وأن ذلك أيضا لا يُستحب لأهل المدينة كل وقت ، بل عند القدوم من سفر أو إرادته ، لأن ذلك تحية له ، والمُحيّا لا يُقصد بيته كل وقت لتحيته ، بخلاف القادمين من السفر.[3]

قلت: وتأمل قول مالك رحمه الله: (يدعو له ولأبي بكر وعمر) ، ولم يقل يدعو لنفسه ، وذلك لما استقر في شريعة الإسلام من أن الغرض من زيارة القبر الدعاء للميت لا للزائر ، وأما الزائر فيدخل ضمنا في دعاء دخول المقبرة في قوله: (يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين) ، فماذا عسى أن يقال لمن جعل الأصل في الدعاء عند القبور أن يكون للزائر ونسي الميت؟

فهذا قول الإمام مالك رحمه الله في مسألة زيارة قبر النبي ﷺ ، وقول الإمام مالك رحمه الله قوي لقربه من العهد النبوي ، ولكونه في المدينة.[4]

---

[1] هو محمد بن عبد الله الحَولاني الباجي ، يعرف بابن القَوْن ، نزيل إشبيلية ، كان عارفا بمذهب مالك ، ثقة ورعًا خيِّرًا توفي سنة ٣٠٨ . انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٣٨/٧ – ١٣٩).

[2] نقل هذه الأقوال القاضي عياض رحمه الله عن الإمام مالك في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» – ٩٩) ، باب في حكم زيارة قبره ﷺ ، وفضيلة من زاره وسلم عليه ، وكيف يسلم ويدعو ، وعزاها لكتاب «المبسوط» للسرخسي ، وكذا نقلها ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (١١٨/٢٧).

[3] «مجموع الفتاوى» (١١٨/٢٧).

[4] وانظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة في «مجموع الفتاوى» (١٢٩/٢٧– ١٣٠) ، و «اقتضاء الصراط المستقيم» (٧٢٧/٢) من قول المؤلف: (الوجه الثالث: في كراهة قصدها للدعاء) ، وكذا ما قاله تلميذه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ، ص ٣٦٣ وما بعدها.

خلاصة

وبناء على ما تقدم ، يتبين لنا أن الدعاء عند القبور ليس له خصوصية استجابة وفضل في الشريعة الإسلامية ، بل القبور كغيرها من البقاع التي لا فضيلة في الدعاء عندها ، كشواطئ الأنهار وجوانب الطرقات والبقاع التي لا يحصي عددها إلا الله ، ولم يخصها الله بفضيلة.

وإذا كان الأمر كذلك ؛ **فتحري دعاء الله عند القبور بدعة** ، ودعوى أن له فضيلة يعتبر من القول على الله بغير علم ، وهذا من كبائر الذنوب ، قال تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾.

والذي يشرع لمن زار المقبرة أن يسلم على أهل المقبرة ، ويذكر الدعاء الوارد عن النبي ﷺ :

السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون.[1]

وزاد في حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه: أسأل الله لنا ولكم العافية.[2]

---

[1] رواه مسلم (٩٧٤) ، عن عائشة رضي الله عنها.

[2] رواه مسلم (٩٧٥).

فصل في بيان الأسباب الشرعية لإجابة الدعاء

ذكرنا في أول الكتاب أن الله سبحانه وتعالى شرع لعباده أسبابا لإجابة الدعاء ، فمن تتبعها وتحراها فدعاؤه قريب للإجابة إن شاء الله تعالى ، وفيما يلي سرد لتلك الأسباب وأفرادها ، ليكون القارىء على بصيرة بالحق وضده ، فإنا إذا علمنا الأسباب البدعية فاجتنبناها وعلمنا الأسباب الشرعية فعملنا بها ، صرنا على بصيرة من أمرنا ، بإذن الله تعالى.

وأسباب إجابة الدعاء ستة أنواع:

الأول: سبب متعلق بذات الداعي.

الثاني: أسباب متعلقة بعبادة قام بها الداعي وعددها تسعة

الثالث: أسباب متعلقة بحال الداعي وعددها خمسة

الرابع: أسباب متعلقة بزمن الدعاء وعددها خمسة

الخامس: أسباب زمانية مكانية ، وهما اثنتان

السادس والأخير: أسباب متعلقة بآداب الدعاء ورؤوسها ثلاثة عشرة

النوع الأول: سبب متعلق بذات الداعي

وهو سبب واحد ، وهو أن يكون الداعي قائما بما أمر الله به عباده من الأوامر ، مُنتهيًا عما نهى الله عنه من النواهي ، كما قال تعالى ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾[1] ، أي يستجيب لهم الدعاء ، فعلق الإجابة هنا بالإيمان والعمل الصالح.

وقال ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[2] ، فوصَف الله من يستجيبُ لهم دعاءَهم بالعباد ، ومن المعلوم أن العِباد لا يوصفون بذلك إلا لأنهم يفعلون الطاعات ويتركون السيئات.

ومن أنواع الطاعات المحمودة بِرُّ الوالدين ، فقد كان في زمن التابعين رجل صالح بار بوالدته يقال له أُوَيس القَرَني ، وقد كان النبي ﷺ قد أرشد الناس لِطلب الدعاء منه ، فعن أُسَير بن جابر أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أُوَيس ، وله والدة ، وكان به بياض ، فمُرُوه **فليستغفر لكم**.

فكان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد[3] أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال له: (**استغفر لي**) ، فاستغفر له.[4]

فوصف النبي ﷺ أُوَيْسا بشدة بره بوالدته ، وربط ذلك بكونه مستجاب الدعوة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الذاكر الله كثيرا ، ودعوة المظلوم ، والإمام المقسط.[5]

فبيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن الذاكر الله كثيرا دعاؤه قريب للإجابة ، لكونه قائما بأمر الله ، وكذا الإمام المُقسِط لكونه قد أطاع الله في رعيته ، وهذا عمل صالح ليس بالهين.

ولما كان دعاء الرجل الصالح قريبا للاستجابة ؛ كان الصحابة يأتون إلى النبي ﷺ ليدعو لهم إذا نزلت بهم نازلة ، ومن المعلوم أن النبي ﷺ هو أصلح الصالحين ، فعن خَبَّاب بن الأرَت قال:

---

[1] سورة الشورى ، الآية ٢٦ .

[2] سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

[3] الأمداد هم الجماعة الغزاة الذين يُمِدُّون الجيوش في الغزو ، واحدهم مَدَد. انظر «شرح النووي على صحيح مسلم».

[4] رواه مسلم (٢٥٤٢) ، وأحمد (١/٣٨-٣٩).

[5] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨٨ ، ٧٣٥٨) ، وحسنه الألباني كما في «الصحيحة» (١٢١١).

شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بُردةً له في ظِلِّ الكعبة ، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا **تدعو الله لنا؟**[1]

فالحاصل أنه كلما كان الداعي أكثر صلاحا وقربا إلى ربه كان دعاؤه قريب الإجابة.

[1] رواه البخاري (٣٦١٢).

النوع الثاني: أسباب تتعلق بعبادة قام بها الداعي ، وعددها تسعة

١. **الدعاء قبل التسليم من الصلاة** ، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ، أي الدعاء أسمع؟

قال: جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات.[١]

أي آخر الصلاة قبل التسليم ، لأن دبر الشيء منه ، يدل لهذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلي ، والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه ، فلما جلستُ[٢] بدأت بالثناء على الله ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي ، فقال النبي ﷺ : سل تعطه ، سل تعطه.[٣]

قال ابن القيم رحمه الله: (وكان شيخنا[٤] يرجح أن يكون قبل السَّلام ، فراجعته فيه ، فقال: دبر كل شيء منه كدبر الحيوان)[٥].

٢. **دعاء العبد وهو ساجد** ، والدليل على هذا قول النبي ﷺ : وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمِنٌ[٦] أن يستجاب لكم.[٧]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء.[٨]

٣. دعاء الصائم ، والدليل على هذا قول النبي ﷺ : ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر.[٩]

---

[١] رواه الترمذي (٣٤٩٩) ، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٥٦) ، وحسنه الألباني.

[٢] أي: جلست للتشهد.

[٣] رواه الترمذي (٥٩٣) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

[٤] يعني ابن تيمية رحمه الله.

[٥] «زاد المعاد» (١/٣٠٥).

[٦] أي حريٌّ.

[٧] رواه مسلم (٤٧٩) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (١/١٥٥) عن علي رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

[٨] رواه مسلم (٤٨٢).

[٩] رواه البيهقي (٣/٣٤٥) عن أنس بن مالك ، وخرجه الألباني في «الصحيحة» (١٧٩٧).

فائدة: دل الحديث السابق على أن دعاء الصائم **حال صومه** من أسباب إجابة الدعاء ، وقد انتشر بين الناس أن دعاء الصائم **حال فطره** من أسباب إجابة الدعاء أيضا ، ولكن الحديث المعتمد في هذا حديث ضعيف لا يسوغ الاعتماد عليه ، وهو حديث عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ : (للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة) ، فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا.[1]

٤. **دعاء الحاج والمعتمر** ، لقول النبي ﷺ : الغازي في سبيل الله ، والحاج والمعتمر وفدُ الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم.[2]

٥. **الدعاء عند الملتزم** ، وهو الجزء من الكعبة الممتد بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، وسمي ملتزما لأن الناس يلتزمونه ويَدعُون عنده ، والدليل على أفضلية الدعاء عنده أن النبي ﷺ كان يضع صدره ووجهه وذِراعيه وكفّيه بين الركن والباب[3] ، أي في الطواف ، وورد عنه في فتح مكة أنه وأصحابه وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله ﷺ وسَطُهم[4].

وقال مجاهد: جئت ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والباب.[5]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وإن أحبّ أن يأتي «الملتزم» – وهو ما بين الحجر الأسود والباب — فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفّيه ، ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته ؛ فعل ذلك ، وله أن يفعل ذلك قبل طواف الوداع ، فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع أو غيره ، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة ... ولو وقف عند الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسنا ...».[6] انتهى.

---

[1] رواه ابن ماجه (١٧٥٣) والطيالسي في «مسنده (٢٣٧»٦) ، واللفظ للطيالسي ، وانظر وجوه ضعفه في «الإرواء» (٤/٤١).

[2] رواه ابن ماجه (٢٨٩٣) ، وحسنه الألباني كما في «الصحيحة» (١٨٢٠).

[3] رواه أبو داود (١٨٩٩) وابن ماجه (٢٩٦٢) ، والبيهقي (٥/٩٣) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، زاد ابن ماجه (وخديه) ، وحسنه الألباني بالحديث والأثر المذكوران بعده كما في «الصحيحة» (٢١٣٨).

[4] رواه أبو داود (١٨٩٨) وأحمد (٣/٤٣١) والبيهقي (٥/٩٢).

[5] رواه عبد الرزاق (٩٠٤٧) ، وصححه الألباني في الإحالة المذكورة آنفا.

[6] «مجموع الفتاوى» (٢٦/١٤٢).

٦. **الدعاء عند شرب ماء زمزم** ، لحديث جابر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شُرب له.[١]

٧. ومن الأعمال الصالحة التي شرعها الله لإجابة الدعاء ؛ **التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا** كما قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[٢] ، وهو كقول: يا رحمٰن ارحمني ، يا رزاق ارزقني ، يا غفار اغفر لي ، ونحو ذلك.

٨. ومن الأعمال الصالحة التي شرعها الله لإجابة الدعاء ؛ **التوسل بدعاء رجل صالح حي حاضر قادر على الدعاء** ، بأن يذهب المسلم إلى رجل من أهل الصلاح والاستقامة ، ويطلب منه أن يدعو له الله عز وجل ما شاء أن يدعو له ، كأن يفرج الله عنه ما هو فيه من كربة ، أو يدعو له بالتوفيق والنجاح ، فإن هذا من أسباب إجابة الدعاء ، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون إلى النبي ﷺ ليدعو لهم إذا نزلت بهم نازلة ، أو أصابهم قحط ، وقد ورد هذا عن بعض السلف أيضا.

٩. ومن الأعمال الصالحة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لإجابة الدعاء **توسل الداعي بعمل صالح قام به** ، كأن يقول: اللهم بإيماني بك ، واتباعي لرسولك ، وبِري بوالدَي ؛ اغفر لي وارحمني ، وفرج عني ما أنا فيه ، وارزقني الولد ، ونحو ذلك.

والدليل على مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة ما ذكره الله في القرآن الكريم من توسل المؤمنين بإيمانهم ليقيهم عذاب النار كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[٣].

ومن الأدلة أيضا توسل الثلاثة الذين انطبق عليهم فم الغار بأعمالهم الصالحة ، فتوسل الأول ببره بوالديه ، وتوسل الثاني بتعففه عن الزنا ، وتوسل الثالث بأمانته في المعاملات ، فانكشفت عنهم الصخرة فخرجوا ، والقصةُ مُخرجةٌ في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما.[٤]

---

[١] رواه أحمد (٣/٣٥٧) ، وابن ماجه (٣٠٦٢) ، وصححه الألباني.

[٢] سورة الأعراف: ١٨٠ .

[٣] سورة آل عمران: ١٩٣ .

[٤] رواه البخاري (٢٢١٥) ، ومسلم (٢٧٤٣).

النوع الثالث: أسباب متعلقة بحال الداعي ، وعددها خمسة

١. **دعوة المظلوم** ، لقول النبي ﷺ لمعاذ لما أرسله إلى اليمن: واتَّق دعوةَ المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.[١]

٢. **دعاء الوالد لولده أو على ولده** ، والدليل قول النبي ﷺ : ثلاثُ دعوات لا ترد: دعوة الوالد ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر.[٢]

وقول النبي ﷺ : ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم.

وفي رواية الترمذي: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده.[٣]

٣. **دعوة المسافر** ، ودليلها الحديثان المتقدمان.

٤. **دعاء الأخ لأخيه المسلم في ظهر الغيب** ، لحديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثلٍ.[٤]

ولفظ أحمد: آمين ، ولك بمثلٍ.[٥]

٥. **الدعاء عند سماع صياح الدِّيكة** ، لحديث: إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا.[٦]

تنبيه

فضل الدعاء عند نزول الغيث ورد في حديث رواه أبو داود واللفظ له والبيهقي وابن أبي عاصم عن موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: ثنتان لا تُردَّان – أو: قلما تردان: الدعاء عند النداء ، وحين البأس حين يُلحِم بعضه بعضا.

---

[١] رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٩).

[٢] تقدم تخريجه.

[٣] رواه أبو داود (١٥٣٦) ، والترمذي (١٩٠٥) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني.

[٤] رواه مسلم (٢٧٣٢) ، واللفظ له ، وانظر القصة بطولها في «المسند» (٤٥٢/٦).

[٥] رواه أحمد في «المسند» (٤٥٢/٦).

[٦] رواه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال موسى: وحدثني رُزيق بن سعيد بن عبد الرحمٰن عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: (ووقت المطر).[1]

قلت: هذا حديث منكر ، فإن (موسى بن يعقوب الزمعي) سيء الحفظ ، وقد خالف الإمام مالك –كما سيأتي – فرفعه ، فالرفع زيادة منكرة.

وأما شيخه رُزيق بن سعيد بن عبد الرحمٰن المدني فإنه مجهول ، وقد خالف مالكًا ، فزاد: (ووقت المطر) ، فقد أخرج مالك في «الموطأ» في «كتاب الصلاة» ، باب «ما جاء في النداء للصلاة» هذا الحديث عن أبي حازم بن دينار عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: فذكره ، ولم يرفعه ، **ولم يذكر لفظ: (ووقت المطر)** أيضا.

وكذا أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»[2] من طريق مالك ، ثم قال: «رفعه الزمعي ، ووقفه مالك ابن أنس الإمام».

قلت: وقد صحح الشيخ الألباني رحمه الله هذا الحديث ، فالله أعلم ما هي عمدته ، انظر «صحيح أبي داود الكبير»[3].

تنبيه آخر

نُقِل عن بعض أهل العلم القول باستحباب الدعاء عند نزول المطر ، فلعلهم اعتمدوا على مجموع الأحاديث الضعيفة الواردة في هذا الباب ، ومن ذلك قول ابن تيمية رحمه الله: والدعاء مستحب عند نزول المطر.[4]

وقول ابن القيم: وقد حَفِظتُ عن غيرِ واحدٍ طلبَ الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة.[5]

وانظر «الصحيحة»[6].

---

[1] رواه أبو داود (٢٥٤٠) والبيهقي (٤١٠/١) وابن أبي عاصم في كتاب «الجهاد» (رقم ١٨ ، ١٩) بتحقيق مساعد الراشد ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

[2] (٤١٠/١).

[3] (٢٩٤/٧-٢٩٥).

[4] انظر «مجموع الفتاوى» (١٢٩/٢٧).

[5] «زاد المعاد» (٤٦١/١).

[6] رقم (١٤٦٩).

ملاحظة: أفادني بهذه الفوائد الحديثية الشيخ أحمد بن علي الرداعي اليمني حفظه الله.

النوع الرابع: أسباب متعلقة بزمن الدعاء ، وعددها خمسة

١. الدعاء في الساعة الفاضلة التي تقع في يوم الجمعة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي ، يسأل الله تعالى شيئا ؛ إلا أعطاه إياه.

وأشار بيده يُقلِّلُها.[١]

وقوله (يُقلِّلُها) فيه إشارة إلى قلة وقتها ومرورها بسرعة.

وقد جاء في تعيين تلك الساعة حديثان ، الأول حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة.[٢]

والثاني حديث جابر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: يوم الجمعة اثنا عشرة ساعة ، فيها ساعة لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر.[٣]

قال ابن القيم في «زاد المعاد»:

وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة ، وأحدهما أرجح من الآخر.

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة ، وحجة هذا القول حديث أبي موسى.

والقول الثاني: أنها بعد العصر ، وهذا أرجح القولين ، وهو قول عبد الله بن سلام وأبي هريرة والإمام أحمد وخلق ، وحجة هذا القول حديث أبي سعيد وأبي هريرة الذي رواه أحمد في «مسنده»[٤] ، وحديث جابر.

---

[١] رواه البخاري (٩٣٥) ، ومسلم (٨٥٢).

[٢] رواه مسلم (٨٥٣) ، وقد انتُقِد عليه إخراجه بالاضطراب والانقطاع ، انظر كتاب «التتبع» ص ٢٧٣ للدارقطني ، تحقيق ودراسة: مقبل بن هادي الوادعي ، وانظر كتاب «بين الإمامين مسلم والدارقطني» ، ص ٢١٦ ، للشيخ ربيع المدخلي ، وانظر «فتح الباري» لابن حجر رحمه الله ، شرح حديث (٩٣٥) ، ووافقه الألباني كما في «ضعيف أبي داود الكبير» (٩/٣٩٧-٣٩٨).

[٣] رواه أبو داود (١٠٤٨) والنسائي (١٣٨٨) ، واللفظ له ، وصححه الألباني.

[٤] (٢/٢٧٢).

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن ، أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة ، فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.[١]

ثم قال ابن القيم: وهذا هو قول أكثر السلف ، وعليه أكثر الأحاديث ، ويليه القول بأنها ساعة الصلاة ، وبقية الأقوال لا دليل عليها.

وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضا ، فكلاهما ساعة إجابة ، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر ، فهي ساعة معينة خلال اليوم ، لا تتقدم ولا تتأخر ، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة ، تقدمت أو تأخرت ، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرا في الإجابة ، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة ، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها ، ويكون النبي ﷺ قد حض أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين.[٢]

وعلى هذا فالمقصود بقوله (قائم يصلي) في حديث أبي هريرة الأول أي يدعو ، فإن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء ، كما في قوله تعالى ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[٣] ، أي ادع لهم.[٤]

أما معنى القيام في قوله (قائم يدعو) فيُفِيد ملازمة الدعاء وليس معناه انتصاب الجسم واقفا حال الدعاء.

٢. **الدعاء في جوف الليل** ، لحديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن في الليل لساعة ، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة.[٥]

---

[١] صححه الألباني كما في «ضعيف أبي داود الكبير» (٣٩٨/٩).

[٢] انظر «زاد المعاد» (٣٨٨/١ – ٣٩٤) ، باختصار وتصرف يسير.

[٣] سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

[٤] انظر تفسير ابن جرير للآية.

[٥] رواه مسلم «٧٥٧».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول: «من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له».[١]

والجمع بين الحديثين أن أرجى وقت لهذه الساعة المباركة هو الثلث الأخير من الليل.

٣. **الدعاء عند التَّعارِّ من الليل** ، أي الاستيقاظ في الليل ، وهذا أعمُّ من الذي قبله ، فالذي قبْله في جوف الليل أي وسَطَهُ ، وهذا في عموم الليل ، والدليل عليه حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا ؛ استُجيب ، فإن توضأ وصلى ؛ قُبِلت صلاته.[٢]

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أوى إلى فراشه طاهرا يذكر الله (حتى يدركه النعاس)[٣] ؛ لم يتقلب ساعة من الليل سأل الله شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه.[٤]

٤. **الدعاء في شهر رمضان** ، لحديث: إن لله عتقاء في كل يوم وليلة[٥] ، لكل عبد منهم دعوة مستجابة.[٦]

٥. **الدعاء بين الأذان والإقامة** ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا يُرَد الدعاء بين الأذان والإقامة.[٧]

---

[١] رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

[٢] رواه البخاري (١١٥٤).

[٣] ما بين القوسين ضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في «الكلم الطيب» ، رقم ٤٣ ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

[٤] رواه أبو داود (٥٠٤٢) والترمذي (٣٥٢٦) والنسائي (١٠٥٧٣) في «الكبرى» ، ، وصححه الألباني.

[٥] أي من شهر رمضان.

[٦] رواه أحمد (٢٥٤/٢) ، وقال محققو «المسند» (٤٢٠/١٢): إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ورواه البزار بسنده كما في «كشف الأستار» (٩٦٢) ، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٠٢): صحيح لغيره.

[٧] رواه أبو داود (٥٢١) واللفظ له ، والترمذي (٢١٢) وأحمد (١٥٥/٣) ، وصححه الألباني.

وجاء في أثر عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ، إن المؤذنين يفضُلوننا.

فقال رسول الله ﷺ : قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسَلْ تُعطه.[1]

[1] رواه أبو داود (٥٢٤) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

النوع الخامس: أسباب زمانية مكانية ، وهما اثنتان

١. **الدعاء يوم عرفة للحاج** ، لحديث: خير الدعاء دعاء يوم عرفة.[١]

٢. **الدعاء صبيحة يوم العيد للحاج في المشعر الحرام** ، ويقع في طرف المزدلفة من جهة مِنى ، ودليله حديث جابر في صفة حج النبي ﷺ ، وفيه أن النبي ﷺ بات في المزدلفة ، فلما صلى الصبح ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا الله وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى أَسْفَرَ جدا.[٢]

فتحري الدعاء في ذلك الوقت في ذلك المكان أمر مسنون وقريب للإجابة إن شاء الله ، تأسيا بالنبي ﷺ .

[١] رواه الترمذي (٣٥٨٥) ، وحسنه الألباني.

[٢] رواه مسلم (١٢١٨).

النوع السادس: أسباب متعلقة بآداب الدعاء ، ورؤوسها ثلاثة عشرة

١. استصحاب حسن الظن بالله وتيقن الإجابة لحديث: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)[١] ، أي أن الله لا يخيبكم ، وهذا إذا صدق الداعي في الرجاء وأخلص الدعاء ، لأنه إذا لم يكن رجاؤه واثقا لم يكن دعاؤه خالصا متضرعا ، فالقلب مَلِك ، والجوارح عبيد.

وقوله ﷺ : يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني)[٢] ، وفي رواية لمسلم: (وأنا معه إذا دعاني)[٣].

٢. الدعاء بإلحاح ورقة وإخلاص وتضرع ، فإن الإخلاص والتذلل سر الإجابة ، عملا بقوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾[٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ما أصاب أحد قط همٌّ ولا حَزنٌ فقال:

(اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فِيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سَمّيت به نفسك ، أو علّمته أحدا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي) ؛ إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحا.

فقيل: يا رسول الله ، ألا نتعلمها؟

فقال: بلى ، ينبغي لمن سمِعها أن يتعلمها.[٥]

وفي إخفاء الدعاء عشرة فوائد ذكرها ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (١٥/١٥-٢٢).

٣. الدعاء بحضور قلب ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ.[٦]

---

[١] أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) والحاكم (١/٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٩٤).

[٢] أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] صحيح مسلم (٢٦٨٥).

[٤] سورة الأعراف: ٥٥ .

[٥] رواه أحمد في «مسنده» (١/٣٩١) ، وصححه الألباني كما في «الصحيحة» (١٩٩).

[٦] تقدم تخريجه قريبا.

(أي ينبغي أن يكون قلبك حاضرا وأنت تدعو ، متفهما لما تقول ، وتذكَّر أنك تخاطب ربَّ العزة والجلال ، فلا يليق بك وأنت العبد الذليل أن تخاطب مولاك بكلام لا تعيه ، أو بِجُمل عفوية قد اعتدت تكرارها دون التفهم لفحواها أو الإدراك لمعانيها).[1]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين * ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا﴾[2]:

«الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة ودعاء العبادة ، فأمر بدعائه تضرعا ، أي إلحاحا في المسألة ودُؤوبا في العبادة ، وخفيةً ، أي لا جهر وعلانية يُخاف منه الرياء ، بل خفية وإخلاصا لله تعالى.

﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ ، أي المتجاوزين للحد في كل الأمور ، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له ، أو يتنطَّع[3] في السؤال ، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء ، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه.

﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ ، بعمل المعاصي ، ﴿بعد إصلاحها﴾ بالطاعات ، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق ، كما قال تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾[4] ، كما أن الطاعات تصلح بها الأخلاق والأعمال والأرزاق وأحوال الدنيا والآخرة ، ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ ، أي خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه ، طمعا في قبولها

---

[1] «كتاب الدعاء» لعبد الله الخضيري ، ص ٢٣ . الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[2] سورة الأعراف ، الآيات: ٥٥ – ٥٦ .

[3] التنطع هو التكلف والتعمق ، كسؤال الله أمور تفصيلية في الجنة ، وحشو الكلام الذي لا فائدة فيه ، والسجع المتكلف ، والأوصاف التفصيلة ، وطول الكلام والالتواء فيه ، والواجب ترك ذلك ، والتزام جوامع الدعاء ، وسيأتي إنكار عبد الله بن مغفل على ابنه لما سمعه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها.

وللشيخ محمد بن أحمد الفيفي حفظه الله رسالة قيمة في هذا بعنوان «الاعتداء في الدعاء» ، فليرجع إليها من أراد الاستزادة.

[4] سورة الروم: ٤١ .

وخوفا من ردها ، لا دعاء عبدٍ مُدْلٍ[1] على ربه ، قد أعجبته نفسه ، ونَزّل نفسه فوق منزلته ، أو دعاء من هو غافلٍ لاهٍ.

وحاصلُ ما ذكر الله من آداب الدعاء ؛ الإخلاص فيه لله وحده ، لأن ذلك يتضمنه الخفية وإخفاؤه وإسراره ، وأن يكون القلب خائفا طامعا ، لا غافلا ولا آمنا ولا غير مبال بالإجابة ، وهذا من إحسان الدعاء ، فإن الإحسان في كل عبادة بذل الجهد فيها وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه». انتهى.

٤. ومن آداب الدعاء إظهار الفقر إليه برفع اليدين إلى السماء ، ففيه إظهار للذلة والافتقار إلى الله العزيز الجبار ، فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يَرُدَّهما صِفرا.[2]

٥. ومن آداب الدعاء الاعتراف بالذنب إن كان الدعاء متعلقا بطلب المغفرة ، ومن تأمل استغفار الأنبياء وجد ذلك واضحا ، قال آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.[3]

وقال الله عن ذي النون ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك **إني كنت من الظالمين**﴾[4].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: قل: اللهم **إني ظلمت نفسي** ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم.[5]

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: سيد الاستغفار أن يقول:

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، **وأبوء لك بذنبي فاغفر لي** ، فإنه لا

---

[1] أي يمُنُّ على ربه ، وهذا الشعور مؤدٍّ لحبوط العمل ، وفي التنزيل ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ ، وقال تعالى ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾.

[2] رواه ابن ماجه (٣٨٦٥) وابن حبان (١٦٠/٣) ، وصححه الألباني.

[3] سورة الأعراف ، الآية ٢٣ .

[4] سورة الأنبياء ، الآية ٨٧ .

[5] رواه البخاري (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٥).

يغفر الذنوب إلا أنت.[1]

٦. ومن آداب الدعاء وصفُ الحال ، ومن ذلك دعاء زكريا في أول سورة مريم ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾[2] ، فمَهّد زكريا لدعائه بما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة ، من كبر السن ، وضعف الحال ، ثم توسل باستجابة الله إليه فيما مضى ، فقال ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾.

وقال موسى لما سقى للمرأتين ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[3] ، فجاءه الخير لما جاءته إحدى المرأتين تدعوه لزيارة أبيها ومن ثم وجد زوجة تقيةً وصِهرا صالحا وعملا يُغنيه عن الفقر ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾[4].

٧. ومن آداب الدعاء تقديم الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ بين يدي الدعاء ، ودليل ذلك حديث بريدة الأسلمي أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد ، فإذا رجل يصلي يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهدك أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد.

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا سُئِل به أعطى ، وإذا دُعِي به أجاب.[5]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا ورجل يصلي ، ثم دعا فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم.

فقال النبي ﷺ : لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سُئِل به أَعطى.[6]

---

[1] رواه البخاري (٦٣٠٦).

[2] سورة مريم: ٤ .

[3] سورة القصص: ٢٤ .

[4] سورة القصص: ٢٥ .

[5] رواه الترمذي (٣٤٧٥) وابن حبان (١٧٤/٣) وابن ماجه (٣٨٥٧) وأحمد في «المسند» (٣٤٩/٥ ، ٣٦٠) ، وصححه الألباني.

[6] رواه أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٥٤٤) والنسائي (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) وأحمد (١٥٨/٣) وغيرهم ، واللفظ لأبي داود ، وصححه الألباني رحمه الله.

وعنه قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم ، برحمتك أستَغيث.[1]

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن: البقرة ، وآل عمران ، وطه.

قال القاسم[2]: فالتمستها ، إنه ﴿الحي القيوم﴾.[3]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم.[4]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين.[5]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له.[6]

فهذه الأحاديث وأشباهها تُفيد أن الداعي ينبغي له أن يُقدم الثناء على الله بين يدي دعائه ، إذ هو من التملق بين يدي العزيز ، وهو من أسباب انكسار القلب وانطراحه ومن ثم إجابة الدعاء بإذن الله.

ومن أعظم الأمثلة على تقدم الثناء بين يدي الدعاء سورة الفاتحة ، فإنها قسمان ؛ الأول ثناء ، والثاني دعاء ، فأما الثناء فقوله ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمٰن الرحيم * مالك يوم الدين﴾.

---

[1] رواه الترمذي (٣٥٢٤) وحسنه الألباني.

[2] هو راوي الأثر عن أبي أمامة رضي الله عنه.

[3] رواه الحاكم في «مستدركه» (١/٥٠٥) ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٤٦) ، وانظر «صحيح الجامع» (٩٨٠).

[4] رواه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠).

[5] رواه أحمد في «مسنده» (١/٩١) ، وصححه محققو «المسند».

[6] رواه الترمذي (٣٥٠٥) والنسائي (١٠٤١٧) في «الكبرى» ، وصححه الألباني.

والقسم الثاني دعاء ورجاء وهو باقي السورة ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

قلت: والثناء على الله بذكر ربوبيته من أعظم ما يثنى به على الله ، بأن يقول الداعي: يا رب أسألك كذا وكذا ، ولهذا فإن كثيرا من الأدعية القرآنية تبدأ بذكر ربوبيته ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾[1] ، وقوله ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[2] ، وقوله ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾[3] ، وغيرها كثير.

وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي ، فمجّد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ادعُ تُجَب ، وسل تعط.[4]

وفي رواية أن النبي ﷺ قال للرجل: عَجِل هذا ، ثم دعاه ، فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم لِيدعُ بعدُ بما شاء.[5]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء ، حتى تصلي على نبيك ﷺ .[6]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفا: كل دعاء محجوب حتى يُصلَّى على محمد على آل محمد ﷺ .[7]

٨. ومن أسباب إجابة الدعاء عدم استعجال الإجابة ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي.[8]

وفي صحيح مسلم عنه: لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدعُ بأثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل.

---

[1] سورة البقرة: ٢٠١ .

[2] سورة البقرة: ٢٨٦ .

[3] سورة آل عمران: ٨ .

[4] رواه أبو داود (١٣٣١) والترمذي (٣٤٧٦) والنسائي (١٢٨٣) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن ، وصححه الألباني رحمه الله.

[5] رواه الترمذي (٣٤٧٧) ، وابن خزيمة (٣٥١/١) ، والبيهقي (١٤٨/٢) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني رحمه الله.

[6] رواه الترمذي (٤٨٦) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[7] رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٢٥) ، وصححه الألباني رحمه الله كما في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٣٥).
قلت: ومثل هذا الأثر له حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالاجتهاد.

[8] رواه البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥).

قيل: يا رسول الله ، وما الاستعجال؟

قال: يقول: (قد دعوت وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لي) ، فيستحسر عند ذاك ويدع الدعاء.[1]

وقال النبي ﷺ : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجّل له دعوته ، وإما أن يَدَّخرها له في الآخرة ، وإما أن يُصرف عنه من السوء مثلها.

قالوا: إذًا نُكثِر ، قال: الله أكثر.[2]

وتأخير الإجابة قد يكون لحكمة يعلمها الله عز وجل ، فالنفس البشرية تُحب المال والغنى ، فلو استجاب الله للناس دعاءهم بكثرة الأموال فلربما بغوا وطغوا ، وصدق الله ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾[3].

٩. ومن آداب الدعاء ؛ الدعاء بجوامع الدعاء وترك التفاصيل ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويَدَعْ ما سوى ذلك.[4]

ومن ذلك ما رواه مسلم عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: سألْت عائشة عمَّا كان رسول الله ﷺ يدعو به الله.

قالت: كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما عملت ومن شرِّ ما لم أعمل.[5]

وعن ابن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي خطاياي وعَمدي ، وجهلي وهزْلي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير.[6]

---

[1] رواه مسلم (٢٧٣٥).

[2] رواه أحمد (١٨/٣) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه وصححه الألباني كما في «كتاب الأدب المفرد» ، الناشر: مكتبة المعارف: الرياض ، وقال محققو «المسند» (٢١٤/١٧): إسناده جيد.

[3] سورة الشورى ، الآية ٤٧ .

[4] رواه أبو داود (١٤٨٢) وابن أبي شيبة (٢٩١٥٦) ، وصححه الألباني.

[5] رواه مسلم (٢٧١٦).

[6] رواه البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩) ، واللفظ للبخاري.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار.[1]

قال عماد الدين ابن كثير رحمه الله:

«الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي ، من عافية ، ودار رحبة ، وزوجة حسنة ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ومركب هنيء ، وثناء جميل ، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ، ولا منافاة بينها ، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا.

وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه ، من الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصات[2] ، وتيسير الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة.

وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا ، من اجتناب المحارم والآثام ، وترك الشبهات والحرام». انتهى.[3]

ولا شك أن الأدعية الواردة في الكتاب والسنة هي من جوامع الدعاء ، ومعصومة من الخطأ ، ومباركة ، فالتزامها خير من التزام غيرها ، من حشو الكلام الذي لا فائدة فيه ، والسجع المتكلف والأوصاف التفصيلية ، وطول الكلام والالتواء فيه.

ومما يشير إلى ذلك ما رواه أبو نَعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها.

فقال: أي بُنَيْ ، سَلْ الله الجنة وتعوذ من النار ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء.[4]

وروى أبو نَعامة أيضا عن ابن سعد أنه قال: سمِعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا ، فقال: يا بُني ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(سيكون قوم يعتدون في الدعاء) ، فإياك أن تكون منهم ، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير ، وإن أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر.[5]

---

[1] رواه البخاري (٦٣٨٩) ومسلم (٢٦٩٠).

[2] العَرَصات جمع عَرْصة ، وهي الموضع الواسع الذي لا بناء فيه. انظر «النهاية».

[3] تفسير سورة البقرة ، الآية رقم ٢٠١ .

[4] رواه أبو داود (٩٦) ، وابن ماجه (٣٨٦٤) وابن حبان (١٦٦/١٥) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[5] رواه أبو داود (١٤٨٠) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك»[1] ، يعني: لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

لا ريب أن الأذكار و الدعوات من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع ، فالأذكار والأدعية النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء ، وسالكها على سبيل أمان وسلامة ، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ، ولا يحيط به إنسان ، وما سواها من الأذكار قد يكون محرما وقد يكون مكروها ، وقد يكون فيه شركٌ مما لا يهتدي إليه أكثر الناس ، وهي جملة يطول تفصيلها.

وليس لأحد أن يَسُنَّ للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس ، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به ، بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة ، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجُز الجزم بتحريمه ، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به ، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت ، فهذا وأمثاله قريب.

وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما يُنهى عنه ، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ، ونهاية المقاصد العلية ، ولا يعدِل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مُفرط أو مُتعدٍّ.[2]

١٠. ومن أسباب إجابة الدعاء العزم فيه وعدم التراخي ، لحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فاعطني ، فإنه لا مُستَكرِهَ له.[3]

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.[4]

---

[1] رواه البخاري (٦٣٣٧).

[2] «مجموع الفتاوى» (٢٢/٥١٠-٥١١).

[3] رواه البخاري (٦٣٣٨) ومسلم (٢٦٧٨).

فائدة: قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه ، والله تعالى منزه عن ذلك ، لا يُكرهه أحد.

[4] انظر «صحيح البخاري» (٦٣٣٩) و «صحيح مسلم» (٢٦٧٩).

والتخيير يشعر باستغناء العبد عن الإجابة ، ولذا جاء النهي عنه ، والواجب العزم وعدم التخيير.

١١. ومن أسباب إجابة الدعاء الدعاء ثلاثا ، ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه: كان إذا دعا دعا ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا.[١]

قال النووي في شرح الحديث: فيه استحباب تكرير الدعاء ثلاثا.

١٢. ومن أسباب إجابة الدعاء المواظبة على الدعاء في جميع الأحوال ، في الرخاء وفي الشدة ، وعدم الغفلة ، فإن هذا سبب في إجابة دعائه في حال الشدة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من سَرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب ؛ فليكثر الدعاء في الرخاء.[٢]

١٣. ومن أسباب إجابة الدعاء طِيب المأكل ، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾[٣] ، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[٤] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث[٥] أغبر[٦] ، يَمُدُّ يديه إلى السماء ؛ (يا رب ، يا رب) ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يُستجاب لذلك.[٧]

---

[١] رواه مسلم (١٧٩٤).

[٢] رواه الترمذي (٣٣٨٢) ، وصححه الألباني.

[٣] سورة المؤمنون: ٥١ .

[٤] سورة البقرة: ١٧٢ .

[٥] أشعث أي أن شعره منتشر متفرق.

[٦] أغبر أي كدِر اللون.

[٧] رواه مسلم (١٠١٥).

فائدة في أسباب إجابة الدعاء من كلام ابن القيم رحمه الله

قال رحمه الله في مقدمة كتابه «الداء والدواء»:

هٰهنا أمر ينبغي التفطن له ، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يُستشفى بها ويُرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ، ولكن تستدعي قبول المحِل ، وقوة همة الفاعل ، وتأثيره ، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل ، أو لعدم قبول المَحِل المنفعل ، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء ، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية ، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء ، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره ، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول ، وكذلك القلب إذا أخذ الرُّقى والتعاويذ بقبول تام ، وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة ؛ أثَّر في إزالة الداء.

وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره ، إما لضعفٍ في نفسه ، بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء ، فيكون بمنزلة القَوس الرخو جدا ، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا.

وإما لحصول المانع من الإجابة ، من أكل الحرام والظلم ، ورَين الذنوب على القلوب ، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو ، وغلبتها عليها ، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ.[1]

فهذا دواءٌ نافعٌ مزيلٌ للداء ، ولكن غفلة القلب عن الله تُبطل قوته.

وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها ، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «أيها الناس ، إن الله طيب لايقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ ، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ ، ثم ذكر الرجل يُطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء ، يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنّى يستجاب لذلك».[2]

ثم قال في ص ٢١:

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] تقدم تخريجه ، وهنا انتهى كلامه في ص ١٠ .

«والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه لا بِحَده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به ، والساعِد ساعد قوي ، والمانع مفقود ؛ حصلت به النكاية في العدو ، ومتى تخلف واحدٌ من هذه الثلاثة تخلف التأثير ، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح ، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثمَّ مانعٌ من الإجابة ؛ لم يحصل الأثر».

وقال في ص ١٤:

وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب ، وصادف وقتا من أوقات الاجابة الستة ، وهي الثلث الأخير من الليل ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبات ، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم ، وصادف خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب ، وذِلةً له وتضـرعا ورِقَّةً ، واستقبل الداعي القبلة ، وكان على طهارةٍ ، ورفع يديه إلى الله ، وبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم ثنَّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ، ثم دخل على الله وألحَّ عليه في المسألة ، وتمَلَّقهُ[1] ودعاهُ رغبة ورهبة ، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده ، وقدم بين يدي دعائه صدقة ؛ فإن هذا الدعاء لا يَكادُ يُرد أبدا ، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظِنّة الإجابة ، أو أنها متضمنة للإسم الأعظم. انتهى كلامه رحمه الله.

[1] تملَّقه أي تودَّد إليه وتطلف له. انظر «الصِّحاح في اللغة» للجوهري ، مادة: ملق.

شبهات والجواب عنها

اعتمد بعض الناس على أحاديث ظنوا أن فيها دلالة على أفضلية الدعاء عند القبور ، وهي في الحقيقة أحاديث ضعيفة لا يصح الاعتماد عليها ، وأشهرها أربعة أحاديث:

الحديث الأول: يستدل بعض من يعتقد بأفضيلة الدعاء عند قبر النبي ﷺ بما رواه البيهقي في «شعب الإيمان» فقال:

أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو ، أخبرنا أبو عبد الله الصفار ، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا سعيد بن أبي عثمان ، حدثنا ابن أبي فديك قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ صلى الله عليك يا محمد ، حتى يقولها سبعين مرة فأجابه ملك: صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة.[1]

ورواه أبو عبد الله النجار من طريق ابن أبي الدنيا في كتابه «أخبار المدينة» به.[2]

والجواب: هذا أثر ضعيف جدا ؛ لا يعرف قائله أصلا ، فابن أبي فديك لا يُعرف عمن رواه فقال: بعض من أدركت!

وأيضا فإن هذا البعض قد قال: (بلغنا) ، فهي رواية مجهول عن مجهول ، فالحديث معضل.

ثم إن متن هذا الأثر منكر ، فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، بينما يفيد هذا الحديث أن من صلى على النبي ﷺ سبعين مرة صلى عليه الملك مرة واحدة![3]

الحديث الثاني: قال محمد بن الحسن بن زبالة في كتاب «أخبار المدينة»[4]: رأيت رجلا من أهل المدينة يقال له محمد بن كيسان ، يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة ، ونحن جلوس مع ربيعة بن

---

[1] «شعب الإيمان» (٣ /٤٩٢) برقم (٤١٦٨).

[2] «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» ، ص ٢٩٤ .

[3] نقلت علل هذا الأثر من «اقتضاء الصراط» (٢/ ٧٣٠).

[4] نقلت هذا الأثر من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (٢/٧٣١) ، وإلا فإن كتاب «أخبار المدينة» قد ضاع كما قاله الباحث: صلاح عبد العزيز بن سلامة في بحثه «أخبار المدينة» (نشر: «مركز بحوث ودراسات المدينة») ، والذي جمع فيه الباحث كلام ابن زبالة من الكتب التي نقلت عنه ، ككتاب «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» لعلي بن عبد الله السمهودي رحمه الله.

أبي عبد الرحمٰن[1] ، فيقوم عند القبر ، فيسلم على النبي ﷺ ، ويدعو حتى يمسي ، فيقول جلساء ربيعة: انظروا إلى ما يصنع هذا ، فيقول: دعوه ، فإنما للمرء ما نوى.

فالجواب: أن سند هذه القصة ضعيف جدا ، فراوي هذه القصة – وهو الحسن بن محمد بن زبالة – كذاب ، قاله أبو داود.

وقال النسائي والأزدي: متروك.

وقال أبو حاتم: واهي الحديث.

وقال الدارقطني وغيره: منكر الحديث.[2]

وقال ابن حزم: ساقط بالجملة ، قال فيه يحيى بن معين: ليس بثقة ، وهو بالجملة متفق على اطِّراحه.[3]

وعليه فلا ينبغي الاعتماد على هذه القصة ، وربيعة بريء مما نسب إليه فيها لأن راويها عنه كذاب.

الأثر الثالث: قال ابن زبالة في «أخبار المدينة»[4]: حدثني عمر بن هارون عن سلمة بن وردان ، قال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو؟

فالجواب: هذا أثر ضعيف جدا ؛ فابن زبالة هو محمد بن الحسن بن زبالة ، كذاب ، وأما عمر بن هارون فهو متروك متهم بالكذب[5] ، وأما سلمة بن وردان فضعيف الحديث[6].[7]

الأثر الرابع: ومما تعلق به الناس في باب فضل الدعاء عند القبور حكايات مكذوبة على بعض الأئمة الكبار ، فجعلوا من ذلك شرعا يتبع! ومنها تلك الحكاية المنسوبة للإمام الشافعي رحمه الله

---

[1] هو ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن فروخ ، الفقيه أبو عثمان المدني ، عالم المدينة ، ويقال له ربيعة الرأي ، سمع أنسا وابن المسيب ، وكانت له حلقة للفتوى ، أخذ عنه مالك ، توفي سنة ست وثلاثين ومئة. انظر ترجمته في كتاب «تذكرة الحفاظ» للذهبي.

[2] «ميزان الاعتدال» (١٠٨/٦).

[3] «المحلى» لابن حزم (٣٣٢/٥ ، ٣٣٤).

[4] نقلت هذا الأثر من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (٧٣٣/٢).

[5] انظر «تقريب التهذيب».

[6] انظر «تقريب التهذيب».

[7] وانظر ما قاله ابن تيمية في «الاقتضاء» (٧٣٣/٢).

أنه كان يقصد قبر أبي حنيفة للدعاء عنده ، والذي أخرج هذه الحكاية الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» فقال:

أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري ، قال: أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال: حدثنا مُكرم بن أحمد قال: حدثنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة ، وأجيء إلى قبره في كل يوم — يعني زائرا – ، فإذا عرضت لي حاجة صليتُ ركعتين وجئت إلى قبره ، وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعُد عني حتى تُقضى.[1]

والجواب: أن نسبة هذه القصة للشافعي رحمه الله باطلة لستة أسباب:

الوجه الأول: ضعف إسناد القصة ، فقد قال العلامة الألباني رحمه الله عن سند هذه القصة:

فهذه رواية ضعيفة بل باطلة ، فإن عمر بن إسحاق بن إبراهيم غير معروف ، وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال ، ويحتمل أن يكون هو عمرو – بفتح العين – بن إسحاق بن إبراهيم بن حميد بن السكن أبو محمد التونسي ، وقد ترجمه الخطيب (٢/٢٢٦) وذكر أنه بخاري ، قدم بغداد حاجا سنة ٣٤١ ، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، فهو مجهول الحال ، ويبعُد أن يكون هو هذا ، إذ إن وفاة شيخه علي بن ميمون سنة ٢٤٧ على أكثر الأقوال ، فبين وفاتيهما نحو مئة سنة ، فيبعد أن يكون قد أدركه. وعلى كل حال فهي رواية ضعيفة لا يقوم على صحتها دليل.[2]

الوجه الثاني: امتناع حصول هذه القصة ؛ فقد قال ابن تيمية رحمه الله:

إنه من الممتنع أن تتفق الأمة على استحسان فعل لو كان حسنا لفعله المتقدمون ولم يفعلوه ، فإن هذا من باب تناقض الإجماعات ، وهي لا تتناقض ، وإذا اختلف فيها المتأخرون فالفاصل بينهم هو الكتاب والسنة وإجماع المتقدمين نصا واستنباطا ، فكيف – والحمد لله – لم ينقل عن إمام معروف ولا عالم متبع ، بل المنقول في ذلك إما أن يكون كذبا على صاحبه ، مثل ما حكى بعضهم عن الشافعي أنه قال: وذكر القصة.[3]

---

[1] (١/٤٤٥) ، تحقيق: بشار عواد ، ط دار الغرب الإسلامي – بيروت

[2] «السلسلة الضعيفة» (١/٧٨) باختصار.

وقد رد العلامة الألباني على الكوثري في نفس الموضع فقال: وأما قول الكوثري في مقالاته: (وتوسَّل الإمام الشافعي بأبي حنيفة مذكور في أوائل «تاريخ الخطيب» بسند صحيح) ؛ فمن مبالغاته ، بل مغالطاته.

[3] «مجموع الفتاوى» (٢/٦٩٢) ، بتصرف يسير.

الوجه الثالث: ما ذكره ابن تيمية أيضا: "أن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر يُنتاب للدعاء عنده البتة ، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا ، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء ، فما باله لم يتوخَّ الدعاء إلا عنده.
ثم إن أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزُفَر والحسن بن زياد وطبقتهم ، لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند أبي حنيفة ولا غيره.[1]

الوجه الرابع: "تقدم عن الشافعي ما هو ثابت عنه في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها[2] ، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف.
ونحن لو رُوي لنا مثل هذه الحكايات المسيَّبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت ، فكيف بالمنقول عن غيره؟"[3].

الوجه الخامس: ما قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي[4] رحمه الله في كتابه «طليعة التنكيل»[5] بعد أن بيَّن ضعف سند هذه القصة:

---

[1] «مجموع الفتاوى» (٦٩٢/٢) ، بتصرف يسير.

[2] قال الشافعي رحمه الله في كتابه «الأم» ، كتاب الجنائز ، باب ما يكون بعد الدفن.:
وأحب ألا يجصص ، فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء ، وليس الموت موضع أحد منهما ، ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة.
وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها ، فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك.
وقال أيضا في نفس الباب: وأكره أن يبنى على القبر مسجد.

[3] «مجموع الفتاوى» (٦٩٢/٢) ، بتصرف يسير.

[4] الشيخ عبد الرحمٰن نشأ في اليمن ، سافر إلى جيزان من أرض الجزيرة العربية سنة ١٣٢٩ وتولى القضاء ، ثم سافر إلى الهند عام ١٣٤١ وعمل مصححا لكتب الحديث والتاريخ في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد نحو ربع قرن ، ثم عاد إلى مكة عام ١٣٧١ فعُين أمينا لمكتبة الحرم المكي ، وبقي فيها إلى أن توفي عام ١٣٨٦ . ترك إرثا علميا طيبا في علم الرجال وغيره ، منه كتاب «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» ، وتحقيق كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ، وغيره. انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٣٤٢/٣).

[5] ص ٧٦ ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

هذا حال السند ، ولا يخفى على ذي معرفة أنه لا يثبت بمثله شيء ، **ويؤكد ذلك حال القصة ، فإن زيارته قبر أبي حنيفة كل يوم بعيد في العادة ، وتحريه قصده للدعاء عنده بعيد أيضا** ، إنما يُعرف تحري القبور لسؤال الحوائج عندها بعد عصر الشافعي بمدة ، فأما تحري الصلاة عنده فأبعد وأبعد. انتهى.

الوجه السادس: يُستأنس بكونه من البعيد أن الشافعي يتوسل بقبر أبي حنيفة ، لما تقرر أن أبا حنيفة يرى تحريم ذلك ، فهو القائل: "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول: أسألك بمعاقد العز من عرشك ، وأن يقول بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام".
هذا غير معقول البتة.[1]

وبناء على ما تقدم ؛ فقد حكم الأئمة المحققون ببطلان هذه القصة وتهافتها ، فقد نقل الإمامُ ابنُ القيمِ عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في «إغاثة اللهفان» قوله:
والحكايةُ المنقولةُ عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاءَ عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر.[2]

تنبيه: نقل ابن حجر المكي هذه القصة في كتابه المسمى «الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان» في الفصل الخامس والعشرين! فاحذر وتنبه.

خاتمة الفصل وخلاصته

تبين لنا مما تقدم المواطن الشرعية لإجابة الدعاء ، من أزمنة وأمكنة وأحوال وغيرها ، بينها لنا النبي ﷺ – الشفيق على أمته – بيانا شافيا ، فمن تحرى الدعاء في غير هذه المواطن ، كالقبور ونحوها من الأماكن التي لم يرد فيها دليل شرعي صحيح ؛ فقد زاد في دين الله ما ليس فيه ، وقال على الله بغير علم ، وتجرأ على الشريعة ، عافانا الله من ذلك.

---

[1] نقلا من «التوصل إلى حقيقة التوسل» بتصرف يسير ، للشيخ نسيب الرفاعي ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .
[2] ص ٣٩٢ .

بيان أدلة النهي عن السفر إلى القبور

تنبيهات مهمة

خلاصة في مسألة زيارة المسجد النبوي

فصل في بيان بعض شبه القائلين بجواز السفر لزيارة القبور والرد عليها

أدلة النهي عن السفر إلى القبور

من مظاهر تعظيم القبور السفر إليها ، وهذا الفعل حرام لا يجوز ، لأن سفر العبادة لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة ، يدل على ذلك أربعة أحاديث:

١. قوله عليه الصلاة والسلام: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدي هذا.[١] أي المسجد النبوي.

قال البوصيري[٢] رحمه الله في شرحه للحديث المتقدم: شد الرحال كناية عن السفر ، والمعنى: لا ينبغي شد الرحال في السفر بين المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد ، وأما السفر للعلم وزيارة العلماء والصلحاء وللتجارة ونحو ذلك فغير داخل في حيز المنع ، وكذا زيارة المساجد الأُخر بلا سفر – كزيارة مسجد قباء لأهل المدينة – غير داخل في حيز النهي ، والله أعلم.[٣]

٢. حديث ليث عن شهر قال: لقينا أبا سعيد ونحن نريد الطور فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تشد المُطي[٤] إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس.[٥]

٣. ما جاء عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه وقد أتى من جبل الطور فقال لأبي هريرة: من أين أقبلت؟

فقال: من الطور.

---

١ رواه البخاري (١٩٩٥) ومسلم (٨٢٧) عن أبي سعيد رضي الله عنه ، ورواه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني الشافعي ، مصري ، من حفاظ الحديث ، ولد بأبي صير من أعمال مصر ، عمل في تأليف كتب الزوائد ، أعظمها: «إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة». توفي رحمه الله سنة ٨٤٠ . انظر «الأعلام» للزركلي (١٠٤/١).

٣ «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» ، وانظر ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٤٩/٢٧-٢٥٠).

٤ المُطي جمع مَطية ، وهي الناقة التي يركب مطاها أي ظهرها. وقوله : لا تُعمل ، أي لا تُركب ليسافر عليها. انظر «النهاية» لابن الأثير.

٥ رواه أحمد (٩٣/٣) ، وأبو يعلى (١٣٢٦) ، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط بشواهده في حاشيته على «المسند» (٣٨٣/١٨).

فقال: أما لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تُعمل المُطي إلا إلى ثلاثة مساجد ، إلى المسجد الحرام ، وإلى مسجدي ، وإلى مسجد إيلياء – أو بيت المقدس يشك – .[1]

قال السندي رحمه الله في شرح الحديث: أي لا تركب المِطِيُّ إلى مسجدٍ إلا إلى ثلاثة مساجد ، وأبو هريرة قصد الصلاة في الطور ، فصار سفره كالسفر إلى المسجد ، وإلا فالحديث لا يمنع السفر إلى البلاد وغيره.[2]

ففي هٰذين الحديثين أنكر أبو بصرة الغفاري وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما السفر إلى جبل الطور لعبادة الله فيه ، وهو المكان الذي كلم فيه الله عز وجل موسى عليه السلام ، وقد سماه الله الوادي المقدس والبقعة المباركة ، فالسفر إلى تلك البقعة قد أنكره الصحابة ، والقبور مقيسة عليها ، لأنهما يشتركان في كون المسافر إليهما يقصد التقرب إلى الله والعبادة عندها ، لاعتقاد أن في ذلك مزية وفضل.

قال الألباني رحمه الله معلقا على حديث: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:

والمستثنى منه في هذا الحديث ليس هو المساجد فقط –كما يظن كثيرون – بل هو كل مكان يُقصد للتقرب إلى الله فيه ، سواء كان مسجدا ، أو قبرا ، أو غير ذلك ، بدليل ما رواه أبو هريرة (وذكر الحديث) ، فهذا دليل صريح على أن الصحابة فهموا الحديث على عمومه ، ويؤيده أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه شد الرحال لزيارة قبر ما.

انتهى كلام الألباني رحمه الله.[3]

٤. ومما يُستدل به على تحريم السفر للقبور كون هذا الفعل لم يفعله الصحابة والتابعون ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة ، قال ابن تيمية رحمه الله: وأما السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين فهذا لم يكن موجودا في الإسلام في زمن الإمام مالك ، وإنما حدث هذا بعد القرون الثلاثة – قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم.[4]

---

١ رواه أحمد (٧/٦) واللفظ له ، ومالك في كتاب الجمعة (١٠٨/١) رقم ١٦ عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه ، وصحح إسناده الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٧).

٢ انظر «المسند» (٢٦٧/٣٩).

٣ «السلسلة الضعيفة» ، (١٢٤/١).

٤ «مجموع الفتاوى» (٣٨٦/٢٧).

وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي[1] رحمه الله في كتابه «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة»:

ولم يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم ولا أحد من أهل القرون الثلاثة المفضلة أنه أجاز شد الرحال إلى مسجد غير المساجد الثلاثة للصلاة فيه ، أما شد الرحل إلى القبور فهو من باب أولى ، بل لم يُعرف عن أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة ومن عايشوهم وأخذوا عنهم العلم والدين من التابعين ، لم يُنقل عن أحد منهم أنه استأذن من عائشة في حياتها أن يصلي عند قبر النبي ﷺ ، ولم يُعرف عن أحد منهم بعد موت عائشة رضي الله عنها وَخُلُوِّ الحجرات من الأزواج المطهرات رضي الله عنهن وأرضاهن ، لم يعرف عنهم ولا عمن بعدهم من القرون المفضلة أنهم توخَّوا الصلاة عند قبره ﷺ ، ولا عند قبور الشهداء في أحد ، ولا عند قبور الصحابة في البقيع ، بل قد نهوا عن توخِّي الدعاء عند القبر.[2]

وقال أيضا: إن السفر لزيارة القبور لم يكن معروفا عند الصحابة والتابعين ، فقد قُتل كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وفضلائهم ومشاهيرهم ، قتلوا في الغزوات ، في أماكن متعددة ونائية عن المدينة ، ولم يُعرف أن أحدا من أقربائهم أو من غير أقربائهم قصد قبورهم لزيارتها ، ولو فعلوه لنقل ، لتوافر الدواعي على نقله ، لأن التابعين كانوا حريصين على نقل ما يتصل بالدين عن الصحابة ، سواء كان ذلك من أفعالهم وأقوالهم ، أو مما نقلوه عن النبي ﷺ ، وهكذا كان حال أتباع الأتباع مع التابعين.[3]

---

[1] هو الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي ، من أهالي قرية النجامية في جنوب المملكة العربية السعودية ، ولد سنة ١٣٤٦ هـ ، من مشايخه: الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ، والشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية رحمهم الله.

كان فقيها محدثا ، له عدة مؤلفات منها: «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، «تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة» ، «رسالة في حكم الجهر بالبسملة» ، «المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال». توفي رحمه الله سنة ١٤٢٩ هـ.

[2] «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ، ص ٨١ .

[3] «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ، ص ٦٠ – ٦١ ، بتصرف يسير.

قال مقيده عفا الله عنه: ولهذا عد ابن بطة العكبري[1] رحمه الله السفر إلى القبور من البدع فقال في «الإبانة الصغرى»[2]: ومن البدع البناء على القبور وتجصيصها ، **وشد الرحل إلى زيارتها**.

٥. ومما يستدل به على تحريم السفر للقبور **اتفاق الأئمة** على ذلك ، وقد حكى اتفاقهم ابن تيمية رحمه الله حيث قال:

ولا يسافر أحد ليقف بغير عرفات ، ولا يسافر للوقوف في المسجد الأقصى ، ولا للوقوف عند قبر أحد ، لا من الأنبياء ولا المشايخ ولا غيرهم باتفاق المسلمين ، بل أظهر قول العلماء: لا يسافر أحد لزيارة قبر من القبور.

وقال: ولكن تُـزار القبور الزيارة الشرعية ممن كان قريبا ومن اجتاز بها.[3]

وقال أيضا: وأصل هذا الباب أنه ليس في شريعة الإسلام بقعة تقصد لعبادة الله فيها بالصلاة والدعاء والذكر والقراءة ونحو ذلك إلا مساجد المسلمين ومشاعر الحج ، وأما المشاهد التي على القبور سواء جُعلت مساجد أو لم تجعل ، أو المقامات[4] التي تضاف إلى بعض الأنبياء أو الصالحين أو المغارات والكهوف أو غير ذلك ، أو مثل الطور الذي كلم الله عليه موسى ، ومثل غار حراء الذي كان النبي ﷺ يتحنَّث فيه[5] قبل نزول الوحي ، والغار الذي ذكره الله في قوله ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾[6] ، والغار الذي بجبل قاسيون بدمشق[7] الذي يقال له مغارة الدم ، والمقامان اللذان بجانبيه الشرقي والغربي يقال لأحدهما مقام إبراهيم ويقال للآخر مقام عيسى ، وما أشبه هذه البقاع والمشاهد في شرق الأرض وغربها ، **فهذه لا يشرع السفر إليها لزيارتها** ، ولو نذر ناذر السفر إليها لم يجب عليه الوفاء بنذره **باتفاق أئمة المسلمين** ، بل قد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد

---

١ هو عبيد الله بن محمد بن محمد ، الإمام الصالح القدوة ، الفقيه الحنبلي ، له كتاب مسند في عقيدة أهل السنة والجماعة وهو «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» ، توفي سنة ٣٨٧ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦١٢/٨).

٢ ص ٣٦٦ ، تحقيق د. رضا بن نعسان معطي ، ط مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

٣ «مجموع الفتاوى» (١٥٠/٢٦).

٤ المقامات جمع مقام وهو الأثر ، ومنه مقام إبراهيم المعروف وهو موضع قدميه صلى الله عليه وسلم.

٥ أي يتعبد فيه.

٦ أي غار ثور.

٧ هو الجبل المشرف على مدينة دمشق ، وفيه عدة مغارات. انظر «معجم البلدان».

– وهو يروى عن غيرهما – أنه قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا.[1]

وقد كان أصحاب النبي ﷺ لما فتحوا هذه البلاد بلاد الشام والعراق ومصر وخراسان والمغرب وغيرها ، لا يقصدون هذه البقاع ولا يزورونها ولا يقصدون الصلاة والدعاء فيها ، بل كانوا مستمسكين بشريعة نبيهم ، يعمرون المساجد التي قال الله فيها ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ ، وقال ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ ، وقال تعالى ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ ، وقال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾ ، وأمثال هذه النصوص.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحُط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه. ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة.[2] انتهى.[3]

وقد وقع كثير من الناس فيما نهى عنه النبي ﷺ ، فتجد بعض الناس من ليس له شغل إلا زيارة القبور والسفر إليها ، ولا يكادون يعرفون من الدين إلا هذا الأمر ، فتجد أحدهم يقول متباهيا: زرت قبر سيدي فلان بالمكان الفلاني ، وقبر الشيخ فلان بالمكان الفلاني ، بل قد بلغ الغلو ببعض الجهال أن يسمي سفره هذا حجا فيقول: أريد الحج إلى قبر فلان وفلان ، نعوذ بالله من الضلال وعمى البصيرة.

٦. ومما يستدل به على تحريم السفر لزيارة القبور أنه لو نذر ناذر أن يسافر لزيارة قبر لم يكن عليه الوفاء بنذره **باتفاق الأئمة** ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره صلوات الله وسلامه عليه أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره بل يُنهى عن ذلك.[4]

قال مقيده عفا الله عنه: والدليل على فتوى الأئمة هذه قوله ﷺ : من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه.[5]

---

١ تقدم تخريجه.

٢ رواه البخاري (٦٤٧) واللفظ له ، ومسلم (٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣ «مجموع الفتاوى» (٢٧/١٣٧-١٣٩).

٤ «مجموع الفتاوى» (١/٢٣٤ – ٢٣٥) ، وهو في «قاعدة جليلة» (ص ١٣٥).

٥ رواه البخاري (٦٧٠٠) عن عائشة رضي الله عنها.

تنبيهات مهمة

التنبيه الأول: لا ينبغي أن يُفهم مِن قول من قال بتحريم السفر إلى القبور أن في ترك تلك الزيارة تنقصا لهم ، وغَضًّا من أقدارهم ، بل إن أقدار الموتى من المسلمين محترمة ، وإنما الكلام في سفر المسافر إليها فهذا لا يجوز لما تقدم من الأدلة.

كذلك فإنه ينبغي تقرير أمر هام ، وهو أن زيارة القبور ليس المقصود منها تعظيم الميت وإكرامه ، فيكون التارك لزيارة القبور محتقِرا لهم ، بل المقصود منها نفع الميت بالدعاء له ، ونفع الزائر بتذكر الآخرة ، ولو كان ترك زيارة قبور آحاد الناس فيه احتقار للميت لكانت زيارة القبور واجبة ، لأن احتقار الآخرين حرام.

التنبيه الثاني: كثير من الناس إذا أراد السفر إلى المدينة النبوية نوى بسفره زيارة القبر النبوي لا المسجد النبوي وهذا خطأ ، والمشروع أن يقصد بقلبه زيارة المسجد النبوي لا القبر النبوي ، لأن النبي ﷺ قد حث على زيارة المسجد النبوي لا القبر النبوي ، كما في قوله ﷺ : صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.[1]

فبناء على هذا فإن قصد قبر النبي ﷺ بالسفر بدعة في دين الله ، لم يأمر بها الله ورسوله ﷺ ، مردودة على صاحبها ، وفاعل البدعة مأزور غير مأجور.

وقد تقرر أن لو أراد إنسان السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة لكان فعله بدعة ، فكيف بالسفر إلى قبر؟

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

من الخطأ أن ينوي زيارة القبر ويجعل زيارة المسجد تابعة لها ، والحق أن ينوي زيارة المسجد وتكون زيارة القبر تابعة لها ، تمشياً مع أصول الشريعة الثابتة ، لأن زيارة القبر لم يثبت فيها شيء كما تقدم.[2]

وإذا أراد المسلم بعد زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه أن يسلم على النبي ﷺ فلا بأس بذلك حينئذ ، بل هو مستحب ، لأن هذا ليس فيه سفر ولا شد رحل ، ولكن لا يكثر من ذلك أثناء إقامته بالمدينة لأن هذا من معاودة القبر ، وهو منهي عنه كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، ويكفيه أن يسلم إذا قدم وإذا أراد السفر كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ثم يسلم على أبي بكر وعمر لأنهما مقبوران بجواره عليه الصلاة والسلام ، ويستحب أن يزور مقبرة شهداء أحد والتي تقع بجوار جبل أحد ويسلم على

---

١ رواه البخاري (١١٩٠) ، ومسلم (١٣٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٤٠١ .

أهلها كغيرها من المقابر تماما ، بقصد التذكر والاتعاظ والدعاء لأهلها ، كما يستحب أن يأتي مسجد قباء فيصلي فيه ركعتين لأن صلاة ركعتين فيه تعدل عمرة ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ وعن ابن عمر رضي الله عنهما.

خلاصة في مسألة زيارة المسجد النبوي

وخلاصة الكلام أن السفر إلى المدينة النبوية ينقسم إلى خمسة أقسام كما ذكر الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

"**أولاً**: السفر إلى مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه ثم زيارة القبر ، والزيارة تابعة وليست هي أصل القصد ، وهذه هي الزيارة السُّنِّية الشرعية ، وهي التي حكى الإجماع عليها القاضي عياض وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما.

ثانيا: السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين والأماكن المقدسة غير المساجد الثلاثة ، كجبل الطور ، وهذا السفر انعقد الإجماع بين الصحابة والتابعين وأئمة الدين المعتبرين على منعه امتثالا لنهي النبي ﷺ في قوله: لا تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد.

ثالثاً: إنشاء السفر بقصد زيارة قبر النبي ﷺ وهو مدار البحث ، فهذا قد عصى بنيته وقصده ، وهو آثم على هذا القصد لمخالفته لحديث: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" ، وسفره محل نزاع بين العلماء ، فمن نظر إلى محل وصوله وهو المسجد ، قال بأن سفره مباح أو مندوب ، لأنه يصل إلى المسجد الذي نَدب الشرع إلى السفر إليه.

ومن نظر إلى نيته قال: السفر غير مباح ولا مأذون فيه ، لأنه إنما نوى به للقبر ولم ينو به للمسجد ، وصاحب القبر هو الذي نهى عنه ذلك.

والذي ترجّح لي والله أعلم أنه آثم بنيته وسفره مباح ، لأنه إنما يصل المسجد أولاً وإن سماها زيارة للقبر ، ولكن الذي ينبغي للمسلم أن يعلم أن الزيارة المشروعة هي زيارة المسجد وليست زيارة القبر ، ولهذا كره مالك أن يقول: زرنا قبر النبي ﷺ .

رابعاً: زيارة أهل المدينة المقيمين بها للقبر كل يوم ، أو بعد كل فريضة ، أو في كل جمعة ، هذا هو الذي أنكره مالك رحمه الله ، وقال أنه لم يبلغه عن سلف هذه الأمة – يعني الصحابة – ، وبه يقول أهل السنة قاطبة ، إلا أنهم يستثنون مَن قَدِم من سفر كما ورد عن عبد الله بن عمر ، وفيمن أراد السفر نزاع ، كما قال ذلك العالم الجليل ابن عبد الهادي رحمه الله.

وهذا كله فيما إذا أراد الإنسان الزيارة الشرعية ، وهي السلام على المزور والدعاء له.

خامسا: أما الزيارة الشركية والزيارة البدعية التي يُقصد منها دعاء المقبور أو الدعاء عند قبره ، فهذه لم يقل بها أحد من أهل العلم المعتبر بقولهم ، ولا غرابة أن يأتي قوم ممن يدَّعون العلم في آخر الزمان فيُقِرُّون الشرك ويدْعون إليه بمؤلفات ، أو ضمن مؤلفات كما صنع ابن الحاج العبدري المالكي الذي سيأتي كلامه بعد قليل[١] ، وكالباجوري في حاشيته التي ألفها في فقه الشافعية حيث يقول: "وإذا لم يمكنه استلام الحجر أشار إليه بمحجن كما يفعل عند قبر سيدي أحمد البدوي" ، سبحانك ربي تهدي من تشاء بفضلك وتضل من تشاء بعدلك ، لا تسأل عما تفعل وهم يسألون ، انظروا إلى هذا الضال يريد أن يقيس استلام الحجر على استلام قبر سيده وسيد القبوريين مثله في مصر أحمد البدوي ، نعوذ بالله من الخذلان".[٢]

فصل في بيان ما آل إليه السفر إلى القبر عند من أجازوا ذلك

ذكر ابن تيمية رحمه الله أن بعض أهل البدع يعتقد أن الحج إلى قبور الصالحين أفضل من الحج ، وتارة نظير الحج ، وتارة بدلا عن الحج.[٣]

وقال السخاوي[٤] رحمه الله: جاء الحجاج هذه السنة لسيدي أحمد البدوي من الشام وحلب ومكة أكثر من حجاج الحرمين[٥]!

وذكر د. ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أنه جاء في بعض كتب الرافضة أن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة ، وجاء في أخرى أنها تعدل ثلاثين حجة زاكية متقبلة مبرورة مع رسول الله ﷺ ، وزادت في روايات أخرى حتى وصلت سبعين حجة مع رسول الله ﷺ ، وثمانين حجة.[٦]

---

١ يراجع كلام ابن الحاج الذي نقله الشيخ في كتابه «أوضح الإشارة».

٢ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٣٣٣ – ٣٣٥ ، باختصار يسير.

٣ نقلا من «الرد على الإخنائي» ص ٤٠٢ . وقد حدثني أحد الإخوة المغاربة أن عندهم في مدينة "فاس" قبرا يأتي إليه بعض حجاج السنغال قبل ذهابهم لأداء فريضة الحج في مكة.

٤ هو الشيخ محمد بن الرحمٰن السخاوي ، من طلبة الحافظ ابن حجر المبرزين ، ثم من علماء الحديث في القرن التاسع ، له مؤلفات عدة ، منها «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» ، وله «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» ، وله «القول المُنبي في ذم ابن عربي» وله غيرها. توفي رحمه الله سنة ٩٠٢ ، وقد ترجم له الشوكاني بترجمة عاطرة في كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع».

٥ نقلا من «بدع الاعتقاد» ، ص ٢٦٨ ، وهو في مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، خالد أبو الفتوح ، عن «دمعة على التوحيد» ص ٧٥.

٦ انظر «أصول مذهب الشيعة» للدكتور ناصر القفاري (٢ /٤٥٢) وما بعدها.

وذكر أيضا في كتابه أن كتب الرافضة الداعية لزيارة القبور كثيرة ، حتى قال أحد شيوخهم اليوم ، وهو آغا برزك الطهراني في كتابه «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (ج ٢٠/٣١٦ – ٣٢٦) ، إن ما صنفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتابا[١] !

ومن الجدير بالذكر أن تأليف المصنفات في الحج إلى القبور يعتبر تعديا على الله في باب التشريع ، وهو أثر من آثار الإلحاد في أسماء الله الحسنى: الحكيم ، والحكم ، والعليم ، والعزيز ، والملك ، والعظيم.[٢]

فقبح الله الغلو ، كيف أردى أصحابه في هوة الشرك السحيقة.

فصل في بيان بعض شبه القائلين بجواز السفر لزيارة القبور والرد عليها

الشبهة الأولى: يبرر بعض الناس سفره لزيارة قبر النبي ﷺ أن دافعه لذلك هو حبه وتعظيمه للنبي ﷺ والقيام بحقوقه؟

فالجواب: إن حق النبي ﷺ هو طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، وترك ما نهى عنه وزجر ، ولم يرشد الله تعالى ولا رسوله ﷺ إلى أن زيارة قبره من حقوقه ، وكل ما ورد في السفر لزيارة قبره من الأحاديث فهو إما ضعيف أو مكذوب عليه ﷺ ، كما سيأتي بيانه بالتفصيل إن شاء الله ، هذا **أولا**.

ثانيا: قال ابن تيمية رحمه الله عن حقوق النبي ﷺ :

وكل هذه[٣] مشروعة في جميع البقاع ، ليس منها شيء يختص بالقبر ولا بما هو قريب من القبر ، ولا شُرِع للناس أن يكون قيامهم بهذه الحقوق أفضل عند القبر من القيام بها في بلادهم ، بل المشروع أن يقوموا بها في كل مكان ، ومن قام بها عند القبر وفتر عن القيام بها في بلده فهذه حالة منقوصة غير محمودة ، وصاحبها مبخوس الحظ ، ناقص النصيب ، وهو ناقص الدين والإيمان ، إما بترك واجب يأثم بتركه ، وإما بترك مستحب تنقص درجته بتركه ، بخلاف من منَّ الله عليه فجعل محبته وثناءه وتعظيمه ودعاءه للرسول ﷺ في بلده مثل ما إذا كان بالمدينة عند قبره أو أعظم ، فهذه هي الحالة المحمودة المشروعة ، وهي حالة الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة ، ولا يُعرف عن أحد منهم أنه كان يزيد حبه وتعظيمه ودعاءه وثناءه عند القبر ، ولهذا **لم يكونوا يأتونه لأن قيامهم بما يجب من حقوق الرسول في جميع الأمكنة سواء**.

---

١ انظر «أصول مذهب الشيعة» للدكتور ناصر القفاري (٢ /٤٦٧).

٢ من مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، خالد أبو الفتوح ، نقلا من ص ٧٥ من «دمعة على التوحيد».

٣ أي الحقوق.

وقد نهى عن تخصيص القبر بذلك ، وأن يتخذوه عيدا ومسجدا ، لأنه مظنة أن يُتخذ وثنا ، ويفضي إلى الشرك ، ومظنة أن ينقص قيامهم بحقه في سائر البقاع إذا خَصوا تلك البقعة بمزيد القيام.

والرسول ﷺ حقه في جميع البقاع سواء ، ولكن تتنوع حقوقه بحسب الأحوال ، ولهذا إذا اعتَبرت أحوال الناس **كان من يُعظم الميت عند قبره مُقصِّرا في حقوقه التي أمر بها في سائر البقاع بحسب ما زاد عند القبر** ، وهذا أمر مطَّرِد ومعروف من جميع أحوال الناس.[1]

الشبهة الثانية: قاس بعضهم زيارة قبره ﷺ ميتا على زيارة الحي للحي ، مستدلا بما رواه مسلم في صحيحه في قصة الرجل الذي سافر لزيارة أخ له في الله فأرصد الله على مدرجته ملَكا ، فلما أتى على هذا الملَك قال: أين تريد؟

فقال: أريد أخا لي في هذه القرية.

فقال: هل لك عليه من نعمة تَـرُبُّـها[2]؟

قال: لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل.

قال: فإني رسول الله إليك بأن الله أحبَّك كما أحببته فيه.[3]

واستدلوا أيضا بما رواه مالك في «الموطأ» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن الله: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ.[4]

فقالوا: إذا كانت هذه فضيلة زيارة الأخوان ممن هم دون الأنبياء ، فكيف بزيارة إمام الثقلين ، وسيد ولد آدم ، وخليل الرحمٰن؟

فالجواب: إن هذا القياس صحيح لو أنه قِيس بزيارته ﷺ في حياته ، أما قياس هذا النوع من الزيارة على زيارة قبره ﷺ بعد وفاته فهذا قياس فاسد.

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما جعل زيارة القبر كزيارته حيا فهذا قياس فاسد ، ولا علمت أحدا منهم احتج في زيارة قبره بالقياس على زيارة الحي المحبوب في الله ، وهذا من أفسد القياس ، فإنه من المعلوم أن من زار الحي حصل له بمشاهدته وسماع كلامه ومخاطبته وسؤاله وجوابه وغير ذلك ما لا يحصل لمن لم يشاهده ولم يسمع كلامه ، وليس رؤية قبره أو رؤية ظاهر الجدار الذي بني على بيته بمنزلة رؤيته

---

١ باختصار من «الرد على الإخنائي» ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

٢ تَـرُبُّـها أي تحفظها وتراعيها وتُربيها كما يربي الرجل ولده. انظر «النهاية».

٣ رواه مسلم (٢٥٦٧).

٤ رواه مالك في باب ما جاء في المتحابين في الله ، وأحمد (٢٣٣/٥) ، وهو في «صحيح الجامع» ، (١٩١١).

ومشاهدته ومجالسته وسماع كلامه ، ولو كان هذا مثل هذا لكان كل من زار قبره مثل واحد من أصحابه ، ومعلوم أن هذا من أبطل الباطل.[1]

ثم قال:

ومن شبَّه من زار قبر شخص بمن كان يزوره في حياته فهو مصابٌ في عقله ودينه.[2]

كذلك ، فإنه من المعلوم أن الذين كانوا يسافرون إلى النبي ﷺ في حياته إما مهاجرين إليه إن كان هذا قبل الفتح ، أو من الوفود التي كانت تفد إليه لتعلم دين الإسلام ثم تعود وتبلغ أقوامها ، وأما بعد وفاته فلم يفد إليه أحد.

فالحاصل أنه ليس هناك خصوصية فضْل في زيارة قبره ﷺ ، بل زيارة قبره كزيارة غيره من المقابر ، ومن ادَّعى خصوصية فضْلٍ في زيارة قبره فعليه بالدليل ، وأنَّى له ذلك ، فقد أطبقت الأحاديث والآثار وفهم السلف على أن الخصوصية إنما هي في زيارة مسجده ، والله أعلم.

الشبهة الثالثة: فإن قيل: قد رخص بعض العلماء في السفر لزيارة القبور ، فما الجواب عن ذلك؟

فالجواب أن من رخص في زيارة القبور بسفر فربما استدل بأحاديث ضعيفة لم يتبين له ضعفها ، وكُلٌّ يؤخذ من قوله ويرد ، وخير القول قول محمد ، وليس أحد معصوم في مجال الشريعة إلا النبي محمد ﷺ ، وسيأتي ذكر طائفة من الأحاديث الضعيفة التي احتج بها بعض أهل العلم – مثل تقي الدين السبكي وابن حجر الهيتمي – وهم يظنون صحتها ، مع ذكر وجوه ضعفها. وللعلم فقد ورد في فضل زيارة القبور بسفر أحاديث كثيرة لا تصح ، بل هي موضوعة ، ولهذا قال الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني: أكثر متون الأحاديث المروية في زيارة قبر المصطفى ﷺ موضوعة.[3]

---

١ «الرد على الإخنائي» ، ص ٣٦٢ .

٢ «الرد على الإخنائي» ، ص ٣٦٧ .

٣ نقله عنه الشيخ صالح بن محمد الشثري رحمه الله في كتابه «تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان» ، ص ٣٦ .

الشبهة الثالثة:

احتج بعض الناس بأحاديث ضعيفة على جواز السفر لزيارة القبور ، نذكر أشهرها وهي ستة أحاديث:

(الحديث الأول):

قال الطبراني رحمه الله: حدثنا عبدان بن أحمد ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد العبادي البصري ، قال: حدثنا مسلمة بن سالم الجهني ، قال: حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من جاءني زائرا لا تعمله حاجة[1] إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة.[2]

ورواه أبو نعيم عن أبي محمد بن حيان ، عن محمد بن أحمد بن سليمان الهروي ، عن مسلم بن حاتم الأنصاري ، عن مسلمة بن سالم ، عن عبد الله – يعني العمري – عن نافع به.[3]

ورواه أبو عبد الله النجار في «الدرة الثمينة» عن عبد الله العمري عن نافع به ، إلا أنه قال (لم تنزعه حاجة) بدل (لم تعمله).[4]

ورواه الدارقطني في «الأفراد والغرائب».[5]

والجواب:

هذا حديث ضعيف جدا ، في سنده **مسلمة بن سالم الجهني** وهو ضعيف ، وقد تفرد بطريقَي الحديث عن عبيد الله بن عمر من بين سائر أصحاب عبيد الله الثقات المشهورين بالرواية عن نافع عن سالم عن ابن عمر.

قال أبو داود: ليس بثقة.[6]

---

١ أي: لا تحثه وتسوقه حاجة. انظر «النهاية في غريب الحديث».

٢ «المعجم الاوسط» ، برقم (٤٥٤٦) ، و «الكبير» (٢٩١/١٢) برقم (١٣١٤٩).

٣ «تاريخ أصبهان» (٢١٩/٢) ، وعزاه السبكي الى الدارقطني ، ونقله عنه ابن عبد الهادي ولم أجده في المطبوع ، وعلى كل حال فإنه يدور على مسلمة بن سالم الجهني.

٤ «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» ، ص ٢٨٥ .

٥ كما في «أطرافه» (٣٧٦/٣) نقلا من «كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر» (هامش حديث رقم ٨) ، للشيخ حماد الأنصاري رحمه الله.

٦ «تهذيب التهذيب» ، برقم (٧٨١٤) تحت اسم سالم ، وقال: "ويقال فيه مسلمة أيضا بزيادة هاء في آخره".

وقال الهيثمي: وفيه مسلمة بن سالم ، وهو ضعيف.[١]

وقال الحافظ في «التقريب»: ضعيف.[٢]

كذلك ففي الإسناد **عبد الله بن محمد العبادي** وهو ضعيف جدا.

قال ابن حبان: يروي عن يزيد بن هارون المقلوبات ، وعن غيره من الثقات الملزوقات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.[٣]

وذكره الذهبي في «المغني في الضعفاء».[٤]

كما أن في السند اضطرابا ، فالرواية الأولى عن عبيد الله العمري المصغَّر الثقة ، أما رواية أبي نعيم وأبي عبد الله النجار فعن أخيه عبد الله العمري الضعيف.

وسواء كانت الرواية عن الثقة أم عن الضعيف فالروايات كلها تدور على رجل ضعيف ، لا يجوز الاحتجاج بروايته وهو مسلمة الجهني ، فالحديث ضعيف بكل حال.

قال ابن عبد الهادي رحمه الله[٥]: وكم من حديث له طرق كثيرة أمثلُ من طريق هذا الحديث ، وقد نص أئمة هذا الشأن على ضعفه وعدم الاحتجاج به ، واتفقوا على رده وعدم قبوله.[٦]

---

١ «مجمع الزوائد» (٤/٥).

٢ ترجمة رقم (٦٦٢٨).

٣ ترجمة رقم (٥٧١).

٤ ترجمة رقم (٣٣٤١).

٥ هو الإمام العلامة محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي ، من تلامذة جمال الدين المزي وشيخ الاسلام ابن تيمية والذهبي ، قال الذهبي: (ما اجتمعت به قط إلا واستفدت منه رحمه الله تعالى). عني بالحديث وفنونه ، عدَّ له ابن رجب في ترجمته في كتاب «ذيل طبقات الحنابلة» ما يزيد على سبعين مصنفا ، توفي سنة ٧٤٤ وعمره أربعون سنة أو أقل.

انظر ترجمته في آخر كتاب «تذكرة الحفاظ» للذهبي ووصفه هناك بالإمام الأوحد ، و«ذيل تذكرة الحفاظ» لمحمد بن علي الحسيني ، ص ٣٢ ، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر ، و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي ، (١١٥/٥) ، تحقيق: عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض.

٦ «الصارم المنكي» ، ص ٧١ ، تحقيق الشيخ إسماعيل بن حماد الأنصاري ، الناشر: إدارة الإفتاء – المملكة العربية السعودية.

وأيضا فإن هذا الحديث خالف أحاديث أصح منه لم يرِد فيها ذكر زيارة قبر النبي ﷺ ، كالحديث الذي رواه الترمذي[١] وابن ماجه[٢] وأحمد[٣] وابن حبان[٤] والبغوي[٥] والبيهقي[٦] وابن النجار[٧] عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها.[٨]

ورواه ابن حبان[٩] ، والنسائي في «الكبرى»[١٠] ، والطبراني[١١] ، والبيهقي[١٢] ، عن الصميتة رضي الله عنها.

ورواه البيهقي عن سبيعة الأسلمية رضي الله عنها.[١٣]

وكحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم[١٤] والترمذي[١٥] وأحمد[١٦] وابن حبان[١٧] والبغوي[١٨] وأبو

---

١ برقم (٣٩١٧).

٢ برقم (٣١١٢).

٣ (١٠٤/٢).

٤ (٥٧/٩) ، حديث رقم (٣٧٤١).

٥ (٣٢٤/٧) برقم (٢٠٢٠).

٦ «شعب الإيمان» (٨ / ١١٦) ، برقم (٣٨٨٧ ، ٣٨٨٨).

٧ «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» ، ص ١٠٠ .

٨ وهو في «صحيح الجامع» (٦٠١٥).

٩ (٥٨/٩) برقم (٣٧٤٢).

١٠ برقم (٤٢٧١).

١١ «المعجم الكبير» (٢٤) برقم ٨٢٤ .

١٢ «شعب الإيمان» (١١٢/٨) برقم (٣٨٨٤).

١٣ «شعب الإيمان» (١١٥/٨) برقم (٣٨٨٦).

١٤ برقم (١٣٧٨).

١٥ برقم (٣٩٢٤).

١٦ (٣٩٧/٢).

١٧ برقم (٣٧٤٠).

١٨ برقم (٢٠١٩).

يعلى[1] وأبو عوانة[2] ، أن رسول الله ﷺ قال: لا يصبر على لأواء[3] المدينة وشِدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة.

ورواه مسلم[4] وأحمد[5] وأبي يعلى[6] وأبو عوانة[7] ومالك[8] والطبراني في «الكبير»[9] ، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه النسائي في «الكبرى»[10] والطبراني في «الكبير»[11] عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها.

ورواه الطبراني في «الكبير»[12] عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه.

قال ابن عبد الهادي أيضا: وهذه الألفاظ التي رواها أصحاب الصحيح والسنن والمسانيد من رواية نافع وغيره عن عبد الله بن عمر بن الخطاب هي الصحيحة المشهورة المحفوظة عنه ، وفيها الحث على الإقامة بالمدينة وترك الخروج منها والصبر على لأوائها وشدتها ، وأن من استطاع أن يموت بها فليفعل لتصل له شفاعة المصطفى ﷺ .[13]

وقال أيضا: وليس في شيء من هذه الروايات الصحيحة التي تقدم ذكرها عن نافع وغيره عن ابن عمر ذكر زيارة القبر ، ولا قوله: (من جاءني زائرا لا ينزعه حاجة إلا زيارتي) ، فعُلِم أن ما رواه مسلمة بن سالم الجهني وموسى بن هلال العبدي[14] من ذلك **شاذ غير محفوظ** ، وكأن هذين الشيخين سمعا شيئا أو

---

١ برقم (٥٩٤٣) (٣٤٧/١٠).

٢ (٤٣٨/٢).

٣ اللأواء هي الشدة والضيق.

٤ برقم (١٣٧٧).

٥ (١٣٢/٢).

٦ (١٦٧/١٠).

٧ (٤٣٨/٢).

٨ كتاب الجامع ، باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها.

٩ (٣٤٧/١٢).

١٠ باب «ثواب من صبر على جهد المدينة وشدتها».

١١ (١٤١/٢٤).

١٢ (١٤٤/٣).

١٣ «الصارم المنكي» ، ص ٧٧ ، ط الإفتاء.

١٤ ستأتي روايته في الحديث السادس.

بَلَغهما أمر فلم يحفظاه ولم يضبطاه لكونهما ليسا من أهل الحديث ، ولا من المشهورين بحمل العلم ونقله ، ولو كان ما روياه محفوظا عن نافع لبادر إلى روايته عنه أيوب السختياني ومالك ابن أنس وغيرهما من أعيان أصحابه المعتمد على حفظهم وضبطهم واتقانهم ، فلما لم يتابعهما على ما نقلاه ، مختلفين فيه ، ثقة يحتج به ، بل خالفهما فيما روياه الثقات المشهورون ، والعدول الحفاظ المتقنون ؛ عُلِم خطؤهما فيما حملاه ، ولم يَجُز الرجوع إليهما ولا الاعتماد عليهما فيما روياه ، والله الموفق.[1]

ثم إن هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة قبره ﷺ أصلا ، فضلا عن السفر إليه ، لأن المذكور في الحديث هو فضل الزيارة ، والزيارة إذا أطلقت فالمقصود منها زيارته حيا ، أو زيارته ميتا الزيارة الشرعية التي ليس فيها سفر ولا شد رحل ، **وهذا لم يخالف فيها أحد من أهل السنة**.

وانظر ما قاله الألباني في «الإرواء»[2].

---

١ «الصارم المنكي» ، ص ٧٨ ، ط الإفتاء.

[2] حديث رقم (١١٢٨).

(الحديث الثاني):

أخرج الطيالسي في «مسنده» قال: حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدي قال: حدثني رجل من آل عمر عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من زار قبري – أو زارني – كنت له شفيعا وشهيدا ، ومن مات في أُحُد بعثه الله من الآمنين يوم القيامة.[1]

والجواب: أن هذا حديث ضعيف من وجهين:

الأول: إبهام الرجل من آل عمر.

الثاني: جهالة سوار بن ميمون ، فإنه لم يُترجَم في شيء من كتب الرجال ، ولهذا قال ابن عبد الهادي في رده على السبكي لما قال إنه مرسل جيد ، قال:

بل هو من أضعف المراسيل وأسقطها ، وكيف يكون مرسلا جيدا ومرسِله مجهول العين والحال واسم الأب ، غير معروف بنقل العلم ولا مشهور بحمله ، بل لم يأت ذكره إلا في هذا الحديث المضطرب.[2]

وقد أشار بعض العلماء إلى اضطراب الحديث أيضا ، كابن عبد الهادي[3] رحمه الله ، حيث أن العقيلي رواه في «الضعفاء» في ترجمة هارون بن قزعة عن سوار بن ميمون عن هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ قال:

من زارني متعمدا كان في جوار الله يوم القيامة ، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة.

فانظر إلى اختلاف اللفظ عن اللفظ الأول.

ثم إن هارون بن قزعة لا يتابع عليه ، كما ذكر ذلك العقيلي بإسناده عن البخاري.

ولهذا قال بعده: والرواية في هذا لينة.

قلت: وقد رواه الدارقطني في «السنن» عن الشعبي والأسود بن ميمون عن هارون بن أبي قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ : من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بُعِث من الآمنين يوم القيامة.

وهذه الرواية ضعيفة أيضا لنفس العلتين ؛ الإبهام وضعف هارون بن قزعة.

والأسود بن ميمون لعله تصحيف من سوار بن ميمون ، وهو ضعيف أيضا.

---

١ رقم (٦٥) ، ط دار هجر – مصر.

٢ «الصارم المنكي» ، ص ٩٦ ، ط دار الكتب العلمية.

٣ انظر المرجع السابق عند الكلام على الحديث السادس والسابع.

(الحديث الثالث):

قال الحاكم رحمه الله: حدثنا أبو الحـــسن حامد بن حماد بن المبارك السر من رائي بنصيبين ، حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن سيار بن محمد النصيبي ، حدثنا أسيد بن زيد ، حدثنا عيسى بن بشير عن محمد بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كُتبت له حجتان مبرورتان.[١]

والجواب: هذا حديث ضعيف جدا ، فيه أسيد بن زيد الجمال الكوفي ، قال عنه يحيى بن معين: كذاب.[٢]

وقال الإمام أحمد: قدِم إلى الكوفة من بعض أسفاره فأتاه أصحاب الحديث ولم آته ، وكانوا يتكلمون فيه.[٣]

وقال النسائي: متروك الحديث.[٤]

وقال ابن حبان: يروي عن شريك والليث بن سعد وغيره من الثقات المناكير ، ويسرق الحديث ويُحدث به.[٥]

وقال ابن عدي: وأسيد بن زيد يتبين على رواياته الضعف ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه.[٦]

وذكره الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكون».[٧]

وقال الخطيب: قدم بغداد وحدث بها ، وكان غير مَرضِي في الرواية.[٨]

تنبيه: يظن بعض الحجاج أن السفر لزيارة قبر الرسول ﷺ بعد الفراغ من الـحج من لوازم الـــحج ومناسكه ، وأنه إن لم يفعل ذلك فحجه ناقص ، متمسكين بهذا الحديث الضعيف أو ما في معناه من الأحاديث الضعيفة أو الباطلة ، وهذا اعتقاد باطل لأنه لم يرد عن الرسول ﷺ ، وهو القائل: لتأخذوا عني مناسككم.[٩]

---

١ هذا الحديث ذكره ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص ٧٩) (ط الإفتاء) ، وقال: رواه الحاكم في كتاب كبير ولم يُسَمِّهِ!

٢ «كتاب الجرح والتعديل» (٣١٨/٢).

٣ «كتاب الجرح والتعديل» (٣١٨/٢).

٤ «الضعفاء والمتروكين» ، برقم ٥٤ .

٥ «المجروحين» (٢٠٤/١) برقم (١٢١).

٦ «الكامل» (٨٧/٢) ، باختصار.

٧ ترجمة رقم ١١٤ .

٨ «تاريخ بغداد» (٤٧/٧).

٩ رواه مسلم (١٢٩٧) عن جابر رضي الله عنهما.

فالحج وزيارة المسجد النبوي كلاهما عبادة مستقلة عن الأخرى ، فمن حج ولم يزر المسجد النبوي فحجه كامل لا نقص فيه ، ومن حج وزار المسجد النبوي فهذا زيادة خير والحمد لله.

وكم حج أقوام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في القرون الثلاثة المفضلة ولم يُذكر عن واحد منهم أنه بعد حجه قصد القبر النبوي للسلام على الرسول ﷺ ، بل كان غاية أمرهم أن يرجعوا إلى بلادهم ، أو يسافر من يتيسر له السفر إلى المدينة النبوية بقصد زيارة المسجد النبوي – لا القبر النبوي – على أن زيارته طاعة مستقلة ، ليست تابعة لمناسك الحج.

وقد بلغ الغلو في النبي ﷺ عند بعض الجهال أن ظنوا أن المقصود من الحج هو زيارة القبر النبوي — نسأل الله العافية – وهذا شرك محض ، إذ جعلوا مقصودهم من الحج هو تعظيم المخلوق لا الخالق!

قال ابن تيمية رحمه الله: وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم ، واستزلهم عن إخلاص الدين لله إلى أنواع من الشرك ، فيقصدون بالسفر والزيارة الرجاء لغير الله ، والرغبة إليه ، ويشدون الرحال إما إلى قبر نبي أو صاحب أو صالح ، أو من يُظن أنه نبي أو صاحبٌ[1] أو صالح ، داعين له راغبين إليه ، ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا ، فلا يستشعر إلا قصد المخلوق المقبور.[2]

١ أي صحابي.

٢ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٨٥١).

(الحديث الرابع):

قال الدارقطني رحمه الله: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا حفص بن أبي داود عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي.[1]

ورواه البيهقي فقال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف إملاء ، أنبأنا أبو الحسن محمد بن نافع بن إسحاق الخزاعي بمكة ، حدثنا المفضل بن محمد الجندي ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا حفص بن سليمان أبو عمر عن الليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي.

وأخبرنا أبو سعد الماليني ، أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ ، أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا علي بن حجر ، حدثنا حفص بن سليمان (ح) وأخبرنا أبو أحمد ، حدثنا عبد الله بن محمد البغوي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا حفص بن أبي داود ، فذكره.

ثم قال: تفرد به حفص وهو ضعيف.[2]

ورواه في «شعب الإيمان» فقال: وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد حدثني محمد بن إسحاق الصفار ، حدثنا ابن بكار حدثنا حفص بن سليمان ، فذكر الحديث ، ثم قال: تفرد به حفص وهو ضعيف في رواية الحديث.[3]

تنبيه: سمى البيهقي حفصاً في الروايات الأولى والثانية والرابعة حفص بن سليمان ، وفي الرواية الثالثة حفص بن أبي داود فدل على أن حفصاً المذكور هو رجل واحد.

وقال أبو يعلى: حدثنا يحيى بن أيوب المقابري ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا حفص بن سليمان ، عن كثير بن شنظير عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من حج فزارني بعد وفاتي عند قبري فكأنما زارني في حياتي.

وقال ابن عدي: حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا علي بن حجر.

وحدثنا عبد الله بن محمد البغوي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، قالا: حدثنا علي ، حدثنا حفص بن سليمان.

---

١ «سنن الدارقطني» (٢/٢٧٨) ، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

٢ «السنن الكبرى» (٥/٢٤٦).

٣ «شعب الإيمان» (٨/٩٣ - ٩٤) برقم (٣٨٥٨).

وقال أبو الربيع حدثنا حفص بن أبي داود قالا عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني.[١]

ورواه أبو عبد الله النجار في «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» من طريق حفص بن سليمان به.[٢]

وقال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا حفص بن أبي داود عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي.[٣]

وقال أيضا: حدثنا جعفر بن بجير ، حدثنا محمد بن بكار بن الريان قال: حدثنا حفص بن سليمان عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي.[٤]

والجواب: هذا حديث ضعيف جدا ، آفته رجلان ، أحدهما: حفص بن أبي داود ، والثاني ليث بن أبي سليم.

فأما **حفص بن أبي داود** فهو حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار القاري الغاضري ، لم يكن من أهل الحديث ولا ممن يعتمد عليه في نقله ، ولهذا جرحه الأئمة وتركوا حديثه ، وقد تفرد برواية هذا الحديث.

فقد قال ابن عدي بعد أن ساق جملة من الأحاديث التي رواها حفص: ولحفص غير ما ذكرت من الأحاديث ، وعامة حديثه عمن روى عنهم غير محفوظة.[٥]

وساق بإسناده عن يحيى بن معين قوله: وكان حفص كذابا.[٦]

وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل ، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع.

ثم ساق بإسناده عن يحيى بن معين قوله عن حفص: ليس بثقة.[٧]

---

١ «الكامل» (٢٧٢/٣) ، ترجمة حفص بن سليمان.

٢ «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» ، ص ٢٨٨ .

٣ «المعجم الكبير» (٤٠٦/١٢) برقم (١٣٤٩٧).

٤ «المعجم الأوسط» (٣٣٧٦).

٥ «الكامل» لابن عدي (٢٧٦/٣).

٦ «الكامل» لابن عدي (٢٦٨/٣).

٧ «كتاب المجروحين» (٢٥١) ، ورواه عنه أيضا ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٧٣/٣).

وقال البخاري: حفص بن سليمان تركوه.[١]

وذكره الدارقطني في «الضعفاء والمتروكون».[٢]

وقال الجوزجاني: قد فُرغ منه من دهر.[٣]

وقال مسلم بن الحجاج: متروك.

وقال النسائي: متروك الحديث[٤] ، وكذا قال ابن أبي حاتم[٥] والعقيلي[٦] والحافظ في «التقريب»[٧].

وقال ابن خراش: كذاب يضع الحديث.[٨]

وأما **ليث بن سليم** فقال عنه ابن حبان: اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به ، فكان يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل ، ويأتي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم ، كل ذلك كان منه في اختلاطه ، تركه يحيى القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين رضي الله عنهم.

ثم ساق بسنده عن محمد بن الفضل قال: سألت عيسى بن يونس عن ليث بن أبي سليم فقال: قد رأيته وكان قد اختلط ، وكنت ربما مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذن.

وساق بسنده عن جعفر بن أبان الحافظ قال: سألت أحمد بن حنبل عن ليث بن أبي سليم فقال: ضعيف الحديث جدا ، كثير الخطأ.[٩]

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: ليث لا يُشتغل به ، هو مضطرب الحديث.[١٠]

وقال الإمام أحمد: ليث بن أبي سليم مضطرب الحديث.[١١]

---

١ «الضعفاء الصغير» برقم (٧٣).

٢ برقم ١٧٠ .

٣ «أحوال الرجال» ، رقم ١٧٤ .

٤ «الضعفاء والمتروكين» ، برقم ١٣٤ .

٥ «الجرح والتعديل» (١٧٤/٣).

٦ «الضعفاء» للعقيلي ، ترجمة رقم ٣٣٥ .

٧ رقم (١٤٠٥).

٨ «ميزان الاعتدال» (٣٢٠/٢).

٩ «كتاب المجروحين من المحدثين» (٢٣٧/٢).

١٠ «الجرح والتعديل» (١٧٧/٧).

١١ «كتاب العلل ومعرفة الرجال» (٣٧٩/٢).

وقال ابن حجر: صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فتُرِك.[1]

وذكره الذهبي في «الضعفاء».[2]

وبناء على ما تقدم فإنه لا يصح الاحتجاج بهذا الحديث على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ ، ولا يُعتمد عليه بشيء من الأحكام ، وقد حكم عليه الألباني رحمه الله بأنه منكر في «إرواء الغليل»[3].

وقال في «الضعيفة»[4]: إنه موضوع ، والله أعلم.

وقال ابن تيمية رحمه الله: **أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة** لا يعتمد على شيء منها في الدين ، ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئا منها ، وإنما يرويها من يروي الضعاف كالدارقطني والبزار وغيرهما ، وأجود حديث فيها ما رواه عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف والكذب ظاهر عليه مثل قوله: **"من زارني[5] بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي"** ، فإن هذا كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين ، فإن من زاره في حياته وكان مؤمنا به كان من أصحابه ، لا سيما إن كان من المهاجرين إليه ، المجاهدين معه ، والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة ، كالحج والجهاد والصلوات الخمس والصلاة عليه ، فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين ، بل ولا شرع السفر إليه ، بل هو منهي عنه.[6]

قال مقيده عفا الله عنه: والمؤمن لو عمل ما عمل فإنه لن يدرك عمل الصحابة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم[7] ولا نصيفه.[8]

ففضل الصحبة لا يدركه إلا من رأى النبي ﷺ مسلما ومات على ذلك ، وأما هذا الحديث فإن جملة: "فكأنما زارني في حياتي" ، تفيد أن من زار قبر النبي ﷺ بلغ فضل الصحبة ولو لم يره!

---

١ «التقريب» ، برقم (٥٦٨٥).

٢ رقم (٥١٢٧).

٣ «إرواء الغليل» (٣٣٦/٤) برقم ١١٢٨ .

٤ برقم ٤٧ .

٥ صوابه: من حج فزار قبري بعد مماتي ... الخ.

٦ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص ١٣٣ – ١٣٥ ، باختصار.

٧ المُدُّ هو ربع الصاع ، وقوله بعده (نصيفه) أي نصفه وهو ثمن الصاع ، وانظر معنى الحديث في الحاشية التالية.

٨ رواه البخاري (٣٦٧٣) واللفظ له ، ومسلم (٦٤٨٥).

فائدة: في هذا الحديث فائدة جليلة وهي أنه قد يتساوى الناس في مقدار نفقاتهم ، ومع ذلك تختلف أجورهم ، بسبب اختلاف ما قام في قلوبهم من العبودية لله عز وجل لما أنفقوا تلك النفقة.

وعليه فلا يكون لصحبة الصحابة لرسول الله ﷺ في حياته ومرافقتهم إياه وتخصيص الله ورسوله ﷺ لهم بالثناء أي فضل على من زار قبره بعد وفاته ، وهذا واضح البطلان.

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله: وأما زيارته في حياته لا يَشُك مسلم في فضلها ، ومن نالها فقد نال شرف الصحبة وعُدَّ صحابيا ، ولذلك سجل المؤرخون وَفادة كل وافد وعرفوا له حقه ، وأما زيارته ميتا فإن ذلك لا يعتبر زيارة له في الحقيقة ، لا في اللغة ولا في العرف ولا في الشرع ، فمن زار قبر أحد لا يقال له في اللغة إنه زاره.

أما في الشرع فإن النبي ﷺ يقول: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فأضاف الزيارة إلى القبور ولم يضفها إلى أصحاب القبور ، ومن حلف أن يزور فلانا فزار قبره لم يَبَر في قسمه ولزمه الحنث.

أما في العرف فكذلك أيضا ، فلا تعتبر زيارة قبره ميتا كزيارته حيا ، لأن الزيارة مقصودها المشاهدة والمفاهمة والمكالمة ، وهي غير حاصلة من الميت.[1]

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله: ومن شبَّه من زار قبر شخص بمن كان يزوره في حياته فهو مصابٌ في عقله ودينه.[2]

وللحديث المتقدم طريق آخر أخرجه الطبراني فقال:

حدثنا أحمد بن رشدين ، قال: حدثنا علي بن الحسن بن هـــارون الأنصاري ، قال: حدثني الليث بن ابنة الليث بن أبي سليم ، قال: حدثتني عائشة ابنة يونس امرأة ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي.[3]

تنبيه: ليلاحظ عدم ذكر الحج في الحديث.

هذا إسناد ضعيف جدا ، **فيه ابن رشدين ، وهو أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين ، شيخ الطبراني** ، قال فيه ابن عدي: وأنكرتُ عليه أشياء مما رواه.[4]

وقال ابن أبي حاتم: سمعت منه بمصر ولم أُحَدِّث عنه لما تكلموا فيه.[5]

---

١ نقلت الإجابة من «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ، ص ١٩٣ – ١٩٤ ، بتصرف يسير.

٢ «الرد على الإخنائي» ، ص ٣٦٧ .

٣ «معجم الطبراني الكبير» (١٢/٤٠٦) رقم (١٣٤٩٦) ، و الطبراني في «الأوسط» برقم (٢٨٩) واللفظ له.

٤ «الكامل» (١/٣٢٧).

٥ «كتاب الجرح والتعديل» (٢/٧٥).

وذكره الذهبي في «الضعفاء».[١]

وفيه **الليث ابن ابنة الليث بن أبي سليم وعائشة** وهما مجهولان ، قال الهيثمي في عائشة: لم أجد من ترجمها.[٢]

(الحديث الخامس):

قال ابن عدي في كتابه «الكامل في ضعفاء الرجال»: حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا محمد بن محمد بن النعمان بن شبل ، حدثني جدي ، حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني.[٣]

ورواه ابن حبان في كتاب «المجروحين» فقال: حدثناه أحمد بن عبيد بهمذان ، قال: حدثنا محمد بن محمد بن النعمان بن شبل به.[٤]

هذا حديث موضوع ، في سنده **محمد بن محمد بن النعمان بن الشبل ، وجده النعمان.**

قال ابن حجر في محمد: متروك.[٥]

وقال أيضا: اتهمه الدارقطني وضعفه جداً.[٦]

وذكره الذهبي في «الضعفاء».[٧]

وأما **جده النعمان** فقد قال فيه ابن حبان البستي: حدثنا عنه الحسن بن سفيان: يأتي عن الثقات بالطامات ، وعن الأثبات بالمقلوبات.[٨]

ونقل ابن عدي في كتاب «الكامل» عن موسى بن هارون الحمال[٩] قوله عن النعمان: كان متهما.[١٠]

ومن المعلوم عند أئمة الجرح أنه إذا قيل في راو إنه متهم فالمقصود اتهامه بالكذب.

---

١ (٨٧/١) برقم (٤١٣).

٢ «مجمع الزوائد» (٥/٤).

٣ «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (٢٤٨/٨).

٤ (٤١٤/٢) .

٥ «التقريب» ، برقم (٦٢٧٥).

٦ «التهذيب» ، برقم (٧٤٠٢).

٧ رقم (٥٩٥٤).

٨ «المجروحين» (٤١٥/٢).

٩ موسى بن هارون ثقة حافظ كبير ، قاله ابن حجر في «التقريب» ، ترجمة رقم (٧٠٢٢).

١٠ «الكامل» (٢٤٨/٨).

وذكره الذهبي في «الضعفاء».[1]

فإن قيل: إن عمران بن موسى قد وَثق النعمان بن شبل ، فالجواب من وجهين:

الأول: أن عمران بن موسى ليس من أئمة الجرح والتعديل الذين يُرجع إلى أقوالهم.

الثاني: أن صالح بن أحمد بن أبي مقاتل – وهو الناقل عن عمران بن موسى توثيقه للنعمان بن شبل – ليس بثقة أصلا ، فكيف يقبل منه نقل التوثيق من غيره؟

قال عنه الدارقطني: متروك كذاب دجال ، أدركناه ولم نكتب عنه ، يحدث بما لم يسمع.[2]

وقال عنه كما في «سؤالات الحاكم» له: متروك.[3]

بل قال عنه ابن عدي: يسرق الأحاديث ويَلزق أحاديث ، ويرفع الموقوف ويوصل المرسل ، ويزيد في الأسانيد.[4]

وقال ابن حبان: كتبنا عنه ببغداد ، يسرق الحديث ويقلبه ، ولعله قد قلب أكثر من عشرة آلاف حديث ، لا يجوز الاحتجاج به بحال.[5]

فإذا كان هذا حال محمد بن محمد بن النعمان بن شبل وحال جده وحال من وثقه ، فكيف يقبل منهما خبر عن النبي ﷺ ؟

وبناء على هذا فقد حكم الحفاظ على هذا الحديث بالوضع ، فأورده ابن حبان في كتاب «المجروحين»[6] ، وابن الجوزي في «الموضوعات»[7] ، ووافقه الذهبي في «ترتيب الموضوعات»[8] ، وقال في «الميزان»: هذا موضوع[9].

---

١ رقم (٦٦٥٤).

٢ «لسان الميزان» (١٦٥/٣).

٣ ص ١٤٠ برقم ١١٣ .

٤ «الكامل» لابن عدي (١١٢/٥ – ١١٤) ، باختصار.

٥ «المجروحين» (٤٧٢/١ – ٤٧٣) ، باختصار.

٦ تقدم تخريجه.

٧ (٥٩٧/٢) برقم ١١٦٨ .

٨ برقم (٦٠٠).

٩ (٣٩/٧) برقم (٩١٠١).

وذكره الكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة»[1] ، وكذا الصغاني في «الأحاديث الموضوعة»[2] ، والشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»[3] ، وذكره الألباني في «السلسلة الضعيفة»[4] وقال:

ومما يدل على **وضعه** أن جفاء النبي ﷺ من الكبائر إن لم يكن كفراً ، وعليه فمن ترك زيارة قبره ﷺ يكون مرتكباً لذنب كبير ، وذلك يستلزم أن الزيارة واجبة كالحج ، وهذا مما لا يقوله مسلم ، ذلك لأن زيارته ﷺ وإن كانت من القُربات ، فإنها لا تتجاوز عند العلماء حدود المستحبات ، فكيف يكون تاركها مُجافياً للنبي ﷺ ومُعْرِضاً عنه؟

انتهى كلامه رحمه الله.

وختاما ، فإن مما يدل على ضعف هذا الحديث أن نسخة مالك عن نافع عن ابن عمر محفوظة معروفة ، رواها عنه أصحابه الذين هم رواة «الموطأ» وغير «الموطأ» ، وليس هذا الحديث منها ، فدل على أن هذا الحديث موضوع ، والله أعلم.[5]

(الحديث السادس):

ومن الأحاديث الضعيفة على النبي ﷺ في هذا الباب حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن محمد بن إسماعيل بن سمرة ، قال: حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله العمري عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من زار قبري وجبت له شفاعتي.[6]

ورواه الدارقطني عن موسى بن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر به.[7]

هذه رواية ضعيفة ، فيها موسى بن هلال العبدي ، قال أبو حاتم: مجهول.[8]

وقال العقيلي: (لا يصح حديثه ، ولا يُتابع على حديثه) ثم روى حديثه هذا.[9]

---

١ ص ١٧٢ .

٢ ص ٦ .

٣ ص ٤٢ .

٤ «السلسلة الضعيفة» (٤٥).

٥ انظر «الصارم المنكي» ، ص ٨٩ ، ط مؤسسة الريان – لبنان.

٦ (٣/٤٩٠) ، رقم (٤١٥٩) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٧ «السنن» (٣/٣٣٤) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٨ انظر «كتاب الجرح والتعديل» (٨/١٦٦).

٩ انظر ترجمة موسى في كتابه «الضعفاء».

وقال الذهبي: هو صالح الحديث ، وأنكر ما عنده حديثه عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعا: من زار قبري وجبت له شفاعتي.[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله:

وأما قوله: "من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي" وأمثال هذا الحديث مما رُوي في زيارة قبره ﷺ فليس منها شيء صحيح ، ولم يرو أحد منها من أهل الكتب المعتمدة منها شيئا ، لا أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم ، ولا أصحاب السنن كأبي داود والنسائي ، ولا الأئمة من أهل المسانيد كالإمام أحمد وأمثاله ، ولا اعتمد على ذلك أحد من أئمة الفقه كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق ابن راهويه وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأمثالهم ، بل عامة هذه الأحاديث مما يُعلم أنها كذب موضوعة.[2]

وانظر ما قاله الألباني في «الإرواء»[3].

---

١ باختصار من كلامه في ترجمة موسى بن هلال في كتابه «ميزان الاعتدال».

٢ «مجموع الفتاوى» (٢٩/٢٧).

٣ حديث رقم (١١٢٨).

خلاصة

قال ابن تيمية في رده على الإخنائي الذي قال بجواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ :

وما ذكره السائل من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئا منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية ، الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ، كره أن يقول الرجل: (زرت قبر النبي ﷺ) ، ولو كان هذا اللفظ مشروعا عندهم أو معروفا أو مأثورا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالِم المدينة.

والإمام أحمد – أعلم الناس في زمانه بالسنة – لما سُئل عن ذلك – أي عن زيارة قبر النبي ﷺ – لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام.

وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه.

وكذلك مالك في الموطأ ، روى عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا دخل المسجد قال: (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت) ، ثم ينصرف.[1]

تنبيه:

شحن ابن حجر الهيتمي[2] كتابه «تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار» أحاديث ضعيفة وموضوعة كثيرة متعلقة بالقبور وزيارتها ، فلـيُنتبه إلى هذا ، وقد نبه عليها محقق الكتاب الأخ السيد أبو عمة بما يرضي الله إن شاء الله.

---

١ «الرد على الإخنائي» ، ص ٤٤٨ .

٢ تقدمت ترجمته في المظهر الخامس.

توضيح معنى (اتخاذ القبور أعيادا) وحكمه

أدلة النهي عن كثرة معاودة القبور

شبهات والجواب عليها

توضيح معنى (اتخاذ القبور أعيادا) وحكمه

العيد هو ما يعتاد الناس مجيئه من زمان أو مكان ، قال الشيرازي رحمه الله: العيد مشتق من العَود ، وهو الرجوع والمعاودة ، لأنه يتكرر.[1]

وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

التردد هو معنى اتخاذه عيداً ، لأن العيد هو ما عاد عليك أو عدت عليه ، فالأعياد الزمانية تعود على الناس ، والأعياد المكانية يعود الناس عليها ، أي: يترددون عليها.[2]

والأعياد الزمانية الشرعية هي عيد الفطر وعيد الأضحى فحسب ، والأعياد المكانية الشرعية هي الأمكنة التي يعتاد الناس المجيء إليها للعبادة عندها ، كالمساجد الثلاثة ومشاعر الحج في أيام الحج.

وقد وقع كثير ممن ينتسب إلى الإسلام في اتخاذ القبور أعيادا بأن خصصوا لزيارة القبور أوقاتا معينة في السنة يجتمعون عندها ، إما في شهر الله المحرم في عاشوراء ، أو رجب ، أو شعبان ، أو في النصف من شعبان ، أو في يوم عرفة ، أو يوم الجمعة ، أو أيام الأعياد ، أو غير ذلك من الأيام ، وربما سافروا إليها ، وهذا الفعل حرام بلا ريب ، ودليل التحريم أن النبي ﷺ نهى عن معاودة قبره ، فتضمن ذلك جميع القبور سواء كانت قبور أنبياء أو غيرهم ، وسواء كان ذلك بسفر أو بدون سفر.

أدلة النهي عن كثرة معاودة القبور

وقد ورد في النهي عن اتخاذ القبور أعيادا عدة أحاديث منها:

الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تتخذوا قبري عيدا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا ، وحيثما كنتم فصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني.[3]

الثاني: ومن الأدلة كذلك إنكار الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سهيل بن أبي سهيل لما رآه دنا عند قبر الرسول ﷺ فقال له: مالي رأيتك عند القبر؟

فقال: سلمت على النبي ﷺ .

---

١ انظر «المجموع» للنووي (٥/٥).

٢ «الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٢٣٤ .

٣ تقدم تخريجه.

فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّم[1] ، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ، **ولا تتخذوا بيوتكم مقابر** ، لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليَّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم.

ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدا ، **فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان** ، ثم إنه قرن ذلك بقوله ﷺ : "ولا تتخذوا بيوتكم قبورا " ، أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور ، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم.

انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله.[3]

قال مقيده عفا الله عنه: وفي قوله ﷺ : "وحيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني" ، دليل صريح على أن الصلاة والتسليم يبلغانه ﷺ من بُعد كما يبلغانه من قرب ، لأن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ تسليم أمته ، كما في قوله ﷺ : "إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام "[4] ، فلا حاجة إذن إلى الدنو من قبره أو معاودة زيارته وتخصيص مواسم وأوقات لأجل السلام عليه ، لأن السلام سيبلغه من أي مكان في الدنيا ، ولهذا قال الحسن: ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

---

[1] يقصد السلام المشروع على النبي ﷺ عند الدخول إلى المسجد ، كما علمنا رسول الله ﷺ ذلك في قوله: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ... الحديث.

رواه أبو داود (٤٦٥) والترمذي (٤٦٥) وابن ماجه (٧٧٢) عن أبي حميد – أو أبي أسيد – الأنصاري رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

وفي الباب عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، رواه ابن ماجه (٧٧١) ، وأبي هريرة ، رواه ابن ماجه (٧٧٣) وكلاهما صححهما الألباني.

[2] رواه سعيد بن منصور في «سننه» واللفظ له ، كما عزا ذلك ابن تيمية رحمه الله في «الاقتضاء» (٣٠٢/١) وذكره بإسناده ، وقال الألباني رحمه الله: (إسناده قوي) ، انظر «أحكام الجنائز» ، ص ٢٨٠ .

وقوله: (ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء) من كلام الحسن رضي الله عنه.

ورواه إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (٣٠) ، وصححه الألباني في تحقيقه له.

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٧٧/٣) ، وكذا ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٢/٢) مقتصرا على المرفوع منه فقط.

٣ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٦٦٢/٢).

٤ تقدم تخريجه.

الثالث: ومن الأحاديث الدالة على تحريم اتخاذ القبور أعيادا ما جاء في «مسند أبي يعلى الموصلي» عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيدا ، **ولا بيوتكم قبورا** ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم.[1]

وفي رواية إسماعيل القاضي: وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم ، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم.

قال ابن تيمية رحمه الله معلقا على هذا الحديث والذي قبله:

ثم إن أفضل التابعين من أهل بيته ، علي بن الحسين رضي الله عنه ، نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ ، واستدل بالحديث ، وهو راوي الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي ، وهو أعلم بمعناه من غيره ، فبين أن قصده للدعاء ونحوه اتخاذ له عيدا ، وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته ؛ كره أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند دخول المسجد ، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيدا ، فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار ، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم ، فكانوا لها أضبط.[2]

وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

فهذان رجلان من أفضل أهل البيت من التابعين وهما: علي بن الحسين الملقب زين العابدين ، والحسن بن الحسن ، من أفضل أهل زمانهما علماً ، وأحسنهم هدياً ، نشآ في بيوت الهداية ، وتربيا في مرابع العلم والدراية ، ينكران الإكثار من التردد إلى القبر الشريف وتوخي الدعاء عنده.[3]

الرابع: ومن الأدلة على تحريم التردد على القبر النبوي مخالفته لهدي السلف ، فإن ابن عمر رضي الله عنهما – وحسبك به فضلا وعلما واتباعا للسنة النبوية – ما كان يجيء إلى القبر النبوي إلا نادرا ، إذا جاء من سفر أو أراد سفرا ، ولو كان اتخاذ القبور أعيادا خيرا لفعله رضي الله عنه ، فهو من أعظم الصحابة حبا واتباعا للنبي ﷺ ، فقد روى عبد الرزاق في «المصنف» عن مَعمَر عن أيوب عن نافع قال:

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/١٥٠) واللفظ له ، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٢٨) ، ورواه أبو يعلى (١/٣٦١) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (٢٠) ، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تحقيقه له فقال: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

٢ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٦٤-٦٦٥).

٣ «الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٨١ – ٨٣ باختصار.

كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه.

قال: وأخبرناه عبيد الله[1] بن عمر عن نافع عن ابن عمر.

قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال: ما نعلم أحدا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر.[2]

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن نافع به[3] ، وابن أبي شيبة في «المصنف».[4]

ورواه إسماعيل القاضي عن أيوب عن نافع وعبد الله بن دينار بنحوه.[5]

ورواه سعيد بن منصور في «سننه» عن زيد بن أسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.[6]

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» قال: سُئل هشام: أكان عروة[7] يأتي قبر النبي ﷺ ؟ فقال: لا.[8]

الخامس: روى أبو الحسن القزويني عن الزهري عن أبيه عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن نوح بن يزيد قال: أخبرنا أبو إسحاق - يعني إبراهيم بن سعد — قال: ما رأيت أبي قط يأتي قبر النبي ﷺ ، وكان يكره إتيانه.[9]

وإبراهيم بن سعد هو الإمام الحافظ الحجة الكبير ، من أكثر أهل المدينة حديثا في زمانه.[10]

قال ابن تيمية رحمه الله:

وأما إبراهيم بن سعد فهو من أكابر علماء المدينة وأكثرهم علما وأوثقهم ، وكان قد خرج إلى بغداد ، روى عنه الناس ؛ أحمد بن حنبل وطبقته ، ومِن سعة علمه روى عنه الليث بن سعد ، وهو أقدم وأجل منه.

---

١ في المطبوع: عبد الله ، وصححته من «مصنف عبد الرزاق» (١١٧٩٢) ومن «الصارم المنكي».

٢ «مصنف عبد الرزاق» (٦٧٢٤).

٣ (٨/٨٨ - ٨٩) برقم (٣٨٥٤) ، (٨/٩٧ - ٩٨) برقم (٣٨٦٤).

٤ «مصنف ابن أبي شيبة» (١١٧٩٢).

٥ رقم ٩٩ ، ١٠٠ بتحقيق الألباني رحمه الله.

٦ نقلا من «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٢٤-٧٢٥).

٧ أي عروة بن الزبير ، أحد فقهاء المدينة السبعة.

٨ (٣/٢٩) برقم (١١٧٩١).

٩ نقلا من «الرد على الإخنائي» ، ص ٤١٦ .

١٠ انظر «التهذيب».

وأما أبوه سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري – الذي ذكر عنه ابنه إبراهيم أنه قال: (ما رأيت أبي قط أتى قبر النبي ﷺ وكان يكره إتيانه) ؛ وهو[1] من أفضل أهل المدينة في زمن التابعين ، ومن أصلحِهم وأعبدهم ، وكان قاضي المدينة في زمن التابعين في زمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأمثاله ، وهو أدرك بناء الوليد بن عبد الملك المسجد وإدخال الحجرة فيه ، وأدرك ما كان عليه السلف قبل ذلك من الصحابة والتابعين.

قال أبو حاتم الرازي: وهو من جِلَّة أهل المدينة وقدماء شيوخهم ، كان على القضاء ، وقد ذكروا أنه رأى عبد الله بن عمر ، وروى عن عبد الله بن جعفر ، وفي سماعه منه نظر ، ومات قديما بعد القاسم بن محمد بقليل ، فإن القاسم توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وهذا توفي سنة ست وعشرين ومائة ، وقد خرج من المدينة غير مرة ، تارة إلى الحج ، وتارة كان قد استُعمل على الصدقات ، ومرة خرج إلى العراق إلى واسط فروى عنه سفيان الثوري وشعبة والعراقيون ، وهو الذي روى حديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) عن القاسم عن عائشة عن النبي ﷺ .

وقد أدرك بالمدينة جابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي وغيرهما من الصحابة ، ورأى أكابر التابعين مثل سعيد بن المسيب وسائر الفقهاء السبعة ، **ومعلوم أن لم يكن ليخالفهم فيما اتفقوا عليه** ، بل قد يخالف ابن عمر ، فإن ما نقله عنه ابنه يقتضي أنه كان لا يأتيه لا عند السفر ولا غيره ، بل يكره إتيانه مطلقا كما كان جمهور الصحابة على ذلك لِما فهموا من نهيه ﷺ عن ذلك ، وأنه أمر بالصلاة والسلام عليه في كل زمان ومكان ، وقال ﷺ : (لا تتخذوا قبري عيدا) ، وقال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) ، كما قد بُيِّـن هذا في مواضع.

مع أن سعد بن إبراهيم هذا في دينه وعبادته وصيامه وتلاوته للقرآن بحيث كان يختم باليوم والليلة كثيرا.

وأبو الحسن علي بن عمر القزويني وغيره من أهل العلم والدين ذكروا هذه الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ليبينوا للناس كيف كان السلف يفعلون في مثل ذلك ، وبسطُ هذا له موضع آخر.[2]

قلت: وفعل سعد بن إبراهيم له ثِقَلُهُ لأنه من متقدمي أهل المدينة ، وقد روى ابن عبد البر بإسناده عن الشافعي قال: إذا وجدت متقدم أهل المدينة على شيء فلا يدخل عليك شك أنه الحق ، وكل ما جاءك من غير ذلك فلا تلتفت إليه ، فإنك تقع في اللجج وتقع في البحار.[3]

---

١ هكذا في المطبوع ، ولعل الأولى: فهو.

٢ نقلا من «الرد على الإخنائي» ص ٤١٧ – ٤١٨ .

٣ «التمهيد» ، ذكر عيون من أخبار مالك وذكر فضل موطأه (٦١/١).

السادس: ومن الأدلة على أن معاودة القبر النبوي مخالف لهدي السلف كراهية الإمام مالك لذلك ، وهو من أئمة السلف ، فقد قال رحمه الله: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء.

وقال أيضا: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

فقيل له: فإن ناسا من أهل المدينة لا يَقدمون من سفر ولا يريدونه ، ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر ، فيُسلمون ويدعُون ساعة.

فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه أوسع ، ولا يُصلِح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا ، قال: وذلك رأيٌ.

قال الباجي: ففرقٌ بين أهل المدينة والغرباء ، لأن الغرباء قصدوا ذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصِدوها من أجل القبر والتسليم. انتهى.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله: ولهذا كره مالك رضي الله عنه وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على قبر النبي ﷺ وصاحبيه وقال: "وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفرا ونحو ذلك" ، **وأما قصده دائما للصلاة والسلام فما علمت أحدا رخص فيه لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدا** ، مع أنا قد شُرع لنا إذا دخلنا المسجد أن نقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، كما نقول ذلك في آخر صلاتنا ، بل قد استُحب ذلك لكل من دخل مكانا ليس فيه أحد ، لِما تقدم من أن السلام عليه يبلغه من كل موضع ، فخاف مالك وغيره أن يكون فِعل ذلك عند القبر كل ساعة نوعا من اتخاذ القبر عيدا.

---

[1] تقدم نقل هذه الأقوال عن المالكية في المظهر الحادي عشر ، وقد نقلها القاضي عياض رحمه الله عن الإمام مالك في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/٩٨ - ٩٩) ، باب في حكم زيارة قبره ﷺ ، وفضيلة من زاره وسلم عليه ، وكيف يسلم ويدعو ، وعزاها لكتاب «المبسوط» للسرخسي ، وكذا نقلها ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٢٧/١١٨).

وأيضا فإن ذلك بدعة ، فقد كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه ، لعلمِهم رضي الله عنهم بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك ، وما نهاهم عنه ، وأنهم يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه وفي التشهد ، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته ، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك.[1]

وقال أيضا رحمه الله: كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون ، ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه ، لعلمهم رضي الله عنهم بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك ، وما نهاهم عنه ، وأنهم يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه ، وفي التشهد ، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته.[2]

وقال في «الرد على الإخنائي» رادا على من قال باستحباب التردد على القبر النبوي:

فاستحباب هذا للوارد والصادر تشبيه له بالطواف الذي يشرع للحاج عند الورود إلى مكة ، وهو الذي يُسمى طواف القدوم وطواف التحية وطواف الورود وعند الصدور ، وهو الذي يسمى طواف الوداع ، وهذا تشبيه لبيت المخلوق ببيت الخالق.

---

١ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٢٣-٧٢٥) ، باختصار.

٢ «اقتضاء الصراط» (٢/٧٢٤ - ٧٢٥).

شبهات والجواب عليها

الشبهة الأولى: استدل بعض الناس على مشروعية الإكثار من معاودة القبور بأحاديث ضعيفة ، ومنها تلك الحديث الذي رواه الطبراني في «المعجم الصغير» فقال:

حدثنا محمد بن النعمان بن شبل ، قال: حدثني أبي ، قال حدثني محمد بن النعمان بن عبد الرحمن عم أبي ، عن يحيى بن العلاء الرازي ، عن عبد الكريم أبي أمية ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غُفر له ، وكتب بَـرًّا.

والجواب: هذا حديث ضعيف جدا ، في سنده عبد الكريم أبي أمية ، قال فيه ابن عبد البر رحمه الله: مجمع على ضعفه.[١]

وفي سنده محمد بن النعمان ، مجهول ، قاله العقيلي في «الضعفاء».[٢]

وفي سنده يحيى بن العلاء الرازي ، متروك ، قاله العقيلي أيضا في «الضعفاء».[٣]

ولهذا قال فيه الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة»: موضوع.[٤]

- ومن الأحاديث الضعيفة في هذا الباب الحديث الذي رواه ابن عدي في «الكامل» عن يزيد بن خالد الأصبهاني قال: حدثنا عمرو بن زياد ، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من زار قبر والديه أو أحدِهما يوم الجمعة فقرأ «يٰس» ، غُفِر الله له.

والجواب ما قاله ابن عدي بعدما رواه:

وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل ليس له أصل ، ولعمرو بن زياد غير هذا من الحديث ، منها سرقةً يسرقها من الثقات ومنها موضوعات ، وكان هو يتهم بوضعها.[٥]

وقال الدارقطني: يضع الحديث.[٦]

---

١ نقله الذهبي عنه في «ميزان الاعتدال».

٢ ترجمة رقم (١٧١٦).

٣ انظر ترجمة رقم (١٧١٦).

٤ رقم (٤٩).

٥ انظر كلامه هذا في ترجمة عمرو بن زياد في «الكامل».

٦ انظر كتابه: «الضعفاء والمتروكون».

قلت: ولهذا أورده ابن الجوزي في «الأحاديث الموضوعات»[1] ، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة»: موضوع.[2]

تنبيه: لا عبرة لتعقب السيوطي على ابن الجوزي بقوله أن هذا الحديث يشهد له الحديث الذي قبله لسببين ذكرهما الألباني في «سلسلته».[3]

- ومن الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ في هذا الباب الحديث الذي رواه الحافظ أبو الفتح الأزدي فقال:

أخبرنا به أبو النجم شهاب بن علي المحسني وأبو الفتح بن إبراهيم قالا: أنبأنا أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الأزدي المعروف بابن رواج قال: أنبأنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة السلفي الأصبهاني ، أنبأنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف ، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي ، أنبأنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد الأزدي الحافظ ، حدثنا النعمان عن هارون بن أبي الدلهاث ، حدثنا أبو سهل بدر بن عبد الله المصيصي ، حدثنا الحسن بن عثمان الزيادي ، حدثنا عمار بن محمد ، حدثني خالي سفيان عن منصور ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ :

من حج حجة الإسلام ، **وزار قبري** ، وغزا غزوة ، وصلَّى عليَّ في المقدس ؛ لم يسأله الله فيما افترض عليه.

والجواب: هذا حديث موضوع سندا وباطل متنا ، ففي سنده بدر بن عبد الله المصيصي ، قال فيه الذهبي في «الميزان»: بدر بن عبد الله أبو سهل المصيصي عن الحسن بن عثمان الزيادي **بخبر باطل** ، وعنه النعمان بن هارون.

قال في «اللسان»: والخبر المذكور أخرجه أبو الفتح الأزدي ، ثم ذكر هذا الحديث. انتهى.

وفي إسناد الحديث أحمد أبو الفتح الأزدي الموصلي ، قال فيه ابن الجوزي: في حديثه مناكير ، وكانوا يضعفونه.

---

١ رقم (١٧٨٤).

٢ رقم (٥٠).

٣ «الضعيفة» (١/١٢٧-١٢٨).

ثم قال: أخبرنا الفرار ، أنبأنا الخطيب ، قال: حدثني محمد بن صدقة الموصلي أن أبا الفتح وضع حديثا.[1]

وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» أن في أحاديثه مناكير ، وأن البرقاني ضعفه ، وأن أهل الموصل كانوا يُضعفونه ولا يعُدونه شيئا ، وأنه اتُّهِم بوضع الحديث.[2]

وقد ذكر السيوطي رحمه الله هذا الحديث في «ذيل الأحاديث الموضوعة».[3]

وقال الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة»: موضوع.[4]

ومن ظواهر بطلان هذا الحديث متنا أنه يفيد أن من فعل تلك الطاعات فقد سقطت عنه فرائض الدين من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وصار غير مطالب بها ، وهذا قول باطل ، بل هو ضلال ، لأنه يفيد الحث على ترك الفرائض ، وحاشا رسول الله ﷺ أن يدل أمته على ذلك.

الشبهة الثانية: وقد ورد في باب زيارة قبره ﷺ حديث صحيح ولكنه أُسيء فهمه ، ومنها حديث معاذ لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ، فخرج معه النبي ﷺ يوصيه ، ومعاذ راكب ، والرسول ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال: يا معاذ ، إنك عسى أنْ لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري فبكى معاذ ... الحديث.[5]

فظن بعض الناس أن هذا الحديث يفيد جواز السفر إلى القبور أو استحباب الإكثار من معاودتها ، وهذا خطأ فإن الحديث لا يفيد ذلك ، بل يفيد جواز زيارته وفق الضوابط الشرعية المذكورة في الأحاديث الأخرى ، وأهمها ألا يكون بسفر مخصص وبدون معاودة.

---

١ «الضعفاء والمتروكين» (٥٣/٣) ، وهو مخرج في «تاريخ بغداد» كما سيأتي.

٢ (٢٤٣/٢).

٣ رقم (٥٧١).

٤ رقم (٢٠٤).

٥ رواه أحمد (٢٣٥/٥) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» ، برقم (٢٤٩٧).

الشبهة الثالثة: ربما استدل بعضهم على فضل معاودة القبر النبوي بما رواه البيهقي فقال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي ، أخبرنا حامد بن محمد بن عبد الله الهروي ، حدثنا محمد بن يونس القرشي ، حدثنا عبد الله بن يونس بن عبيد ، حدثنا أبي ، عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابرا وهو يبكي عند قبر رسول الله ﷺ وهو يقول: هٰهنا تُسكب العبرات ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة.[1]

فالجواب عن هذه الشبهة من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن هذا حديث موضوع ، ففي سنده أبو عبدالرحمن السلمي ، محمد بن الحسين النيسابوري ، ترجمه الذهبي في «السير» ، وقال:

قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة ، وكان يضع للصوفية الأحاديث.

وقال الذهبي: وللسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف ، وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي «حقائق تفسيره» أشياء لا تسوغ أصلاً ، عدَّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدَّها بعضهم عِرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى ، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة ، والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.[2] انتهى.

وقال في «الميزان» : وفي القلب مما يتفرد به.[3]

وفي سنده أيضاً محمد بن يونس بن موسى القرشي الكديمي ، قال الذهبي في «الميزان»: أحد المتروكين.

وقال ابن عدي: قد اتُّهِمَ الكديمي بالوضع.

وقال ابن حبان: لعله قد وضع أكثر من ألف حديث.

وقال ابن عدي أيضاً: ادعى الرواية عمن لم يرَهم ، ترك عامة مشايخنا الرواية عنه.

وكذَّبه أبو داود وموسى بن هارون.

وسُئل عنه الدارقطني فقال: يُـتَّهم بوضع الحديث ، وما أحسن فيه القول إلا من لم يَخبِر حاله.[4]

---

١ «شعب الإيمان» (٨ / ٩٨ - ٩٩) برقم (٣٨٦٦).

٢ «السير» ، (٢٥٢/١٧).

٣ (١١٨/٦) ، ترجمة رقم (٧٤٢٥) ، والمعنى: وفي القلب منه شيء.

٤ كل هذه النقولات عن محمد بن يونس نقلتها من «ميزان الاعتدال» (٣٧٨/٦) ، ترجمة رقم (٨٣٥٩).

وفي سنده عبد الله بن يونس بن عبيد. قال ابن حجر: مجهول الحال.[١]
وفي إسناد الحديث أيضا علي بن زيد بن جدعان ، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: ضعيف.[٢]

فإسناد الحديث ضعيف جدا.

الوجه الثاني: أن لفظة (ما بين قبري ومنبري) منكرة ، وذلك لأن النبي ﷺ – على فرض صحة الحديث – يكون قال هذا القول قبل أن يقبضه الله إليه ، فمن أين عَلم أنه سيدفن في بيت عائشة قريباً في المنبر ، فإنه لا أحد يعلم أين سيموت ، كما قال تعالى ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.

وللعلم ، فإن هذا الحديث قد رُوي بغير هذا اللفظ ، فقد رواه أحمد[٣] وأبو يعلى[٤] والبزار[٥] من طريق علي بن زيد بن جدعان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بلفظ: ما بين منبري إلى حجرتي.

ولفظ البزار: ما بين منبري وبيتي.

كما أن أصل الحديث ثابت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري علي حوضي)[٦] ، وليس فيه لفظ «قبري» ، فإنه حينئذ لم يكن قبر.[٧]

الوجه الثالث: أن هذا الحديث على تقدير صحته ليس فيه ذكر تمسح ولا تقبيل ولا سفر إليه ، فبماذا يستدل به من استدل به؟!

---

١ «التقريب» ، ترجمة رقم (٣٧٢٢).
٢ ترجمة رقم (٤٧٣٤).
٣ (٣٨٩/٣).
٤ رقم (١٧٨٤).
٥ رقم (١١٩٦) من «كشف الأستار».
٦ رقم (٧٣٣٥).
٧ وانظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٢٥/٢٧).

خلاصة

تبين مما تقدم تحريم معاودة القبور بشكل مستمر كل أسبوع أو كل جمعة ونحو ذلك ، سواء كان ذلك للقبر النبوي أو غيره من القبور ، لأن ذلك يفضي إلى تعظيمها التعظيم المفرط الذي يؤول إلى عبادتها ، وقد أصاب الشيخ محمد بن علي الشوكاني رحمه الله في كتابه «شرح الصدور في تحريم رفع القبور» إذ قال معلقا على لفظة "لا تتخذوا قبري عيدا" ما نصه:

أيْ موسما يجتمعون فيه ، كما صار يفعله كثير من عباد القبور ، يجعلون لمن يعتقدونه من الأموات أوقاتا معلومة يجتمعون فيها عند قبورهم ، ينسِكون لها المناسك ويعكفون عليها ، كما يَعرف ذلك كلُّ أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم ، وعبدوا عبدا من عباد الله ، صار تحت أطباق الثرى ، لا يقدر على أن يجلب لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما أمره الله أن يقول ﴿لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾ ، فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة الله من خلقه بأمر ربه أنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، وكذلك قال فيما صح عنه: يا فاطمة بنت محمد ، لا أغني عنك من الله شيئا.[1]

فإذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم إليه ، فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلا مرسلين؟ بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية ، وواحد من أهل هذه الملة الإسلامية ، فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضررا.

وكيف لا يعجز عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأخبر به أمته كما أخبر الله عنه ، وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، وأنه لا يغني عن أخص قرابته من الله شيئا؟

فيا عجبًا! كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم ، أو أقل حفظ من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة؟ والحال أنه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه.

فهل سمعت أُذُنَاكَ – أرشدك الله – بضلالِ عقلٍ أكبر من هذا الضلال الذي وقع فيه عباد أهل القبور؟! إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

[1] رواه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٤) ، ولفظه: يا فاطمة بنت محمد ﷺ ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئا.

وقد أوضحنا هذا أبلغ إيضاح في رسالتنا التي سميناها «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، وهي موجودة بأيدي الناس.[1]

[1] «شرح الصدور في تحريم رفع القبور» ، ص ٣٠ – ٣٢ .

العكوف من الاعتكاف ، وهو لزوم الشيء ، والعكوف منه ما هو مشروع ومنه ما هو ممنوع ، فالعكوف المشروع هو العكوف في المساجد لطاعة الله ، كالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، قال تعالى ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ ، والمعتكف يلزم المسجد ولا يخرج منه.

والعكوف الممنوع هو العكوف على فعل معصية لله ، ومن ذلك ما قصه الله علينا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما قال لقومه ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ ، أي مقيمون عندها ، ملازمين لها لعبادتها

وقد غلا بعض الناس في تعظيم الموتى حتى وصل بهم الأمر إلى حد العكوف عند قبور الصالحين ولزومها أياما للصلاة عندها والدعاء ، رجاء الأجر والمثوبة!

قال ابن تيمية رحمه الله: فأما **العكوف** والمجاورة عند شجرة أو حجر ، تمثال أو غير تمثال ، أو العكوف والمجاورة **عند قبر نبي أو غير نبي** ، أو مقام نبي أو غير نبي ، فليس هذا من دين المسلمين ، بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه حيث قال ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها **عاكفون**﴾ ، وقال تعالى ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناما فنظل لها **عاكفين**﴾ ، وقال تعالى ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم **يعكفون** على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ ، فهذا عكوف المشركين ، وذاك عكوف المسلمين ، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له ، وعكوف المشركين على ما يرجونه ويخافونه من دون الله ، وما يتخذونهم شركاء وشفعاء.[1]

وقال أيضا رحمه الله: ولهذا كان السلف يكثرون الصلاة والسلام عليه في كل مكان وزمان ، **ولم يكونوا يجتمعون عند قبره ، لا لقراءة ختمة ، ولا إيقاد شمع وإطعام وسقاء ، ولا إنشاد قصائد ولا نحو ذلك ، بل هذا من البدع** ، بل كانوا يفعلون في مسجده ما هو المشروع في سائر المساجد من الصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف وتعليم القرآن والعلم وتعلمه ونحو ذلك.[2]

---

[1] «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٨٢٧-٨٢٨).

[2] «مجموع الفتاوى» (٢٦/١٥٦).

والعكوف عند الجمادات بقصد التعبد من صفات أهل الجاهلية ، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ حُنين[١] ونحن حديثو عهدٍ بكفر[٢] ، وللمشركين سدرة **يعكُفون**[٣] حولها ويَنوطون[٤] بها أسلحتهم يقال لها «ذاتُ أنواط» ، فمررنا بسدرةٍ[٥] ، فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله أكبر ، هذا كما قالت بنو إسرائيل ﴿اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾[٦] ، لتركبُن سَنَنَ[٧] من كان قبلكم.[٨]

والخلاصة أن العكوف عند القبور يعتبر من الغلو المذموم ، وليس مما أمر الله به بل مما نهى الله عنه ورسوله ، ومن وسائل الشرك وطرق الجاهلية ، ومن أراد الاعتكاف الشرعي فليعتكف في المساجد لطاعة الله ، والله أعلم.

---

[١] أي جهة حنين.

[٢] أي أسلموا قريبا.

[٣] كان المشركون يعكفون عندها ليتبركوا بها ، نسأل الله العافية.

[٤] أي يُعلِّقون عليها.

[٥] أي سدرة أخرى.

[٦] سورة الأعراف: ١٣٨ .

[٧] السَّنن جمع سُنَّة وهي الطريقة ، سواء كانت طريقة شرعية أو بدعية أو شركية.

[٨] رواه الترمذي (٢١٨٠) وصححه الألباني رحمه الله.

الذبح عبادة

الذبح عبادة وقربة ، لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل

أدلة تحريم الذبح لغير الله

مظاهر معاصرة للذبح لغير الله

فصل في بيان أنواع الذبح

استطراد

الذبح عبادة

الذبح عبادة عظيمة ، دل على عِظَمها أن الله قرنها بالصلاة – التي هي أعظم شعائر العبادات – في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿قل إن **صلاتي ونسكي** ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ ، ومعنى نسكي أي ذبحي.

وقال تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك **وانحر**﴾.

ومن اللطائف أن الله ذكرهما بعد ذِكر حوض الكوثر ، وفصل بينهما بفاء السببية ، فدل على أن إخلاصهما لله من أسباب الحصول على ذلك الجزاء المذكور ، وهو الشرب من نهر الكوثر ، والكوثر نهر في الجنة ، قال النبي ﷺ : وأعطاني الكوثر ، فهو نهر في الجنة ، يسيل في حوضي.[1]

والصلاة والذبح شأنهما عظيم ، ولذا كان النبي ﷺ كان كثير الصلاة كثير الذبح ، فإنه لما حج عليه الصلاة والسلام نحر مائة من الإبل ، مع أن المجزئ أقل من ذلك عنه وعن أهل بيته ممن حج معه.

ومما يدل على عظم عبادة الذبح أيضا أنه تجتمع فيها عبادتا الإنفاق والذبح ، بما يبذله الذابح من مال لشراء ذبيحته.

ومما يدل على أن الذبح عبادة أن الرسول ﷺ سن لنا الأضحية في عيد الأضحى ، وسن لنا هدي الحج ، بل إن الله عد إراقة دماء الهدي من التقوى كما في قوله تعالى ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ ، ومن المعلوم أن كل ما أمر الله به ورتب على فعله ثوابا فهو عبادة ، وهذا هو ضابط المسألة.

كما عد الله الذبح من شعائر الله ، ورتب الخير على ذبحها ، كما في قوله تعالى ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾ ، أي ثواب في الدار الآخرة ، قال سفيان الثوري: كان أبو حاتم يستدين ويسوق البُدن فقيل له: تستدين وتسوق البدن؟ فقال: إني سمعت الله يقول ﴿لكم فيها خير﴾.

ومما يدل أيضا على أن الذبح عبادة أن الله جعله كفارة لمن ارتكب شيئا من محظورات الإحرام ، كما في قوله تعالى ﴿فمن كان مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو **نسك**﴾ ، ففي هذه الآية نجد أن الذبح قد قام مقام الكفارات الأخرى المتعلقة بالحج كالصيام والإطعام ، وكلاهما عبادات ، فدل ذلك على أن الذبح عبادة أيضا ، لأنه لا يقوم مقام العبادة إلا عبادة.

---

1 نهر الكوثر غير حوض النبي صلى الله عليه وسلم ، فنهر الكوثر في الجنة وهو الذي قال الله فيه (إنا أعطيناك الكوثر) ، أما حوض النبي صلى الله عليه وسلم فإنه في عرصات القيامة ، يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي بالجنة.

والذبح أيضا كفارة لمن ترك شيئا من واجبات الحج كالمبيت بمزدلفة ورمي الجمار والمبيت بمنى ونحو ذلك.
كما شرع الله للمُحصَر – وهو الذي مُنع أو عَجز عن إتمام حجه – أن يذبح هديا إذا لم يستطع إكمال نسكه ، كما في قوله تعالى ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾.
قال ابن تيمية رحمة الله تعالى: ولهذا لما كان الذبح **عبادة في نفسه** كره علي رضي الله عنه وغير واحد من أهل العلم – منهم أحمد في إحدى الروايتين عنه – أن يُوكِّل المسلم في ذبح نسيكته كتابيا ، لأن نفس الذبح عبادة بدنية مثل الصلاة.[1]
وقال الشوكاني رحمه الله: ولا شك أن النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها كالهدايا[2]والفدية والضحايا ، فالمتقرب بها إلى القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرض لذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه واستدفاع الشر به ، **وهذه عبادة لا شك فيها** ، وكفاك من شر سماعه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: لا عقر في الإسلام. قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر يعني بقرا أو شياها. رواه أبو داود بإسناد صحيح عن أنس بن مالك.[3]

فالحاصل أن الذبح من أفضل الطاعات وأعظم القربات ، وهو عبادة كالصلاة والصيام وغيرها من العبادات سواء بسواء ، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك ، والله أعلم.

الذبح عبادة وقربة ، لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل

كل ما أمر الله به فهو عبادة ، وقد أمر الله بأن لا يقصد الذابح بذبحه التقرب لله ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي **لله** رب العالمين﴾ ، وقوله ﴿فصل لربك وانحر﴾.
ومما يدل على وجوب إخلاص الذبح لله وحده ما رُوي عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند ذبح أضحيته: اللهم منك **ولك** ، وعن محمد وأمته ، بسم الله والله أكبر.[4]

---

1 «اقتضاء الصراط المستقيم» ، (570/2).
2 جمع هدي ، وهو ما يقربه الحاج المتمتع والقارن.
3 «شرح الصدور في تحريم رفع القبور» ، وقد تقدم تخريج الحديث المذكور.
4 رواه أبو داود (2795) ، وابن ماجه (3121) ، وأحمد (375/3) عن جابر رضي الله عنه.

أدلة تحريم الذبح لغير الله

لما تقرر أن الذبح عبادة ، فعليه فإن الذبح لغير الله حرام ، بل هو شرك في العبادة ، ولذا جاءت الأدلة الدالة على تحريم الذبح لغير الله ، فمن ذلك قول الرسول ﷺ : لعن الله من **ذبح لغير الله** ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض.[1]

- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: دخل الجنة رجل في ذباب[2] ، ودخل النار رجل في ذباب.

قالوا: وكيف ذلك ؟

قال: مر رجلان على قوم لهم صنم عظيم ، لا يجوزه[3] أحد حتى يُـقرِّب له شيئا ، فقالوا لأحدهما قرِّب ، قال: ليس عندي شيء ، قالوا له: قَـرِّب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً فخلَّوا سبيله ، فدخل النار.

وقالوا للآخر: قَـرِّب ولو ذبابا.

قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة.[4]

فالرجل الأول ذبح لغير الله فدخل النار ، مع أنه ذبح شيئا حقيرا وهو الذباب ، والآخر امتنع من الذبح لغير الله – مع أنه في أمر حقير – ولكن لكونه شركا أبى ، فدخل الجنة.

ففي هذه القصة بيان عظم إثم الشرك ، **وسهولة الوقوع فيه** ، وصدق رسول الله ﷺ : الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك.[5]

"فقف عند هذا وتأمل حكمة الشريعة وسرها في إخلاص العبادة والتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله ، ولو بأحقر شيء كالذباب ، فكيف بكرائم الأموال؟ والله المستعان."[6]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا فَـرْع ولا عتيرة.

---

1 رواه مسلم (1978) عن علي رضي الله عنه.

2 أي بسبب ذباب.

3 يجوزه أي يتجاوزه ويتعداه.

4 رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (33028) ، وأحمد في «الزهد» – قسم المقدمة ، أثر رقم (84) ، وأبو نعيم في «الحلية» (261/1) عن سلمان الفارسي موقوفا ، وصححه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه لأحاديث كتاب «التوحيد» ، باب ما جاء في الذبح لغير الله.

5 رواه البخاري (6488) ، وأحمد (387/1) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

6 قاله الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن في «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، ص 247 .

والفرع أول النتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم ، والعتيرة في رجب.[1]
قال الخطابي[2] رحمه الله: وأما العتيرة التي كانت تعتِـرها الجاهلية فهي الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ، فيُصب دمها على رأسها.[3]

- ومما يدل على تحريم الذبح لغير الله إجماع المسلمين على ذلك ، وقد نقل إجماعهم الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وما أهل لغير الله به﴾: أي ما ذُبح فذُكر عليه اسم غير الله فهو حرام ، لأن الله تعالى أوجب أن تُذبح مخلوقاته على اسمه العظيم ، فمتى عُدل بها عن ذلك وذُكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات **فإنها حرام بالإجماع**.[4]

وقال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» عند شرحه لقوله ﷺ : (لعن الله من ذبح لغير الله) ما نصه:

وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى ، كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك ، فكل هذا حرام ، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا ، نص عليه الشافعي **واتفق عليه أصحابنا** ، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له – غير الله تعالى – والعبادة له **كان ذلك كفرا ، فإن كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا**.

وقال أيضا رحمه الله: ومن المفاسد البالغة إلى حدٍّ يَرقى بصاحبه إلى وراء حائط الإسلام ، ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكان من الدين ؛ أن كثيرا منهم يأتي بأحسن ما يملكه من الأنعام ، وأجود ما يحوزه من المواشي ، فينحره عند ذلك القبر ، متقربا به إليه ، راجيا ما يُضمر حصوله له منه ، فيُهِلُّ به لغير الله ، ويتعبد به لوثن من الأوثان ، إذ أنه لا فرق بين النحائر لأحجارٍ منصوبةٍ يسمونها وثنا ، وبين قبرٍ لميتٍ يسمونه قبرا ، **ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئا ، ولا يؤثر تحليلا ولا تحريما ،**

---

1 رواه البخاري (5473) ومسلم (1976).

2 هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي ، أبو سليمان ، حمد بن محمد البستي الخطابي ، رحل كثيرا في طلب العلم ، ثم ألف وصنف مصنفات مفيدة منها شرح سنن أبي داود المعروف بـ «شرح السنن» ، و «غريب الحديث» و «الغنية عن الكلام وأهله». توفي سنة 383 . انظر ترجمته في «السير» (23/17).

3 نقله ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث».

4 «تفسير ابن كثير» ، سورة المائدة: 3 .

فإن مَن أطلق على الخمر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها ، بلا خلاف بين المسلمين أجمعين.[1]

فالحاصل مما تقدم من كلام أهل العلم أنه يجتمع في الذبح لغير الله مانعان:

الأول: أن الذبيحة مما أهل لغير الله ، أي قُصدت لغير الله فلا يجوز أكلها ، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾.

والمانع الآخر: أنها ذبيحة مرتد ، والمرتد لا يجوز أكل ذبيحته ، لأنه لا يجوز إلا أكل ذبيحة المسلم والكتابي – أي اليهودي والنصراني – ، أما المرتد والوثني فلا يجوز أكل ذبيحتهما ، بإجماع المسلمين.

- **ومن أدلة** النهي **عن الذبح لغير الله أن النبي ﷺ سد الذرائع المؤدية إليه** ، ومن ذلك نهيه ﷺ عن العقر ، فقد روى أنس عن النبي ﷺ قال : لا عقر في الإسلام.[2]
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن معاقرة الأعراب.[3]

فإن قيل: وما العقر؟

فالجواب: أن العرب في الجاهلية كانوا يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد يقولون: نُجازيه على فعله ، لأنه كان يعقِرها في حياته فيطعمها الأضايف ، فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطير ، فيكون مُطعِماً بعد مماته كما كان مُطعِماً في حياته ، ومنهم من كان يعتقد أنه إذا عُقرت راحلته عند قبره حُشِر راكباً ، ومن لم يُعقر عنه حُشر راجلاً ، وكان هذا على مذهب من يرى البعث بعد الموت.[4]

وذكر البيهقي جوابا آخر فقال:

قال أبو زكريا[5]: العقر يعني: الأعراب عند الماء يعقر هذا ويعقر هذا ، فيأكلون لغير الله ورسوله.

وقال أبو سليمان الخطابي فيما بلغني عنه: معاقرة الأعراب أن يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجادل صاحبه ، فيعقر هذا عددا من إبله ، ويعقر صاحبه ، فأيهما كان أكثر عقرا غَلَب صاحبه ، وكره لحومها لئلا يكون مما أهل به لغير الله.[1]

---

[1] «شرح الصدور في تحريم رفع القبور» ، ص 34 .

2 رواه أبو داود (3222) ، والبيهقي (314/9) ، وعبد الرزاق (6690) ، ومن طريقه أحمد في «المسند» (197/3). وقال الشيخ شعيب في تخريجه لأحاديث «المسند» (333/20): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

3 رواه أبو داود (2820) ، والبيهقي (314/9).

4 «زيارة القبور عند المسلمين» ، ص 54 .

5 هو أبو زكريا الحمَّال ، كانوا ينقلون عنه فوائد في غريب الحديث.

وبكل حال ، فالعقر حرام كما تقدم ، قال ابن تيمية رحمه الله:

وأما الذبح هناك[2] فمنهي عنه مطلقاً ، ذكره أصحابنا وغيرهم ، لما روى أنس عن النبي ﷺ قال: لا عقر في الإسلام.

رواه أحمد وأبو داود ، وزاد: قال عبد الرزاق: كانوا[3] يعقرون عند القبر بقرة أو شاة.

قال أحمد: كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزوراً[4] على قبره ، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

وكره أبو عبد الله أكل لحمه.[5]

قال أصحابنا: وفي معنى هذا ما يفعله كثير من أهل زماننا في التصدق عند القبر بخبز أو غيره.[6] انتهى.

- **ومن ذرائع الذبح لغير الله** التي سدها الشارع الحكيم نهيه عن الذبح في المواضع التي يُذبح فيها لغير الله – وإن كان الذابح يقصد بذبحه الله وحده – فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في أن ينحر إبلا ببُوانة[7] ، فقال الرسول ﷺ : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟

قالوا: لا.

قال: فهل كان فيها عيد من أعيادها؟

قالوا: لا.

فقال رسول الله ﷺ : أوفِ بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم.[8]

---

1 «السنن الكبرى» (314/9).

2 أي عند القبور.

3 أي في الجاهلية.

4 الجزور هو البعير ، ذكرا كان أو أنثى. انظر «النهاية».

5 وهذه الكراهية من الإمام أحمد تحمل على التحريم ، حيث تورع عن إطلاق لفظ التحريم وأطلق لفظ الكراهية كما هو كثير في مسائله وأراد بها التحريم ، كما قال في الجمع بين الأختين بملك اليمين: أكره ، وغير ذلك من مسائله. انظر «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم ، فصل: تحريم القول على الله بغير علم.

6 «اقتضاء الصراط المستقيم» ، (745/2-746) ، باختصار يسير.

7 بُوانة: هضبة من وراء ينبع. انظر «النهاية».

8 تقدم تخريجه.

فصل

والذبح لغير الله من فعل أهل الجاهلية ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ لقي زيد بن عـمرو بن نفيل[1] بأسفل بَـلدح[2] قبل أن ينزل الوحي على النبي ﷺ ، فـقُدِّمت إلى النبي الله ﷺ سُفرة فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد: **إني[3] لست آكل مما تذبحون على أنصابكم** ، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه ، فإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم **تذبحونها على غير اسم الله؟!** إنكارا لذلك وإعظاما له.[4]

وقال أبو ذر رضي الله عنه في حديث إسلامه: "كأني نصُبٌ أحمر"[5] ، يريد أنه كان أحمرَ من تلوثه بدماء القرابين التي كانت تذبح لغير الله.

قال ابن تيمية رحمه الله: قالوا: كان حول البيت ثلاثمائة وستون حجرا ، كان أهل الجاهلية يذبحون عليها ، ويُشرِّحون اللحم عليها ، وكانوا يعظمون هذه الحجارة ، ويعبدونها ، **ويذبحون عليها** ، وكانوا إذا شاءوا بدَّلوا هذا الحجارة بحجارة هي أعجب إليهم منها.[6]

مظاهر معاصرة للذبح لغير الله

والذبح لغير الله واقع الآن في بلاد المسلمين ، فتجد بعض الناس يأتي بالأغنام ويذبحونها عند بعض القبور المعظمة ، يتقربون بها لصاحب القبر.

---

1 هو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل ، وهو والد سعيد بن زيد أحد العشرة ، وكان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك ، لكنه مات قبل المبعث ، روى محمد بن سعد والفاكهي من حديث عامر بن ربيعة قال: قال لي زيد بن عمرو: إني خالفت قومي ، واتبعت ملة إبراهيم واسماعيل وما كانا يعبدان ، وكانا يصليان إلى هذه القبلة ، وأنا انتظر نبيا من بني إسماعيل يبعث ، ولا أراني أُدركه ، وأنا أؤمن به وأصدقه ، وأشهد أنه نبي ، وإن طالت بك حياة فأقرأه مني السلام.

قال عامر: فلما أسلمت أعلمت النبي ﷺ بخبره ، قال: فرد عليه السلام وترَحَّم عليه ، قال: ولقد رأيته في الجنة يسحب ذيولا.

باختصار يسير من شرح ابن حجر رحمه الله لهذا الحديث في «فتح الباري».

2 بلدح موضع في طريق التنعيم. انظر «فتح الباري».

3 قوله (إني وما بعدها) من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

4 رواه البخاري (3826).

5 رواه مسلم (2473) ، وأحمد 175/5 بنحوه.

6 «اقتضاء الصراط المستقيم» ، (2/ 561 - 562).

فالرعاة في شرقي الأردن يطوفون بالأغنام حول مقام النبي هوشع "في أزمان الأوبئة ، ويختارون خير النعاج ، ويُصعِدونها إلى سطح المقام وينحرونها فيسيل دمها على عتبته."[1]
"وأكثرهم يسِمْها للقبر من حين تُولد ، ويربيها له إلى أن تصلح للقربة في عرفهم ، ولا يجوز عندهم تبديلها ولا خصيها ، ولا يذهب شيء من وجهها ، إذ ذلك عندهم نقص فيها وبخس."[2]

ومن المظاهر المعاصرة الذبح لغير الله الذبح للجن ، فهذا وإن لم يكن من مظاهر الغلو بالموتى الذي هو موضوع البحث ، ولكن ذكرته هنا لتمام الفائدة ، فبعض الناس – هداهم الله – إذا اشترى دارا أو حفر بئرا ذبح ذبيحة للجن حتى يرضى عنه ولا يصيبه بأذى ، وهذا من جنس ما كان يفعله المشركون في الجاهلية ، الذين كانوا إذا نزلوا واديا في أسفارهم أو مكانا موحشا استعاذوا بكبير ذلك الوادي من الجن من أن يصيبهم بأذى ، كما قال تعالى عنهم ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾[3] ، وهذا شرك ، والواجب اللجوء إلى الله وحده ، والاستعاذة بالله وحده.
ومن ذلك أيضا ما يفعله بعض الناس من الذبح للجني المتلبس بالإنسي ، تقربا إليه حتى يخرج منه ، وهذا شرك أيضا ، فالذبح للجني وسيلة شركية لخروج الجني من الإنسي ، وضررها أعظم من تلبس الجني بالإنسي ، والذي ينبغي فعله هو إخراج الجن بوعظه وتذكيره بالله وبعقوبة ظلمه وإضراره لذلك المريض ، فلعل الجني إن كان مسلما أن يقبل الموعظة ويخرج ، وإن لم يكن مسلما فإن القراءة تُضيِّق عليه فيخرج ، وبكل حال فإن فساق الجن وكفرتهم لا يتحملون سماع القرآن ، خصوصا إذا كان القارئ من أهل الصلاح والاستقامة ، ومن المعلوم أن القرآن شفاء للأمراض الحسية والمعنوية كما قال تعالى ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾.

فصل في بيان أنواع الذبح

والذبح ينقسم إلى أنواع متعددة بحسب مقصد الذابح وتسميته على الذبيحة ، وهي:
الأول: أن يذكر اسم الله على ذبيحته التي يقصد بذبحها التقرب إلى الله تعالى ، كذبح الأضاحي والهدايا والكفارات ونحو ذلك فهذا هو مشروع ، ومن القربات التي تقرب العبد إلى ربه.

---

1 من مقال «المزارات في شرق الأردن» ، ص 903 ، عن مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، خالد أبو الفتوح ، نقلا من ص 68 «دمعة على التوحيد».
2 «زيارة القبور عند المسلمين» ، ص 143 – 144 .
3 انظر تفسير سورة الجن من «تفسير القرآن العظيم» لعماد الدين ابن كثير رحمه الله.

الثاني: أن يذكر اسم الله على ذبيحته التي يقصد بذبحها أمرا مباحا ، كتكريم ضيف ، أو التمتع باللحم وإطعام الأولاد – سواء كان الذابح مسلما أو يهوديا أو نصرانيا – فهذا مباح ، بل يمكن أن يلحق ذبحه بالعبادات إذا قصد الذابح بذلك طاعة الله لكون إكرام الضيف من حسن الخلق الذي أمر به الإسلام ، أو قصد التقوي بالأكل على طاعة الله ، أو إطعام الفقراء والعيال.

الثالث: أن ينسى ذكر اسم الله على ذبيحته التي قصد بها النوع الأول أو الثاني ، فهذه الذبيحة جائزة[1] ، لقوله تعالى ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ ، فقال الله: قد فعلت.[2]

الرابع: أن يتعمد ترك ذكر اسم الله على ذبيحته التي قصد بها النوع الأول أو الثاني ، فهذا فسق ومعصية ، والذبيحة خبيثة لا يجوز أكلها كما قال تعالى ﴿**ولا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وإنه لفسق**﴾.

الخامس: أن يقصد بذبحه التقرب لغير الله كجني أو ميت أو نبي أو غير نبي كابن علوان أو عبد القادر أو العيدروس أو غيرهم فهذا شرك أكبر ، سواء ذكر اسم الله أم لا.

السادس: أن يذكر اسم الله على ذبيحته التي يقصد بها تعظيم سلطان ونحوه ، كبعض الذين يذبحون الذبائح **على الطرق** عند قدوم السلطان إذا مر بهم تعظيما له ، فهذا فيه التفات القلب لغير الله ، فتكون الذبيحة خبيثة لا يجوز أكلها ، وعلى من أراد تكريم ضيف أن يذبح الذبيحة في مكان الذبح

---

[1] قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ مقررا أن نسيان التسمية لا يضر:

هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك ، وأحمد بن حنبل ، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه ، وإسحاق بن راهويه ، وهو محكي عن علي ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيَّب ، وعطاء ، وطاوس ، والحسن البصري ، وأبي مالك ، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد ، وربيعة بن أبي عبد الرحمٰن.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: من حرَّم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة ، وخالف الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك.

يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أبو أمية الطرسوسي ، حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا معقل بن عبيد الله ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال: المسلم يكفيه اسمه ، إن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله.

وهذا الحديث رفعه خطأ. انتهى كلام ابن كثير رحمه الله باختصار.

قلت: وقد صححه ابن حجر في «الفتح» (539/9) موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما ، وتابعه الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه «إرواء الغليل» (170/8).

[2] رواه مسلم (126) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

المعروف ثم يطعم أضيافه ، ولا يذبح على الطرق لأن هذا من التعظيم الزائد عن الحد ، ويورث الكبر في نفس الذابح والمذبوح له ، ودليل على الإسراف والمخيلة.

بل قد قال النووي رحمه الله: وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان **تقربا إليه** ؛ أفتى أهل بُخارة بتحريمه ، **لأنه مما أهل به لغير الله تعالى**.[1]

قلت: وقد قرأت ورقة مصورة بخط يد الشيخ فهد بن عبد الله السليمان[2] حفظه الله ، دوَّن فيها فائدة قيدها من شيخه ابن عثيمين رحمه الله ، ذكر فيها أنه خطب خطبة يوم الجمعة يوم 1414/11/25 هجري ، فقال: تطرق الشيخ محمد الصالح العثيمين إلى أن الذبح يُعتبر عبادة ، فلا يجوز صرفها لغير الله ، ولذلك لا يجوز أن يُذبح لِملِك أو رئيس أمامه ذبيحة بقصد الذبح أمامه فقط ، لأن هذا يعتبر شرك[3] ، لكن لو ذبحها في مكان آخر وقدمها للمَلِك أو الرئيس لكان هذا جائز[4] ، لأنه يعتبر من كرم الضيافة. حُرِّر في 1414/11/26 هـ. انتهى نقله.

استطراد

فإن قيل: ما حكم الصدقة عند القبر ، بأن تُذبح ذبيحة لله تعالى ويُتصدق بلحمها عند القبر؟

وقد أجاب ابن تيمية رحمه الله عن هذا السؤال فقال:

وكذلك الصدقة عند القبر كرهها العلماء ، وشرط الواقف ذلك شرط فاسد ، وأنكَرُ مِن ذلك أن يوضع على القبر الطعام والشراب ليأخذه الناس ، فإن هذا ونحوه من عمل الكفار التُّرك ، لا من عمل المسلمين.[5]

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم[6] رحمه الله مفتي الديار السعودية سابقا في «الفتاوى»:

---

1 «شرح النووي على صحيح مسلم» ، حديث رقم (1978).

2 هو أحد طلبة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله ، وقد نقل عنه علما جما من خلال ما نشره من كتبه وفوائده ، جزاه الله خيرا.

3 هكذا ، والصواب: شركا.

4 هكذا ، والصواب: جائزا.

5 «الفتاوى» (26 / 307).

6 هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ، ولد عام 1311 هـ ، بدأ حفظ القرآن في الثامنة من عمره ، ثم طلب العلم على يد جمع من علماء نجد في العقيدة والفقه والحديث والفرائض وغيرها ، بذل نفسه للتعليم بذلا عظيما ، متعه الله بذكاء وقاد وحافظة قوية ، تخرج على يديه ثلة من علماء نجد ، أبرزهم مفتي عام المملكة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، والشيخ عبد الله

ومن المكروه عقر أهل الجاهلية عند القبر لا تقرباً إليه بل لأنه يحب الضيوف ، هذا هو الذي يَعنُون. قوله (وفي معناه الصدقة عند القبر): فإنه مكروه وبدعة.[1]

قلت: وقد سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية عن حكم توزيع الأطعمة والفواكه عند القبور فأجابت بأن توزيع الفواكه والأطعمة عند القبور بدعة.[2]

بن محمد بن حميد ، رئيس المجلس الأعلى للقضاء ، وغيرهم كثير ، توفي رحمه الله عام 1389 هـ ، وقد خلف قاعدة علمية صلبة من العلم والعلماء والكليات والمدارس والمعاهد والمدارس والحلق العلمية ، قامت على سوقها الدعوة الإسلامية في المملكة فيما بعد.

1 (235/2) ، رقم الفتوى: 942 .

2 الموقعون على الفتوى هم أصحاب الفضيلة العلماء: عبد الله بن قعود ، عبد الله بن غديان ، عبد الرزاق عفيفي ، عبد العزيز بن باز ، رحمهم الله جميعا. رقم الفتوى (6167) ، وتقع في «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (109/9) ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

ومن مظاهر تعظيم الموتى الطواف بقبورهم ، وهذا شرك صريح ، لأن الطواف عبادة ، قال تعالى ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ ، وإذا ثبت أن الطواف عبادة فصرفه لغير الله شرك.

ومن المعلوم أن الله لم يشرع طوافا إلا الطواف بالكعبة – زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة – ، فمن طاف بغيرها فقد فعل في دين الله ما ليس منه ، وعمله مردود عليه ، كما قال ﷺ : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.

والطواف بغير الكعبة من مظاهر الغلو عند الجاهلية الأولى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيات نساء دوسٍ[1] حول ذي الـخُـلَصة.[2]

وكانت[3] صنما تعبدها دوسا في الجاهلية بتبالة.[4]

قال النووي الشافعي رحمه الله في شرح الحديث: أما قوله «أَلَيات» فبفتح الهمزة واللام ، ومعناه أعجازهن ، جمع أَلَية ، والمراد يضطربن **من الطواف** حول ذي الخلصة ، أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها.

وأما تبالة: موضع باليمن. انتهى الغرض من كلامه.

وقال الطحطاوي[5] الحنفي رحمه الله في حاشيته على «مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح»: لا يجوز الطواف حول مسجدٍ أو بيتٍ سوى الكعبة تَشبُّها.[6]

وقال زين الدين ابن نجيم الحنفي رحمه الله في «البحر الرائق شرح كنز الدقائق»: لا يجوز الطواف حول سائر البيوت تشبها بالطواف حول الكعبة.[7]

---

[1] دوس هي قبيلة في جنوب الجزيرة العربية.

[2] رواه مسلم (٢٩٠٦).

[3] أي ذي الخلصة.

[4] هذه الجملة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] هو الشيخ أحمد بن محمد الطهطاوي ، ويقال له الطحطاوي ، فقيه حنفي ، اشتهر بكتابه «حاشية الدر المختار» ، وله حاشية على كتاب «مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح» ، توفي سنة ١٢٣١. انظر ترجمته في «الأعلام» (٢٤٥/١).

[6] (١٢١/٣) ، باب أحكام العيدين ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، ١٤١٨ هجرية. الناشر: دار الكتب العلمية.

[7] (٤٢١/٤) ، تحقيق: زكريا عميرات ، ط ١ ، ١٤١٨ هجرية. الناشر: دار الكتب العلمية.

مقدمة في أدلة تحريم الحلف بغير الله

فصل في بيان إجماع العلماء على تحريم الحلف بغير الله

ذكر أنموذج من نماذج الحلف بأصحاب القبور

شبهة والجواب عليها

فائدة

مقدمة في أدلة تحريم الحلف بغير الله

من مظاهر تعظيم الصالحين الحلف بهم ،كالحلف بالنبي ﷺ ، أو الحلف بالعباس بن عبد المطلب أو بالبدوي أو بعلي بن أبي طالب أو بغيرهم فهذا شرك ، لأن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به تعظيما لا يليق إلا بالله ، وهذا شرك في التعظيم ، ثم (إن الحالف يُقيم المحلوف به مقام الشهود الذين رأوا أو سمعوا ، والمخلوق إذا كان غائباً لا يرى ولا يسمع ، فإذا حلف به كان قد أعطاه صفات من يرى ويسمع ، والحال أنه بخلاف ذلك.

ومن ناحية أخرى ؛ الحالف والمستحلَف بالله يعلمان أن الله تعالى قادر على أن ينتقم من صاحب اليمين الغموس ، وغيرُ الله إذا ما حُلِف به لا يقوى ولا يقدر على شيء من ذلك ، والعلم عند الله تعالى).[1]

والدليل على تحريم الحلف بغير الله حديث سعد بن عبيدة أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع رجلا يقول: لا والكعبة ، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.[2]

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائك.

قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرا ولا آثرا.[3]

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث:

قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى ، فلا يُضاهى به غيره ، وقد جاء عن ابن عباس :لأَن أحلف بالله مائة مرة فآثَمُ خيرٌ من أن أحلف بغيره فأبَرُّ.

قوله (ما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا)؛ معنى (ذاكرا): قائلا له من قِبَلِ نفسي.

(ولا آثرا): أي حالفا عن غيري[4]. انتهى الغرض منه.

---

١ قاله الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ من سورة المعارج.

٢ رواه أبو داود (٣٢٥١) واللفظ له ، والترمذي (١٥٣٥) ، وأحمد (١٢٥/٢) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

٣ رواه البخاري (٦٦٤٧) ومسلم (١٦٤٦).

٤ أي ولا أحكي عن غيري كلاما فيه حلف بغير الله.

وعن ثابت بن الضحاك – وكان من أصحاب الشَّجرة – أن رسول الله ﷺ قال: من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى ، فليقل لا إله إلا الله.[2]

ومن اللطائف أن السلف كانوا يرون الحلف بالله كاذبا أهون من الحلف بغير الله صادقا ، فقد روى عبد الرزاق في «مصنفه» عن الثوري عن أبي سلمة عن وبرة قال: قال عبد الله – لا أدري ابن مسعود أو ابن عمر –: لإن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا.

وأخرجه الطبراني في «الكبير»[3] ، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.[4]

وروى عبد الرزاق في «المصنف»[5] والبيهقي في «السنن»[6] أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الله ابن الزبير: اِحلف بالله فائثم أو ابرُر.

أي احلف بالله ولا تحلف بغيره سواء كنت بارا أو فاجرا في حلفك ، فعمر رضي الله عنه يرى أن الحلف بالله كاذبا أهون من الحلف بغير الله صادقا.

قال الشيخ محمد عارف خوقير الكتبي المكي[7] رحمه الله:

---

١ رواه البخاري (٦٠٤٧).

٢ رواه البخاري (٤٨٦٠).

٣ (٢٠٥/٩) ، برقم (٨٩٠٢).

٤ (١٧٧/٤).

٥ (٤٦٨/٨).

٦ (٢٩/١٠).

٧ الشيخ محمد من علماء الحجاز ، دافع عن التوحيد في بلاد الحجاز أيام الدولة العثمانية ، وردَّ على بعض من أثار بعض الشبهات المتعلقة بالتوسل والاستغاثة ، من أحاديث موضوعة وحكايات ومنامات وغيرها ، قال محقق كتابه «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال»: (ولعله الكتاب المكِّي الوحيد في تلك الفترة الذي رد على شبهات الخرافيين المستغيثين بغير الله تعالى ، إذ انتشرت كتب أحمد زيني دحلان وكتب يوسف النبهاني وغيرهما ممن نصروا البدعة وشيدوا بنيانها).

توفي الشيخ محمد سنة ١٣٤٩ هجري ، رحمه الله رحمة واسعة.

انظر مصادر ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه المذكور ، وقد قامت بنشره دار المسلم بالرياض ، بتحقيق: أبي بكر بن سالم الشهال جزاه الله خيرا.

ولقد بلغ التعظيم للأموات في قلوب الجهال فوق الغلو إلى حدٍّ نسوا الله فيه ، يحلف أحدهم بالله كاذبا ولا يحلف بالولي الذي يعتقده خوفا من العَطَب[1] ، حتى أدى هذا الحال عند بعض المتأخرين من القضاة تحليف من طلب منه اليمين فوق قبر الولي الذي يعتقده ، فيمسكونه المصحف فوق التابوت ، ويُحَلِّفونه به![2]

قلت: وخوف الخائف من الولي الميت يعتبر من خوف السر الذي لا يجوز أن يصرف لغير الله ، لأن الله وحده هو الذي يدبر هذا الكون ويقدر ما فيه من مرض أو موت أو غيره ، أما المخلوقين فليس لهم شيء من ذلك ، ولا يجوز أن يُخاف منهم إلا الخوف الطبيعي الحسي ، كالخوف من عدو متربص أو حيوان صائل.

وقال ابن تيمية رحمه الله: وقد اتفق العلماء على أنه لا ينعقد اليمين بغير الله تعالى ، وهو الحلف بالمخلوقات ، فلو حلف بالكعبة ، أو بالملائكة ، أو بأحد من الشيوخ أو الملوك لم ينعقد يمينه ، ولا يشرع له ذلك ، بل ينهى عنه.

ثم قال: وأصل القول بانعقاد اليمين بالنبي ضعيف شاذ ، ولم يقل به أحد من العلماء فيما نعلم ، والذي عليه الجمهور كمالك والشافعي وأبي حنيفة أنه لا ينعقد اليمين به ، كإحدى الروايتين عن أحمد ، وهذا هو الصحيح.[3]

وقال أيضا: وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشائخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه ، غير منعقد باتفاق الأئمة ، ولم ينازعوا إلا في الحلف برسول الله خاصة ، والجمهور على أنه لا تنعقد اليمين لا به ولا بغيره ، وقد قال النبي: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) ، وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) ، فمن حلف بشيخه أو بتربته أو بحياته أو بحقه على الله ، أو بالملوك أو بنعمة السلطان أو بالسيف أو بالكعبة أو أبيه أو تربة أبيه أو نحو ذلك كان منهيا عن ذلك ، ولم تنعقد يمينه باتفاق المسلمين.[4]

---

١ أي خوفا من الضرر.

٢ «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال» ، ص ٥٥ .

٣ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

٤ «مجموع الفتاوى» (٥٠٦/١١).

فصل في بيان إجماع العلماء على تحريم الحلف بغير الله

قال ابن تيمية رحمه الله: أما الملائكة فاتفق المسلمون على أنه لا يحلف بأحد منهم ، ولا تنعقد اليمين إذا حلف به ، وهذا أيضا قول الجمهور في الأنبياء كلهم ، نبينا وغيره ، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد – في إحدى الروايتين – ، وعنه أنها تنعقد بالنبي ﷺ خاصة ، اختارها طائفة من أصحاب أحمد كالقاضي أبي يعلى وغيره ، وخصوا ذلك بالنبي ﷺ ، وابن عقيل عدى ذلك إلى سائر الأنبياء ، والصواب قول الجمهور ، وأنه لا تنعقد اليمين بمخلوق ، لا بنبي ولا غيره ، بل ينهى عن الحلف به.[1]

ثم قال رحمه الله: فإذا قيل لا يحلف به أو لا يحلف بالأنبياء ولا بالملائكة لم يكن هذا معاداة لهم ولا سبا ولا تنقصا بهم عند أحد من المسلمين ، وكذلك سائر خصائص الرب إذا نفيت عنهم فقيل: لا تعبد الملائكة ولا الأنبياء ، ولا يسجد لهم ، ولا يصلى لهم ، ولا يصام لهم ، ولا يدعون من دون الله ، ونحو ذلك ؛ كان هذا توحيدا وإيمانا ، لم يكن هذا تنقصا بهم ولا سبا لهم ولا معاداة كما قال تعالى ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة﴾ – إلى قوله – بعد ﴿إذ أنتم مسلمون﴾.[2]

قلت: وقد حكى ابن حزم رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم الحلف بحق المخلوقين فقال:

واتفقوا أن من حلف ممن ذكرنا بحق زيد أو عمرو أو بحق أبيه أنه آثم ولا كفارة عليه.[3]

يقصد بقوله (ممن ذكرنا): الحر والعبد والأنثى ، الذين ذكرهم في كلام سابق له.

ذكر أنموذج من نماذج الحلف بأصحاب القبور

في الأردن طال الجدال بين الأعراب على سرقة جَدي ، وكان المتهم جالساً بين الحضور ينكر السرقة ، فقال له أحد الحاضرين: لا ريب أنك أنت السارق ، ودلائل الخوف بادية على وجهك ، فقال: أُقسم بالله ورسوله ما مددت يدي إلى الحرام ، فقام أحدهم وقال: لا بِالله ، لا نقبل يمينك ، أقسم لنا بـ (ضريح) الهلاهلة ، فلما سمع ذِكر الهلاهلة امتقع لونه وقال: (لا أقسم ، ويل للحالف ، وويل للمحلَّف).

---

١ «الرد على الإخنائي» ، ص ٢١٩ .

٢ «الرد على الإخنائي» ، ص ٢١٩ .

٣ كتاب «مراتب الإجماع» (١/١٥٨) ، فصل الأيمان والنذور.

قلت: وهذا الانحراف العَقدي أثر من آثار الضعف في استحضار واستشعار الصفات التالية لله سبحانه وتعالى: العظيم[1] ، والرقيب ، والشهيد ، والعليم.[2]

شبهة والجواب عليها

أشكل على بعض الناس حديث طلحة بن عبيد الله ، أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس ، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة.

فقال: هل علي غيرهن؟

قال: لا ، إلا أن تطوع ، وصيام شهر رمضان.

فقال: هل علي غيره؟

فقال: لا ، إلا أن تطوع.

وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال: هل علي غيرها؟

قال: لا ، إلا أن تطوع. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: **أفلح وأبيه إن صدق ، أو: دخل الجنة وأبيه إن صدق.**[3]

فأشكل على بعض الناس قوله ﷺ : أفلح وأبيه إن صدق ، ففهموا منها جواز الحلف بغير الله.

فالجواب: أن هذه اللفظة شاذة كما قال الألباني رحمه الله ، لأنها تخالف روايات أصح منها ، انظر كلامه مطولا في «السلسلة الضعيفة»[4].

---

١ قال صاحب المقال المنقول منه: نلاحظ أن الإلحاد في اسمه تعالى «العظيم» يدخل فيه معظم الشركيات ، لأنها ناتجة عن تعظيم القبوريين لهذه الأضرحة وأصحابها.

٢ من مقال «المزارات في شرق الأردن» ، ص ٩٠٨ ، عن مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، خالد أبو الفتوح ، نقلا من «دمعة على التوحيد».

٣ رواه مسلم (١١).

٤ رقم (٤٩٩٢).

وقيل: إن النبي ﷺ قالها قبل النهي عن الحلف بالآباء ، والله أعلم.
وهناك أحاديث أخرى فيها: «وأبيك» ، أو «وأبيه» ، وقد بين ضعف تلك الروايات الشيخ الوليد بن سيف النصر في كتابه «إعلام الغافل والنبيه في تضعيف روايات «وأبيك» أو «أبيه» ، يسر الله نشره.

فإن قيل: ما حكم قول: لَعَمْرِي؟
فالجواب أنها قد اختلف العلماء فيها ، هل هي بهذه الصيغة قسمٌ أم لا؟ والذي عليه الشيخ العلامة حماد الأنصاري – رحمه الله تعالى – في رسالته «القول المبين في أن (لعمري) ليست نصاً في اليمين» ، أنها مما يجري على اللسان وليست قسماً.
وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «معجم المناهي اللفظية»[1]: إن أراد القَسَم مُنِع ، وإلا فلا كما يجري على اللسان من الكلام مما لا يُراد به حقيقة معناه.[2]

فائدة

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر[3] رحمه الله:
وأما الحلف فلم يأمرنا الله به ، بل أمرنا بحفظه ، فقال ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ ، فإن المعنى: لا تحلفوا ، وقيل: لا تحنثوا.
ولا يرِد على هذا ما ورد عن النبي ﷺ أنه حلف في مواضع ، فإن اليمين تُستحب إذا كان فيها مصلحة راجحة.
وعلى هذا حمل العلماء ما روي في ذلك عن النبي ﷺ ، فهو يحلف لمصالح مطلوبة للأمة ، كزيادة إيمانهم ، وطمأنينة قلوبهم ، كما أمره الله بذلك في ثلاثة مواضع من كتابه.

---

١ ص ٤٧١ .

٢ نقلا من حاشية الشيخ علي رضا بن علي رضا على كتاب «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص ٨٥ .

٣ هو الشيخ العلامة حمد بن ناصر آل معمر ، ولد عام ١١٦٠ هـ في بلدة العيينة ، نشأ في بيت حكم وإمارة ، فآباؤه هم أمراء نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، أخذ العلم عن جماعة من العلماء ، منهم إمام الدعوة في زمانه ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولما بلغ في العلم مبلغا كبيرا جلس للتدريس في العيينة ، فدرس على يديه أئمة في العلم والعمل ، وهم الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، والشيخ عبد الله أبابطين ، رحمهم الله.
وفي سنة ١١٢٢ هـ تولى رئاسة القضاء في مكة المكرمة ، وتوفي فيها عام ١٢٢٥ ، رحمه الله.
باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتاب «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين» ، وهي من إعداد الشيخ د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله.

وأما الحلف لغير مصلحة فليس مشروعا بل يباح إذا كان صادقا.[1]

١ «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين» ، ص ٥٨ – ٥٩ .

تأصيل ، النذر عبادة ، وصرفه لغير الله شرك

أقسام النذر

النذر لغير الله من المسائل التي أجمع علماء المسلمين على تحريمها

تأصيل ، النذر عبادة ، وصرفه لغير الله شرك

النذر عبادة من العبادات ، لأن الله تعالى مدح الموفين به ، والله لا يمدح إلا على فعل عبادة ، ولا يَمدح على فعل المباح المجرد.

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى على قول الله تعالى ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾: إن الله تعالى أثنى عليهم[1] بذلك ، وجعله[2] من الأسباب التي بها يدخلون الجنة ، ولا يكون سببا يدخلون به الجنة **إلا وهو عبادة** ، فيقتضي أن صرفَه لغير الله شرك.[3]

قال مقيده عفا الله عنه: ومن مظاهر تعظيم الموتى النذر لهم ، كمن يأتي إلى قبر رجل صالح ويقدم له شيئا من النذور من مال أو طعام ، ويطلب منه حاجته من شفاء مريض أو كشف كربة ونحو ذلك.

ولا شك أن هذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، لأن النذر عبادة ، والعبادات لا يجوز صرف شيء منها لغير الله مطلقا.

أقسام النذر

ينقسم النذر إلى نوعين شرعي وشركي ، فأما الشرعي فينقسم إلى نوعين: **نذر جائز** ، **ونذر مكروه** ، فأما النذر الشرعي فهو النذر لفعل طاعة بدون تعليق على حصول منفعة دنيوية ، كقول نذرت لله أن أتصدق بمائة ريال ، فهذا نذر شرعي جائز ، والوفاء به واجب ، ويؤجر الناذر على الوفاء به كما تقدم.

والنوع الثاني هو النذر المكروه ، وصفته أن ينذر الناذر أن يفعل طاعة من الطاعات إذا تحققت له مصلحة دنيوية معينة ، كأن يقول: إذا شفى الله مريضي تصدقت بمائة ريال.

وعلة الكراهة في هذا النذر هو تعليق الطاعة بمصلحة دنيوية ، إن تحققت فَعَلَ الطاعة ، وإن لم تتحقق لم يفعلها ، فهذا النذر وإن كان جائزا فإنه مكروه ، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: نهى النبي ﷺ عن النذر ، قال: إنه لا يَرُدُّ شيئا ، وإنما يُستخرج به من البخيل.[4]

أي لا يَرُدُّ شيئا من قضاء الله.

وأما النذر الشركي فهو النذر لغير الله ، وقد تقدم الكلام عليه.

ومن أدلة تحريم النذر لغير الله تعالى قوله ﷺ : لا نذر إلا فيما يبتغى به وجه الله.[1]

---

١ أي المؤمنين.

٢ أي الوفاء بالنذر.

٣ «القول المفيد» (٣١٧/١).

٤ رواه البخاري (٦٦٠٨) ومسلم (١٦٣٩).

قال الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي رحمه الله في كتابه «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور»:
"هذا وقد صار الناذرون يقول أحدهم: مرضت فنذرت ، ويقول الآخر: ركبت البحر فنذرت ، ويقول الآخر: حُبست فنذرت ، ويقول الآخر: أصابتني فاقة فنذرت ، وقد قام بنفوسهم أن هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم ، وقد أخبر الصادق المصدوق أن نذر الطاعة لله – فضلا عن معصيته – ليس سببا لخير ، وإنما الخير الذي يحصل للناذر موافقة قدرٍ كموافقة سائر الأسباب ، ثم تجد كثيراً من الناس يقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني أو المشهد الفلاني يقبل النذر ، بمعنى أنهم نذروا له نذراً إن قُضيت حاجتهم ، فقُضيت ، فيغترون بذلك.[٢]

النذر لغير الله من المسائل التي أجمع علماء المسلمين على تحريمها

كلام الأحناف

النذر لغير الله من المسائل التي أجمع علماء المسلمين على تحريمها ، قال الشيخ قاسم[٣] في «شرح الدرر»[٤]: النذر الذي ينذره أكثر العوام ، فيأتي بعض قبور الصلحاء فيقول: يا سيدي ؛ إن رُدَّ غائبي ، أو عُوفي مريضي ، أو قُضيت حاجتي ؛ فَلَكَ من الذهب كذا ، ومن الطعام كذا ، ومن الشمع كذا ؛ فهذا النذر **باطل بالإجماع** لوجوه:
منها أنه نذر لمخلوق ، والنذر لمخلوق لا يجوز.
ومنها ، أنه ظنَّ أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى ، واعتقاد ذلك كفر. انتهى.
وزاد الحصفكي[٥]: وقد ابتُلي الناس بذلك ولاسيما في هذه الأعصار.

وزاد ابن عابدين: ولاسيما في مولد السيد أحمد البدوي.[١]

---

[١] رواه أبو داود (٣٢٧٣) وأحمد (١٨٥/٢) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وحسنه الشيخ الألباني كما في «صحيح أبي داود» ، وكذا محققو «المسند».

[٢] ص ٦٩ – ٧٠ ، باختصار ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة.

[٣] هو الإمام قاسم بن قطلوبغا ، صاحب كتاب «تاج التراجم» ، توفي عام ٨٧٩ .

[٤] أي «درر البحار» لشمس الدين الفونوي ، المتوفى عام ٧٨٨ .

[٥] هو الشيخ محمد بن علي بن محمد الحصني ، الدمشقي ، المعروف بالحصفكي ، فقيه محدث مفسر نحوي أصولي ، له عدة مؤلفات منها: «الدر المختار» في فروع الفقه الحنفي. توفي رحمه الله سنة ١٠٨٨ . انظر ترجمته في «هداية العارفين» و «معجم المؤلفين».

فصرح بأن هذا النذر كفر يكفر به المسلم.

كلام المالكية

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي[٢] المالكي رحمه الله في «كتاب الحوادث والبدع»:

فانظروا رحمكم الله ، أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ، ويعظمون من شأنها ، ويرجون البرء والشفاء من قِبَلِها ، وينوطون بها المسامير والخرق ، فهي «ذات أنواط» ، فاقطعوها.[٣]

قال جلال الدين السيوطي بعدما نقل كلام الطرطوشي:

وهذا أمر منكر قبيح ، فإن هذا يشبه عبادة الأوثان ، وهو ذريعة إليها ، أو نوع من عبادة الأوثان ، إذ عُباد الأوثان كانوا يقصدون البقعة بعينها لتمثال هناك أو غير تمثال ، يرجون الخير بقصدها ، ولم تَستحِب الشريعة ذلك ، فهو من المنكرات ، وبعضه أشد من بعض ، وسواء قصَدَها ليصلي عندها أو ليدعو أو ليقرأ أو ليذكر الله أو ليذبح عندها ذبيحة أو يخصها بنوع من العبادة.

وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتنويرها أو شمعا ، ويقول: إنها تقبل النذور ، كما يقول بعض الضالين.

أو ينذر ذلك لقبر ، أيُّ قبر كان ، **فإن هذا نذرُ معصية باتفاق العلماء** ، لا يجوز الوفاء به ، بل عليه كفارة يمين عند كثير من العلماء ، منهم أحمد وغيره.

وكذلك إذا نذر خبزا أو غيره للحيتان التي في عين أو بئر ، وكذلك إذا نذر مالا ، دراهم أو ذهبا أو غنما أو بقرا أو جملا أو معِـزا للمجاوِرين عند القبور ، أو عند هذه الأماكن المنذور لها ، ويُسمَّوْن «السدنة» ، فهذا أيضا نذر معصية ، **وفيه شبهٌ من النذر لسدنة الأصنام**.[٤]

---

١ **تنبيه:** يسر الله نقل كلام الحصفكي وابن عابدين رحمهم الله من الكتاب النفيس «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» للدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله ، ص ١٥٥٠ – ١٥٥١ ، وقد نقل كلامهم من كتب الأحناف الفقهية التالية:

١. «البحر الرائق» لابن نجيم (٢٩٨/٢) ، (الناشر: دار الكتب العربية بمصر).
٢. «الدر المختار» للحصفكي مع «رد المحتار» لابن عابدين (٤٣٩/٢-٤٤٠).
٣. «الفتاوى الديوبندية» (٩٩/١٢).

٢ هو محمد بن الوليد الأندلسي الطرطوشي ، شيخ المالكية ، له كتاب مشهور في التحذير من البدع وهو «كتاب الحوادث والبدع» ، توفي رحمه الله سنة ٥٢٠ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٩٠/١٩).

٣ ص ٣٩ ، تحقيق: علي بن حسن بن عبد الحميد ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

٤ «الأمر بالاتباع والنهي عن الاتباع» ، ص ١١٧ – ١١٨ .

وقال أيضا: وقد يُحكى عندها[1] من الحكايات التي فيها تأثيـــر ، مثل أن رجلا دعا عندها فاستُجيب له ، أو نَذَر لها فقُضيت حاجته ، أو نحو ذلك ، **وبمثل هذه الأمور كانت تُعبد الأصنام ، وبمثل هذه الشبهات حدث الشرك في الأرض.**[2]

كلام الشافعية

وقال الأذرُعي[3] الشافعي رحمه الله في كتابه «قوت المحتاج شرح المنهاج»:

وأما الـنَّذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ ، أو على اسم من حلَّها من الأولياء ، أو تردَّد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين ؛ فإن قَـصَدَ الناذر بذلك تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دُفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه ؛ فهذا النذر باطل غير منعقد ، فإن معتقَدَهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يُدفع بها البلاء ، ويُستجلب بها النعماء ، ويُستشفى بالنذر لها من الأدواء ، حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لِما قيل إنه استند إليها عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السُّرُج والشمع والزيت ، ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر ، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض ، أو قدوم غائب ، أو سلامة مال ، وغير ذلك من أنواع نُذر المجازاة ، **فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا** ، ومِن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء ، فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركا وتعظيما ظانا أن ذلك قربة ، **فهذا مما لا ريب في بطلانه ، والإيقاد المذكور محرم** ، سواء انتَـفع به منتفع أم لا.[4]

وقال جلال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله في كتاب «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع»:

ومن البِدع أيضا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعُمُد[5] بالزعفران ، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد بمنام لُبِّس عليهم[6] ، فيفعلون ذلك ويظنون أنهم يتقربون بذلك ، ثم يتجاوزون في

---

١ أي عند القبور.

٢ ص ١٢٤ .

٣ هو أحمد بن حمدان الأذرعي ، أبو العباس ، فقيه شافعي ، توفي سنة ٧٨٣ ، انظر ترجمته في «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة و «الدرر الكامنة» لابن حجر رحمه الله.

٤ استفدت هذا النقل عن الأذرعي من كتاب «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» للشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، بتحقيق الشيخ د. الوليد بن عبد الرحمٰن آل فريان حفظه الله ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

٥ أي الأعمدة.

٦ أي لُبِّس عليه عن طريق رؤيا منامية أن فيه بركة.

ذلك إلى تعظيم تلك الأماكن في قلوبهم ، **فيُعظمونها ويرجون الشفاء وقضاء الحوائج بالنذر لها** ، وتلك الأماكن من بين عيون وشجر وحائط وطاقة وعمود ، وما أشبه ذلك بـــ «ذات أنواط»[1].[2]

كلام الحنابلة

وقال ابن تيمية رحمه الله: ولهذا لا يشرع **باتفاق المسلمين** أن ينذر للمشاهد التي على القبور ، لا زيت ولا شمع ولا دراهم ولا غير ذلك.[3]

مسألة: فإن سأل سائل فقال: ما حكم الوفاء بالنذر الذي نذر لغير الله؟

فالجواب أنه يحرم عليه الوفاء به لقوله ﷺ : من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه.[4]

أقول: والنذر لغير الله واقع الآن في بلاد المسلمين ، قال الشاعر حافظ إبراهيم[5] رحمه الله مخاطبا شيخ الأزهر في زمانه ، واصفا حال الذين ينذرون الأموال العظيمة لأصحاب القبور في زمانه:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألفِ ألفٍ ترزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة	قامت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرِي حولها	بحرُ النذور وتُـقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى	ووسيلةٌ تقضى بها الحاجات

---

١ أي: ما أشبه تلك الأماكن بـــ «ذات أنواط» ، وهي الشجرة التي كان المشركون يتبركون بها ، والأنواط هي الأغصان.

٢ ص ١١٥ ، باختصار.

٣ «مجموع الفتاوى» (٣١٩/٢٤).

٤ رواه البخاري (٦٧٠٠) عن عائشة رضي الله عنها.

٥ هو محمد حافظ إبراهيم ، شاعر مصر القومي ، ومُدوِّن أحداثها نيفاً وربع قرن ، له ديوان شعر ، توفي عام ١٣٥١ ، انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي.

ومن مظاهر تعظيم البشر جعل الله واسطة بين الخلق والخلق ، كقول القائل لشخص آخر: (إني استشفِع بالله إليك) ، فهذا أقبح من اتخاذ المخلوق واسطة بين المخلوق وبين الله ، لأن الصورة الأولى تقتضي جعل الله في مرتبة بين المخلوق والمخلوق ، وأما الصورة الثانية فتقتضي مساواته به ، وكلاهما قبيح ، ولكن الصورة الأولى أقبح.

وقد ورد في هذا الباب حديثا ضعفه بعض أهل العلم وصححه بعضهم ، وعلى كل حال فمعناه صحيح قطعا ، وهو حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال يا رسول الله: جَهِدت الأنفس[1] وضاعت العيال ، ونَهِكت الأموال ، وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله ﷺ : ويحك ، أتدري ما تقول؟

وسبَّح رسول الله ﷺ ، فما زال يُسَبِّح حتى عُرِف ذلك في وجوه أصحابه[2] ، ثم قال: ويحك ، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأنُ الله أعظم من ذلك ، ويحك ، أتدري ما الله؟ ... الخ.[3]

قال ابن تيمية رحمه الله في «الرد على الجهمية»:

وقوله في الحديث: إن الله لا يُستشفع به على أحد من خلقه ، أي الله هو الذي يَفعل ، لا يَشفع إلى غيره في أن يفعل ، وهذا كما يقوله الشعراء مخاطبا للنبي ﷺ :

شفيعي إليك الله لا شيء غيره[4]

وهذا الحديث قد يطعن فيه بعض المشتغلين بالحديث انتصارا للجهمية وإن كان لا يفقه حقيقة قولهم وما فيه من التعطيل ، مع أن هذا الحديث وأمثاله وفيما يشبهه في اللفظ والمعنى لم يزل متداولا بين أهل العلم خالفا عن سالف ، ولم يزل سلف الأمة وأئمتها يروون ذلك رواية مصدِّقٍ به ، رادٍّ به على من خالفه من الجهمية ، متلقين لذلك بالقبول ، حتى قد رواه الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه في «التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يَحتج فيه إلا بأحاديث الثقاة المتصلة الإسناد ، رواه عن بندار ، كما رواه الدارمي وأبو داود سواء.[5] انتهى الغرض منه.

---

[1] جَهِدت الأنفس أي بلغها الجَهد وهو المشقة. انظر «النهاية».

[2] النبي ﷺ سبَّح تنزيها لله عما وصفه به الأعرابي من صفة النقص ، وهي اتخاذ الله شفيعا بينه وبين النبي ﷺ .

[3] رواه أبو داود (٤٧٢٦).

[4] تمام البيت: (وليس إلى ردِّ الشفيع سبيل) ، كما في «قاعدة جليلة» ، ص ٢٤٨ .

[5] (٥٦٩/١ – ٥٧٠).

ومن مظاهر الغلو في أصحاب القبور تعظيمهم إلى حد الخوف من بطشهم وعقابهم ، فقد بلغ الأمر ببعض المنتسبين للإسلام أن يخافوا من أصحاب الأضرحة كخوفهم من الله تعالى ، ومن ذلك قول بعضهم إذا مر بجانب قبر (ولي): (استر) ، فهو يطلب الستر من غير الله ، وهذا الخوف يعتبر شركا أكبر ، لأن الخوف خوفان:

خوف طبيعي ، وهو الخوف من الأشياء الحسية الطبيعية ، كالخوف من الأسد ، ومن عدو كاسر كلص ونحوه ، وهذا الخوف ليس بمذموم ، لأنه من طبيعة البشر التي جبلهم الله عليها.

النوع الثاني هو خوف السر ، وهو اعتقادُ مخلوقٍ أن لمخلوقٍ مشيئةً وعلمًا وتدبيرًا خفيا تضاهي مشيئة الله وعلمه وتدبيره ، فيخشاه كما يخشى الله ، فيخشى أن يصيبه بمرض أو فقر ونحو ذلك ، فهذا النوع من الخوف يسمى خوف السر ، ومن وقع فيه فقد أشرك ، لأن خوف السر عبادة ، لا يجوز صرفه إلا إلى الله وحده ، فمن صرفه لغير الله فقد أشرك.

والحق أن تدبير هذا الكون وتقدير ما فيه بيد الله وحده لا شريك له ، ليس للعباد فيه تدبير أو تقدير أو مشيئة إلا ما مكَّنهم الله منه ، فمن خاف من غير الله أن يُصيبه أو أولاده بمرض أو بموت ونحوه فقد صرف له حقا من حقوق الله ، وجعل هذه العبادة القلبية الجليلة شِركة بين الله وبين خلقه.

ومع الأسف الشديد ، فقد جُعلت بعض الأضرحة الوثنية حرماً آمناً يُهرع إليها المجرمون والفارون ، ويلجأ إليها الخائفون ، ليأمنوا في رحابها ، ويستريحوا في ظلالها ، ولم يكن ليجرؤ أحد من الحكام في ذلك الزمن أن ينتهك حرمة ضريح لاذ به مجرم ، أو عاذ به فار فيُلقي عليه القبض ، مهما كان جرمه ومهما بلغت جنايته ، وكثيراً ما عُفي عن اللائذين بالأضرحة من المجرمين إكراماً للمدفونين ، أو خشية ورهبة من انتقامهم وبأسهم.[1]

وقبل دهر مضى في بلاد الحجاز ، عسى ألاَّ يعود ، لم يكن الأمر بأقل سوءاً من هذا ، ففي مكة كانت الاستغاثات والأدعية تعلو عند قبر (أبي طالب) وقبر (المحجوب) ، وكان تعظيم هٰذين القبرين يفوق

---

١ عزاه خالد أبو الفتوح في مقاله «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» إلى كتاب ««الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر» لبخيت الزهراني ص ٣٣٩ . انظر ص ٦٦ – ٦٧ من «دمعة على التوحيد».

تعظيم الكعبة عند كثير من الجهال ، حتى إن السارق أو المعتدي أو الغاصب إذا لجأ إلى أحد هٰذين القبرين لم يتعرض له أحد بما يكره ، أما إن تعلق بالكعبة فإنه يُسحب منها بالأذيال.[1]

وقد ذكر ابن تيمية أن طائفة من أصحاب الكبائر كانوا إذا رأوا قُبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة خَشي من فعل الفواحش ، ويقول أحدهم لصاحبه: (ويحك هذا هلال القبة) ، فيخشون المدفون تحت الهلال ، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض ، وجعَل أهلة السماء مواقيت للناس والحج.[2]

١ بتصرف يسير من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، نقلا من «دمعة على التوحيد» ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

٢ انظر «الاستغاثة في الرد على البكري» (٤٦٩/٢).

أدلة النهي عن تصوير ذوات الأرواح على هيئة تماثيل

من مظاهر تعظيم الموتى تصويرهم على هيئة تماثيل ، وهذا منهي عنه لعلتين:

الأولى: أن التصوير مضاهئة ومشابهة لخلق الله.

الثاني: أنه وسيلة إلى عبادة من جُعلت الصورة على هيئته ، فقد كان المشركون يعبدون صورهم ، بقصد تذكر أصحابها وسيرهم ، كما حصل من قوم نوح عليه الصلاة والسلام لما صنعوا التماثيل ، ثم عبدها من جاء بعدهم.

ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا[1] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[2] ، وسمَّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم[3] عُبدت.[4]

وروى ابن جرير بإسناده إلى الثوري عن موسى عن محمد بن قيس أنه قال عن يغوث ويعوق ونسرا: كانوا قومًا صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس ، فقال: إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، **فعبدوهم**.[5]

قال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[6]

وبعد نشوء الشرك وعبادة الأصنام في قوم نوح تتابع الناس على ذلك وانتشر بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ ، أما وُد فكانت لكلب بدومة

---

١ أي ماتوا.

٢ أي اصنعوا أنصابا ، وهي تماثيل تصنع على هيئتهم ثم تنصب في المجالس ليراها الناس فيقتدوا بهم في أفعالهم! وهكذا دخل عليهم الشيطان.

٣ أي تحوَّل من حال إلى حال. انظر «النهاية».

قال مقيده: وسبب التحول والتحريف هو عدم الحفظ.

٤ تقدم تخريجه.

٥ «تفسير ابن جرير» ، سورة نوح: ٢٤ .

٦ «إغاثة اللهفان» (٣٣٢/١).

الجندل[1] ، وأما سُواع فكانت لهُذيل ، وأما يغوث فكانت لمُراد ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمْدان ، وأما نسر فكانت لحِمْير ، لآل ذي الكَلاع.[2]

وقال قتادة: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ، **ثم اتخذها العرب بعد ذلك**.[3]

وبناء على ما تقدم من الحقائق التاريخية ، فقد قرر ابن القيم في «زاد المعاد» أن غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور.[4]

قال ابن القيم رحمه الله: ومن هٰهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورها ، فوَضْعُ الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب ، فجمعوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائباً منابَه وقائماً مقامَه ، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلٰهه ومعبودَه.[5]

وقال ابن تيمية رحمه الله: فلما ظهر دين المسيح عليه السلام بعد أرسطو بنحو ثلاثمائة سنة في بلاد الروم واليونان ؛ كانوا على التوحيد ، إلى أن ظهرت فيهم البدع ، **فصوروا الصور المرقومة**[6] في الحيطان ، وجعلوا هذه الصور عِوضاً عن تلك الصور.

وكان من أعظم أسباب عبادة الأصنام تصوير الصور وتعظيم القبور.[7]

قال مقيده: إن طبيعة الإنسان الوثني ميالة إلى تجسيد الآلهة وتصوير المعظمين الميتين في صور محسوسة ، ولهذا جاء في النهي عن اتخاذ الصور عدة أحاديث منها:

حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات **بنوا على قبره مسجدًا** وصوَّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة.[8]

---

١ موضع في شمال جزيرة العرب.

٢ انظر تتمة حديث ابن عباس السابق الذي رواه البخاري.

٣ «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: ٢٤ ، (١٢/٢٥٤).

٤ «زاد المعاد» (٣/٤٥٨).

٥ «إغاثة اللهفان» (٩٧٥).

٦ مرقومة أي منقوشة. انظر «النهاية».

٧ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/٣٤٦) ، باختصار.

٨ تقدم تخريجه.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين **وتصوير صورهم فيها كما يفعل النصارى ، ولا ريب أن كل واحد منهما محرَّم على انفراده** ، فتصوير صور الآدميين محرم ، وبناء المساجد على القبور بانفراده محرم كما دلت عليه نصوص أخر.[1]

وليتأمل القارىء الكريم وصف النبي ﷺ للمتخذين التماثيل والقبور بأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

وعن أبي الهَيَّاج الأسدي أنه قال: قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع **تمثالا إلا طمسته** ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته.[2]

ولفظ النسائي: ولا صورة في بيت إلا **طمستها**.

والطمس هو المحو بقطع الرأس أو تحطيم الصورة بالكلية.

وعن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصوِّر هذه الصور فأفتني فيها ، فقال له: أدنُ مني ، فدنا منه ثم قال: أدنُ مني ، فدنا حتى وضع يده على رأسه قال: أُنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **كل مصور في النار** ، يُجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم.

وقال: إن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له.[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : تخرج عنق من النار يوم القيامة ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول: إني وُكِلت بثلاثة: بكل جبار عنيد ، **وبكل من دعا مع الله إلٰها آخر ، وبالمصورين.**[4]

قال مقيده عفا الله عنه: ومما يدل على قبح اتخاذ التماثيل أن الرسول ﷺ لما دخل مكة فاتحا أمر بتطهير البيت الحرام من الأصنام المصورة ، **وشارك بيده الشريفة في تكسيرها** ، وكان عددها ستين وثلاثمائة ، فعُلِم من هذا أن ما كان وسيلة لهدم التوحيد في النفوس فحقه الهدم ابتداء ، فعن ابن مسعود رضي الله

---

١ «فتح الباري» لابن رجب ، شرح حديث رقم (٤٢٧).

٢ تقدم تخريجه.

٣ رواه البخاري (٢٢٢٥) ، ومسلم (٢١١٠) واللفظ له.

٤ تقدم تخريجه.

عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب[١] ، فجعل يطعنها بعودٍ في يده ويقول ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ ، ﴿جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾.[٢]

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾:

في هذه الآية دليل على كسر نُصُبِ المشركين وجميع الأوثان إذا غلب عليهم[٣] ، ويدخل بالمعنى كسر آلة الباطل كله وما لا يصلح إلا لمعصية الله ، كالطنابير والعيدان والمزامير التي لا معنى لها إلا اللهو بها عن ذكر الله تعالى. انتهى.

وكان بداخل الكعبة صور لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهم يستقسمون بالأزلام[٤] ، فلُطِّخت بالزعفران ، ولم يدخل الكعبة إلا بعد إخراجها منها ، وقال: قاتلهم الله ، ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام.[٥]

وفي رواية للبخاري: هذا إبراهيم مصوَّر ، فما له يستقسم؟[٦]

وروى الإمام أحمد[٧] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان في الكعبة صور ، فأمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب أن يمحوها ، فبلَّ عمر ثوبا ومحاها به ، فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء.

ولم يكتف النبي ﷺ بتطهير الكعبة من الأصنام ، فأرسل في نفس الشهر بعد فتح مكة مباشرة بعوثا إلى مناطق مختلفة لهدم ما بها من أصنام ، فأرسل خالد بن الوليد في ثلاثين رجلا إلى «بطن نخلة» من ديار ثقيف لهدم «العزى»[٨] ، وأرسل بعثا لهدم صنم «مناة» ، وأرسل بعثا لهدم صنم «اللات» ، وهذه

---

١ قال القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا: إنما كانت بهذا العدد لأنهم كانوا يعظمون في كل يوم صنما ، ويخصون أعظمها بيومين. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ، تفسير سورة الإسراء: ٨١ .

٢ رواه البخاري (٤٢٨٠) ، ومسلم (١٧٨١).

٣ أي إذا تغلب عليهم الإمام.

٤ قال ابن جرير رحمه الله موضحا معنى قوله تعالى ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ في مطلع سورة المائدة:
تطلبوا علم ما قُسِم لكم أو لم يُقسم بالأزلام ، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو نحو ذلك أجال القداح (أي أدارها) ، وهي الأزلام ، وكانت قداحا مكتوبا على بعضها: «نهاني ربي» ، وعلى بعضها: «أمرني ربي» ، فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه: «أمرني ربي» ، مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك ، وإن خرج الذي عليه مكتوب: «نهاني ربي» ، كفَّ عن المُضي لذلك وأمسك فقيل : ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ ، لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم يسألون أزلامهم أن يَقسمن لهم. انتهى باختصار.

٥ رواه البخاري (٤٢٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٦ رواه البخاري (٣٣٥١).

٧ (٣٩٦/٣) ، وقال محققوه: حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن.

٨ رواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٣).

الأصنام الثلاثة هي الأصنام المعظمة عند العرب ، والتي أشار الله إليها بقوله ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى﴾.

فالحاصل أن اتخاذ التماثيل على شكل الآدميين محرم في دين الإسلام ، لما تقرر أن غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور ، ولهذا لما قدم عمر الشام صنع له رجل من عظماء النصارى طعاما ودعاه ، فقال عمر: إنا لا ندخل كنائسكم من الصور التي فيها ، يعني التماثيل.[1]

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يصلي في البِيْعة ، إلا بِيعة فيها تماثيل.[2]

١ رواه البخاري في كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، تعليقا ، ووصله عبد الرزاق في «المصنف» ، (١٦١١،١٦١٠).

٢ رواه البخاري في كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، تعليقا ، ووصله عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٠٨).

مقدمة تأصيلية

فصل في بيان أقسام التبرك المشروع والتبرك الممنوع

ذِكرُ شيءٍ من مظاهر التبرك الممنوع

فصل في بيان أدلة النهي عن التبرك بالقبور بالتمسح بها وتقبيلها

تنبيهات في مسألة التبرك بالجمادات

شبهات والجواب عليها

خلاصة القول في مسألة التبرك

مقدمة تأصيلية

البركة هي كثرة الخير وثبوته في الشيء ، يقال: رجل مبارك أي كثير الخير والنفع للآخرين ، والقرآن وصفه الله بأنه مبارك لكثرة خيره ومنافعه واستقرار ذلك الخير فيه ، فكأن الخير قد برك فيه.

والتبرك هو طلب البركة والتماسها ، ومصدر البركة هو الله وحده لا شريك له ، فهو خالقها وواهبها سبحانه ، فكما أن الرزق والنصر والعافية من الله وحده وهو خالقها وواهبها ؛ فكذلك البركة ، واهبها هو الله وحده ، وقد قرر النبي ﷺ ذلك في أحد أسفاره حتى لا يظن الناس أن النبي ﷺ هو الذي يأتي بالبركة ، فعن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قلَّ ذات يومٍ عند المسلمين ، فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلةً[1] من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حيَّ على الطهور المبارك ، **والبركة من الله**) ، فلقد رأيتُ الماء ينبُعُ من بين أصابع رسول الله ﷺ .[2]

وفي لفظٍ: فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلتُ في بطني منه ، فعلمتُ أنه بركة ، قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفا وأربع مائة.[3]

فقوله: (**والبركة من الله**) هو الشاهد من الحديث.

فإذا تقرر عندنا أن البركة من الله وحده ؛ فبناء عليه فإن طلب البركة والتماسها من غير الله يعتبر شركا في الدعاء ، سواء كان ذلك المطلوب منه حيا أو ميتا ، نبيا أو رجلا صالحا أو دون ذلك ، كائنا حيا أو جمادا ، بل المشروع هو طلب البركة من الله وحده.

---

١ أي بقية من ماء قليلة.

٢ رواه البخاري (٣٥٧٩) عن جابر رضي الله عنه ، ورواه الترمذي (٣٦٣٣) والنسائي (٧٧) وأحمد (١/٤٦٠) والدارمي في المقدمة ، باب «ما أكـــرم الله النبي صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه» ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

٣ رواه البخاري (٥٦٣٩).

فصل في بيان أقسام التبرك المشروع والتبرك الممنوع

التبرك منه ما هو مشروع في الشريعة الإسلامية ومنه ما هو ممنوع ، والتبرك المشروع يكون في خمسة أشياء: في الأقوال والأفعال والأمكنة والأزمنة والذوات.

فالتبرك الشرعي بالأقوال كذكر الله وقراءة القرآن والدعاء ، وبركة ذلك تكون بما جعل الله في ذكره ودعائه من الأجر والشفاء من الأمراض الحسية والمعنوية والحصن من الشيطان وحصول المنافع الدينية والدنيوية ، وغير ذلك من منافع الذكر. [1]

والتبرك بالأفعال كصلاة الجماعة والحج والجهاد وطلب العلم ونحو ذلك ، وبركته تحصل بما يترتب على القيام بذلك الفعل من الأجر والمثوبة وغفران الذنوب وعبادة الله على بصيرة.

التبرك بالأمكنة: ومن سعة رحمة الله وفضله أن خص بعض الأماكن بمزيد بركة ، كالمساجد عموما والمساجد الثلاثة خصوصا ، وبركتها تكون بما جعل الله في الصلاة فيها من الأجر وإجابة الدعاء.

ومن الأمكنة المباركة أيضا مكة التي قال الرسول ﷺ فيها: والله إنك **لخير أرض الله** وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت. [2]

وبركتها تحصل بما يكون للعابد فيها من مضاعفة الأجر والثواب ، فإن الصلاة فيها خير من مائة ألف صلاة فيما سواها من المساجد.

ومن الأمكنة المباركة أيضا المدينة النبوية ، فإن الله قد خصها بمزيد بركة ، فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: تُفتح اليمن ، فيأتي قوم يُسُّون [3] ، فيتحمَّلون [4] بأهليهم ومن أطاعهم ، **والمدينة خير لهم** لو كانوا يعلمون.

وتُفتح الشام ، فيأتي قوم يُسُّون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، **والمدينة خير لهم** لو كانوا يعلمون.

---

١ وقد ذكر العلامة ابن القيم في كتابه «الوابل الصيب من الكلم الطيب» أن للذكر أكثر من مائة فائدة ، وذكر منها ثمان وسبعون ، فليراجعها من أراد الفائدة.

٢ تقدم تخريجه.

٣ أي يزينون للناس الخروج من المدينة.

٤ أي يحملون أهلهم ومتاعهم ويرحلون.

وتُـفتح العراق فيأتي قوم يبُـسُّـون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، **والمدينة خير لهم** لو كانوا يعلمون.[1]

ومن الأمكنة المباركة أيضا الشام ، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: طوبى للشام. قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمٰن باسطة أجنحتها عليه.[2]

ويدل لبركة الشام أيضا قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي **باركنا** حوله﴾ ، والشام هو ما حول الأقصى.

فمن سكن المدينة أو مكة أو الشام ملتمسا ما جعل الله في تلك البقاع من كثرة الأرزاق أو دفع الفتن فإنه يرجى له حصول مطلوبه ، وهذه هي صفة التبرك الشرعي بتلك الأماكن.

ومن التبرك بالأمكنة ما هو بدعي بل شركي ، كالتبرك بالقبور وجدران البناء المبني عليها ونوافذه ونحو ذلك ، وهذا منكر عظيم ، إذ إن "العكوف عند القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك **هو أصل الشرك وعبادة الأوثان** ولهذا قال النبي ﷺ : اللهم لا تجعل قبري وثنا ، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".[3]

ولو كان التبرك بها من الخير لأرشد إلى ذلك النبي ﷺ ، الذي هو أنصح الخلق للخلق ، ولفعله الصحابة في قبره ﷺ ، ولكن الذي نجده هو إجماع الصحابة على بدعية ذلك كما سيأتي بيانه قريبا إن شاء الله.

والتبرك يكون بالأزمنة التي دل الشارع الحكيم على حصول البركة فيها ، كرمضان والعشر من ذي الحجة ويوم عاشوراء ، والتبرك بها يكون بعمل القربات التي حث الله على التقرب لله فيها ، من صيام وقراءة قرآن وصلاة وصدقة ونحو ذلك ، لما يترتب على ذلك من أجر عظيم.

والتبرك يكون بالذوات ، أي الأشخاص ، وهذا خاص بالنبي ﷺ ، ومنه ما هو مشروع ومنه ما هو ممنوع ، فأما المشروع فهو التبرك بخصوص ما اتصل بجسد النبي ﷺ **في حياته** ، وهو ريقه ونخامته وفضل

---

١ رواه البخاري (١٨٧٥) ، ومسلم (١٣٨٨) ، عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه.

٢ رواه أحمد (١٨٥/٥) ، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٩٢٠) ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

٣ «مجموع الفتاوى» (٧٩/٢٧).

وضوئه وعرقه وشعره وفضل طعامه ، فكل ذلك قد جعل الله فيه البركة ، فيجوز التبرك به على النحو الذي سيأتي بيانه ، وكذلك يجوز الاستشفاء به.

وأما التبرك بما سوى ذلك من متاع النبي ﷺ كجدران غرفته ونحو ذلك فهذا بدعة ، وكذلك التبرك بغيره من الأشخاص فهو تبرك بدعي ، لأنه لم يرد التبرك إلا في حق النبي ﷺ ، وفي خصوص ما اتصل بجسده الشريف ، وأما ما سواه من الناس فلم يرد فيهم خصوصية بركة في ذواتهم ، سواء كانوا من الصحابة أو ممن هو دونهم ، فيكون التبرك بهم من البدع التي يجب تجنبها.

- وعودا على بدء ، فمن أنواع التبرك بذات النبي ﷺ التبرك بريقه الشريف ، ودليل ذلك أن عليا رضي الله عنه اشتكى عينه ، فدعاه النبي ﷺ فبصق في عينه فبرِئت بإذن الله.[1]
- ومن أنواع التبرك بذات النبي ﷺ التبرك بعرقه ، ودليله ما جاء في صحيح البخاري عن أنس أن أم سليم كانت تبسِط للنبي ﷺ نَطعا[2] فيقِيل عندها[3] على ذلك النطع ، قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذْتُ من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سَكٍّ[4] وهو نائم ، قال: فلما حضر بأنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يُجعل في حَنوطه[5] من ذلك السَّك ، قال: فجُعِل في حَنوطه.[6]
- ومن أنواع التبرك بذات النبي ﷺ التبرك بنخامته وفضل وضوءه ، ودليله ما جاء في قصة صلح الحديبية عن المِسور بن مخرمة ومروان قالا: فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه.[7]
- ومن أنواع التبرك بذات النبي ﷺ التبرك بيده الشريفة ، ودليل ذلك أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات ، فلما ثقُل كانت عائشة تنفث عنه في يده ثم تمسح بها على نفسه لبركتها[8].

---

[1] انظر صحيح البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

٢ النطع هو جلد في الأصل.

٣ أي ينام عندها القيلولة ، وهي الاستراحة نصف النهار. انظر «النهاية».

٤ السَّكُّ طيبٌ مركب يضاف إلى غيره. انظر «النهاية».

٥ الحنوط شيء من الطيب ، تُطيب به أكفان الموتى وأجسادهم. انظر «النهاية».

٦ رواه البخاري (٦٢٨١).

٧ رواه البخاري (٢٧٣٤).

٨ وقد جاء ذلك في «صحيح البخاري» (٥٧٣٥) ، ومسلم (٢١٩٢).

ولما كانت يد النبي ﷺ مباركة ؛ فقد كان الصحابة يتبركون بفضل طعامه لكونه اتصل بيده الشريفة ، فمن ذلك أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه كان يتتبع أثر أصابع النبي ﷺ في الإناء ويأكل منها ، فعنه رضي الله عنه قال: يا رسول الله ، كنتَ ترسل إلي بالطعام فأنظُر ، فإذا رأيت أثر أصابعك وضعتُ يدي فيه.[1]

فهذه مظاهر خمسة من مظاهر التبرك الشرعي بما اتصل بجسم النبي ﷺ الشريف ، ولكن هذه المظاهر قد توقف العمل بها بموته ﷺ ، لكون تلك الآثار قد اضمحلت.

غير أنه بعد موته ﷺ قد بقيت آثار من جسمه الشريف لم تضمحل فترة من الزمن ، وكان الصحابة يتبركون بها ، ومن ذلك شعره وآنيته وثيابه ، ودليل ذلك ما أخرجه البخاري[2] عن عثمان بن عبد الله أنه أنه أرسله أهله إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ بقدح من ماء ، وكان عندها شعرات من شعر النبي ﷺ ، فكان إذا أصاب الإنسان عينٌ أو شيءٌ بعث إليها آنيته ، فتَجعل فيها أم سلمة تلك الشعرات وتغسلها فيه ، ثم تعيده إلى صاحبه فيشربه أو يغتسل به بقصد الاستشفاء وطلب الدواء ، فيحصل له الشفاء بإذن الله ببركة تلك الشعرات.

ومن التبرك بآثار الرسول ﷺ أيضا التبرك بالآنية التي شرب منها ، فعن كبشة الأنصارية أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها قربة معلقة فشرب منها وهو قائم ، فقطعت فمِ القربة تبتغي بركة موضع فِيْ رسول الله ﷺ لكون ريقه قد اتصل بها.[3]

وقد كان الصحابة يتبركون أيضا بلباسه عليه الصلاة والسلام لكون العرق قد لامسها ، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: هذه جُبَّةَ رسول الله ﷺ ، فأخرجت جبة طيالسة[4] كسروانية[5] لها لـبِـنة ديباج[6] وفَرجاها

---

١ رواه مسلم (٢٠٥٣) ، وأحمد (٥/٤٢٠) واللفظ له.

٢ انظر «صحيح البخاري» (٥٨٩٦).

٣ رواه الترمذي (١٨٩٢) وابن ماجه (٣٤٢٣) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

٤ طيالسة: ضرب من الأكسية سُود.

٥ كسروانية: نسبة إلى كسرى صاحب العراق ملك الفرس ، أي مصنوعة هناك.

٦ اللبنة هي الرقعة في جيب القميص كما في «النهاية» ، والديباج نوع من الثياب مصنوعة من الإبريسم وهو أحسن الحرير كما في «المعجم الوسيط» ، والمعنى أن للجبة رقعة في جيبها من الإبريسم. انظر «لسان العرب».

وفَرجاها مكفوفان بالديباج[1] فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قُبضت ، فلما قُبضت قبضتُها ، وكان النبي ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلها للمريض يستشفي بها.[2]

وعن سهل رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببُردة منسوجة فيها حاشيتها ، فأهدتها للنبي ﷺ ، فأخذها النبي ﷺ وهو محتاج إليها ، فرآها رجل فطلبها من النبي ﷺ فقال: اكسنيها ما أحسنها. قال القوم: ما أحسنْتَ ، لبِسها النبي ﷺ محتاجا إليها ثم سألتَه وعلمتَ أنه لا يَـرُد؟

قال: إني والله ما سألته لألبسه إنما سألته لتكون كفني.

قال سهل: فكانت كفنه.[3]

ثلاث تنبيهات تتعلق بمسألة التبرك بآثار النبي ﷺ

التنبيه الأول:

إن ما اتصل بذات الرسول ﷺ من الآثار ليس منجيا من عذاب الله ولا رادا لقضاء الله ، بل هو سبب من أسباب حصول البركة ، قد ينفع وقد لا ينفع ، فإن النبي ﷺ أتى قبر رأس المنافقين عبد الله بن أُبي بعدما دُفن ، فأخرجه فنفث فيه من ريقه ، وكفَّنه في قميصه ، ومع هذا فلم ينفعه من ذلك شيء ، لأنه إنما ينفع الرجل عمله.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: لما توفي عبد الله بن أُبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيه قميصه ، أن يُكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

فقال رسول الله ﷺ : إنما خيَّرني الله فقال ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ وسأزيد على سبعين.

قال: إنه منافق.

فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وأنزل الله عز وجل ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾.[1]

---

١ لعل معنى فَرْجا الجبة هما فتحتا اليدين أو فتحتا الرقبة وما يلي القدمين ، وقولها (مكفوفان بالديباج) أي أن الديباج محيط بهما.

٢ رواه مسلم (٢٠٦٩).

٣ رواه البخاري (١٢٧٧) واللفظ له ، وابن ماجه (٣٥٥٥) ، وأحمد (٥/٣٣٣-٣٣٤).

وقد رواه أبي زيد عمر بن شبه النمري فقال: حدثنا ابن أبي الوزير ، قال سفيان عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ عبد الله بن أُبي بعدما أُدخل في حفرته ، فأمر به فأُخرج ووضعه على ركبتيه ، وألبسه قميصه ونفث عليه من ريقه.[٢]

فإن قيل: فلماذا صلى عليه النبي ﷺ ونفث عليه من ريقه وكفنه بقميصه؟

فالجواب أن ابنه عبد الله وهو صحابي جليل ، طلب من النبي ﷺ ذلك ، فلم يَـرُدَّه تطييبا لقلبه ، ولم يكن ﷺ يرُدُّ سائلا.

وقيل: إنما أعطاه قميصه مكافأة له لأنه كان ألبس العباس قميصا حين أُسر يوم بدر.

قال النووي رحمه الله: إن النبي ﷺ أعطاه قميصه ليُكفَّن فيه ، وفي هذا الحديث بيان عظيم مكارم أخلاق النبي ﷺ ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء ، وقابله بالحسنى ، فألبسه قميصه كفنا ، وصلى عليه ، واستغفر له. قال الله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. انتهى.[٣]

التنبيه الثاني:

يشترط للراغب في التبرك أن يكون حاصلا على أثر من آثاره ﷺ ويستعمله ، ونحن نعلم بأن آثاره ﷺ من ثياب أو شعر أو فضلات **قد فُقدت** وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين ، وإذا كان الأمر كذلك **فإن التبرك بهذه الآثار أمرٌ غير ذي موضوع في زماننا هذا ، ويكون أمرا نظريا محضا ، فلا ينبغي إطالة القول فيه.**[٤]

وقال الشيخ أحمد النجمي رحمه الله: التبرك المشروع في حق النبي ﷺ اختُص به أهل عصره ومن بعدهم بقليل ، الذين حصل لهم شيء من ثيابه أو شعره أو عرقه ، وآخر من صحَّ أنه كان عنده شيء من شعر النبي ﷺ هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، أما أهل الأزمنة المتأخرة فقد فاتهم ذلك ، وإذا كان قد فاتهم هذا فإن البركة كل البركة والخير كل الخير في الاستقامة على هديه ، واقتفاء سنته ، واتباع طريقه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتقرب إلى الله بتلاوة الكتاب الذي أنزل عليه ودراسة السنة التي نطق بها ، والعمل بما دلت عليه فعلاً وتركاً ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾.[٥]

---

١ رواه البخاري (١٢٦٩) ، ومسلم (٢٤٠٠) ، واللفظ له.

٢ «تاريخ المدينة» (٣٤٩/١) ، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

٣ «شرح صحيح مسلم».

٤ قاله العلامة الألباني رحمه الله في كتاب «التوسل».

٥ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٥٠٦ .

التنبيه الثالث:

قال الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتاب «التوسل»:

ولكن ثمَةَ أمر يجب تبيانه ، وهو أن النبي ﷺ وإن أقر الصحابة في غزوة الحديبية وغيرها على التبرك بآثاره والتمسح بها ، وذلك لغرض مهم وخاصة في تلك المناسبة ، وذلك الغرض هو إرهاب كفار قريش وإظهار مدى تعلق المسلمين بنبيهم ، وحبهم له ، وتفانيهم في خدمته وتعظيم شأنه ؛ إلا أن الذي لا يجوز التغافل عنه ولا كتمانه أن النبي ﷺ بعد تلك الغزوة رغَّب المسلمين بأسلوب حكيم وطريقة لطيفة عن هذا التبرك ، وصرَفهم عنه ، وأرشدهم إلى أعمال صالحة خير لهم منه عند الله عز وجل وأجدى ، كما يدل عليه الحديث الآتي:

عن عبد الرحمٰن بن أبي قراد رضي الله عنه أن النبي ﷺ توضأ يوما ، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه ، فقال لهم النبي ﷺ : ما يحملكم على هذا؟

قالوا: حب الله ورسوله.

فقال النبي ﷺ : من سره أن يحب الله ورسوله ، أو يحبه الله ورسوله ، فليصدق حديثه إذا حدَّث ، وليؤد أمانته إذا اؤتمن ، وليُحسن جِوار من جاوره.[1]

وقال الشاطبي[2] رحمه الله في «الاعتصام»:

وقد خرَّج ابن وهب في «جامعه» من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: حدثني رجل من الأنصار ، أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشربوه ومسحوا به جلودهم ، فلما رآهم يصنعون ذلك سألهم: لم تفعلون هذا؟

قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك.

فقال رسول الله ﷺ : من كان منكم يحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث ، وليؤد الأمانة ، ولا يؤذ جاره.

---

[1] قال الألباني رحمه الله: وهو حديث ثابت ، له طرق وشواهد في معجمي الطبراني وغيرهما ، وقد أشار المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٦/٣) إلى تحسينه ، وقد خرجته في «الصحيحة» برقم (٢٩٩٨).

[2] هو الشيخ إبراهيم بن موسى اللخمي ، الغرناطي المالكي ، من علماء الأندلس ، برَّز في الأصول ، له الكتابان الشهيران «الموافقات في أصول الأحكام» و «الاعتصام» ، توفي عام ٧٩٠ ، انظر ترجمته في «معجم المؤلفين» لعمر كحالة.

فإن صح هذا النقل فهو مُشعرٌ بأن الأولى تركه ، وأن يَتحرى ما هو الآكد والأحرى من وظائف التكليف ، ولا يَلزم الإنسان في خاصة نفسه ولم يثبت من ذلك كله إلا ما كان من قبيل الرقية وما يتبعها ، أو دعاء الرجل لغيره ....[1]

فوائد تتعلق بالتبرك الممنوع بالذوات

التبرك الممنوع هو التماس البركة مما لم تدل الشريعة الإسلامية أن فيه بركة ، كالتمسح بثياب أو بأيدي من يُظن فيهم الصلاح والاستقامة ابتغاء انتقال البركة ، فهذا ممنوع لثلاثة أسباب:

الأول: أنه لا دليل على وجود البركة في تلك اليد أو ذلك الثوب الذي تُمُسِّح به أصلا ، فيكون من القول على الله بغير علم.

الثاني: أن التماس البركة من غير الله عز وجل يعتبر ضربا من التألُّه لغير الإله الحق ، ولذلك سماه النبي ﷺ تألُّها في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، فعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج وأصحابه إلى حنين ، فمروا بشجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط[2] ، كان المشركون يعكفون عندها ويتبركون بها ويعلقون عليها سيوفهم ، معتقدين أن ذلك يزيدها مَضاءً فقالوا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي ﷺ : سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى لموسى ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ ، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم.[3]

ففي هذا الحديث نجد أن بعض الصحابة – ممن كانوا حديثي عهد بإسلام ولم تزل بعض آثار الجاهلية باقية في نفوسهم – نجد أنهم قد اغتروا بما كان يفعله المشركون من طلب البركة من شجرة كانوا يعكفون عندها – أي يقيمون طويلا – ويتبركون بها ويعلقون أسلحتهم على أغصانها ظنا منهم أن هذا يزيدها قوة ومضاء ، فطلبوا من الرسول ﷺ أن يتخذ لهم شجرة يتبركون بها ، فقال النبي ﷺ : "سبحان الله" ، تنزيها لله سبحانه عن أن يكون غيره يأتي بالبركة ، أو أنه قالها تعجبا من قولهم.

ثم قال ﷺ : "هذا كما قال قوم موسى لموسى ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾" ، فسمى النبي ﷺ طلبهم التبرك تألُّها أي تعبُّداً ، والتعبد لغير الله محرم.[4]

---

[1] (٢/١٠-١١).

[2] الأنواط هي الأغصان.

٣ رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له ، وأحمد (٥/٢١٨) ، والطيالسي (١٣٤٦) ، والحميدي (٨٤٨) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

٤ انظر «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٥٠٣ .

ثم قال: "لتركبُن سَنن من كان قبلكم" ، أي لتتبعن طريقة من كان قبلكم من الأمم من التبرك بالجمادات ، وليس ذلك مخصوصا بقرن النبي ﷺ بل هو كل عام ، ويتأكد ذلك في القرون المتأخرة لقول النبي ﷺ : لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم.[1]

وفي هذا الحديث من الفوائد ؛ التغليظ على من طلب البركة من الجمادات.

وفيه أن المنتقل من الباطل إلى الحق لا يؤمَن أن يبقى في قلبه من ذلك الباطل.

وفيه أن النبي ﷺ أوقف الجيش حتى يصفيهم من شوائب الشرك ، ولم يمنعه المسير إلى الجهاد من الكلام فيه ، لأن الموضوع يتعلق بعقيدة ربما لو مات أحدهم عليها لم ينفعه قتاله مع رسول الله ﷺ .

وفيه أن التبرك بالقبور من جنس التبرك بالأشجار لكونهما يشتركان في كونهما من التبرك بالجمادات الذي هو من التقرب للجمادات.

السبب الثالث: أن بركة الذات خاصة بالنبي ﷺ ، لأن الله قد جعل ذاته مباركة ، وشَـرَع للناس التبرك بها ، ولا يجوز قياس غيره عليه ولو كان من الصحابة رضوان الله عليهم ، لعدم ورود الدليل على حلول البركة في غير ذات النبي ﷺ وآثاره ، فيكون التبرك بهم من البدع ومن الغلو بالذوات ، وهو الأمر المؤدي إلى عبادتهم.

ويكفي دليلا على بطلان التبرك بذوات المخلوقين من غير النبي ﷺ أن الصحابة لم يتبـركوا بأحد بعد وفاة النبي ﷺ ، ولو كان التبرك بغير الرسول ﷺ جائزا لتبرك الناس بهم لأنهم أفضل الناس بعد رسـول الله ﷺ ، وهم الذين أثنى الله عليهم في التوراة والإنجيل والقرآن ، كما أثنى عليهم الرسول ﷺ في سنته ، بل هم الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ﷺ .

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

لم يؤثر عن أحد منهم[2] أنه تبرك بأحد بعد رسول الله ﷺ ، فمن يأتي أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟

بل من يأتي بعد هؤلاء أفضل من باقي العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهم الستة؟

بل من يأتي بعد العشرة أفضل من أهل بدر؟

بل من يأتي بعد أهل بدر أفضل من أهل الشجرة؟

بل من يأتي بعد أصحاب الشجرة أفضل من بقية أصحابه؟

---

١ رواه البخاري (٧٠٦٨) عن أنس رضي الله عنه.

٢ أي الصحابة رضوان الله عليهم.

ومع هذا فلم يؤثر عن مفضول منهم أنه تبرك بفاضل ، **ولا عن تابعي أنه تبرك بصحابي** ، وذلك **إجماع** منهم على اختصاص الرسول ﷺ بذلك في حياته ، ولم يصح عن أحد منهم أنه تبرك به أو بقبره بعد موته ، وكل ما ورد في ذلك فهو موضوع مفترى على أصحاب الرسول ﷺ ، على واضعيها ما يستحقون ، ومن زعم أن التبرك بالموتى وأضرحة الموتى ومشاهد الموتى من الدين وسِير السلف الصالح فقد أعظم على الله الفرية ، وأوغل في الكذب والبهت ، وسيلقى جزاء ما اقترفه من جرم ، وعقوبة ما اختلقه من كذب لهدم الدين.[1]

قال مقيده عفا الله عنه: ولما كان التمسح بمن هو دون النبي ﷺ منكرا عظيما ، فقد أنكره الأئمة ، فمن ذلك ما قاله علي بن عبدان الطيالسي: مسحت يدي على أحمد بن حنبل ، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر ، فغضب غضبا شديدا ، وجعل ينفض نفسه ويقول: عمَّن أخذتم هذا؟

وأنكره إنكارا شديدا.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم[3] ، أو تقبيل الأرض ونحو ذلك ؛ فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه ، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عز وجل منهي عنه ، فقد ثبت في الصحيح من حديث جابر ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى بأصحابه قاعدا من مرض كان به فصلوا قياما فأمرهم بالجلوس ، وقال: لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضها بعضا. وقال: من سرَّه أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار.

فإذا كان قد نهاهم مع قعوده – وإن كانوا قاموا في الصلاة – حتى لا يتشبهوا بمن يقوموا بعظمائهم ، وبين أن من سرَّه القيام له كان من أهل النار ، فكيف بما فيه من السجود له ، ومن وضع الرأس ، وتقبيل الأيادي؟[4]

وقال النووي رحمه الله: قال الفضيل بن عياض رحمه الله ما معناه: "اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين" ، **ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه**

---

١ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٢٠٨ .

٢ «طبقات الحنابلة» (٢٢٨/١) ، ذكر من اسمه علي ، لابن أبي يعلى ، تحقيق د. عبد الرحمٰن العثيمين ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض..

٣ أي من الأحياء.

٤ «مجموع الفتاوى» (٩٢/٢٧-٩٣) ، باختصار وتصرف يسير.

أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع ، وكيف يبتغى الفضل في مخالفة الصواب؟[1]

قلت: وقد صدرت فتوى من لجنة الافتاء بالمملكة العربية السعودية في حكم التبرك بالصالحين هذا نصها:

وأما التبرك بالصالحين الأحياء فبدعة ، لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوه فيما بينهم لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم ، ولأنه وسيلة إلى الشرك بهم فوجب تركه ، وقد يكون شركاً أكبر إذا اعتقد في الصالح أنه ينفع ويضر بتصرفه ، وأنه يتصرف في الكون ونحو ذلك ، وأما ما فعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ من التبرك بوضوئه وشعره فهذا من خصائصه ، لما جعل الله في جسده وشعره وعرقه من البركة ، ولا يُلحق به غيره.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتوى رقم ٥٣١٦

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو: عبد الله بن قعود

عضو: عبد الله بن غديان

نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي

الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

---

١ «المجموع» للنووي (٨/٢٥٧ – ٢٥٨) ، باختصار يسير.

ذِكرُ شيءٍ من مظاهر التبرك الممنوع

قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية»[1] عن أبي إسحاق ، إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ :

كان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج إليه أهلها يتلقَّونه بأولادهم ونسائهم يتبركون به ويتمسَّحون بركابه ، وربما أخذوا من تراب حافر بغلته. انتهى.

فانظر إلى الانحراف كيف أنه متى ما تعلق به الإنسان فإنه يزداد شيئا فشيئا ، كما حصل لهؤلاء الذين تجاوزوا التبرك بالشخص إلى التبرك بالبغلة ، بل بالتراب الذي مسه حافر البغلة ، فكانوا كعباد العجل ، بل أردأُ وأخسُّ حالا منهم. ولو كان عند أولئك مسكة من عقل ، لاقتدوا بالصحابة رضوان الله عليهم ، الذين لم ينقل عنهم أن أحدا منهم تبرك بناقة النبي ﷺ أو بغلته ، فلو كان ذلك جائزا لكانت ناقة النبي ﷺ أولى بهذا.[2]

قال مقيده عفا الله عنه: وقد وقع فئام من المسلمين قديما وحديثا – مع الأسف الشديد – في طلب البركة مما لم يجعل الله فيه بركة ، فتجدهم يتبركون بقبور الصالحين بتقبيلها والتمسح بنوافذها وترابها ونحو ذلك ، فوقعوا في حظيرة البدع والخرافات والشركيات ، فشابهوا أهل الجاهلية الأولى – عباد الأوثان – الذين كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويأملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك ، فالتبرك بقبور الصالحين كالتبرك باللات ، والتبرك بالأشجار كالتبرك بالعزى ومناة ، فهو موافق لفعل أولئك المشركين في تلك الأوثان ، فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها في هذا الشرك.[3]

ومبتدعة الوقت الحاضر ساروا على نهج أسلافهم ، فشيخ البريلوية[4] في الهند لا يرى بأسا من وضع تمثالٍ لقبر الحسين في المنزل من أجل التبرك به ، والرافضة يحملون معهم من تراب النجف للسجود عليه في

---

١ أحداث سنة ٤٧٥ .

٢ نقلا من «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ، ص ٢٠١ ، بتصرف يسير.

٣ انظر «فتح المجيد» ، باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

٤ البريلوية فرقة ضالة تعتقد أن النبي ﷺ لديه القدرة على التحكم بالكون وأنه يعلم الغيب. انظر «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة».

الصلاة ، وأصحاب الموالد يشربون من الماء الموضوع عند قارئ المولد تبركا بهذا الماء ، إذ يعتقد بعضهم أن روح الرسول حضرت قراءة المولد وشربت من الماء الموضوع أمام القارئ فهم يتبركون بهذا الماء ، إلى غير ذلك من الخرافات والخزعبلات التي لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولم يفعلها أحد من الصحابة الذين هم أعلم الناس بدين الله بعد نبيها ﷺ .[1]

"ومن العادات التي تقوم بها النساء خاصة: مسح ضريح الولي بالمناديل والملابس ، وربط الخرق والخيوط حول جدرانه ، ثم يمسحن على رؤوسهن ورؤوس أبنائهن ، وقد يُحتفظ بهذه المناديل دون غيرها لتُمسح بها بقية أفراد الأسرة ممن لم يتمكنوا من الزيارة ، لأن الاعتقاد السائد عند هؤلاء أن البركة تسري من الولي إلى ضريحه إلى المناديل والملابس التي مُسحت بها ، والأغرب من ذلك ما يحدث عند تغيير كسوة الضريح ، حيث يسعى الجميع للحصول على قطع من هذه الكسوة المباركة – بزعمهم – ، ومن هؤلاء من يمرغون وجوههم بالأعتاب والتراب ، وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر ، حتى عدُّوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته ، فزعموا أن فيها شفاء وبركة لدفنه فيها ، حتى أن منهم من يعتقد في تراب بقعةٍ لم يدفن فيها ذلك الولي بزعمه ، بل قيل: أن جنازته قد وضعت في ذلك المكان.

وبعضهم شَرَّعوا تقبيلها كما يُـقـبَّل الحجر الأسود حتى قالوا: إن زُحِمْت فاستلم بِمِحجن أو أشِر إليه ، والبعض الآخر منهم ينكب على القبر وينحني له ويعتكف له تبركاً وتعظيماً لصاحب القبر."[2]

وقال د. ناصر الجديع في كتابه «التبرك أنواعه وأحكامه»:

وفي السودان "وصل الأمر في العصر الحاضر عند بعض الرجال المخرفين إلى مجامعة زوجاتهم عند أضرحة الأولياء بدعوى نيل البركة."[3]

فصل في بيان أدلة النهي عن التبرك بالقبور بالتمسح بها وتقبيلها

الأدلة على تحريم التبرك بالجمادات كالقبور وغيرها كثيرة ، منها ما يلي:

الأول: حديث أبي واقد الليثي وقد تقدم الكلام عليه.

الثاني: إجماع الصحابة والتابعين على بدعية التمسح بقبر النبي ﷺ :

---

١ انظر مقدمة «التبرك المشروع والتبرك الممنوع» ، د. علي بن نفيع العلياني.

٢ نقل الباحث: سالم بن قطوان العبدان هذه المظاهر عن بعض العلماء والكتاب في كتابه «زيارة القبور عند المسلمين» ، ص ١٤٢ – ١٤٣ ، بتصرف يسير.

٣ ص ٤٧٣ – ٤٧٤ .

لقد أجمع السلف رحمهم الله من الصحابة ومن بعدهم على بدعية التمسح بالقبور ولو كان المُتمَسَّح هو قبر النبي ﷺ ، ومن أدلة ذلك:

- ما روي عن أنس رضي الله عنه أنه رأى رجلا وضع يده على قبر النبي ﷺ فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ .[1]
- وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بقبر النبي ﷺ ، فصلى عليه وسلم ودعا له **ولا يمس القبر** ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم قال: السلام عليك يا أبت.[2]

ورواه أيضا من طريق سعيد بن منصور قال: حدثنا مالك بن أنس عن نافع به.[3]

- وقال أبو الحسن علي بن عمر القزويني في «أماليه»: قرأت على عبيد الله الزهري ، حدثك أبوك قال: حدثنا عبد الله بن جعفر عن أبي داود الطيالسي ، عن يحي بن معين قال: حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ .[4]
- وقال أيضا في «أماليه»: قرأت على عبيد الله الزهري قلت له: حدثك أبوك ؛ قال: حدثني عبد الله بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي قال: سمعت أبا زيد حماد بن دليل ، قال لسفيان – يعني ابن عيينة – قال: كان أحد يتمسح بالقبر؟

قال: لا ، ولا يلتزم القبر ، ولكن يدنو.

قال أبي[5]: يعني الإعظام لرسول الله ﷺ .[6]

قال ابن تيمية رحمه الله: وحماد بن دليل هذا – الذي سمعه أحمد يسأل ابن عيينة – هو معروف من أهل العلم ، وروى عنه أبو داود ، وكان قاضي المدائن.[7]

---

١ قاله نور الدين السمهودي في «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (١٤٠٢/٤).

٢ (٨٨/٨ – ٨٩) برقم (٣٨٥٤).

٣ (٨ / ٩٧ – ٩٨) برقم (٣٨٦٤).

٤ نقلا من «الرد على الإخنائي» ، ص ٤١٣ – ٤١٤ .

تنبيه: الكراهة عند السلف تعني التحريم كما تقدم.

٥ يعني الإمام أحمد.

٦ نقلا من «الرد على الإخنائي» ، ص ٤١٥ – ٤١٦ .

٧ نقلا من «الرد على الإخنائي» ، ص ٤١٥ – ٤١٦ .

- وروى أبو الحسن القزويني عن الزهري عن أبيه عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن نوح بن يزيد قال: أخبرنا أبو إسحاق – يعني إبراهيم بن سعد – قال: ما رأيت أبي قط يأتي قبر النبي ﷺ ، وكان يكره إتيانه.[1]

وإبراهيم بن سعد هو الإمام الحافظ الحجة الكبير ، من أكثر أهل المدينة حديثا في زمانه.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: ونوح بن يزيد بن سيار المؤدب هذا – الراوي عن إبراهيم بن سعد – هو ثقة معروف بصحبة إبراهيم ، وله اختصاص به ، روى عنه أحمد بن حنبل وأبو داود وغيرهما.

قال أبو بكر الأثرم: ذكر لي أبو عبد الله نوح بن يزيد المؤدب فقال: هذا شيخ كبير أخرج إلي كتاب إبراهيم بن سعد فرأيت فيه ألفاظا.

وقال محمد بن المثنى: سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: اكتب عنه فإنه ثقة ، حج مع إبراهيم بن سعد ، وكان يؤدب ولده ، وذكره ابن حبان في «الثقات».

وأما إبراهيم بن سعد فهو من أكابر علماء المدينة وأكثرهم علما وأوثقهم ، وكان قد خرج إلى بغداد ، روى عنه الناس ؛ أحمد ابن حنبل وطبقته ، ومن سعة علمه روى عنه الليث بن سعد ، وهو أقدم وأجل منه.

وأما أبوه سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري – الذي ذكر عنه ابنه إبراهيم أنه قال: (ما رأيت أبي قط أتى قبر النبي ﷺ وكان يكره إتيانه) ؛ وهو[3] من أفضل أهل المدينة في زمن التابعين ، ومن أصلحهم وأعبدهم ، وكان قاضي المدينة في زمن التابعين في زمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأمثاله ، وهو أدرك بناء الوليد بن عبد الملك المسجد وإدخال الحجرة فيه ، وأدرك ما كان عليه السلف قبل ذلك من الصحابة والتابعين.

قال أبو حاتم الرازي: وهو من جِلَّة أهل المدينة وقدماء شيوخهم ، كان على القضاء ، وقد ذكروا أنه رأى عبد الله بن عمر ، وروى عن عبد الله بن جعفر ، وفي سماعه منه نظر ، ومات قديما بعد القاسم بن محمد بقليل ، فإن القاسم توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وهذا توفي سنة ست وعشرين ومائة ، وقد خرج من المدينة غير مرة ، تارة إلى الحج ، وتارة كان قد استعمل على الصدقات ، ومرة خرج إلى العراق إلى واسط فروى عنه سفيان الثوري وشعبة والعراقيون ، وهو الذي روى حديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) عن القاسم عن عائشة عن النبي ﷺ .

---

١ نقلا من «الرد على الإخنائي» ، ص ٤١٦ .

٢ انظر «التهذيب».

٣ هكذا في المطبوع ، ولعل الأولى: فهو.

وقد أدرك بالمدينة جابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي وغيرهما من الصحابة ، ورأى أكابر التابعين مثل سعيد بن المسيب وسائر الفقهاء السبعة ، ومعلوم أن لم يكن ليخالفهم فيما اتفقوا عليه ، بل قد يخالف ابن عمر ، فإن ما نقله عنه ابنه يقتضي أنه كان لا يأتيه لا عند السفر ولا غيره ، بل يكره إتيانه مطلقا كما كان جمهور الصحابة على ذلك لِما فهموا من نهيه ﷺ عن ذلك ، وأنه أمر بالصلاة والسلام عليه في كل زمان ومكان ، وقال ﷺ : (لا تتخذوا قبري عيدا) ، وقال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) ، كما قد بُين هذا في مواضع.

مع أن سعد بن إبراهيم هذا في دينه وعبادته وصيامه وتلاوته للقرآن بحيث كان يختم باليوم والليلة كثيرا.

وأبو الحسن علي بن عمر القزويني وغيره من أهل العلم والدين ذكروا هذه الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ليبينوا للناس كيف كان السلف يفعلون في مثل ذلك ، وبسطُ هذا له موضع آخر. [1]

فصل في ذكر كلام علماء المذاهب في ذم التمسح بالقبور

وأما أقول أهل العلم فكثيرة في هذا الباب ، نذكرها بحسب ترتيب المذاهب الأربعة.

قول الحنفية

قال الطحطاوي[2] الحنفي رحمه الله في حاشيته على «مراقي الفلاح»[3] في « فصل في زيارة القبور»:

ولا يَمس القبر[4] ولا يُقبله **فإنه من عادة أهل الكتاب** ، ولم يُعهد الاستلام إلا للحجر الأسود والركن اليماني خاصة.

قول المالكية

قال مالك – في رواية ابن وهب –: إذا سلَّم على النبي ﷺ ودعا ، يقف ووجهُه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة ، ويدنو ويُسلم ، **ولا يَمس القبر بيده**.[5]

---

١ نقلا من «الرد على الإخنائي» ص ٤١٦ – ٤١٨ .

[2] تقدمت ترجمته.

[3] (٤١٢/١) ، الناشر: المطبعة الأميرية الكبرى بولاق – مصر.

[4] أي الزائر لا يَمس القبر النبوي.

[5] ذكره القاضي عياض في «الشفا» (٧٢/٢) ، ط ٣ ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

وقال السَّمهودي[1] رحمه الله في حكم وضع اليد على القبر ما نصه: قد أنكره – أي وضع اليد على القبر – مالك والشافعي **وأحمد أشد الإنكار**.[2]

وذكر أصحاب الإمام مالك – رحمة الله تعالى – أن الزائر لا يتمسح بقبر النبي ﷺ ولا يمسه.[3]

وقال الشاطبي المالكي رحمه الله حاكيا إجماع الصحابة على تحريم التمسح بالقبور أنهم "بعد موته عليه السلام لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه ، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فهو كان خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر ، رضى الله عنهما ، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ، ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها ، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ ، فهو إذا إجماع منهم على ترك تلك الأشياء."[4]

وقال ابن الحاج المالكي رحمه الله في «المدخل»: لا يجوز الطواف حول الأضرحة فإنه لا يطاف إلا بالبيت العتيق ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود. انتهى مختصرا.

قول الشافعية

قال النووي رحمه الله: لا يجوز أن يُطاف بقبره ﷺ ، ويكره إلصاق الظهر والبطن بجدران القبر ، قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته ﷺ ، **هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه** ، ولا يُغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك ، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم. انتهى.

وقال أيضا رحمه الله: "قال أبو موسى: وقال الإمام أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني – وكان من الفقهاء المحققين – في كتابه في الجنائز: ولا يستلم القبر بيده ولا يقبله ، وعلى هذا مضت السنة.

---

١ هو علي بن عبد الله السَّمهودي ، القاهري الشافعي ، توفي عام ٩١١ ، له الكتاب المشهور «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» ، انظر ترجمته موسعة في «الضوء اللامع» (٢١٨/٥) للسخاوي.

٢ «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (١٤٠٢/٤).

٣ «كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ، فصل في حكم زيارة قبره ﷺ ، وفضيلة من زاره وسلم عليه ، وكيف يسلم ويدعو له (٧٢/٢ ، ٧٦) ، ط مؤسسة الثقافة العربية – بيروت.

٤ «كتاب الاعتصام» للشاطبي (٨/٢-٩) ، ط دار الفكر – بيروت.

قال أبو الحسن: واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعا ، ينبغي تجنب فعله وينهى فاعله."[1]

قول الحنابلة

قال ابن قدامة: "ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ ولا تقبيله.

قال أحمد: ما أعرف هذا.

قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يَمَسُّون قبر النبي ﷺ ، يقومون من ناحية فيسلمون.

قال أبو عبد الله: وهكذا كان ابن عمر يفعل."[2]

وقال ابن تيمية رحمه الله: وأما التمسح بالقبر أو الصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده ، معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره ، أو النذر له ونحو ذلك **فليس هذا من دين المسلمين** ، بل هو مما أُحدِث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك ، والله أعلم وأحكم.[3]

بل قد حكى ابن تيمية رحمه الله **إجماع العلماء** على تحريم التمسح بالجمادات عموما والقبور خصوصا أو تقبيلها – وإن كان قبر النبي ﷺ ، فقال ما نصه:

واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ﷺ ، ولا يقبله ، وهذا كله محافظة على التوحيد ، فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد.[4]

وقال أيضا: وكذلك حجرة نبينا ﷺ وحجرة الخليل وغيرهما من المدافن التي فيها نبي أو رجل صالح ، لا يستحب تقبيلها ولا التمسح بها **باتفاق الأئمة** ، بل منهي عن ذلك ، وأما السجود لذلك فكفر ، وكذلك خطابه بمثل ما يخاطب به الرب مثل قول القائل: اغفر لي ذنوبي ، وانصرني على عدوي ، ونحو ذلك.[5]

وقال أيضا: **ولهذا اتفق العلماء** على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وأهل البيت وغيرهم **فإنه لا يَتمسح به ولا يقبله** ، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع

---

١ «المجموع» (٢٨٦/٥).

٢ «المغني» ، آخر كتاب الحج (٤٦٨/٥) ، ط هجر – مصر.

٣ «مجموع الفتاوى» (٣٢١/٢٣).

٤ «الرد على الإخنائي» ، ص ١٤٩ .

٥ «مجموع الفتاوى» (١٣٦/٢٧).

تقبيله إلا الحجر الأسود ، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب قال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك.[1]

ولهذا لا يُسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يلِيان الحجر ، ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، **ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين ، وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه** ، وذلك أنهم علموا ما قصَده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين.[2]

وقال أيضا رحمه الله: **واتفق العلماء** على أنه لا يستحب لمن سلَّم على النبي ﷺ عند قبره أن يقبل الحجرة ولا يتمسح بها **لئلا يُضاهي بيت المخلوق بيت الخالق** ، ولأنه قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد) ، وقال: (لا تتخذوا قبرى عيداً) ، وقال: (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك) ، **فإذا كان هذا دين المسلمين في قبر النبي ﷺ الذي هو سيد ولد آدم فقبر غيره أولى أن لا يُقبَّل ولا يُستلم** ، وقد حكى بعض العلماء في هذا خلافاً مرجوحاً ، **وأما الأئمة المتبعون والسلف الماضون فما أعلم بينهم في ذلك خلافاً** ، والله سبحانه أعلم.[3]

الدليل الثالث من أدلة النهي عن التبرك بالقبور ، بالتمسح بها وتقبيلها:

أن التمسح بالجمادات من طريقة أهل الجاهلية وعباد الأوثان وأهل الكتاب الذين كانوا يتمسحون بها ويسألونها ويتبركون بها ويستغيثون بها كاللات والعزى ومناة ، فالواجب مخالفتهم لا التشبه بهم.

الرابع: أن التمسح بالقبور باطل من جهة العقل أيضا ، فإن الذين يتمسحون بقبور الصالحين ويُقبلونها ليس عندهم شاهد بيِّن على صلاح ذاك الرجل المقبور واستقامته ، لأن صلاح القلب أمر غيبي لا يطلع عليه إلا الله وحده ، أما البشر فليس لهم إلا الحكم على الظواهر ، فالولاية "وإن ظهر لها في الظاهر آثار فقد يخفى أمرها ، لأنها في الحقيقة راجعة إلى أمر باطن لا يعلمه إلا الله ، فربما ادُّعيت الولاية لمن ليس بولي ، أو ادَّعاها هو لنفسه ، أو أظهر خارقة من خوارق العادات هي من باب الشعوذة لا من باب الكرامة ، أو من باب السحر والخواص أو غير ذلك ، والجمهور[4] لا يعرف الفرق

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] «مجموع الفتاوى» (٧٩/٢٧) ، باختصار.

[3] «مجموع الفتاوى» (٩٧/٢٦) ، وانظر (٩١/٢٦-٩٢).

[4] أي عامة الناس.

بين الكرامة والسحر ، **فيُعظمون من ليس بعظيم ، ويقتدون بمن لا قدوة فيه ، وهو الضلال البعيد.**[1]

الخامس: أن تقبيل الجمادات يقتضي تشبيهها ببيت الله – أي الكعبة **–** ، **وهذا باطل** ، قال ابن تيمية رحمه الله: التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام ، فلا يُشبَّهُ بيت المخلوق ببيت الخالق.[2]

تنبيهات في مسألة التبرك بالجمادات

التنبيه الأول في حكم التبرك بالجمادات.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله:

كان بعض العامة يتمسحون بالشباك الذي على الحُجرة[3] ، ويمسحون بأيديهم وجوههم ورؤوسهم وصدورهم اعتقادا منهم أن في هذا بركة ، وكل هذه الأمور وأمثالها مما لا شِرعة فيه ، بل هو بدعة ولا ينفع صاحبه بشيء ، لكن إن كان صاحبه جاهلا ولم يطرأ على باله أنه من البدع فيُــرجى أن يُعفى عنه ، وإن كان عالما أو متهاونا لم يَسأل عن دينه فإنه يكون آثما ، فالناس في هذه الأمور التي يفعلونها إما جاهلا جهلا مطبقا لا يطرأ بباله أن هذا محرم فهذا يرجي ألا يكون عليه شيء ، وإما عالم متعمد لِيُضل ويُضل الناس فهذا آثم بلا شك ، وعليه إثمُ من اتبعه واقتدى به ، وإما رجل جاهل ومتهاون في سؤال أهل العلم فيُخشى أن يكون آثما بتفريطه وعدم سؤاله.[4]

التنبيه الثاني في حكم التمسح بالكعبة

أما الذين يتمسحون بالكعبة رجاء البركة فيقال لهم: قد أخرج الطبراني في «معجمه»[5] وعبد الرزاق في «مصنفه»[6] عن نسير بن ذعلوق أن ابن الزبير رأى الناس يمسحون المقام فنهاهم وقال: إنكم لم تؤمروا بالمسح ، إنما أمرتم بالصلاة.

---

١ «شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور» ، ص ٤٩ للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

٢ «مجموع الرسائل الكبرى» (٢٩٨/١).

٣ أي الحجرة النبوية.

٤ «فقه العبادات» ، ص ٣٤٩ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

٥ «المعجم الكبيــر» ، قطعة من مسانيد من اسمه عبد الله ، ص ٥٣ ، تحقيق طارق بن عوض الله ، ط دار الراية – الرياض.

٦ (٤٩/٥).

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾[1]: إنما أُمِروا أن يصلوا عنده **ولم يؤمروا بمسحه** ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبْلها ، ولقد ذَكر لنا بعضُ من رأى أثر عـقِبِهِ وأصابعه[2] ، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق[3] وانمحى.[4]

وعن عُبيد بن جريج أنه سأل عبد الله بن عمر فقال له: يا أبا عبد الرحمٰن رأيتك تصنع أربعا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها ، قال: وما هي يا ابن جريج؟ قال: رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين ، فقال عبد الله بن عمر: أما الأركان فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين.[5]

ولما طاف معاوية رضي الله عنه بالبيت واستلم ركني الحجر اللذين يليان باب الكعبة أنكر عليه ابن عباس ذلك ، لأنه فعل أمرا زائدا على فعل النبي ﷺ ، فعن أبي الطفيل قال: رأيت معاوية يطوف بالبيت عن يساره عبد الله بن عباس ، وأنا أتلوهما في ظهورهما ، أسمع كلامهما ، فطفِق معاوية يستلم ركن الحِجر فقال له عبد الله بن عباس: إن رسول الله ﷺ لم يستلم هٰذين الركنين.

فيقول معاوية: دعني منك يا ابن عباس ، فإنه ليس منها شيء مهجور.

فطفق ابن عباس لا يزيده ، كلما وضع يده على شيء من الركنين قال له ذلك.[6]

وعن يعلى بن أمية قال: طفت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحَجَر[7] أخذتُ بيده ليستلم فقال: أما طفت مع رسول الله ﷺ ؟

قلت: بلى.

قال: فهل رأيته يستلمه؟

قلت: لا.

---

١ البقرة: ١٢٥ .

٢ أي أثر إبراهيم وأصابعه عليه السلام ، وكان هذا قبل تمسح الناس به ، الأمر الذي آل إلى محو تلك الآثار.

٣ معنى اخلولق أي بلى وصار أملسا من كثرة ما يُتمسح به.

٤ رواه ابن جرير في تفسير الآية المذكورة ، ورواه الأزرقي في «تاريخ مكة» ، باب ما جاء في الأثر الذي في المقام ، ، وقيام إبراهيم عليه السلام عليه (١/٥٣٢) ، الناشر: مكتبة الأسَدي – مكة.

٥ رواه البخاري (١٦٦) ، ومسلم (١١٨٧) ، وأبو داود (١٧٧٢) ، والنسائي (٢٦٦١) ، وأحمد (٢/١٧) ، ومالك في كتاب الحج (١/٣٣٣).

٦ رواه أحمد (١/٢٤٦) ، والطبراني (١٠٦٣١) ، (١٠٦٣٢) ، (١٠٦٣٤) ، (١٠٦٣٤) ، وقال الشيخ شعيب في تحقيقه على المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

٧ يعني الغربي الذي يلي الأسود ، وهو الركن الشامي الذي يلي باب الكعبة مباشرة.

قال: فانفُذ عنك[1] ، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وهذا كما أنه قد ثبت **باتفاق أهل العلم** أن النبي ﷺ لما حج البيت لم يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين ، فلم يستلم الركنين الشاميين ولا غيرهما من جوانب البيت ، ولا مقام إبراهيم ولا غيره من المشاعر ، وأما التقبيل فلم يُقبل إلا الحجر الأسود ، **وقد اتفق العلماء** على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن وقال ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ ، فإذا كان هذا بالسنة المتواترة وباتفاق الأئمة لا يشرع تقبيلها بالفم ولا مسحه باليد ؛ **فغيره من مقامات الأنبياء أولى أن لا يشرع تقبيلها بالفم ولا مسحها باليد.**

وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلى فيه بالمدينة النبوية دائماً[3] ، لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يُقبله ، ولا المواضع التي صلى فيها بمكة وغيرها.[4]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله: **فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها** ، فإن هذا التبرك غلو فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها ، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم ، **وهذا عام في كل شيء** ، حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي ﷺ وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة ، وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته ، فهو روح التعبد ، فهذا تعظيم للخالق وتعبد له ، **وذلك تعظيم للمخلوق وتألُّه له** ، والفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد.[5]

التنبيه الثالث: عظَّم النبي ﷺ بعض الأماكن المحرمة تعظيما خاصا ، غير أن هذا التعظيم الخاص لا يُفيد جواز التبرك بها ، فليُنتبه إلى هذا.

ومن ذلك تعظيمه للروضة الشريفة في المسجد النبوي ، حيث قال ﷺ : ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة.[6]

---

١ أي دعه وتجاوزه.

٢ رواه أحمد (٣٧/١) ، وأبو يعلى (١٨٢) ، وقال الشيخ شعيب في تحقيقه للمسند (٣٦٥/١): إسناده صحيح على شرط مسلم.

٣ عند الاسطوانة وهي ليست موجودة الآن.

٤ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٨٠٨/٢-٨٠٩) ، باختصار.

٥ «القول السديد في مقاصد التوحيد» ، باب من تبرك بشجر وحجر ونحوهما ، باختصار.

٦ رواه البخاري (٧٣٣٥) ومسلم (١٣٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: منبري على تِرعةٍ[1] من تِرع الجنة.[2]
وقال: قوائم منبري رواتب في الجنة.[3]
وأما معنى قوله (ما بين بيت النبي ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة) ، فهو أن ذلك الموضع بعينه يُنقل إلى الجنة ، أو أن العبادة في ذلك الموضع تؤدي إلى الجنة.[4]
وأما ، والتي رُوي أن النبي ﷺ كان يصلي عندها فقد جاءت في هذا آثار غير ثابتة عنه .
وأما ما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتبادرون للصلاة عند الأساطين – أي الأعمدة – التي كانت بالمسجد النبوي فليس هذا لمزية في العبادة عندها أو لبركة خاصة ، وإنما لأن النبي ﷺ أمر باتخاذ المصلي سترة في صلاته ، فقد قال ﷺ : (لا تصل إلا إلى سترة)[5] ، ولهذا كان الصحابة يبتدرون السواري في المسجد.[6]

التنبيه الرابع لولاة الأمر ورجال الحسبة:

قال ابن القيم في «الهدي» في فوائد غزوة الطائف لما غزا ثقيفاً وهدم صنم اللات ، وكانوا قد طلبوا منه أن يتركها لهم ثلاث سنين فأبى ، فما برِحوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى عليهم ، فسألوه شهرا فأبى ، فقال ابن القيم رحمه الله مبينا واجب ولي الأمر تُجاه مواضع الشرك:

---

١ الترعة هي الروضة على المكان المرتفع خاصة. انظر «النهاية».
٢ رواه أحمد (٣٣٥/٥).
٣ رواه أحمد (٢٨٩/٦) والنسائي عن أم سلمة رضي الله عنها.
٤ قاله الشيخ صالح بن غانم السدلان في «تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة» ، ص ٦٥ . ويراجع كلام القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم» ، فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي ﷺ من الأدب سوى ما قدمناه ، وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة ، وذكر قبره ومنبره ، وفضل سكنى المدينة ومكة» (٧٦/٢) ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.
٥ رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٨٠٠) ، وابن حبان (٢٣٦٢) ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وجوَّد إسناده الألباني رحمه الله في «صفة الصلاة» ص ٨٢ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في حاشيته على «صحيح ابن حبان»: إسناده صحيح على شرط مسلم.
٦ روى البخاري (٥٠٣) عن أنس رضي الله عنه أنه قال: أدركت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب.

ومنها[1]: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت **بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً** ، فإنها شعائر الكفر والشرك ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد **للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل** ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وأعظم شركاً عندها وبها ، والله المستعان.[2]

شبهات والجواب عليها

الشبهة الأولى: قاس بعضهم التمسح بالقبور على مسح الحجر الأسود وتقبيله!

والجواب على هذه الشبهة هو أن هذا القياس فاسد لأنه قياس مع الفارق ، فإن النبي ﷺ قبل الحجر الأسود بقصد التعبد لله لا التبرك بالحجر كما يقصد هؤلاء ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما أتى الحجر الأسود: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك.[3]

الشبهة الثانية: احتج بعضهم بما رواه إسماعيل القاضي في كتابه «فضل الصلاة على النبي ﷺ »:

حدثني إسحاق بن محمد قال ، حدثنا عبد الله بن عمر ، عن نافع ، أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر صلى سجدتين في المسجد ، ثم يأتي النبي ﷺ ، **فيضع يده اليمين على قبر النبي ﷺ** ، ويستدبر القبلة ، ثم يُسلم على النبي ﷺ ، ثم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فالجواب على هذا الأثر من وجهين:

الأول: ضعفُ إسناده ، فإن عبد الله بن عمر – الراوي عن نافع – ضعيف ، قال فيه ابن حبان البستي: روى عنه العراقيون وأهل المدينة ، كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الأخبار وجودة الحفظ للآثار ، فوقع المناكير في روايته ، فلما فحش خطؤه استحق الترك.[4]

وقال أبو عيسى الترمذي في «جامعه»: وعبد الله بن عمر ضعَّفه يحيى بن سعيد من قِبَل حفظه في الحديث.[5] وكذا قال البخاري.[1]

---

١ أي من الفوائد.

٢ «زاد المعاد» (٥٠٦/٣).

٣ تقدم تخريجه.

٤ «كتاب المجروحين من المحدثين» (٤٩٨/١).

٥ (١٩٠/١) ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما.

وقال الترمذي في «العلل الكبير» عن البخاري: ذاهبٌ لا أروي عنه شيئا.[٢]

وقال ابن المديني: عبد الله ضعيف.[٣]
وقال النسائي: ليس بالقوي.[٤]
وقال العقيلي: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سألت يحيى عن عبد الله بن عمر العمري فقال: ضعيف.[٥]
وقال الألباني رحمه الله في إسناد هذا الأثر: "إسناده موقوف ضعيف. وقوله: "ويضع يده اليمين على قبر النبي ﷺ " منكر ، تفرد به عبد الله بن عمر هذا عن نافع ، وهو العمري المكبر وهو ضعيف.
والراوي عنه إسحاق بن محمد هو الفروي ، وهو وان كان روى له البخاري ففيه ضعف.
قال أبو حاتم: كان صدوقا ، ولكن ذهب بصره وربما لُقِّن ، وكُتُبه صحيحه.
وقال مرة: يضطرب.
ووهَّاه أبو داود جدا.
فهذه الزيادة المنكرة منه أو من شيخه."[٦]
الثاني: أن هذا الأثر مخالف لما هو أرفع منه إسنادا ، فقد روى أبو الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه قال: قرأت على عبيد الله الزهري ، حدثك أبوك قال: حدثنا عبد الله بن جعفر عن أبي داود الطيالسي ، عن يحيى بن معين قال: حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ .[٧]
وروى أيضا في أماليه قال: قرأت على عبيد الله الزهري قلت له: حدثك أبوك قال: حدثني عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: سمعت أبا زيد حماد بن دليل قال لسفيان – يعني ابن عيينة قال: كان أحد يتمسح بالقبر؟

---

١ «الضعفاء الصغير» ، ترجمة رقم (١٨٨).
٢ انظر «التهذيب» (٢٠١/٣).
٣ انظر «ميزان الاعتدال» (١٥٢/٤) ، و «التهذيب» (٢٠٠/٣).
٤ «الضعفاء والمتروكين» ، ص ١٩٩ .
٥ كتاب «الضعفاء» (٦٧٩/٢).
٦ ص ٨٢ – ٨٣ .
٧ تقدم تخريجه.

قال: لا ، ولا يلتزم القبر ، ولكن يدنو.[١]

كذلك ، فإن هذا الأثر يخالف أثرا آخر صحيح الإسناد ، وهو أن ابن عمر كان إذا أتى من سفر أو أراد سفرا أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه.[٢] ثم ينصرف ولا يزيد على ذلك شيئا ، لا مسَّ قبرٍ ولا غيره.

الشبهة الثالثة: احتج بعض الناس بما رواه ابن سعد فقال:

أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك ، قال أخبرني ابن أبي ذئب عن حمزة بن أبي جعفر عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عبدٍ القاري أنه نظر إلى ابن عمر وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ، ثم وضعها على وجهه.[٣]

ورواه ابن حبان بنحوه في ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عبدٍ القاري.[٤]

والجواب: هذا أثر لا يثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ففيه حمزة بن أبي جعفر ، ترجم له البخاري في «التاريخ الكبير»[٥] وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»[٦] ، ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا.

وإبراهيم بن عبد الرحمٰن ذكره البخاري في «التاريخ الكبير»[٧] ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، فهما في عداد المجاهيل.

بل الوارد عن السلف كراهية هذا الفعل – أي وضع اليد على المنبر – ، فقد روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» بسنده عن سعيد بن المسيب أنه كرِه أن يضع يده على المنبر.[٨]

ثم إن المنبر الذي كان ابن عمر يضع يده عليه – إذا صح عنه – إنما هو المنبر الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ ويجلس عليه ، أما الآن فقد تغيَّـر المنبر ، فلا معنى لهذا الاستحباب.[٩]

---

١ تقدم تخريجه.

٢ تقدم تخريجه.

٣ انظر «الطبقات» (٢٥٤/١) ط دار صادر – بيروت.

٤ انظر «الثقات» (٩/٤) ط حيدر أباد – باكستان.

٥ (٥١/٣).

٦ (٢٠٩/٣).

٧ (٢٩٧/١).

٨ «الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار» (٤٣٥/٣) ، كتاب الحج ، باب في مس منبر النبي ﷺ .

٩ استفدت هذه الفائدة من «تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة» ، ص ٦٣ ، للشيخ صالح بن غانم غانم السدلان حفظه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله: وقد رخَّص أحمد وغيرُه في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي ﷺ ويده ، وكرِه مالك رحمه الله التمسح بالمنبر كما كرهوا التمسح بالقبر ، وأما اليوم فقد احترق المنبر وما بقيت الرمانة ، وإنما بقي من المنبر خشبة صغيرة ، فقد زال ما رُخِّص فيه ، لأن الأثر المنقول عن ابن عمر وغيرها إنما هو التمسح بمقعده.[1]

الشبهة الرابعة: تعلق بعض الناس بما رُوي عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال: (لا بأس به) ، أي تقبيل القبر النبوي!

وهذه الشبهة مردودة من جهة أن هذا النقل غير ثابت عن الإمام أحمد ، فقد قال ابن قدامة في «المغني»:

"لا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ ولا تقبيله.

قال أحمد: **ما أعرف هذا**.

قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ﷺ ، يقومون من ناحية فيسلمون. قال أبو عبد الله – (يعني الإمام أحمد) [2] –: وهكذا كان ابن عمر يفعل"[3].

الشبهة الخامسة: احتج بعض الناس بما ورد عن النبـــــي ﷺ أنه جاء إلى سقاية[4] العباس بن عبد المطلب ليشرب من الساقية ، فأمر العباس ابنه عبد الله أن يأتي النبي ﷺ بماء آخر من الدار غير الماء الذي يشرب منه الناس لأن العباس استقذره وقال: يا رسول الله ، هذا تمسه الأيدي ، نأتيك بماءٍ غيره[5] ، فقال النبي ﷺ : لا ، إنما أريد بركة المسلمين وما مسَّته أيديهم.

قال بعض الناس: ما دام أن النبي ﷺ طلب أن يتبرك بما مسته أيدي الناس ، فيصح أيضا أن يُتبرك بعموم آثار الصالحين كذواتهم ولباسهم وأيديهم وغير ذلك من آثارهم ، بل جعلوا ذلك دليلا على جواز التبرك بقبورهم بمسحها وتقبيلها ونحو ذلك!

والجواب عن هذه الشبهة أن الشطر الأول من الحديث ثابت بل قد رواه البخاري.

---

١ قاله في «الاقتضاء» (٢/٧٢٦-٧٢٧).

٢ ما بين القوسين من كلام ابن قدامة رحمه الله.

٣ «المغني» ، آخر كتاب الحج (٥/٤٦٨) ، ط هجر – مصر.

٤ السقاية إناء يشرب فيه.

٥ رواه البخاري (١٦٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

"وأما لفظة: (إنما أريد بركة المسلمين وما مسته أيديهم) في قصة العباس فليست في صحيح البخاري ولا في غيرها من الأمهات الست ، وإنما رواها أبو حفص الملاء في سيرته بلفظ: "فقال اسقني لأتبرك بأكف المسلمين" ، وقد ضعف إسنادها الحافظ العراقي في كتابه «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»."[1]

وبهذا يُعلم أن هذه الزيادة غير ثابتة في أصل الحديث ، فلا يصح الاستدلال بها على جواز التبرك بآثار الصالحين والله أعلم.

الشبهة السادسة: تعلق بعض الناس بما ورد عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها كانت تأتي قبر عمها حمزة رضي الله عنه فترمُّه (أي تُرمِّمه) وتُصلحه.

قالوا: وفي هذا دليل على وجوب العناية بالقبور لئلا تندرس آثارها ، ومن ثمَّ فيمكن التبرك بها! وقد روى هذا الأثر ابن سعد في «الطبقات» فقال: أخبرنا عبد الله بن نمير ، قال: أخبرنا زياد بن المنذر عن أبي جعفر قال: كانت فاطمة تأتي قبر حمزة فترمُّـهُ وتصلحه.[2]

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أنه أثر مكذوب على فاطمة رضي الله عنها ، إذ في إسناده زياد بن المنذر.

قال الإمام أحمد: متروك الحديث.[3]

وقال يحيى بن معين: كذاب ، ليس بثقة.[4]

وقال ابن حبان: **كان رافضيا** ، يضع الحديث في مثالب أصحاب النبي ﷺ ، ويروي في فضائل أهل البيت أشياء ما لها أصول ، لا يحل كتابة حديثه.[5]

الثاني: نكارة المتن ، فإن النساء عموما منهيات عن زيارة القبور كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن الله زوارات القبور[6] ، فهل يعقل أن بنت رسول الله ﷺ تفعل ذلك؟

---

١ قاله الشيخ محمد بن إبراهيم في «شفاء الصدور» ، ص ٥٠ – ٥١ ، باختصار.

٢ «الطبقات» لابن سعد (٩٩/٣) ، ط دار بيروت للطباعة والنشر.

٣ «كتاب الجرح والتعديل» (٥٤٦/٣).

٤ المصدر السابق.

٥ «كتاب المجروحين من المحدثين» (٣٨٤/١).

٦ رواه الترمذي (١٠٥٦) وأحمد (٣٣٧/٢) ، وحسنه الألباني ومحققو «المسند» (١٦٤/١٤) ، وفي الباب عن ابن ابن عباس رضي الله عنهما: (لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد) ، وقد تقدم ذكره في المظهر الثاني.

ولو إنها كانت تفعل ذلك ، فهل يعقل أنها كانت تفعل ذلك ورسول الله ﷺ لا ينهاها؟!

فإن قيل إنها فعلت ذلك بعد وفاة الرسول ﷺ فإن هذا لا يستقيم أيضا ، لأن فاطمة ماتت بعد الرسول ﷺ بستة أشهر ، والأثر يقول إنها تأتي كل عام فتصلح قبر عمها وترمه ، فالأثر ظاهر البطلان.

تنبيه

- قد روى هذا الأثر أيضا أبو عبد الله الحاكم عن سليمان بن داود ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه: أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة ، فتصلي وتبكي عنده.[1]

ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» من طريق الحاكم به.[2]

قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: منكر جدا ، وفيه سليمان بن داود وقد ضُعِّف.

وأما نكارة متن هذا الأثر فظاهرة ، لأن فيه أن فاطمة ارتكبت أربعة كبائر!

أنها اتخذت قبر عمها مسجدا ، وأنها تعوده كل أسبوع – وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور أعيادا – ، وأنها تنوح على الميت – والنياحة من كبائر الذنوب – ، وأنها كانت تزور القبور وقد نهى النبي ﷺ عن زيارة النساء للقبور ، ولا يخفى قبح الواحد من هذه الأربعة في واحد من الناس ، فكيف بها مجتمعة في بنت النبي ﷺ ؟ فهذا مما يدل على بطلان نسبة هذا القول أصلا.

- وقد روى هذا الأثر أيضا عبد الرزاق في «مصنفه» عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تزور قبر حمزة كل جمعة.[3]

وهذا الطريق ضعيف لإرساله ، لأن أبا جعفر لم يدرك فاطمة رضي الله عنها ، فقد ولد سنة ستين[4] ، وفاطمة ماتت في السنة الثالثة رضي الله عنها.

وقد أشار البيهقي إلى ضعف هذا الأثر ، فذكره في «السنن الصغرى» بصيغة التمريض ، فقال: رُوِي.[5]

- وقد روى هذا الأثر أيضا عبد الرزاق في «مصنفه» أيضا عن البجلي عن الكلبي عن الأصبغ بن نباته ، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تأتى قبر حمزة ، وكانت قد وضعت عليه علما تعرفه.[6]

---

١ «مستدرك الحاكم» (٥٣٣/١) ، كتاب الجنائز.

٢ كتاب الجنائز ، حديث رقم (٧٢٠٨).

٣ (٥٧٢/٣).

٤ انظر «التهذيب» ترجمة رقم (٧٢٧٤).

٥ (٣٧٧/١) بتحقيق خليل مأمون شيحا ، ط دار المعرفة.

٦ (٥٧٤/٣) ، برقم (٦٧١٧).

وهذا الخبر مكذوب أيضا ، فيه الكلبي وهو محمد بن السائب.

قال فيه الدارقطني: متروك.[١]

وقال الجوزجاني: كذاب ساقط.[٢]

وقال ابن حبان: وكان الكلبي سبئيا من أصحاب عبد الله بن سبأ ، من أولئك الذين يقولون: إن عليا لم يمت ، وأنه راجع إلى الدنيا ، يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها.[٣]

وقال الساجي: متروك الحديث ، وكان ضعيفا جدا لفرطه في التشيع ، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع.[٤]

وفي الإسناد كذاب آخر وهو الأصبغ بن نباته.

قال يحي بن معين: ليس بشيء.[٥]

وقال أبو بكر بن عياش: الأصبغ بن نباتة ، وهيثم ، هؤلاء كلهم الكذابون.[٦]

قال ابن حبان: أتى بالطامات في الروايات ، فاستحق من أجلها الترك.[٧]

- وقد روي هذا الأثر من طريق آخر فقال ابن عبد البر رحمه الله: قال أبو بكر[٨]: وحدثنا مسدد ، قال قال حدثنا نوح بن دراج عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تزور قبر حمزة بن عبد المطلب كل جمعة ، وعلمته بصخرة.[٩]

وهذا السند ساقط أيضا ، إذ فيه نوح بن دراج وهو متروك الحديث ، وقد كذبه ابن معين.[١٠]

ثم إن في السند انقطاعا بين جعفر بن محمد وفاطمة رضي الله عنها ، فقد تقدم أن أبا جعفر لم يلق فاطمة ، فقد ولد سنة ستين ، وتوفيت فاطمة في السنة الثالثة للهجرة ، فكيف بابنه جعفر؟

---

١ «موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله» ، ترجمة رقم (٣٠٨٧).

٢ «تهذيب التهذيب» ، ترجمة رقم (٦٩٦٠).

٣ «كتاب المجروحين من المحدثين» (٢٦٢/٢).

٤ «تهذيب التهذيب» ، ترجمة رقم (٦٩٦٠).

٥ «كتاب الجرح والتعديل» (٣١٩/٢) ، وكتاب «المجروحين من المحدثين» (١٩٦/١).

٦ «كتاب الضعفاء» للعقيلي (١٤٨/١).

٧ «كتاب المجروحين من المحدثين» (١٩٦/١).

٨ يعني الأثرم.

٩ «التمهيد» لابن عبد البر ، كتاب الضحايا ، باب ادخار لحوم الأضاحي (٣٠١/١٠) ، ط دار الفاروق الحديثة الحديثة – مصر.

١٠ انظر «التقريب» ، ترجمة رقم (٧٢٠٥).

وخلاصة القول أن هذا الأثر مكذوب على فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ ، قد افتراه بعض الرافضة – عباد القبور – عليها ، وإلا فإن ترميم القبور واستصلاحها والمحافظة عليها من الاندثار ليس من شريعة الإسلام البتة ، بل الشريعة بخلافه ، كأمره ﷺ عليا بتسوية القبور ، والله الهادي.

الشبهة السابعة: قال بعض الناس:

لقد أثبت القرآن صراحة لا تلميحاً ولا مجازاً أن بقايا الصالحين وآثارهم يمكن التوسل بها في استجلاب الخير ودفع الضر مهما تقادم بها العهد ، واستدلوا بقول الله تبارك وتعالى ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾.

وقد أجاب عن هذه الشبهة فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله بما نصه:

الجواب أن يقال: إن الشريعة المحمدية الكاملة قد نسخت الشرائع التي كانت قبلها ، فليس لأحد أن يعمل بشيء يخالفها ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الغلو ، وأعظم الغلو ما كان وسيلة إلى الشرك بالله تعالى ، ومنه التبرك ببقايا الصالحين وآثارهم والتوسل بها في استجلاب الخير واستدفاع الضرر ، وقد قال رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك.

رواه مسلم من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

قال النووي في «شرح مسلم»: قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به ، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية. انتهى.

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي الصحيحين وغيرهما أيضاً عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نُزِل برسول الله ﷺ طفِق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا.

وفي هذه الأحاديث دليل على أنه لا يجوز التبرك بآثار الصالحين ولا الدعاء عند قبورهم ومقاماتهم ، لأن ذلك وسيلة إلى الغلو فيهم والإشراك بهم ، وسدُّ الذرائع المفضية إلى الشرك هو الحكمة في نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً وعن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ولعنه الذين اتخذوا قبورهم مساجد.

وبالجملة فليس في الآية من سورة البقرة وهي قوله تعالى ﴿وقال لهم نبيهم﴾ الآية ما يدل على جواز التوسل ببقايا الصالحين وآثارهم في استجلاب الخير واستدفاع الضرر ، ومن زعم أن الآية تدل على جواز التوسل ببقاياهم وآثارهم فقد جمع بين ثلاثة أمور محرمة:

أحدها: الغلو في الصالحين ، والغلو فيهم من أعظم الوسائل إلى الشرك بهم ، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو وتقدم ذكر الحديث في ذلك.

الثاني: القول في القرآن بمجرد الرأي.[1]

الثالث: اتباع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وتضليل الجهال الذين لا يعرفون الفرق بين الحق والباطل ، وقد قال الله تعالى ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾.

وقد قال ابن وضاح في كتاب «البدع والنهي عنها»:

كان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قِباءً وأحداً.

قال ابن وضاح: وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتَّبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يُقتدى به ، وقدم وكيع أيضاً مسجد بيت المقدس فلم يعدُ فعل سفيان[2].

قال ابن وضاح: فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين.[3]

انتهى كلام الشيخ حمود رحمه الله.[4]

الشبهة الثامنة: فإن قيل إن سلمة بن الأكوع كان يتحرى الصلاة عند أسطوانة بالمسجد النبوي!

فالجواب أنه كان يتأسى في هذا بالنبي ﷺ ، وقد كان من هديه ﷺ أنه لا يصل إلا إلى سترة ، ولهذا أخرج البخاري في كتاب الصلاة ، «باب الصلاة إلى الأسطوانة» قول عمر: المصلون أحق بالسواري من المتحدثين إليها.

ورأى عمر رجلا يصلي بين أسطوانتين فأدناه إلى سارية فقال: صل إليها.

---

١ وهذا حرام لقوله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لكم به علم﴾ ، وقوله تعالى لما ذكر المحرمات ﴿وأن تقولوا على الله ما ما لا تعلمون﴾.

٢ أي لم يتعد فعله.

٣ انظر باب ما جاء في اتباع الآثار.

٤ «الأجوبة الجلية على الأسئلة الكويتية» ، ص ١٦ – ٢٢ ، باختصار.

وله عن يزيد بن أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف ، فقلت: يا أبا مسلم ، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة!
قال: فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها.[1]
وله عن أنس قال: لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب.

خلاصة القول في مسألة التبرك

خلاصة القول في مسألة التبرك ثلاثة أمور:

١. أن البركة من الله وحده لا شريك له ، فهو خالقها وواهبها ، يجعلها فيما شاء من مخلوقاته وينزعها ممن شاء سبحانه ، حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى.

٢. أن ما شرع الله التبرك به من الأفعال والأقوال والأزمنة والأمكنة والأزمنة إنما هو أسباب للبركة وليست هي التي تأتي بالبركة من عند نفسها ، فهي كالأدوية التي جعلها الله سببا للشفاء والشافي هو الله ، فكما أنه لا يصح أن يُطلب الشفاء من الدواء نفسه فكذلك لا يصح أن تطلب البركة من السبب نفسه ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله ، لأنه جعل لله شريكا في ملكه ، نسأل الله العافية.

٣. لا يستحب تقبيل أو مسح شيء من الذوات ولا الجمادات ، إلا الحجر الأسود ، فإنه يشرع تقبيله في الطواف أو مسحه لمن لم يستطع تقبيله بقصد التعبد لا بقصد التبرك ، وما سوى ذلك فمسحه أو تقبيله بدعة ومن خصال الجاهلية ، لا سيما قبور الصالحين ، بل هو مفضٍ إلى عبادة ذلك المتبرك به – عياذا بالله –.

---

١ ورواه مسلم (٥٠٩) أيضا.

أدلة النهي عن تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء أو صلوا عندها

تقريرات لبعض أهل العلم في باب تحريم تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء

تنبيهان

ضوابط وكلمات جامعة في باب تعظيم بعض الأماكن

شبهات والجواب عليها

خلاصة

من مظاهر الغلو: تعظيم الأماكن التي مر بها بعض الأنبياء أو صلَّوا عندها لمجرد أنهم مروها أو صلوا عندها ، وبعض الناس يتعبَّد عندها ، فيصلي عندها ويدعو وربما تمسح بتلك الأمكنة ، ومن تلك الأمكنة طور سيناء الذي ذهب إليه موسى عليه السلام ، وغار حراء بمكة الذي كان يتعبد فيه النبي ﷺ قبل بعثته ، ونحوها من الأماكن ، وهذا التعظيم في غير محله ، فإن تلك الأماكن لو كان تعظيمها والعبادة عندها من الدين لبينه النبي ﷺ ، لأنه أعلم الأمة بأمر دينها ، ولأنه أحرص الناس على الخير ، ولأنه مسؤول عن تبليغ الدين للناس ، ولما تركه لاجتهادات الناس. فلما لم يكن شيء من ذلك ؛ عُلِم أن تعظيم تلك الأماكن من البدع والمحدثات في دين الله.

أدلة النهي عن تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء أو صلوا عندها

● وقد جاء في السنة المطهرة ما يدل على ذم قصد تلك الأماكن بسفر أو غير سفر بقصد التعبد أو التعظيم ، لأن ذلك من وسائل الشرك ، منها حديث ليث عن شهر قال: لقِينا أبا سعيد **ونحن نريد الطور**[1] فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تُشد المِطِيُّ[2] إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس.[3]

يُستفاد من الحديث أن غير الأماكن التي حددها النبي ﷺ بقصد العبادة فإنه لا يُشرع الذهاب إليها لعبادة ولا دعاء ولا غيره.

● وروى ابن أبي شيبة أن أبا بُصرة الغفاري لقي أبا هريرة رضي الله عنه وقد أتى من الطور فقال أبو بصرة: من أين أقبلت؟

فقال: من الطور.

فقال أبو بصرة: أما لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تُعمل المِطِيُّ إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام ، وإلى مسجدي ، وإلى مسجد إيلياء – أو بيت المقدس – يشك؟[4]

● وعن قزعة قال: سألت ابن عمر: آتي الطور؟

---

١ وهو المكان الذي كلم فيه الله عز وجل موسى عليه السلام.

٢ المِطِيُّ جمع مَطِية ، وهي الناقة التي يُركب مَطاها ، أي ظهرها. انظر «النهاية».

٣ تقدم تخريجه.

٤ تقدم تخريجه.

فقال: دعِ الطور ، لا تأته ، وقال: لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله: فإن الصحابة والتابعين والأئمة لم يعرف عنهم نزاع في أن السفر إلى القبور وآثار الأنبياء داخل في النهي ، كالسفر إلى الطور الذي كلَّم الله عليه موسى وغيره – وإن كان سماه الله الوادي المقدس وسماه البقعة المباركة ونحو ذلك – ، فلم يعرف عن الصحابة نزاع أن هذا وأمثاله داخل في النهي ﷺ عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة ، كما لم يعرف عنهم نزاع أن ذلك منهي عنه ، وأن قوله "لا تشد الرحال" نهيٌ بصيغة الخبر ، كما قد جاء في الصحيح بصيغة النهي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: لا تَشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى.

فالصحابة ومن تبِعهم لم يعرف عنهم نزاع أن هذا منهي عنه ، فإن لفظه ﷺ صريح في النهي ، ولم يُعرف عنهم نزاع أن النهي متناول للسفر إلى البقاع المعظمة غير المساجد ، سواء كان النهي عنها بطريق فحوى الخطاب ، وأنه إذا نهى عن السفر إلى مسجد غير الثلاثة فالنهي عن السفر إلى ما ليس بمسجدٍ أولى ، أو كان بطريق شمول اللفظ ، فالصحابة الذين رووا هذا الحديث بينوا عمومه لغير المساجد ، كما في «الموطأ» و «المسند» والسنن عن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة: من أين أقبلت؟ قال: من الطور ، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام ، وإلى مسجدي هذا ، وإلى مسجد إيليا — أو قال — بيت المقدس.

وقال أبو زيد عمر بن شبه النميري في كتاب «أخبار المدينة» : حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا عبد الحميد بن نهرام ، حدثنا شهر بن حوشب ، سمعت أبا سعيد الخدري – وذُكر عنده الصلاة في الطور – فقال: قال رسول الله ﷺ : لا ينبغي للمطي أن تُشد رحالها إلى مسجد تُبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا.

فهذا فيه أنه رواه بلفظ مسجد ، وبين أن النهي متناول للطور وإن لم يكن مسجدا بطريق الأولى ، فإن الذين يقصدون الطور ومثله لا يقصدونه لأنه مسجد ، بل ولم يكن هناك قرية يَتخذ المسلمون فيها مسجدا ، وبناء المسجد حيث لا يصلى فيه بدعة ، وإنما يقصدونه لشرف البقعة ، **فعُلم أن النهي عن المساجد نهي عن غيرها بطريق الأولى.**

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: أحب البقاع إلى الله المساجد.

---

١ رواه ابن أبي شيبة (١٥٥٣٩) ، وصحح إسناده الألباني في «تحذير الساجد» ، ص ٩٥ .

فإذا كان قد حُرِّم السفر إلى أحب البقاع إلى الله غير الثلاثة ، فما دونها في الفضيلة أولى أن يُنهى عنه ، كما قال الصحابة.[1]

● فعن المعرور بن سُوَيد قال: خرجنا مع عمر في حَجة حَجها ، فقرأ بنا في الفجر ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ ، و ﴿لإيلاف قريش﴾ ، فلما قضى حَجّه ورجع والناس يبتدِرون[2] ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجدٌ صلى فيه رسول الله ﷺ .

فقال: هكذا هلك أهل الكتاب ، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً[3] ، من عَرضت له منكم الصلاة فليُصلِّ ، ومن لم تعرِضْ له منكم فيه الصلاة فلا يُصلِّ.[4]

وفي روايةٍ: أنه رأى أناسٌ يَنزِلون فيُصلون في مسجدٍ ، فسأل عنهم فقالوا: مسجدٌ صلى فيه النبي ﷺ .

فقال: **إنما هلك من كان قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيعاً** ، من مرَّ بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليُصلِّ ، وإلا فليمضِ.[5]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا الحكمة من قول عمر: وهذا لأن الله لم يشرع للمسلمين مكانا يتناوبونه للعبادة إلا المساجد خاصة ، فما ليس بمسجد لم يُشرع قصده للعبادة وإن كان مكان نبي أو قبر نبي.[6]

● ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه أرسل فقطعها ، كما رواه ابن وضاح في كتابه «البدع والنهي عنها» فقال: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب

---

١ «الرد على الإخنائي» ، ص ١١٤ – ١١٧ .

٢ أي: يبتدِرون مكاناً يقصدونه للصلاة والعبادة.

٣ البِيَع جمع بيعة بكسر الباء ، وهي كنيسةُ للنصارى. انظر «مختار الصحاح» ، مادة: «بيع».

٤ هذه رواية ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٣/٢).

٥ هذه رواية عبد الرزاق في «المصنف» (١١٨/٢) رقم (٢٧٣٤).

ورواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ، باب ما جاء في اتِّباع الآثار ، وعزاه ابن تيمية في «الاقتضاء» (٧٥١/٢) إلى «سنن سعيد بن منصور» ، وليس في القسم المطبوع منه ، فلعله في المفقود.

والأثر صححه ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣٣/٢٧) و «الرد على البكري» (٤٣٣/٢) ، وكذا ابن حجر في الفتح (٦٧٨/١) شرح أثر رقم (٤٨٣) ، والألباني في «فضائل الشام ودمشق» ، ص ٥٠ ، (ط ١ ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض).

٦ «مجموع الفتاوى» (٣٣/٢٧ – ٣٤).

رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها ، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة.[1]

ففي هٰذين الأثرين عن عمر يتبين لنا أربعة أمور:

الأول: كراهية عمر رضي الله عنه لتعظيم المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ اتفاقا ولم يقصد الصلاة فيه ، وما ذاك إلا لأن النبي ﷺ لم يُعظمه ، ولم يَشرع عنده صلاة ولا غيرها ، وإنما صلى عندها اتفاقا بدون قصد الصلاة عنده.

وقول عمر حُجة ، لأن الرسول ﷺ أمرنا أن نتبع سنته كما في قوله عليه الصلاة والسلام: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسَّكوا بها وعَضوا عليها بالنواجذ.[2]

الثاني: أن عمر رضي الله عنه نصَّ على أن أهل الكتاب إنما هلكوا بسبب تتبعهم لآثار أنبياءهم التي لم يُرشدوا أقوامهم إلى تتبُّعها ، فيكون تتبعهم لها من التكلف والغلو في الدين ، ولهذا أمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ بيعة الرضوان ، لأن الناس كانوا يتحرون الصلاة عندها مع كونهم لم يؤمروا بذلك ، فقطعها عمر لِما خاف على الناس من الافتتان بها بتعظيمها ومن ثمَّ عبادتها.

الثالث: أن مشاركة النبي ﷺ في صورة الفعل دون موافقته في قصد الفعل لا يعتبر اتباعا له ﷺ ، والصواب أنه ينبغي أن الاتباع الصحيح يكون باتباع مقاصد الأفعال لا صُورها فحسب.

الرابع: أن الأماكن التي يُشرع الصلاة والتعبد فيها هي التي بينها الرسول ﷺ كالمساجد الثلاثة ومسجد قباء ، وأما ما سواها فلا.

● ومن أدلة تحريم تعظيم الآثار التي لم يرد في الشرع تعظيمها أن ذلك من طريقة أهل الكتاب الذين يجب مخالفتهم ، فإنه لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس قال لكعب الأحبار[3]: أين ترى أن أبني مصلى المسلمين؟

قال: ابنِهِ خلف الصخرة.

---

١ رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ، برقم (١٠٦).

٢ تقدم تخريجه.

[3] كعب الأحبار هو لقب كعب بن ماتع الحِميَري ، من التابعين ، كان من علماء اليهود وكان مسكنه باليمن ، أسلم في عهد عمر وقدم المدينة ، وكان يروي عن أهل الكتاب ، ثم خرج إلى الشام وتوفي بها سنة ٣٢ في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب».

فقال عمر: خالطتك يهودية يا ابن اليهودية ، بل أبنيهِ أمامها ، فإن لنا صدور المساجد.[1]

قلت: الصخرة التي ببيت المقدس كانت قبلة لليهود ، وصلى إليها المسلمون في أول الإسلام قبل أن يأتي الأمر بتحويل القبلة إلى الكعبة في قوله تعالى ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ ، ولما فتح عمر بيت المقدس بنى المصلى وجعله بين الصخرة والحرم المكي ، ولم يجعل الصخرة في قبلة المسجد ، وهذا من فقهه رضي الله عنه ، فإنه لو جعل الصخرة بين المسجدين لَدَخل على المصلي في صلاته تعظيم الصخرة التي يُعظمها اليهود ، فجعل الصخرة خلفه وبنى المسجد الذي تسميه الناس الأقصى ، ولم يُعظِّم الصخرة بشيء.

ومصلى المسلمين هو الذي يُعرف بالمسجد الأقصى ، وهو يتناول جميع المسجد الذي بناه سليمان بن داود عليهما السلام ، وقد سُمِّي (أقصى) لأنه بعيد عن المسجدين المكي والنبوي ، فهو قَاصٍ عنهما.

وقد ثبت أن ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه وصلى فيه ولا يَقرب الصخرة ولا يأتيها ، ولا يقرب شيئا من تلك البقاع ، وكذلك نُقل عن غير واحد من السلف المعتَبَرين ، كعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم ، وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مِزية لبعضها على بعض ، إلا ما بناه عمر رضي الله عنه لمصلى المسلمين.[2]

قال ابن وضاح: وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يَتَّبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضا ممن يُقتدى به ، وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يعدُ[3] فعل سفيان.

فعليكم باتباع أئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعضُ من مضى: كم مِن أمرٍ هو اليوم معروفٌ عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى ، ومتحبِّب إليه بما يُبَغِّضه عليه ، ومتقرِّب إليه بما يُبَعِّده منه ، وكل بدعةٍ عليها بهجة وزينةٌ.[4]

---

١ رواه أحمد (٣٨/١) عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القُدس كلها بين يديك.

فقال عمر رضي الله عنه: (ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ) ، فتقدَّمَ إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكُناسة في ردائه وكنس الناس.

وانظر «مجمع الزوائد» (٩/٤)

٢ انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (٨١٨/٢).

٣ أي لم يتعداه ، بل فعل فعله ولم يتجاوزه.

٤ «البدع والنهي عنها» ، باب ما جاء في اتباع الآثار.

وروى مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي أن هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة ، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تُقدِّس أحدا ، وإنما يُقدس الإنسان عمله.[1]

- **تقريرات لبعض أهل العلم في باب تحريم تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء**

- قال الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي رحمه الله في كتابه «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور»: اعلم أن كل مكان لا فضل له في الشريعة أصلاً ، ولا فيه ما يوجب تفضيله ، بل هو كسائر الأمكنة أو دونها ، وقصد ذلك المكان أو قصد الاجتماع فيه لصلاة أو دعاء أو ذكر أو غير ذلك من معتقد قاصده من الضلال الواضح ، والخطأ الفاضح ، إذ هو تشريع في الدين ، وتفضيل بقعة لم تفضلها الشريعة ، بل مجرد الهوى الذي جعله الله تعالى بمنزلة إله يعبد ، فقال سبحانه ﴿أفرأيت من أتخذ إلهه هواه﴾ وفي ذلك مشابهة للمشركين في تفضيلهم أماكن بمجرد هوى أنفسهم ، فإنهم كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك ، أو غير تمثال ، يعتقدون أن ذلك يقربهم إلى الله تعالى.[2]
- وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[3] رحمه الله:

---

١ رواه مالك في «الموطأ» ، كتاب الوصية ، باب جامع القضاء وكراهيته ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٧٠).

٢ ص ٥٨ – ٥٩ ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة.

وقد علق شيخ الإسلام رحمه الله على هذا الأثر تعليقا لطيفا فقال كما في «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٥-٤٦):

وهو كما قال سلمان الفارسي ، فإن مكة حرسها الله تعالى أشرف البقاع ، وقد كانت فى غربة الإسلام دارَ كفرٍ وحربٍ يَحْرم المُقام بها ، وحُرِّمَ بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها ، وقد كانت الشام فى زمن موسى عليه السلام قبل خروجه ببني إسرائيل دار الصابئة المشركين الجبابرة الفاسقين ، وفيها قال تعالى لبنى إسرائيل ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ ، فإن كون الأرض دار كفر أو دار إسلامٍ أو إيمانٍ ، أو دار سِلمٍ أو حربٍ ، أو دار طاعةٍ أو معصيةٍ ، أو دار المؤمنين أو الفاسقين ؛ أوصافٌ عارضةٌ لا لازمةٌ ، فقد تنتقل من وصف إلى وصف ، كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى الإيمانِ والعلمِ ، وكذلك بالعكس .

وأما الفضيلة الدائمة فى كل وقت ومكان ففي الإيمان والعمل الصالح ، كما قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ ، فلا ينبغي للرجل أن يلتفت إلى فضل البقعة في فضل أهلها مطلقا ، بل يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، ولكن العبرة بفضل الإنسان فى إيمانه وعمله الصالح والكلم الطيب. انتهى باختصار.

٣ هو الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، شيخ الإسلام في وقته ، ملأ الدنيا علما وفقها ومساجد ومشاريع علمية ، تخرج على يده جم غفير من طلبة العلم ، غالب من خلفه من علماء المملكة العربية السعودية وطلابها

إن تعظيم الآثار لا يكون بالأبنية والكتابات والتأسي بالكفرة ، وإنما تعظيم الآثار يكون باتباع أهلها في أعمالهم المجيدة وأخلاقهم الحميدة وجهادهم الصالح قولاً وعملاً ودعوةً وصبراً ، هكذا كان السلف الصالح يعظمون آثار سلفهم الصالحين ، وأما تعظيم الآثار بالأبنية والزخارف ونحو ذلك فهو خلاف هدي السلف الصالح ، وإنما ذلك سنة اليهود والنصارى ومن تشبه بهم ، وهو من أعظم وسائل الشرك وعبادة الأنبياء والأولياء كما يشهد به الواقع وتدل عليه الأحاديث والآثار المعلومة في كتب السنة.[1]

تنبيهان

تنبيه يتعلق بزيارة مساجد معينة في المدينة النبوية غير المسجد النبوي ومسجد قِباء

بعض زوار المدينة النبوية يتحرون الصلاة فيما يسمى بالمساجد السبعة ، ويعتقدون أن فيها مزية وفضل على غيرها من المساجد ، لكون النبي ﷺ مر بها وصلى فيها ، ومنها مسجد القبلتين ومسجد عائشة وغيرها من المساجد ، وهذا بدعة ، لأن النبي ﷺ لم يرشد له ، والصحابة والقرون المفضلة لم يفعلوه ، وهو من باب تتبع آثار الأنبياء في غير دليل شرعي ولا هدي مرعي ، فالواجب الحذر ، والاكتفاء بما اكتفت به خير القرون ، فإن الزيادة في دين الله تنقيص له.

وقضاتها عيالٌ عليه ، شغل منصب نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عند افتتاحها ، ثم ترأسها بعد سنة ، فكانت منذ افتتاحها ولا زالت دوحة علمية ، يستفيد منها طلاب العلم الذين يأتونها من أنحاء الدنيا ، وبعضهم قد صار في مصافِّ العلماء في بلادهم ، له مجموع فتاوى يقع في ثلاثين مجلدا ، وله كتب ورسائل كثيرة ، وهو معروف بكثرة الشفاعات للناس ، ومساعدتهم لقضاء حوائجهم ، وهو معروف أيضا بالنصح لكل مسلم مهما كان مقامه ، بل حتى رؤساء الحكومات الكافرة قد بلغهم نصحه ، والكلام في آثاره العلمية والدعوية والتربوية يطول جدا.

أُلِّفت في سيرته تراجمُ عدة ، منها «عبد العزيز بن باز ، عالم فقدته الأمة» لمستشاره د. محمد بن سعد الشويعر ، وكذلك «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله» لمدير مكتبه الشيخ محمد بن موسى الموسى.

توفي رحمه الله في مستهل عام ١٤٢٠ عن تسعين عاما ، فاهتزت الدنيا لموته ، ودخل الحزن بيوت المسلمين عامة ، واجتمع للصلاة عليه الأمراء والوزراء والعلماء والقضاة وطلبة العلم والمثقفون والعامة ، وصُلّي عليه في المسجد الحرام ، وسار في جنازته ما يربو على المليون مسلم ، وشُغِلت الصحف بخبر وفاته زمنا ليس بالقليل ، أما المراثي الشعرية والنثرية التي أُلِّفت فيه فحدث ولا حرج.

[1] «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٩١/١) ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله.

وما نقلته هو جزء من مقال بعنوان: الرد على مصطفى أمين.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه إلا مسجد قِباء ، **أما سائر المساجد فلها حكم المساجد** ، ولم يخصها النبي ﷺ بإتيان ، ولهذا كان الفقهاء من أهل المدينة لا يقصدون شيئاً من تلك الأماكن إلا قِباء خاصة.[1]

وقال أيضا رحمه الله منبها على عدم أفضلية التردد على مساجد عائشة رضي الله عنها الموجودة في التنعيم بمكة من ناحية المدينة:

ولم تكن هذه[2] على عهد النبي ﷺ ، وإنما بُنيت بعد ذلك علامة على المكان الذي أحرمت منه عائشة ، وليس دخول هذه المساجد ولا الصلاة فيها – لمن اجتاز بها محرما – لا فرضا ولا سنة ، بل قصدُ ذلك واعتقادُ أنه يُستحب بدعةٌ مكروهة.[3]

تنبيه يتعلق بتعظيم غار حراء الذي كان يتعبد فيه النبي ﷺ قبل بعثته

● قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فتحنثه[4] وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث ، ثم إنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته ، وفرض على الخلق الإيمان به وطاعته وإتباعه ؛ أقام بمكة بضع عشرة سنة ، هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق ، ولم يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء ، ثم هاجر إلى المدينة واعتمر أربع عُمَر: عمرة الحديبية التي صده فيها المشركون عن البيت ، ثم إنه اعتمر من العام القابل عمرة القَضِيَّة[5] ، ودخل مكة هو وكثير من أصحابه ، وأقاموا بها ثلاثا ، ثم لما فتح مكة أتى بعمرة من الجُعرانة[6] إلى مكة ، ثم إنه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع ، وحج معه جماهير المسلمين لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله ، **وهو في ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء ولا يزوره ، ولا شيئاً من البقاع التي حول مكة** ، ولم يكن هناك عبادة إلا بالمسجد الحرام ، وبين الصفا والمروة ، وبمنى والمزدلفة وعرفات ، وصلى الظهر والعصر ببطنِ عُرَنة ، وضُربت له القُبة يوم عرفة بنمِرة المجاورة لعرفة.

---

١ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٨١٥).

٢ أي مساجد عائشة ، ولم يبق منها اليوم فيما أعلم إلا المسجد الذي يحرم الناس منه.

٣ «مجموع الفتاوى» (٢٦/١٠٢).

٤ التحنث هو التعبد. انظر «النهاية».

٥ سميت عمرة القَضِيَّة بهذا الاسم – وتسمى أيضا عمرة القضاء – لأن النبي ﷺ أداها قضاءً عن عمرته التي صده المشركون عن أدائها في العام الذي قبله.

٦ الجُعرانة موضع في طرف مكة ، وهي في الحِل.

ثم بعده خلفاءه الراشدين وغيرهم من السابقين الأولين ، **لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء** ، وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ ، وهو غار بجبل ثَور يماني مكة[1] ؛ لم يشرع لأمته السفر إليه وزيارته والصلاة فيه والدعاء ، ولا بنى رسول الله ﷺ بمكة مسجداً غير المسجد الحرام ، بل تلك المساجد كلها محدثة: مسجد المَولِد وغيره ، ولا شرَع لأمته زيارة موضع المولِد ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى ، وقد بُنِيَ هناك له مسجد ، ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك ولكان يُعلِّم أصحابه ذلك ، **وكان أصحابه أعلم بذلك** وأرغب فيه ممن بعدهم ، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شئ من ذلك عُلِم أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يَعدُّونها عبادة وقربة وطاعة ، **فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم ، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله.**

وإذا كان حكمُ مَقام نبينا ﷺ في مثل غار حراء الذي ابتُدىء فيه بالإنباء والإرسال ، وأُنزل عليه فيه القرآن ، مع أنه كان قبل الإسلام يتعبد فيه ، وفي مثل الغار المذكور في القرآن الذي أنزل الله فيه سكينته عليه ؛ **فمن المعلوم أن مقامات غيره من الأنبياء أبعد عن أن يُشرع قصدها والسفر إليها** لصلاة أو دعاء أو نحو ذلك إذا كانت صحيحة ثابتة ، **فكيف إذا عُلِم أنها كذب ، أو لم يُعلم صحتها؟**[2]

● وقال أيضا: ومعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان قد فتحوا البلاد بعد موت النبي ﷺ ، وسكنوا بالشام والعراق ومصر وغير هذه الأمصار ، وهم كانوا أعلم بالدين واتْبع له ممن بعدهم ، فليس لأحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه ، **فما كان من هذه البقاع لم يعظموه أو لم يقصدوا تخصيصه بصلاة أو دعاء أو نحو ذلك لم يكن لنا أن نخالفهم في ذلك** ، وإن كان بعضُ من جاء بعدهم من أهل الفضل والدين فعل ذلك ، لأن اتِّباع سبيلهم أولى من اتباع سبيل من خالف سبيلهم ، **وما من أحد نُقِل عنه ما يخالف سبيلهم إلا وقد نقل عن غيره ممن هو أعلم وأفضل منه أنه خالف سبيل هذا المخالف ، وهذه جملة جامعة لا يتسع هذا الموضع لتفصيلها.**

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء صلى فيه ركعتين ولم يصل بمكان غيره ولا زاره.[3]

---

١ أي في جهة اليمن من مكة.

٢ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٨٠٦-٨٠٨).

٣ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٨٢٢-٨٢٣).

● وقال ابن القيم رحمه الله: بل غار حراء الذي ابتُدىء فيه بنزول الوحي ، وكان يتحراه قبل النبوة ، لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة ، ولا خَص اليوم الذي أُنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها ، ولا خَصَّ المكان الذي ابتدىء فيه بالوحي ولا الزمان بشيء ، ومن خَصَّ الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات ، كيوم الميلاد ، ويوم التعميد ، وغير ذلك من أحواله.[1]

● وقال الشيخ محمد حامد الفقي[2] رحمه الله في مسألة تعظيم الصخرات التي بجانب جبل عرفة:

وليس للصخرات ميزة على بقية سفح عرفة ، وإنما وقف النبي ﷺ عندها لتكون علامة لمن يريد أن يَلقى النبي ﷺ في هذا اليوم لأمر يَعرض له ، كما عرض لهم أن يسألوه عمن وقع عن ناقته فمات في هذا اليوم ، والله أعلم.[3]

● وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتي الديار السعودية في «فتاواه» في حكم اتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مزاراً للوافدين إلى بيت الله الحرام:

---

١ «زاد المعاد» (١/٥٨ - ٥٩).

٢ الشيخ محمد حامد الفقي من علماء مصر الأجلاء ، ولد سنة ١٣١٠ ، تعرف على منهج السلف الصالح في قصة طريفة مع فلاح ، ثم أمعن الشيخ في دراسة الحديث على الوجه الصحيح ومطالعة كتب السلف والأئمة الكبار أمثال ابن تيمية وابن القيم وابن حجر والشاطبي وغيرهم.

وبعد الطلب بدأ الشيخ دعوته للتمسك بسنة الرسول ﷺ الصحيحة والبعد عن البدع والخرافات والمخالفات وكان عمره آنذاك ثمانية عشرة سنة.

أنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٣٤٥ ، ثم أنشأ مجلة الهدي النبوي وصدر العدد الأول منها في عام ١٣٥٦ ، فكان من كتاب المجلة على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أحمد محمد شاكر، الأستاذ محب الدين الخطيب ، والشيخ محيي الدين عبد الحميد ، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، والشيخ أبو الوفاء محمد درويش ، والشيخ صادق عرنوس ، والشيخ عبد الرحمٰن الوكيل ، والشيخ خليل هراس ، كما كان من كتابها الشيخ محمود شلتوت.

بالإضافة إلى قيامه بأعباء الدعوة فقد كان الشيخ حامد خادما للتراث الإسلامي ، فقد حقق ما يزيد على ثلاثين كتابا لعلماء بارزين ، من أبرزهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

توفي رحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨ .

تنبيه: نقلت ترجمته من الموقع الإلكتروني لجماعة أنصار السنة المحمدية ، وقد ترجم له الزركلي في «الأعلام» (٦/١٢٦).

٣ حاشية «الاقتضاء» بتحقيقه ، ص ٤٢٨ – ٤٢٩ .

أما اتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مزاراً للوافدين إلى بيت الله الحرام يتبركون به بأي وسيلة كان ذلك ، سواء كانت اعلان كتابة دار الأرقم عليها وفتحِها للزيارة ، أو اتخاذها مكتبة أو متحفاً أو مدرسة ؛ فهذا أمر لم يَسبق إليه الصحابة الذين هم أعلم بما حصل في هذه الدار من الدعوة إلى الإسلام والاستجابة لها ، بل كانوا يعتبرونها داراً للأرقم ، له التصرف فيها شأن غيرها من الدور ، وكان الأرقم نفسه يرى هذا الرأي حتى إنه تصدق بها على أولاده ، فكانوا يسكنون فيها ويؤجِّرون ويأخذون عليها ، حتى انتقلت إلى أبي جعفر المنصور ... الخ كلامه رحمه الله.[1]

- وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في مقال له بعنوان:

الاحتفاظ بما يُظن أنه موضع مولد النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد:

فقد تكررت الكتابات في الصحف والتحدث في المنتديات من الشيخ الدكتور: عبد الوهاب أبي سليمان عن المكان الذي يَزعم أنه موضع مولد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بمكة المكرمة ، وأنه يجب الاحتفاظ به وإبقاؤه محافظة على المناسبة الأثرية ، ونقول:

١ – لم يثبت بنص من القرآن والسنة مكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان في معرفته خير لنا لبينه الله ورسوله.

٢ – لو ثبت موضع ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم تاريخياً كما يدَّعي الشيخ أبو سليمان لم تشرع لنا المحافظة عليه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يحافظوا عليه ولم يعتنوا به ، إنما تجب العناية بسنته صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه ، كما أوصى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ – وتجب المحافظة على المشاعر التي تؤدى فيها المناسك والعبادات ، كالمسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفات.

وأما البيوت والممتلكات التي في مكة فهي ملك لأصحابها ، يتابعونها ويتوارثونها كسائر أموالهم ، ولذلك لما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم حينما قدم إلى مكة: (أتنزل في دارك غداً؟) ، قال صلى الله عليه وسلم: (وهل ترك لنا عقيل من رِباعٍ[2] أو دور؟)[3] ، أي أن عقيل بن أبي طالب باعها لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وتركها فيمن تركوا من ديارهم وأموالهم وهاجروا إلى المدينة ، وإنما كان النبي صلى

---

[1] (١/١٥٢).

[2] الرباع هو المنزل. انظر «النهاية».

[3] رواه البخاري (١٥٨٨) ومسلم (١٣٥١).

الله عليه وسلم يَـنزل في مكة إذا قدمها في أي مكان تيسر له النزول فيه ، كما نزل في الأبطح وفي المعلاة.

٤ – الاحتفاظ بهذه الأماكن يُغري الجهال والمنحرفين بالتبرك بها وزيارتها ، وقد يُظن أنها من جملة المشاعر.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.[1]

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء ، وعضو هيئة كبار العلماء

١ رد الفوزان على أبي سليمان كان في جريدة الوطن السعودية ، بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى – ١٤٣٤ هجري ، الموافق: ٣٠ – ٤ – ٢٠١٣ .

ضوابط وكلمات جامعة في باب تعظيم بعض الأماكن

- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وكل حديث في مدح بغداد أو ذمها والبصرة والكوفة ومَرْو وعسقلان والإسكندرية ونصيبين وأنطاكية ؛ فهو كذِب.

وكذا كل حديث فيه أن مدينة كذا وكذا من مدن الجنة ، أو من مدن النار ، فهو كذب.[1]

- وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: كل حديث في فضل كربلاء والتربة الحسينية فيها فهو موضوع ، مما عملته أيدي الرافضة ، ولم يصح إلا إخبار النبي ﷺ بقتل الحسين فيها ، وهذا لا يقتضي فضيلة لها واستحباب اتخاذ قرص منها للسجود عليه كما تفعله الروافض.

وتجد هذا مبسوطا في «السلسلة الصحيحة» (١٥٩/٣ - ١٦٧) رقم (١١٧٢).[2]

- قال مقيده عفا الله عنه: وقد وردت أحاديث كثيرة ضعيفة أو موضوعة في فضيلة بعض الأماكن أو الصلاة عندها أو الرباط فيها مثل جدة وصخرة بيت المقدس وحمص ومرو واليمن ولبنان وبلاد أفريقيا ومصر وغيرها من الأماكن ، وكل هذه الأحاديث لا تثبت عن النبي ﷺ .[3]

- وقال جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ما نصه:

ومن ذلك[4] مواضع يقال إن فيها أثر النبي ﷺ أو غيره ، كما يقوله الجهلة في الصخرة التي ببيت المقدس أن فيها أثرا من وطئ النبي ﷺ .

وفي مسجد قِبلِي دمشق يسمى (مسجد القَدم) يقال إن فيه أثر قدم موسى ﷺ ، وهذا باطل لا أصل له ، ولم يَقدُم موسى ﷺ دمشق ولا ما حولها.

وكذلك مساجد تضاف إلى بعض الأنبياء والصالحين بناءً على رؤي في المنام هناك.[5]

---

١ «نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول» ، ص ١٠٨ – ١٠٩ ، باختصار.

٢ «التحديث بما قيل: لايصح فيه حديث» للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، ص ١٥٤ - ١٥٥.

٣ انظر هذه الأحاديث في «موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة» ، كتاب البلدان والبقاع (٨٥/١٥) وما بعدها ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

٤ أي ومن تلك المواضع التي يتعلق الناس بها.

٥ ص ١٢١ – ١٢٢ ، تحقيق: مشهور حسن سلمان ، الناشر: دار ابن القيم – الدمام.

- وقد ذكر ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات» جملة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل ومثالب بعض الأماكن[1] ، فليراجعها من أراد الاستزادة.

شبهات والجواب عليها

الشبهة الأولى: احتج بعضهم بما كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يفعله من تَحرِّي الأماكن التي مرَّ بها النبي ﷺ وصلى فيها ، فيُصلِّي هو فيها.

والجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أن ابن عمر رضي الله عنهما فعل ذلك اجتهادا منه ولم يوافقه على فعله أحد من الصحابة ، ولم يُنقل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أن أحداً منهم كان يتحرى الأماكن التي مرها النبي ﷺ وصلى فيها اتفاقا – أي بدون قصد تحري الصلاة فيها – فيُصلي فيها ، إلا ما أرشد إليه النبي ﷺ كالمساجد الثلاثة ومسجد قباء ، ومن المعلوم أن الصواب في متابعة جمهور الصحابة ، لا ما انفرد به الواحد ، فإن البشر يصيبون ويخطئون ، ليسوا معصومين ، ولو كانوا من كبار الصحابة رضوان الله عليهم ، مع قناعتنا أن خطؤهم قليل مقارنة بمن سواهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقاً فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة ، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعُمَّاراً ومسافرين ، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق ، فإنهم أعلم بسنته وأتبعُ لها من غيرهم ، وقد قال ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.[2]

وقال أيضا رحمه الله: والصواب مع جمهور الصحابة ، لأن متابعة النبي ﷺ تكون بطاعة أمره ، وتكون في فعله ، بأن يُفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعله ، فإذا قصد العبادة في مكانٍ ؛ كان قصد العبادة فيه متابعةً له كقصد المشاعر والمساجد ، وأما إذا نزل في مكانٍ بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول أو غير ذلك مما يُعلم أنه لم يتحرَّ ذلك المكان ؛ فإذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين له ، فإن الأعمال بالنيات.[3]

---

١ انظر: أبواب ذكر الأماكن في الفضائل والمثالب.

٢ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٥٦-٧٥٧).

٣ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٥٣).

ثانيا: أن تحري الصلاة في الأماكن التي لم يدل على الشارع على تحري الصلاة فيها مما نهى عنه عمر الفاروق رضي الله عنه الناس عن فعله ، كما في الأثر المتقدم ذِكرُه لما رأى الناس يتحرون الصلاة عند شجرة الرضوان ، فأنكر هذا جدا ، وقال إنه من التشبه بأهل الكتاب ومن أسباب هلاكهم ، فقطع الشجرة حسما لمادة الشرك ، ومن المعلوم أن عمر ذو سنة متبعة[1] ، ولهذا نظائر في الشريعة ، فقد حسم الشارع مادة الشرك بالنهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، **فإذا كان قد نهى عن الصلاة المشروعة في هذا الزمان سداً للذريعة ، فكيف يُستحب قصد الصلاة والدعاء في مكان اتُّفق قيامهم فيه أو صلاتهم فيه من غير أن يكونوا قد قصدوه للصلاة فيه والدعاء فيه؟**[2]

الشبهة الثانية: قال بعضهم: كيف تقولون بعدم جواز الصلاة في الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ مع أنه قد ثبت عن الصحابة أنهم كانوا يطلبون منه ﷺ أن يصلي لهم في بعض الأماكن فيصلي لهم فيها فيتخذونها مسجداً ، كما حصل لعتبان بن مالك رضي الله عنه حين قال: كنت أصلي لقومي بني سالم ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أنكرتُ بصري[3] ، وإن السيول تحول بيني وبين مسجد قومي ، فلَوَددت أنك جئت فصليت في بيتي مكاناً حتى أتخذه مسجداً.

فقال: أفعل إن شاء الله ، فغدا عليَّ[4] رسول الله ﷺ وأبو بكر معه بعد ما اشتدَّ النهار ، فاستأذنَ النبي ﷺ فأذِنتُ له فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن يصلي فيه ، فقام رسول الله ﷺ فكبر ، وصففنا وراءه ، فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم.[5]

والجواب أن هذا الحديث لا يُفيد أن عتبان رضي الله عنه كان يتَتَبَّع الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ بدون قصد الصلاة فيها ، بل اختار هو للنبي ﷺ مكانا يصلي فيه ، وأعلَمَ النبي ﷺ أنه سيحافظ على الصلاة فيه ، فأتى من أجل ذلك ، وأقره النبي ﷺ على ما سيفعله ، فصار هذا سنة في حقه رضي الله

---

١ تأمل حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه: فعليكم بسنتي **وسنة الخلفاء الراشدين** المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.

٢ بتصرف من «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٥٦-٧٥٧).

٣ أي ضَعُفَ بصري.

٤ أي أتاني في الغداة وهي الصبح.

٥ رواه البخاري (٤٢٥) ، ومسلم (٣٣).

عنه ، والمنازعة ليست على ذلك ، بل على تتبع الأمكنة التي لم يقصدها النبي ﷺ لذاتها ، ولم يُقر ﷺ أحدا على الصلاة فيها.

وهناك جواب آخر رآه ابن تيمية رحمه الله ، وهو أن قصدَ عتبان هو بناء مسجد ، فأراد أن يصلي فيه النبي ﷺ أولا ثم يبنيه مسجدا ، قال رحمه الله:

وهذا لا ينافي قول عتبان بن مالك للنبي ﷺ : (إن السيول تحول بيني وبين قومي ، فلو صليت في بيتي في مكانٍ أتخذه مصلى) ، فجاء النبي ﷺ فصلى ركعتين ، لأن عتبان كان مقصوده بناء مسجد لحاجته إليه ، وتبرك بكون النبي ﷺ يُصلي فيه أولا ، بخلاف من لم يكن مقصوده إلا بناء مسجد لأجل ذلك الأثر.[1]

الشبهة الثالثة: قاس بعض الناس الأماكن التي لم يخصصها الله بعبادة على مقام إبراهيم الذي كان النبي ﷺ يصلي خلفه ركعتي الطواف!

والجواب أن هذا قياس فاسد لأنه قياس مع الفارق ، فالصلاة عند مقام ابراهيم مشروعة ، بخلاف غيرها من الأماكن الغير مشروع الصلاة عندها ، وقد تقرر مرارا أن تخصيص أماكن بصلاة بدون دليل بدعة ، والعبادة المبتدعة مردودة على فاعلها كما قال الرسول ﷺ : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: فإن قيل: فقد أمر الله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى فيُقاس عليه غيره ؛ **قيل له: هذا الحكم خاص بمقام إبراهيم الذي بمكة** ، سواء أُريد به المقام الذي عند الكعبة موضع قيام إبراهيم ، أو أريد به المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى ، فلا نزاع بين المسلمين **أن المشاعر خُصَّت من العبادات بما لم يشركها فيه سائر البقاع** ، كما خُصَّ البيت بالطواف ، **فما خُصَّت به تلك البقاع لا يقاس به غيرها ، وما لم يُشرع فيها فأولى أن لا يُشرع في غيرها.**[3]

فالحاصل أن ما ورد من النصوص الشرعية في الأمر باتباع بعض آثار الأنبياء فمشروعٌ اتباعه وِفق الهدي النبوي ، كما في قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ ، وقال ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ، وكذا رمي الجمرات ، وقد ورد في هذه المواطن أدلة خاصة تُرغِّب في فعل العبادة عندها ، بخلاف الآثار التي لم يرد فيها أدلة تُرغِّب في تتبعها ، فإن تتبعها بدعة.

---

١ «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢/٤٣٤ – ٤٣٥) ، باختصار.

٢ تقدم تخريجه.

٣ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٨٠٩-٨١٠).

الشبهة الرابعة: غلا بعض الناس ببعض قبور الصالحين ، فاعتقد أن وجودها في تلك البقعة أمان لأهل تلك البقعة من البلاء ، وربما اعتمدوا على قصة الرجل الذي يقال له أحمد بن العباس قال: خرجت من بغداد هروبا منها ، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة ، فقال لي: من أين خرجت؟ فقلت: من بغداد ، هربت منها ، لما رأيت فيها من الفساد ، خفت أن يُخسف بأهلها ، فقال: ارجع ولا تخف ، فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لها من جميع البلايا. قلت: من هم؟ قال: الإمام أحمد بن حنبل ، ومعروف الكرخي ، وبشر بن الحارث الحافي ، ومنصور بن عمار الواعظ. قال: فرجعت ولم أخرج!

فالجواب على هذه الشبهة من ثلاثة وجوه:

الأول: أن أحمد بن العباس غير معروف ، وكذا الذي نهاه عن الخروج غير معروف ، فقد يكون جنيا وقد يكون إنسيا.

الثاني: ما قاله ابن تيمية رحمه الله:

وكان أهل المدينة النبوية على عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفاءه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان أحسن أهل المدائن حالا ، ونعمة الله عليهم أعظم النعم ، لكونهم كانوا مطيعين لله ورسوله ، وكانت الخلفاء تسوسهم سياسة نبوية ، فلما تغيروا وقُتِل بينهم عثمان رضي الله عنه تغير الأمر ، وحصل لهم من الخوف والذل ، ثم أصابهم من السيف ما أصابهم ، ورسول الله ﷺ مدفون بالحجرة ، وهو قد بلَّغهم الرسالة وأدى الأمانة ، ولم يُضمن لهم أنه لوجود قبره أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين يندفع البلاء ، **وإنما يندفع البلاء بطاعة الرسل لا بقبورهم ، فمن أطاعهم كان سعيدا في الدنيا والآخرة ، ومن عصاهم استحق ما يستحقه أمثاله ، وإن كان عنده ما شاء الله من قبورهم.**[1]

... وأهل بغداد أصابهم ما أصابهم من السيف العام[2] ، وعندهم قبور ألوف من أولياء الله زيادة على قبور الأربعة[3] ، فلم تُغنِ عنهم من الله شيئا.[4]

ثالثا: أن هؤلاء الذين يَعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها أوثانا من دون الله ، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم ، فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع

---

١ «الرد على الإخنائي» ، ص ١٩٤ .

٢ يشير إلى ما حصل من التتر لما غزوا بغداد وقتلوا فيها مئات الألوف.

٣ أي الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله.

٤ «الرد على الإخنائي» ، ص ١٩٥ .

وتضر ، ولهذا قال قوم هود – عُبَّاد الأوثان – لهود عليه السلام ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ فقال هود ﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا﴾ إلى قوله ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾.[1]

الشبهة الخامسة: فإن قيل: إن وجود القبر النبوي أمان لأهل المدينة النبوية بدليل قوله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾!

والجواب أن أهل التفسير اختلفت أقوالهم في تفسير الآية على ثمانية أقوال ، نقلها ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» ، **وليس منها أن وجود القبر النبوي أمان لأهل المدينة النبوية** ، بل اختار رحمه الله أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه﴾.

الشبهة السادسة: ظن بعض أن رؤية النبي ﷺ أو أحد الصالحين في المنام في بقعة ما تدل على فضيلة تلك البقعة!

وقد أجاب جلال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله عن هذه الشبهة فقال في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ما نصه:

ورؤية النبي ﷺ أو الرجل الصالح بمنامٍ ببقعةٍ لا توجب لها فضيلةً تقصد البقعة لأجلها وتُتخذ مصلى مكروه ، وإنما يَفعل ذلك وأمثاله أهل الكتاب ، وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد ، فهذه البقاع لا يُعتقد لها خصيصة كائنة ما كانت ، فإن تعظيم مكانٍ لم يُعظِّمه الشرع **شرُّ مكان** ، وهذه الأماكن الباطلة إنما وُضعت مضاهاة لبيوت الله ، وتعظيما لما لم يُعظمه الله ، وعكوفا على أشياء لم تنفع ولا تضر ، وصدٌّ للخلق عن سبيل الله ، وهي عبادته وحده لا شريك له ، كما شرعه على لسان رسوله ﷺ .[2]

---

١ انظر «الرد على الإخنائي» ، ص ١٩٥ .

٢ ص ١٢٢ – ١٢٣ .

خلاصة

دلت النصوص الشرعية والآثار السلفية على بدعية اتخاذ الأماكن التي مرها الأنبياء أو سكنوها أو أوحي إليهم فيها أماكن عبادة وصلاة ، لأن النبي ﷺ لم يشرع ذلك ، ولو كان ذلك مستحبا لأرشد النبي ﷺ أمته لذلك صراحة ، فإنه ما من خير إلا ودل أمته عليه ولا شر ولا حذرهم منه ، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركَنا محمد ﷺ وما يُحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما.[1]

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال له أحد اليهود له: قد علَّمكم نبيكم ﷺ كلَّ شيء حتى الخِراءة[2]!

فقال سلمان: أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي بأقلِّ من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيعٍ[3] أو بعظم.[4]

فالحاصل أنه لا تشرع زيارة المواضع التي لم يَشرع النبي ﷺ زيارتها ، سواء التي في المدينة أو التي في مكة كغار حراء أو ما يطلق عليه بيت النبي ﷺ ، أو بعض المواضع المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي في الشام أو غيرها ، فكلها محدثة في الدين ، وتتبعها من البدع الدينية التي لا يؤجر عليها الإنسان بل يؤزر ، والأفضل لمن سافر إلى مكة هو البقاء في الحرم المكي أو النبوي ، والإكثار من النوافل والذكر وقراءة القرآن والطواف ، فهذا هو الذي كان يفعله السلف ودل عليه الكتاب والسنة ، والله أعلم.

---

١ رواه أحمد (١٥٣/٥ ، ١٦٢) ، وحسنه محققو «لمسند» (٢٩٠/٣٨) ، ورواه الطبراني (١٦٤٧) من طريق آخر عن أبي ذر رضي الله عنه ، وانظر «الصحيحة» (١٨٠٣).

٢ أي آداب قضاء الحاجة.

٣ الرجيع هو عذرة الآدمي وروث الحيوان. انظر «النهاية».

٤ رواه مسلم (٢٦٢).

ومن أعظم وأقبح مظاهر تعظيم الصالحين اعتقاد أنهم يمتلكون شيئا من صفات الرب ، كتدبير أمور الكون من رزق وإحياء وإماتة وإعطاء ولد وغير ذلك ، والحق أن هذه الأفعال خاصة بالله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾[1] ، والأمر يدخل فيه جميع أفعال الله التي تتعلق بتدبير الكون والتصرف فيه من خلق ورزق وإحياء وإماتة ، والتي يُعَبَّر عنها بالربوبية.

يدل لذلك أن من أسمائه تعالى «القيوم» وهو القائم بنفسه المُقيم لخلقه ، فهذا يدل على كمال تدبيره لهذه المخلوقات ، فهو المقيم لها ، وهي الفقيرة المحتاجة إليه ، كما قال تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾.

ولما كان الله قائم على كل نفس كمال القيومية ؛ كان النبي ﷺ إذا **كربه** أمر قال: يا حي يا **قيوم برحمتك أستغيث**.[2]

فمن جعل شيئا من أفعال الله شِركةً بين الله وبين خلقه فقد كفر بربوبية الله على خلقه ، وهو أقبح أنواع الشرك.

وقد أوضح الله سبحانه تعالى في كتابه أن الأمر كله له سبحانه وتعالى ، وأنه ليس لأحد قدرة على التصرف بالكون ، وخاطب بهذا نبيه ﷺ ، قال تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ، ومع هذا فإنك تجد أناسا يقولون أن للأولياء قدرة على التصرف بالكون ، خصوصا بعد مماتهم!

كذلك فإن الله يقول له ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ ، وكذلك النبي ﷺ يقول: (استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأَذِن لي)[3] ، ومع هذا فإنك تجد أناسا يطلبون المغفرة من النبي ﷺ .

فالذين يُخرِجون الرسول ﷺ – أو من دونه من البشر مِمَّن يوصفون بالأولياء – عن حيز البشرية إلى حيز الربوبية ويمنحونهم بعض خصائصها بدعوى تعظيمهم ما هم إلا ضالون مشركون خارجون عن الإسلام ، ساعون في هدمه بدعوى تعظيم من جاء به ، وما ذلك إلا تشويه للإسلام ، ومحاربة له وهدم

[1] سورة الأعراف: ٥٤ .

[2] رواه الترمذي (٣٥٢٤) ، وصححه الألباني.

[3] رواه مسلم (٩٧٦).

لأعظم أسسه ، وإعادة للوثنية التي بعث النبي ﷺ بمحاربتها وهدمها والقضاء على جذورها في أعماق القلوب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.[1]

ومن أمثلة من انحرف في هذا الباب زاهد الكوثري – زعيم قبورية العصر الحديث – الذي نادى بأعلى صوته بأن الولي في الدنيا كالسيف في الغمد ، فإذا ماتَ تجرد ، فيكون أقوى في التصرف[2] ، وتلاميذه يسيرون على خطى شيخهم.[3]

قال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحنفي رحمه الله في رده على من قال بأن الأولياء بعد مماتهم لهم تصرف في الكون لكونهم صاروا أقوى حالا مما كانوا في حياتهم ، لصفاء أرواحهم ، وتخلصها من كثافة أجسامهم! قال:

فالرب سبحانه وتعالى يُخبر أنه يمسك الأرواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرفة! ﴿قل ءأنتم أعلم أم الله﴾ ، ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

وأما ما ذكروه عن فُلان وفُلانة أنه رأوه بعد الموت يتصرف ، فهو من التصرفات الدجالية ، والزخرفات الخيالية الشيطانية ، لأن أقوال الله معها العلم اليقين ، وغيره معه الشك ، فلا يقابل الشك باليقين ، وخبر الله لا يقارنه ريب ، ولا إمكان الغلط ولا الوهم.[4]

قلت: وقد قال فقهاء الحنفية: من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم ، يكفر.[5]

وقالوا: إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى ، واعتقاده ذلك كَفَرَ.[6]

وقال أيضا ما نصه:

---

١ انظر «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .

٢ قاله في «إرغام المريد» ، ص ٢٨ ، كما في المرجع اللاحق.

٣ قاله المحقق الفاضل الشيخ علي رضا بن علي رضا في حاشيته على كتاب «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص ١٥ للشيخ صنع الله بن صنع الله الحنفي. الناشر: مدار الوطن – الرياض.

٤ «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص ٣٣ – ٣٤ ، باختصار وتصرف يسير.

٥ قاله الشيخ حافظ الدين محمد بن محمد شهاب ، المعروف بابن البزاز الكردي الحنفي في «الفتاوى البزازية» كما في «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (٣٩٦/١٢) ، تحقيق: أحمد عزوز ، الناشر: إحياء التراث العربي – بيروت.

٦ قاله الشيخ قاسم بن قطلوبغا في كتابه «شرح الدرر» كما في «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (٣٧٣/٥).

هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ، ويُستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وقالوا: منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة ، وأربعون وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس[1] ، وعليه المدار بلا التباس ، وجوَّزوا لهم الذبائح والنذور ، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الأئمة ، وما أجمعت الأمة ، وفي التنزيل ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾.

فأما قولهم: **إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم** فيَـرُده قوله تعالى ﴿ءإله مع الله﴾ ، ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ، ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ ، ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه ، فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا وإحياء وإماتة وخلقا.

وقد تمدح الرب بانفراده بملكه في آيات من كتابه كقوله تعالى ﴿هل من خالق غير الله﴾ ، ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾.

فقوله في الآيات كلها ﴿مِن دونه﴾ أي مِن غيره ، فإنه عام يدخل فيه من اعتقده من وليٍّ وشيطانٍ يَستمِدُّه ، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يُمِد غيره؟ إن هذا القول وخيم ، وشرك عظيم.

وأما القول **بالتصرف بعد الممات** فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ، قال جل ذكره ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ، وقوله ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ ، وقال في الحديث: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... الحديث.

وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وأن أرواحهم مُمسَكة ، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره بحركةٍ ، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟ فإنه سبحانه يخبر أن الأرواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون إن الأرواح مطلقة متصرفة! ﴿قل ءأنتم أعلم أم الله﴾.

---

[1] هذه كلها ألقاب مخترعة ما أنزل الله بها من سلطان ، وستجد الكلام عليها في ملحق «الكلام على ما يسمى بالأبدال والنقباء والأوتاد والنجباء والأقطاب».

وأما اعتقادهم أن **هذه التصرفات من الكرامات** فهو أعظم من المغالطة ، لأن الكرامات شيء من الله تعالى يُكرم به أولياءه وأهل طاعته ، لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم ابنة عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني.

وأما قولهم (**فيستغاث بهم في الشدائد**) ، فهذا أقبح مما قبله وأبدع ، لمصادرته قوله ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله﴾ ، ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ ، فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره ، وأنه المنفرد بإجابة المضطر ، وأنه المستغاث به لذلك كله ، وأنه القادر على دفع الضر ، القادر على إيصال الخير ، فهو المتفرد بذلك ، فإذا تعين هو جل ذكره ؛ خرج غيرُه من ملك ونبي وولي.

والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية ، في قتالٍ أو إدراكِ عدو أو سَبُع ونحوه ، كقولهم: يا آل زيد ، يا للمسلمين ، بحسب الأفعال الظاهرة بالفعل.

وأما **الاستغاثة بالقوة والتأثير** ، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه ؛ فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره.

وأما ما ذكروه من تصرف الأرواح فهو من الأقوال القِباح ، لأن الروح لا تستقل بدون جسدها.[1]

وأما كونهم **معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم** كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال ، وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات ، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي وولي أو روح أو غير ذلك في كشفِ كربةٍ أو قضاءِ حاجة تأثيرا فقد وقع في وادي جهل خطر ، فهو على شفا جرف من السعير.

---

[1] تقدم في مظهر طلب الدعاء من صالحي الموتى تقرير أن الأرواح لا تعلم بما يكون في الدنيا ، وذكرنا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: إذا حُضِر المؤمن (أي جاءته الوفاة) أتته ملائكة الرحمة بحريرةٍ بيضاء ، فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنكِ إلى رَوحِ الله وريحان ، ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريحِ مسكٍ ، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب يعني السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض.

فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدُم عليه ، **فيسألونه:**

ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟

والشاهد من الحديث سؤال أرواح المؤمنين للروح الجديدة التي جاءتهم عن حال فلان وفلان ، فدل هذا على عدم علم تلك الأرواح بأحوال الأحياء وإلا لما كانوا سألوها ، فإذا تقرر هذا تبين بطلان قول من قال إن الأرواح تتجرد وتتصرف وتُغيث من طلب منها الغوث.

وأما كونهم مستدلين على أن **ذلك منهم كرامات** ، فحاشا لله أن تكون أولياء الله تعالى بهذه المثابة ، فهذا ظن أهل الأوثان كما أخبر الرحمٰن ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ ، ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، ﴿ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمٰن بضر﴾ ، فإنَّ ذِكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولي وغيره على وجه الإمداد منهم شِرك مع الله تعالى ، إذ لا قادر على الدفع غيره ، ولا خير إلا خيره.[1]

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رحمه الله:

عُبَّاد القبور في هذه الأزمان اعتقدوا التدبير والتصريف لمن يعتقدونه ، فطائفة قالت: يتصرف في الكون سبعة ، وطائفة قالت: يتصرف أربعة ، وطائفة قالت: يتصرف سبعون ، واختلفوا في قطبهم الذي إليه يرجِعون ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، فأهل مصر يرون أنه البدوي ، وأهل العراق يُرجِّحون عبد القادر ، والرافضة يرون ذلك للأئمة من أهل البيت ، وهذا مشتهر عنهم لا ينكره إلا مكابر.[2]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم رحمه الله:

ثم أكثرهم قد تجاوز القنطرة وغرِق في بحار الشرك في الربوبية ، مع ما هو فيه من الشرك في الألوهية ، فادعى للأولياء والصالحين شِركةً في التدبير والتأثير ، وشركةً في تدبير ما جاءت به المقادير ، وأوحى إليهم إبليس اللعين أن هذا من أحسن الاعتقاد في الصالحين ، وأن هذا من كرامة أولياء الله المقربين ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وتقدَّس عما افتراه أعداؤه المشركون ، وسبحان الله رب العرش عما يصفون.[3]

وقال الباحث خالد أبو الفتوح:

فمِن شِرك الربوبية ظهرَ واضحاً اعتقاد القبوريين في الأضرحة وأصحابها أنهم يسمعون ويبصرون ويجيبون من يتوجه إليهم ، **وأنهم يعلمون الغيب الذي لا يعلمه إلا الله** ، وأن لهم قدرة في التصرف والتأثير في الكون بما ليس في طاقة البشر ، كالخلق والإفناء ، والإحياء والإماتة ، وشفاء الأمراض ، والنفع والضر ، والعطاء والمنع ، والإغناء والإفقار ، وتحويل الأشياء عن حقيقتها.

---

١ «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، باختصار من الصفحات ١٥ – ٤٨ ، تحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي رضا ، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

٢ «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، ص ٣٣٧ .

٣ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص – ٢٠٠ .

كما زعم القبوريون أن في الأضرحة وأصحابها القدرة على الرفع والوضع في الدنيا والآخرة ، وتفريج الكربات ، وقضاء الحاجات ، ومحو الذنوب وغفرانه.[١]

وقال أيضا: من النماذج الصارخة التي تحوي أنواع الشرك كله (ربوبية وألوهية وأسماء وصفات) ما أورده أبو بكر العراقي عن أحد القبوريين وهو إمام وخطيب في أحد مساجد ديالي[٢] المهمة ، يقول: "دعوت الله ست سنوات أن يرزقني الولد فلم أرزق ، وذهبت إلى شيخي مصطفى النقشبندي في أربيل[٣] فما أن استغثت به وطلبت منه الولد حتى رزقت بطفلين توأمين ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً ، وذلك بعينه هو ما يذكره الآلوسي[٤] عن بعضهم: (الولي أسرع إجابة من الله عز وجل ، وهذا من الكفر بمكان ، نسأل **الله** تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان).[٥]

فهذا (الإمام) أشرك في الربوبية لاعتقاده أن لشيخه النقشبندي القدرة على التصرف والتأثير في الكون بالنفع والعطاء من دون الله ، ومن ثَمَّ فإنه أشرك في أسماء الله الحسنى: النافع ، الضار ، والوهاب ، والرزاق ، وأشرك في الألوهية لصرفه عبادةً لغير الله ، وذلك بدعائه لشيخه النقشبندي أن يزقه الذرية.[٦]

قال مقيده عفا الله عنه: وهؤلاء القوم قد تشبهوا بقوم هود الذين كانوا يعتقدون في معبوداتهم التأثير في الكون ، وأنهم يصيبون الآخرين بسوء إن أرادوا ، فقالوا لهود عليه السلام ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ ، نسأل الله العافية والسلامة.

---

[١] من مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، خالد أبو الفتوح ، نقلا من ص ٦١ من «دمعة على التوحيد».

[٢] ديالي مدينة من مدن العراق.

[٣] أربيل مدينة من مدن العراق أيضا.

[٤] هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي الحسيني ، أبو المعالي ، مؤرخ عالم بالأدب والدين ، من الدعاة إلى الإصلاح في العراق ، حمل على أهل البدع برسائل فعاداه كثيرون ، له اثنان وخمسون مصنفا ، توفي رحمه الله سنة ١٣٤٢ في بغداد.

وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في تفسيره الموسوم «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ، انظر كلامه على الآية ٧٣ من سورة الحج.

[٥] «روح المعاني» (١١/٢٤) ، في تفسير سورة الزمر عند قوله تعالى ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ ، وذكر رحمه الله عندها بعض مظاهر تعظيم القبور مما رآه بنفسه قبل كلامه الذي نقلته.

[٦] من مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، خالد أبو الفتوح ، نقلا من ص ٦٣ من «دمعة على التوحيد» ، بزيادة من «روح المعاني».

تمهيد: اختصاص الله بعلم الغيب
الحكمة من إطْلاع الله نبيه ﷺ على بعض المغيَّبات
مِمَّنْ يدَّعي علم الغيب الكهان والعرافون
مصادر الكهان في ادعاء علم الغيب
ادِّعاء غلاة المتصوفة لعلم الغيب
ممن يدَّعي علم الغيب المُنجِّمون
باب في النهي عن إتيان الكهنة والعرافين والمنجمين
التفصيل في حكم سؤال الكاهن
استثناء – حكم اختبار الكاهن من قِبَلِ ولي الأمر أو نائبه
حكم الإخبار عن بعض الأمور المستقبلية بطريق الحساب
تكذيب الكهنة والعرَّافين بالدليل العقلي
مما يلتحق بالكهانة ؛ الطرق وقراءة الفنجان والعيافة والطِّيرة
أمثلة من الواقع على نسبة علم الغيب لغير الله
خلاصة البحث

ومن مظاهر الغلو بالأشخاص المنتشرة في بعض مجتمعات المسلمين ؛ ادعاء علم الغيب للكهان وبعض من يُسمَّون بالصوفية ، فتجد بعض المنتسبين للإسلام يذهبون إلى الكهان ويسألونهم عن مكان الضالة مثلا ، أو عن حظِّه وما سيحصل له في المستقبل ، وأما غلاة الصوفية فيدَّعون معرفة ما كُتِب في اللوح المحفوظ ، ويُسمُّون ذلك بـ «الكشف» ، أي أنهم كُشِف لهم ما في اللوح المحفوظ ، ولا يُسمُّون ذلك معرفة لعلم الغيب ، لئلا ينكشف دجلهم وكذبهم.

وفي هذا الجزء من الكتاب سنتكلم بما يسَّر الله على هذا اللون من الغلو بالأشخاص ، ونُبين بطلانه ، ودجل من يدَّعون ذلك ، كما سنبين تشبههم بالله في هذه الصفة العظيمة ، صفة علم الغيب.

تمهيد: اختصاص الله بعلم الغيب

اعلم رحمك الله تعالى أن اختصاص الله جل وعلا بعلم الغيب أمرٌ ثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَاوَاتِ وٱلأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّه﴾[2] ، وقال ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّه﴾[3].

وأما السنة ؛ فعن خالد بن ذكوان قال: قالت الرُّبيِّع بنت مُعوِّذ: جاء النبيُّ ﷺ يدخل حين بُنِيَ عليَّ ، فجلسَ على فِراشي كمجلِسكَ[4] منّي ، فجعلتْ جُوَيْرِياتٌ[5] لنا يَضربنَ بالدُفِّ ويَندُبنَ[6] مَن قُتلَ من آبائي يومَ بدرٍ ، إذ قالت إحداهنَّ: وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدٍ.

فقال: دَعي هذِهِ ، وقولي بالذي كنتِ تقولين.[7]

---

[1] سورة فاطر: ٣٨ .

[2] سورة يونس: ٢٠ .

[3] سورة النمل: ٦٥ .

[4] لم يأتِ في الحديث بيان من هو المخاطَب ، والظاهر أنه خالد بن ذكوان ، راوي الحديث عن عائشة ، رضي الله عنها.

[5] الجويرية تصغير جارية ، والمقصود بنيات صغيرات.

[6] الندب هو عَدُّ خصال الميت ومحاسنه.

[7] قال ابن حجر رحمه الله: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو.

وفي لفظ قال: أَمَّا هٰذَا فَلاَ تَقُولُوهُ ، **مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّه.**[1]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ مَرَّ بنساء من الأنصار في عُرسٍ لهن يُغَنِّين:

وأهدَى لها كبشًا تَنَحْنَحَ[2] في المِربدِ[3] وزَوجُكُمُ في النادي[4] ويعلم ما في غدِ

فقال رسولُ الله ﷺ : **لا يعلم ما في غدٍ إلا الله.**[5]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: مفاتيحُ الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاَّ الله: **لا يَعلمُ ما في غَدٍ إلا الله** ، ولا يَعلمُ ما تَغيضُ[6] الأرحامُ إلا الله ، ولا يعلمُ متى يأتي الـــــمطرُ أحدٌ إلاّ الله ، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت ، ولا يعلمُ متى تقومُ الساعة إلا الله.[7]

(والغيب مصدر ، وُصِفَ به الشيء الغائب مبالغةً في تحقيق غيبته ، وهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة ، بحيث لا يُدرَكُ بواحدٍ منهما ابتداءً بطريقة البداهة.

وهو قسمان:

أ- قسم نَصب الله الدليل عليه ، وهو ما يتعلق بالإيمان بالله وصفاته ، وبيان الشرائع والأحكام واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار ، وهو المراد من قوله جل ذكره ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[8] ، ونحو هذا من الآيات.[9]

ب- والقسم الثاني: مما لا دليل عليه ، وهو قسمان:

١- قسم مضى.

---

[1] رواه البخاري (٥١٤٧) ، واللفظ الآخر لابن ماجه (١٨٩٧) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[2] تنحنح أي تردَّد صوته في جوفه. انظر «المعجم الوسيط».

[3] المربد: هو الموضع الذي تحبس فيه الغنم والإبل. انظر «النهاية».

[4] النادي: هو مجتمع القوم وأهل المجلس. انظر «النهاية».

[5] وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٤٠١) ، وحسن إسناده ابن حجر في «الفتح» تحت حديث رقم (٥١٤٧).

[6] الغيض هو النقص ، والمقصود هو أن الله متفرد بعلم ما نقص من حمل المرأة عن تسعة أشهر ، وهو يعلم كذلك كم يزيد حملها عن تسعة أشهر إن حملت ، قال تعالى ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ ، انظر تفسير الآية في «تفسير القرآن العظيم» لعماد الدين ابن كثير رحمه الله ، سورة الرعد.

[7] أخرجه البخاري (٤٧٩٧).

[8] سورة البقرة: ٣ .

[9] انظر ما قاله ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الكريمة.

٢- وقسم مستقبل.

والمستقبل مختص به تعالى ، وهو المراد بقوله جل ذكره ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هو﴾[١] .

فالحاصل أن المقصود بالغيب هنا ليس هو المقصود بالغيب في القسم الأول ، فالمقصود بالغيب في القسم الأول هو الأمور المتعلقة بالعقيدة ، كالجنة والنار وأشراط الساعة ويوم القيامة واللوح المحفوظ والملائكة وغير ذلك ، أما الغيب المقصود بالقسم الثاني فهو ما يحصل في الدنيا من أمور ، من رزق ومرض ونكاح ومدة البقاء في الدنيا وهكذا ، وقد اختص الله بعلم الغيب بقسميه ، ومن ادَّعى معرفة شيء منها فقد نازع الله في صفاته ، وكذَب على الله وعلى خلقه بادِّعاء معرفتها.

فهذا مما لا قائل به في الإسلام لا بطريقِ كشفٍ[٢] ولا غيره ، لأن **الإجماع منعقد** على أنه تعالى هو المتصرف بالخوارق ، لأنه الخالق ، وهو المخصوص بعلم الغيب المستقبل ، لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم والقدرة ، فلا شريك له في ذلك.

قال جل ذكره لأفضل خلقه ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ﴾[٣].

فإذا نفى الله النفع والضر والغيب عن نبيه ؛ فأنَّى يكون ذلك لغيره؟! نَعَم ، ما أَذِنَ به لرسوله بالوحي المنزل فهو خبر عن الله لا عن غيره ، لأنه وكيل عن الله في قواعد دينه ، وإثبات يقينه ، وإخباره بذلك من معجزاته ، وهي من آيات الله بوحيه ، فلا دخل لغيره في مثلها).[٤]

الحكمة من إطْلاع الله نبيه ﷺ على بعض المغيَّبات

وأما ما وقع على لسان النبي ﷺ من ذكر بعض المغيبات فإنما هي من الله تعالى ، لم يَعلمها النبي ﷺ بنفسه ، والشاهد على هذا قوله تعالى ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[٥].

---

[١] سورة الأنعام: ٥٩ .

[٢] الذين يدَّعون الكشف يقصدون بذلك كشف حُجُب الغيب عنهم والاطلاع على ما في اللوح المحفوظ من الغيب ، والذين يدَّعون هذا هم الكهنة وغلاة الصوفية.

[٣] سورة الأعراف: ١٨٨ .

[٤] باختصار وتصرف من «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص ٥٥ – ٥٧ ، للشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله.

[٥] سورة الجن: ٢٦ – ٢٧ .

والغاية من ذلك أن تكون معجزة له ، وبرهاناً على نبوته ، وتثبيتاً لقلبه ولقلوب المؤمنين أيضا.

مِمَّنْ يدَّعي علم الغيب الكهان والعرافون

وممن يدَّعي علم الغيب الكهنة ، والكاهن هو الذي يدَّعي معرفة المغيبات في المستقبل ، قال الخطابي رحمه الله: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية ، فأَلِفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه.[1]

وممن يدَّعي علم الغيب العرافون ، وكلمة العرَّاف صيغة مبالغة من (عَرَفَ) ، وهو أعمُّ من الكاهن[2] ، وربما غلب إطلاق كلمة العراف على من يدعي معرفة مكان الضالة.

قال الإمام البغوي[3] رحمه الله:

«فالكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ، ويدَّعي معرفة الأسرار ، ومطالعة علم الغيب ، وكان في العرب كهنة يدَّعون معرفة الأمور ، فمنهم من كان يزعم أن له رئيسا من الجن ، وتابعةً تُلقِي إليه الأخبار ، ومنهم من كان يدَّعي أنه يستدرك الأمور بِفهمٍ أُعطيهِ.

والعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدماتِ أسبابٍ يستدل بها على مواقعها ، كالمسروق من الذي سرقها ، ومعرفة مكان الضالة ، وتُتَّهم المرأة بالزنى فيقول من صاحبها ، ونحو ذلك من الأمور، ومنهم من يُسمي المنجِّم كاهنا».[4]

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله:

الكهانة: فَعَالةٌ ، مأخوذة من الكَهْن ، وهو التَّخَرُّص والتماس الحقيقة بأمور لا أساس لها ، وكانت في الجاهلية صَنعةً لأقوام تتصل بهم الشياطين وتسترق السمع من السماء وتحدثهم به ، ثم يأخذون الكلمة التي نُقلت إليهم من السماء بواسطة هؤلاء الشياطين ، ويُضيفون إليها ما يُضيفون من القول الباطل ، ثم يُحدِّثون بها الناس ، فإذا وقع الشيء مطابقا لما قالوا اغتر بهم الناس ، واتَّخذوهم مرجعا في الحكم بينهم ، وفي استنتاج ما يكون في المستقبل.

---

[1] نقله ابن حجر عنه في «فتح الباري» ، شرح حديث (٥٧٥٨) ، بتصرف.

[2] انظر «لسان العرب» ، مادة عرف.

[3] هو الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة ، أبو الحسين ، الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي ، الشافعي المفسر ، صاحب التصانيف ، كـ «شرح السنة» في الحديث ، و «معالم التنزيل» في التفسير ، توفي سنة ٥١٦ . انظر ترجمته في «السير» (١٩/٤٣٩).

[4] «شرح السنة» (١٢/١٨٢).

ولهذا نقول: الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. انتهى كلامه رحمه الله.[1]

مصادر الكهان في ادعاء علم الغيب

يسلك الكاهن أحد طريقين في ادعاء علم الغيب:

الطريق الأول: الأخذ عن الشياطين التي تسترق السمع من السماء من كلام الملائكة ، وقد كان مسترقو السمع من السماء قبل بعثة النبي ﷺ كثيرين ، وأما بعد البعثة فقَلُّوا ، لأن الله تعالى حرس السماء بالشُّهُبِ ، فلم يبق من استراقهم إلا ما يخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يُصيبه الشهاب ، فإن أدرك النجمُ – المُعبَّر عنه في القرآن بالشهاب – الشيطانَ أحرقه فلم يستطع إبلاغ ما سمعه لمن تحته من الشياطين ، وإن سبق الشيطانُ الشهابَ وأبلغ ما سمعه للكاهن كذب معها الكاهن مائة كذبة ، ثم يُبلِغ الكاهن من أتاه من الناس تلك الكذبة ، فإن كان في كلامه كلمة صدقٍ فهي من سرقاته وليس من اطلاعه على الغيب ، وربما افتتن من أتى الكاهن بتلك الكلمة الصادقة ولم يعتبر بما خلط معها من الكذبات ، وإن كان كل كلامه كذبٌ فربما انطلى كل الكلام على السائل.[2]

قال تعالى على لسان الجن ﴿وَأَنا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَدا﴾[3] ، وقال في أول سورة الصافات ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِب * وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِد * لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِب * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِب * إِلاَّ مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِب﴾[4].

---

[1] «فقه العبادات» ، ص ٦٣ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[2] سيأتي ذكر أدلة اتصال الكهنة بالشياطين في الفصل اللاحق.

[3] سورة الجن: ٨ – ٩ .

[4] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الكريمة:

أي إلا من اختَطف من الشياطين الخطفة ، وهي الكلمة يسمعها من السماء ، فيلقيها إلى الذي تحته ، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها بقدَرِ الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيُحرِقَهُ ، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم في الحديث ، ولهذا قال ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخطفة فأتبعه شِهَابٌ ثَاقِب﴾ ، أي مستنير.

قال ابن حجر رحمه الله: وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً ، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً ، حتى كاد يضمحل ولله الحمد.[1]

وقال القرطبي رحمه الله: كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهان في الوقائع والأحكام ويرجعون إلى أقوالهم ، وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية ، لكن بقي في الوجود من يَتشبَّهُ بهم ، وثبت النهي عن إتيانهم ، فلا يحل إتيانهم ولا تصديقهم.[2]

الطريق الثاني من طرق تلقي الكاهن هي الاستعانة بالجن ، سواء كان ذلك الجني قرين الإنسان أو غيره ، فإن لكل إنسان قريناً من الجن يأمره بالخير وقريناً من الجن يأمره بالشر ، كما ثبت هذا في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ الله به قرينه من الجن.[3]

وفي لفظ: وقد وُكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة.[4]

والكهان يستعينون بهم ، لأنهم يخبرون الشخص بما يتعلق به من الأمور الخاصة التي يطَّلع عليها القرين ، كمكان عمله واسم زوجه وأمه واسم بلده وعنوان بيته ، ونحو ذلك مما يعرفه القرين.[5]

ولذا يقول بعض الذين يعالجون بالرقى الشرعية ويعرفون ألاعيب السحرة والكهنة: إذا أردت فضح الكاهن فاسأله عن شيء لا تعرفه أنت ، فإنك إن لم تكن تعرفه أنت فلن يعرفه قرينك من الجن ، ومن ثم فلن يهتدي الكاهن إلى شيء ، مثل أن تأخذ شيئا من الحصى من الأرض وتقبضه بيدك ، ثم تسأل الكاهن: كم في يدي من الحصى؟ فإنه سيتهرب ولن يجيب ، لأن قرينك من الجن لا يعرف فمن أين سيأتي الساحر بالجواب؟!

والكاهن يعبد الشيطان الذي نزل عليه في مقابل خدمته له ، وهذا هو مبتغى الشياطين ، فهي لا تبغي من وراء بني آدم إلا إغوائهم ، لأن هذه هي وظيفتهم ورسالتهم ، فوقع في شِراكِهِم السحرة والكهنة والعرافون ، فهم شياطين الإنس ، وأولئك شياطين الجن ، نعوذ بالله من شرورهم.

---

[1] «فتح الباري» ، كتاب الطب ، باب الكهانة ، باختصار.

[2] نقله عنه ابن حجر في «فتح الباري» ، كتاب الطب ، باب الكهانة.

[3] رواه مسلم (٢٨١٤).

[4] المصدر السابق.

[5] انظر ما قاله ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» ، شرح حديث (٥٧٥٨) ، وكذا ما قاله الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعًا في «تيسير العزيز الحميد» ، باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

تنبيه: يدَّعي بعض الناس علم الغيب مجرد ادعاء ، وهو في حقيقة أمره ليس له اتصال لا بالشياطين ولا بقرينه الإنسي ، بل يدعي ذلك ليصدقه الناس فيكسب شهرة وربما مالا منهم ، وربما وافق كلامه القدر فأصاب فزاد الناس في تصديقه ، والله المستعان.

أدلة اتصال الكهان بالشياطين والجن

جاء في صفة استراق الشياطين والجن للسمع واتصالهم مع الكهان خمسة أحاديث:

الدليل الأول – وهو من أدلة اتصال الكهان بالشياطين

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ؛ ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله ،كأنه سلسلة على صفوان ، يَنفُذُهم ذلك ، فإِذَا فُزِّعَ[1] عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟

قَالُوا للذي قال[2]: الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِير.

فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – ووصف سفيان بكفه فحرَفَها وبدَّدَ بين أصابعه – فيَسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا ، فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمِع من السماء.[3]

قوله: (إذا قضى الله أمره في السماء) ، أي: إذا تكلم الله بأمره الذي قضاه في السماء مما يكون.

قوله (خُضعاناً لقوله) ، أي: خضوعاً وخشوعاً لقول الله عز وجل.

قوله: (كأنه سلسلة على صفوان) ، أي: كأن الصوت المسموع صوت سلسلة على صفوان وهو الحجر الأملس.

قوله: (يَنفُذُهم ذلك) ، أي: يبلُغهم كلهم ويخلُص إليهم.

ثم يُصعقون بعد ذلك ، ثم يُفزَّعُ عن قلوبهم ، أي يُزال عنها الفزع والخوف والغَشِي.

---

[1] أي ذهب الفزع.

[2] أي قالوا مخاطبين من سألهم: ماذا قال ربكم؟

[3] رواه البخاري (٤٨٠٠) ، وأطرافه في (٤٧٠١ ، ٧٤٨١).

قوله ﴿قالُوا مَاذا قالَ ربُّكُم﴾ ، أي: الملائكة يسأل بعضها بعضاً: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: (الحق) ، أي ما قال إلا حقًّا.

قوله: (وصَفه سفيان بكفه فحرَفها) ، أي: وصف ركوب بعضهم فوق بعض بكفه فأقامها على هيئة طولية كأنها على حرف ، وبدَّد – أي فرَّق – بين أصابعه.

قوله: (فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته) ؛ أي: يستمع المسترق من الشياطين للكلمة من الوحي فيلقيها إلى الشيطان الذي تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، وهكذا حتى يلقيها أسفل الشياطين إلى الكاهن.

قوله: (فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها) ، الشهاب هو النجم الذي يُرمى به ، أي ربما أدرك المسترِقَ الشهابُ قبل أن يُلقي المسترقُ الكلمة إلى من تحته ، وربما ألقاها المسترق قبل أن يدركه الشهاب.

قوله: (فيكذِب معها مائة كذبة) ، أي: يكذب الكاهن مع الكلمة التي ألقاها إليه وليه من الشياطين مائة كذبة ، ثم يخبر بها وليُّهُ – أي نصيره وحليفه – من الإنس ، وهو السائل الذي سأل الكاهن ، فيفتَتِنُ السائل بالكاهن ، وكلاهما قد فُتِنا بوليهما من الشياطين.

قوله: (أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا ، فيصدُق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء) ، يعني: أن الذين يأتون الكاهن يستدلون على صدق الكاهن دائما بكونه تكهَّن مرةً فوجدوا ما قاله حقاً ، فيُفتنون به ، ويظنون أنه يعلم الغيب ، وإنما هي من سرقاته ، ويستدلون بذلك على صدقه دائما ، ولا يعتبرون بالكذبات الكثيرة التي خلطها مع كذباته.

الدليل الثاني – وهو من أدلة اتصال الكهان بالشياطين

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النَّبِي ﷺ من الأنصار أنّهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسولِ اللّه ﷺ ؛ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ ، فقال لهم رسول اللّه ﷺ : مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟

قالُوا: اللّهُ ورسُولُهُ أَعلَمُ ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ ، وَلٰكِنْ رَبُّنَا ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ ، إِذَا قَضَىٰ أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَٰذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ ، قال: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضاً ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَٰذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَتَخْطَفُ

الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَلٰكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ[1] فِيهِ وَيَزِيدُون.[2]

وفي رواية: قال معمر: قلت للزهري: أكان يُرمى بها في الجاهلية؟

قال: نعم ، ولكنها غُلِّظت حين بُعث النبي ﷺ .

الدليل الثالث – وهو من أدلة اتصال الكهان بالشياطين

ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب ، فتَذْكُرُ الأمر قُضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم.[3]

الدليل الرابع – وهو من أدلة اتصال الكهان بالجن

وعنها قالت: سأَلَ أناسٌ رسولَ الله ﷺ عن الكهان ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ : ليسوا بشيء.

قالوا: يا رسولَ الله ، فإنهم يُحدِّثون أحياناً بالشيء يكون حقاً.

فقال لهم رسولُ الله ﷺ : تلكَ الكلمةُ من الحقِّ يَخطفُها الجني فيَقُرَّها في أُذنِ وَلِيِّهِ[4] قرَّ الدجاجة[5] ، فيَخلِطون فيها أكثرَ من مائةِ كِذبة.[6]

فهذا دليل على أن الكهان يتصلون بقرين الإنسان من الجن ، فإنه من المعلوم أن لكل إنسان قرينين من الجن ، أحدهما يأمر بالخير ، والآخر يأمر بالشر ، وكلاهما يطلع على ما عند الإنسان مما لم يطلع عليه الآخرون ، فإذا فقد الإنسان شيئا – مثلا – فقد يكون للولي الجني معرفة بمكان المفقود لأنه معه دائما ، فإذا اتصل الإنسان بالكاهن وسأله عن ذلك المفقود أخبر الجني الشرير ذلك الكاهن بمكان تلك الضالة ، ثم يخبر الكاهن الإنسان بمكانها ويخلط معها مائة كذبة ، فإذا رأى

---

[1] أي يقرِفون الكذب ، لأن المقارفة في اللغة متعلقة بالقبائح ، يقال: قرف الذنب واكتسبه. انظر «النهاية».

[2] رواه مسلم (٢٢٢٩).

[3] رواه البخاري (٣٢١٠).

[4] أي وليه من الكهان ، سمي وليا لكونه يواليه.

[5] أي صَبَّها في أذنه ، وفي رواية (فيُقرقِرُها) أي يُردِّدها.

[6] رواه البخاري (٦٢١٣) ومسلم (٢٢٢٨) ، واللفظ للبخاري.

الإنسان صدق ذلك الكاهن في تلك الكلمة الصادقة صدَّقه في كل ما قاله وظن أن عنده علما بالغيب.

ومما يُستفاد من الحديث شدة قبول الناس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ، ولا يعتبرون بمائة كذبة!

الدليل الخامس – وهو من أدلة اتصال الكهان بالجن

حديث ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لابن صَيادٍ: إني قد خَبَأْتُ لك خَبيئاً.

فقال ابن صياد: هو الدُّخ.

قال: اِخْسَأ ، فلن تَعْدُوَ قدركَ.[1]

يعني: لست أنت إلا من إخوان الكهان.

وقوله (الدُّخ) يريد الدُّخْن ، وهو نوع من الحبوب.

قال القرطبي رحمه الله: كان ابن صياد على طريقة الكهنة ، يخبر بالخبر فيَصِحُّ تارة ويَفسُدُ أخرى ، فشاع ذلك ولم ينزل في شأنه وحي ، فأراد النبي ﷺ سلوكَ طريقةٍ يختبر حاله بها.[2]

فالحاصل أن الكهان يَفزَعون إلى الجن في أمورهم ، ويستفتونهم في الحوادث ، فيُلقون إليهم الكلمات ، وقد يتوافق ما يُخبِر به الكاهن مع القدر ، فيظن من سمعه أن الكاهن قد كُشِف له شيء من الغيب ، فيفتتن به ، فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة ، وأن ذلك الكاهن وليٌّ من أولياء الله ، وهو من أولياء الشيطان ، كما قال تعالى عنهم في سورة الشعراء ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنزلُ الشَّيَاطِين * تَنزلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون﴾[3].

وقد حسم الإسلام – ذلك الدين العظيم – مادة هذا المدخل الشيطاني ، فحرَّم الذهاب للكهان ، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

---

[1] رواه البخاري (١٣٥٤) ومسلم (٢٩٢٤).

[2] نقله ابن حجر عنه في «فتح الباري» ، شرح حديث (٣٠٥٥).

[3] سورة الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣ .

ادِّعاء غلاة المتصوفة لعلم الغيب

وأكثر من تنتشر بينهم الكهانة هم الصوفية ، فأكثر مشايخهم ما بين كاهن وعراف ، لأنهم قوم يدَّعون الولاية والكرامة لمشايخهم ، وادِّعاء علم الغيب عندهم من مستلزمات الولاية والكرامة ، ويسمونه بـ «الكشف» ، ولا يسمونه ادِّعاءً لعلم الغيب لئلا يُفتضح أمرهم.[1]

وقد زعم كثير من المتصوفة والدراويش – بل صار من المستقر والضروري عندهم – أن بعض من وصفوهم بالأولياء لهم اطلاع على اللوح المحفوظ ، ومن هؤلاء المتصوفة: عبد الوهاب بن أحمد الأنصاري ، المعروف بالشعراني – وكان خرافياً كبيراً – ، فقد ترجم في كتابه «الطبقات الكبرى» لإسماعيل بن يوسف الأنباني ، وزعم أنه يرى اللوح المحفوظ!

وترجم أيضاً لإبراهيم بن أبي المجد الدسوقي المصري ، الذي كان يدَّعي أنه أغلق أبواب النار ، وفتح أبواب الجنة ، ومن زاره أسكنه جنة الفردوس ، وأنه نظر في اللوح المحفوظ وهو ابن ثمان سنين.

وذكر أمورًا أخرى تَضحك لسماجتها البهائم ، وللدسوقي وغيره من الخرافيين قبور تعظمها جهلة الناس وتتوجه إليها ، نسأل الله العافية.

وخلاصة القول إن اختصاص الله بعلم الغيب صفة ثابتة له وحده لا شريك له ، لا يشاركه فيها أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمـن ادَّعاها لغيره فقد شرَّك بين الله وبين خلقه فيما هو من خصائصه وحده لا شريك له ، وشبَّهه به ، وقد روى الذهبي بإسناده إلى إمام أهل السنة في زمانه نُعَيم بن حماد الخزاعي – شيخ البخاري – قال: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر.[2]

ممن يدَّعي علم الغيب المُنجِّمون

وممن يدَّعي علم الغيب المنجمون ، والمنجم هو الذي يستدل إلى معرفة الحوادث المستقبلية بحركة النجوم بزعمه ، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار ونحو ذلك ، فهم يزعمون أنهم يعرفون ذلك بسير الكواكب في مجاريها ، وباجتماعها واقترانها ، وأن ذلك

---

[1] انظر «شرح مسائل الجاهلية» ، للدكتور يوسف السعيد ، ص ٨٧٦ .

[2] انظر «العلو» رقم ٤٦٤ ، وكذا كتاب «العرش» ، ص ٩٣-٩٤ ، وصححه ، وأشار إلى ثبوته في «السير» (٦٢٥/١٠) ، ورواه اللالكائي عن عبد الرحمٰن بن أبي حاتم تعليقا في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٩٣٦).

له تأثير في السُّفليات ، وهذا ما يسمى بعلم التأثير[١] ، ومدَّعيهُ ربما سمي بالحازي[٢] ، كما في الحديث: (وكان هِرقل[٣] حـزَّاءً ينظر في النجوم)[٤].

والمنجم في هذه الحالة يخاطب النجوم ، فيصور له الشيطان صورة يستدل بها على ما تقدم ، وهذا كله من الخرافة.

والجائز في الاستفادة من حركة النجوم هو علم التسيير ، وهو ما يدرك بالمشاهدة والحس ، كوقت الزوال وجهة القبلة وجهة البلد الفلاني ومواسم الزراعة ، قال تعالى ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾[٥] ، وقال ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[٦].

ويدخل في التنجيم استخدام الحروف الأبجدية (أبا جاد) مربوطة بسير النجوم لمعرفة الحوادث المستقبلية ، وهو الذي عناه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: إن قوما يحسِبون (أبا جاد) ، وينظرون في النجوم ، ولا أرى لمن فعل ذلك من خَلاَق[٧].[٨]

والاستفادة من (أبا جاد) جائزة للتَّهجِّي وحساب الجُمَل ، أما إذا كان للاستعانة بذلك لادعاء علم الغيب فإنه حرام.[٩]

ومن مظاهر التنجيم ما يدعيه بعض الفلكيين من المنجمين من معرفة ما سيحدث للإنسان في المستقبل ، وينشرون هذا في الصحف والمجلات ، فيزعمون أن من وُلِد في برج كذا من بروج النجوم ، العقرب مثلاً ، فطالِعُه نحسٌ ، أي حظه نحس ، ومن وُلِد في برج الميزان — مثلا – فطالعه سعيد ، وهلمَّ جَرًّا.

---

[١] انظر «شرح السنة» للبغوي (١٨٣/١٢).

[٢] قال ابن حجر في «الفتح» شرح حديث رقم (٧): حَزاَ أي تكهن.

[٣] هرقل هو ملك الروم ، ولقبه قيصر وهو لقب ملوك الروم في ذلك الزمان.

[٤] رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، حديث رقم (٧).

[٥] سورة الأنعام: ٩٧ .

[٦] سورة النحل: ١٦ .

[٧] خلاق أي نصيب ، يعني نصيب في الآخرة ، ومعنى الكلام أن فاعل ذلك قد هلك لوقوعه في الكفر.

[٨] رواه عبد الرزاق في «مصنفه» برقم (١٩٨٠٥) واللفظ له ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٩/٨).

[٩] انظر «القول المفيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

وحكم التنجيم داخل في حكم السحر والكهانة ، والدليل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ ؛ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ ، زَادَ مَا زَاد.[1]

فقوله (اقتبس) أي تعلَّم ، وقوله (شعبة من النجوم) أي طائفة من علم النجوم ، وليس النجوم أنفسها ، بل المراد علم النجوم الذي يُستدل به على معرفة الحوادث الأرضية ، ويُسمى علم التأثير ، أي تأثير حركة النجوم في الحوادث الأرضية ، كمن يستدل باقتران النجم الفلاني بالنجم الفلاني على أنه سيحدث كذا وكذا ، وأنه إذا وُلِد إنسان في نجم الميزان مثلاً فإنه سيكون سعيداً ، وإذا وُلِد في نجم العقرب – مثلا – فإنه سيكون شقياً ، أو إذا طلع النجم الفلاني فسينزل المطر حتما ، فهذا كله باطل ، لأن الله تعالى الذي هو خالق الأشياء كلها لم يجعل علاقة بين الحوادث وطلوع النجوم ، ومن زعم ذلك فعليه الإثبات.

وقوله (زاد ما زاد): أي أن فاعل ذلك – أي التنجيم – قد زاد في اقتباس شعب السحر – أي تعلمها – بمثل ما زاد من اقتباس علم النجوم ، وقد عُلِم أن أصل علم السحر حرام ، والازدياد منه ازدياد في الوقوع في الحرام ، فكذلك الازدياد من علم التنجيم.[2]

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في «فتاواه»[3]: فهو يُفيد تحريم تعليم التنجيم ، وأنه يدخل في السحر ، وأنه كلما زاد صاحبه توغلاً في علم النجوم المحرم ؛ زاد بذلك توغلاً في علم السحر. ا.هـ.

ومن أدلة تحريم التنجيم حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لهم ذات يوم: هل تدرون ماذا قال ربكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته ؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال: مطرنا بنوءِ[4] كذا وكذا ؛ فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب.[5]

---

[1] رواه أحمد (٣١١/١) ، وأبو داود (٣٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٧٢٦) ، وحسنه الألباني كما في «الصحيحة» (٧٩٣).

[2] قاله الشيخ سليمان في «التيسير» ، باب بيان شيء من أنواع السحر ، والشوكاني رحمه الله في «نيل الأوطار» ، باب ما جاء في حد الساحر وذم السحر والكهانة ، كلاهما بنحوه.

[3] (١٦٨/١).

[4] النوء هو النجم.

[5] رواه البخاري (٨٤٦) ، ومسلم (٧١).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة.[1]

وقد جاء في ذم التنجيم عدة آثار عن السلف رحمهم الله ، فقد روى ابن جرير بسنده عن قتادة في تفسير قوله تعالى ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[2] قال:

العلامات النجوم ، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء ، وجعلها يُهتدى بها ، وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى[3] فيها غير ذلك فَقَدَ رأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلَّفَ ما لا علم له به.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسير سورة النمل[4] عن قتادة وزاد:

وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة ؛ من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولَعَمري ما من نجمٍ إلا يولد به الأحمر والأسود ، والطويل والقصير ، والحسن والذميم ، وما عَلِم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطائر[5] بشيء من الغيب ، وقضى الله أنه ﴿لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ، ولعمري لو أن أحداً عَلِمَ الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة يأكل منها رغداً حيث شاء ، ونُهي عن شجرة واحدة ، فلم يزد به البلاء حتى وقع بما نُهي عنه.

ولو كان أحد يَعلم الغيب لعلِمته الجن حين مات نبي الله سليمان ﷺ ، فلبثت تعمل حولاً في أشد الهوان لا يشعرون بموته ، ﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته﴾ ، أي تأكل عصاه ، فلما خر تبينت الجن ، وهي في مصحف ابن مسعود ﴿تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ ، وكانت الجن تقول قبل ذلك إنها تعلم الغيب ، وتعلم ما في غدٍ ، فابتلاهم الله بذلك ، وجعل موتَ سليمانَ للجنِّ عظةٌ.[6]

---

[1] رواه مسلم (٩٣٤) وغيره.

[2] سورة النحل: ١٦ .

[3] التعاطي هو التناول والاستعمال ، والمقصود من استعمل النجوم لغير ذلك ... الخ. انظر «النهاية».

[4] آية: ٦٥ .

[5] كالبوم ونحوه مما كانوا يتشائمون به في الجاهلية.

[6] ورواه أبو الشيخ في كتاب «العظمة» ، ذكر النجوم.

وروى أبو الشيخ في كتاب «العظمة»[١] عن ابن كريب عن أبيه عن جده كريب أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له: يا غلام ، إياك والنظر في النجوم ، فإنه يدعو إلى الكهانة.

وله عن عمر بن حسان قال: كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مُنَجِّمٌ ، فلما أراد أن يسير إلى «النهروان» قال: يا أمير المؤمنين ، لا تَسِرْ هذه الساعة التي أمرك فيها فلان ، فإنك إن سِرْت فيها أصابك وأصحابك ضُرٌّ وأذى ، وسِرْ في الساعة التي آمُرُكَ فيها ، فإنك إن سِرْت فيها ظَهرْتَ وظَفرْتَ[٢] وأصبتَ[٣].

فقال: أتدري ما في بطن هذا الفرس أذكر هو أو أنثى؟

قال: إن حَسَبتُ[٤] عَلِمتُ.

قال: من صدَّقك بهذا كذَّب بالقرآن ، لقد ادَّعيتَ علما ما ادَّعاه محمد ﷺ ، ثم قال ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الآية ، أتزعم أنك تَهدي للساعة التي يُصيب النفع من سار فيها ، وتهدي للساعة التي يَحيق السوء بمن سار فيها؟

قال: نعم.

قال: من صدَّقك بهذا استغنى عن أن استعان بالله[٥] ، وينبغي للمقيم بأمرك أن يُولِيك الحمد دون ربه عز وجل[٦] ، لأنك هديتَهُ للساعة التي يُصيبُ النفع فيه من سار فيها ، وصرفتَهُ عن الساعة التي يُصيبُ السوء من سار فيها ، بل نكذِّبكَ ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيتنا فيها.

ثم قال: اللهم لا طير إلا طيرك[٧] ، ولا خير إلا خيرك ، ولا ربَّ غيرك.

ثم قال: أيها الناس ، إنما المنجم مثل الساحر ، والساحر مثل الكاهن ، والكاهن مثل الكافر ، والكافر في النار.

---

[١] كتاب «العظمة» ، ذكر النجوم.

[٢] ظهرتَ وظفرتَ كلاهما بمعنى ، أي غلبتَ وانتصرتَ. انظر «لسان العرب».

[٣] أي أصبتَ منهم غنائم.

[٤] أي إن حسَبتُ بطريقة التنجيم.

[٥] أي استغنى عن الاستعانة بالله.

[٦] أي يَلزم من كلامك أن من استمع لمشورتك واتبعك أن يحمدك ولا يحمد الله ، ومقصود علي رضي الله عنه هو بيان ما يلزم من تصديقه من لوازم كفرية.

[٧] سيأتي الكلام قريبا على معنى التطير.

ثم قال: والله لئن بلغني أنك نظرت في شيء من هذا لأُخلِدنَّك السجن ما بقيت ، ولأحرِمَنَّك العطاء ما بقِيت ، ثم سار فظفر ، فقال: لو سِرنا في الساعة التي أَمرنا فيها المنجم لقال الناس: (سار في الساعة التي أمره فيها المنجم فظفر) ، ما كان لرسول الله ﷺ منجم ولا لنا بعده.[1]

وعن عمر رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ، ثم أمسِكوا.[2]

وروى ابن السَّرِي في كتاب «الزهد» عنه رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون بها ، وتعلموا من الأنساب ما تَواصلون بها.[3]

وروى الإمام أحمد عن ميمون بن مهران قال: ثلاث ارفضوهن ؛ سب أصحاب محمد ﷺ ، والنظر في النجوم ، والنظر في القدَر.[4]

قال ابن عبد البر[5] رحمه الله: والمتخرصون بالنجامة كالمتخرصين بالعيافة والزجر وخطوط الكف والنظر في الكتف وفي مواضع قرض الفأر وفي الخَيلان والعلاج بالفكر وملَك الجن وما شاكل ذلك مما لا تقبله العقول ولا يقوم عليه برهان ولا يصح من ذلك كله شيء ، فإن ما يُدركون منه يخطئون في مثله مع فساد أصله ، وفي إدراكهم الشيء وذهاب مثله أضعاف ما يدلك على فساد ما زعموه ، ولا صحيح على الحقيقة إلا ما جاء في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم.[6]

فالحاصل أن تعلم التنجيم والعمل به حرام ، لأنه لا علاقة البتة بين طلوع النجوم وسيرها وبين اقترانها بالحوادث الأرضية من حصول خير أو شر ، وليس إلا ادِّعاء لعلم الغيب ، وهو من خصوصيات الله تعالى ، والله أعلم.

---

[1] كتاب «العظمة» ، ذكر النجوم.

[2] رواه ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٠) وابن عبد البر في كتاب «جامع بيان العلم وفضله» (٩/٢).
ومقصوده بقوله (أمسكوا) ؛ أي قفوا عند هذه ولا تزيدوا عليها.

[3] كتاب «الزهد» ، باب صلة الرحم.

[4] رواه ابن عبد البر في كتاب «جامع بيان العلم وفضله» (١١/٢) ، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٣٩) ، وصححه محققه الشيخ وصي الله عباس حفظه الله.

[5] هو شيخ الإسلام ، حافظ المغرب ، أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَري ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، محدث فقيه ، صاحب التصانيف الفائقة ، أشهرها كتاب «التمهيد» في شرح أحاديث موطأ مالك ، وكتاب «الاستذكار» في شرح آثاره ، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ، و «جامع بيان العلم وفضله» ، له رواية للحديث النبوي ، توفي سنة ٤٦٣ ، انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٢١٧/٣).

[6] «جامع بيان العلم وفضله» (٨/٢-٩).

باب في النهي عن إتيان الكهنة والعرافين والمنجمين

ولِما يترتب على إتيان الكهنة والعرافين من المفاسد الدينية العظيمة ؛ فقد جاء الوعيد الشديد في حق من أتى عرافاً أو كاهنًا ولو لمجرد السؤال ، فقد روى مسلم عن صفية رضي الله عنها عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: مَنْ أتىٰ عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ .[2]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ليس منا من تَطيَّر أو تُطُيِّرَ[3] له ، أو تَكهَّنَ أو تُكُهِّنَ له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له ، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ .[4]

---

[1] رواه مسلم (٢٢٣٠).

[2] رواه أحمد واللفظ له (٤٢٩/٢) ، وحسنه محققو «المسند».

ورواه الترمذي (١٣٥) ، وابن ماجه (٦٣٩) ، ورواه أبو داود (٣٩٠٤) بنحوه بألفاظ متقاربة ليس فيها ذكر العراف ، وهذا لفظ ابن ماجه: من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا ، فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

وصححه للألباني رحمه الله.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم ... وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين ، أخرجهما البزار بسندين جيدين. انظر «فتح الباري» ، شرح حديث (٥٧٥٨).

[3] سيأتي الكلام على معنى التطير عند الكلام عليه بتوسع.

[4] رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٣٠٤٤) ، و الطبراني في «الكبير» (١٦٢/١٨) ، ولفظه:

عن عمران بن حصين أنه رأى رجلا في عضده حلقة من صُفْرٍ (أي النحاس الأصفر) ، فقال له: ما هذه؟

قال: نُعِتت لي من الواهنة.

قال: أمَا إن مِتَّ وهي عليك وُكِلت إليها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس منا من تطير أو تطير له ... الحديث.

قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. انظر «مجمع الزوائد» (١١٧/٥).

ورواه البزار أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في «كشف الأستار» (٣٠٤٣) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥٤٣٥) و «السلسلة الصحيحة» (٢١٩٥) ، وجوَّد إسناده المنذري في كتاب

فالوعيد الوارد في الحديث الأول منطبق على من أتى العراف فسأله مجرد سؤالٍ دون أن يُصدِّقه ، فهذا لا تقبل له صلاة أربعين يوما ، ولكنه لا يكفر ويكون خارجا من ملة الإسلام.
بينما الوعيد المذكور في الحديثين الثاني والثالث منطبقٌ على من سأل العراف وصدقه ، ففاعل ذلك قد كفر وخرج من ملة الإسلام ، لأنه لما صدقه اعتقد له شيئاً من خصائص الله تعالى وهو علم الغيب ، فجعل العراف شريكا لله في ذلك ، نسأل الله العافية.

التفصيل في حكم سؤال الكاهن

قال أبو بكر العربي في «أحكام القرآن» ونقله عنه القرطبي في «تفسيره»:
وأما من ادَّعى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر ، أو أخبر عن الكوائن الجُمْلية[1] أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون ؛ فلا رِيبة في كفره أيضا.[2]

استثناء – حكم اختبار الكاهن من قِبَلِ ولي الأمر أو نائبه

يُستثنى ممن نُهي عن سؤال الكاهن ولي الأمر أو نائبه ممن لهم سلطة – كأهل الحِسبة – لأجل اختبار الكهنة وإظهار عجزهم ، فهذا لا بأس به ، كما فعل النبي ﷺ مع ابن صياد لما خَبَأَ له (دُخنا)[3] في كفه ، ثم سأله: ماذا خَبَأت لك؟ فأخبر القرين الجني أو الشيطان ابن صياد بما خبأه النبي ﷺ في كفه ، وكان قد رآه قبل أن يقبض النبي ﷺ يده ، ولكن ابن صياد لم يسمع من الجني كلمة (الدُّخن) كاملة ، فسمعها إلا الحرف الأخير (النون) ، فسمعها على هذا النحو (الدُّخ) ، فأدَّاها كما سمعها ، فقال له النبي ﷺ : اِخسأ ، فلن تعدو قدرك.[4]
قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله:
الذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

«الترغيب والترهيب» ، كتاب الأدب وغيره ، باب الترهيب من السحر وإتيان الكهان والعرافين والمنجمين بالرمل والحصى أو نحو ذلك وتصديقهم.

[1] أي على سبيل الإجمال.

[2] انظر «أحكام القرآن» ، سورة الأنعام ، المسألة السابعة ، و «تفسير القرطبي» ، تفسير سورة الأنعام ، الآية: ٥٩ .

[3] الدُّخن نوع من الحبوب.

[4] تقدم تخريجه ، وانظر تقرير ابن تيمية رحمه الله لهذه المسألة في «مجموع الفتاوى» (١٩/٦٢).

القسم الأول: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه ، فهذا محرم ، وعقوبة فاعله ألا تقبل له صلاة أربعين يوما ، كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: من أتى عرافا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوما أو أربعين ليلة.

القسم الثاني: أن يأتي الكاهن فيسأَله ويُصدِّقه بما أخبر به مما ادعاه من علم الغيب ، فهذا كافر بالله عز وجل ، لأنه صدَّقه في دعوى علم الغيب ، وكذَّب الله في قوله ﴿**قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**﴾[1] ، وتكذيب خبر الله ورسوله كفر ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: **من أتى كاهنا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ .

القسم الثالث: أن يأتي للكاهن فيسأله ليبين حاله للناس وأن ما يفعله كهانة وتمويه وتضليل ، فهذا لا بأس به[2] ، ودليل ذلك أن النبي ﷺ أتى ابن صياد فأضمر له النبي ﷺ شيئا في نفسه ، فسأله – أي النبي ﷺ – عما خبَأ له ، فقال: (الدُّخ) ، يريد الدخن ، فقال النبي ﷺ : اِخسأ فلن تعدو قدرك.[3]

حكم الإخبار عن بعض الأمور المستقبلية بطريق الحساب

وأما الإخبار عن أمور مستقبلية تُدرك بطريق الحساب فليس من التنجيم ولا ادعاء علم الغيب ، كالإخبار عن كسوف الشمس وخسوف القمر ، ودخول فصل الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وما يسمى بأحوال الطقس من أمطار ورياح وغيوم ، وطلوع بعض النجوم ،

---

[1] سورة النمل: الآية: ٦٥ .

[2] وقال الشيخ رحمه الله في «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/٥٣٣ – ٥٣٤): وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب ، وقد يكون واجبا.

[3] «فقه العبادات» ص ٦٣ – ٦٤ .

وانظر للفائدة في باب تحريم الكهانة كتابه «القول المفيد على كتاب التوحيد» ، باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

وانظر كذلك رسالة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في هذا الباب بعنوان: «إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين» ، وقد ضُمِّنت في «مجموع فتاويه» (١/١٤٩).

وانظر أيضا حكم الكهانة للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله ، وقد أودعه كتابه «أضواء البيان» عند تفسير قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾.

ومرور بعض المذنبات كمذنب «هالي» ، فهذه الأمور تُعرف بطريق الحساب ، وبمعلومات حِسِّيَّـةٍ ، ونظريات فيزيائية ، ومعلومات تلتقط من مراصد لأحوال الجو منتشرة في أنحاء العالم ، كما أن لهذه الأمور الطبيعية أوقات مقدرة ، وعادة أجراها الله عليها ، فإذا أخبر خبراء الطقس بأحواله المتوقعة في المستقبل ولم يجزموا به ، بل استثنوا وصرحوا بأنها توقعات – ليس إلا – يمكن حدوثها في خلال مدة زمنية محددة ، وصرحوا بأن تلك الحسابات والمعلومات والنظريات تصيب وتخطيء ؛ فعندئذ لا يعتبر هذا من ادعاء علم الغيب ، بل من التوقعات الحسية ، ونظير ذلك في العلم البدائي أنه إذا رؤيت السماء وتجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب ؛ قالوا يوشك أن ينزل المطر.[1]

والشيء الذي يُدرك بالحس إنكاره قبيح ، كما قال السَّفَّاريني[2] رحمه الله:

فكل شيء معلوم بحسٍّ أو هِجا إنكاره جهل قبيح بالحِجا[3]

فالذي يُعلم بالحس لا يمكن إنكاره ، ولو أن أحدا أنكره مستنداً بذلك إلى الشرع ؛ لكان ذلك طعناً بالشرع.

قال المنذري رحمه الله في «الترغيب والترهيب»: والمنهي عنه من علم النجوم هو ما يدَّعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان ، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان ، وهذا علمٌ استأثر الله به ، لا يعلمه أحد غيره ، فأما ما يدرك

---

[1] انظر مزيد تقريرات علمية في هذه المسألة في «مجموع الفتاوى» (٢٥٤/٢٤ – ٢٥٨) ، و «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم» (١٦٨/١ – ١٧٠) ، و «القول المفيد» للشيخ محمد بن عثيمين ، باب بيان شيء من أنواع السحر ، و «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (١١٢/١) للشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله.

[2] هو الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، عالم بالأصول والأدب ، من علماء فلسطين ، درس على علماء الشام ، ثم رجع إلى نابلس فدرَّس فيها إلى أن مات. له عدة مؤلفات ، منها منظومة مشهورة في عقيدة السلف الصالح بعنوان «الدرة المَضية في عقد أهل الفرقة المرضية» ، وله شرح عليها بعنوان «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المُضية في عقيدة الفرقة المرضية» ، وقد شرحها بعض المعاصرين كالشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي رحمه الله ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله ، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.
انظر «الأعلام» للزركلي رحمه الله.

[3] الحِجا هو العقل.

من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة ، وكم مضى من الليل والنهار وكم بقي ؛ فإنه غير داخل في النهي ، وهو الذي يسمى بعلم التسيير ، والله أعلم.[1]

تكذيب الكهنة والعرَّافين بالدليل العقلي

ومما يدل على كَذِبِ الكهان والعرافين في دعواهم علم الغيب أن النبي ﷺ كان لا يعلم من الغيب شيئاً إلا علما علمه الله إياه عز وجل ، فكيف يدَّعي هذا من ليس بنبي؟!

وقد جاء الدليل على أن النبي ﷺ لا يعلم شيئًا من الغيب في قوله تعالى لنبيه ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراًّ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[2] .

قال ابن كثير رحمه الله: أَمَرَهُ[3] الله تعالى أن يُفوض الأمور إليه ، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطْلعه الله عليه ، كما قال تعالى ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً﴾ الآية[4] . انتهى.

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى ﴿قُل لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَك﴾[5]: يقول الله تعالى لرسوله ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّه﴾ ، أي: لست أملكها ولا أتصرف فيها.

﴿وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْب﴾ ، أي: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب ، إنما ذاك من علم الله عز وجل ، ولا أطَّلع منه إلا على ما أطْلعني عليه. انتهى.

---

[1] كتاب «الترغيب والترهيب» ، كتاب الأدب وغيره ، باب الترهيب من السحر وإتيان الكهان والعرافين والمنجمين بالرمل والحصى أو نحو ذلك وتصديقهم ، بتصرف يسير.

[2] سورة الأعراف: ١٨٨ .

[3] الضمير عائد على النبي ﷺ .

[4] سورة الجن: ٢٦ .

[5] سورة الأعراف: ٥٠ .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعمَ أنه[1] يُخبرُ بما يكونُ في غدٍ فقد أَعْظَمَ على الله الفِرية[2] ، والله يقول ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّه﴾[3].

هذا لفظ مسلم.[4]

ولفظ البخاري: ... ومن حدَّثك أنه[5] يعلمُ ما في غدٍ فقد كذبَ ، ثم قرأَت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت﴾[6].[7]

وفيهما عن أم سلمة رضي الله عنها ، عن رسولِ الله ﷺ أنه سمعَ خُصومةً بباب حجرتهِ ، فخرجَ إليهم فقال: إنما أنا بَشَرٌ ، وإنهُ يأتيني الخصمُ ، فلعلَّ بعضكم أن يكونَ أبلغ من بعضٍ فأحسِبُ أنَّهُ صادقٌ فأقضي له بذلك ، فمن قضَيتُ له بحقِّ مسلمٍ فإنما هي قِطعةٌ من النار ، فليأخُذها أو لِيَترُكها.[8]

فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لعلِم الظالم من المظلوم إذا تقدَّما لفضِّ خصومة ، ولم يحتج لمثل كلامه الذي قال.

ولما ابتُـلي النبي ﷺ في عرضه حين رُميت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ؛ مكث مدة لا يعلم حقيقة الأمر ، ورغم أنه كان يحسن الظن بأهله إلا أن ما أشاعه المنافقون من إشاعات أثَّرت في نفسه ﷺ ، فاستشار علياً وأسامة رضي الله عنهما في شأنها ، وسأل عائشة فقال لها:

أَمَّا بَعْدُ ، يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللّهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ إلى الله تَابَ اللّهُ عَلَيْهِ.

---

[1] أي: رسول الله ﷺ .

[2] الفرية هي الكذبة.

[3] سورة النمل: ٦٥ .

[4] رواه مسلم (١٧٧).

[5] أي: رسول الله ﷺ .

[6] سورة لقمان: ٣٤ .

[7] رواه البخاري (٤٨٥٥).

[8] رواه البخاري (٧١٨١) ومسلم (١٧١٣) ، واللفظ للبخاري.

فالشاهد أن النبي ﷺ لم يكن يعلم كذِب المنافقين في هذا الأمر المهم الذي يتعلق بأهله حتى أنزل الله تعالى الآيات من سورة النور ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[1] الآيات ، والقصة ثابتة في الصحيحين وغيرهما.[2]

فالشاهد أنه لو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لعلِم أنها بريئة منذ أشيع الخبر ، ولم يقل لها ما قاله.

ولما قالت فاطمة بنت قيس للنبي ﷺ : خطبني أبو جهم ومعاوية ؛ قال لها النبي ﷺ : أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ[3] ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ[4] لاَ مَالَ لَهُ ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ.[5]

فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لأشار عليها بمعاوية ، لأنه صار ملِكاً فيما بعد ، وصار أغنى العرب.

ولما قدم وفد بني حنيفة على رسول الله ﷺ وفيهم مسيلمة الكذاب ؛ أتوه وتركوا مسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا: يا رسول الله ، إنا قد خلَّفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا ، فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم وقال: (أما إنه ليس بأشرِّكم مكانًا) ، يعني لِحِفظِهِ مالَ أصحابه ، ثم انصرفوا ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدو الله مسيلمة وادَّعى النبوة وقال: إني أُشرِكت في الأمر معه[6] ، ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: أما أنه ليس بأشركم مكاناً؟ وما ذاك إلا لِما كان يعلم أني قد أُشركت في الأمر معه![7]

فالشاهد من القصة أنه لو كان رسول الله ﷺ يعلم الغيب لما أثنى عليه في أول الأمر ، ولعلِمَ أنه كاذب في مبايعته ، وأنه سيدعي النبوة فور رجوعه ، وأنه سيكون رأساً لفتنة عظيمة في الناس.

كذلك ، فلم يكن النبي ﷺ يعلم ما سيحصل في معركة أحد من هزيمة للمسلمين ، وما سيحصل في يوم حنين أيضا من غلبة للكفار في أول الأمر ، ولم يكن يعلم أن المشركين سيمنعونهم من أداء العمرة في قصة الحديبية ، ولم يكن يعلم أسماء بعض المنافقين ، كما قال تعالى ﴿وممن حولكم من

---

[1] سورة النور: ١١ .

[2] انظر البخاري (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠).

[3] يعني من كثرة أسفاره ، وقيل لكونه يضرب النساء ، ويشهد لهذا المعنى رواية: "فرجل ضرَّاب للنساء" ، إن صحَّت.

[4] صعلوك أي فقير.

[5] رواه مسلم (١٤٨٠).

[6] أي في أمر النبوة.

[7] «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٣١/٥) ، باب وفد بني حنيفة.

الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾[1].

والأدلة في هذا الباب كثيرة لا تحصى.

فالحاصل أن النبي ﷺ بشرٌ كغيره ، تخفى عليه الأمور ، ولم يكن يعلم من الغيب شيئاً ، وإذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى ألا يعلم الغيب من ليس بنبي ، كالكهنة والسحرة والعرافين.

ومما يدل أيضاً على كذب الكهان والعرافين في دعواهم علم الغيب ؛ أن الإخبار عن بعض المغيبات قد خُص به الأنبياء ، وطريقُهُ الوحي المنزل عليهم لا غير ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا﴾[2] ، وقال جل ذكره ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُول﴾[3] ، وقال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء﴾[4] الآية.

فهذه الآيات تفيد أن الإخبار ببعض المغيبات خاص بالرسل ، وقد خُتمت الرسالة به صلى الله عليه وآله وسلم ، فانسد باب الاطلاع على الغيب بموته صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا.

ومما يدل أيضا على كذب الكهان والعرافين في دعواهم علم الغيب ؛ حال الصحابة والتابعين ، الذين هم سادات الأولياء وأئمة الأصفياء ، رضي الله عنهم ، أفكان عندهم من هذه الدعاوى شيء؟ لا والله.

ومن أوضح الأدلة أيضاً على كذب الكهنة في دعواهم أنهم يعلمون الغيب ؛ أن هذا من تزكية النفس ، وقد ورد النهي عن ذلك في قوله تعالى ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[5] ، والحق أنهم يريدون المنزلة في قلوب الخلق ، والشهرة ، وكسب الدنيا والمال ، وليس هذا من شأن أولياء الله ، فإن شأنهم عيب أنفسهم واتهامهم لها بالتقصير ، والزهد بما عند الناس.

---

[1] سورة التوبة: ١٠١ .

[2] سورة الشورى: ٥١ .

[3] سورة الجن: ٢٦ – ٢٧ .

[4] سورة آل عمران: ١٥٧ .

[5] سورة النجم: ٣٢ .

ومن أدلة كذب الكهنة ؛ دعواهم أن علمهم بالمغيَّبات من باب الكرامة ، وهذا واضح البطلان ، لأن الكرامة لا تتضمن دعوى مشابهة الرب في شيء من خصائصه ، وإنما هي حصول أمر خارق للعادة ، لدفع حاجة من حصلت له الكرامة.[1]

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعًا بعد كلام له في تعريف العراف:

والمقصود من هذا معرفة أن من يدعي علم شيء من المغَيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن وإما مشارك له في المعنى فيُلحق به ، وذلك أن إصابة المُخبِر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشفِ[2] ، ومنه ما هو من الشياطين ، ويكون بالفأل والزجر والطير والضربِ بالحَصى والخط في الأرض والتنجيم والكَهانة والسحر ونحو هذا من علوم الجاهلية ، ونَعني بالجاهلية كل من ليس من أتباع الرسل ، كالفلاسفة والكهان والمنجمين وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ ، فإن هذه علوم قومٍ ليس لهم علمٌ بما جاءت به الرسل عليهم السلام ، وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهناً وعرافاً أو في معناهما ، فمن أتاهم فصدَّقهم بما يقولون لحِقَهُ الوعيد ، وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام فادَّعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، وادَّعوا أنهم أولياء وأن ذلك كرامة ، ولا ريب أن من ادَّعى الولاية واستدل عليها بإخباره ببعض المغيبات فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمٰن ، إذِ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن المتقي إما بدعاء أو أعمال صالحة لا صنع للولي فيها ولا قدرة له عليها ، بخلاف من يدعي أنه ولي لله ويقول للناس اعلموا أني أعلم المغيبات ، فإن مثل هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب وإن كانت أسباباً محرمة كاذبة في الغالب ، ولهذا قال ﷺ في وصف الكهان (فَيكْذبونَ مَعها مائة كذبة) ، فبيَّن أنهم يصدُقون مرة ويكذبون مائة ، وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممن يدعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس ، مع أن نفس دعواه دليل على كذِبه ، لأن في دعواه الولاية تزكية النفس المنهي عنها بقوله ﴿فَلاَ تُزَكوٓاْ أَنفسُكُم﴾[3] ، وليس هذا من شأن الأولياء ، بل شأنهم الإزراء على نفوسهم وعيبهم لها وخوفهم من ربهم ، فكيف يأتون الناس يقولون (اعرفوا إنا أولياء ، وإنا نعلم الغيب) ، وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق واقتناص الدنيا بهذه الأمور ، وحسبك

---

[1] انظر كتاب «النبوات» لابن تيمية رحمه الله ، ص ١٠٨٤ – ١٠٨٥.

[2] وذلك بحسب ما يدَّعيه الكاهن من انكشاف الغيب له ، كما بين ذلك الشيخ سليمان في أول شرحه لباب ما جاء في الكهان ونحوهم.

[3] سورة النجم: ٣٢ .

بحال الصحابة والتابعين وهم سادات الأولياء ، أفكان عندهم من هذه الدعاوى والشطحات شيء؟ لا والله ، بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن كالصِّديق[1] ، وكان عمر يُسمع نشيجُهُ من وراء الصفوف يبكي في صلاته ، وكان يمر بالآية في وِردِهِ بالليل فيمرض منها ليالي فيعوده الناس ، وكان تميم الداري يتقلب في فراشه لا يستطيع النوم إلا قليلاً خوفاً من النار ثم يقوم إلى صلاته ، ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكر الله تعالى من صفاتهم في سورة الرعد والمؤمنين والفرقان والذاريات والطور ، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء لا أهل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب ، بل مجرد دعواه علم الغيب كفر ، فكيف يكون المدعي لذلك ولياً لله؟!

ولقد عظُم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المفترين الذين ورِثوا هذه العلوم عن المشركين ولبَّسوا بها على خفافيش البصائر ، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.[2]

مما يلتحق بالكهانة ؛ الطرق وقراءة الفنجان والعيافة والطِّيرة

ومما يَلتحق بالكهانة والعرافة والتنجيم هذه الأمور الأربعة: الطرق وقراءة الفنجان والعيافة والطيرة ، فأما **الطرق** فهو ضرب من ضروب الكهانة التي كان العرب يتوصلون بها لمعرفة المغيبات بزعمهم.

قال عوف العبدي[3]: العيافة زجر الطير ، والطرق: الخط يُخَط في الأرض.[4]

وأما الجبت فهو السحر كما قال عمر رضي الله عنه.[5]

---

[1] يقصد الشيخ بسرد هذه الأمثلة بيان ما كان عليه الصحابة من شعور بالتقصير في جنب الله ، في مقابل تزكية الكهنة أنفسهم بادِّعائهم أنهم أولياء لله!

[2] انظر كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، باب ما جاء في الكهان ونحوهم (٢/٧٣٠ – ٧٣٣).

[3] عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري ، أبو سهل البصري ، المعروف بالأعرابي ، ثقة ، انظر «التقريب».

[4] رواه أبو داود (٣٩٠٨) والبيهقي (٨/١٣٩) ، وصححه الألباني.

[5] رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم في كتاب التفسير ، باب ﴿إن كنتم مرضى أو على سفر﴾ ، وانظر ما قاله ابن حجر في وصل هذا الأثر.

وقد رُوي عن الحسن في تفسير الجبت إنه الشيطان[1] ، وسواء هذا أو ذاك فمؤداهما واحد ، فمن المعلوم أن الكاهن والساحر كلاهما يتلقى علومه من الشيطان الذي يَقُرُّ في أذنه ويكلمه بكلام يخفى على غيره.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: إن العيافة والطيرة والطرق من الجبت.[2]

والطَّـرْق من الطريق ، مِن طَرَقَ الأرض يطرقها إذا سار عليها ، فهم في وضع الخطوط عليها كأنهم يَطرقونها أي يمشون عليها.[3]

والطرق ألوان ، فمنه الرَّمَلُ ، وهو الخط في الأرض ، والذي يَخُطُّ يسمى الحازي ، قال البغوي في «شرح السنة»:

قال ابن عباس: هو الخط الذي يَخُطُّهُ الحازي ، وهو عِلْمٌ قد تركه الناس ، قال: يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي ، فيعطيه حُلُّوانا[4] ، فيقول له: اقعد حتى أخُطُّ لك ، وبين يَدَيِ الحازي غُلام معه مِيل[5] ، فيأمره الحازي أن يخط خطوطا كثيرة على رمل أو تراب في خفة وعجلة لئلا يلحقها العدد والإحصاء ، ثم يأمره فيمحوها خطين خطين على مهل ، وهو يقول:

ابنَي عيان ، أسرعا البيان

ثم يَنظر إلى آخر ما يبقى منها ، فإن بقي منها خطان فهو علامة النجاح ، وإن بقي خط واحد فهو دليل الخيبة والحرمان.[6]

ومنه الضرب بالحصى ، فإذا سئل الطارق عن حادثة أخرج حصيات معه ، فضرب بها على طريقة مخصوصة ، فيتبين له – بزعمه الكاذب – جواب السؤال.

---

[1] ذكره أحمد عنه (٥/٦٠) وكذا البيهقي (٨/١٣٩).

[2] رواه أبو داود (٣٩٠٧) ، وأحمد (٥/٦٠) ، وابن حبان (١٣/٦١٣١) وغيرهما عن قبيصة بن مخارق رضي الله عنه ، وحسنه النووي في «رياض الصالحين» (١٦٧٩) ، وضعفه غيره ، انظر «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» للألباني (٣٠١).

[3] انظر «القول المفيد» (١/٥١٤) ، باب بيان شيء من أنواع السحر.

[4] الحُلُّوان هو ما يأخذه الكاهن أجرا على كهانته.

[5] المِيل عودٌ دقيق الرأس ، يُخَطُّ به في الأرض ، سمي هنا ميلا لأنه كالميل الذي يستعمل للاكتحال.

[6] «شرح السنة» (١٢/١٨٣-١٨٤).

وقيل غير ذلك من التفسيرات ، وكلها تدور حول ضرب شيءٍ بشيء ثم يتبين للكاهن جواب السؤال بزعمه ، فليست إلا اختلاف في المطروقات ، تتغير كلما تغير الزمان ، سواء كانت حصا أو ودعا أو قضبانا أو غير ذلك.[1]

ومما يُلحَق بالطرق في هذا الزمان «زهر الطاولة» ، و «الدومينو» ، وهٰذان يقومان على التنبؤ بما سيكون في المستقبل عن طريق الأرقام المكتوبة على الزهر ، ومن ذلك أيضا قراءة «الكوتشينة» والضرب بحبات الفول.[2]

تنبيه: كان أحد الأنبياء يخط ، كما في صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : ومنا رجل يخُطُّون.

قال: كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطُّهُ فذاك.[3]

أي من وافق خطُّهُ خطَّ ذلك النبي جاز له فعله.

قال الخطابي رحمه الله في معنى قول النبي ﷺ (فمن وافق خطُّهُ فذاك): معناه الزجر عنه ، إذ كان من بعده لا يوافق خطَّهُ ، ولا ينال حظه من الصواب ، لأن ذلك إنما كان آية لذلك النبي ، وعَلَمًا لنبوته ، فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعا في نيله ، والله أعلم.[4]

أما الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله فقد أجاب عنه بجوابين:

الأول: أن الرسول ﷺ علقه بأمر لا يتحقق الوصول إليه ، لأنه قال: (فمن وافق خطُّهُ فذاك) ، وما يدرينا هل وافق خطَّـهُ أم لا؟

الثاني: أنه إذا كان الخط بالوحي من الله تعالى كما في حال هذا النبي فلا بأس به ، لأن الله يجعل له علامة ينزل الوحي بها بخطوط يعلمه إياها ، أما هذه الخطوط السحرية فهي من الوحي الشيطاني.[5]

فالحاصل أن خط ذلك النبي كان معجزة له ودليلا على نبوته ، ولم يكن يدَّعي علم الغيب ، ومن ذلك ما حصل للنبي ﷺ ، فقد أَطلعه الله على شيء من الغيبيات كدليل على صدق نبوته ، ولم يكن يعلم الغيب استقلالا.

---

[1] راجع للاستزادة كتب اللغة.

[2] انظر «شرح مسائل الجاهلية» ، ص ٨٦٣ – ٨٦٤ .

[3] «صحيح مسلم» (٥٣٧).

[4] نقلا من «شرح السنة» (١٢/١٨٤).

[5] انظر «القول المفيد» (١/٥١٤ – ٥١٥) ، باب بيان شيء من أنواع السحر.

قراءة الفنجان

ومن أنواع الكهانة قراءة الفنجان ، أي فنجان القهوة ، فإن الكاهن يعتمد على ما بقي فيه من القهوة ، فيرسم بها على جوانب الفنجان خطوطا ، ثم يتنبأ بما فيه ، ويزعم أنه يكون كذا وكذا ، ولا يشترط فيه الاتصال بالشياطين ، فيمكن أن يكون تنبؤ الكاهن مجرد دعوى يدعيها.[1]

ومما يلحق بقراءة الفنجان قراءة النار ، فإن الكاهن يستدل على ما سيقع في المستقبل بصور الجمر وتَلَهُّبِ النار.[2]

وأما قراءة الكف فإن الكاهن يعتمد على خطوط الكف ، وما فيها من تقاطعات وتعرجات واتصالات ، ثم يزعم أنه سيكون كذا وكذا.[3]

أمثلة من الواقع على نسبة علم الغيب لغير الله

من عجائب التناقضات ؛ أن يدَّعي بعض الناس الإيمان بما في القرآن ثم يناقض ذلك بفعله ، ومن ذلك أن الله تعالى يقول لنبيه ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ ، وهم يقولون: إنه يعلم الغيب حتى بعد موته ، ويعلم أعمال أمته كلها ، ويسمع من دعاه ، ومن أمثلة من انحرف في هذا الباب شاعرٌ – وما أكثر انحراف الشعراء – يقال له محمد بن سعد البوصيري المصري ، عاش في الفترة ما بين ٦٠٨ – ٦٩٦ هـ ، ألف قصيدة أسماها بـ «البردة» ، التجأ فيها إلى النبي ﷺ ، والتاذ به فيها من كربات يوم القيامة ، وطلب منه الشفاعة في الآخرة ، وادَّعى بأن الدنيا والآخرة ملك له ﷺ ، وأنه يعلم الغيب ، وذكر طوام عديدة ، وأقوال كفرية تقشعر لسماعها جلود الموحدين ، وهذه القصيدة كثيرا ما يرددها أهل الموالد ، والتي يسمونها بالموالد النبوية ، يظنونها تقربهم إلى الله ، وتُحيي في قلوبهم محبة النبي ﷺ ، وهي في الحقيقة لا تزيدهم من النبي ﷺ إلا بعدا ، بل هي الكفر بعينه ، لأن محتواها يناقض دين الإسلام الذي بُعِث به محمد ﷺ ، ومن أبياتها قوله:

يا أكرم الخلق[4] ما لي من ألوذُ به ... سِواك عند حلول الحادث العَمِمِ

---

[1] انظر شرح «مسائل الجاهلية» ، ص ٨٦٤ ، للدكتور يوسف السعيد.

[2] المصدر السابق ، ص ٨٦٣ .

[3] المصدر السابق ، ص ٨٦٣ .

[4] يقصد النبي ﷺ .

إن لم تكن يوم المعاد آخذا بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
وإن من جُودِك الدنيا وضَرّتها **ومن علومك علم اللوح والقلم**
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يُدعى دارِس الرَّمَمِ

والملاحظ على هذه الأبيات من القصيدة أمور:

الأول: اعتقاده أن النبي ﷺ يملك الشفاعة ، وهذا باطل ، فإن الشفاعة ملك لله تعالى وليست ملكا للنبي ﷺ .

الثاني: دعاؤه للنبي ﷺ أن يُنيلها إياه ، وهذا باطل أيضا ، فإن دعاء غير الله شرك مخرج من ملة الإسلام ، فإن جميع العبادات لا يصح صرفها إلا لله تعالى.

الثالث: اعتقاده أن النبي ﷺ يسمع دعاءه ، وهذا سفهٌ ، إذ كيف يسمع الميت كلام الحي؟! قال تعالى لنبيه ﴿وما أنت بسمع من في القبور﴾ ، ولو أن حيا خاطب حيا آخر وبينهما هذا الحاجز الكثيف من التراب لما استطاع سماعه فكيف يَسمعه من كان ميتا؟!

الرابع: حصرُه للُّجوء واللِّياذ يوم القيامة بغير الله ، وذلك في قوله (ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادِثِ العمِم) ، يقصد به قيام الساعة وما يتبدَّى للناس فيها من أهوال.

الخامس: (أن النبي ﷺ عنده ليس يعلم فقط ما في غد ، بل يعلم ما كان وما سيكون مما سطره القلم في اللوح المحفوظ! بل هو بعض علمه!! سبحانك هذا بهتان عظيم وإثم مبين.

ومن كان له اطلاع على كتب الصوفية والتي يسمونها بـ «الحقائق» وكتب الموالد ونحوها يرى من هذا القبيل العجب العجاب).[1]

السادس: وفي البيت الأخير استدرك البوصيري على الله جل وعلا ، فقال إن الآيات التي بُعِث بها محمد ﷺ لا تناسب قدره ﷺ ، ولو أنها ناسبت قدره لقامت الموتى من قبورهم بمجرد ذكر اسمه (محمد) ، وهذه مبالغة لا تحتاج إلى تعليق!

- ومن أمثلة ما ادَّعاه بعضهم لأصحاب القبور من الاطِّلاع على علم الغيب ما حصل عند احتلال فرنسا للقيروان في تونس ، وهو أن رجلاً فرنسياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي ، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية ، وعُين إماماً لمسجد كبير في

[1] قاله الألباني رحمه الله في كتابه «جلباب المرأة المسلمة» ، ص ٢٠١ ، بتصرف يسير ، ط ١ ، الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان.

وانظر للفائدة ما قاله في «صفة صلاة النبي ﷺ » (الأصل) ، (٨٨٢/٣).

القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنساويون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه ، فدخل (سيد أحمد) الضريح ، ثم خرج مهوِّلاً بما سينالهم من المصائب ، وقال لهم: إن الشيخ ينصحكم بالتسليم ، لأن وقوع البلاد صار محتماً ، فاتَّبع القوم البسطاء قوله ، ولم يُدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع ، بل دخلها الفرنساويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١م.[١]

أقول: انظر أيها القارىء الكريم كيف اعتقد أولئك الدراويش في هذا الميت أنه يعلم الغيب من حيث لا يدرون!

خلاصة البحث

تبين في هذا البحث بطلان دعوى علم الغيب عند الكهنة وغلاة الصوفية ، وبيان أن ذلك من دعوى مشاركة الله في صفاته الخاصة به ، وأن ذلك شرك بالله العظيم ، فمن صدق الكهنة ومُدَّعي الغيب في ذلك فهو منهم ، فالواجب الحذر.

[١] عزا خالد أبو الفتوح صاحب مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» هذه القصة إلى كتاب «التصوف بين الحق والخلق» ، محمد فهر شقفه ، ص ٢١١ ، انظر ص ٧٧ – ٧٨ من «دمعة على التوحيد».

أحد عشر حديثا ضعيفا في تقرير عرض الأعمال على الموتى
أحاديث تفيد شعور الموتى بمن حولهم من الأحياء وسماعهم لهم وبيان حال تلك الأحاديث
ذِكر حديث ضعيف في التقاء أرواح الموتى بعضها ببعض واستخبارها عن أرواح الأحياء

قاعدة:

كل حديث يفيد اطلاع الموتى على سعي الأحياء ، أو سماع النبي ﷺ وهو في قبره لكلام من خاطبه ، أو سماع الموتى لكلام الأحياء ، أو شعور الموتى بمن حولهم من الأحياء ؛ فإنه حديث ضعيف أو موضوع.

وفيما يلي جملة من الأحاديث الواردة في هذا الباب ، مع بيان وجوه ضعفها أو بطلانها.

وقبل البدء في سرد تلك الأحاديث فإنه يحسن التنبيه إلى أن القرآن الكريم يدل على استئثار الله عز وجل بعلم الغيب ، **ومن المُسلَّم به قطعاً أن الإحاطة بأعمال البشر والاطلاع على ما سُجل في دواوينهم تفصيلاً من خصائص المولى القدير جل وعلا.**

والسنة الشريفة تدل على ما دل عليه القرآن ، فقد ثبت في السنة من طرق عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما ما يدل على أن النبي ﷺ لا يعلم ما حدث لأمته بعد وفاته ، وغيره من البشر داخلون في هذا ، ومن ذلك أنه يقول حين يُطرد بعض أصحابه عن حوضه: أصحابي أصحابي!

فيقال: **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** ، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.[1]

والشاهد قوله: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

فهذا صريح في أنه لا يدري.

ومن الأدلة كذلك ما رواه ابن أبي حاتم[2] والطبراني[3] وغيرهما من طريق يونس بن محمد بن فضالة عن أبيه ، أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد بني ظفر ومعه ابن مسعود وناس من أصحابه ، فأمر قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ ، فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لَحْياه فقال: أي ربِّ ، شَهَدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أَرَهُ؟

وابن أبي حاتم سكت عن يونس وعن أبيه فلم يوثقهما ولم يضعفهما ، وكذا صنع الحافظ لما ذكر هذا الحديث في «الفتح»[4] فدل على اعتبارهما في الرواية.[5]

وقد وردت أحاديث في اطلاع الموتى على سعي الأحياء ، فمن ذلك:

---

١ انظر ما رواه البخاري (٤٦٢٥) ، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢ (١٠٣٢/٤).

٣ «المعجم الكبير «(٢٤٣/١٩ – ٢٤٤).

٤ انظر «الفتح» ، شرح حديث رقم (٥٠٥٦).

٥ استفدت هذه الفائدة من الشيخ النجمي رحمه الله من كتابه «أوضح الإشارة» ، ص ٣٨٠ – ٣٨١ .

الحديث الأول

قال الطيالسي في «مسنده»:

حدثنا أبو داود ، قال: حدثنا الصلت بن دينار ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ :

إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقربائكم في قبورهم ، فإن كان خيرا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك.[١]

هذا حديث ضعيف جداً ، ففي سنده الصلت بن دينار ، وهو متروك الحديث.[٢]

وفي سنده أيضاً الحسن ، وهو مُدلِّس وقد عنعن.

قال مقيده عفا الله عنه: ولو قدرنا جدلا صحة الحديث فإنه لا يفيد جواز طلب الاستغفار من الموتى ، لأن دعاء الموتى للأحياء – الوارد في الحديث – حصل بدون طلب من الأحياء ، فتنبه.

الحديث الثاني

قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»:

حدثنا أبي رحمه الله ، قال حدثنا قبيصة عن سفيان عن أبان بن أبي عياش عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :

إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى ، فإن كان خيرا استبشروا ، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم لما هديتنا.[٣]

هذا حديث ضعيف جدا ، في سنده أبان بن أبي عياش ، وهو متروك.

وقد رواه أحمد في «مسنده» فقال: حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان عمن سمع أنس بن مالك يقول: قال النبي ﷺ : فذكر الحديث.[٤]

قال الألباني رحمه الله: وهذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين سفيان وأنس.[٥]

---

١ (٣/٣٤٠).

٢ رقم (٩٢٣) ، تحقيق توفيق التكلة ، الناشر: دار النوادر – دمشق.

٣ (٣/١٦٥).

٤ (٣/١٦٥).

٥ «السلسلة الضعيفة» (٨٦٣).

قال مقيده عفا الله عنه: الواسطة هو أبان بن أبي عياش كما جاء في رواية الحكيم الترمذي ، وقد تقدم الكلام عليه.

وقد ضعفه العجلوني كما في «كشف الخفاء»[1].

الحديث الثالث

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ :

تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم ، وتزداد وجوههم بياضا وتشرق ، فاتقوا الله عباد الله ، لا تؤذوا موتاكم بأعمالكم.

هذا حديث موضوع ، في إسناده عبد الغفور بن عبد العزيز ، قال ابن معين: ليس حديثه بشيء.[2]

وذكره الدارقطني في «الضعفاء والمتروكون».[3]

وقال النسائي: متروك الحديث.[4]

وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث على الثقات ، كعب وغيره. لا يحل كتب حديثه ولا ذكره إلا على جهة التعجب.[5]

وحكم عليه الألباني رحمه الله بأنه موضوع.[6]

الحديث الرابع

وقال ابن أبي الدنيا في أول كتابه «المنامات»: حدثني أبو بكر محمد بن رزق الله الكلوذاني وهاشم بن القاسم قالا: أنبأنا يحي بن صالح الوحاظي قال: أنبأنا أبو إسماعيل السكوني: سمعت مالك بن أدى يقول: سمعت النعمان بن بشير وهو على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

١ برقم (٣٠٣٦).

٢ «الجرح والتعديل» (٥٥/٦).

٣ ترجمة رقم ٣٥٧ .

٤ «كتاب الضعفاء والمتروكين».

٥ «كتاب المجروحين من المحدثين» ، ترجمة رقم ٧٥٤ .

٦ «الضعيفة» برقم ١٤٨٠ .

ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جَوِّها ، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور ، فإن أعمالكم تعرض عليهم.

ورواه الحاكم في «المستدرك»[١] عن يحيى بن صالح الوحاظي به.

والبيهقي في «شعب الإيمان»[٢] عن يحيى بن صالح الوحاظي به.

وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» بدون إسناد!

والجواب: هذا حديث ضعيف ، فإن إسماعيل السكوني ومالك بن أدى مجهولان ، قاله أبو حاتم في «الجرح والتعديل»[٣].

الحديث الخامس

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو سعيد المديني عبد الله بن شبيب ، حدثنا أبو بكر بن شيبة الحزامي ، حدثنا فليح بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح المقبري ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم ، فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور.[٤]

ورواه ابن الجوزي من طريقه في «الثبات عند الممات»[٥].

هذا حديث ضعيف ، في سنده عبدالله بن شبيب ، وفليح بن إسماعيل بن جعفر ، مجهولان ، ترجم لهما ابن أبي حاتم ، ولم يذكر فيهما جرحاً ولا تعديلاً.[٦]

وقد ضعف الحديث العلامة محمد بن طولون الصالحي في كتابه «الشذرة في الأحاديث المشتهرة»[٧] ، والعلامة الشيخ عبد الرحمٰن الشيباني الشافعي في كتابه «تمييز الطيب من الخبيث»[٨] ، والفُتَّني في

---

١ (٣٠٧/٤).

٢ (٢٦١/٧)

٣ (٣٣٦/٩).

٤ كتاب «المنامات» (٦/١).

٥ (٧٣/١) ، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري ، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

٦ «كتاب الجرح والتعديل» (١٨٣/٥) ، (٨٥/٧).

٧ برقم (١١١٩).

٨ ص (١٩١).

«تذكرة الموضوعات»[١] ، والعجلوني في «كشف الخفاء»[٢] ، والسخاوي كما في «المقاصد الحسنة»[٣].

الحديث السادس

قال البزار في «مسنده»:

حدثنا يوسف بن موسى ، نا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله – هو ابن مسعود – عن النبي ﷺ قال:

إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام.

قال: وقال رسول الله ﷺ : حياتي خير لكم ، تُحدِّثون ونُحدَّث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تُعرض عليَّ أعمالكم ، فما رأيتُ من خير حمدت الله عليه ، وما رأيتُ من شر استغفرت الله لكم.[٤]

فالجواب: أن هذا الحديث صحيح دون الزيادة الأخيرة فإنها شاذة وهي قوله: حياتي خير لكم ... الخ.

فقد ذكر الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة»[٥] أن هذا الحديث رواه النسائي من طرق عديدة عن سفيان عن عبد الله بن السائب به ، ورواه الطبراني أيضا في «المعجم الكبير»[٦] ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان»[٧] ، وكذا ابن عساكر[٨] كلهم من طريق الأعمش عن عبد الله بن السائب به ، ولم يأت في هذه هذه الروايات ذكر هذه الزيادة التي تفرد بها عبد المجيد بن عبد العزيز عن سفيان عن عبد الله بن السائب به في رواية البزار ، فهذا يدل على شذوذ هذه الرواية ، لا سيما وعبد المجيد مُتكلم فيه من قبل حفظه ، فقد قال ابن حبان:

منكر الحديث جدا ، يقلب الأخبار ، ويروي المناكير عن المشاهير ، فاستحق الترك.

وقال الحافظ في التقريب: صدوق يخطىء.

وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

---

١ ص (٢١٦).

٢ برقم (٣٠٣٦).

٣ برقم (١٢٩٦).

٤ «البحر الزخار المعروف بمسند البزار» (٣٠٨/٥) ، ط مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

٥ رقم ٩٧٥ .

٦ (٢١٩/١٠).

٧ (١٧٤/٢) ، من اسمه محمد ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط دار الكتب العلمية.

٨ (١٢٠/٧).

وهنالك شيء آخر لم يخطر ببالي إلا في هذه اللحظة ، وهو أن عبد المجيد كان مرجئاً داعية إلى الإرجاء ، كما صرح به غير واحد ، وهذا الأثر يؤيد مذهبه في الإرجاء ، وهو كون النبي ﷺ يستغفر لأمته في البرزخ ، وعلى هذا فإن الأثر الذي رفعه يؤيد مذهبه فلذلك لا يُقبل ، وعلى هذا فلا حجة في هذه الأحاديث مرسَلها وموصولها ، ولا يحسن الاعتماد عليها في هذا الأمر الذي هو أصل من أصول العقيدة ، وهو أمر غيبي لا ينبغي الاعتماد فيه على المراسيل ولا أحاديث الضعفاء ، **وإذا كان الضعيف صاحب بدعة ، وكان الحديث يدعو إلى بدعته ، بطل الاحتجاج به.**

وإذا كان جمهور المحدثين وبعض الفقهاء قد ذهبوا إلى عدم قبول المرسل في الفروع ، فكيف إذا كان في أصل من أصول العقيدة ، وقد خالف المقطوع به من الكتاب والسنة؟

انتهى كلامه رحمه الله. [1]

فالحاصل أن رواية عبد المجيد بن عبد العزيز ضعيفة ، والله أعلم.

وقد روى هذا الحديث إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم» عن بكر بن عبد الله المزني من طريقين ، وكلاهما ضعيفتان لإرسالهما. [2]

وذكر له الألباني في «السلسلة الضعيفة» [3] طريقا ثالثة عن بكر ، أخرجها الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» [4] عن جسر بن فرقد عنه ، ثم ضعفها لضعف جسر.

كما ذكر في «السلسلة الضعيفة» [5] لهذا الحديث أيضا طريقين آخرين عن أنس ولفظهما:

"تعرض علي أعمالكم عشية الاثنين والخميس" ، وفي إسناده خراش بن عبد الله ، ساقط الحديث.

وحديث: "تعرض علي أعمالكم كل خميس" ، وفي إسناده محمد بن عبد الملك الأنصاري ، قال العقيلي: منكر الحديث.

ثم قال رحمه الله:

وجملة القول أن الحديث ضعيف بجميع طرقه ، وخيرها حديث بكر بن عبد الله المزني وهو مرسل ، وهو من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين ، ثم حديث ابن مسعود ، وشرها حديث أنس بطريقيه. انتهى.

---

١ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ .

٢ رقم ٢٥ و ٢٦ بتحقيق الألباني رحمه الله.

٣ رقم ٩٧٥ .

٤ «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» برقم ٢٣٠ .

٥ رقم (٩٧٥).

وعودا على موضوع بطلان متن الحديث ، فقد قال الشيخ عبد الرحمٰن ابن سعدي رحمه الله:

فحياته كانت خيرا لأمته بلا نزاع ، يهديها إلى الرشد ويقودها إلى مواطن الفلاح والخير ، ولكن كيف يكون موته خيرا لها ، وقد أدرك الصحابة عظم الفجيعة فيه واستهولوا الخطب ، حتى أن أشدهم شكيمة – وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه – قد غُشي عليه من هول المصاب ، وما من شكٍّ في أن فقده ﷺ كان أعظم ما أصيبت به هذه الأمة من إرزاء.

ثم ما فائدة عرض الأعــمال عليه وهو ليس مسؤولا عنها ولا مكلفا بإحصائها وكتابتها ولا برفعها إلى الله ، فإن لذلك كله ملائكة مُوكلين به ، وكيف يُعقل أن يسوء الله عز وجل نبيه ويُحزِن قلبه ويُنغص عليه ما هو فيه من أنواع النعيم بعرض حصائد الناس من الشرور والمعاصي عليه؟

أما يكفي ما تحمله في حياته من أنواع المشقات وكبار التضحيات؟

والحديث فيه كذلك إغراء بالمعاصي ودعوة إليها ، فإنه إذا كان الرسول ﷺ سيستغفر لعصاة أمته كلما عرضت عليه أعمالهم – ولا شك أن استغفاره موجب لمغفرة[1] – لم يضر أحد ما يرتكبه من ذنب.

ثم إن هذا الحديث معارض للأحاديث الصحيحة التي تدل على أنه لا يدري بعد موته شيئا من أحوال أمته ، فقد جاء في حديث الحوض أنه يَرِد عليه أناس من أمته الحوض ، وأنه يهم ليسقيهم ، فتجيء الملائكة وتذودهم عن الحوض ، فيقول الرسول ﷺ : هؤلاء أصحابي أعرفهم ، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيقول: سحقا وبعدا لمن أحدث بعدي ، ويتلو قوله تعالى ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾.[2] انتهى كلام الشيخ ابن سعدي رحمه الله.

قلت: وقد أوغل ابن الحاج في كتابه «المدخل في فضل زيارة القبور»[3] ، فزعم أن حديث عرض الأعمال يفيد اطلاع الرسول ﷺ على نيات الناس وأعمالهم!

وقد أجاب عن ذلك الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله فقال:

إن ما ادَّعاه ابن الحاج من اطلاع النبي ﷺ على أعمال أمته وخواطرهم ونياتهم لا يدل عليه حديث عرض الأعمال و**إن صح** لا من قرب ولا من بعد ، ولا بمفهوم ولا منطوق ، ولا بتصريح ولا تعريض ، فعلى فرض صحته وثبوته فإن العرض إنما يكون لدواوين الأعمال التي تكتبها عليهم الحفظة ، وذلك يحصل بعد الفراغ منها ، أي: بعد أن يعملها العباد فتُثبتها الملائكة في الدواوين ثم تعرج بها ، وليس في

---

١ لعل الأصح: سبب للمغفرة.

٢ «شرح القصيدة النونية» للشيخ محمد خليل هراس (١٩/٢ – ٢٠) بتصرف يسير ، الناشر: دار الباز للنشر والتوزيع – مكة.

٣ (٢٥٧/١) كما في «أوضح الإشارة».

ذلك ما يدل على أنه ﷺ يعلم أحوالهم حينما يعملونها ، ولا أنه يطّلع عليهم حين مباشرتهم لتلك الأعمال ، ولا قبل ذلك حينما تتحرك إليها نياتهم ، وخواطرهم وإرادتهم ، بل إن ذلك لا يعدو أن يكون غيباً عنه حتى حين توضع دواوينهم بين يديه.

ومن زعم أنه يعلم أحوالهم قبل ذلك ويطلع على نياتهم وإراداتهم حين تتحرك إلى هذه الأعمال فهو مفتر كذاب ضال مضل ، يقول على الله وعلى رسوله بالخرص الكاذب ، والتنطع الممقوت ، وما مَثلُ ذلك إلا كمثل إنسان كتب لك كتاباً وهو غائب عنك فإذا وصل إليك كتابه وقرأته لا تكون قد اطلعت على جميع أمره ، لا حين كَتب لك الكتاب ، ولا حين وصل إليك الكتاب وقرأته ، بل غاية ما في الأمر أنك تطلع على ما كُتِب في الكتاب ، وهذا بَيِّـن لا يخفى ، والله أعلم.[1]

الحديث السابع

ربما فهِم بعض الناس من الحديث التالي أن النبي ﷺ مطلع على أعمال أمته:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

عُرضت علي أجور أمتي ، حتى القذاة يُخرجها الرجل من المسجد ، وعُرضت علي ذنوب أمتي ، فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن ، أو آية أوتيها رجل ثم نسيها.[2]

فالجواب عن هذا الحديث من ثلاثة وجوه:

الأول: أن الحديث ضعيف كما قرر ذلك الألباني رحمه الله.[3]

الثاني: على تقدير صحته ، فإن العرض كان في حياة النبي ﷺ ، ولهذا قال: عُرضت ، ولم يقل: ستعرض.

الثالث: ليس في الحديث أنه سيستغفر لهم أو يدعو لهم ، وهو المطلوب.

الأثر الثامن

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو هشام ، ثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، قال مجاهد: إن الرجل ليُـبشَّر بصلاح ولده في قبره.[4]

هذا أثر ضعيف جداً ، في سنده أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي ، وهو ضعيف جداً.

---

١ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٣٨٥ – ٣٨٦ ، بتصرف يسير.

٢ رواه أبو داود (٤٦١) ، والترمذي ((٢٩١٦).

٣ انظر «ضعيف أبي داود» (٧١).

٤ كتاب «ذكر الموت» لابن أبي الدنيا ، باب: معرفة الموتى عمل الأحياء.

قال البخاري: رأيتهم مجتمعين على ضعفه.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال أبو حاتم الرازي: سألت ابن نمير عنه فقال: كان أضعفُنا طلبا وأكثرنا غرائب.[1]

وفي سنده يحيى بن يمان العجلي ، ضعفه أحمد ، وقال: حدث عن الثوري بعجايب.

وقال أيضاً في رواية إسحاق: ليس بحجة.

وقال ابن معين: ليس بثبتٍ ، لم يكن يبالي أيَّ شيء حدَّثَ ، كان يتوهم الحديث.

وقال يعقوب بن شيبة: كان صدوقاً كثير الحديث ، وإنما أنكر عليه أصحابنا كثرة الغلط ، وليس بحجة إذا خولف.

وقال الآجري عن أبي داود: يخطئ في الأحاديث ويقلبها.

وقال النسائي: ليس بالقوي.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما أخطأ ، وكان متقشفاً.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ ، وهو في نفسه لا يتعمد الكذب إلا أنه يخطئ ويشتبه عليه.

انتهى مختصراً من ترجمته في «التهذيب».

الحديث العاشر

قال ابن المبارك في كتاب «الزهد» ، باب: بشرى المؤمن عند الموت وغير ذلك:

أخبرنا ثور بن يزيد عن أبي رهم السماعي عن أبي أيوب الأنصاري قال: إذا قُبضت نفس العبد تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير في الدنيا ، فيُقبلون عليه ليسألوه ، فيقول بعضهم لبعض: أَنظِروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان في كرب ، فيُقبلون عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك. فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذُهِب به إلى أمه الهاوية ، فبِئست الأم ، وبِئست المربية.

قال: فيُعرَض عليهم أعمالهم فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتِمَّها ، وإن رأوا سوءًا قالوا: اللهم راجع بعبدك.

قال ابن صاعد: رواه سلام الطويل عن ثور فرفعه.[2]

---

١ انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب».

٢ (١/ ٢٦٧) ، تحقيق: أحمد فريد ، الناشر: الدار السلفية – الإسكندرية.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير»[١] ، وفي «مسند الشاميين»[٢] ، عن مسلمة بن علي عن زيد بن واقد وهشام بن الغاز ، عن مكحول عن عبد الرحمٰن بن سلامة عن أبي رهم عن أبي أيوب به.

وروى النصف الأول في «المعجم الكبير» عن محمد بن إسماعيل بن عياش: ثنا أبي ثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد قال: كان عبد الرحمٰن بن سلامة ... فذكره.[٣]

ورواه ابن الجوزي مرفوعا في «العلل المتناهية» عن سلام التميمي[٤] عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي رهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ : فذكره.

والجواب: هذا أثر ضعيف جدا ، قال ابن الجوزي بعدما رواه:

هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، وسلام هو الطويل ، وقد أجمعوا على تضعيفه. وقال النسائي والدارقطني: متروك.[٥]

وقال ابن حبان في «المجروحين»: يروي عن الثقات الموضوعات كأنه كان المتعمد لها.

وروى عن ابن معين قوله: سلام بن سليمان ليس حديثه بشيء.[٦]

وفي إسناد الحديث مسلمة بن علي ، متروك أيضا ، قاله ابن حجر في «التقريب».

وفي إسناده عبد الرحمٰن بن سلامة ، مجهول. قال الشيخ الألباني في «الصحيحة»[٧]: لم أر له ترجمة.

ورواه أبو القاسم الحنائي في فوائده المسماة «الحنائيات» من طريق ثابت بن ثوبان ، عن مكحول ، عن عبد الرحمٰن بن سلامة به.[٨]

وقد ذكر ابن أبي الدنيا هذا الأثر بتمامه في كتاب «ذكر الموت» بدون إسناد فقال: عن أبي أيوب الأنصاري فذكره.[٩]

---

١ رقم (٣٨٨٧).

٢ (٣٨٢/٢) رقم (١٥٤٤).

٣ (١٢٩/٤) برقم (٣٨٨٩).

٤ هو سلام الطويل ، انظر «المجروحين».

٥ «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٩١٠/٢ – ٩١١).

٦ (٤٢٦/١) رقم (٤٢٢).

٧ (٦٠٥/٦).

٨ رقم ٢٥ ، نقلا من تعليق الشيخ مشهور على كتاب «ذكر الموت» لابن أبي الدنيا ، ص ١٥١ .

٩ كتاب «ذكر الموت» ص ١٥١ .

الأثر الحادي عشر

قال ابن المبارك في «الزهد» ، باب في ذكر الموت (رقم ١٦٦):

أنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول:

ليس من يومٍ إلا يعرض فيه على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية ، فيعرفهم بسيماهم ليشهد عليهم ، يقول الله تبارك وتعالى ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾.

قال ابن كثير في تفسير سورة النساء عند قوله ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ في هذا الأثر: فإنه أثر فيه انقطاع ، فإن فيه رجلا مبهما لم يسم ، وهو من كلام سعيد بن المسيب ، لم يرفعه.

قال مقيده عفا الله عنه: وقد وافق القرطبيُّ ابن كثيرٍ كما في «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» ، «باب ما جاء في شهادة النبي ﷺ على أمته».

فصل في بيان أحاديث تفيد شعور الموتى بمن حولهم من الأحياء وسماعهم لهم وبيان حال تلك الأحاديث

الحديث الأول

قال الطبراني في «المعجم الكبير»: حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم الخولاني ، ثنا محمد بن إبراهيم بن العلاء الحمصي ، ثنا إسماعيل بن عياش ، ثنا عبد الله بن محمد القرشي عن يحيى بن أبي كثير عن سعيد بن عبد الله الأودي[1] قال:

شهدت أبا أمامة وهو في النزع فقال: إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمر رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا ، أمرنا رسول الله ﷺ فقال: إذا مات أحد من أخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقف أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة ، **فإنه يسمعه ولا يجيب** ، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة ، **فإنه يستوي قاعدا** ، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة ، فإنه يقول: **أرشِدنا رحمك الله ، ولكن لا تشعرون** ، فليقل: (اذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأنك رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن إماما) ، فإنَّ منكرا ونكيرا يأخذ واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ، ما نقعد عند من قد لُقِّن حجته ، فيكون الله حجيجُه دونهما.

فقال رجل: يا رسول الله ، فإن لم يعرف أمه؟

قال: فلينسبه إلى حواء ، يا فلان بن حواء.[2]

ورواه ابن شاهين في كتاب «ذكر الموت» عن أبي أمامة الباهلي أيضا.[3]

فالجواب: **هذا حديث سنده تالف** ، فيه شيخ الطبراني ، أنس بن سلم الخولاني الأنطرسوسي ، ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق»[4] ، والذهبي في «تاريخ الإسلام» في وفيات (٢٨١ – ٢٩٠) ، ولم يذكرا يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا ، وقد روى عنه جمعٌ ولم يوثق ، فهو مجهول الحال.

وفيها أيضا محمد بن إبراهيم بن العلاء الحمصي ، قال عنه ابن عدي: منكر الحديث ، وعامة أحاديثه غير محفوظة.[5]

---

١ وجاء في مصادر أخرى: الأزدي.

٢ (٢٤٩/٨) برقم (٧٩٧٩) .

٣ نقلا من «المغني» (٤٣٨/٣).

٤ (٣١٢/٩).

٥ «الكامل في ضعفاء الرجال» (٥٢٤/٧ – ٥٢٥).

وقال الدارقطني: كذاب.[١]

وقال أبو نعيم: روى عن الوليد بن مسلم وشعيب بن إسحاق وبقية وسويد بن عبد العزيز موضوعات.[٢]

وأما سعيد بن عبد الله الأودي فلم أجد له ترجمة ، فإن كانت (الأودي) تحريف عن (الأسدي) فقد قال أبو حاتم: ليس هو بقوي.[٣]

وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.[٤]

وبالجملة ، فقد قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» في هذا الإسناد: وفيه من لم أعرفه جماعة.[٥]

وقال نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي في هذا الحديث: ضعفه ابن الصلاح ثم النووي وابن القيم والعراقي.[٦]

وقال ابن القيم في «الزاد»: هذا حديث لا يصح رفعه.[٧] وضعفه أيضا في كتاب «الروح».[٨]

وقال أيضا: ولم يكن[٩] يجلس يقرأ عند القبر ، **ولا يُلقِّن الميت كما يفعله الناس اليوم**.[١٠]

وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث الأذكار»: حديث غريب ، وسند الحديث من الطريقين (يعني طريق الطبراني وطريق سعيد بن منصور) ضعيف جدا.

وقال الصنعاني في «سبل السلام»: ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف ، والعمل به بدعة ، ولا يُغتر بكثرة من يفعله.[١١]

---

١ «موسوعة أقوال الدارقطني في رجال الحديث وعلله» ، ترجمة رقم ٢٨٩٩ .

٢ «تهذيب التهذيب» ، ترجمة رقم ٦٧١٠ .

٣ «الجرح والتعديل» (٣٦/٤).

٤ (٤٠٠/٣).

٥ (٣٢٧/٢).

٦ «إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن» ، برقم ٥٧٣ .

٧ «زاد المعاد» ٥٢٣/١).

٨ ص ٧٠ ، ط دار ابن كثير – دمشق.

٩ أي النبي ﷺ .

١٠ «زاد المعاد» (٥٢٢/١).

١١ كتاب الجنائز ، عند شرح حديث ضمرة بن حبيب.

وقد ذكر الألباني هذا الحديث في «السلسلة الضعيفة» ، وأشار إلى طريق آخر له أخرجه القاضي الخلعي في «الفوائد» عن أبي الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري ، ثنا عتبة بن السكن عن أبي زكريا عن جابر بن سعيد الأنصاري ، فذكر الحديث.

ثم قال: وهذا إسناد ضعيف جدا ، لم أعرف أحدا منهم غير عتبة بن السكن. قال الدراقطني: متروك الحديث. وقال البيهقي: واهٍ منسوب إلى الوضع.

واختُلف في اسم الراوي عن أبي أمامة ، ففي رواية الخلعي أنه جابر بن سعيد الأزدي ، وفي رواية الطبراني أنه سعيد بن عبد الله الأزدي ، وهذا أورده ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، فهو في عداد المجهولين.

ثم قال رحمه الله: وجملة القول أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعا.[1]

وقال ابن قدامة في «المغني»: فأما التلقين بعد الدفن ، فلم أجد فيه عن أحمد شيئا ، ولا أعلم فيه للأئمة قولا ، سوى ما رواه الأثرم ، قال: قلت لأبي عبد الله: فهذا الذي يصنعونه إذا دُفن الميت ، يقف الرجل ويقول: (يا فلان ابن فلانة ، اذكر ما فارقت عليه ، شهادة أن لا إله إلا الله). فقال: ما رأيت أحدا فعل هذا إلا أهل الشام ، حين مات أبو المغيرة جاء إنسان ، فقال ذاك.[2]

قلت: وتلقين الميت لا زال يُفعل في الشام منذ تلك الأزمان ، أسأل الله أن يهدي الناس لترك هذه البدعة.

وللعلم ، فقد أخرج سعيد بن منصور عن راشد بن سعد ، وضمرة بن حبيب ، وحكيم بن عمير قال: إذا سُوِّي على الميت قبرُه وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يُقال للميت عند قبره:

يا فلان ، قل: لا إله إلا الله ثلاث مرات.

يا فلان ، قل: ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ .

ثم ينصرف.

والجواب أن راشد بن سعد ومن ذُكر معه لم يروه عن النبي ﷺ ، وإنما أطلقوا بدون إسناد ولا حتى نسبة إلى النبي ﷺ .

وحتى لو صح عنهم فليس قولهم بحجة ، لأنه موقوف عليهم سواء كانوا تابعين أو تابعي تابعين.

نعم لو صح عن صحابي لكان له حكم الرفع إلى النبي ﷺ ، وأنّا له ذلك.

---

١ «السلسلة الضعيفة» (٢/٦٥) ، باختصار.

٢ «المغني» (٣/٤٣٧-٤٣٨).

والذي ينبغي للمؤمن أن يقف عند ما وقف عنده النبي ﷺ ويترك ما سوى ذلك ، فقد كان ﷺ يقف على القبر ويدعو لصاحبه بالثبات عند سؤال الملكين ، ويستغفر له ، ويحث أصحابه على فعل ذلك ، كما جاء ذلك في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل.[1]

الحديث الثاني

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عون ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الله بن سمعان ، عن زيد بن أسلم ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :

ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده ، إلا استأنس به ، ورد عليه حتى يقوم.[2]

هذا حديث ضعيف جداً ، في سنده يحيى بن يمان العجلي ، ضعفه أحمد ، وقال: حدث عن الثوري بعجايب.

وقال أيضاً في رواية إسحاق: ليس بحجة.

وقال ابن معين: ليس بثبتٍ ، لم يكن يبالي أيُّ شيء حدَّثَ ، كان يتوهم الحديث.

وقال يعقوب بن شيبة: كان صدوقاً كثير الحديث ، وإنما أنكر عليه أصحابنا كثرة الغلط ، وليس بحجة إذا خولف.

وقال الآجري عن أبي داود: يخطئ في الأحاديث ويقلبها.

وقال النسائي: ليس بالقوي.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما أخطأ ، وكان متقشفاً.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ ، وهو في نفسه لا يتعمد الكذب ، إلا أنه يخطئ ويشتبه عليه.

انتهى مختصراً من ترجمته في «التهذيب».

وفي السند أيضاً عبد الله بن سمعان ، قال ابن رجب في «أهوال القبور»: متروك.[3]

وهناك علة ثالثة وهي الانقطاع ، فزيد بن أسلم عن عائشة مرسل كما في «جامع التحصيل».

---

١ رواه أبو داود (٣٢٢١) عن عثمان رضي الله عنه وصححه الشيخ ناصر في «صحيح أبي داود» (٣٢٢١).

٢ ملحق كتاب «القبور» لابن أبي الدنيا ، ص ٢٠١ ، ط مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة.

٣ ذكره ابن رجب عند سرد الآثار الواردة في معرفة الموتى في قبورهم بحال أهليهم وأقاربهم في الدنيا.

الحديث الثالث

قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عثمان الآدمي ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى ، حدثنا الأصمعي ، حدثنا محمد بن مروان السدي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

من صلى عليَّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليَّ نائيا وُكِل بها ملك يبلغني ، وكُفي بها أمر دنياه وآخرته ، وكنت له شهيدا أو شفيعا.[١]

ورواه ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» عن محمد بن مروان السدي به.[٢]

ورواه العقيلي عن محمد بن مروان السدي به بلفظ: من صلى عليَّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليَّ نائيا أُبلغته.[٣]

وكذا أبو عبد الله النجار في «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» عن محمد بن مروان السدي به.[٤]

والجواب: هذا حديث ضعيف جدا ، فيه سنده محمد بن مروان السدي ، كذَّبه ابن نمير.[٥]

وقال ابن معين: ليس بثقة.[٦]

وقال البخاري: سكتوا عنه.[٧]

وقال النسائي: متروك الحديث.[٨]

وقال العقيلي في الحديث بعدما أورده: لا أصل له من حديث الأعمش ، وليس بمحفوظ ، ولا يتابعه إلا من هو دونه.

ولذا ذكر هذا الحديث العقيلي في «المسند الضعيف» أيضا.[٩]

وقال ابن الجوزي بعدما رواه: هذا حديث لا يصح.

---

١ «شعب الإيمان» برقم (١٤٨١).

٢ برقم ٥٦٢ .

٣ «الضعفاء» (١٢٩٠/٤).

٤ ص ٢٨٩ – ٢٩٠ .

٥ المصدر السابق.

٦ المصدر السابق.

٧ «التاريخ الكبير» (٢٣٣/١).

٨ «الضعفاء والمتروكين» ، ترجمة رقم ٥٣٨ .

٩ برقم ٦١٠ .

وقد تابع الذهبيُ ابن الجوزي على حكمه على هذا الحديث بالوضع ، فذكره في «ترتيب الموضوعات».[١]
الموضوعات».[١]

وكذا الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة».[٢]

وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة»: موضوع[٣].

وقال ابن تيمية: والحديث موضوع على الأعمش باتفاق أهل العلم.[٤]

وقال رحمه الله:

الأحاديث المعروفة عند أهل العلم التي جاءت من وجوه حسان يُصدِّق بعضها بعضا ، وهي متفقة على أنه من صلى عليه وسلَّم من أمته فإن ذلك يُبلَّغه ويعرض عليه ، وليس في شيء منها أن يسمع صوت المصلي والمسلم بنفسه ، إنما فيها أن ذلك يُعرض عليه ويبلَّغه ﷺ في مدينته ومسجده أو مكان آخر.[٥]

وقال أيضا أن هذا الحديث قد غُيِّر لفظه فقال: (ففي النسخة التي رأيتها مصححا: ومن صلى علي نائيا سمعته ، وإنما لفظه: بُلِّغته.[٦]

وهكذا ذكره القاضي عياض عن مسند بن أبي شيبة ، وهو نَـقَل منه.

ومن يحتج بمثل هذا الحديث الموضوع ، ويُعرض عن أحاديث أهل السنن الحسان ؛ فهو من أبعد الناس عن أهل العلم والعرفان)[٧]. والله أعلم.

الأثر الرابع

قال البيهقي: أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو ، أخبرنا أبو عبد الله الصفار ، حدثنا ابن أبي الدنيا ، حدثني اسحاق بن حاتم المدايني ، حدثنا ابن أبي فديك ، عن رباح بن بشير ، عن يزيد بن أبي سعيد

---

١ برقم ٢٠٦ .

٢ ص ٣٢٥ .

٣ برقم ٢٠٣ .

٤ «مجموع الفتاوى» (٢٧ / ٢٤١).

٥ «الرد على الإخنائي» ص ٣٤٦ .

٦ من المعلوم أن لفظ (بُلِّغته) يشعر بتبليغ الملائكة له ، وهذا المعنى صحيح مستقيم ، يدل عليه حديث أوس بن أوس رضي الله عنه ، وقد تقدم.

٧ «مجموع الفتاوى» (٢٧/٢٤١-٢٤٢).

المهري قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز إذْ كان خليفة بالشام ، فلما ودَّعته قال: إن لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة ، سترى قبر النبي ﷺ ، فأقرأه مني السلام.[1]

هذا أثر ضعيف ، في إسناده رباح بن بشير ، قال ابن أبي حاتم: مجهول.[2]

وفيه أيضا يزيد بن أبي سعيد المهري ، وهو مجهول الحال كما في «تهذيب التهذيب».

قلت: ومن المعلوم أن تبليغ النبي ﷺ السلام لا يُحتاج فيه إلى إرسال رسول ، فإن الله جعل هناك ملائكة تبلغ النبي ﷺ السلام من أي مكان سلَّم فيه المُسلِّم على النبي ﷺ .

الأثر الخامس

قال البيهقي: حدثنا عبد الله بن يوسف الأصفهاني ، أخبرنا إبراهيم بن فراس بمكة ، حدثني محمد بن صالح الرازي ، حدثنا زياد بن يحيى ، عن حاتم بن وردان قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجه بالبريد قاصدا إلى المدينة ليقرئ عنه النبي ﷺ السلام.[3]

هذا أثر ضعيف ، في سنده محمد صالح الرازي وهو الكيليني ، ذكره الحافظ ابن حجر في «تبصير المنتبه» (١٢١٩/٣) ولم يذكر من الرواة عنه سوى حمزة الكناني ، ونقل ذلك عنه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «رجال الحاكم»[4] ، فالرجل في عداد المجهولين.

وأيضاً هو مرسل ، فإن حاتم بن وردان لم يدرك عمر بن عبد العزيز ، فبين وفاتيهما نحو ٨٣ سنة كما في ترجمتيهما من «التهذيب».

وفي سنده إبراهيم بن فراس ، مجهول ، ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.[5]

الحديث السادس

قال أبو عبد الله النجار في كتابه «الدرة الثمينة في أخبار المدينة»:

أنبأنا أبو الفرج بن علي الفقيه ، أنبأنا عمر بن ظفر ، أنبأنا جعفر بن أحمد ، أنبأنا عبد العزيز بن علي ، حدثنا أبو الحسن الهمداني ، حدثني محمد بن حبان قال: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: حججت في

---

١ «شعب الإيمان» ، (٨ / ١٠٠ - ١٠١) برقم (٣٨٧٠).

٢ «الجرح والتعديل» (٤٩٠/٣).

٣ «شعب الإيمان» (١٠٠/٨) برقم (٣٨٦٩).

٤ (٢ / ٢١٧) ، ط مكتبة صنعاء الأثرية - صنعاء.

٥ «كتاب الجرح والتعديل» (١٢٣/٢).

بعض السنين فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر النبي ﷺ فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة: وعليك السلام.[1]

فالجواب: هذا أثر ضعيف ، في سنده محمد بن حبان بن الأزهر القطان ، ضعفه ابن منده ومحمد بن علي الصوري ، وذكره الذهبي في «المغني في الضعفاء» وفي «الميزان».

ولو قدَّرنا جدلا صحة القصة فلعله سمع شيطانا أراد أن يغويه ، فالله أعلم.

الحديث السابع

قال أبو يعلى: حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا ابن وهب ، عن أبي صخر أن سعيدا المقبري أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس أبي القاسم بيده ، لينزِلن عيسى بن مريم إماما مقسطا ، وحكما عدلا ، فليكسرَنَّ الصليب ، وليقتلَـنَّ الخنزير ، وليصلِحَنَّ ذات البين ، وليُذهبَن الشحناء ، وليعرضَن عليه المال فلا يقبله ، ثم لئن قام على قبري فقال: (يا محمد) ، لأجيبنه.[2]

فاحتج بعضهم بقوله: (لئن قام على قبري فقال: يا محمد ، لأجيبنه) على سماع الموتى لخطاب الأحياء!

والجواب من ثلاثة وجوه:

أولاً: اضطراب هذه الرواية ، لأن فيها أن سعيدًا المقبري سمع أبا هريرة ، بينما في كافة الروايات الأخرى: سعيد المقبري عن عطاء عن أبي هريرة ، وقد رواها أبو عوانة[3] وأحمد[4] وأبو نعيم الأصبهاني في «مستخرجه»[5] وابن عساكر[6] ، إلا رواية الحاكم ، وسيأتي الكلام عليها.

ثانيا: أن هذا الإسناد فيه مطعنان:

المطعن الأولى: أحمد بن عيسى التستري ، قال أبو داود: كان ابن معين يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنه كذاب.

---

١ ص ٢٩٥ .

٢ «مسند أبي يعلى» (٦٥٨٤) ، ومن طريقه ابن عساكر (٤٩٣/٤٧).

٣ (٩٨/١) برقم (٣١٣).

٤ «المسند» (٤٩٤/٢).

٥ «المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم» ، برقم (٣٩٢).

٦ (٤٩٢/٤٧ – ٤٩٣) ، ثم قال: وهذا هو المحفوظ.

وقال أبو حاتم الرازي: تكلم الناس فيه ، قيل لي بمصر إنه قدِمها واشترى كتب ابن وهب ، وكتاب المفضل بن فضالة ، ثم قدمت بغداد فسألت: هل يحدث عن المفضل؟ فقالوا: نعم ، فأنكرت ذلك ، وذلك أن الرواية عن ابن وهب والرواية عن المفضل لا يستويان.

وأبو زرعة حينما سُئل عنه أشار إلى لسانه ، كأنه يقول الكذب ، وأنكر على الإمام مسلم روايته عن أحمد بن عيسى في «الصحيح».

انظر هذه الأقوال في «تهذيب التهذيب».

المطعن الثاني: أن في سند الحديث أبا صخر حميد بن زياد ، وقد ضعفه النسائي وابن معين في رواية ، وذكره ابن عدي في «الكامل» ، وذكر له أحاديث من مناكيره وقال: وله أحاديث ، وبعضها لا يتابع عليها.[1]

قلت: ولعل هذه الزيادة منها.

انظر تلك الأقوال في «تهذيب التهذيب».

ثالثا: أن الرواة الثقات رووا هذا الحديث عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة – وهو إسناد أقوى من ذاك الإسناد – بدون هذه الزيادة: (ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمد ، لأجيبنه).

ورواياتهم خرجها البخاري[2] ومسلم[3] أبو نعيم الأصبهاني[4] و أبو عوانة في «مسنده»[5] والترمذي[6] وابن ماجه[7] وأحمد[8] والبيهقي[9] وعبد الرزاق[10] وابن عساكر[11] ، بل قد أخرجها أبو يعلى[1] نفسه بدون هذه الزيادة.

---

١ «تهذيب التهذيب» ترجمة رقم (١٨٢٢).

٢ رقم (٣٤٤٨).

٣ رقم (١٥٥).

٤ «المسند المستخرج على صحيح مسلم» ، باب (٧١) ، ذكر قوله (ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما) ، رقم (٣٨٨).

٥ (٩٨/١) ، ذكر الخبر المبين أن الوتر ركعة من آخر الليل ، برقم (٣١١).

٦ رقم (٢٢٣٣).

٧ رقم (٤٠٧٨).

٨ «مسند أحمد» (٢٤٠/٢).

٩ «سنن البيهقي» (١٨٦١٤) ، باب إظهار دين النبي ﷺ على الأديان.

١٠ «المصنف» (٢٠٨٤٠).

١١ (٤٨٩/٤٧ – ٤٩١) ، ذكر من اسمه عيسى. ثم قال ابن عساكر: ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة.

وكذا أخرجها ابن عساكر عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزاد: ألا فمن أدركه منكم فليقرأ عليه السلام.[٢]

فالحاصل أن هذه الزيادة ضعيفة لشذوذها لكونها خالفت المحفوظ.

وإليك أيها القارئ الكريم لفظ البخاري للفائدة:

قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويُفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾.

رابعا: أن خطاب عيسى عليه السلام لمحمد عليه السلام وهو في قبره لم يأت في الأحاديث الأخرى التي تكلمت عن نزول عيسى في آخر الزمان ، والتي رواها أبو هريرة وغيره ، فمن ذلك:

ما رواه الحاكم عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال: من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليُقرئه مني السلام.[٣]

وكذا ما رواه الطبراني في «الأوسط»[٤] عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبى هريرة به.

وكذا ما رواه أحمد في «المسند» عن هشام عن محمد عن أبي هريرة.[٥]

وكذا ما رواه أبو داود عن عبد الرحمٰن بن آدم عن أبي هريرة.[٦]

وكذا ما أخرجه مسلم[٧] والترمذي[٨] وابن ماجه[٩] وابن عساكر[١٠] عن أبي أمامة الباهلي.

وكذا ما رواه ابن عساكر[١] وأبو نعيم[٢] عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم.

---

١ رقم (٥٨٧٧).

٢ (٤٩٢/٤٧).

٣ (٥٤٥/٤) ، كتاب الفتن والملاحم ، وحسنه الألباني رحمه الله كما في «صحيح الجامع» (٦٠٠١).

٤ (٨٩/٢) ، برقم (١٣٤٢).

٥ «المسند» (٤١١/٢).

٦ رقم (٤٣٢٤).

٧ (٢٩٣٧).

٨ (٢٢٤٠).

٩ رقم (٤٠٧٧).

١٠ «تأريخ دمشق» ، باب ذكر بعض أخبار الدجال وما يكون عند خروجه من الأهوال ، (٢١٨/٢).

فإن قيل: وما الجواب عن الحديث الذي رواه الحاكم فقال: أخبرني أبو الطيب محمد بن أحمد الحيري ، ثنا محمد بن عبد الوهاب ، ثنا يعلى بن عبيد ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عطاء مولى أم حبيبة قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : ليهبطن عيسى بن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا ، وليسلكن فجا حاجا أو معتمرا أو بنيتهما ، وليأتين قبري حتى يُسلم علي ولأرُدَّن عليه.

يقول أبو هريرة: أي بَنِي أخي ، إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.[٣]

فالجواب أن هذا إسناد ضعيف ، فأما محمد بن إسحاق فمدلس معروف وقد عنعنه ، وأما عطاء فمجهول ، قد ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر راويا عنه إلا سعيدا المقبري ، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.[٤]

وقال الذهبي: لا يُعرف.[٥]

والعلة الثالثة هي الاختلاف عليه في إسناده ، انظر ما قاله ابن أبي حاتم في «العلل» ، ونقله الألباني في «الضعيفة»[٦] وانظر ما قاله رحمه الله في هذا الحديث.[٧]

وللعلم فقد أخرج مسلم[٨] وأحمد[٩] هذا الحديث دون هذه الزيادة المنكرة وهي قوله: وليأتين قبري ...

وللعلم أيضا ، فقد روى ابن عساكر هذا الحديث من طريق آخر فقال:

---

١ (٤٧/٥٠٠).

٢ «المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم» ، باب (٧٢) ، كيف أنتم إذا نزل بكم ابن مريم عليه السلام فأمَّنكم ، رقم (٣١٣).

٣ «المستدرك» (٢/٦٥١) ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين.

٤ «الجرح والتعديل» (٦/٣٣٩). وأما قول الحافظ في «التقريب» في حال عطاء ((مقبول)) ؛ فبعيد ، لأنه قد نص هو في مقدمة «التقريب» أن من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق فإليه الإشارة بمجهول ، وهذا حال عطاء كما تقدم ، فكيف يكون مقبولا ، أفادني بها الشيخ أبو همام محمد بن علي الصومعي حفظه الله.

٥ «ميزان الاعتدال» (٦/٩٩).

٦ حديث رقم (١٤٥٠).

٧ «السلسلة الصحيحة» (٥/٣٩٠).

٨ (١٢٥٢).

٩ (٢/٥١٣).

أخبرناه أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله المصري ، أنبأنا أبو عاصم الفضيل بن يحيى ، أنبأنا أبو محمد بن أبي شريح ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا أبو مسلم الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ، حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن محمد بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

لـيُهبِطنَّ الله عز وجل عيسى بن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا ، فليسلُكَنَّ فجَّ الرَّوحاء[1] حاجا أو معتمرا ، وليقفن على قبري فليسلمن علي ولأرُدَّن عليه.[2]

فالجواب: هذا هو نفس الحديث المتقدم ، ومداره على محمد بن إسحاق ، مدلس وقد عنعن ، فالحديث ضعيف كما تقدم.[3]

فإن قيل:

وما الجواب عن رواية ابن عساكر التي أخرجها فقال:

أخبرنا أبو محمد بن طاوس ، أنبأنا أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد الذكواني ، أنبأنا أبو الفرج عثمان بن أحمد بن إسحاق البرجي ، حدثنا أبو جعفر محمد بن عمر بن حفص ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم شاذان ، حدثنا سعد بن الصلت عن حميد بن صخر عن شبيه المدني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم إماما مقسطا وحكما عدلا ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويذهب الشحناء ، ويصلح السنن ، ويفيض المال فلا يقبله أحد ، فإن قام عند قبري فقال: يا محمد ، لأجيبه.[4]

فالجواب:

أن عثمان بن أحمد بن إسحاق ذكره أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٣٦١/١) ، وكذا ذكر شيخه محمد بن عمر (٢٧٢/٢) ، ولم يذكر فيهما جرحا ولا تعديلا.

وإسحاق بن شاذان ثقة ، إلا أن شيخه سعد بن الصلت – وهو خاله – ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨٦/٤) ، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

وحميد بن صخر تقدم قريبا كلام الأئمة فيه.

---

١ الفج هو الطريق الواسع ، والروحاء طريق من طرق المدينة. انظر «النهاية» ، مادة (فجج).

٢ (٤٩٣/٤٧) ، باب من اسمه عيسى.

٣ أفادني بهذا الجواب الشيخ أبو همام محمد بن علي الصومعي حفظه الله.

٤ (٤٩٦/٤٧).

ولعل هذه الزيادة منه (فإن قام عند قبري ...) كما أشرت فيما تقدم.
وشيخه لم أعرفه ، وأخشى من تصحيفٍ في اسمه.

وعلى كل فهذه الزيادة ضعيفة ، ومما يؤكد ذلك أن الحديث رواه الثقات عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة.[1]

الحديث الثامن

قال أبو عبد الله النجار في «الدرة الثمينة في أخبار المدينة»:
أنبأنا يحيى بن بوش ، عن أبي علي الحداد ، عن أبي نعيم ، عن جعفر الخلدي ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمٰن ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن محمد بن زيد بن المهاجر عن المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال:
إن عيسى بن مريم مارٌّ بالمدينة حاجا أو معتمرا ، ولئن سلم علي لأرُدَّن عليه.[2]
هذا إسناد ضعيف جدا ، في سنده الحسن بن محمد بن زبالة ، كذاب ، قاله أبو داود.
وقال النسائي والأزدي: متروك.
وقال أبو حاتم: واهي الحديث.
وقال الدارقطني وغيره: منكر الحديث.[3]
وقال ابن حزم: ساقط بالجملة ، قال فيه يحي بن معين: ليس بثقة ، وهو بالجملة متفق على اطراحه.[4]

الأثر التاسع

قال ابن سعد في «الطبقات»: أخبرنا الوليد بن عطاء بن الأعز المكي قال: أخبرنا عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول أنه كان يلازم المسجد أيام الحرَّة[5] ...

---

١ أفادني بهذه الإجابة العلمية الشيخ أبو همام محمد بن علي الصومعي حفظه الله.

٢ «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

٣ «ميزان الاعتدال» (١٠٨/٦).

٤ «المحلى» ، لابن حزم (٣٣٢/٥ ، ٣٣٤) ، تحقيق أحمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥ أي وقعة الحرة ، وكانت في خلافة يزيد بن معاوية ، وسميت بذلك لأنها وقعت في حرة المدينة ، وهي أَرض بظاهرِ المدِينة المشرَّفةِ على ساكِنها أَفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ ، بها حِجَارَةٌ سُودٌ كبيرة ، وبِهَا كانتْ وَقْعَةُ الحَرَّة ، وهي من أَشهرِ الوقائعِ في الإِسلام في ذي الحِجَّة سنة ثلاثٍ وستِّين من الهِجْرَة أَيّامَ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَة ، وكان سبب وقعة الحرة أن وفدا من اهل المدينة قَدِموا على يزيد بن معاوية بدمشق ، فأكرمهم وأحسن جائزتهم وأطلق لأميرهم وهو

وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت أذانا في القبر ، ثم تقدمت فصليت وما في المسجد أحد غيري.[1]

ورواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» فقال: حدثنا محمد بن عبد العزيز بن سهل الخشاب النيسابوري قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ، حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: حدثنا عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سعيد بن المسيب قال:

لقد رأيتُني أيام الحرة وما في مسجد رسول الله ﷺ غيري ، وما يأتي وقت صلاةٍ إلا سمعت الأذان من القبر ، ثم أتقدم فأقيم وأصلي ، وإن أهل الشام يدخلون زمرا زمرا فيقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون.[2]

وروى نحوه الدارمي في المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته فقال:

أخبرنا مروان بن محمد ، عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة ، لم يؤذَّن في مسجد النبي ﷺ ثلاثا ولم يُـقَم ، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد ، وكان لا يَعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ ، فذكر معناه.

هذا أثر ضعيف جدا ، في سنده عبد الحميد بن سليمان الخزاعي ، قال ابن معين: ليس شيء.

وقال ابن المديني: ضعيف.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال في موضع آخر: ليس بثقة.

وقال الدارقطني: ضعيف الحديث. انظر «التهذيب».

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله رادا على هذه الشبهة ما نصه:

أما ما ذُكر عن سعيد بن المسيب أنه كان يسمع الأذان من قبر النبي ﷺ في أيام الحرة فهو غير ثابت عنه ، وقد رواه ابن سعد في «الطبقات» بإسنادين ضعيفين جدا ، أما أحدهما ففيه عبد الحميد بن

عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر قريبا من مائة ألف ، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر ، فاجتمعوا على خلعه فخلعوه عند المنبر النبوي ، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له مسلم بن عقبة ، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة ، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام ، فقتل في غضون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها. انظر ما قاله ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ٦٣ .

١ «الطبقات» (٦٧/٥) ، ترجمة سعيد بن المسيب.

٢ (٥٦٨/٢) ، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس ، ط دار النفائس – بيروت.

سليمان الخزاعي ، قال ابن معين في رواية عنه: ليس بشيء ، وقال في رواية أخرى: ليس بثقة ، وكذا قال أبو داود والنسائي أنه ليس بثقة.

وقال النسائي في موضع آخر إنه ضعيف.

وضعفه أيضاً ابن المديني وصالح بن محمد والدارقطني والذهبي.

وأما الإسناد الثاني ففيه الواقدي وهو متروك.

وما كان بهذه المثابة فإنه لا يُعتد به ، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه ما يدل على جواز الاستنجاد بالنبي ﷺ ، ولا على جواز اللجوء إلى قبره والدعاء عنده ولا عند قبور الصالحين ، لأن الاستنجاد بالنبي ﷺ واللجوء إلى قبره أو إلى قبور الصالحين شرك أكبر ، **وأما الدعاء عند قبره ﷺ وعند قبور الصالحين فهو من أعظم الوسائل إلى الشرك ، والوسائل لها حكم الغايات والمقاصد ، وما كان كذلك فإنه لا يجوز فعله.**

وأما قولهم: من ذا الذي كان يؤذِّن من داخل قبر رسول الله ﷺ ؟

فجوابه أن يقال: إن إسناد الخبر في سماع الأذان من القبر النبوي ضعيف جداً ، وقد تقدم بيان ذلك ، وما لم يثبت بإسناد صحيح فإنه لا يُعتد به.

ولم يذكر عن النبي ﷺ أنه أذَّن في حياته ولا مرة واحدة ، فكيف يُتوهم أنه كان يؤذِّن في قبره بعد مماته وانقطاع التكاليف عنه؟![1]

انتهى كلامه رحمه الله.

قال مقيده عفا الله عنه: ولو قدرنا جدلا ثبوت هذا الأثر عن سعيد ؛ فكان ماذا؟!

فلعل أحد الجن أذن عند قبر النبي ﷺ لِيُلَبِّس على السامع.

الحديث العاشر

قال الزبير بن بكار في «أخبار المدينة»:

حدثنا محمد بن الحسن ، حدثني غير واحد منهم ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن عمر بن محمد ، أنه لما كان أيام الحرة تُرك الأذان في مسجد رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، وخرج الناس إلى الحرة ، وجلس سعيد بن المسيب في مسجد رسول الله ﷺ ، قال: فاستوحشتُ فدنوت من قبر رسول الله ﷺ ، فلما حضرَت الصلاة ، سَمعتُ الأذان في قبر النبي الله ﷺ فصليتُ ركعتين ، ثم سمعتُ الإقامة فصليت الظهر ، ثم جلستُ حتى أصلي العصر ، فسمِعتُ الأذان في قبر النبي الله ﷺ ، ثم سمعتُ الإقامة ، ثم لم

[1] الأجوبة الجلية على الأسئلة الكويتية ، ص ١٣ – ١٤ .

أزل أسمع الأذان والإقامة في قبره ﷺ حتى مضت الثلاث ، وقفل القوم ودخلوا مسجد رسول الله ﷺ ، وعاد المؤذنون فأذنوا ، فتسمَّعتُ الأذان في قبره ﷺ فلم أسمعه ، فرجعت إلى مجلسي الذي كنت فيه أكون.[١]

ورواه ابن النجار في «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» عن ابن بكار به.[٢]

هذا أثر موضوع ، في إسناده الحسن بن محمد بن زبالة ، كذاب ، قاله أبو داود.

وقال النسائي والأزدي: متروك.

وقال أبو حاتم: واهي الحديث.

وقال الدارقطني وغيره: منكر الحديث.[٣]

وقال ابن حزم: ساقط بالجملة ، قال فيه يحيى بن معين: ليس بثقة ، وهو بالجملة متفق على اطراحه.[٤]

وفي الإسناد من لم يُسمَّ.

الحديث الحادي عشر

قال الطبراني في «المعجم الأوسط»:

حدثنا عمر بن حفص السدوسي ، قال: حدثنا أبو بلال الأشعري قال: حدثنا يحيى بن العلاء الرازي ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قَطَن بن وهب ، عن عبد الله بن عمر قال:

مر رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير حين رجع من أحد ، فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: أشهد أنكم أحياء عند الله ، فزوروهم وسلموا عليهم ، فوالذي نفس محمد بيده لا يُسلم عليهم أحد إلا رَدوا إلى يوم القيامة.[٥]

هذا حديث ضعيف جدا ، فيه يحيى بن العلاء الرازي وهو متروك.

قال أحمد: كذاب يضع الحديث.[٦]

وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به ، كان وكيع شديد الحمل عليه.[١]

---

١ نقلته من رواية ابن النجار عنه ، لأن «تاريخ المدينة» لابن بكار ليس عندي ، وللعلم فقد نقل السيوطي رواية ابن بكار ولكن بين السندين اختلافا ، واعتمدت رواية ابن النجار.

٢ رقم ٦٤ ، ص ٢٩٧ .

٣ «ميزان الاعتدال» (١٠٨/٦).

٤ «المحلى» لابن حزم (٣٣٢/٥ ، ٣٣٤).

٥ «المعجم الأوسط» (٢٦٢/٤) برقم ٣٧٠٠ .

٦ نقلا من «المغني في الضعفاء» للذهبي.

وانظر كلام الألباني رحمه الله على هذا الحديث في «السلسلة الضعيفة»[٢].

الحديث الثاني عشر

أخرج الحاكم من طريق محمد بن إسماعيل (وهو البخاري) ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسي ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهب ، عن عبيد بن عمير ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه رسول الله ﷺ ودعا له ، ثم قرأ هذه الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمن من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

ثم قال رسول الله ﷺ : أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزوروهم ، والذي نفسي بيده ، لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة **إلاَّ ردوا عليه**.[٣]

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال الذهبي في «التلخيص»: أنا أحسبه **موضوعا** ، وقطن لم يرو له البخاري ، وعبد الأعلى لم يخرجا له.

وأخرجه الطبراني في «الكبير»[٤] ، وأبو نعيم في «الحلية»[٥] عن عبيد بن عمير مرسلاً ، وفي سنده يحيى بن العلاء البجلي.

قال الإمام أحمد: كذاب يضع الحديث.[٦]

ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق الحاكم به.[٧]

فالحاصل أن هذا الحديث موضوع بكل طرقه ، والله أعلم.

---

١ «كتاب المجروحين من المحدثين» ، ترجمة رقم ١٢٠١ .

٢ برقم (٥٢٢١).

٣ «المستدرك على الصحيحين» (٢٤٨/٢).

٤ ج ٢٠ برقم ٨٥٠ .

٥ (١٥٣/١) ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٦ «تهذيب التهذيب».

٧ ٣(/٢٨٤).

الحديث الثالث عشر

أخرج الحاكم من طريق العطاف بن خالد المخزومي ، حدثني عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن أبيه ، أن النبي ﷺ زار قبور الشهداء بأحد فقال: اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، وأنه من زارهم وسلم عليهم إلى يوم القيامة **ردوا عليه**.

قال العطاف: وحدثتني خالتي أنها زارت قبور الشهداء ، قالت: وليس معي إلا غلامان يحفظان عليَّ الدابة. قالت: فسلمتُ عليهم **فسمعت رد السلام ، قالوا: والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا**. قالت: فاقشعررت فقلت: يا غلام أدنِ بغلتي ، فركبتُ.[1]

قال الحاكم: هذا إسناد مدني صحيح ، ولم يخرجاه!

ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» عن الحاكم به.[2]

الجواب: هذا حديث ضعيف ، فقد قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: مرسل.

وعبد الله بن أبي فروة قال فيه الألباني رحمه الله: لم أجد له ترجمة.[3]

وقال العقيلي في ترجمة محمد بن الأشعث: مجهول في النسب والرواية ، وحديثه غير محفوظ.[4]

الحديث الرابع عشر

قال البيهقي في «دلائل النبوة»: وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة قال: حدثنا الحسن بن الجهم قال: حدثنا الحسين بن الفرج قال: حدثنا الواقدي قال: قد كان رسول الله ﷺ يزورهم في كل حول ، وإذا تَـفَـوَّهَ الشِّعب[5] رفع صوته فيقول: سلام عليكم بما صبرتم فنعم فنعم عقبى الدار.

---

١ «المستدرك على الصحيحين» (٢٩/٣).

٢ (٣٠٧/٣).

٣ «معجم أسامي الرواة الذين ترجم لهم العلامة محمد ناصر الدين الألباني جرحا وتعديلا» (٦٥٥/٢) ، أحمد شكوكاني وصالح اللحام – الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

٤ «كتاب الضعفاء» (١١٩١/٤) ، ترجمة محمد بن الأشعث.

٥ أي دخل في فُـوَّهة الشِّعب وهو أوله.

ثم أبو بكر كلُّ حولٍ يفعل مثل ذلك ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم فَتَكُنُّ[1] عندهم وتدعو ، وكان سعد بن أبي وقاص يسلم عليهم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلمون على قوم يردون عليكم السلام.

وكان أبو سعيد الخدري يزور تلك القبور ، وذُكر ذلك أيضا عن أم سلمة وعبد الله بن عمر وأبي هريرة.[2]

والجواب: هذا حديث ضعيف جداً ، في سنده محمد بن عمر الواقدي وهو كذاب ، والأثر مع ذلك معضل.

الحديث الخامس عشر

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن قدامة الجوهري ، حدثنا معن بن عيسى القزاز ، أخبرنا هشام بن سعد ، حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه ، ردَّ عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلَّم عليه ؛ ردَّ عليه السلام.[3]

هذا أثر ضعيف جداً ، في سنده محمد بن قدامة الجوهري.

قال ابن محرز عن ابن معين: ليس بشيء.

وقال أبو داود: ضعيف ، لم أكتب عنه شيئاً قط.

انتهى مختصرا من «تهذيب التهذيب».

وفي سنده هشام بن سعد المدني ، وهو ضعيف.[4]

وزيد بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة ، قاله يحيى بن معين والترمذي كما في «جامع التحصيل».

والأثر أخرجه البيهقي في «الشعب» عن ابن أبي الدنيا به.[5]

الحديث السادس عشر

الحديث الذي رواه الخطيب البغدادي من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

[1] أي تمكث عندهم.

٢ «دلائل النبوة» (٣٠٨/٣).

٣ ملحق كتاب «القبور» لابن أبي الدنيا ، ص ٢٠٢ ، ط مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة.

٤ انظر «ميزان الاعتدال» ، (٨٠/٧ – ٨١).

٥ (١٦ / ٨٨٥٧) ط الدار السلفية – الهند.

ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام.[١]

ورواه ابن الجوزي في كتابه «العلل المتناهية من الأحاديث الواهية» من طريق الخطيب به.[٢]

هذا حديث ضعيف جدا ، فيه عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف جدا.

قال الساجي: منكر الحديث.[٣]

وقال الطحاوي: حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف.[٤]

وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة.[٥]

وذكره الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكون».[٦]

وقال ابن حبان: كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم ، حتى كثُر ذلك في روايته مِن رفع المراسيل وإسناد الموقوف ، فاستحق الترك.[٧]

ونقل ابن أبي حاتم عن يحيى بن معين قوله: عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم ليس حديثه بشيء ، ضعيف.[٨]

وقال أبو حاتم: ليس بقوي الحديث ، ضعفه علي بن المديني جدا. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث.[٩]

بل قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح ، وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمٰن بن زيد.[١٠]

وقال أيضا في كتابه «أهوال القبور»: إنه غريب ، بل منكر.[١١]

---

١ (٦/٧٠) ، في ترجمة إبراهيم بن عمران ، أبو إسحاق الكرماني.

٢ رقم ١٥٢٣ .

٣ المصدر السابق.

٤ المصدر السابق.

٥ المصدر السابق.

٦ رقم ٣٣١ .

٧ «المجروحين» (٢/٢٢).

٨ «الجرح والتعديل» (٥/٢٣٣).

٩ «الجرح والتعديل» (٥/٢٣٤) برقم (١١٠٧) ، باختصار.

١٠ «العلل المتناهية» برقم ١٥٢٣ .

١١ ص ١٤١ ، فصل: معرفة الموتى بمن يزورهم ويسلم عليهم.

وممن ضعفه من المعاصرين الشيخ الألباني رحمه الله ، كما في «السلسلة الضعيفة»[1] ، و «ضعيف الجامع»[2].

وقد رواه ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال:

أخبرنا أبو عبد الله عبيد بن محمد قال: أملَت علينا فاطمة بنت الريان المستملي قالت: حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن صاحب الشافعي قال: حدثنا بشر بن بكير عن الأوزاعي عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :

ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام.[3]

هذا حديث منكر ، ففاطمة مجهولة ، وليس لها ذكر في كتب الرجال.

وعبيد بن عمير ، مولى ابن عباس ، مجهول أيضا كما في «التقريب».

وأما بشر بن بكر[4] التنيسي فقد قال ابن حجر في ترجمته:

قال مَسلمة بن قاسم: روى عن الأوزاعي أشياء انفرد بها.[5]

وقد ضعفه المحدث الألباني رحمه الله.[6]

وقد أغرب عبد الحق الإشبيلي فقال: إسناده صحيح[7]!

وقد أجاب عنه ابن رجب في «الأهوال» بما هو أغرب فقال: يشير[8] إلى أن رواته ثقات ، وهو كذلك ، إلا أنه غريب ، بل منكر![9]

هكذا قال ابن رجب مع أن في سنده انقطاعا وجهالة!

---

١ رقم (٤٤٩٣).

٢ رقم (٥٢٠٨).

٣ «الاستذكار» (١/١٨٥) ، وقد نقلت السند باختصار كلام فيه ليس من السند.

٤ في «الاستذكار»: بكير.

٥ «تهذيب التهذيب».

٦ انظر «السلسلة الضعيفة» (٩/٤٧٥).

٧ «الأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة» ، كتاب الجنائز ، (١/٣٤٥) ، تحقيق: أم محمد بنت أحمد الهليس ، ط مكتبة العلم – جدة.

٨ يعني: عبد الحق الإشبيلي.

٩ ص ٨٢ ، عند ذكره للآثار الواردة بمعرفة الموتى بمن يزورهم.

الحديث السابع عشر

قال عبد الرزاق في «مصنفه»: أخبرنا يحيى بن العلاء عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم قال: مر أبو هريرة وصاحب له على قبر ، فقال أبو هريرة: سلم. فقال الرجل: أُسلِّم على القبر؟

فقال أبو هريرة: إن كان رآك في الدنيا يوما قط إنه ليعرفك الآن.[1]

هذا أثر موضوع ، فيه يحيى بن العلاء ، قال أحمد بن حنبل: كذاب يضع الحديث.

وقال أبو حاتم عن ابن معين: ليس بشيء.[2]

وقال عمرو بن علي والنسائي والدارقطني: متروك الحديث.

وقال في موضع آخر: شيخ واهٍ.

وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات. لا يجوز الاحتجاج به.

وقال ابن عدي: والضعف على رواياته بيِّن ، وأحاديثه موضوعات.[3]

وذكره الذهبي في «الضعفاء».[4]

وقال ابن حجر في «التقريب»: رُمي بالوضع.

وتقدم أن زيد بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة ، قاله يحيى بن معين والترمذي كما في «جامع التحصيل».

الحديث الثامن عشر

قال العقيلي في ترجمة محمد بن الأشعث:

ومن حديثه ما حدثناه محمد بن عمار ، عن عطية الرازي ، حدثنا حفص بن عمر المهرقاني ، حدثنا النجم بن بشير بن عبد الملك بن عثمان القرشي ، حدثنا محمد بن الأشعث عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال أبو رزين: يا رسول الله ، إن طريقي على الموتى ، فهل من كلام أتكلم به إذا مررت عليهم؟ قال: قل: السلام عليكم أهل القبور من المسلمين والمؤمنين ، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

قال أبو رزين: يا رسول الله ، يسمعون؟

---

١ «مصنف عبد الرزاق» (٥٧٦/٣).

٢ «كتاب الجرح والتعديل» ، ١٧٩/٩ .

٣ نقلت هذه الأقوال من «تهذيب التهذيب» ، ترجمة رقم (٨٨٩٦).

٤ ترجمة رقم (٧٠٢٣).

قال: **يسمعون ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا.**

قال: يا أبا رزين ، ألا ترضى أن يرد عليك بعددهم من الملائكة؟[1]

الجواب: هذا حديث منكر ، في سنده محمد بن الأشعث ، قال العقيلي: مجهول في النسب والرواية ، وحديثه غير محفوظ.

ثم قال بعد سياق الحديث: ولا يُعرف إلا بهذا اللفظ ، وأما: "السلام عليكم يا أهل القبور – إلى قوله – وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" فيروى بغير هذا الإسناد من طريقٍ صالح ، وسائر الحديث غير محفوظ.

الحديث التاسع عشر

ومن الأحاديث الموضوعة الواردة في هذه الباب الحديث الذي أخرجه ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» عن أبي مقاتل السمرقندي قال: حدثنا محمد بن ثابت الأنصاري ، عن كثير بن شنظير ، عن الحسن ، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : لا يزال الميت يسمع الأذان ما لم يُطَيَّن قبره.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث موضوع على رسول الله ﷺ وفيه مِحن:

أما الحسن فإنه لم يسمع من ابن مسعود.

وأما كثير بن شنظير ، فقال يحي: ليس بشيء.

وأما أبو مقاتل فقد قال ابن مهدي: والله ما تحل الرواية عنه.

غير أن المتهم بوضع هذا الحديث محمد بن القاسم ، فإنه كان علَما في الكذابين الوضاعين. قال أبو عبد الله الحاكم: كان يضع الحديث.[2] انتهى.

ووافقه الذهبي في «ترتيب الموضوعات».[3]

الأثر العشرون

روى الإمام أحمد في «مسنده»[4] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: **إن الميت يعرف** من يحمله ، ومن يغسله ، ومن يدليه في قبره.

---

١ «كتاب الضعفاء» (١١٩١/٤) ، ترجمة محمد بن الأشعث.

٢ كتاب «الموضوعات» برقم (١٧٨٢).

٣ رقم (١١٠٦).

٤ (٣/٣ ، ٦٢).

هذا حديث ضعيف ، في سنده رجل مبهم.

وانظر ما قاله العلامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة»[1] ، ومحققو «المسند»[2].

الحديث الحادي والعشرون

ومن الأحاديث الضعيفة التي تفيد شعور الميت بمن حوله ، الحديث الذي أخرجه ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» من طريق سليمان بن عيسى قال: حدثنا مالك عن نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء.

ورواه من طريق آخر فقال: روى داود بن الحصين عن إبراهيم بن الأشعث عن مروان بن معاوية الفزاري عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : فذكر الحديث.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح ، أما الطريق الأول ففيه سليمان بن عيسى ، قال فيه السعدي: هو كذاب مصرِّح.

وقال ابن عدي: يضع الحديث.

وأما الثاني ففيه داود بن الحصين ، قال أبو حاتم بن حبان: داود يحدث عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات ، يجب مجانبة روايته ، والبلية هذا منه.

قال: وهذا خبر باطل ، لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ .[3] انتهى.

ووافقه الذهبي في «ترتيب الموضوعات».[4]

---

١ رقم (٣١٥٢).

٢ رقم (٢٩/٣).

٣ كتاب «الموضوعات» برقم (١٧٨١).

٤ رقم (١١٠٥).

ذِكر حديث ضعيف في التقاء أرواح الموتى بعضها ببعض واستخبارها عن أرواح الأحياء

أخرج ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» عن سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : حسِّنوا أكفان موتاكم ، فإنهم يتزاورون في قبورهم.[1]

ورواه أيضا من طريق سعيد بن سلام العطار قال: حدثنا أبو ميسرة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : إذا وَلِي أحدكم أخاه فليحسن كفنه ، فإنهم يبعثون في أكفانهم ، ويتزاورون في أكفانهم.[2]

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

وأما حديث أبي هريرة فلم يروه عن ابن سيرين إلا سليمان بن أرقم.

قال فيه أحمد: ليس بشيء ، لا يروى عنه الحديث.

وقال يحيى: ليس بشيء ، لا يسوي فلسا.

وقال أبو داود والنسائي والدارقطني: متروك.

وأما حديث أنس ففيه سعيد بن سلام ، قال محمد بن عبد الله بن نمير وأحمد بن حنبل: هو كذاب.

وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث.

وقال الدارقطني: متروك يحدث بالأباطيل. انتهى.[3]

وذكره الذهبي في «ترتيب الموضوعات».[4]

---

١ ورواه ابن عدي في «الكامل» ، من اسمه سليمان ، (٤/٢٣٧).

٢ ورواه أيضا العقيلي في «الضعفاء» كما في «اللآلىء المصنوعة» ، ولم أجده في «الضعفاء» للعقيلي ولا «المسند الضعيف» له ، وعلى كل حال فهو من نفس طريق ابن الجوزي ، وقد تبين ضعفه.

٣ كتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» برقم (١٧٨٨) ، مختصرا.

٤ رقم (١١١٠).

ورد حديثان موضوعان يقرران الغلو بالنبي ﷺ ، وتناقض منهج الوسط الذي قرره الإسلام في تعظيم النبي ﷺ ، وهما:

الأول: الحديث الذي رواه ابن عساكر[1] وابن الجوزي في «الموضوعات»[2] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه وفيه: ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرِّفهم كرامتك ومنزلتك عندي ، ولولاكَ يا محمد ما خلقتُ الدنيا.

ورواه الديلمي[3] مختصرا عن ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: وعزتي وجلالي لولاك ما خلقتُ الجنة ، ولولاكَ ما خلقتُ الدنيا.

والجواب: هذا حديث موضوع ، كما قال السيوطي في «اللآلىء المصنوعة»[4] ، والألباني في «الضعيفة»[5].

والحق الذي لا مرية فيه أن الحكمة من خلق الجنة والنار والناس كلهم هي العبادة وليست خلق محمد ﷺ ، هذا مع الإقرار بِعِظم قدره ﷺ، والدليل قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا **ليعبدون**﴾ ، وقوله ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش **ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾.

الثاني: نسب بعضهم إلى عبد الرزاق في «المصنف» حديثا عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله: بأبي أنت وأمي ، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء.

قال: يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسَّم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة ، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السماوات ، ومن الثاني الأرَضين ، ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسَّم

---

[1] انظر «تاريخ دمشق» (٥١٨/٣).

[2] انظر «كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» (١٩/٢) ، كتاب الفضائل والمثالب ، باب: حديث آخر في فضله على الأنبياء.

[3] انظر «مسند الفردوس» (رقم ٨٠٣١).

[4] (٢٧٢/١).

[5] (٤٥١/١).

الرابع أربعة أجزاء ؛ فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ...الخ.

والجواب: أن هذا الحديث باطل ، قد بيَّن بطلانه الشيخ العلامة محمد أحمد عبد القادر الشنقيطي بدلالة العقل والنقل في رسالته المسماة «تنبيه الحُذاق على بـــطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرازق» ، وقد قدم لها الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز — رحمه الله — ، وقال:

وكل من تأمل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة علِم يقيناً أن هذا الخبر من **جملة الأباطيل** التي لا أساس لها من الصحة ، وقد أغنى الله نبيه ﷺ عن مثل هذا بما أقام من الدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والمعجزات الباهرة على صحة نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام ،كما أغناه عن هذا الخبر المكذوب وأشباهه بما وهبه من الشمائل العظيمة والصفات الكريمة والأخلاق الرفيعة التي لا يشاركه فيها أحد من قبله ولا ممن بعده ، فهو سيد ولد آدم ، وخاتم المرسلين ، ورسول الله إلى جميع الثقلَين ، وصاحب الشفاعة العظمى ، والمقام المحمود يوم القيامة ، إلى غير ذلك من خصائصه وشمائله وفضائله الكثيرة صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله ونصر دينه وذبّ عن شريعته وحارب ما خالفها.[1]

شبهة

فإن قيل: ألا يعني قوله ﷺ لما سُئِل: متى كنت نبيا؟ فقال: (وآدم بين الروح والجسد)[2] ، ألا يعني هذا أن النبي ﷺ كان إذ ذاك مخلوقا؟

---

١ نقلا من حاشية الشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله على «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص ٣٤ .

٢ يشير إلى الحديث الذي رواه أحمد (٦٦/٤) ، وصححه محققو «المسند» ، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٤٢) ، والحاكم في «المستدرك» (٦٠٩/٢) واللفظ له قال:

حدثنا أبو النضر الفقيه وأحمد بن محمد بن سلمة العنزي قالا: ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن سنان العوفي ، ثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفخر قال:

قلت لرسول الله ﷺ : متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وشاهده حديث الأوزاعي الذي حدثناه أبو بكر بن إسحاق ، أنبأ سليمان بن محمد بن الفضل ، ثنا محمد بن هاشم البعلبكي ، ثنا أبو الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ :

فالجواب: أن هذا محمول على تقدير الله في الأزل أن محمدا ﷺ سيكون نبيا ، ولا تعني أن النبي ﷺ كان نبيا مخلوقا حينئذ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج ، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلا ، وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه ، كما في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.[1]

وفي «سنن أبي داود» عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: أول ما خلق الله القلم ، فقال: اكتب.

قال: رب ، وما أكتب؟

قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.[2]

وقال ابن عباس: إن الله خلق الخلق ، وعلِم ما هم عاملون ، ثم قال لعِلمه: كن كتابا فكان كتابا ، ثم أنزل تصديق ذلك في كتابه فقال ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾.[3]

وهذا هو معنى الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله ، متى كنت نبيا؟ وفي رواية: متى كتبت نبيا؟

قال: وآدم بين الروح والجسد.

هكذا لفظ الحديث الصحيح.[4]

انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله.

متى وجبت لك النبوة؟ قال: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه.

قلت: ورواه الترمذي (٣٦٠٩) عن الوليد بن مسلم به غير أنه قال: وآدم بين الروح والجسد.

١ رقم (٢٦٥٣).

٢ رقم (٤٧٠٠).

٣ انظر «تفسير الطبري» ، سورة الحج: ٧٠ .

٤ «مجموع الفتاوى» (٢/١٤٦ – ١٤٧) ، وانظر للفائدة الصفحات بعدها.

الأبدال

النقباء

النجباء

الأوتاد

الأقطاب

كلام جامع لابن تيمية رحمه الله في الأبدال والنجباء والنقباء والأوتاد والأقطاب

توضيح مصطلح «المُـحَـدَّث»

انتشر عند أهل الغلو في الأشخاص – لاسيما الصوفية – أن هناك أشخاصا على هذه الأرض **لهم خصوصية تأثير في الكون** ، يُسمَّون بالأبدال والنجباء والنقباء والأوتاد والأقطاب والغوث ، وهذا أوان الشروع في معاني تلك الاصطلاحات ، ومما شجع على هذا الاعتقاد ورود أحاديث في تسمية بعض هذه المصطلحات والألقاب ، وفي هذا الجزء من البحث سنتكلم بما يسر الله على تلك الألقاب والمصلحات ، مع ذكر الأحاديث الواردة فيهها إن وُجِدت ، مع بيان وجوه ضعفها:

الأبدال

مصطلح الأبدال مأخوذ من التبديل وهو التغيير ، وعند الصوفية: الأبدال هم سبعة رجال يُسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته ، بحيث لا يُعرف أحد أنه فُقد ، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.[1]

والجواب أن لفظ الأبدال لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، إلا في حديث ضعيف رواه أحمد في «مسنده» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا ،كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يُسقى بهم الغيث ، ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب.[2]

قال محققو «المسند»[3]: إسناده ضعيف لانقطاعه ، وحديث الباب باطل عن رسول الله ﷺ ، وأحاديث الأبدال التي رُوِيت عن غير واحد من الصحابة أسانيدها كلها ضعيفة ، لا ينتهِض بها الاستدلال في مثل هذا المطلب. انتهى الغرض منه.

وقال ابن تيمية رحمه الله: وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي.[4]

قلت: وأما دعوى الصوفية بأن الأبدال مثل إبراهيم الخليل فلعل عمدتهم – كعادتهم – الحديث الضعيف الذي رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه

---

١ «معجم اصطلاحات الصوفية» ، ص ٦٢ ، للكاشاني.

٢ «المسند» (١/١١٢).

٣ (٢/٢٣١) ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤ «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص ٧٢ – ٧٣ .

قال: الأبدال في هذه الأمة ثلاثون ، مثل إبراهيم خليل الرحمٰن عز وجل ،كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلا.[1]

قال محققو «المسند»: منكر ، وإسناده ضعيف من أجل الحسن بن ذكوان وعبد الواحد بن قيس.

وكذا قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة»[2].

قلت: وقد ورد في الأبدال الأحاديث الموضوعة التالية:

١. روى أبو نعيم في «حلية الأولياء»[3] عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : خيار أمتي في كل قرن خمسمائة ، والأبدال أربعون ، فلا الخمسمائة ينقُصون ، ولا الأربعون ، كلما مات رجل أبدل الله عز وجل من الخمسمائة مكانه ، وأدخل من الأربعين مكانهم.
قالوا: يا رسول الله ، دُلَّنا على أعمالهم.
قال: يعفون عمَّن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويتواسَون فيما آتاهم الله عز وجل.
هذا حديث موضوع ، انظر «الموضوعات»[4] لابن الجوزي ، و «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»[5] للشوكاني ، و «السلسلة الضعيفة»[6] للألباني ، وقال في إسناده: وهذا سند مظلم.

٢. وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة ، قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله تعالى في الخلق أربعون ، قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ، ولله تعالى في الخلق سبعة ، قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، ولله تعالى في الخلق خمسة ، قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، ولله تعالى في الخلق ثلاثة ، قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله تعالى في الخلق واحد ، قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام ، فإذا مات الواحد أبدل الله عز وجل مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله تعالى مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله تعالى مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله

---

١ (٣٢٢/٥).

٢ برقم (٩٣٦).

٣ (٣٩/١).

٤ (٣٩٨/٣) ،كتاب الزهد ، باب عدد الأولياء.

٥ ص ٢٤٥ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦ برقم (٩٣٥).

تعالى مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله تعالى مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله تعالى مكانه من العامة ، فبِهم يُحيي ويميت ، ويُمطر وينبت ، ويُدفَع البلاء.

قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بِهم يحيي ويميت؟

قال: لأنهم يسألون الله عز وجل إكثار الأمم فيَكثُرون ، ويدعون على الجبابرة فيُقصمون ، ويَستسقون فيُسقون ، ويَسألون فتُنبِت لهم الأرض ، ويدعُون فيُدفع بهم أنواع البلاء.[1]

هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ ، في سنده عثمان بن عمارة وهو كذاب ، انظر «الموضوعات»[2] لابن الجوزي ، و «ميزان الاعتدال»[3] للذهبي وقال بعدما ذكره: فقاتل الله من وضع هذا الإفك.

قلت: وقد وردت عدة أحاديث في وجود ما يُسمَّون بالأبدال ولكنها ضعيفة جدا أو موضوعة ، وقد جمعها الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله كلها أو أكثرها في موسوعته النفيسة «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة».[4]

النقباء

النقيب في اللغة هو الرجل العالم بالأشياء ، الكثير البحث عنها.[5]

وفي اصطلاح الصوفية: النقباء هم الذين تحققوا بالاسم الباطن ، فأشرفوا على بواطن الناس ، فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر ، وهم ثلاثمائة.[6]

وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، بل هو باطل ، إذ إن ما في الضمائر من الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

النجباء

النجيب في اللغة الرجل الكريم الفاضل.[7]

---

١ (١/٣٩ – ٤٠).

٢ (٣/٣٩٨) ، كتاب الزهد ، باب عدد الأولياء.

٣ برقم (٥٥٤٩) في ترجمة: عثمان بن عمارة.

٤ انظر الأحاديث من رقم (١٤٧٤ – ١٤٧٩ ، ٢٤٩٨ ، ٢٩٩٣).

٥ انظر «النهاية».

٦ «معجم اصطلاحات الصوفية» ، ص ١١٦ ، للكاشاني.

٧ انظر «النهاية».

وفي اصطلاح الصوفية: النجباء هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم ، المتصرفون بحقوق الخلق لا غير.[١]

وهذا الاصطلاح عند الصوفية لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، بل هو مناقض للشرع ، إذ الشرع يأمر بالعمل ويحذر من التقاعس والكسل في طاعة الله وفي غيرها ، قال تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض لننظر كيف تعملون﴾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن الدنيا حلوة خَضِرة ، وإن الله مستخلفُكم فيها فينظر ماذا تعملون.[٢]

وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الكسل ، فيقول: اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبَر.[٣]

الأوتاد

الوتد في اللغة معروف ، وهو ما غُرِزَ في الحائط أو الأرض من الخشب أو المعدن.

وفي اصطلاح الصوفية: **الأوتاد** هم الرجال الأربعة الذين على منازلهم الجهات الأربع من العالم ، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب ، بهم يَحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محالَّ نظره تعالى.[٤]

أقول: ولا شك أن هذه خرافة لا تحتاج إلى تفنيد ، فإن الله يحفظ الناس أينما كانوا على هذه الأرض إذا حفظوا أمره واجتنبوا نهيه ، وليس فقط أهل الجهات الأربع ، كما قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : احفظ الله يحفظك.[٥]

الأقطاب

القطب في اللغة هو القائم الذي تدور عليه الرحى ، وقطب القوم سيدهم.[٦]

وفي اصطلاح الصوفية: **القطب** رجل واحد يكون موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان ، وهو على قلب إسرافيل.[٧]

---

١ «معجم اصطلاحات الصوفية» ، ص ١١٤ ، للكاشاني.

٢ رواه مسلم (٢٧٤٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٣ رواه مسلم (٢٧٢٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وسوء الكِبَر أي سوء طول العمر.

٤ «معجم اصطلاحات الصوفية» ، ص ٢٦٤ ، تأليف: د. عبد المنعم حنفي – الناشر: دار المسيرة – بيروت .

٥ رواه أحمد (٢٩٣/١) وصححه محققو «المسند» وكذا الأرناؤوط في تحقيق «رياض الصالحين» (رقم ٦٢).

٦ انظر «المعجم الوسيط».

٧ «معجم اصطلاحات الصوفية» ، ص ١٦٢ ، للكاشاني.

ويُسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو خُلِق على قلب محمد ﷺ ، ويسمى أيضا بقطب العالم ، وقطب الأقطاب ، والقطب الأكبر ، وقطب الإرشاد ، وقطب المدار.[1]

قال ابن تيمية في مصطلح «القطب الغوث الفرد الجامع»:

وأما سؤال السائل عن «القطب الغوث الفرد الجامع» فهذا قد يقوله طوائف من الناس ، ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام ، مثل تفسير بعضهم أن «الغوث» هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم ، وهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في علي ، وهذا كفر صريح ، يُستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل ، فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته.[2]

وقال عبد الرحمٰن الوكيل في كتابه «هذه هي الصوفية»:

القطب وأعوانه أسطورة خرافية ، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلٰهية ، وخلْعِها على كل وهم باطل. سُمِّـي في الفلسفة: «العقل الأول» ، وفي المسيحية «الكلمة» ، وفي الصوفية «القطب».[3]

وقال الصوفي الخرافي أحمد أبو العباس المرسي:

لو كان الحق سبحانه يرضيه خلاف السُّنة ، لكان التوجه في الصلاة للقطب الغوث أولى من التوجه للكعبة.[4]

كلام جامع لابن تيمية رحمه الله في الأبدال والنجباء والنقباء والأوتاد والأقطاب

قال ابن تيمية رحمه الله:

كل حديثٍ يُروى عن النبي ﷺ في عِدَّة[5] الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب – مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثة عشر أو القطب الواحد – فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال ، ورُوي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام ، وهو في المسند من حديث علي بن أبي طالب رضي الله

---

١ انظر «معجم مصطلحات الصوفية» ، تأليف د. عبد المنعم الحنفي ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .

٢ «مجموع الفتاوى» (٩٦/٢٧) ، ثم استطرد رحمه الله كعادته في بيان بطلان هذا المصطلح في نحو عشر ورقات ، فانظرها فإنها مفيدة.

٣ ص ١٢٤

٤ «الطبقات الكبرى» للشعراني ، ص: ٣١٥ ، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٥ أي: عدد.

عنه[١] ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي![٢]

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحنفي رحمه الله:

وأما ما قالوه: منهم **أبدالٌ ونقباءٌ وأوتادٌ ونجباءٌ وسبعين وسبعةٌ ، وأربعين وأربعةٌ ، والقطب هو الغوث للناس** ، وعليه المدد بلا التباس ؛ فهذا من موضوعات إفكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي[٣] في «سراج المريدين» ، وابن الجوزي[٤] وابن تيمية[٥]. انتهى كلامه رحمه الله.[٦]

توضيح مصطلح «المُحَدَّث»

المحدَّث هو المُلهَم ، الذي يلهِمه الله الصواب فيجري على لسانه من غير قصد ، قال ابن وهب[٧]: تفسير مُحدَّثون: مُلهمون.[٨]

قلت: وعليه فإن مصطلح المحدَّث لا يدخل في تلك الإصطلاحات المذمومة التي لا أصل لها ، غير أنه لا يصح نسبته إلا لمن شهد له الشرع بذلك ، ولم يرد ذلك إلا لعمر رضي الله عنه ، كما قال النبي ﷺ : قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحَدَّثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنَّ عمر بن الخطاب منهم.[٩]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى وضع الحق على لسان عمر يقول به.[١]

---

[١] الحديث الذي ورد في الأبدال رواه أحمد (١/١١٢) وقد تقدم ذكره.

[٢] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص ٧٠ – ٧٤ .

[٣] هو محمد بن عبدالله المعافري ، المشهور بالقاضي أبو بكر **ابن العربي** الإشبيلي المالكي الحافظ ، عالم أهل الأندلس ومسنِدِهِم ، وهو غير ابن عربي ، محمد بن علي الأندلسي المرسي ، الملقب بمحيي الدين ، فهذا صوفي ملحد يقول بوحدة الوجود ، أي أن الوجود هو الله ، تعالى الله عن ذلك.

اشتهر الأخير بابن عربي تمييزا له عن القاضي المالكي ابن العربي.

[٤] ذكر ابن الجوزي تلك الأحاديث في كتابه «الموضوعات» ، كتاب الزهد ، باب عدد الأولياء.

[٥] تقدمت الإحالة على كلام ابن تيمية في هذا الباب.

[٦] «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، ص ٦٤ – ٦٥ .

[٧] هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، فقيه ثقة حافظ عابد ، مات سنة ١٩٧ ، انظر ترجمته في «التقريب».

«التقريب».

[٨] ذكره مسلم عن ابن وهب بعدما خرَّج حديث عائشة المتقدم.

[٩] رواه مسلم (٢٣٩٨) عن عائشة رضي الله عنها ، قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون.

قال مقيده عفا الله عنه: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: (إني لأظنه كذا) ؛ إلا كان كما يظن.[٢]

قال ابن تيمية رحمه الله:

وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بأنه محدَّث في هذه الأمة ، فأيُّ محدَّثٍ ومخاطبٍ فُرِض[٣] في أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه ، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه ، فيَعرِض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك ، كما رجع يوم الحديبية لَمَّا كان قد رأى محاربة المشركين[٤].

وكذلك لما مات النبي ﷺ أَنكر موته أولاً ، فلما قال أبو بكر إنه مات رجع عمر عن ذلك.

وكذلك قال في مانعي الزكاة ، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟

فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألم يقل: إلا بحقها؟ فإن الزكاة من حقها ، والله لو منعوني عِناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت اللهَ قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق.

ولهذا نظائر تُبين تَقدُّم أبي بكر على عمر ، مع أن عمر رضي الله عنه محدَّث ، فإن مرتبة الصديق فوق مترتبة المحدَّث ، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كلَّ ما يقوله ويفعله ، والمحدَّث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم ، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم ، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور وينازعونه في أشياء ، فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويُقرُّهم على منازعته ولا يقول لهم: أنا محدَّث مُلهمٌ مُخاطبٌ ، فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني.

---

[١] رواه أبو داود (٢٩٦٢) وابن ماجه (١٠٨) ، وصححه الألباني رحمه الله.

٢ رواه البخاري (٣٨٦٦).

٣ أي افتُرِض وجوده.

٤ في يوم الحديبية رأى عمر أن يحارب المسلمون المشركين لأنهم صدوهم عن أداء العمرة ، ولكن النبي ﷺ تصالح معهم ، فتغيَّض عمر ، ثم لما أخبره النبي ﷺ أنه فعل هذا بوحي من عند الله رجع عن رأيه رضي الله عنه.

فأيُّ أحد ادَّعى أو ادَّعى له أصحابه أنه ولي الله ، وأنه مخاطبٌ يجب على أَتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه ، ويُسلِّموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، **فهو وهم مخطئون** ، ولو قُدِّر هذا من أفضل الناس ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ، وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقول هو على الكتاب والسنة.[1]

وقال ابن القيم رحمه الله في كلام له عن مرتبة التحديث:

وهذه دون مرتبة الوحي الخاص ، وتكون دون مرتبة الصديقين ، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما قال النبي: قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحَدَّثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم.

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله يقول: (جُزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا ، وعلَّق وجودهم في هذه الأمة بـ «إن» الشرطية[2] ، مع أنها أفضل الأمم ، لاحتياج الأمم قبلنا إليهم ، واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته ، فلم يُحْوِج الله الأمة بعده إلى مُحَدَّث ولا مُلْهَم ولا صاحب كشف ولا منام ، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها ، لا لنقصها).

والمُحَدَّث هو الذي يحدَّث في سِرِّهِ وقلبِه بالشيء ، فيكون كما يحدث به.

قال شيخُنا: والصدِّيق أكمل من المُحَدَّث ، لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف ، فإنه قد سلَّم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول ، فاستغنى به عما منه.

قال: وكان هذا المُحَدَّث يعرض ما يُحدَّث به على ما جاء به الرسول ، فإن وافقَه قبِله وإلا رده ، فعُلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث.

قال: وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: (حدثني قلبي عن ربي) ؛ فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عمَّن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال: (حدثني قلبي عن ربي) ؛ كان مُسندا الحديث إلى من لم يُعلم أنه حدثه به ، وذلك كذب.

قال: ومُحدَّث الأمة[3] لم يكن يقول ذلك ولا تفوَّه به يوما من الدهر ، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك ، بل كتب كاتبه يوما: (هذا ما أرى اللهُ أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب) ، فقال: لا ، بل اكتب: (هذا ما رأى عمر) ، فإن كان صوابا فمن الله ، وإن كان خطأ فمن عمر ، والله ورسوله منه بريء.[1]

---

[1] «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» ، ص ١٥٢ – ١٥٨ .

[2] يشير إلى «إن» الواردة في الحديث: **فإن** يكن في أمتي منهم أحد ...

[3] يعني عمر رضي الله عنه.

وقال في الكلالة[٢]: أقول فيها برأيي ، فإن يكُ خطأً فمني ومن الشيطان ، وإن يكُ صوابا فمن الله.[٣]
فهذا قول المُحَدَّث بشهادة الرسول ، وأنت ترى الاتحادي والحَلولي والإباحي الشطَّاح والسمَاعي مجاهر بالقِحَة[٤] والفِرية يقول: حدثني قلبي عن ربي.
فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين ، وأعط كل ذي حق حقه ، ولا تجعل الزَّغَل[٥] والخالص شيئا واحدا.[٦]

وقال الشوكاني رحمه الله في كلام له على حديث النفس الذي يحصل للمحدَّثين:
وهذا الحديث هو شيءٌ يوقعه الله في رَوع من كُتِب له ذلك ، فيلقيه إلى الناس فيكون مطابقاً للواقع ، وليس من الكهانة ، ولا من باب النَّجامة والرمل ، ولا من باب تلقين الشيطان ، كما كان يقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسيأتي في هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه أنه لا يزال العبد يتقرب إلى الله سبحانه بالنوافل حتى يحبه ، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها.[٧]

---

[١] رواه البيهقي في «الكبرى» (١١٦/١٠) عن مسروق ، وقد ضبطت النص من «السنن» ، وصححه الحافظ في «التلخيص الحبير» (٣٢٠٢/٦) ، الناشر: أضواء السلف – الرياض.

[٢] يعني في نصيب الكلالة من الإرث ، والكلالة هو من مات وليس له ولدٌ ولا والد.

[٣] وهِم المؤلف رحمه الله فجعله من كلام عمر ، والحق أنه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد في «مسنده» (٢٧٩/٤) ، وصححه محققو «المسند».

[٤] القِحة هي قلة الحياء كما في «الصحاح» للجوهري ، مادة «وقح».

[٥] الزَّغَل هو الغش. انظر «المعجم الوسيط».

[٦] «مدارج السالكين» (١٠١/١-١٠٣).

[٧] «قطر الولي على حديث الولي» ، ص ٤٤ ، والحديث الأخير رواه البخاري (٣٨٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد مر تحول الناس من عبادة الله إلى عبادة القبور بمراحل عديدة ، نذكر هنا ما يسر الله الوقوف عليه:

المرحلة الأولى – نشأة الناس على التوحيد ثم طرأ فيهم الشرك

كان الناس منذ خُلق آدم عليه الصلاة والسلام ولمدة عشرة قرون أمة واحدةً على الإسلام والتوحيد الخالص ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين نوح وآدم عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.[1]

وقال تعالى ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾ ، أي اختلفوا عما كانوا عليه من الدين الصحيح ووقعوا في الشرك.

وقال ﷺ : ألا إن ربي أمرني أن أُعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كلُّ مالٍ نحلته[2] عبدًا حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم[3] ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[4] عن دينهم ، وحرَّمَت عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أُنَـزِّل به سلطانا.[5]

وبعد وقوع الشرك بعث الله الأنبياء للدعوة إلى التوحيد والنذارة عن الشرك كما قال تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾.

وأول رسول بعثه الله للدعوة إلى التوحيد بعد وقوع الشرك هو نوح عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: إن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله نوحًا عليه السلام ، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.[6]

---

١ رواه ابن جرير في تفسير سورة البقرة: ٢١٣ ، وبنحوه عن قتادة ومجاهد والسدي ، ورواه الحاكم (٢/٥٤٦) وقال: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي ، ولكن علق د. عبد الله بن مراد السلفي في كتابه «تعليقات على ما صححه الحاكم ووافقه الذهبي» ص ٢٣٣ فقال: الإسناد فيه أبو داود هو الطيالسي ، علق له البخاري ، فالحديث على شرط مسلم.

قال مقيده: وروى نحوه ابن جرير عن عكرمة في تفسير سورة نوح: ٢٤ .

٢ أي وهبتُه.

٣ قال في «النهاية»: الحنفاء جمع حنيف ، وهو المائل إلى الإسلام ، الثابت عليه. والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام ، وأصل الـحَـنَـفِ الميل.

٤ أي حوَّلتهم ، انظر «القاموس المحيط».

٥ رواه مسلم (٢٨٦٥) ، وأحمد (٤/١٦٢) عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

٦ «تفسير بن كثير» ، البقرة: ٢١٣ ، بتصرف يسير.

وكان منشؤ الشرك في عهد نوح عليه الصلاة والسلام من تعظيم الصالحين ، كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا[1] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[2] ، وسَمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم[3] عُبدت.[4]

المرحلة الثانية – انتشار الشرك في الأرض بعد نشوءه

وبعد نشوء الشرك وعبادة الأصنام تتابع الناس على ذلك وانتشر بينهم على مر القرون ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ ، أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل[5] ، وأما سُواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمُراد ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمْدان ، وأما نسر فكانت لحِمْير ، لآل ذي الكَلاع.[6]

وقال قتادة: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ، ثم اتخذها العرب بعد ذلك.[7]

وفي هذه الحقبة من بعد نوح إلى عهد محمد ﷺ بعث الله الرسل تترا ، تأمر قومهم بعبادة الله وحده ، وترك عبادة ما كان يُعبد من دون الله من الأوثان والقبور ، كما قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

ومن المعلوم أن تلك الأوثان كانت رموزا لرجال صالحين.

---

١ أي ماتوا.

٢ أي اصنعوا أنصابا ، وهي تماثيل تصنع على هيئتهم ثم تنصب في المجالس ليراها الناس! وهكذا دخل عليهم الشيطان.

٣ أي تحول من حال إلى حال. انظر «النهاية».

قال مقيده: وسبب التحول والتحريف هو عدم الحفظ.

٤ رواه البخاري (٤٩٢٠).

٥ دومة الجندل موضع في شمال جزيرة العرب.

٦ رواه البخاري (٤٩٢٠).

٧ «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: ٢٤ ، (٢٥٤/١٢).

المرحلة الثالثة انحسار الفكر القبوري ببعثة النبي محمدا ﷺ

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ[1] حفظه الله:

وببعثة نبي الهدى والرحمة محمد ﷺ زالت عبادة الأصنام على أصنافها ، وتحررت العقول من دناءة تفكيرها ووضاعة تصورها ، فارتقت إلى التوحيد بعد أن كانت في حمْأة الشرك ، وأصبحت قلوب العرب وغيرهم متجهة إلى الله وحده لا شريك معه غيره ، لا نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، فأتم الله الأمر ، وأكمل دينه ، وأعلى كلمته.

المرحلة الرابعة – ظهور الحكات الباطنية

ثم أتبع الشيخ قائلا:

فدام على هذا المسلمون زمانا وقرونا[2] حتى ظهرت فيهم الحركات الباطنية الخبيثة ، كالإسماعيلية وما تفرع عنها من قرامطة وإخوان الصفا وعُبيديين ودُروز ونحوهم ، مما يُعدُّون صورا لعقيدة واحدة.

اتخذت هذه الحركة منذ القديم تقديس أهل بيت الرسول ﷺ شعارا لـها ، وسَلسَلوا الإمامة في إسماعيل بن جعفر ، وكانوا في تقديسهم لآل البيت مشهورين ، فالدولة الفاطمية أَثَرٌ[3] هذه الحركات الباطنية.

فالمسلمون في القرون الأولى لا يوجد بينهم من تحوم مظاهر الشرك في ذهنه ، كشرك العرب باتخاذ الصالحين والأنبياء وسائل وشفعاء ، حتى بث الإسماعيليون معتقداتهم بين الناس سرا ، فاستحسن الجهال هذا الأمر **لخِفَّتِه وطرح التكاليف الشرعية** ، فأخذ يَظهر الاعتناء بالقبور وتشييد مزارات ومشاهد ، وتحري الدعاء عندها ، حتى نقلهم الشيطان إلى اتخاذهم شفعاء ، ثم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر ، ثم نقلهم إلى الاعتقاد بأن له تصرفا في الكون ، **تدرج هذا في قرنين أو نحوها**.

وإن أَقْدَمَ من وقفتُ عليه يُرجِعُ المسلمين إلى دين الجاهلية في الاعتقاد بالأرواح والقبور هم الإسماعيليون ، وبخاصة إخوان الصفا ، تلك الجماعة السرية الخفية التي بثت عقائدها ورسائلها الخمسين بسرية تامة ، حتى لا يكاد يُعرف لها كاتب ولا مصنِّف ، وإن ظن ظنا.

---

١ تقدمت ترجمته.

٢ داموا ثلاثة قرون ، وفي هذا مصداق لقوله ﷺ : خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... الحديث.

٣ أي نتيجة.

ثم تبِعهم على تقديس المقبورين من أهل البيت الموسويون الملقبون بالإثني عشرية ، وصنفوا التصانيف في الحج إلى المشاهد ، وفي كيفية الزيارات والأدعية عند القبور ، يُسندونها بطرق باطلة كاذبة إلى أئمة أهل البيت رضي الله عنهم.

وقد طالعت كتاب «الزيارات الكاملة» لابن قولويه ، فرأيت فيه من هذا شيئا كثيرا ، وهو مطبوع.

ومن طالع تراث الإسماعيليين وحركة إخوان الصفا وجَد ما قلته ماثلا أمامه ، فإن الشأن عظيم ، وإن فتنة الناس بالقبور واتخاذ أهلها شفعاء ووسطاء لم تُعرف قبلهم ، ولما غلب الجهل قبل ظهور الدولة الفاطمية عَرفتْ هذه الأمور طائفةٌ من الناس ، فلما ظهرت الدولة العبيدية شَيَّدت المشاهد ونَشرت ما كان سرا من عقائدها.

جاء في الرسالة الثانية والأربعين من «رسائل إخوان الصفا» ما يُبين هذا ويُـبرهن له ، فقال مؤلفو الرسائل (٤ / ١٩ – ٢١):

وذلك أن القوم الذين بُعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام ، والتحية والرضوان ، كانوا يتدينون بعبادة الأصنام ، وكانوا يتقربون إلى الله تعالى بالتعظيم لها والسجود والاستسلام والبخورات ، وكانوا يعتقدون أن ذلك يكون لهم قربة إلى الله وزلفى ، والأصنام هي أجسام خُرس ، لا نطق لها ولا تمييز ولا حس ولا صورة ولا حركة ، فأرسلهم الله ودلهم على ما هو أهدى وأقوم وأولى مما كانوا فيه.

وذلك أن الأنبياء عليهم السلام ، وإن كانوا بشرا ، فهم أحياء ناطقون مميزون ، علماء مشاكلون[1] للملائكة بنفوسهم الزكية ، يعرفون الله حق معرفته ، والتقرب إلى الله بهم أولى وأهدى وأحق من التوسل بالأصنام الخرس التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنك شيئا.

ثم اعلم أنا نبين هٰهنا بدْأَ عبادة الأصنام فنقول بأن بدأ عبادة الأمم للأصنام أولاً كان عـبادة الكواكب ، وبدْأ عبادة الكواكب كان عبادةُ الملائكة ، وسبب عبادة الملائكة كان التوسل بهم إلى الله تعالى وطلب القربة إليه.

وذلك أن الحكماء الأولين لما عَرفوا بذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم أن للعالم صانعا حكيما ، وذلك لتأملهم عجائب مصنوعاته وتفكرهم في غرائب مخلوقاته ، واعتبارهم تصانيف أحوال مخترعاته ، ولما تحققت في نفوسهم هويته ؛ أقروا له عند ذلك بالوحدانية ووصفوه بالربوبية ، وعلِموا أن له ملائكة هم صفوته من خلقه ، وخالص عباده من بريته ، **طلبوا عند ذلك إلى الله القربى** ، وتوسلوا إليه بهم ، وطلبوا الزلفى لديه بالتعظيم لهم كما يفعل أبناء الدنيا ، ويطلبون القربى إلى ملوكهم بالتوسل إليهم بأقرب

---

١ أي مشابهون لهم!

المختصين بهم ، وكان من الناس من يتوسل إلى الملك بأقاربه وندمائه ووزرائه وكتابه وخواصه وقُـوَّاده ومن يُمكِّـنه ، بحسب ما يتأتى له ، الأقرب فالأقرب ، والأدنى الأدنى ، **كل ذلك طلبا للقربى إليه والزلفى لديه** ، فهكذا وعلى هذا المثال فعلت الحكماء وأهل الديانات ومن عرف الله وآمن به وأقر به ، فإنهم طلبوا القربة إليه والزلفى عنده ، كل واحد بحسب ما أمكنه وتأتّى له ، وأدَّى إليه اجتهاده وتحقق في نفسه.

فلما مضى أولئك الحكماء والربانيون العارفون بالله حق معرفته وانقرضوا ؛ خلفهم قوم آخرون لم يكونوا مثلهم في المعرفة والعلم ، ولم يعرفوا مغزاهم في دياناتهم ، فأرادوا الإقتداء بهم في سيرتهم ، واتخذوا أصناما على مثل صورتهم ، وصوروا تماثيل على مثل ما فعلت النصارى في بِـيَعهم من التماثيل والصور مثل أشباه المسيح عليه السلام ، ومثل روح القدس وجبرائيل ومريم عليهما السلام ، وكذلك أحوال المسيح في مُتصرَّفاته ، ليكون ذلك تذكارا لهم بأحواله كيفما يَمَّموا تلك التصاوير والتماثيل.

ثم قال إخوان الصفا:

فصل

ثم اعلم يا أخي أن مِن الناس من يتقرب إلى الله بأنبيائه ورسله وبأئمتهم وأوصيائهم ، أو بأولياء الله وعباده الصالحين ، أو بملائكة الله المقربين ، والتعظيم لهم ومساجدهم ومشاهدهم ، والاقتداء بهم وبأفعالهم ، والعمل بوصاياهم وسننهم على ذلك ، بحسب ما يمكنهم ويتأتى لهم ، ويتحقق في نفوسهم ويؤدي إليه اجتهادهم.

فأما من يعرف الله حق معرفته فهو لا يتوسل إليه بأحد غيره[1] ، وهذه مرتبة أهل المعارف الذين هم أولياء الله.

وأما من قَصُر فَـهمه ومعرفته وحقيقته **فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بأنبيائه** ، ومن قَصُر فَهمه ومعرفته بهم **فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بالأئمة من خلفائهم وأوصيائهم والتعلق بسُننهم**[2] ، والذهاب إلى مساجدهم ومشاهدهم ، والدعاء والصلاة والصيام والاستغفار وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم وعند تماثيلهم المصورة على أشكالهم ، لتذكار آياتهم ، وتعرُّف أحوالهم من الأصنام والأوثان وما يُشاكل ذلك ، طلبا للقربة إلى الله والزلفى لديه.

---

١ أي أن العارف بالله لا يحتاج لأن يتوسل إلى الله بأحد (بحسب زعمهم) ، بل يطلب من الله مباشرة ، وأما غير العارف بالله فلا ينبغي له أن يطلب من الله مباشرة (بحسب زعمهم) ، فينبغي أن يتوسل بذوات بأنبيائه ورسله وبأئمتهم وأوصيائهم الخ !!!

٢ أي بطريقتهم.

ثم اعلم أنه – على كل حال – من يعبد شيئا من الأشياء ويتقرب إلى الله تعالى بأحد فهو أصلح حالا ممن لا يدين شيئا ، ولا يتقرب إلى الله البتة. انتهى.[1]

قال الباحث خالد أبو الفتوح: تعتبر «رسائل إخوان الصفا» مرجعا مهما في تسويغ عقائد الباطنية الشركية ، وقد ألفها مجموعة من الفلاسفة ، أشياع الفاطميين (العبيديين) في القرن الرابع الهجري.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: فهل ينكر أحد ممن يعرف دين المسلمين أو اليهود أو النصارى أن ما يقوله أصحاب «رسائل إخوان الصفا» مخالف للملل الثلاث ، فإن في ذلك من مخالفة الرسل فيما أخبرت به وأمرت به ، والتكذيب بكثير مما جاءت به ، وتبديل شرائع الرسل كلهم بما لا يخفى على عارف بملة من الملل ، فهؤلاء خارجون عن الملل الثلاث.

ومن أكاذيبهم وزعمهم أن هذه الرسائل من كلام جعفر بن محمد الصادق ، والعلماء يعلمون أنها إنما وُضعت بعد المائة الثالثة ، زمان بناء القاهرة ، وقد ذكر واضعها فيها ما حدث في الإسلام من استيلاء النصارى على سواحل الشام ونحو ذلك من الحوادث التي حدثت بعد المائة الثالثة ، وجعفر بن محمد رضي الله عنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائة ، قبل بناء القاهرة بأكثر من مائتي سنة ، إذ القاهرة بُنيت حول الستين وثلاثمائة كما في «تاريخ الجامع الأزهر» ، ويقال إن ابتداء بنائها سنة ثمان وخمسين ، وأنه في سنة اثنتين وستين قدِم معد بن تميم من المغرب واستوطنها.[3]

ونقل الذهبي في «السير» في ترجمة أبي حامد الغزالي عن أبي بكر الطرطوشي قوله عن «إخوان الصفا» أنهم قوم يرون أن النبوة مكتسبة ، وزعموا أن معجزات الأنبياء حيلٌ ومخاريق ، وليست من عند الله ، تأييدا لهم وتصديقا لرسالاتهم.

وقال الباحث سالم بن قطوان العبدان:

وظل المسلمون على ما ورَثوه من زيارة القبور التي علَّمهم نبيهم إلى بداية خلافة بني العباس ، حيث لا زالت الخلافة في حال استقامتها ، فلم تُبن المشاهد ولم تُعظم القبور سواء ما كان منها صدقاً أو كذباً ، لأن الإسلام حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه ، ولم يظهر في تلك الفترة وما قبلها من ذلك شيء في بلاد

---

١ انتهى نقل الشيخ صالح لكلام من يُسمَّون بإخوان الصفا ، وقد أودعه كتابه: «هذه مفاهيمنا» ، ص ١٠٤ – ١٠٨ .

٢ من مقاله «قبس من الظلمات» ، ويقع في كتاب «دمعة على التوحيد» ، ص ٩٧ .

٣ «مجموع الفتاوى» (١٣٤/٣٥) ، باختصار يسير.

الإسلام ، لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ، ولم يُعمل مشهداً على قبر نبي ولا صاحبٍ ولا أحِد من أهل البيت وصالحٍ أصلاً.

وفي أواخر الخلافة العباسية – ابتداءً من دولة المقتدر – عندما انشـــغلت الدولة بنفسها وضعفت شوكتها ، وبظهور حركات التشيّع ؛ برزت الأضرحة[1] ، وكان ذلك في عهد دولة بني بُـوَيه لما ظهرت القرامطة العُـبيدية القِداحية بأرض المشرق والمغرب ، ووجدوا في بني بويه رِضاً وموافقة على ذلك ، لِما عُرف من كثير منهم غلو في التشيع ، فبنوا المشاهد المختلفة ، كمشهد علي بناحية النجف ، وإلا قبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك ، وإنما دفن علي بقصر الإمارة بالكوفة.

وفي تلك الفترة ظهرت المشاهد المنسوبة لأصحابها بالعراق وغير العراق ما كان كثيراً منها كذباً ، ولما بُني مشهد الحسين بكربلاء غَشاهُ[2] أمراء عظماء ، وأنكر عليهم العلماء هذا الصنيع ، حتى أن المتوكل لما بُين له هذا الأمر يُقال إنه بالغ في الإنكار وزاد على الواجب.

وأما في الشام فإن أحداً من الصحابة والتابعين لم يَر قبراً ظاهراً في مسجد بني أمية أو غيره ، بل غاية ما جاء في بعض الروايات عن زيد بن واقد أنهم في أثناء العمليات وجدوا مغارة فيها صندوق فيه سَفْط[3] ، وفي السَّفْط رأس يحيى بن زكريا عليه السلام ، مكتوب عليه: (هذا رأس يحيى عليه السلام) ، فأمر به الوليد فرُد إلى المكان وقال: اجعلوا العمود فوقه مغيَّراً من الأعمدة ، فجعل عليه عموداً مُسْبكاً مُسقط الرأس ، ومع هذا فأني أقطع من الاستقراء أنه لم يكن في المسجد قبر حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، لِما أخرجه الربعي عن الوليد بن مسلم أنه سئل: أين بلغك رأس يحيى بن زكريا؟

قال: (بلغني أنه ثَمَّ) ، وأشار بيده إلى العمود المُسقط الرابع من الركن الشرقي ، فهذا يدل على أنه لم يكن هناك قبر في عهد الوليد بن مسلم ، وقد توفي في سنة (١٩٤ هـ/٧٧٣ م).

أما في مدينة الخليل فقد كانت البُنية التي على قبر إبراهيم عليه السلام مسدودة ، لا يدخل إليها أحد إلى حدود المائة الرابعة الهجرية ، فقيل إن بعض النسوة المتّصلات بالخلفاء رأت في ذلك مناماً ، فعند ذلك قاموا بنقبها.

وقيل: إن النصارى لما استولوا على هذه النواحي نقبوا ذلك ، ثم تُرك مسجداً بعد الفتوح المتأخرة.[4]

انتهى كلامه حفظه الله.

---

١ الضريح: هو بناء له جدران أربعة ، تعلوه قبة مدورة ، ويقع بداخله قبر.

٢ أي زاره.

٣ السفط وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء. انظر «المعجم الوسيط».

٤ «زيارة القبور عند المسلمين» ، ص ١٧ – ٢٠ .

وقال ابن تيمية رحمه الله:

ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك[1] شيء في بلاد الإسلام ، لا في الحجاز ، ولا اليمن ، ولا الشام ، ولا العراق ، ولا مصر ، ولا خراسان ، ولا المغرب ، ولم يكن قد أُحدث مَشهد ، لا على قبر نبي ، ولا صاحبٍ ، ولا أحد من أهل البيت ، ولا صالحٍ أصلاً ، بل عامة هذه المشاهد مُحدثة بعد ذلك ، **وكان ظهورها وانتشارها حين ضعُفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة** ، وكثر فيهم الزنادقة المُلَبِّسون على المسلمين ، وفشت فيهم كلمة أهل البدع ، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة ، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القِداحية بأرض المغرب ، ثم جاؤوا بعد ذلك إلى أرض مصر.

ثم قال: وقريبا من ذلك ظهر بنو بويه ، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية ، وفي دولتهم قَوِي بنو عبيد القداح بأرض مصر ، وفي دولتهم أُظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف ، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك ، وإنما دُفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة.[2]

وقال: ولم يكن في العصور المفضلة «مشاهد» على القبور ، وإنما كثر بعد ذلك في دولة بني بويه ، لَما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب ، وكان بها زنادقة كفار **مقصودُهم تبديل دين الإسلام** ، وكان في بني بُويه من الموافَقة لهم على بعض ذلك ومن بدع الجهمية والمعتزلة والرافضة ما هو معروف لأهل العلم ، فبنَوا المشاهد المكذوبة كمشهد علي رضي الله عنه وأمثاله.[3]

وقد نقل الباحث خالد محمد حامد[4] عن الباحثة في مجال الآثار د. سعاد ماهر قولها في كتابها «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون»[5]:

---

١ أي من تلك المشاهد على القبور.

٢ «مجموع الفتاوى» (٤٦٦/٢٧) ، باختصار يسير.

٣ «مجموع الفتاوى» (١٦٧/٢٧).

٤ نقله ضمن مقال له بعنوان «فسطاط الخرافة ... الجذور والواقع» ، ويقع ضمن كتاب «دمعة على التوحيد» ، من ص ١٥ – ٣٨ .

٥ «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٤٦/١).

(إن أقدم ضريح في الإسلام أقيمت عليه قبة يرجع إلى **القرن الثالث الهجري** ، وقد عرف هذا الضريح باسم (قبة الصليبية)[1] ، ويوجد في مدينة «سمارا» بالعراق على الضفة الغربية لنهر دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق.

ويقول الطبري: إن أم الخليفة العباسي استأذنت في بناء ضريح منفصل لولدها فأُذِن لها ، إذ كانت العادة قبل ذلك أن يُدفن الخليفة في قصره ، فأقامت (قبة الصليبية) في شهر ربيع الثاني سنة ٢٨٤ هـ ، وقد ضَم الضريح إلى جانب المنتصر الخليفة المعتز والمهتدي ، وتعتبر قبة الصليبية أول قبة في الإسلام).

ثم تابعت قائلة عن أوائل الأضرحة ذات القباب:

(ويليها[2] من حيث التاريخ: ضريح إسماعيل السامانى المبني سنة ٢٩٦ هـ في مدينة بُخارى ، ثم ضريح الإمام علي في النجف الذي بناه الحمْدانيون سنة ٣١٧هـ ، ثم ضريح محمد بن موسى في مدينة (قُم) بإيران سنة ٣٦٦ هـ ، ثم ضريح (السبع بنات) في الفسطاط سنة ٤٠٠ هـ ، وقد احتفظت لنا جُبَّانة[3] أسوان بمجموعة كبيرة من الأضرحة ذات القباب التي يرجع تاريخ معظمها إلى العصر الفاطمي في القرن الخامس الهجري).

ثم تابع خالد محمد حامد قائلا:

ولكن الدكتورة سعاد تذكر لنا الأضرحة (ذات القباب) فقط ، ولا ندري هل كانت قبل (قبة الصليبية) أضرحة أخرى ليست ذات قباب أم لا ، فالقِباب عنصر معماري أنشئ في أول أمره لإبراز بعض أجزاء المسجد ، ثم تطور استعمالها إلى تغطية قبور الشخصيات البارزة أو (أولياء الله).[4]

ثم قال الباحث المذكور:

وأيضاً فإن أصحاب الأضرحة الكبرى ممن يُنسب إلى التصوف هم في الحقيقة من غلاة الشيعة الباطنية ، حيث من العراق انطلق أحد أتباع الرفاعي إلى مصر ، وهو أبو الفتح الواسطي (جد إبراهيم الدسوقي) ، لنشر دعوتهم الباطنية بها ، وقد كان ذلك في العهد الأيوبي ، وبعد موت الواسطي جاء البدوي ليخلِفه في دعوته تلك ، وقد توزع هؤلاء الدعاة في مصر ، فكان الدسوقي بدسوق ، وأبو الحسن الشاذلي بالإسكندرية ، وأبو الفتح الواسطي ما بين القاهرة وطنطا والإسكندرية ، ولما مات الواسطي حل محله

---

١ قال خالد محمد حامد: سميت بذلك نسبة إلى موقع ضريح عند تقاطع طريقين!

٢ أي قبة الصليبية.

٣ الجبانة هي المقبرة. انظر «المعجم الوسيط».

٤ «دمعة على التوحيد» ، ص ١٩ .

البدوي بطنطا ، وجميعهم من فلول العبيديين الذين طردهم صلاح الدين الأيوبي من مصر ، ثم حاولوا العودة تحت ستار التصوف والزهد.[1]

وفي أواخر عهدهم أنشأ الفاطميون المشهد الحسيني عام ٥٥٠ هـ عندما شعروا بأن سلطتهم قد ضعفت ليجذبوا إليهم المصريين ، وعهِدوا إلى ابن مرزوق القرشي (٥٦٤ هـ) تربية مُريدي الصوفية ، فانتظم أتباعه في طوائف وطرق لنشر الدعوة الشيعية ، إلا إن هذه التنظيمات انهارت بانهيار الدولة الفاطمية ، وتحول المشهد الحسيني إلى ضريح صوفي.[2] انتهى كلام الباحث: خالد محمد حامد.

والحاصل أن (تقديس القبور وزيارة المشاهد تقليد شيعي في نشأته ، فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور ، حيث تتبعوا قبور من مات قديماً ممن يعظمونهم من آل البيت ، وراحوا يبنون على قبورهم ويجعلونها مشاهد ومزارات ، **ثم جاء الصوفية فنسجوا على هذا المنوال** ، فجعلوا أهم مشاعرهم هو زيارة القبور وبناء الأضرحة والطواف بها والتبرك بأحجارها والاستغاثة بالأموات ، بل جعل الصوفية جل همهم هو بناء هذه القبور وتعظيمها ودعوة الناس إليها ، وجعلوا أعظم مشاعرهم هو الطواف بها والتبرك بها ودعاؤها من دون الله عز وجل ، بل لا يوجد شيخ صوفي متَّبع إلا وبنى لنفسه قبة كبيرة ومقاما ، وهكذا أعادوا من جديد شرك الجاهلية الأولى).[3]

قال مقيده عفا الله عنه: ولما كان أمر الفاطميين كذلك ، قام عليهم القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي قومة واحدة فسحق دولتهم وطردهم قبل غزوه لليهود لفتح فلسطين لئلا يُطعن من الخلف ، فلله درة من قائد فذ.

المرحلة الخامسة ، ظهور أضرحة الرؤيا

قال الباحث خالد محمد حامد:

---

١ عزا الباحث هذه المعلومات إلى كتاب «بدع الاعتقاد» لمحمد حامد الناصر ، ص ٢٤٧ ، نقلا عن «السيد البدوي ، دراسة نقدية» للدكتور عبد الله صابر. انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢١ .

٢ عزا الباحث هذا النقل إلى كتاب «الصوفية والسياسة في مصر» لعمار علي حسن ، ص ٨٨ . انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢١ .

٣ باختصار وتصرف يسير من كتاب «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» ، الباب الخامس: الصلة بين التصوف والتشيع ، أوجه التلاقي بين التصوف والتشيع ، قسم د: تقديس القبور وزيارة المشاهد.

وأصبح تقديس القبور والأضرحة لازماً من لوازم الطرق الصوفية ، بحيث لا يَتصور أحد وجود طريقة صوفية من غير ضريح – أو أكثر – تقدِّسه ، ومع تمكن الداء من جسد الأمة ظهرت الحاجة إلى تعدد الأضرحة والمزارات لتلبي رغَبات من صرعتهم الأوهام ، وضاق بالقبوريين أن يتحرَّوا ثبوت قبور الأولياء المشهورين لدى جمهورهم ، ولأن الحاجة أم الاختراع – كما يقال – فقد وجدوا لهذه الأزمة بعض المخارج والحيل ، فظهر ما يسمى **أضرحة الرؤيا** ، تقول د. سعاد ماهر:

ظهر في العصور الوسطى – وخاصة في أوقات المحن والحروب التي لا تجد فيها الشعوب من تلوذ به غير الواحد القهار – أن يتلمسوا أضرحة آل البيت والأولياء للزيارة والبركة والدعاء ليكشف الله عنهم السوء ويرفع البلاء ، ومن ثم ظهر ما يعرف **بأضرحة الرؤيا** ، فإذا رأى ولي من أولياء الله الصالحين في منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجداً أو ضريحاً لأحد من أهل البيت أو الولي المسمى في الرؤيا ؛ فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه.[1]

أقول: ومن العجائب أن هذه هي نفس العلة التي اعتمد عليها النصارى لإقامة مزارات الشهداء ، "وكان ذلك إبَّان القرن الخامس الميلادي ، حيث أصبح لكل قرية مزار لشهيد يحوي عظاماً لبعض الموتى المجهولين ، أُخرجت من القبور ، ومُنحت كل التبجيل والاحترام ، دون أدنى دليل يُثبت أنها – على الأقل – بقايا مسيحيين[2] ، ويُخلع على هذه الرُّفات أسماء وألقاب لائقة ، وفي حالات كثيرة كان المرجع الوحيد في هذا الشأن (حلم) أو (رؤيا) لكاهن أو راهب."[3]

وهي الدعوى نفسها أيضاً[4] التي أسَّس عليها اليهود مزاراتهم من القبور (المقدسة) ، يقول جعفر هادي حسين:

---

١ عزا خالد محمد خالد هذا النقل إلى كتاب «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/١٠٢ – ١٠٣) ، د. سعاد ماهر.

٢ الأولى أن يُقال «نصارى» كما سماهم الله بذلك في القرآن ، وأما الوصف بالمسيحيين فيستحقه أتباع المسيح صدقا ، وهؤلاء لا وجود لهم بعد بعثة النبي محمد ﷺ ، لأنه بعد بعثته آمن الصادقون في اتباعهم لعيسى من النصارى بالنبي محمد وصاروا مسلمين ، لأن دينه خاتم الأديان للناس كلهم.

٣ عزا خالد محمد خالد هذا النقل إلى «موالد مصر المحروسة» لعرفة عبده علي ، ص ٧١ .

٤ والكلام لا زال لخالد محمد خالد.

وبين فترة وأخرى يطلع على الناس شخص في (إسرائيل) يعلن عن اكتشاف قبر (مُقدَّس) أو إقامة مزار له ، لِحُلم قد رآه ، فيصبح قبره أو مقامه مقصداً للرائحين والغادين.[1]

انتهى كلام الباحث: خالد محمد حامد.

قلت: وهذا التشبه بأهل الكتاب ليس غريبا ، فقد أخبر عنه النبي ﷺ في قوله: لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

قالوا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟

قال: فمن؟[2]

خرافة تحديد قبر (الولي)

قال بعض الباحثين مبينا كيفية تحديد مكان قبر الولي:

يتم ذلك عن طريق ما يسمونه بـ (البيان) ، فحسب الاعتقاد السائد في السودان يمكن أن يَرى شخص ما رؤية منامية ، يرى فيها شيخاً من الشيوخ ممن ماتوا ودُفنوا في مكان ما ، فيرى الرائي أن هذا الشيخ دلَّه على مكانٍ معين وبَيَّنَ ، أي: ظهر فيه ، فيبادر هذا الرائي عند استيقاظه بالتوجه إلى ذلك المكان فيرفعه عن سطح الأرض[3] ، وينصِب عليه الخِرق والرايات ، معلناً أن الشيخ الفلاني بيَّن في هذا المكان ، فيُعرف المكان بأنه (بيان) الشيخ الفلاني ، ثم يُزار كغيره من الأضرحة والقباب ، وتُعقد له وحوله الطقوس المعروفة بهذه الأضرحة.[4]

قال ابن تيمية رحمه الله في معرض كلام له عن المشاهد التي تنسب لبعض الأنبياء والصالحين بسبب رؤيا منامية:

وكذلك تضاف إلى بعض الأنبياء أو الصالحين بناء على أنه **رؤي** في المنام هناك ، ورؤية النبي ﷺ أو الرجل الصالح في المنام ببقعة لا يوجب له فضيلة تقصد البقعة لأجلها وتُتخذ مصلى بإجماع المسلمين ، وإنما يفعل هذا وأمثاله أهل الكتاب.

---

١ «جريدة الحياة» ، عدد ١٣٠١٣ ، بتاريخ ١٤١٩/٦/٢٩ هـ ، من مقال «اعتراضات سياسية على ظاهرة تدخل الحاخامين في الانتخابات إسرائيلية».

٢ تقدم تخريجه.

٣ أي يرفع سطح القبر ببناء ونحوه.

٤ من مقال «الأضرحة في العالم الإسلامي ، مشاهد متفرقة» ، وهو منقول برمته في كتاب «دمعة على التوحيد» ، والكلام المنقول يقع في ص ٤٠ منه.

وربما صُوِّر فيها صورة النبي أو الرجل الصالح أو بعض أعضائه مضاهاة لأهل الكتاب ، كما كان في بعض مساجد دمشق مسجد يسمى «مسجد الكف» فيه تمثال كف يقال إنه كفُّ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حتى هدم الله ذلك الوثن.[1]

وقال الإمام محدث الشام عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة[2] من فقهاء الشافعية وقدمائهم في كتابه الذي سماه «الباعث على إنكار البدع والحوادث» في فصل البدع المستقبحة ، قال:

هذه البدع والمحدثات المستقبحة تنقسم إلى قسمين: قسم تعرف العامة والخاصة أنه بدعة محدثة ، إما محرمة وإما مكروهة ، وقسم يظنه معظمهم – إلا من عصم – عبادات وقربات وطاعات وسنناً.

فأما القسم الأول فلا نطوِّل بذكره ، إذ كُفينا مؤنة الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين ، لكن نبين من هذا القسم ما قد وقع فيه جماعة من جهال العوام المنابذين لشريعة الإسلام ، التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء ، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين للفقر ، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان ، من مؤاخات النساء الأجانب والخلوة بهن ، واعتقادهم في مشائخ لهم ضالين مضلين يأكلون في نهار رمضان من غير عذر ، ويتركون الصلاة ، ويخامرون النجاسات غير مكترثين لذلك ، فهم داخلون تحت قوله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا القسم أيضاً ما قد عمَّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق[3] الحيطان والعمُد ، وسَرجِ مواضع مخصوصة في كل بلدٍ يحكي لهم حاكٍ أنه **رأى في منامه بها** أحداً ممن اشتُهر بالصلاح والولاية ، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه ، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعظُم وَقْع تلك الأماكن في قلوبهم ، فيُـعَظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم ، وقضاء حوائجهم بالنذر لها ، وهي ما بين عيون وشجر وحائط وحجر.[4]

---

١ «اقتضاء الصراط» (٢/٦٥٥).

٢ الشيخ عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي من القراء والمحدثين ، وهو من علماء القرن السادس ، له تصانيف عديدة في العقيدة والحديث والقراءات والأصول والتاريخ. توفي رحمه الله سنة ٦٦٥ . كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة فقيل له: أبو شامة. انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (١١٥٧) و «معرفة القراء».

٣ التخليق هو وضع الخلوق ، وهو نوع من أنواع الطيب.

٤ ص (٣٤ – ٣٥) ، ط مكتبة المؤيد.

المرحلة السادسة – ظهور القبور المكذوبة

ثم ظهرت أضرحة مزعومة ومكذوبة في طول البلاد وعرضها ، وتعددت الأضرحة للولي الواحد في أكثر من قطر ، ولتسويغ ذلك الخَطَل[1] نسجوا خرافة واضحة الزور والبهتان ، فقالوا: إن الأرض لأجسام الأولياء كالماء للسَّمك ، فيظهرون بأماكن متعددة ويُـزار كل مكان قيل عنه إن فيه نبياً كريماً أو ولياً عظيماً[2] ، أي: يستطيع الولي المقبور أن يكون بالشام ثم يسبح – تحت الأرض – إلى مصر ، وبعدها يحضر إلى إيران وهكذا ، ليُجيب مريديه وعابديه حول أضرحته المتعددة!

المرحلة السابعة – مرحلة نسج كرامات مكذوبة حول القبور المعظمة

ثم اتسع الخرق جدا ، ووجد شياطين الإنس والجن ضالتهم في عقول هؤلاء السذج ، فانفتح باب الأكاذيب والاختلاقات على مصراعيه ، فقاموا بنسج الكرامات حول الشخص المزعوم بأنه ولي ، أو حول المكان المزعوم بأنه مكان قبر ولي.

ومن طُـرق النسج حول المكان المزعوم ما ذكره الإمام ابن تيمية رحمه الله عن القبر المشهور في سفحة بالكَـرَك[3] الذي يقال إنه قبر نوح حيث قال إنه باطل محال ، ولا كان لهذا القبر ذِكر ولا خبر أصلاً ، بل كان ذلك المكان حاكورة[4] يُـزرع فيها ، ويكون بها الحاكة[5] إلى مدة قريبة ، رأوا هناك قبراً فيه عَظْمٌ كبير ، وشموا فيه رائحة ، فظن الجهلاء أنه لأجل تلك الرائحة يكون قبر نبي ، وقالوا من كان من الأنبياء كبيراً؟ فقالوا: نوح ، فقالوا: هو قبر نوح ، وبنوا عليه في دولة الرافضة الذي كانوا مع الناصر – صاحب حلب –

---

١ الخطل هو الكلام الفاسد الكثير المضطرب. انظر «المعجم الوسيط».

٢ عزاه الباحث: خالد محمد حامد في مقاله «فسطاط الخرافة» إلى كتاب «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر» لعلي بن بخيت الزهراني ، ص ٢٨٥ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٣ .

٣ الكرك قرية في أصل جبل لبنان. انظر «معجم البلدان».

٤ الحاكورة: أرض تحبس لزرع الأشجار قرب الدور. انظر «المعجم الوسيط».

٥ الحاكة أصلها حاكَ أي تبختر في مشيته واختال ، والمقصود هو التهكم بهؤلاء الذين قالوا أنه لأجل تلك الرائحة فإن القبر قبر نبي! انظر «لسان العرب».

ذلك القبر ، وزِيد بعد ذلك في دولة الظاهر ، فصار وثناً يُشرك به الجاهلون ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء)[1] ، فلو كان قبر نبي لم يتجرد العظم.

وحدثني من الثقات من شاهد في المقابر القريبة منه رؤوساً عظيمة جداً تناسب تلك العظام.[2]

وبالجملة فإن غالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاء أنه يدَّعي أنه رأى مناماً ، أو أنه وَجد بذلك القبر علامة تدل على صلاحِ ساكنه ، إما رائحة طيبة ، وإما تَوهُّم خَرقِ عادة ونحو ذلك ، وإما حكاية عن بعض الناس أنه كان يعظِّم ذلك القبر.[3]

وقد ذكر ابن الجوزي في تاريخه «المنتظم» في حوادث سنة ٥٣٥ أن رجلا دخل بغداد وأظهر الزهد والتنسك ، فقصده الناس من كل جانب.

ثم إن رجلا من سَوادِ بغداد[4] مات له صبي فدفنه ، فعلِم به هذا المتزهد ، فمضى إلى قبر ذلك الصبي ، فنبشه ، وأخرج الصبي ، ثم دفنه في موضع آخر لحاجة في نفسه.

ثم قال للناس في بعض الأيام: (اعلموا أني قد رأيت عمر بن الخطاب في المنام ، ومعه علي بن أبي طالب ، فسلمتُ عليهما وسلَّمـوا عليَّ ، وقالا لي: إن في هذا الـموضع صبيا من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وخطَّا لي المكان) ، ثم أشار المتزهد إلى ذلك الموضع ، فحفروا في ذلك المكان ، فرأوا الصبي وهو أمرد فازدحموا عليه ، وانصرفوا إليه ، فمن وصل إلى قطعة من أكفانه فكأنه حاز الدنيا ، حتى خرج أرباب الدولة وأهل بغداد ، وانقلبت البلد ، ووضعوا عند قبره ماء الورد والبخور ، وأخذ جهال الناس التراب للتبرك ، وازدحم الناس على القبر ، حتى لم يصل إليه أحد من كثرة الزحام ، وجعل الناس يقبلون يد ذلك المتزهد وهو يظهر التمنع والبكاء والخشوع ، والناس تارة يزدحمون عليه ، وتارة يزدحمون على الميت ، وبقي الناس على هذا أياما ، والميت مكشوف يبصره الناس ، حتى ظهر نتن رائحته.

وجاء جماعة من أذكياء بغداد ، فتفقدوا كفنه فوجدوه خاما ، ووجدوا تحته حصيرا جديدا ، فقالوا: هذا لا يمكن أن يكون على هذه الصفة منذ أربع مئة سنة!

فما زالوا ينقبون على ذلك حتى جاء والد الصبي فأبصر ابنه ، فقال للناس: هذا والله ولدي.

---

١ اللفظ مضبوطا: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. رواه أبو داود (١٠٤٧) ، والنسـائي (١٣٧٣) ، وابن ماجـه (١٠٨٥) ، وأحمد (٨/٤) ، عن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

٢ «مجموع الفتاوى» (٦١/٢٧ – ٦٢).

٣ «مجموع الفتاوى» (٤٥٧/٢٧).

٤ السواد هو الشخص يرى من بعيد ، سمي بذلك لأن الشخص إذا رُئي من بعيد رئي أسودا. والأساود هي الجماعات التفرقة ، يقال: مرت بنا أساود من الناس. انظر «النهاية».

فمضى معه قوم إلى المكان ، فرأوه القبر قد نُـبِش ، وليس فيه ميت!
فلما سمع المتزهد ذلك هرب ، فطلبوه وظفروا به ، فقرروه فأقر أنه فعل ذلك حيلة ، فأُخذ وأُركب حمارا ، وشُهِّر به.
وهذا حال قبور كثيرة ، ليس فيها أحد ، أو فيها ضال ، أو كافر ، أو غير ذلك ، فإن كُشِف حال قبر منها فقد بقيت الأخرى!

المرحلة الثامنة والأخيرة – اختلاق شخصيات مكذوبة ثم إنشاء أضرحة على قبورهم

ولم يقف الأمر عند نسبة القبور زورا إلى شخصيات لها نصيبها في الإسلام ، بل وصل الادعاء إلى اختلاق بعض الشخصيات ثم نسبة أضرحة إليها ، فمن ذلك قبر في طريق بلدة (طورخال) بتركيا منسوب لصحابي اسمه (كيسك باش!!).
وفي معرة النعمان ضريح لرجل يدعى (عطا الله) يزعمون أنه صحابي أيضا.[1]
قال مقيده عفا الله عنه:
فانظر أخي إلى تاريخ الغلو في القبور المتهالك ، كيف كانت البداية بأن زين الشيطان للناس اتخاذ صور الآباء ليكون أنشط لهم على العبادة ، ثم آل بهم الأمر إلى الغلو في تعظيمها حتى عبدوها ، ثم استمر الأمر على هذا إلى وقتنا الحاضر ، سواء على صورة صنم منحوت من حجر أو شجر كما في المجتمعات البوذية ، أو على شكل قبور كما هو منتشر في بعض بلدان المسلمين ، فاللهم سخر لها من ولاة الحق يدا من الحق حاصدة ، وثبتنا على عبادتك وحدك لا شريك لك ، آمين يا رب العالمين.

١ عزاه صاحب مقال «فسطاط الخرافة» إلى كتاب «الانحرافات العقدية» ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، باختصار يسير. انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٣٧ .

ليس ما ذكرناه من المظاهر الشركية أو البدعية لتعظيم القبور من قبيل دفع شر محتمل الوقوع أو معلومات نظرية لم تحصل في أرض الواقع ، بل هو حقيقة واقعة ، فمن أمثلة القبور المعاصرة التي غلا فيها الناس غلوا فاحشا قبر جلال الدين الرومي[١] الذي كُتب على قبره ومزاره: صالح للأديان الثلاثة: (المسلمين واليهود والنصارى) ، ويُدعى هذا الوثن بالقطب الأعظم ، وفعلاً كان قطباً تدور عليه أفلاك أرباب المصالح الدنيوية ، طُلاب الشرف باسم الدين المزور ، وقد لقي كل تشجيع وتقديس من الأيدي الخفية ، لإبقاء شعلة الوثنية وقَّادة في العالم الإسلامي ، فقبر جلال الدين الرومي في دولة ضمت الإسلام ثمانية قرون على أيدي السلاطين المسلمين ، ليسوا بالعرب ولا العرب منهم ، ولكنهم المسلمون الذين تنبأت الرسالة المحمدية بظهورهم ، فكان في ظهورهم دلالة من دلائل النبوة ، وغيْر جلال الدين الرومي كثير وكثير في هذه الدولة التي أضحت دولة علمانية تحارب كل ما هو إسلامي ، حتى أصبح الإسلام غريباً في بحور المادة.[٢]

وعندما حل الحكم العثماني في بلاد المسلمين ازداد التعلق بالقبور والأضرحة ، حيث أن الموجود في القاهرة في بداية القرن الرابع عشر الهجري وحدها كان يبلغ مائتين وأربعة وتسعين ضريحا ، وفي الاستانة[٣] عاصمة السلطنة كان يوجد أربعمائة وواحد وثمانون جامعا لا يكاد يخلو جامع فيها من ضريح ، وتنافس الملوك والأمراء على تشييدها ، وتعَلَّق الناس بها.[٤]

ووصل الأمر أحيانا أن يبنى على قبر صعلوك -كان قاطع طريق – جامع وقبة ، كما صنع الخديوي إسماعيل سنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٥٩ م برجل يدعى صالح أبو حديد كان قاطع طريق ، فصار يعمل له حضرة كل أسبوع ، ومولد كل عام.[٥]

ومن أمثلة القبور المعاصرة أيضا التي غلا فيها الناس غلوا فاحشا قبر محيي الدين بن عربي صاحب كتاب «فصوص الحكم» ، صاحب القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ، وزعيم الفلاسفة القائلين بهذه البدعة المكفرة.

---

[١] جلال الدين الرومى متصوف شهير ، صاحب الطريقة المولوية الشهيرة فى تركيا الآن ، انظر للتوسع كتاب «أخبار جلال الدين الرومي» ، لمؤلفه أبو الفضل محمد القونوي.

[٢] من مقال «من لهذه الوثنية المتعددة» ، للشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٥٥ – ٥٦ .

[٣] الإستانة هي ما تعرف الآن باسم (اسطنبول).

[٤] كتاب «بدع الاعتقاد» لمحمد حامد لناصر ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

[٥] عزاه صاحب كتاب «بدع الاعتقاد» في ص ٢٦٧ لكتاب «الخطط التوقيفية» (٢٨٨/٣) ، لعلي باشا مبارك.

ومن تلك القبور أيضا قبر أحمد التيجاني ، زعيم طائفته ، ورائد التضليل ، الذي شرَّع بمشورة الفرنسيين الطريقة المنسوبة إليه ، والقائل: إن «جوهرة الكمال» أفضل من القرآن الكريم سبعمائة مرة ، وكذا القائل بأن الوِرد المعروف بـ «صلاة الفاتح» ، والذي تردده الطائفة التيجانية في أفريقيا صباحاً ومساءً ، تكفي قراءتها وتلاوتها عن القرآن الكريم.

وقبر هذا الزعيم أحمد التيجاني يعتبر وثنا يعبد من دون الله ، ويحج له الناس تعبداً لنيل البركات.[1]

وقد لوحظ أيضاً عدم اقتصار اتخاذ القباب على قبور المعظمين في المسلمين ، بل من شدة الجهل والغفلة اتُّخذت قبة على مقبرة الرفيق الصيني الشيوعي يانغ تشي تشنغ ، في ود مدني ، ولوحظ كذلك أن بعض هذه القباب يتوسط المساكن.[2]

ويذكر الجبرتي أنه في سنة ١٢٠٧ هجرية مات رجل يدعى السيد علي البكري ، وكان يمشي في الأسواق عريانا ، ويخلط في كلامه ، فلما مات أقام له أخوه مشهدا ودعا الناس له ، فاجتمع الناس لمشهده من كل ناحية وعملوا على قبره مقصورة ، وازدحم عنده أصناف الخلائق.[3]

ومن مظاهر الغلو في القبور ما أشار إليه الإمام الصنعاني رحمه الله في قصيدته التي أرسلها إلى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[4] رحمه الله ، واصفا فيها حال بعض أهل زمانه في غلوهم بالقبور ، قال فيها:

أعادوا بها[5] معنى سُواعٍ ومثله ... يغوثُ ووَدٌّ بئس ذاك من ودِّ

---

[1] من مقال «من لهذه الوثنية المتعددة» ، للشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٥٧ .

[2] من مقال «الأضرحة في العالم الإسلامي ، مشاهد متفرقة» ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٤٢ .

[3] «عجائب الآثار» للجبرتي ، حوادث سنة ١٢٠٧ هجرية.

[4] الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به وبمؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود.

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

[5] أي بفعل تلك المظاهر.

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها[1] من عقيرة	أُهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مُقَبِّل	ويلتمس الأركان منهن بالأيدي

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله تعالى:

وبعد أن فرغ منهم الشيطان في عبادة النبي ﷺ بما بالغوا فيه من تعظيمه ، انتقل بهم إلى عبادة الأولياء والصالحين ومشايخ الطرق والمخدومين ، ثم انتقل بهم إلى عبادة الأشجار والأحجار والمقامات المختلقة والقبور المزورة ، والمشاهد المكذوبة وغير المكذوبة.

ولقد حدثني ثقة من علماء الهند بقصة محصَّلها أن رجلاً من المسيحيين [2]كانت له مزرعة في الهند زمن الاحتلال البريطاني له ، وكان يعمل معه فيها شاب مسلم ، فمات كلب البريطاني فتأسف عليه وأمر الشاب أن يحفر له قبراً في المزرعة ، فدفنه فيه **ثم بنى عليه قبة** ، وبعد أن انتهى الاحتلال ارتحل البريطاني وانتقلت المزرعة إلى أيدي بعض المسلمين هناك ، فلما رأوا القبة ظنوا أنها على ولي **فعبدوها** ، وكانوا يقيمون لها **زيارة** ، وكان الشاب الذي حفر القبر وحضر القصة قد غاب عن ذلك البلد ، ثم عاد إليه بعد زمن طويل ، فرآهم يقيمون زيارة لتلك القبة ، فجاء وأخبرهم خبرها فكذبوه وضربوه ، فمكث حتى الليل وذهب فحفر تحت القبة حتى وجد عظام الكلب ورأسه ، فوضعها لهم على القبة ، ومن هنا نعلم مدى ما وصل إليه بعض المسلمين من الخذلان ، والعياذ بالله.[3]

ولو ذهبنا نستقرىء الأمثلة على مظاهر الغلو في أصحاب القبور لطال الكلام وملَّ القارئ ، ومن أراد الاستزادة فعليه بالمراجع التالية:

١. كتاب «دمعة على التوحيد» ، وهو من منشورات مجلة البيان بلندن ، وقد حوى مقالات مفيدة في مظاهر الغلو في القبور.

٢. كتاب «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر» لبخيت الزهراني

٣. «موالد مصر المحروسة» لعرفة عبده علي

---

[1] أي ساحات تلك القبور.

[2] الأولى أن يقال: (النصارى) ، هذا هو التعبير القرآني ، والنصارى يُسمُّون أنفسهم بالمسيحيين ، والمسيح من غلوهم فيه براء.

[3] أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة ، ص ٤٣٣ – ٤٣٤ .

٤. «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» لسعاد ماهر فهمي

٥. «السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر» ، لمحمد فهمي عبد اللطيف

٦. «الصوفية والسياسة في مصر» لعمار علي حسن

٧. «بدع الاعتقاد» لمحمد حامد الناصر

٨. «موالد الأولياء في مصر» لهيام فتحي دربك

٩. «الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة» للدكتور زكريا سليمان بيومي

١٠. الجزء السابع والعشرون من «مجموع فتاوى ابن تيمية»

١١. «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» لعبد الرحمن عبد الخالق

١٢. «اعترافات ... كنت قبوريا» لعبد المنعم الجداوي

١٣. «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمٰن الوكيل

١٤. «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» أو «تاريخ الجبرتي» لعبد الرحمٰن بن حسن برهان الدين الجبرتي[١]

١٥. «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» ، لمحمد عبد الرؤوف القاسم

١٦. «الأضرحة وشرك الاعتقاد» للدكتور عبد الكريم دهينة

١٧. «الآثار الإسلامية(!) في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي» ، لمصطفى عبد الله شيحة

١٨. «الوثنية في ثوبها الجديد» لسمير شاهين

١٩. مقال «تأملات في حقيقة أمر أولياء الله الصالحين» لحسين أحمد أمين

٢٠. مقال «المزارات في شرق الأردن»

[١] هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب في تاريخ مصر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري.

١. الانتفاع المادي من قِبل سدنة القبور
٢. الانتفاع المعنوي المتمثل بالوَجاهة (والشرف) اللذان يتمتع بهما القائمون على قبور (الأولياء) من السدنة ونحوهم
٣. تعظيم بعض الحكام للقبور
٤. تَبنِّي بعض (علماء) تلك البلاد لهذا الفِكر والدعوة إليه
٥. استفادة الحكام من مشائخ القبورية في تطويع الدين حسبما شاءوا لتحقيق مصالحهم الشخصية
٦. الاستغلال الحزبي السياسي لحشد التأييد الشعبي
٧. دعم المستعمرين (المُخرِّبين) لهذا الفكر لتحقيق مآربهم الاستعمارية
٨. دعوى المحافظة على (التراث)
٩. تناقل التراث العلمي (الهدام) الذي يقرر الغلو بالقبور جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، في الكتب والرسائل وغيرها
١٠. قلة العلم وكثرة الجهل
١١. تقليد الآباء والأجداد

لقد نَخَرَ الفِكر القبوري في جسد الأمة الإسلامية لعدة قرون ، وقد كان لهذا النَّخر أحد عشر رافدا ، هذا أوان الشروع في ذكرها:

١. **الانتفاع المادي من قِبل سدنة القبور** – وهم خُدامها والمتولين أمورها – وأهل البلد التي فيها قبور معظمة ، وكذا خِزانات بعض الدول!

أما السدنة ، فإن عوائد القبور عليهم تعتبر مصدر أساسي للرزق عندهم ، فالألوف من سدنة القبور تُصرف لهم إعانات مادية من وزارات الأوقاف والشؤون الاجتماعية كما يُصرف لغيرهم من أصحاب الوظائف الدينية كالقضاة والمدرسين وأئمة المساجد.

وهناك موارد أخرى غير رسمية تدخل عليهم من وراء رعايتهم وخدمتهم للقبور ، فالنذور والصدقات التي تُدفع لتلك القبور من قِبل زوارها الذين يأتونها من كل فج تعتبر دافعا هاما من دوافع استمرار السدنة في تلك الوظائف ، ناهيك عن الذبائح والأنعام التي تُساق إلى هناك ، وصدق الشاعر الكبير حافظ إبراهيم رحمه الله حين قال:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألفِ ألفٍ يُرزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرةٍ قامت على أحجارها الصلوات

أما عند تغيير كسوة الضريح وعِمامة الولي – مثلا – ، فالسَّدنة يقومون بعملية تجارية غير رسمية ، فإنهم يمزقون الكسوة والعمامة القديمتين إلى قُصاصات صغيرة ، ثم يبيعون هذه القصاصات نظير مبالغ كبيرة ، ولستُ بمفشٍ سرا إن قلت أن بعض سدنة القبور من أغنى الناس في تلك البلاد.[١]

هذا في سائر أيام السنة ، أما في أيام الموالد التي تقام تكريما لأصحاب تلك القبور والأضرحة فلا تسأل عن استفادة أهل تلك البلد – من غير السدنة – من الحركة التجارية التي ليس لها نظير في موسم المولد ، فالمطاعم والمقاهي تستقبل روادها على مدار الساعة ، ومبيعات البخور والعطور – المستعمل لتطييب الضريح – يَصل إلى أعلى معدلاته ، وكذا غيرُهم من التجار يستفيدون بما يدخل عليهم من رَيع

١ بتصرف من مقال «عاصفة الأوهام» لخالد محمد حامد ، وهو منقول برمته في كتاب «دمعة على التوحيد» ، والمنقول يقع في ص ١٧٣ .

الإيجارات وبيع السلع للزوار والسُياح (والحجاج) ، حتى إن بعض التجار يُعلقون أداء ديونهم على موسم المولد!

بل إن صناديق النذور والأوقاف التي تُوقف على تلك القبور تعتبر أحد الموارد الاقتصادية لبعض الدول التي فيها جمعٌ من تلك الأضرحة.

٢. العامل الثاني من عوامل بقاء الفكر القبوري هو **الانتفاع المعنوي المتمثل بالوَجاهة (والشرف) اللذان يتمتع بهما القائمون على قبور (الأولياء) من السدنة ونحوهم** ، فخادم الضريح له مكانة ووجاهة بما (تشرَّف) به من خدمة الضريح ، وبما انتقل إليه من بركة صاحب الضريح بسبب مجاورته لذاك الميت (ورضاه) عنه ، بل ربما تمسح بذلك الخادم بعض الزوار به (لنيل البركة).

ومن العجائب أن وجود الأضرحة في بعض المجتمعات ربما كان سبباً للفخر على مستوى البلد ، فأهل البلد التي فيها قبور ربما افتخروا بكثرة قبور (الأولياء) عندهم على من ليس عندهم قبور أو أقل منهم.

والحق أن وجود قبور الصالحين في بلد ما لا يُعدُّ مفخرة في دين الإسلام ، ولو كان الأمر كذلك لافتخر الصحابة في المدينة على من هم بخارجها بوجود القبر النبوي فيها وقبور الصحابة والتابعين وشهداء أحد التي تُعد بالألوف ، ولكن لم يكن من ذلك شيء ، بل إنهم لم يتعرضوا للقبر النبوي ولا غيره من القبور بشيء إطلاقا ، لا خدمة ولا كسوة ولا غير ذلك ، مع كونهم هم أعرف الناس بحقوق النبي ﷺ وحقوق الصحابة ، وهم أفضل الأمة إلى قيام الساعة.

٣. العامل الثالث من عوامل بقاء فِكر تعظيم القبور هو **تعظيم بعض الحكام للقبور** ، ولا يخفى على القارىء ما لِولاة الأمر من صلاحية ونفوذ لنصرة الحق أو الباطل إلا ما شاء الله ، ومن أولئك الحكام الذين عظموا القبور وشيدوها عبيد الله بن السري بن الحكم ، والي الأمويين على مصر ، فإنه أول من بنى ضريحا على قبر السيدة نفيسة بالقاهرة.[١]

والسلطان قلاوون الصالحي هو أول من أنشأ قبة على قبر النبي ﷺ ، وكان ذلك في سنة ٦٧٨ هـ.[٢]

---

١ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١ / ١٢٦) ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٧٩ .

قلت: ولهذا كان الدعاء لولاة بالهداية للحق من أهم الأمور عند أهل السنة والجماعة ، فإن الوالي إذا كان ضالا نشر ضلاله بقوة السلطان ، والله المستعان.

٢ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» ، ص ٨١ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٧٩ .

أما الدولة العثمانية ، فقد فاقت مصروفاتها على ضريح الجيلاني في السنة الواحدة ما كانت تصرفه على الحرمين الشريفين أضعافا مضاعفة.[١]

والعثمانيون –كما هو معلوم – اعتنقوا الإسلام على يد مشائخ الطرق الصوفية قبل استقرارهم في آسيا الصغرى[٢] ، وهم أصحاب الدعم القوي للغلو في القبور.

والسلطان سليم هو الذي بنى القبة على قبر ابن عربي بدمشق ، وكانت من قبل كهفا موحشا.[٣]

وعلى الجانب الآخر ، فلولاة التوحيد شأن آخر مع تعظيم القبور ، ومن ذلك ما كتبه الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى سليمان باشا – من ولاة الدولة العثمانية – ، قال فيه:

وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عام اثنين وعشرين[٤] رسالة لسلطانكم سليم ، أرسلها ابن عمه إلى رسول الله ﷺ يستغيث به ويدعوه ويسأله النصر على الأعداء من النصارى وغيرهم ، وفيها من الذل والخضوع والعبادة والخشوع ما يشهد بكذبكم.

وأولها: من عُبَيدك[٥] السلطان سليم وبعد: يا رسول الله ، قد نالنا الضر ، ونزل بنا من المكروه مالا نقدر على دفعه ، واستولى عُبَّاد الصلبان على عُبَّاد الرحمٰن ، نسألك النصر عليهم والعون عليهم ، وأن تكسرهم عنا ، وذكر كلاماً كثيراً هذا معناه وحاصله.[٦]

وهكذا بعض سلاطين دولة المماليك ، فالسلطان قايتباي – مثلا – كان كثير الإعجاب بالبدوي والاعتقاد فيه ، وقد زار ضريحه عام ٨٨٨ هجري ، ووسَّع في مقامه ، وشَّيد له المباني العظيمة ، وقد كان السلطان قايتباي هذا يعتقد في الشيوخ والأولياء عامة ، وكان كثير الانجذاب إليهم والإقبال عليهم.[٧]

---

١ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى «الانحرافات العقدية» ، ص ٣٠٨ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٨٠ .

٢ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى «الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة» ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٨٤ .

٣ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى «الانحرافات العقدية» ، ص ٣٠٨ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٨٠ .

٤ بعد المائة الثانية عشرة.

٥ انظر إلى التصريح بعبادة الرسول ﷺ !!!

٦ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٠٤).

٧ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى كتاب «السيد البدوي ودولة الدراويش» ص ١٤١ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٨٤ .

وفي المغرب عندما تولى السلطان الحسن بن محمد (المتوفى سنة ١٣١١هـ) مقاليد الحكم في بلاده ، سارع إلى تقديم الذبائح إلى الضريح الإدريسي.[١]

(وقد كان لسلاطين اليمن القدماء قَصَبُ السبق في هذا ، فالإمام عبد الله بن حمزة الذي عاش في آخر القرن السادس وأوائل القرن السابع هو أول من سَنَّ لأئمة الزيدية – أي حكامهم – سُنَّة البناء على المشاهد ، ولم يُسجل لأحد قبله شيء من هذا ، وأول قبة بنيت في حضرموت هي قبة السلطان مسعود بن يماني ، المتوفى سنة ٦٤٨هـ.

ومُعظم المشاهد المعظمة في الديار الزيدية هي للأئمة وحواشيهم ، وقل أن تجد مشهدا لرجل فقير أو ضعيف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، جعلوا الدين مطية للأطماع الشخصية.

والأدهى من هذا وأطم أن بعض علماء تلك الحقبة لما عجزوا عن دفع هذا المنكر ؛ ألِفوه واستحسنوه ، ومن هذا الشيخ يحيى بن حمزة الذي قال –كما نقل عنه الإمام المهدي في كتابه «البحر الزخار» –:

مسألة (ي): ولا بأس بالقباب والمشاهد على الفضلاء لاستعمال المسلمين ولم يُنكر.

ثم تبعه الإمام المهدي في كتابه «الأزهار في فقه الأئمة الأطهار».

وقد رد عليه الإمام الشوكاني رحمه الله في كتابه: «شرح الصدور في تحريم رفع القبور».

وكذلك سلاطين الدولة الأيوبية – وهم معاصرون للدولة الزيدية ومنافسون لهم – ، دُفن معظم سلاطينها في قِباب خاصة.

وعلى أنقاض الدولة الأيوبية جاءت الدولة الرسولية المنسوبة إلى مؤسسها نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٤٧ هـ) ، الذي رسَّخوا القبور في اليمن خلال قبور سلاطينهم ، وتبَنَّوا بناء بعض المشاهد على قبور من يُعتقد فيهم الصلاح ،كمشهد أحمد بن علوان).[٢]

٤. الرافد الرابع من روافد تعظيم القبور في بعض البلاد هو **تَبنِّي بعض (علماء) تلك البلاد لهذا الفِكر والدعوة إليه** ، وحدِّث عن آثار فساد عقائد العلماء على البلاد والعباد ولا حرج ، فزلل العلماء – بحسن نية أو سوء نية – هو الحِجاب الأكبر بين أكثر العوام وبين الفهم الصحيح لمقاصد الدين ، ونصوص الكتاب والسنة وما فيهما من الدين والهدى ، لأن الناس – في الغالب – تبعٌ لعلمائهم في

---

١ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى كتاب «الانحرافات العقدية» ، ص ٣٥١ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٨٥ .

٢ ملخص الصفحات ٢٦٣-٢٧٣ من كتاب (القبورية ، نشأتها ، آثارها ، موقف العلماء منها) للشيخ أحمد بن حسن المعلم حفظه الله ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

الأمور الدينية ، وقد حذَّر النبي ﷺ من زلة العالم ، فقد روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : إن أشد ما أتخوف على أمتي ثلاث: زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تُقَطِّع أعناق الرجال.[١]

كما حذر النبي ﷺ من الأئمة المضلين ، أي علماء السوء – فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين.[٢]

وقال عمر رضي الله عنه: يُفسد الزمان ثلاثة: أئمة مضلون ، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق ، وزلة العالم.[٣]

٥. العامل الخامس من عوامل بقاء فِكر تعظيم القبور هو **استفادة الحكام من مشائخ القبورية في تطويع الدين حسبما شاءوا لتحقيق مصالحهم الشخصية** ، كأعياد الميلاد وأبهة السلطان وليقال أنه رجل صالح يحب الأولياء[٤] ، بمقابل مادي أو بغير مقابل ، فقد "كانت الصوفية في عهد المَلَكية في مصر تُضفي طابَعاً دينيا على المناسبات الخاصة المتعلقة بالحكام كالاحتفال بعيد ميلاد الملك ، وإحياء الذكريات الحزينة لوفاة من يموت من الأسرة الملكية ، وبالمقابل تتلقى تلك الطرق من الحكام ما تتلقاه من المكافآت المادية والمعنوية.

ولهذا بُسِطت حماية رسمية على تلك الطرق الصوفية ورموزها وأوقافها ، ومُهِّدت لها طرق الانتشار والتغلغل الآمِن في الأوساط العامة ، ولو بدون اقتناع بتلك الطرق من الساسة[٥].[٦]

بل قد استغل الحكام بعض علماء الصوفية القبورية لإلهاء الشعب عنهم ، كما قال الباحث علي بن بخيت الزهراني حفظه الله: وكان كثيرٌ من الملوك والحكام في ذلك الزمن يلجئون إلى عمارة تلك الأضرحة

---

١ خرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣١١) ، (١٠٣١٣) ، وقد أعله الدراقطني مرفوعا ، ورجحه موقوفا كما في «العلل المتناهية» لابن الجوزي ، ص ١٣٩ .

٢ رواه أبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذي (٢٢٢٩) ، وأحمد (٢٧٨/٥) ، وصححه الألباني.

٣ رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٨٣٣).

٤ سيأتي بعد قليل ذكر استغلال مشائخ القبورية لتحقيق المصالح السياسية.

٥ فكيف إذا كان باقتناع؟!

٦ من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، وهو منقول في كتاب «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ ، بتصرف يسير.

والإنفاق عليها ليس إيماناً بها بقدرِ ما كان إرضاءً لمشاعر الناس ومحاولةً لكسب ولائهم والعمل على إلهائهم بتلك الأضرحة التي تعبد من دون الله عز وجل.

لقد كان ذلك علامة على صلاح وعدل من يفعله من الحكام والأمراء ، فمن كان منهم مكرِّماً للأولياء – بزعمهم – يبني الأضرحة على قبورهم ، ويُـشَـيِّد القباب عليها ، ويزور تُـربَـهم ويمرغ خديه على عتباتهم ، فهو الحاكم الصالح المحبوب عند رعيته ولو كان من أظلم الظالمين.[1]

٦. العامل السادس من عوامل بقاء فِكر تعظيم القبور هو **الاستغلال الحزبي السياسي لحشد التأييد الشعبي** ، فقد استغل العلمانيين والشيوعيين الطرق الصوفية (والتي من أهم مبادئها تعظيم القبور) **التي خدَّرت مشاعر الناس** وصرفت أنظارَهم عن مزاحمتِهم أو حتى الإنكار عليهم ، وذلك باسم التوكل والإيمان بالقدَر والزهد وترك مباهج الحياة والانصراف عن الدنيا ، فحزب «الوفد» العلماني استفاد من «الطريقة البغدادية» وشيخها سيد عفيفي البغدادي لحشد التأييد الشعبي له ، وكذا استفاد من «الطريقة العفيفية» وشيخها عبد العزيز عفيفي لحشد التأييد الشعبي له أيضا ، بل بلغت المهزلة إلى حد أن تولى مشيخة تلك الطريقة بعد وفاة شيخها أحد أعضاء هذا الحزب العلماني وهو أحمد الساكت![2]

ليس العلمانيون فحسب ، بل قد وجد الاشتراكيون في مصر ضالتهم عند هؤلاء القبوريون السُّذج ، ولهذا لما قامت الثورة الاشتراكية ، جعلوا منصب شيخ مشائخ الطرق الصوفية لا يتولاه أحد إلا بقرار من الحاكم السياسي ، وليس بقرار من «المجلس الصوفي الأعلى» كما كان الأمر من قبل.[3]

وبعد صِدام الثورة مع جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤ م ، أدرك النظام أنه لابد من إيجاد بديل يُـقَـدَّم للناس على أنه التدين الذي تقبله الدولة ، فأقدم عبد الحكيم عامر على إقالة شيخ مشايخ الطرق المنتخب (أحمد الصاوي) ، وعيَّن (محمد محمد علوان) شيخ مشايخ الطريقة الخلوتية شيخاً عاماً للطرق الصوفية منذ أن طُبقت لائحة المجلس الصوفي الأعلى عام ١٩٠٣م ، وتم هذا في إطار نظام إصلاح

---

١ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى كتاب «الانحرافات العقدية» ، ٢٩٦ – ٢٩٧ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ١٨٦ .

٢ من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٧ .

٣ من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٨ .

الطرق الصوفية الذي تولى عبد الحكيم عامر الإشراف عليه ، وقد استسلمت جماهير الطرقيين للمصلح الجديد (عبد الحكيم عامر) ، واستكانت لتوجيهاته طوعاً أو كرها ، خاصة بعد أن رأوا كيف فعلت الثورة بأكبر وأقوى تجمع إسلامي في مصر ، وهم الإخوان.

ثم أصبح للطرق الصوفية مجلة تصدر عن مجلسهم الأعلى ، وكانت شبه ناطقة باسم الحكومة ، ومسوِّغة لكل إجراءاتها الثورية الاشتراكية.

لقد وجد كثير من الناس في الطرق الصوفية سبيلاً إلى ممارسة التدين بطريقة مأمونة تحت المظلة الحكومية ، فانتعش الوجود الصوفي الطُّرقي في تلك الحقبة ، بكل ما يعنيه وما يترتب عليه من انتشار الخرافة والدجل والبدعة ، التي لا يؤمِن بها الثوريون أصلاً ولا بغيرها من قيم الدين الصحيحة ، ولكنهم وجدوا في الصوفية ضالتهم إلى إفراغ الإسلام من محتواه الإصلاحي الحقيقي ، لتصنع منه خادماً لأصول الاشتراكية الثورية.

ولما أثبتت الصوفية جدارتها وصدقها مع الحزب الاشتراكي ، دفعت السلطة بحزبها السياسي الوحيد في ذلك الوقت وهو (الاتحاد الاشتراكي) لكي يستغل احتفالات الصوفية ونشاطاتها ليوزع المنشورات ويطلق الشعارات وربما الشائعات للدعاية للنظام.

وظلت السلطة مستمرة في دفع عجلة الصوفية للأمام على حساب الاتجاهات الدعوية الأخرى ، حتى إنها صدَّرت رجلاً من رجالها وهو (أحمد رضوان) وأقحمته لرئاسة مشيخة الطريقة (الخلوتية) التي كانت تدعمها الحكومة أكثر من غيرها.

ولما توفي الشيخ الحكومي سنة ١٩٦٧م بُني له ضريح ، ونُسِجت حوله الأساطير ، وأُسنِدت إليه الكرامات والخوارق والمعجزات ، التي ربما لم يُسمع عنها لغيره ، وربما لم يَعلم هو عنها شيئاً طيلة حياته.

وقد استمر الدعم الحكومي للطُّرُقية بعد عهد عبد الناصر ، حتى أصبحت الطرق الصوفية التي تَقرُب من الخمسين طريقة هي النشاط الديني الوحيد التابع لرئاسة الجمهورية رأساً ، وله ميزانيته الخاصة في الدولة.[1]

---

١ بتصرف يسير من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .

بل قد استغل السياسيون الفكر القبوري لضرب الاتجاهات الدينية المعارضة لهم ، "فـرُغم إعلان السياسيين العلمانيين أن «لا دين في السياسة ، ولا سياسة في الدين» ، إلا أننا رأيناهم يدعمون القبوريين بانتهازية واضحة ، باعتبارها مظهراً من (مظاهر الدين) يمكن ضرب الصحوة الإسلامية به.

يقول الباحث عمار على حسن: النظام الحاكم كان معنياً بدرجة كبيرة أن يقدم نفسه في صورة المدافع عن الإسلام في وجه جماعات (العنف والإرهاب) ودعاة (التطرف والخروج) ، فالاستراتيجية التي تبنتها الحكومة لم تقابل أفكار الجماعات الإسلامية بأفكار علمانية ، **ولكن كانت الخطة هي منافسة هذه الجماعات داخل مساحة الإسلام نفسها** ، لتمييع الموقف وسد الطريق أمام هذه الجماعات ، ولذا نجد أن الخطاب الذي واجه به نظام مبارك هذه الجماعات كان خطاباً دينياً أيضاً يعتمد على طرح ديني مغاير ، ويجعل الصراع بين الجماعات والحكومة ليس صراعاً بين الإسلام و (اللا إسلام) ، ولكنه صراع على تطبيق (الإسلام الصحيح) ، والذي يرى كل منهما أنه هو الذي يمثله.

على هذا الأساس خُلِقت الظروف الملائمة لتحالف النظام مع الصوفية ضد الجماعات الإسلامية ، فالنظام يلتحف بها باعتبارها طرحاً دينياً له مكانته لدى المصريين ، ليُـحسن صورته أمام الرأي العام بأنه يحترم حدود الدين ، والصوفية تحتمي بالنظام من جماعات الإسلام السياسية التي تهدد الصوفية بحرق وتدمير الأضرحة ، وتسعى إلى تقويض أركان التصوف من منبعه ، ومن هذا المنطلق استمر المسئولون في حرصهم على حضور الحفلات الصوفية المختلفة في كافة أنحاء مصر.[1]

٧. العامل السابع من عوامل بقاء الفكر القبوري **دعم المستعمرين (المُخرِّبين) لهذا الفكر لتحقيق مآربهم الاستعمارية** ، فلم يكن المحتلون الإنجليز والفرنسيين (قبل الساسة) أقل ذكاءً عن الأحزاب السياسية الحاكمة بغير ما أنزل الله ، فإن الإنجليز لما أدركوا دور الفكر الصوفي في تخدير مشاعر الناس وصرف الأنظار عن مزاحمتهم أو حتى الإنكار عليهم باسم التوكل والإيمان بالقدَر والزهد وترك مباهج الحياة والانصراف عن الدنيا ؛ اجتهدوا في دعم الفكر الصوفي القبوري ليحتلوا بلاد المسلمين ، ويستبشروا بموقف خنوعي خضوعي للمحتل الأجنبي بخلفيات قدَرية إتكالية استسلامية ، "ولهذا حرصت سلطات الاحتلال في مصر وغيرها على إطلاق يد الطرق الصوفية في ممارسة أنشطتها ، وقد ساعد على ذلك سيطرة سلطات الاحتلال على وزارة الداخلية ، مما مكنها بالتالي من السيطرة على

---

١ عزاه صاحب المقال المنقول منه إلى كتاب «الصوفية والسياسة في مصر» ، ص ١٠٣ – ١٠٤ ، باختصار وتصرف يسير ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ١٨٦ – ١٨٧ .

تلك الطرق ومعرفة تحركاتها وأساليبها وتوجيهها إلى الوجهة التي تضمن للمحتل خدمات أكثر ، فما كان من سلطات الاحتلال إلا أن احتضنت الطرق الصوفية في البلاد التي بسطت سلطانها عليها"[1] ، فسهُلت السيطرة على تلك البلاد.

وقد قام أولئك القبوريون الدراويش برد الجميل لأولئك المحتلين الغزاة ، فكانوا يُضفون الشرعية على وجودهم ، يسوِّغون للناس بقاءهم ، ووصل الأمر إلى أن بعض مشايخ الصوفية في مصر قاموا بجمع توقيعات أثناء ثورة ١٩١٩م **تطالب ببقاء الإنجليز في مصر!** وكان من هؤلاء شيخ الطريقة (السمانية): محمد إبراهيم الجمل.[2]

ومن أمثلة ذلك في الواقع القصة التي تقدم ذكرها عند احتلال فرنسا للقيروان في تونس ، وكذلك القصة التي ذكرها الباقوري عن أحد كبار المستشرقين في وصف أساليب استغلال المستعمرين للفكر الصوفي القبوري لتسهيل مهماتهم، وقد تقدم ذكرهما في الفصل السابق: أثر الفكر القبوري على عمارة الأرض.

وقال الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي[3] رحمه الله:

«وسِرْ ما شئت في جميع الأوقات، وفي جميع طرق المواصلات ترَ القبابَ البيضاء لائحة في جميع الثنايا والآكام ورؤوس الجبال، وسلْ تجد القليل منها منسوبًا إلى معروفٍ من أجداد القبائل، وتجد الأقلّ مجهولًا، والكثرة منسوبة إلى **الشيخ عبد القادر الجيلاني**.

واسأل الحقيقة تجبك عن نفسها بأن الكثير من هذه **القباب إنما بناها المُعَمِّرون الأوربيون[4] في أطراف مزارعهم الواسعة**، بعد ما عرفوا افتتان هؤلاء المجانين بالقباب، واحترامهم لها، وتقديسهم للشيخ عبد القادر الجيلاني، فعلوا ذلك لحماية مزارعهم من السرقة والإتلاف، فكل مُعَمِّر[5] يَبني قبة أو قبّتين من هذا النوع يأمن على مزارعِهِ السرقة، ويستغني عن الحرّاس ونفقات الحراسة، ثم يترك لهؤلاء العميان –

---

١ من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٥ .

٢ من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، انظر «دمعة على التوحيد» ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

٣ تقدم التعريف به.

٤ المُعَمِّرون هم أناس مدنيون أتت بهم فرنسا للاستثمار في الجزائر، ومنحتهم أراضي وبيوت الجزائريين، ووظفوا لهم من الجزائريين عمالا يعملون عندهم في مزارعهم وأعمالهم.

٥ أي المُستعمر.

الذين خسروا دينهم ودنياهم – إقامة المواسم عليها في كل سنة، وإنفاق النفقات الطائلة في النذور لها، وتعاهدها بالتبييض[1] والإصلاح.

وقد يَحضُر المُعَمِّر معهم الزَّردة[2]، ويشاركهم في ذبح القرابين، ليقولوا عنه إنه مُحَبٌّ في الأولياء[3]، خادمٌ لهم، حتى إذا تمكّن من غرس هذه العقيدة في نفوسهم راغَ عليهم نزعا للأرض من أيديهم، وإجلاءً لهم عنها، وبهذه الوسيلة الشيطانية استولى المُعَمِّرون على تلك الأراضي الخصبة التي أحالوها إلى جنات، زيادة على الوسائل الكثيرة التي انتزعوا بها الأرض من أهلها»[4].

قلت: الفرنسيون فعلوا هذه الخرافة ليس عن اقتناع بها، بل هو من باب الحيلة على الجزائريين حتى يمتنعوا عن التعدي على ممتلكات أولئك المعمِّرين، التي هي في الحقيقة أراضي الجزائريين، سلبها الفرنسيون المستعمرون وأعطوها للمعمِّرين ليستثمروها في الزراعة.

فانظر إلى أيِّ حدٍّ وصل تأثير الخرافة على هؤلاء الصوفية القبورية المنتسبين للإسلام، أضاعوا التوحيد، فأضاعوا دينهم ودنياهم.

***

وقال أيضا رحمه الله:

«كان من وسائل فرنسا لإفساد المعنويات هذه الأعمال التي نذكرها مسرودة – وذكر منها –:

حماية الدجّالين والمضلّلين باسم الدين من شيوخ الطرق الصوفية، **وقد جنت فرنسا من هؤلاء كل خير لنفسها**، فقد كانوا **مطاياها** وجنودها الروحيين في احتلال الأوطان الإسلامية، ويقول بعض المغفلين إنهم هم الذين نشروا الإسلام في أواسط إفريقيا وفي السودان، وهذا تخليط، فإن الذين نشروا الإسلام في تلك الأصقاع هم طائفة من أجدادهم الصالحين بمعونة التجّار، أما هؤلاء الأحفاد **فما نشروا إلا الاستعمار الفرنسي**»[5].

---

[1] أي صبغها باللون الأبيض.

[2] الزَّردة نوع من الاحتفالات تقام عند قبور من يوصفون بالأولياء، ويطاف في تلك الاحتفالات بقبورهم، وتُذبح لهم الذبائح تقربا إليهم، ثم يُطبخ الطعام، ويوزعونه على الحاضرين، وأهل الحق والتوحيد يسمون هذه الاحتفالات بأعراس الشيطان لما يقع عندها من البدع والشرك.

[3] أي أن الأولياء المقبورين يحبونه.

[4] «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٣/٣٢١)، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي حفظه الله.

[5] «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٥/٧٩).

***

وقال أيضا رحمه الله:

«فأجمَعنا في معرض الرأي الفاصل على أننا أمام استعمارين يلتقيان عند غاية، أحدهما استعمار روحاني داخلي يقوم به جماعة من إخواننا الذين يصلون لقبلتنا باسم الدين، وغايتهم استغلال الأمة، ووسيلتهم صَدُّ الأمة عن العلم، **حتى يستمرّ لهم استغلالها**، وهؤلاء هم مشائخ الطرق الصوفية التي شوّهت محاسن الإسلام.

والثاني استعمار مادي تقوم به حكومة الجزائر باسم فرنسا، وغايته استغلال الأمة، ووسيلته سد أبواب العلم في وجه الأمة حتى يتم لها استغلالها، والاستعماران يتقارضان التأييد[1]، ويتبادلان المعونة، كل ذلك على حساب الأمة الجزائرية المسكينة، أولئك يضلّونها، وهؤلاء يذلّونها، وجميعهم يستغلّونها.

كنا نتّفق على هذا، ولكننا نجمل الرأي في أي الاستعمارين يجب أن نبدأ بالهجوم عليه، ولم يكن من الصعب علينا الاتفاق على الهدف الأول للهجوم، **فاتفقنا على أن نبدأ بالهجوم على الاستعمار الأول وهو الطرق الصوفية**، لأنها هي **مطايا الاستعمار الفرنسي** في شمال أفريقيا ووسطها وغربها، ولولاها لم يتم له تمام»[2].

***

وقال الباحث أحمد طالب الإبراهيمي في كتابه « آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي»:

«قضى الإمام الإبراهيمي أزهر مراحل عمره في تحرير عقول الجزائريين وتغيير ما بأنفسهم، وقد عمل في سبيل هذا الهدف في عدّة جبهات – وذكر على رأسها فرقة الصوفية فقال –:

جبهة الطُّـرُقية المنحرفة وعلماء الدين الرسميين، الذين ضلّ سعيهم، واتخذوا الفرنسيين أولياء لهم، ورَضُوا بالدَّنِـيَّـة في دينهم، وأَوحوا إلى الشعب الجزائري أن الاستعمار قضاءٌ وقدرٌ لا مرَدَّ له، وأن رَفْـضَـهُ ومقاومته محادة لله، وكذبوا، وصدق الله القائل عن نفسه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ}، وهل يوجد من

[1] أي يقرض كل واحد منهما الآخر، ثم يرده بعد حين، والمقصود أن كل واحد يؤيد الآخر، ثم الآخر يؤيده، حتى تسير أمورهما وِفق ما أرادا.

[2] «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٥/١٤١).

هو أفحش من الاستعمار الفرنسي الذي اغتصب البلاد، واستعبد العباد، وأهان الدين، وانتهك الأعراض، ونشر الجهل، وحرَّم العلم، وأمر بالمنكر ونَهَى عن المعروف؟»[1].

***

وقال الإمام الإبراهيمي رحمه الله:

«إبحثوا في تاريخ الاستعمار العام، واستقصوا أنواع الأسلحة التي فتك بها في الشعوب، تجدوا فتكها في استعمال هذا النوع الذي يسمّى "الطرق الصوفية"، وإذا خفي هذا في الشرق، أو لم تظهر آثاره جلية في الاستعمار الانكليزي، **فإن الاستعمار الفرنسي ما رَسَتْ قواعده في الجزائر وفي شمال أفريقيا على العموم وفي أفريقيا الغربية وفي أفريقيا الوسطى إلا على الطرق الصوفية وبواسطتها**، ولقد قال قائد عسكري فرنسي معروف كلمة أحاطت بالمعنى من جميع أطرافه قال:

"إنَّ كَسْب شيخٍ طريقة صوفية أنفعُ لنا من تجهيز جيشٍ كامل، وقد يكونون ملايين، ولو اعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيوش **لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشيخ**، على أن الخضوع لقوّتنا لا تؤمن عواقبه لأنه ليس من القلب، **أما كلمة الشيخ فإنها تجلب لنا القلوب والأبدان والأموال أيضًا**".

هذا معنى كلمةِ القائد الفرنسي وشرحِها، ولعمري إنها لكلمة تكشف الغطاء عن حقيقة ما زال كثير من إخواننا الشرقيين منها في شك مريب....

وما زال الاستعمار بالجزائر يسمّي هؤلاء المشائخ "**أحباب فرنسا**"»[2].

***

وقال الشيخ أحمد حماني[3] رحمه الله:

---

[1] «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٥/١٨).

[2] «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٥/١٤٣).

[3] هو أحمد بن محمد بن مسعود حماني، تتلمذ على يد العلامة ابن باديس ثم رحل إلى تونس للتعلم في جامع الزيتونة حتى مرحلة الدراسات العليا.

امتاز بالجد والمثابرة والجد في طلب العلم مما أورثه علما جما، مما أهله ليعين رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى، ثم رئيسا لجمعية علماء المسلمين، توفي رحمه الله سنة ١٤١٩ هجرية.

ترك الشيخ مؤلفات مطبوعة ومخطوطة، ومجموعة كبيرة من المقالات منها: «صراع بين السنة والبدعة» و «رسائل الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية» و «فتاوى الشيخ أحمد حماني».

مصدر ترجمته: كتاب «العلامة أحمد حماني شيخ الإفتاء في الجزائر» تأليف محفوظ بن صغير، دار الوعي – الجزائر.

وكانت عبادة الأضرحة قد ازدهرت في ظل الاستعمار حتى بلغ الأمر بالمعمِّرين الكبار أن يجعلوا في حقولهم ضريحا لـ (سيدي عبد القادر) يحرس لهم أموالهم، ويخافه العامة أكثر من خوفهم من الله، ويكون (حارسا) لما نهبوه من الشعب.[1] انتهى.

***

وقال الباحث د. علي بن محمد الدخيل الله، في كتابه «التيجانية»:

«وفي رسالة للمارشال ((بوجو)) أول حاكم فرنسي للجزائر إلى شيخ الطريقة التيجانية، ذات النفوذ الواسع جاء فيها: «أنه لولا موقف الطريقة التيجانية **المتعاطف** لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتوحة حدثاً أصعب بكثير مما كان»[2].

***

٨. العامل الثامن من عوامل بقاء فكر تعظيم القبور هو **دعوى المحافظة على (التراث)** ، فبعض (المثقفين) يطالبون بالمحافظة على تلك الأضرحة التي يُشرَك عندها بالله العظيم ، بدعوى المحافظة على التراث ، مصادِمين بذلك أمر الله وأمر رسوله بهدم ما بُني على القبور المعظمة وطمس معالمها ، والتي تقدم في مظهر «البناء على القبور» ذكر جملة منها.

٩. العامل التاسع من عوامل بقاء فكر تعظيم القبور هو **تناقل التراث العلمي (الهدام) الذي يقرر الغلو بالقبور جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، في الكتب والرسائل وغيرها** ، والمحتوي علي الشبهات العقلية والأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تقرر الغلو بالقبور ، وبثها بين الناس ، الذين هم أصناف ، منهم الذي يطلب الحق ولا يعرف أين يجده ، ومنهم الذي يطلب الحق ويعرف أين يجده ، ومنهم الجاهل الذي يطلب الحق وعنده من يدله عليه ، ومنهم الجاهل الذي يطلب الحق وليس عنده من يدله عليه ، ومنهم العالم الذي يعرف الحق ويدل عليه ، ومنهم العالم الذي يعرف الحق ويعرض عنه ، ومنهم العالم الذي يعرف الحق ويعرض عنه ويصد الناس عنه تعصبا لهواه وشيطانه.

أقول: ومما ساعد على انتشار تراث القبورية الهدام عدم وجود الرقابة العلمية على التراث من قبل كثير من الدول الإسلامية ، والتي من واجبها منع الكتب التي تخالف عقيدة الإسلام.

---

[1] «فتاوى الشيخ العلامة أحمد حماني»، جمع وتقديم مصطفى صابر، الناشر: عالم المعرفة – الجزائر.

[2] «التيجانية»، علي بن محمد الدخيل الله، ص٦١، دار طيبة، الرياض.

ولتمام الفائدة ، فهذا ذكر لشيء من بعض الكتب التي تقرر الغلو في القبور ، والتي انتشرت بن المسلمين في بلاد وأزمان متفرقة ، ذكرتها هنا للعلم والحذر:

١. «شفاء السقام في ذكر خير الأنام» لتاج الدين السبكي الشافعي ، وقد رد عليه ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي في الرد على السبكي».
٢. «تحفة الزوار لقبر النبي المختار» لابن حجر الهيتمي.
٣. كتب داود بن جرجيس العراقي ، وقد رد عليه عدد من أئمة الدعوة النجدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري.
٤. «مفاهيم يجب أن تصحح» ، لمحمد بن علوي المالكي ، إمام الصوفية في الحجاز ، وقد هلك غير مأسوف عليه عام ١٤٢٥ ، وقد رد عليه عدد من المشائخ ، ولعل أفضل الردود رد الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ برد علمي رصين ووسمه «هذه مفاهيمنا».

وقد رد أهل السنة بردود علمية كثيرة على أمثال هؤلاء ، وقد ذكرتهم في آخر ملحق (التحذير من الشبهات).

١٠. العامل العاشر: **قلة العلم وكثرة الجهل** ، فالجهل رافد قوي من روافد انتشار الخرافة حتى في الرسالات السابقة ، لاسيما الجهل بمعنى توحيد العبادة وشروطه ونواقضه ، قال تعالى عن بني إسرائيل ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا يقبض العلم انتزعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهالاً ، فسُئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا.[١]

وعن عبد الله بن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهما قالا: قال النبي ﷺ : إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ، ويُرفع فيها العلم ، ويكثر الهَرج[٢].[٣]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة ، يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ، ويتخذها الناس سُنة ، فإذا غُيرت قالوا: غُيرت السُّنة.

---

١ رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) وغيرهما.

٢ الهرج أي القتل.

٣ رواه البخاري (٧٠٦٣) ، ومسلم (٢٦٧٢) وغيرهما.

قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمٰن؟
قال: إذا كثرت قراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتُسمت الدنيا بعمل الآخرة.[1]

١١. العامل الحادي عشر: **تقليد الآباء والأجداد** ، وهذا العامل من أقوى العوامل التي يتمسك بها العوام في السير على ما هم عليه ، سواء كان حقا أم باطلا ، والواجب هو معرفة الحق بدليله ، وألا يكون الإنسان إمَّعة[2] ، إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساؤوا أساء ، قال الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهما الله تعالى:
والعادة ملاّكة[3] ، تَـقلب الشَّين زيناً ، ولم تُعادَى الرسل بشيءٍ قط أعظم من العادة.[4]
وصدق رحمه الله ، فقد قال تعالى واصفا حال المشركين وحجتهم في شركهم ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ ، وقال تعالى عنهم ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾ ، وقال تعالى عنهم ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباءكم في ضلال مبين﴾ ، وقال تعالى عنهم ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله: وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين بتقليدهم لآبائهم الضالين ليس المقصود به اتباع الحق والهدى ، وإنما هو تعصُّبٌ محضٌ يراد به نُصرة ما معهم من الباطل.[5]

---

١ رواه الدارمي في «المقدمة» ، باب (٢٢) تغير الزمان وما يحدث فيه.
٢ الإمعة هو الذي يقول لكل أحد: (أنا معك) ، ولا يثبت على شيء لضعف رأيه . انظر «المعجم الوسيط».
٣ أي تملك سلوك الشخص وتسيطر عليه.
٤ «الدرر السنية» ، (١/ ٢٧٨).
٥ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» ، سورة الزخرف: ٢٣ .

ترتفع الخرافة إلى ذروتها حينما يعمد القبوريون إلى تعيين تخصصات للأضرحة ، فطلب الشفاعة هو مطلب الجميع ، غير أن بعض قبور الأولياء مشتهر بتحقيق رغبات النساء ، كالزواج للعوانس ، والإنجاب للعاقرات[١] ، وآخر لشفاء أمراض الأطفال ، وآخر لشفاء أمراض الروماتيزم[٢].

وفي هذا النوع من الخرافة يقول الباحث علي الزهراني حفظه الله معلقا:

وهكذا انصرف الناس إلى خدمة الأموات بإعمار أضرحتهم وبناء القباب عليها ، وصرفوا جهودهم وأموالهم ، وكان ذلك على حساب الاهتمام بخدمة الأحياء بالتربية والتعليم ، وتوفير وسائل العيش الكريم لهم ، وتقوية الأمة التي كان أعداؤها في الخارج يتربصون بها الدوائر.[٣]

وهذا الاعتقاد ناشيء عن قصور كبير في الإيمان بإسم الله تعالى (الشافي).

بل قد هيَّأ هذا الانحراف العقدي الخطير الناس في القرن الهجري الماضي لهيمنة الغزو العسكري الصليبي ، لأن أهل البلد اعتمدوا على الموتى لحفظ بلادِهم ، فوكَلهم الله إليهم ، ومن ذلك – مثلا – أن الإنجليز لما أدركوا دور الفكر الصوفي القبوري في تخدير مشاعر الناس وصرف الأنظار عن مزاحمتهم أو مجرد الإنكار عليهم باسم التوكل والإيمان بالقدَر والزهد وترك مباهج الحياة والانصراف عن الدنيا ؛ اجتهدوا في دعم الفكر القبوري ليطرحوا المسلمين أرضا ، ويستبشروا بموقف خُنوعي خُضوعي للمحتل الأجنبي بخلفيات قدَرية إتكالية استسلامية ، "ولهذا حرِصت سلطات الاحتلال في مصر وغيرها على إطلاق يد الطرق الصوفية في ممارسة أنشطتها ، وقد ساعد على ذلك سيطرة سلطات الاحتلال على وزارة الداخلية ، مما مكنها بالتالي من السيطرة على تلك الطرق ومعرفة تحركاتها وأساليبها وتوجيهها إلى الوجهة التي تضمن للمحتل خدمات أكثر."[٤]

ومن أمثلة ذلك أيضا عند الفرنسيين ما ذكره مصطفى كامل بطل الوطنية المصرية في كتابه «المسألة الشرقية» ، فقد ذكر قصة غريبة ، قال:

---

١ عزاه خالد أبو الفتوح ، كاتب مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، إلى كتاب «الانحرافات العقدية» ، ص ٣٣٦ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٨٤ .

٢ قاله خالد أبو الفتوح في مقاله «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٨٢ .

٣ عزاه كاتب مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» إلى كتاب «الانحرافات العقدية» ، ص ٣١٠ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٨٥ .

٤ قاله عبد العزيز مصطفى في مقاله «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، انظر كتاب «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٥ .

ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس أن رجلاً فرنسياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي ، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية ، وعُين إماماً لمسجد كبير في القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنساويون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه ، فدخل (سيد أحمد) الضريح ، ثم خرج مهوِّلاً بما سينالهم من المصائب ، وقال لهم: إن الشيخ ينصحكم بالتسليم ، لأن وقوع البلاد صار محتماً ، فاتَّبع القوم البسطاء قوله ، ولم يُدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع ، بل دخلها الفرنساويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١م.[١]

أقول: انظر أيها القارىء الكريم كيف اعتقد أولئك الدراويش في هذا الميت أنه يعلم الغيب من حيث لا يدرون.

وقال الشيخ عبد العزيز بن فيصل الراجحي حفظه الله:

وقد سعى النصارى الصليبيون في القرن الماضي في نشر هذه الخرافات ، وصرفوا الناس عن دينهم إلى الوثنية ، وعما يجب عليهم تجاه أولئك المستعمرين ، بتزيين ما يفعلونه عند القبور.

حتى إن بعض الجزائريين أخبرني أن الفرنسيين لما استولوا على الجزائر كانوا يعمدون إلى بعض المشاهد والأضرحة التي يُنسب أصحابها إلى الصلاح ، فيجمعون الناس لها ثم يوجهون المدفع إليها ، مُظهرين لهم أنهم يريدون إصابته وتدميره ، وقد ملؤه بارودا دون ذخيرة – مكرا – ، ثم يطلقون عليه ، فيدوي صوت المدفع ، حتى يَخال[٢] الحاضرون أنه قد أصابه ، ثم ينظرون فإذا هو باق مكانه ،فيزيد تعلقهم به واعتقادهم فيه!

وذكر الشيخ أحمد بن حسن الباقوري المصري الأزهري (ت ١٤٠٥هـ) في فتوى له في النهي عن زخرفة القبور وبناء القباب والمساجد عليها أن أحد كبار الشرقيين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا ، فكان مما ذكره له أن المستعمرين كانوا يضطرون إلى تحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد لهم فيه حاجة وغاية ، فكانوا يسعون جاهدين في صرف القوافل عن اتجاهها الأول إلى الاتجاه الجديد ، فلا يستطيعون ذلك ، حتى اهتدوا إلى حيلة جعلت تلك القوافل تغير اتجاهها إلى وجهتهم المرادة ، فأقاموا عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في ذلك الطريق المراد سلوكه ، ثم أشاعوا الشائعات أن في تلك الأضرحة أولياء صالحين ، وأنه قد شوهد من كراماتهم كذا

---

[١] عزاه كاتب مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» إلى كتاب «التصوف بين الحق والخلق» ، لمحمد فهر شقفه ، ص ٢١١ ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٧٧ – ٧٨ .

[٢] أي: يظن.

وكذا ، فانتشرت الإشاعات في الآفاق ، وذاعت الأخبار في كلِّ مصرٍ وعراقٍ ، فصارت تلك الطرق عامرة مأهولة!

وقد ذكر هذه القصة الشيخ الألباني رحمه الله ، وعزاها إلى الباقوري كما في «تحذير الساجد» ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .[١]

وقد قام أولئك القبورية الدراويش ببذل المزيد من الخنوع والخضوع لأولئك المحتلين الغزاة ، فكانوا يُضفون الشرعية على وجودهم ، ليُسوِّغوا للناس بقاءهم ، ووصل الأمر إلى أن بعض مشايخ الصوفية في مصر قاموا بجمع توقيعات أثناء ثورة ١٩١٩ م تطالب ببقاء الإنجليز في مصر! وكان من هؤلاء شيخ الطريقة (السمانية): محمد إبراهيم الجمل.[٢]

فالحاصل أن تعظيم القبور والأضرحة قد كان سببا رئيسا لتسلط الأعداء على المسلمين ، وتعطيل عمارة الأرض بالإسلام بما يزيد عن قرن من عمر الأمة الإسلامية ، والله المستعان.

١ «مجانبة أهل القبور ، المصلين في المشاهد وعند القبور» ، ص ٣٣٧ – ٣٣٩ .

٢ بتصرف يسير من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

- تعريف الشبهة
- لكل شبهة جواب
- الشبهات تتجدد ولا حدَّ لها
- عند ظهور الشبهات تتجلى حكمة الابتلاء للمؤمنين ، ويظهر الدين
- أقسام من يُروِّج الشبهات
- أخطر الشُّبه هي الشُّبه المتعلقة بالاعتقاد
- وجوب الحذر من الشبهات وعدم الاستشراف لها
- واجب ولاة الأمر من العلماء والأمراء تُجاه من يروجون الشبهات
- علاج الشبه يكون بالرجوع إلى العلماء الربانيين ، المتبعين للكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح
- أهل الباطل يخلِطون شبههم بشيء من الحق ليروج بين الناس
- عناية العلماء في القديم والحديث برد شُبَهِ أهل الباطل
- ثبت يتضمن أهم الكتب التي تُعنى بالرد على الشبهات المتعلقة بتوحيد العبادة

ترك النبي ﷺ أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وأكمل الله تعالى لهم الدين ، كما قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

قال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكَرنا منه علما.[1]

وفي زيادة عند الطبراني: فقال رسول الله ﷺ : ما بقي شيء يُقرِّب إلى الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّنَ لكم.[2]

ولكن قوما ضاقت صدورهم بصفاءِ هذا الدين ووضوحِهِ ، فلما علموا أنهم لا يقدِرون على تحطيمِه ومحوِهِ من صدور الناس ؛ ذهبوا يُشوِّشون عليه ، ويبُثُّون الشكوك حول حقائقه وثوابته ، ليصير المسلمون في شك وحيرة من دينهم ، ويكون تمسكهم به تمسكا صوريا لا يُجاوِز العبادات الظاهرة ونحوها ، أما العقيدة – التي هي عمل القلب – فيريدون أن يعودوا بالمسلمين بها إلى عقائد الجاهلية الأولى ، كعبادة غير الله ، أو عقائد الفلاسفة والصابئة ، كنفي صفات الكمال عن الرب جل وعز ، أو عقيدة النصارى المتمثلة بحلول الله في نبيه عيسى عليه السلام ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وغير ذلك من الاعتقادات الهدامة.

وقد نجح أعداء الإسلام في بث هذه المعتقدات بين صفوف كثير من جهلة المسلمين ، فتلقفها من تلقفها – بسوء نية أو حسن نية – على أنها جزء من عقائد الإسلام ، وجعلوا يبثونها بين عوام المسلمين ، فتلقفها من ضَعُفَ دينه وعلمه وعقله ، وردَّها من أراد الله هدايته ونجاته.

ولما كان هذا البحث منصبا على الجواب عن أهم الشبهات التي يتعلق بها من يدعو غير الله ، رأيت تذييله بذكر بعض الضوابط لفهم حقيقة الشبهات وسبل الوقاية فيها ، لتكون معونة للعاقل وتذكرة للجاهل ، وذلك أن الشبهات لا حصر لها ، ولا يخلو زمان من قائمين على بثها ونشرها بين المسلمين ، ليفسدوا عليهم دينهم ، كما قال ابن القيم رحمه الله: (وقد خلق الله تعالى لكل

---

[1] رواه أحمد (١٥٣/٥) وابن حبان (٦٥) ، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (١٩٢/) ، الناشر: دار باوزير – جدة.

[2] انظر «المعجم الكبير» (١٦٤٧) ، وقد صحح هذه الزيادة الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٣).

باطلٍ وبَهْتٍ حَمَلةً ، كما للحق حَمَلةً)[1] ، ولكن إذا تحصن المسلم بمعرفة الضوابط العلمية المعينة على فهم حقيقة الشبهات ووسائل التحصن منها صار في عصمة من الوقوع فيها بإذن الله ، وهذا أوان الشروع في ذكر تلك الضوابط.

- **تعريف الشبهة**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الشبهة واردٌ يرِدُ على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له ، فمتى باشرَ القلبُ حقيقةَ العلمِ لم تؤثر تلك الشبهة فيه ، بل يقوى علمه ويقينه بردِّها ومعرفة بطلانها ، ومتى لم يباشر حقيقةَ العلم بالحق قلبُه ؛ قدحت فيه الشك بأول وهلة[2] ، فإن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالُها حتى يصير شاكا مرتابا.

والقلب يتوارده جيشان من الباطل ؛ جيش شهوات الغي وجيش شبهات الباطل ، فأيُّما قلبٍ صغا إليها وركن إليها تشرَّبها وامتلأ بها ، فينضح لسانه وجوارحه بموجَبها ، فإن أُشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات ، فيظن الجاهل أن ذلك لسعة علمه وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه.[3]

ثم قال: وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها ، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل.[4]

- **لكل شبهة جواب**

اعلم – رحمك الله تعالى – أن المشركين **وأهل البدع لهم شبهات وحجج كثيرة** يستدلون بها على صواب الباطل وإبطال الصواب ، كما قال تعالى ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ ، أي

---

[1] انظر «إغاثة اللهفان» ، ص ١١٢٨ .

[2] أي أن الشبهة تقدح في القلب شكًّا إذا باشَـرَتْـهُ.

[3] «مفتاح دار السعادة» (١/٤٤٢).

[4] «المصدر السابق» (١/٤٤٣).

ليبطلوه ، ولكن ليُعلم أن كلَّ شبهة فإنها باطلة ، ولكل شبهة جواب ، كما قال تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾.[1]

وقد اعتنى القرآن بالرد على الشبهات ، ومن ذلك الرد على شبهة اليهود التي أثاروها لما أمر الله بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فقالوا ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ ، فردَّ الله عليهم ، وبيَّن أن الحكمة في ذلك هو أن الله له المشرق والمغرب ، يأمر الناس بالتوجه إلى ما شاء سبحانه وتعالى ، وسماهم سفهاء لما اعترضوا بهذا الاعتراض ، فقال سبحانه ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

وفي هذا الرد القرآني لفتة أخرى وهي: إذا كان اعتراض اليهود وأشباههم على الشريعة قد سماه الله سفها ، فبِماذا يُوصف من اعترض على أحقية الله وحده بالدعاء والعبادة؟

- **الشبهات تتجدد ولا حدَّ لها**

ومما ينبغي أن يُعلم أن الشبهات لا حدَّ لها ، فلا يلزم الرد عليها كلها ، لأن الحق إذا تبين بأدلته اليقينية لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه ، بل ينبغي الإعراض عن سماعها وتلقِّيها ، لأن بطلانها أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ولأن كل ما نافى الحق الواضح فهو باطل ، كما قال تعالى ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ ، فعلى هذا فيكون حلُّ الشُّبه والرد عليها من باب التبرع.[2]

ومما ينبغي أن يُعلم أيضا أن الشبهات لها أهلون ، يثيرونها كلما اندرست ، ويُحيونها كلما خَبَت ، ليُضلوا بها عباد الله ، ويصرفوهم عن عبادته سبحانه ، وعن تعظيمه اللائق به ، وليس ذلك بغريب عليهم ، فقديما قيل: لكل قوم وارث.

فظهور المناوئين لدعوة الرسل وإثارتهم للشبه والأحقاد أمر مشهور في تاريخ الإسلام ، كما قال تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾.

---

[1] وانظر ما قاله الإمام فيصل بن تركي رحمه الله كما في «الدرر السنية» (٢/٢٨٨).

[2] قاله ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة من سورة البقرة: ١٤٥ .

- **عند ظهور الشبهات تتجلى حكمة الابتلاء للمؤمنين ، ويظهر الدين**

ومن حِكم ظهور المناوئين لدعوة الرسل وأتباعهم وإثارتهم للشبه ؛ تمحيص المؤمنين واختبار صبرهم ، وإقامة الحجة على الكافرين وإبطال كيدهم ، ثم إنجاز الله وعده للمؤمنين بنصرهم على من عاداهم ، كما قال تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

ومن حِكم ظهور المناوئين لدعوة الرسل ؛ ظهور الإيمان والدين ، قال ابن تيمية رحمه الله:

«إنَّ من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين ، وبيان حقيقة أنباء المرسلين ؛ ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين ، وذلك أن الحق إذا جُحِد وعُورض بالشبهات أقام الله تعالى له ما يُحِقُّ به الحقَّ ويُبطل به الباطلَ من الآيات البينات ، بما يُظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة ، وفساد ما عارضه من الحجج الدَّاحِضة».[1]

وقال أيضا: «ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه ؛ أقام من يعارضه ، فيُحق الحق بكلماته ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق».[2]

فالأمر كما قال الأول:

والضِّد يظهر حسنه الضِّد وبضِده تتميز الأشياء

- **أقسام من يُروِّج الشبهات**

والذين يروجون الشبهات بين المسلمين لا يخرجون عن ثلاثة أصناف:

الأول: كونهم لم يفهموا دلالات النصوص الشرعية على مراد الشارع الحكيم ، بل على ما أملته عليهم فُهومهم ، ففَهِموا خلاف المراد ، كما قال الأول:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا وآفته من الفهمِ السقيم

قال ابن القيم رحمه الله مبينا ضرر سوء فهم المراد عن الله ورسوله ﷺ :

---

[1] «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ، (١/٨٥ – ٨٦) بتصرف يسير.

[2] «مجموع الفتاوى» (٢٨/٥٧).

«فقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله ، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام ، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ، ولاسيما إن أضيف إليه سوء القصد ، فيتَّفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع ، فيا محنة الدين وأهله ، والله المستعان».[1]

الصنف الثاني هم من استدلوا على ما تعلقوا به من شبهات بأحاديث ضعيفة أو باطلة أو منامات وحكايات ، ونحو ذلك من الاستدلالات التي لا تثبت بها الأحكام الشرعية الفرعية فضلاً عن أصول الدين ومبادئه العظام ، والذين يُثبتون العبادات بالحكايات والمنامات والمقاييس والعقول[2] والأذواق هم اليهود والنصارى ، وعندهم من ذلك الشيء الكثير.

بل إن الذين يُقرِّرون الشبهات عموما يحشون كتبهم بالأشعار والحكايات والمنامات ، لأن الأدلة الشرعية لا تعينهم على باطلهم ، بل تنقضه من أُسِّهِ ، فلهذا يلجأون إلى الحكايات والمنامات والأشعار ، وهذه ليس لها عِماد ولا وتد في دين الله ، بل هي كالسراب يحسبه الظمآن ماءً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما أولئك الضُّلال ، أشباه المشركين النصارى ؛ فعُمْدَتُهُمْ إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، أو منقولات عمن لا يُحتج بقوله ، إما أن يكون كذباً عليه وإما أن يكون غلطاً منه ، إذ هي نقل غير مُصَدَّقٍ عن قائل غير معصوم ، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه ، وتمسَّكوا بمتشابهه ، وتركوا محكمه ، كما يفعل النصارى».[3]

وقال أيضا: «وربما احتجوا بأمثلة جزئية خاصة لإثبات قضايا كلية عامة ، فيحتجون لإثبات جواز مطلق الاستغاثة – فيما يقدر عليه المخلوق وما لا يقدر عليه – بسؤال بعض الناس النبي ﷺ أن يدعو لهم ، ومعلوم أن هذا الذي ثبتت به السنة حق لا ريب فيه ، لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع الدعاوى العامة ، وإبطال نقيضها ، إذ الدعوى الكلية لا تثبت بمثال جزئي ، لاسيما مع

---

[1] «الروح» ، ص ١٧٩ ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

[2] ملاحظة: العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح ، يراجع للتوسع كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

[3] «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢/ ٥٨٢ – ٥٨٧) باختصار يسير.

الاختلاف والتباين ، وهذا كمن يريد أن يثبت حِل جميع الملاهي لكل أحد والتقرب بها إلى الله بكون الجاريتين غنتا عند عائشة رضي الله عنها في بيت النبي ﷺ يوم عيد ، مع كونِ وجهه كان مصروفا إلى الحائط لا إليها ، أو يحتج على استماع كل قول بقوله ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ ، ولا يدري أن القول هنا هو القرآن ، كما في قوله ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ ، وإلا فمُسَلَّمٌ أنه لا يسُوغ استماع كل قول».[1] اهـ.

الصنف الثالث هم من اتبع المتشابه وترك المحكم ، وهذا سبيل أهل الباطل الذين يفهمون الآيات المحكمات على ضوء الآيات المتشابهات ، أي التي يشتبه فهم معناها الظاهر على عامة الناس ولا يعلمها إلا علماؤهم ، وهذا مسلك خاطىء ، والواجب فهم الآيات المتشابهات على ضوء الآيات المحكمة لا العكس ، ونصوص الشريعة – بحمد الله – ليس بينها تناقض ، بل متفقة ، يفسر بعضها بعضاً ، وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من اتباع المتشابه وترك المحكم ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذَّكر إلا أولوا الألباب﴾.

قالت: قال رسول الله ﷺ : فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم.[2]

- **أخطر الشُّبه هي الشُّبه المتعلقة بالاعتقاد**

الشبه كلها خطيرة ، ولكن أخطرها هو الذي يترتب عليه خروج من ملة الإسلام ، كالشبه التي تقرر دعاء غير الله ، وكذلك الشبه التي تقرر تعطيل الله عن صفاته التي وصف بها نفسه ، أو الشبه التي يراد بها الطعن في مصادر التشريع ، القرآن والسنة ، أو الشبه التي يراد منها تحليل ما حرم الله ، كتحليل الربا مثلا ونحو ذلك.

---

[1] «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢/٥٨٨ – ٥٨٩).

[2] تقدم تخريجه.

- **وجوب الحذر من الشبهات وعدم الاستشراف لها**

يجب على المسلم الذي يريد أن يسلك طريق السلامة لدينه أن يحذر من الوقوع في الشبهات ولا يتصدر لها ، فإن النبي ﷺ لما ذَكر فتنة الدجال للصحابة أمرهم أن ينأوا عنه ولا يتصدروا له ، فقال: (إذا سمعتم به في أرض فانأوا عنه) ، أي ابتعِدوا عنه ولا تتعرضوا له ، هذا مع علو كعبهم في الديانة والعلم ، فكيف بمن هم دونهم؟!

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رحمه الله: «فربما خرج الإنسان من الإسلام بشبهة تحول بينه وبين ما يجب لله من التوحيد والإخلاص والبراءة من عبادة ما عُبد معه من الأوثان والأصنام».[1]

- **واجب ولاة الأمر من العلماء والأمراء تُجاه من يروجون الشبهات**

يجب على ولاة الأمر الأخذ على أيدي من يروجون الشبه ، وأن يُعزِّرونهم بحبس أو ضرب أو نفي ، ولا يتركوا المجال مفتوحا لهم لإفساد عقائد المسلمين ببث الشبه ، باسم حرية الرأي ، أو الحوار مع الآخر ، أو الديموقراطية ونحو ذلك من الشعارات البراقة ، التي هي محض مناهج الدول الغربية الكافرة.

كما يجب على العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية أن يردوا على الشبه الدينية حتى لا تروج بين المسلمين ، لأن الشبهة كالمرض العضوي ، إذا تُرك فإنه ينتشِر ويستشري.

قال ابن تيمية رحمه الله في سياق أمثلة من يجب بيان حاله والرد عليه:

ومِثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة ، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين ، حتى قيل لأحمد بن حنبل: (الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبُّ إليك أو يتكلم فى أهل البدع؟

فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم فى أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل).

---

[1] «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، ص ١٣ .

فبيَّن أنَّ نفع هذا[1] عامٌّ للمسلمين فى دينهم ، من جنس الجهاد فى سبيل الله ، إذْ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشِرعته ، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يُقيمه الله لِدَفعِ ضرر هؤلاء لَفَسَدَ الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء ، وقد قال النبي ﷺ : (إن الله لا ينظر إلى صُوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[2] ، وذلك أن الله يقول فى كتابه ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ ، فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنه أنزل الحديد كما ذكره ، فقِوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر ، ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ ...

فاذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب ويُلَبِّسونها على الناس ولم تُبَيَّن للناس ؛ فَسَدَ أمرُ الكتاب وبُدِّل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنكَر على أهله.

واذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولَهم حقا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء ، بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم ، فإن فيهم إيمانا يوجب موالاتهم وقد دخلوا فى بدعٍ من بدع المنافقين التي تُفسد الدين ، فلا بد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذِكرهم وتعيينهم ، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خيرٌ وأنها دين ولم تكن كذلك ؛ لوجب بيان حالها.

ولهذا وجب بيان حال من يغلط فى الحديث والرواية ، ومن يغلط فى الرأي والفتيا ، ومن يغلط فى الزهد والعبادة وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده ، فبيان القول

---

[1] أي الراد على أهل البدع.

[2] رواه مسلم (٢٥٦٤).

والعمل الذى دل عليه الكتاب والسنة واجبٌ وان كان فى ذلك مخالفة لقوله وعمله.[1] انتهى كلامه رحمه الله.

قال مقيده عفا الله عنه: وقد وصف النبي ﷺ مروِّجي الشبه بين الناس بالدجاجلة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يُضلونكم ولا يفتنونكم.[2]

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم.[3]

- **علاج الشبه يكون بالرجوع إلى العلماء الربانيين ، المتبعين للكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح**

وكما تقدم من كلام أهل العلم ؛ فإن في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الهدى والنور ، والجواب عن جميع الإشكالات التي قد تعرِضُ للمسلم فيما يتعلق بأمور دينه ، لأن النبي ﷺ ترك الناس على جادة بيضاء نقية ، ليس فيها لبس ولا اختلاف ، فمن عرض عليه إشكال أو طرأ عليه استفسار فما عليه إلا البحث عن جوابه في الكتاب والسنة ، مسترشدا بكلام أهل العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم ، سواء المُدوَّن في الكتب أو الأشرطة أو بالاتصال بهم شخصيا ، قال تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ، وقال تعالى ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ، وأهل الاستنباط هم العلماء.

أقول: ولا يخلو زمان من علماء ربانيين يفندون شبه أهل الباطل ويردُّون عليهم ، كما قال ابن تيمية رحمه الله:

«هذه الأمة ولله الحمد لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرُدُّه ، وهم لما هداهم الله به يتوافقون في قبول الحق وردِّ الباطل رأيا ورواية ، من غير تشاعر ولا تواطؤ».[4]

---

[1] «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٣١-٢٣٤).

[2] رواه مسلم (٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] رواه مسلم (١٨٢٢).

[4] «مجموع الفتاوى» (٩/٢٣٣).

وقال الشيخ الأديب سليمان بن سحمان[1] رحمه الله:

من الدين كشف العيب عن كل كاذبٍ وعن كل بِدعيٍّ أتى بالمصائب

ولولا رجال مؤمنون لهُدِّمت معاقلُ دين الله من كل جانب

- **أهل الباطل يخلِطون شبههم بشيء من الحق ليروج بين الناس**

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: وقوله تعالى ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زُخرف القول غرورا﴾ ، الزخرف في الأصل الذهب ، وزُخرف القول هو القول المُمَوَّه المُزوَّر لأجل أن يُغَرُّ الناس ، فالقول المزخرف هو الباطل المغلف بشيء من الحق ، وهذا من أعظم الفتنة ، لأن الباطل لو كان مكشوفا ما قبِله أحد ، لكن إذا غُطِّي بشيء من الحق فإنه يقبله كثير من الناس ، وينخدعون بهذه الزخرفة ، فهو باطل في صورة الحق.[2]

وقال ابن تيمية رحمه الله: ولا يشتبه على الناس الباطل المحض ، بل لا بد أن يُشابَ[3] بشيء من الحق.[4]

وقال أيضا: ولا يُنفَق[5] الباطل في الوجود إلا بشوبٍ من الحق ، كما أن أهل الكتاب لبِسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير الذي معهم.[6]

وقال ابن القيم رحمه الله: فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق.[7]

---

[1] تقدمت ترجمته.

[2] انظر «شرح كتاب كشف الشبهات» له ، ص ٥٦ ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

[3] يُشاب أي يُخلط.

[4] انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٧/٨).

[5] يُنفَق الباطل أي يرُوج.

[6] انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٩٠/٣٥).

[7] انظر «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» (٧٨١/٢).

- **عناية العلماء في القديم والحديث برد شُبَهِ أهل الباطل**

وقد عُني علماء الإسلام بالرد على شبه أهل الباطل على مر العصور والدهور ، سواء فيما يتعلق بتوحيد العبادة أو بتوحيد الأسماء والصفات أو غيره من مسائل العقيدة ، لأن هذا من الجهاد في سبيل الله ، ومن الدفاع عن الدين ، ولولا ردودهم لاستعلى الباطل وقَوِيَ ، واضمحل الحق وضَعُفَ.

وفيما يلي ثبتٌ يتضمن أسماء كتب أهل العلم المؤلفة في الدفاع عن توحيد العبادة ، وكشف الشبه المثارة حوله.[1]

[1] وللعلم ، فقد يسر الله إعداد قائمة علمية موسعة تحوي مراجع أهل السنة في العقيدة والشريعة والسلوك ، تتضمن أسماء كتب كثيرة في الرد على كثير من الطوائف والفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في شتى مسائل العقيدة ، وقد وسمتها «الدليل لمراجع أهل السنة في العقيدة والشريعة والسلوك» ، وهي منشورة على شبكة المعلومات في الموقع التالي: www.saaid.net/kutob .

ثبت يتضمن أهم الكتب التي تُعنى بالرد على الشبهات المتعلقة بتوحيد العبادة

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
كشف الشبهات	محمد بن عبد الوهاب	
شرح كتاب كشف الشبهات	محمد بن صالح بن عثيمين	دار الثريا – الرياض
شرح كتاب كشف الشبهات	صالح بن فوزان الفوزان	دار النجاح – الرياض
كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس	عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ	دار العاصمة – الرياض
تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس	عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين	مؤسسة الرسالة – بيروت

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس	عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ	دار الهداية — الرياض
تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض
الضياء الشارق في الرد على المارق الماذق	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض
الصواعق المرسلة الشهابية على الشبة الداحضة الشامية	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض
صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسواني الهندي	مكتبة العلم – جدة
تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان	صالح بن محمد الشثري	دار الحبيب – الرياض
فتح المنان في نقض شبه الحاج دحلان	زيد بن محمد آل سليمان	دار التوحيد للنشر – الرياض

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام	عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ	دار الهداية — الرياض
المورد العذب الزلال في نقض شبه أهل الضلال	عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ	دار الهداية — الرياض
البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار	فوزان بن سابق السابق	
غاية الأماني في الرد على النبهاني	محمود شكري الألوسي	مكتبة الرشد – الرياض
كشف الشبهتين	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض
هذه مفاهيمنا — رد على كتاب "مفاهيم يجب أن تصحح" لمحمد بن علوي المالكي	صالح بن عبد العزيز آل الشيخ	
دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث	عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين	دار العاصمة – الرياض

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام	سليمان بن سحمان	مكتبة أضواء السلف – الرياض
الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد	سليمان بن سحمان	مكتبة أضواء السلف – الرياض
فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب (رد على شبهات في إعراب كلمة التوحيد)	عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ	
الإبطال والرفض لعدوان من تجرأ على كشف الشبهات بالنقض ، ويليه: ملامح جهمية (وهو رد على حسن بن فرحان المالكي)	عبد الكريم بن صالح الحميد	دار الصفوة – مصر
الأحاديث الموضوعة التي تنافي توحيد العبادة	أسامة بن عطايا العتيبي	مكتبة الرشد – الرياض
الإخنائية أو الرد على الإخنائي	شيخ الإسلام ابن تيمية	دار الخراز – جدة
اللمعة في الأجوبة السبعة	شيخ الإسلام ابن تيمية	دار الصميعي – الرياض

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد	محمد بن سلطان الحنفي	دار الصميعي – الرياض
المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية	محمد بن سلطان الحنفي	دار العاصمة – الرياض
الفرقان بين توحيد أهل السنة وتوحيد القبوريين	مجدي بن حمدي بن أحمد	
زيارة القبور الشرعية والبدعية	محيي الدين البركوي الحنفي	دار العاصمة – الرياض
المجالس الأربعة من مجالس الأبرار	أحمد الرومي الحنفي	دار العاصمة – الرياض
جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية	شمس الدين السلفي الأفغاني	دار الصميعي – الرياض
الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات	نعمان بن محمود الآلوسي	المكتب الإسلامي – بيروت

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
تطير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني ، ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور للشوكاني	محمد بن إسماعيل الصنعاني/ محمد بن علي الشوكاني	دار المغني – الرياض
مسألة في الذبائح على القبور وغيرها	محمد بن إسماعيل الصنعاني	دار ابن حزم – بيروت
شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور	زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي	مكتبة نزار الباز – مكة
المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد	محمد بن عبد الرحمٰن الخميس	دار أطلس الخضراء – الرياض
النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين	حمد بن ناصر آل معمر	دار العاصمة – الرياض
معارج الألباب في مناهج الحق والصواب	حسين بن مهدي النعمي	دار المغني – الرياض
من بدع القبور	حمد بن عبد الله الحميدي	دار المتعلم – الزلفي

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
الصارم المنكي في الرد على السبكي	محمد بن أحمد بن عبد الهادي	مؤسسة الريان – بيروت
الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي (تكملة الصارم المنكي)	محمد بن حسين الفقيه	دار الفضيلة – الرياض
هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة	عمرو عبد المنعم سليم	دار الضياء – طنطا
رسالة في التبرك والتوسل والقبور	عبد العزيز بن عبد الله بن باز	مدار الوطن – الرياض
الرد على فيصل مراد علي رضا فيما كتبه عن شأن الأموات وأحوالهم	صالح بن فوزان الفوزان	دار العاصمة – الرياض
الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية	حمود بن عبد الله التويجري	مكتبة المعارف – الرياض
أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة	أحمد بن يحيى النجمي	مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
الاستغاثة في الرد على البكري	شيخ الإسلام ابن تيمية	مكتبة دار المنهاج – الرياض
تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع من الزيارة	صالح بن غانم السدلان	دار بلنسية – الرياض
الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادلين المشركين	عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين	دار ابن الجوزي – الدمام
شبهات المبتدعة في توحيد العبادة	د. عبد الله بن عبد الرحمٰن الهذيل	مكتبة الرشد – الرياض
مجانبة أهل الشبور المصلين في المشاهد وعند القبور (رد على من أجاز الصلاة في المقابر وعند القبور)	عبد العزيز بن فيصل الراجحي	مكتبة الرشد – الرياض
زيارة القبور عند المسلمين	سالم بن قطوان العبدان	دار غراس – الكويت
بدع القبور ، أنواعها وأحكامها	صالح بن مقبل العصيمي	دار الفضيلة – الرياض

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
البيان المبدي لشناعة القول المجدي ، ويليه رجم أهل التحقيق والإيمان	سليمان بن سحمان	دار أضواء السلف – الرياض
القبورية (نشأتها – آثارها)	أحمد بن حسن المعلم	دار ابن الجوزي – الدمام
البناء على القبور	عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي	دار أطلس الخضراء – الرياض

مظاهر إهانة القبور خمسة:

الأول: الجلوس على القبر أو الوطأ عليه

الثاني: المشي بين القبور بالنعال

الثالث: قضاء الحاجة فيها

الرابع: نبش القبور

الخامس: سبُّ الموتى

الإسلام دينٌ وسط ، فكما أنه نهى عن تعظيم القبور فإنه نهى عن إهانتها ، وصدق الله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[1].

ومظاهر إهانة القبور خمسة:

الأول: الجلوس على القبر أو الوطأ عليه ، ودليل النهي عن ذلك حديث مرثد الغنوي أنه عليه الصلاة والسلام قال: **لا تجلسوا** على القبور ، ولاتصلوا إليها.[2]

وقوله ﷺ : لأِن يجلس أحدُكم على جمرة فتحرِق ثيابه فتخلُص إلى جلده خيرٌ له من أن **يَجلس على قبر**.[3]

وفى رواية: من أن **يَطأ** على قبر.[4]

وقال جابر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّص القبر[5] ، **وأن يُقعد عليه** ، وأن يُبنى عليه.[6]

الثاني: المشي بين القبور بالنعال ، ودليل النهي عن ذلك حديث بشير بن الخصاصية رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يمشي في نعلين بين القبور فقال: يا صاحب السَّبتتين[7] ألقهما.[8]

---

١ سورة البقرة: ١٤٣ .

٢ رواه مسلم (٩٧٢).

ورواه النسائي (٧٥٩) بلفظ: لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها.

ورواه أحمد (١٣٥/٤) بلفظ: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها.

٣ رواه مسلم (٩٧١).

٤ رواه أحمد (٥٢٨/٢) ، وصححه «محققو المسند».

٥ الجص طلاء أبيض يستعمل للتزيين ، وهو الذي يسمى في زماننا بالجبس ، وهو سبب لتقوية ما طُلِي به ، لأنه إذا جفَّ صار صلبا متماسكا ، فإن طلي به تراب القبر مثلا كان ذلك سببا في ثبات التراب وعدم اندثاره ، وليس هذا من مقاصد الشريعة ، فإن المقابر شأنها الاندثار والبِلى.

٦ تقدم تخريجه.

٧ السبتتين نوع من النعال لا شعر فيها ، وذِكْرُ هذا النوع من النعال خرج مخرج الغالب ، فالنهي يتناول النعال عموما سواء كانت سبتية أو غير سبتية ، والله أعلم.

٨ رواه أبو داود (٣٢٣٠) ، والنسائي (٢٠٤٨) ، وابن ماجه (١٥٦٨) ، وأحمد واللفظ له (٨٣/٥) ، عن بشير بن الخصاصية رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود».

أما المشي في المقبرة بالنعلين بعيداً عن القبور في الأماكن التي لم تحفر بعد أو في الطرق المعدة للمشي في المقبرة فليس فيه بأس ، وإنما المحرم هو المشي بين القبور.

الثالث: قضاء الحاجة فيها ، ودليل النهي عن ذلك حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لأن أمشي على جمرةٍ أو سيفٍ أو أخصِف[1] نعلي برجلي أحب إلي من أن أمشي على قبر مسلم ، وما أُبالي **أوسط القبور قضيت حاجتي** أو وسط السوق.[2]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن مجاهد قال: لا يُحدِث وسط مقبرة ولا يبول فيها.[3]

قال ابن تيمية رحمه الله: فإن قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة ، إذ هو بيت المسلم الميت ، فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق ، **ولا يوطأ ولا يُداس ولا يتكأ عليه عندنا وعند جمهور العلماء** ، ولا يجاوَر بما يؤذي الأموات من الأقوال والأفعال الخبيثة ، ويُستحب عند إتيانه السلام على صاحبه والدعاء له ، وكلما كان الميت أفضل كان حقه أوكد.[4]

الرابع: نبش القبور ، ودليل تحريمه ما رواه مالك عن عمرة بنت عبد الرحمٰن أنه سمعها تقول: «لعن رسول الله ﷺ المختفي والمختفية» ، يعني نبَّاش القبور.[5]

ومن جهة أخرى فإن في نبش القبور تعريضا لعظام الميت للكسر ، وكسر عظم الميت المسلم حرام لقوله عليه الصلاة والسلام: إن كسر عظم المؤمن ميتا مثل كسره حيا.[6]

أما إذا بلِي الميت وصار ترابا كما هو الحاصل في المقابر القديمة فحينئذ يجوز نبش القبر ودفن غيره فيه بعد تنحِية عظامه ، ولكن هذا يكون إذا دعت الحاجة إلى ذلك كضيق البلد ونحوه.

---

١ أي أخرزها بالمخصف وهي آلة الخرز.

٢ رواه ابن ماجه (١٥٧٧) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٧٧٣) ، وصححه الشيخ ناصر في «إرواء الغليل» (٦٣).

٣ «مصنف ابن أبي شيبة» (١١٧٧٩).

٤ «اقتضاء الصراط المستقيم» (٦٦٥/٢).

٥ رواه مالك في كتاب الجنائز واللفظ له ، باب ما جاء في الاختفاء ، والبيهقي في «الكبرى» (٢٧٠/٨).

وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (٢١٥/١٠) والبيهقي في «الكبرى» (٢٧٠/٨) واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لعن رسول الله ﷺ المختفي والمختفية.

وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٤٨).

٦ رواه أبو داود (٣٢٠٧) ، وأحمد (٥٨/٦) واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها ، وصححه الألباني في «صحيح أبي أبي داود».

الخامس: سبُّ الموتى ، وقد جاء في النهي عن سبِّ الموتى عدة أحاديث وآثار منها:

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ : لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا.[1]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا تذكروا موتاكم إلا بخير.[2]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سابُّ الميت كالمشرف على التهلكة.[3]

١ رواه البخاري (١٣٩٣).

٢ «المصنف» برقم (١١٩٨٩).

٣ «المصنف» برقم (١١٩٨٨).

بيان ما يُشرع للموتى من حقوق على إخوانهم الأحياء

فصل في بيان ما يُشرع وما يحرُم عند زيارة القبور

فائدة في أنواع زيارة القبور

شريعة الإسلام شريعة كاملة ، لم تأت شريعة بأحسن مما جاء فيها من بيان لحقوق الخلق ، أحياؤهم وأمواتهم ، وهذه جملة من حقوق الموتى على إخوانهم الأحياء من المسلمين:

الأول: الدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم ، سواء كان عند زيارة قبورهم أو من بعيد. ودليله قوله تعالى في صفة المؤمنين ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلتي منه ؛ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد[1]. رواه مسلم.[2]

وعنها أيضا ، أن جبريل عليه السلام أتاه فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم.

قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟

قال: قُولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون.[3]

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا:

السلام على أهل الديار – وفي لفظ: السلام عليكم أهل الديار – من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية.[4]

الثاني والثالث والرابع: الصدقة عنهم وقضاء صيامهم والحج عنهم ، والدليل على هذا حديث بريدة بن الحصيب قال: بينا[5] أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية ، وإنها ماتت.

فقال: وجب أجرك ، وردَّها عليكِ الميراث.[6]

---

[1] الغرقد نوع من الشجر يشبه العرفج ، وينبت في المدينة النبوية ، وسميت مقبرة بقيع الغرقد بهذا الاسم لغرقد كان فيها ، وعلى هذا فلا يقال عند دخول المقابر الأخرى: اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، بل يقال اللهم اغفر لأهل هذه المقبرة ، أو نحو هذا من الدعاء.

[2] (٩٧٤).

[3] رواه مسلم (٩٧٤).

[4] رواه مسلم (٩٧٥).

[5] أي بينما.

[6] أي أن شريعة الميراث تفرض عليكِ أن تكون الجارية المملوكة من ضمن الإرث الذي تركته أمكِ.

قالت: يا رسول الله ، إنه كان عليها صوم شهر ، أفأصوم عنها؟

قال: صومي عنها.

قالت: إنها لم تحج قط ، أفحج عنها؟

قال: حُجِّي عنها.[1]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: من مات صيام صام عنه وليه.[2]

الخامس: الكف عن التحدث بمساويهم ، وقد جاء في النهي عن سبِّ الموتى عدة أحاديث وآثار منها:

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ : لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا.[3]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا تذكروا موتاكم إلا بخير.[4]

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سابُّ الميت كالمشرف على التهلكة.[5]

السادس: إمضاء وصية الميت كما وصى على أن لا تتعدى الثلث ، وذلك بعد إخراج الدَّين الذي على المُتوفَّ إن كان عليه دين ، قال تعالى ﴿كُتِب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين * فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدِّلونه إن الله سميع عليم﴾[6].

السابع: وفاء ديونهم التي عليهم ، والدليل على هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر.

فقال: أرأيت لو كان عليها دين ، أكنتِ تقضينه؟

قالت: نعم.

قال: فدين الله أحق بالقضاء.[7]

---

[1] رواه مسلم (١١٤٩).

[2] رواه مسلم (٧٩).

[3] تقدم تخريجه.

[4] تقدم تخريجه.

[5] تقدم تخريجه.

[6] سورة البقرة: ١٨٠ – ١٨١ .

[7] رواه مسلم (١١٤٨).

فصل في بيان ما يُشرع وما يحرُم عند زيارة القبور

شرع النبي ﷺ لأمته زيارة القبور لقصد العبرة والاتعاظ وتذكر الموت ، ومما يشرع أيضا السلام على الموتى والدعاء لهم عند دخول المقبرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : زوروا القبور فإنها تذكر الموت.[1]

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن فيها عبرة.[2]

وعن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها.[3]

ولفظ النسائي: ونهيتكم عن زيارة القبور ، فمن أراد أن يزور فليزر ، ولا تقولوا هُجرا[4].

قال أبو عيسى الترمذي بعد روايته للحديث: حديث بريدة حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، لا يرون بزيارة القبور بأسا ، وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.[5]

وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون[6] ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، **اللهم اغفر** لأهل بقيع الغرقد.[7]

والبقيع مقبرة أهل المدينة ، وسمي بقيع الغرقد بذلك لِغرقدٍ كان فيه ، والغرقد ما عَظُم من شجر العوسَج.

---

١ رواه مسلم (٩٧٦).

٢ رواه أحمد (٣/٣٨) ، وصححه محققو «المسند» (١٧/٤٢٩).

٣ رواه مسلم (٩٧٧) واللفظ له ، والترمذي (١٠٥٤) ، ورواه أحمد (٣/٦٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٤ هجرا أي فحشا ، انظر «النهاية» ، وقد كانت العرب في الجاهلية تتسخط على أقدار الله عند المصيبة ، وكانوا يقولون هجرا كقولهم: يا خيبة الدهر.

٥ **فائدة:** نهى النبي ﷺ عن زيارة القبور في أول الإسلام خوفا عليهم من الوقوع في تعظيم أهلها ، ثم لما تمكن التوحيد من نفوسهم أذن لهم بزيارتها ، لما تمكن التوحيد والإيمان في نفوسهم ، وتعلقت قلوبهم بالله وحده عبادة وتعظيما ، أذِن لهم في زيارتها لتذكر الموت والدعاء للميت ، قال النووي رحمه الله في «المجموع» (٥/٢٨٥):

وكان النهي أولا لقرب عهدهم من الجاهلية ، فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل ، فلما استقرت قواعد الإسلام وتمهدت أحكامه واستشهرت معالمه أبيح لهم الزيارة ، وأحاط ﷺ بقوله: ولا تقولوا هجرا.

قلت: أحاط أي احتاط ، يعني احتاط لأمته.

٦ مؤجلون ؛ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أنتم.

٧ رواه مسلم (٩٧٤).

فالمقصود من زيارة القبور أمران: الأول تذكر الآخرة ، والثاني الدعاء للميت ، بالترحم عليه والاستغفار له وسؤال الله العافية له ، فمن زاد أو غيَّر في الحكمة من هذا التشريع فقد أحدث في دين الله ما ليس منه ، وعمله مردود عليه ليس بمقبول ، لقول النبي ﷺ : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.

قال الشيخ أحمد الرومي الحنفي[1] في كتابه «المجالس الأربعة من مجالس الأبرار»:

فعلى هذا فينبغي على كل من يريد أن يزور القبور من الرجال أن لا يكون حظه من زيارته لها الطّواف عليها كالبهائم ، بل ينبغي له إذا جاءها أن يسلم على أهلها ، ويسأل الله الرحمة والمغفرة والعافية ، ثم يَعتبر ممن[2] كان تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، وأنه حين دخل القبر ابتُلي بالسؤال ، هل أصاب في الجواب وكان قبره روضة من رياض الجنة ، أو أخطأ الجواب وكان قبره حفرة من حفر النار؟

ثم يجعل نفسه كأنه مات ودخل القبر وذهب عنه ماله وأهله وأولاده ومعارفه ، وبقي وحيداً فريداً ، وهو الآن يُسأل فماذا يُجيب؟ وماذا يكون حاله؟ ويكون مشغولاً بهذا الاعتبار ما دام هناك ، ويتعلق بمولاه في الخلاص من هذه الأمور الخطيرة العظيمة ، ويلجأ إليه.[3]

ثم قال: وأما الزيارة البدعية فهي زيارة القبور لأجل الصلاة عندها ، والطَّواف بها ، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها ، وأخذِ ترابها ، ودعاءِ أصحابها والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد ، وقضاء الدين وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفان ، وغير ذلك من الحاجات التي كان عبَّاد الأصنام يسألونها من أصنامهم ، فإن أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذ منهم ، وليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق علماء المسلمين ، إذ لم يفعله رسول ربِّ العالمين ، ولا أحد من الصَّحابة والتّابعين وسائر أئمة الدِّين ، بل قد أنكر الصحابة ما هو دون ذلك بكثير.

ولقد جرَّد السّلف الصالح التوحيد وحموا جانبه ، حتى كانت الصحابة والتابعون حين كانت الحُجرة النبوية منفصلة عن المسجد زمن الوليد بن عبد الملك لا يدخل فيها أحد ، لا لصلاة ولا لدعاء ولا لشيء آخر مما هو من جنس العبادة ، بل كانوا يفعلون جميع ذلك في المسجد ، وكان أحدهم إذا سلم على النبي عليه السلام وأراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا ، وهذا مما لا نزاع فيه بين العلماء ، وإنما نزاعهم في وقت السلام عليه.

قال أبو حنيفة: يستقبل القبلة عند السلام أيضاً ، ولا يستقبل القبر.

---

[1] تقدمت ترجمته في المظهر الأول.

[2] لعل الأولى: بمن.

[3] ص ٥٦ – ٥٧ ، باختصار وتصرف يسير.

وقال غيره: لا يستقبل القبر عند الدعاء ، بل قالوا إنه يستقبل القبلة وقت الدعاء ، ولا يستقبل القبر حتى لا يكون الدعاء عند القبر ، فإن الدعاء عبادة ، كما ثبت بالحديث المرفوع: الدعاء هو العبادة.[1]

والسلف الصالح من الصحابة والتابعين جعلوا العبادة خالصة لله تعالى ، ولم يفعلوا عند القبور شيئاً منها إلا ما أَذن فيه النبي عليه السلام ، من السلام على أصحابها ، وسؤال الرحمة والمغفرة والعافية مِن الله لهم ، وسبب ذلك أن الميت قد انقطع عمله وهو يحتاج إلى من يدعو له ويشفع لأجله ، ولهذا شُرع في الصلاة عليه من الدعاء له – وجوباً أو ندباً – ما لم يُشرع مثله في الدعاء للحي ، فإنا لما كنا إذا قمنا إلى جنازة ندعو له ونشفع لأجله ، فبعد الدفن أولى أن ندعو له ونشفع ، لأنه في قبره بعد الدفن أشدُّ احتياجاً إلى الدعاء له منه على نعشه ، لأنه حينئذ مُعرض للسؤال وغيره ، على ما روي عن عثمان بن عفان ، أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل.[2]

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعاً وعشرين سَنة ، وهذه سنة الخلفاء الراشدين وطريقة جميع الصحابة والتابعين ، فبدَّل أهل البدع والضلال قولاً غير الذي قيل لهم ، فإنهم قصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ – إحساناً إلى الميت وإلى الزائر – سؤالَهم بالميت والاستعانة به ، وليس هذا إلا الفتنة التي قال فيها عبد الله بن مسعود: كيف إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ، وينشأ فيها الصغير ، تجري على الناس يتخذونها سُنَّة ، إذا غُيِّرت قيل غُيِّرت السنة.

انتهى كلام الشيخ أحمد الرومي رحمه الله.[3]

فائدة في أنواع زيارة القبور

يمكن مما سبق أن نخلُص بأن زيارة القبور تنقسم إلى ثلاثة أنواع: شرعية وبدعية وشركية.

فأما الشرعية فهي التي يَقصد بها صاحبها ما قصده النبي ﷺ وصحابته من زيارة القبور ؛ تذكر الآخرة والدعاء للميت.

---

١ تقدم تخريجه.

٢ رواه أبو داود (٣٢٢١) ، وصححه الألباني.

وفي هذا بيان لشيء مما يُسَن فعله في حق الميت ، فكيف يسوغ لمؤمن بالله أن يترك ما فعله النبي ﷺ ويفعل أمورا لم ترد عنه عليه الصلاة والسلام؟

٣ ص ٥٩ – ٦٣ ، باختصار ، وقد استفاد رحمه الله جزءا من كلامه المنقول من كتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم رحمه الله ، فرحم الله علماء أهل السنة ، يغرف بعضهم من إناء بعض.

والشركية هي التي يقصد بها صاحبها التقرب لذلك الميت ؛ بدعائه وطلب الحوائج منه ، أو الذبح له ، أو والنذر له ، أو الطواف بقبره ، أو السجود لقبره.

والزيارة البدعية هي التي يَقصد بها فعل أمور مبتدعة لم يرد بها الشرع ، ولكنها لا تُخرج الإنسان من دين الإسلام ، كالدعاء عندها وقراءة القرآن ، ظنا أن هذا له مزية وفضل ، فمن عمل هذا فعمله بدعة ، وعبادته مردودة عليه ، لأنه فعلها على خلاف الهدي النبوي ، فالنبي لم يقل إن العبادات عند القبور لها مزية وفضل ، وقد قال ﷺ : من عمل عملا ليس عليها أمرنا فهو رد.

اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين ، واجعل آخر كلامنا من الدنيا كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ، آمين ، آمين ، آمين.

تقدم الكلام في المظهر الثامن على مظهر دعاء أصحاب القبور ، وخُتِم ذلك المظهر بالإشارة إلى أن دعاء غير الله – عموما – باطلٌ من خمسين وجها ، وأن تلك الوجوه ستُفرد في خاتمة الكتاب بملحق مستقل ، وهذا أوان الشروع في ذكرها ، نفع الله بها كاتبها وقارئها ، فأقول:

إنه بالرُّغم من عِظم مكانة الدعاء بين سائر العبادات ؛ إلا أنه من أكثر العبادات التي شَرَّك الناس فيها بين الله وبين خلقه ، وقد وصف الله دعاء غيرِه بأنه باطل في موضعين من القرآن ؛ الموضع الأول قوله تعالى في سورة الحج ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾.[1]

والموضع الثاني قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾.[2]

وكذلك مدح النبي ﷺ من قال إن عبادة غير الله باطلة ، قال عليه الصلاة والسلام: أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر ؛ كلمة لبيد[3]:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ[4]

وصدق الله ورسوله ﷺ ، فدعاء غير الله باطل من خمسين وجهاً ، هذا أوان الشروع في ذكرها ، فاللهم يسِّر وأعِن.

الوجه الأول: أن الله سبحانه أمر بأن تصرف العبادات كلها له وحده لا شريك له ، الدعاء وغيره ، فمن صرف شيئاً منها لغير الله على سبيل المشاركة أو الاستقلال فقد أشرك بالله العظيم ، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ، ونهى عباده عن أن يشركوا معه في عبادته أحدا غيره فقال ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن

---

١ آية: ٦٢ .

٢ آية: ٣٠ .

٣ هو لبيد بن ربيعة العامري ، ذكره البخاري وابن أبي خيثمة في الصحابة ، سكن الكوفة ، وتوفي في خلافة عثمان ، عاش مائة وخمسين سنة ، وقيل أكثر ، وهو القائل:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس: كيف لبيدُ

انتهى مختصرا من «فتح الباري» في شرح الحديث المذكور.

٤ رواه البخاري (٣٨٤١) ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وتمام البيت: وكل نعيم لا محالة زائل.

من الشاكرين﴾ ، وبين لنا أن الشرك أعظم الذنوب وأن الله لا يغفره إذا مات العبد عليه ، قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

الوجه الثاني: أن القرآن والسنة قد خصَّا الدعاء بتأكيد الإخلاص فيه ، والنهي عن صرفه لغير الله ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿**ادعوا** ربكم تضرعا وخفية﴾ ، وقال ﴿أمن يجيب المضطر إذا **دعاه** ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ ، وقال ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا **دعان**﴾ وقال تعالى ﴿**واسألوا** الله من فضله﴾ ، وقد تقدم في «فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره» تقرير أن مسألة إفراد الله بالدعاء ذُكرت في نحو ثلاثمائة موضع منوعٍ في القرآن بصيغ متعددة.[1]

الوجه الثالث: أن الله والملائكة وأولي العلم شهدوا أنه لا يستحق العبادة غير الله ، قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[2] ، وشهادة أن لا إله إلا الله هي أعظم شهادة في الوجود من أعظم شاهد جل وعز ، وشهادة رب العالمين لا ينقصها شيء البتة، فلم يبق بعد هذه الآية معبود يعبده الأولون والآخرون من دون الله إلا بطلت عبادته بهذه الشهادات الثلاث.

الوجه الرابع: أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، والشرك معلوم تحريمه بالضرورة من دين الإسلام وكافة الأديان ، وهو ناقض لدين الإسلام بالكلية ، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على من اتخذ واسطة بينه وبين الله:

«وهذا جهل بدين الحنفاء ، فإن الحنفاء ليس بينهم وبين الله تعالى واسطة في العبادة والدعاء والاستعانة ، بل يناجون ربهم ويدعونه ويعبدونه بلا واسطة ، وكل مُصلٍّ يعبد ربه منه إليه بلا واسطة».[3]

---

١ وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في مسألة وجوب إفراد الله بالدعاء في كتابه «الأضواء» في تفسير سورة الحجرات ، الآية ٢ من عند قوله رحمه الله: المسألة الثانية وهي من أهم المسائل ...

٢ سورة آل عمران: ١٨ .

٣ «الاستغاثة في الرد على البكري» ، (٢/٤٧٧-٤٧٨) باختصار.

وهذه المسألة مجمع عليها عند علماء الإسلام قاطبة ، من علماء المذاهب الأربعة وغيرهم ، فقد أجمعوا على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، وإجماع المسلمين حجة شرعية كما قال الرسول ﷺ : إن الله تعالى **لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة.**[1]

وقد حكى إجماعَهم على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام جمعٌ من العلماء ، منهم شيخ الإسلام ، أبو العباس ، أحمد بن تيمية ، رحمه الله ، حيث قال:

«سؤال الميت والغائب – نبيًا كان أو غيره – من المحرمات المنكرة **باتفاق أئمة المسلمين** ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين ، **وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين**».[2]

وقال أيضا: «لم يقل أحد من علماء المسلمين إنه يستغاث بشيء من المخلوقات في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى ، لا بنبي ولا بملَك ولا بصالح ولا غير ذلك ، بل **هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاقه**».[3]

وقال أيضا: «من جعل الملائكة والأنبياء **وسائط** ، **يدعوهم** ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسد الفاقات ؛ **فهو كافر بإجماع المسلمين**».[4]

ونقله عنه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب من علماء الحنابلة في كتابه «تيسير العزيز الحميد» ثم قال:

---

١ رواه الترمذي (٢١٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وصححه الألباني ، وكذا الحاكم في «مستدركه» (١/١١٥ ، ١١٦) ، وحكى بعد روايته للحديث إجماع أهل السنة على هذه القاعدة ، وأنها من قواعد الإسلام.

٢ «الاستغاثة في الرد على البكري» ص ٣٣١ .

٣ «مجموع الفتاوى» (١/١٠٣).

وانظر ما قاله في «الفتاوى الكبرى» (٤/٥٠٦) ، (اختيارات شيخ الإسلام) ، باب حكم المرتد ، الناشر: دار القلم – بيروت.

٤ «مجموع الفتاوى» (١/١٢٤).

«نقله[1] عنه غير واحد مقررين له ، منهم ابن مفلح في «الفروع»[2] ، وصاحب «الإنصاف»[3] ، وصاحب «الغاية»[4] ، وصاحب «الإقناع»[5] ، وشارحه[6] ، وغيرهم ، ونقله صاحب «القواطع»[7] في كتابه عن صاحب صاحب «الفروع»».

قلت[8]: «وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين ، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد على أن من أشرك بالله فهو كافر ، أي عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع أن دعاء الله عبادة له ، فيكون صرفه لغير الله شركا». انتهى كلام الشيخ سليمان رحمه الله.[9]

وممن حكى أيضا إجماع العلماء على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[10] ، فقد ذكر أن المسلمين قد أجمعوا على تكفير من ارتكب الشرك الأكبر ، وكفَر

---

١ أي الإجماع على كفر من دعا غير الله.

٢ (١٥٨/٦) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط سنة ١٤١٨ .

٣ أي المرداوي ، (٣٢٧/١٠) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤ أي «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» لمرعي الكرمي (٤٩٨/٢) ، تحقيق: ياسر إبراهيم المزروعي ، رائد يوسف الرومي ، الناشر: دار غراس – الكويت.

٥ (٢٨٥/٤) ، لشرف الدين ، موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي ، تحقيق: د. عبد الله التركي ، الناشر: دار هجر – مصر.

٦ يعني الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه «كشاف القناع في شرح الإقناع» (١٦٨/٦) ، الناشر: دار الفكر ، بيروت ، ط ١٤٠٢ .

٧ أي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي ، واسم كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» ، وقد تقدم التعريف به. به.

٨ لا زال الكلام للشيخ سليمان.

٩ «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» ، باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ، ص ٤٢٧ .

١٠ هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١٢٢٥ في بلدة العلم والعلماء ؛ الدرعية ، درس على يد عدد من المشايخ ، منهم والده الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن محمود الجزائري ، وغيرهم.

بآيات الله ورسله ، أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغِها المعتبر ، كمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، وجعلهم أندادًا له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلٰهية ، وذكر أن هذا مجمع عليه بين أهل العلم والإيمان ، وأن كل طائفة من أهل المذاهب المقلَّدة يُفردون هذه المسألة بباب عظيم يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها ، وينصون على الشرك ، وأن ابن حجر[1] قد أفرد هذه المسألة بكتاب سماه: «الإعلام بقواطع الإسلام»[2].[3]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله: «لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة وَرَدَ فيه من النصوص **مثل ما ورد في دعاء غير الله** ، من النهي والتحذير عن فعله ، وكُفر فاعله ، والوعيد عليه بالخلود في النار ، فما المانع من تحكيم الكتاب والسنة واتباع إجماع الأمة ، وقد أُفردت هذه المسألة بالتصنيف ، **وحكى الإجماع عليها غير واحد من أهل العلم ، وذكروا أنها من ضروريات الإسلام؟**»[4]

فصل

وللفائدة ؛ فهذه طرف من كلام بعض علماء المذاهب الأربعة في تقرير أن دعاء غير الله شرك أكبر.

وبعد تضلعه في العلم تتلمذ عليه عدد من التلاميذ ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه ؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل ، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» ، وأيضا «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى ، وبعضها يقع في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ .

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام» لمحققه د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

١ أي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي.

٢ الكتاب طبع مستقلا ، وطبع بتحقيق د. محمد الخميس ضمن مجموع «الجامع في ألفاظ الكفر» ، الناشر: دار إيلاف – الكويت.

٣ «الدرر السنية» (١/٤٦٧-٤٦٨).

٤ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٢٤ .

كلام الحنفية

قال الشيخ محمد عابد السندي الحنفي[1] في كتابه «طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار» ما نصه:

«ولا يقول: (يا صاحب القبر ، يا فلان ، اقض حاجتي) ، أو: (سلها من الله) ، أو: (كن لي شفيعا عند الله) ، بل يقول: (يا من لا يشرك في حكمه أحدا ؛ اقض لي حاجتي هذه)».

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي ما نصه:

«هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهم تنكشف المُهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السّرمدي ، لما فيه من روائح **الشرك المحقق**، ومصادرة الكتاب العزيز المصدَّق ، **ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما أجمعت عليه هذه الأمة** ، وفي التنزيل ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[2]».[3]

وبهذا قال جمع من أئمة الحنفية المتأخرين ، كالإمام أحمد السرهندي[4] ، والإمام أحمد الرومي[1] ، والشيخ سبحان بخش الهندي ، ومحمد بن علي التهانوي[2] ، ومحمد إسماعيل الدهلوي[3] ، والشيخ محمود بن عبد الله

---

١ هو الشيخ المحدث محمد عابد بن علي السندي ثم الأنصاري ، ولد بالسند ، ثم هاجر مع جده إلى اليمن ثم قدم المدينة، وجاور إلى أن توفي بها ، قال عنه الشوكاني: (له يد طولى في علم الطب ، ومعرفة متقنة بالنحو والصرف وفقه الحنفية وأصوله ، ومشاركة في سائر العلوم وفهم صحيح سريع) ، وقال الزركلي: (فقيه حنفي ، عالم بالحديث) ، له تصانيف عدة في الفقه والحديث ، توفي سنة ١٢٥٧ هـ ، انظر ترجمته في كتاب «البدر الطالع» للشوكاني ، و«هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» (٢/٣٧٠) ، لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي.

٢ سورة النساء : ١١٥ .

٣ «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، باختصار ، (ص ١٥-١٦).

٤ انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٥/٤٣ – ٥٥) ، لمؤلفه عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ، الناشر: دار المعارف العثمانية – حيدر آباد.

الآلوسي[٤] ، وغيرهم.[٥]

وقد ألف الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله رسالة عظيمة جمع فيها أقوال علماء الأحناف في إبطال عقائد القبورية ، ومن المعلوم أن الدعاء هو أكثر فعل القبوريين عند القبور التي يعظمونها لاعتقادهم فيها ، وأسماها «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» ، تقع في ثلاث مجلدات ، نال فيها رسالة

---

١ هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي ، ويعرف بالرومي ، من علماء الدولة العثمانية ، له تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة ، توفي سنة ١٠٤٣ هـ ، له كتاب «حاشية على تفسير أبي السعود» ، وكذا كتاب «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار في شرح مائة حديث من المصابيح» ، وغيرها ، انظر ترجمته موسعة في «هدية العارفين» (١٥٧/١) ، ط دار الكتب العلمية ، سنة ١٤١٣ هـ ، و «معجم المؤلفين» (٢٥٢/٢).

وكلامه في التحذير من دعاء غير الله مذكور في كتابه «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار» ، المجلس السابع عشر والسابع والخمسين.

٢ باحث هندي ، له كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» ، انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر» (٢٧٨/٦) ، و «هدية العارفين» (٣٢٦/٢) ، و «الأعلام» للزركلي (٢٩٥/٦) ، وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في كتابه «كشاف اصطلاحات الفنون» (١٤٦/٤ – ١٥٣).

٣ هو محمد بن إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ، محدث ، من آثاره: «إنجاح الحاجة في شرح سنن ابن ماجه» ، انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر» و «معجم المؤلفين» (١٣٣/٣) ، وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في كتابه «تقوية الإيمان».

٤ هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي الحسيني ، أبو المعالي ، مؤرخ عالم بالأدب والدين ، من الدعاة إلى الإصلاح في العراق ، حمل على أهل البدع برسائل فعاداه كثيرون ، له اثنان وخمسون مصنفا ، توفي رحمه الله سنة ١٣٤٢ في بغداد.

وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في تفسيره الموسوم «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ، عند الآية ٧٣ من سورة الحج.

٥ انظر أقوالهم مفصلة في الإنكار على من دعا غير الله في «المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد» ، جمع د. محمد الخميس ، ص ٤١٢ – ٤١٨ ، الناشر: دار أطلس – الرياض ، وقد اكتفيت بالإحالة عليها عن نقلها مفصلة طلبا للاختصار.

الدكتوراة العالمية ، أشار فيها إلى جهود علماء الحنفية في بيان مصدر عبادة القبور ونشأة القبورية وانتشارهم، وتحقيق أن القبورية أهل شرك ووثنية ، وجهودهم – أي علماء الحنفية – في إبطال عقائد القبورية.[1]

ثم نقل رحمه الله مقالات جمع من علماء الحنفية في التحذير من الشرك وإبطال ثلاثين ذريعة من ذرائعه التي يتمسك بها القبورية بمُجمَلهم.[2]

ثم ذكر رحمه الله أمثلة لغلو القبوريين في الصالحين ، وجهود علماء الحنفية في إبطاله ، فابتدأ بذكر غلوهم في النبي ﷺ ، ودعوى أنه يعلم الغيب ، وأن له تصرفا في الكون ، وأنه يسمع صوت المستغيثين ، فأبطل ذلك كله ، ثم عطف على أمثلة الغلو في غير النبي ﷺ ، كعبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم ممن تُدَّعى له الوِلاية.[3]

وأما كلام الشافعية في باب تحريم دعاء غير الله فقد قال ابن حجر الشافعي رحمه الله في «شرح الأربعين النووية» ما معناه: إن من دعا غير الله فهو كافر.[4]

وقال الشيخ أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي[5] رحمه الله:

«وشِرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلٰهية وشرك في الربوبية ، فالشرك في الإلٰهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك ، وهو شرك عُبَّاد الأصنام وعُبّاد الملائكة وعُبّاد الجن **وعُبَّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات** ، الذين قالوا ﴿إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، ويشفعوا لنا عنده ، وينالُنا بسبب قربهم من

---

١ انظر الصفحات ٣٥٣ – ٥٦١ .

٢ انظر الصفحات ٥٦٣ – ٦٨٢ .

٣ انظر الصفحات ٦٨٣ – ٨٩٧ .

٤ نقله الشوكاني عنه في «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، ص ١٢١ ، (الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض) ، ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنه في كتابه «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» ، ص ٣٠٥ ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

٥ الشيخ أحمد من علماء مصر ، درس الحديث والفقه ، وانكبَّ على تدوين التاريخ ، لقبه الزركلي بمؤرخ الديار المصرية ، له له أكثر من مئتي مؤلَّف ، عُرِض عليه قضاء دمشق فأبى ، توفي سنة ٨٤٥ ، انظر ترجمته في «إنباء الغِمر» ، و«البدر الطالع» للشوكاني ، و «الضوء اللامع» للسخاوي ، و «الأعلام» للزركلي» (١/١٧٧) ، و «معجم المؤلفين» (١/٢٠٤).

الله وكرامته لهم قربٌ وكرامة ، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلٰهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله ، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى.

وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم ، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله».[1]

وأما كلام الحنابلة في باب تحريم دعاء غير الله فقد تقدم ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في حكاية إجماع العلماء على أن دعاء غير الله شرك أكبر ، وهذا مزيد كلام له في هذا الباب:

«فكل من غلا في حي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلٰهية ، مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده ، أو يقول إذا ذبح شاة ، (باسم سيدي) ، أو يعبده بالسجود له أو لغيره ، أو يدعوه من دون الله تعالى ، مثل أن يقول: (يا سيدي فلان ، اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجِرني ، أو توكلت عليك ، أو أنت حسبي ، أو أنا في حسْبك) ، أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى ؛ فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لِنعبد الله وحده لا شريك له ، ولا نجعل مع الله إلٰها آخر». اهـ.[2]

وقال أيضا: «ومن قال إن ميتا من الموتى ، نفيسة أو غيرها ؛ تُجير الخائف ، وتُخلِّص المحبوس ، وهي باب الحوائج ؛ فهو ضال مشرك ، فإن الله سبحانه هو الذى يجير ولا يجار عليه ، وباب الحوائج إلى الله هو دعاؤه بصدق وإخلاص ، كما قال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾».[3]

وقال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» في معرض كلام له عن أنواع الشرك:

---

١ «تجريد التوحيد المفيد» ، ص ٥٢ – ٥٣ ، تحقيق: علي بن محمد العمران ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

٢ «الرسالة السنية» ، وتسمى أيضا بـ «الوصية الكبرى» ، وتقع كاملة في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٦٣-٤٣٠) ، والمنقول من ص ٣٩٥ .

٣ «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٩٠).

«ومن أنواعه ؛ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده كما تقدم ، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك.

والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له ، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل لهم العافية والمغفرة ، فعكَس المشركون هذا ، وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد ، وسموا قصدها حجا ، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه ، ومعاداة أهل التوحيد ، ونِسبة أهله إلى التنقص للأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك ، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئًا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أَمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ولله خليله[1] إبراهيم عليه السلام حيث يقول ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾.

وما نجا من شَرَكِ[2] هذا الشرك الأكبر إلا من جرَّد توحيد الله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحده وليّه وإلهه ومعبوده ، فجرَّد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وذُله لله ، وتوكُّله على الله ، واستعانته بالله ، والتجاءه إلى الله ، واستغاثته بالله ، وأخلص قصده لله ، متبعا لأمره ، متطلبا لمرضاته، إذا سأل سأل الله ، وإذا استعان استعان بالله ، وإذا عمِل عمِل لله ، فهو لله وبالله ومع الله».[3]

---

١ أي: لله دَرُّ خليله.

٢ الشَّـرَكُ هو الفخ.

٣ «مدارج السالكين» ، منزلة التوبة ، ص ٦٠٥ .

وله رحمه الله في باب التحذير من تعظيم أصحاب القبور كلام طويل في كتابه النفيس «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ، ذكر فيه الجذور التاريخية لتعظيم أصحاب القبور والغلو فيهم ، كما عرض لذكر المظاهر والعلاج ، رحمه الله رحمة واسعة.[1]

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي رحمه الله[2]: «إنَّ من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج، ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر: (افعل لي كذا) ؛ هو كافر بهذه الأوضاع[3] ، ومن دعا ميتا وطلب قضاء الحوائج فهو كافر».[4]

وقال أيضا: «لما صعُبت التكاليف على الجهال والطَّغَام[5] ؛ عَدَلوا[6] عن أوضاع الشـــرع[7] إلى تعظيم أوضاع وضعوها ، وضعوها لأنفسهم ، فسهُلت عليهم إذ لم يَدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها ، وخطاب الموتى

---

١ ولكاتبه عفا الله عنه بحث بعنوان «تلاعب الشيطان بعقول القبوريين» ، جمع فيها كلام ابن القيم في هذه المسألة من كتابه المذكور ، ورتبه وفهرسه ، وهو منشور على صفحته في شبكة المعلومات (www.saaid.net/kutob) ، نفع الله به.

٢ هو الإمام العلامة البحر ، شيخ الحنابلة ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ٤٣١ هـ ، له كتاب «الفنون» في أربعمائة مجلد، اشتغل بعلم الكلام فوقع في تأويل بعض الصفات ، ثم أشهد على نفسه أنه تاب ، ثم صنف في الرد على مؤولة الصفات ، وله كلام في كتابه «الفنون» في ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف ، نقله ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٦١/٨ – ٦٨).

توفي رحمه الله سنة ٥١٣ هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٤٣/١٩).

٣ الأقرب أن مقصوده بقوله «الأوضاع» أي الأفعال.

٤ نقله عنه الشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي في كتابه «حكم الله الواحد الصمد» ، ص ٤٤ ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

٥ الطغام هم أراذل الناس وأوغادهم. انظر «النهاية».

٦ عدَلوا أي حادوا.

٧ أوضاع الشرع أي تعاليمه التي شرعها الله تعالى للناس.

بالحوائج ، وكَتْب الرقاع فيها: (يا مولاي ، افعل بي كذا وكذا) ، وأخْذ تربتها تبركا ، وإفاضة الطيب على القبور ، وشد الرحال إليها ، وإلقاء الخرق على الشجرة اقتداء بمن عَبَد اللات والعُزّى».[1]

وقال الشيخ عبد الله أبابطين[2] رحمه الله: «ورأيت من جملة فتاوى للقاضي أبي يعلى[3] منها: أنه سُئل عمن يقول: (يا محمد ، يا علي) ، فقال: هذا لا يجوز لأنهما ميتان».[4]

وأما كلام المالكية في باب تحريم دعاء غير الله فقد قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المالكي رحمه الله في تفسيره الموسوم «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[5]:

قوله تعالى ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ ، أي إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم ، لأنها جمادات لا تُبصر ولا تسمع ، إذ ليس كل سامع ناطقا.

وقال قتادة: المعنى: لو سمعوا لم ينفعوكم.

وقيل: أي لو جعلنا لهم عقولا وحياة فسمِعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ، ولما استجابوا لكم على الكفر.

---

١ نقله عنه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ، ص ٣٥٢ – ٣٥٣ .

ونقله أيضا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد» ، ص ٣٠١-٣٠٢ ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

٢ تقدمت ترجمته.

٣ هو شيخ الحنابلة ، المفتي القاضي ، محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي ، ابن الفراء ، كان عالم العراق في زمنه ، ، له كتاب «إبطال التأويلات في أخبار الصفات» و «الرد على الجهمية» وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٤٥٨ رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار من «سير أعلام النبلاء» (٨٩/١٨) ، وله ترجمة في «تاريخ الإسلام» ، و«طبقات الحنابلة». لابنه محمد بن أبي يعلى الفراء.

٤ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٤٧ .

٥ سورة فاطر: ١٤ .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ ، أي يجحدون أنكم عبدتموهم ، ويتبرءون منكم.
ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يَعقل ، كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين ، أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقا ، وأنهم أمروكم بعبادتهم ، كما أخبر عن عيسى بقوله ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾[1].
ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضا ، أي يحييها الله حتى تخبر أنها ليست أهلا للعبادة.
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ، هو الله جل وعز ، أي لا أحد أَخْبر بخلق الله من الله ، فلا ينبئك مثله في عمله. انتهى.

وقال العلامة عبد الحميد بن باديس الجزائري[2] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية – في تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰها آخر﴾[3]:

مزيد بيان لتوحيد الرحمٰن

من دعا غير الله فقد عبده

---

١ سورة المائدة: ١٦ .

٢ هو الشيخ الداعية عبد الحميد بن مصطفى بن مكي بن باديس ، من دعاة النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري في الجزائر ، درس على عدة مشايخ في الجزائر وتونس ، ثم انكب على التعليم والدعوة ومحاربة البدع لاسيما بدع الطرق الصوفية ، حتى إن الصوفية دبروا مكيدة لاغتياله فنجاه الله منها ، أسس جريدة الشهاب ، وكان له نشاط ظاهر في بعض المجلات الدينية ، وتخرج على يديه دعاة عدة ، منهم مبارك الميلي والفضيل الورتيلاني ومحمد سعيد الزاهري وأحمد حماني ومحمد الصالح بن عتيق ومحمد الصالح رمضان.
له مقالات جمعت فيما بعد فصارت كتبا ، منها «مبادئ الأصول» و«العقائد الإسلامية» و «التفسير أو مجالس التذكير» و «رجال السلف ونساؤه» و «جواب سؤال عن سوء مقال» رد فيه على ابن عليوة الطرقي ، وقد جمعت مقالات الشيخ في الثلاثة الأخيرة في ستة مجلدات ، وأصدرتها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية.
بذل ابن باديس نفسه ووقته وجهده من أجل قضية تحرير الجزائر من احتلال الفرنسيين ، وأمضى عمره في التعليم والدعوة ، حتى عُـدَّ من أئمة الدعوة في المغرب العربي ، وافته المنية في ١١ربيع الثاني ١٣٥٨هـ ، رحمه الله رحمة واسعة.
مصدر الترجمة: «أصول الدعوة السلفية عند العلامة عبد الحميد بن باديس» للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري.

٣ سورة الفرقان: ٦٨ .

ما يزال الذكر الحكيم يُسمي العبادة دعاء ويعبر بها عنها ، ذلك لأنه عبادة ، فعبر عن النوع ببعض أفراده ، وإنما اختير هذا الفرد ليعبر به عن النوع لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها فإن العابد يُظهر ذله أمام عِزِّ المعبود ، وفقره أمام غناه ، وعجزه أمام قدرته ، وتمام تعظيمه له وخضوعه بين يديه ، ويعرب عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه ، فالدعاء هو المظهر الدَّال على ذلك كله ، ولهذا كان مخ عبادته، وقد جاء التنبيه على هذا في السنة المطهرة ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾. رواه أحمد والترمذي وأبو داود رحمهم الله والنسائي وابن ماجه.

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الدعاء مخ العبادة). رواه الترمذي رضي الله عنه.

فتطابق الأثر والنظر على أن الدعاء عبادة ، فمن دعا غير الله فقد عبده ، وإذا كان هو لا يسمي دعاءه لغير الله عبادة فالحقيقة لا ترتفع بعد تسميته لها باسمها وتسميته لها بغير اسمها ، والعبرة بتسمية الشرع التي عرَفناها من الحديثين المتقدمين لا بتسميته ...

تحذير وإرشاد

ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس: (يارب والشيخ) (يا رب وناس ربي) .. وهذا من دعاء غير الله ، فإياك أيها المسلم وإياك ، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده وحده ، وأنف الشرك راغم.

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

وقال العلامة مبارك الميلي المالكي الجزائري[2] رحمه الله تعالى – وهو من متأخري المالكية أيضا – في كتابه «رسالة الشرك ومظاهره»:

---

١ «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠ ، باختصار ، وهو من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية – الجزائر.

٢ هو الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي ، تلقى العلم منذ صغره على جلة من المشايخ ، منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ثم صار أحد أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١ ، وكان له دور دعوي بارز في الصحافة، جاهد في سبيل الدعوة بالرغم من المضايقات التي تعرض لها أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر ، له عدة مؤلفات، أشهرها «الشرك و مظاهره» ، توفي رحمه الله في عام ١٩٤٥ ميلادية.

دعاء غير الله وحكمه

دعاء غير الله .. شرك صريح وكفر قبيح ، وله نوعان:

أحدهما: دعاء غير الله مع الله ، كالذي يقول: (يا ربي وشيخي ، يا ربي وجَدي ، يا الله وناسه ، يا الله يا سيدي عبد القادر) ، وسمعت كثيرا يحكون أنهم كثيرا ما يسمعون فلانا يقول: يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي ...

وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح ، لأن الداعي عَطَفَ غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة ، وهي تقتضي مشاركة ما بعدها لما قبلها في الحكم ، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء.

النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله ، كالذي يقول: .. (يا ديوان الصالحين).

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

وقال أيضا: ولقد فشا في المسلمين دعاء غير الله على شدة إنكار كِتابِهم له[2] وتحذير نبيهم ﷺ منه ، حتى صار الجهلة ومن قرُب منهم يؤثرونه على دعاء الله وحده ، والاستشهاد لذلك بالحكايات عنهم واستيعابها مُمِلٌّ مُعجِز.[3]

وقال العلامة تقي الدين الهلالي المالكي[4] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية أيضا – في كتابه «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية»:

مصدر الترجمة: مقدمة تحقيق كتاب «الشرك ومظاهره» للمترجم له ، تحقيق: الشيخ أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري ، الناشر: دار الراية – الرياض.

١ «رسالة الشرك ومظاهره» ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ ، باختصار ، تحقيق: الشيخ أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري ، راجعه الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، الناشر: دار الراية – الرياض.

٢ أي القرآن العظيم.

٣ «رسالة الشرك ومظاهره» ، ص ٢٨٦ .

٤ هو العلامة المحدث واللغوي الشهير والشاعر الفحل والرحالة المغربي الشيخ السلفي الدكتور محمد التقي المعروف بمحمد تقي الدين الهلالي ، درس على جملة من المشايخ ، منهم الشيخ عبد الظاهر أبو السمح والشيخ رشيد رضا بمصر ، ثم مكث بها سنة يدعو إلى عقيدة السلف و يحارب الشرك و الإلحاد ، ثم سافر للهند فطلب الحديث على الشيخ المحدث عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» ، ودرس على غيره أيضا في

فتبين لك أيها القارئ الموفق أن الاستغاثة دعاء ، والدعاء مخ العبادة ، ومن استغاث بغير الله فقد أشرك وعبد مع الله غيره ، ومن زعم أنه هو أو غيره من المخلوقين قادرٌ أن يُغيث من استغاث به ويجيب المضطر ويكشف السوء ويجعل الناس خلفاء في الأرض فقد اتخذ مع الله إلها آخر بنصوص القرآن والسنة ، انظر آيات النمل من قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ من آية ٥٨ – ٦٤ ذكر الله تعالى في هذه الآيات أمورا خاصة به لا يقدر عليها غيره ، منها إجابة المضطر وكشف السوء وتولية المناصب والهداية في ظلمات البر والبحر وإرسال الرياح فمن نسب شيئا من هذه الأمور إلى مخلوق أنه هو الفاعل لها بغير طريق الأسباب **فقد أشرك بالله** وعبد معه غيره.

واعلم أنه يجب على كل مسلم أن يوحد الله في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته ، فهـذه أنواع التوحيد الثلاثة ، من أخلّ بها أو بشيء منها فهو كافر.[1]

وقال العلامة الشيخ المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي[2] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية أيضا – في تفسير قوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾[1]:

العراق، ثم تدرج في سلسلة أعمال علمية ودعوية إلى أن عمل أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى سنة ١٩٧٤م ، ثم رجع إلى بلده المغرب ومكث يدعو فيها إلى التوحيد والسنة إلى أن توفاه الله يوم الإثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ.

له ما يربو على عشرين مؤلفا في العقيدة والفقه ، منها «القاضي العدل في حكم البناء على القبور» ، و «العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور» ، فرحمه الله رحمة واسعة.

١ «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» ، ص ٦١ .

٢ هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظة نادرة ، له نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها

وأعظم الكافرين كفراً هو من يدعو مع الله إلٰها آخر لا برهان له به ، ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار ، وقد حذر الله من دعاء إله معه في آيات كثيرة كقوله ﴿ولا تجعلوا مع الله إلٰها آخر إني لكم منه نذيرً مبين﴾ ، وقوله ﴿ولا تدعُ مع الله إلٰها آخر لا إله إلا هو كل شئ هالكٌ إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ ، وقوله تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلٰها آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ ، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً. انتهى.

وقال أيضا رحمه الله في تفسير الآية الثانية من سورة الحجرات:

«اعلم أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته ؛ اتجاه عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدِر على كشفِها إلا الله ، فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي **لا يجوز إلا لله وحده** ، لأنه من خصائص الربوبية ، فصرْف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته ، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي ﷺ ، لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا.

وقد بين جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه أن اتجاه المضطر من عبادِه إليه وحده في أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى». انتهى.[٢]

وبهذا انتهى النقل عن علماء المذاهب الأربعة.

ولغير واحد من العلماء المحققين ممن لا ينتسب إلى مذهب معينولغير العلماء المنتسبين لأي من المذاهب الأربعة كلام واضح وصريح في تحريم دعاء غير الله ، فقد قال الإمام محمد بن علي الشوكاني في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»:

ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ . باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

١ سورة المؤمنون: ١١٧ .

٢ انظر تفسيره الموسوم «أضواء البيان».

«اعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية ؛ أمرٌ غير ما ذكرنا – من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة – وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ومن المعروفين بالصلاح من الأحياء ، من أنهم يقدِرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، **فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالا ، ويصرخون بأسمائهم** ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ، **وهذا إذا لم يكن شركا فلا ندري[1] ما هو الشرك ، وإذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر**». انتهى.[2]

وأختم هذا الباب بكلام نفيس جامع لسماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في هذه المسألة ، قال:

لا ريب أن الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها ، فوجب إخلاصه لله وحده كما قال عز وجل ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون﴾[3] ، وقال عز وجل ﴿وَأَنَّ المسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[4] ، وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم ، لأن "أحد" نَكِرَة في سياق النهي ، فتَعُمُّ كلَّ من سِوى الله سبحانه ، وقال تعالى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾[5] ، وهذا خطاب للنبي ﷺ ، ومعلوم أن الله سبحانه قد عصمه من الشرك ، وإنما المراد من ذلك تحذير غيره ، ثم قال عز وجل ﴿فإن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِين﴾[6] ، فإن كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله يكون من الظالمين فكيف بغيره؟ والظلم إذا أُطلق يراد به الشرك الأكبر كما قال الله سبحانه ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[7] ، وقال

---

١ في المطبوع : (تدري) ، وأظنه تصحيفا.

٢ ص ٢٢ – ٢٣ ، تحقيق: محمد علي الحلبي ، دار الفتح – الشارقة.

٣ سورة غافر: ١٤ .

٤ سورة الجن: ١٨ .

٥ سورة يونس: ١٠٦ .

٦ سورة يونس: ١٠٦ .

٧ سورة البقرة: ٢٥٤ .

تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

فعُلِم بهذه الآيات وغيرها أن دعاء غير الله من الأموات والأشجار والأحجار والأصنام وغيرها شرك بالله عز وجل ينافي العبادة التي خَلَقَ الله الثقلين من أجلها ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله ، فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده ، كما قال سبحانه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾[2] ، وهذا هو أصل الدين وأساس الملَة ولا تصح العبادات إلا بعد صحة هذا الأصل كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[3] ، وقال سبحانه ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

ودين الإسلام مبني على أصلين عظيمين أحدهما: أن لا يُعبدَ إلا الله وحده ، والثاني ألاَّ يُعبَد إلا بشريعة نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن دعا الأموات من الأنبياء و غيرهم أو دعا الأصنام أو الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات أو استغاث بهم أو تقرب إليهم بالذبائح و النذور أو صلى لهم أو سجد لهم ؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وجعلهم أنداداً له سبحانه.

وهذا يناقض هذا الأصل و ينافي معنى لا إله إلا الله ، كما أن من ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله لم يحقق معنى شهادة أن محمداً رسول الله ، وقد قال الله عز وجل ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾[5] ، وهذه الأعمال هي أعمال من مات على الشرك بالله عز و جل ، و هكذا الأعمال المبتدعة التي لم يأذن بها الله فإنها تكون يوم القيامة هباءً منثوراً لكونها لم توافق شرعه المطهر ، كما قال النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. متفق على صحته.[6]

---

١ سورة لقمان: ١٣ .

٢ سورة الحج: ٦٢ .

٣ سورة الزمر: ٦٥ .

٤ سورة الأنعام: ٨٨ .

٥ سورة الفرقان: ٢٣ .

٦ رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

ثم قال رحمه الله: وقد أمر الله عز وجل بدعائه سبحانه ، ووعد من يدعوه بالاستجابة ، وتوعد من استكبر عن ذلك بدخول جهنم ، كما قال عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] ، أي صاغرين ذليلين ، وقد دلت الآية الكريمة على أن الدعاء عبادة ، وعلى أن من استكبر عنه فمأواه جهنم ، فإذا كانت هذه حال من استكبر عن دعاء الله فكيف تكون حال من دعا غيره وأعرض عنه؟

وهو سبحانه القريب المجيب المالك لكل شيء والقادر على كل شيء ، كما قال سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾[2].

وقد أخبر الرسول في الحديث الصحيح أن **الدعاء هو العبادة** ، وقال لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **اِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، اِحْفَظِ اللهَ تجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ.** أخرجه الترمذي وغيره.[3]

وقال ﷺ: منْ مات وهو يدعُو من دون الله نداً دخلَ النار.[4]

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سُئِل: أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ الله؟

قال: **أن تجعلَ للَّهِ ندًّا وهوَ خَلَقَكَ.**[5]

والند هو النظير والمثيل.

فكل من دعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو صرف له شيئا من العبادة سوى ما تقدم فقد اتخذه ندا لله ، سواء كان نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً أو صنماً أو غير ذلك من المخلوقات.

أما سؤال الحي الحاضر ما يقدر عليه والاستعانة به في الأمور الحسية التي يقدر عليها فليس ذلك من الشرك، بل ذلك من الأمور العادية الجائزة بين المسلمين ، كما قال تعالى في قصة موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ

---

١ سورة غافر: ٦٠ .

٢ سورة البقرة: ١٨٦ .

٣ تقدم تخريجه.

٤ رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٥ رواه البخاري (٤٧٦١) ومسلم (٨٦) ، واللفظ له ، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[1] ، وكما قال تعالى في قصة موسى أيضا ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّب﴾[2] ، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأمور التي تَعرِض للناس ويحتاجون فيها إلى أن يستعين بعضهم ببعض.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبلغ الناس أنه لا يملك لأحد نفعاً أو ضراً ، فقال تعالى في سورة الجن ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً * قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ رَشَداً﴾[3] ، وقال تعالى في سورة الأعراف ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهو ﷺ لا يدعو إلا ربه ، ولا يستغيث إلا به ، و كان في يوم بدر يستغيث بالله ويستنصره على عدوه ويُلِح في ذلك ويقول: "**يا ربِّ أنجز لي ما وعدتني**" ، حتى قال الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه: "حَسبُك يا رسول الله ، فإن الله مُنجِز لك ما وعدك"[5] ، وأنزل الله سبحانه في ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6] ، فذكّرهم سبحانه في هذه الآيات استغاثتهم به ، وأخبر أنه استجاب لهم بإمـــدادهم بالملائكة ، ثم بين سبحانه أن النصر ليس من الملائكة ، وإنما أمدهم به للتبشير بالنصر والطمأنينة ، وبين أن النصر من عنده فقال ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[7] ، وقال عز وجل في سورة آل عمران ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[8] ، فبين في هذه الآية أنه سبحانه هو الناصر لهم يوم بدر ، فعُلم بذلك أن ما أعطاهم من السلاح والقوة ، وما أمدهم به من

---

١ سورة القصص: ١٥ .

٢ سورة القصص: ٢١ .

٣ سورة الجن: ٢٠ – ٢١ .

٤ سورة الأعراف: ١٨٨ .

٥ انظر الحديث في صحيح البخاري (٢٩١٥) وصحيح مسلم (١٧٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

٦ سورة الأنفال: ٩ — ١٠ .

٧ سورة آل عمران: ١٢٦ .

٨ سورة آل عمران: ١٢٣ .

الملائكة ؛ كل ذلك من أسباب النصر والتبشير والطمأنينة ، وليس النصر منها ، بل هو من عند الله وحده.[1] انتهى كلام الشيخ ابن باز رحمه الله.

قال مقيده عفا الله عنه: فجزى الله أهل العلم المخلصين لله خير الجزاء على تبيينهم للناس أصل دينِهم وهو توحيد العبادة ، فإنهم كما قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم في مقدمة الكتاب الذي جمعه «الدرر السنية من الفتاوى النجدية»:

وقد صنَّف العلماء في كل عصر ومصر ، في الأصول والفروع وغيرها مما لا يحصى ، حفظا للدين والشريعة وأقول أهل العلم ، وليكون آخر الأمة كأولها في العلم والعمل والتزام أحكام الشريعة وإلزام الناس بها ، لأن ضرورتهم إلى ذلك فوق كل ضرورة ، ولولا ذلك لجرى على ديننا ما جرى على الأديان قبله ، فإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.[2]

الوجه الخامس من وجوه بطلان دعاء غير الله أن عبادة غير الله انحراف عن الفطرة التي خلق الله الناس عليها وهي عبادة الله وحده ، والدعاء نوع من أنواع العبادة ، بل هو لبُّها وخالصُها وروحُها ، فإن الله خلق الناس حنفاء كلهم ، والحنيف هو المائل ، أي المائل عن الشرك إلى التوحيد ، ثم أتتهم شياطين الإنس والجن فاجتالتهم[3] عن التوحيد إلى الشرك ، كما قال النبي ﷺ: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كل مال نحلته[4] عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم[5] ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم ، **وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**.[6]

---

١ انظر «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠٨/٢) ، الناشر: دار القاسم – الرياض.

٢ «الدرر السنية» (٢١/١).

٣ أي حوّلتهم. انظر «القاموس المحيط».

٤ أي وهبتُه.

٥ أي على الحنيفية وهي عبادة الله وحده.

٦ رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض المجاشعي رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه ، كما تُنتج[1] البهيمة بهيمة جمعاء[2] هل تُحِسُّون[3] فيها من جدعاء[4]؟ ثم يقول أبو هريرة أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الآية.[5]

فشبَّه رسول الله ﷺ المولود الذي يولد على فطرة التوحيد ثم يحرفه أهله إلى الشرك بالبهيمة التي جدع أهلها أذنها – أي قطعوها – بعد أن ولدت لا جدَع فيها ، وإذا كان اليهود والنصارى والمجوس يدعون غير الله ، فالفطرة عكس ذلك ، وهي دعاء الله وحده ، وهو المطلوب.

ومما يدل على أن دعاء الله وحده هو مقتضى الفطرة ؛ أن الداعين لغير الله ينسون من يدعونهم وقت الشدائد تماما ، ويتجهون لدعاء الله وحده ، **فالفطرة تدعوهم لدعاء الله وحده اضطرارا** ، فدل هذا على بطلان ضده وهو دعاء غير الله ، قال تعالى عن المشركين الأولين ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم قد أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين * فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾.

وقال أيضًا سبحانه في سورة الأنعام ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾.

ولما أقبل أبرهة على مكة وهرب أهلها منها خوفاً منه ؛ قام عبد المطلب – جد النبي ﷺ – ونفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة ، فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وهو يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك		يا رب فامنع منهم حماك

---

١ تُنتِج أي تلد.

٢ جمعاء أي سليمة من العيوب ، مجتمعة الأعضاء كاملتها ، لا جدْعَ فيها – أي قطع – ولا كيْ.

٣ تُحِسُّون من الإحساس ، أي العلم بالشي. قاله ابن حجر في شرح الحديث رقم (١٣٨٥).

٤ الجدْعُ هو القطع ، يقال عبد مجدع الأطراف أي مُقطَّع الأطراف ، والمقصود أن البهيمة تكون سليمة حتى يُتعرض لها بقطعٍ ، والجدْعُ أكثرَ ما يستعمل في الأنف. انظر «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير رحمه الله.

٥ رواه البخاري (١٣٥٨) ، ومسلم (٢٦٥٨).

إن عدو البيت من عاداك		امنعهم أن يُخرِبوا قُراك[1]

تنبيه:

كان المشركون الأولون إذا أصابتهم شدة دعوا الله وحده ، وإذا كانوا في رخاء دعوا غير الله ، أما مشركو زماننا فإنهم أسوء حالا من المشركين الأولين ، فإنهم يدعون غير الله في الرخاء والشدة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد ذكر الشيخ صديق حسن خان[2] رحمه الله ، وهو من علماء القرن الثالث عشر ، في كتابه «رحلة الصديق إلى البيت العتيق» قصة تتعلق بهذا الموضوع حصلت له لما ذهب للحج عن طريق البحر وفيها:

ومن العجائب التي لا ينبغي إخفاؤها أن الملاحين إذا ترددوا في أمر المركب من جمود الريح ، أو هبوبها مخالِفة[3] ، أو شيئا من الخوف على السفينة وأهلها ، كانوا يهتفون باسم الشيخ عيدروس وغيره من المخلوقين مستغيثين ومستعينين به ، ولم يكونوا يذكرون الله عز وجل أبدا ، أو يدعونه بأسمائه الحسنى ، وكنت إذا سمعتهم ينادون غير الله ويستعينون بالأولياء خفت على المركب خوفا عظيما من الهلاك ، وقلت في نفسي: يالله العجب ، كيف يصل هذا المركب بأهله إلى ساحل السلامة ، فإن مشركي العرب قد كانوا لا يذكرون آلهتهم الباطلة في مثل هذا المقام ، بل يدعون الله تعالى وحده غير مشركين به ، كما حكى عنهم سبحانه في محكم كتابه المبين ، ﴿وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ ، وهؤلاء القوم الذين يسمون

---

١ قُرى بالضم جمع قرية وهي البلد ، وإن كانت بالكسر فالمقصود مكان الضيافة ، لكون مكة تستضيف الناس من مشارق الأرض ومغاربها ، والله أعلم.

والقصة رواها ابن جرير في «تفسير» في تفسير سورة الفيل ، وكذا ابن إسحاق في «السيرة» بنحو لفظ هذه الأبيات.

٢ هو الإمام العلامة المحقق محيي السنة وقامع البدعة ، أبو الطيب ، صديق بن حسن بن علي لطف الله القِنَّوجي ، نزيل بهوبال بالهند وأميرها ، له مؤلفات كثيرة ، منها «الدين الخالص» ، توفي سنة ١٣٠٧ ، وكلامه في تقرير العلو مذكور في كتابه «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» ، ص ٥٠ — ٥٣ ، بتحقيق د. عاصم بن عبد الله القريوتي ، (الناشر: عالم الكتب — بيروت) ، وقد اقتبست ترجمة الشيخ صديق منه.

٣ أي مخالفة لاتجاه السفينة.

أنفسهم (المسلمين) يدعون غير الله ويهتفون بأسماء المخلوقين ، ولقد صدق الله تعالى فيما قال ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾.[1]

الوجه السادس: ومن وجوه بطلان دعاء غير الله **أن هذا الفعل هو فِعْلُ المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ سواء بسواء** ، فقد كان المشركون يدعون الأنبياء ويدعون الملائكة ويدعون الصالحين وغيرهم ، ويقولون: هؤلاء يقربوننا ويشفعون لنا عند الله ، قال الله تعالى عنهم ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وقال تعالى عنهم في سورة الزمر ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ ، فانظر كيف حكم عليهم بالشرك في الآية الأولى ، وبالكفر في الآية الثانية.

بل إن دعاء غير الله تعالى هو فعل جميع أصناف المشركين قاطبة في الماضي والحاضر ، من لدن نوح إلى يومنا هذا ، مرورا بقوم إبراهيم الذين كانوا يدعون الأصنام ، والنصارى الذين يدعون عيسى وأمه ، وكذلك البوذيون والهنادكة وغيرهم من الوثنيين.

وقد وقع في هذا اللون من الانحراف فئام ممن ينتسبون لدين الإسلام ، وأشهرهم ثلاث طوائف:

الأولى الرافضة ، الذين غلو في تعظيم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض آل بيت النبي ﷺ ، حتى آل بهم الأمر إلى دعائهم وطلب الحاجات منهم ، وهم الآن يحجون إلى قبر علي في كربلاء ، ويسألونه الحاجات من رزق وولد كما يسألون الله تعالى ، قبَّحهم الله.

والطائفة الثانية غلاة الصوفية ، الذين غلوا في تعظيم من وصفوهم بالأولياء والأقطاب ، ويدعونهم لكشف الكربات وإغاثة اللهفات.

والطائفة الثالثة القبورية ، الذين يأتون إلى قبور بعض الصالحين ، وربما إلى قبر النبي ﷺ ، ويدعونهم كما يدعون الله ، ويأتون أيضا إلى بعض القبور المنسوبة لبعض آل بيت النبي ﷺ ، وهذا شرك في العبادة ، وخروج من دين الإسلام ، عياذا بالله.

---

١ ص ١٧١ ، ط ٣ ، سنة ١٤٠٤ هـ ، الناشر: دار ابن القيم – الدمام.

أقول: والمعبودات التي تُعبد من دون الله ستُكذِّب عابديها يوم القيامة في زعمهم أنها تُقربهم إلى الله ، فأي خُذلان بعد هذا الخذلان ، قال تعالى ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا * **فقد كذبوكم بما تقولون** فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾[1] ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ ، أي فقد كذَّبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يُقرِّبونكم إلى الله زلفى ... وقوله ﴿فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ أي لا يقدِرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسِهم. اهـ.

الوجه السابع: أنَّ دعاء غير الله من الأنبياء والصالحين لو كان صواباً لأمَر به الله – تعالى الله عن ذلك – ولَفَعله النبي ﷺ وصحابتُه رضي الله عنهم – حاشاه وصحابته من ذلك – ، لأنهم أحرص الناس على الخير وأعلمهم بالحق ، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وفيهم الخلفاء الأربعة ، وفيهم أهل بيته ، وفيهم المشهود لهم بالجنة ، وفيهم الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، ومع هذا فلم يحصل منهم بتاتا أن دعوه وطلبوا الحاجات منه ، بل لم يرد عن أحد ممن جاء بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة أثر صحيح أو حسن يُثبِت أنهم كانوا إذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور.

قال ابن تيمية رحمه الله: «والمؤمن يرجو ربه ويخافه ويدعوه مخلصاً له الدين ، وحق شيخه عليه أن يدعو له ويترحم عليه ، فإن أعظم الخلق قدراً هو رسول الله ﷺ ، وأصحابه أعلم الناس بأمره وقدره وأطوع الناس له ، **ولم يكن يأمر أحدًا منهم عند الفزع والخوف أن يقول: يا سيدي يا رسول الله ، ولم يكونوا يفعلون ذلك لا في حياته ولا بعد مماته** ، بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه ﷺ ، قال الله تعالى ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾».[2]

---

١ سورة الفرقان: ١٧ – ١٩ .

٢ «مجموع الفتاوى» (٢٧/٨٧-٨٨).

وقال أيضا: «سؤال الميت والغائب – نبياً كان أو غيره – من المحرمات المنكرة **باتفاق أئمة المسلمين** ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، **ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين** ، فإن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به تِرةٌ[1] أو عرضت له حاجة لميت: يا سيدي فلان أنا في حسبك ، أو اقض حاجتي ، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ، ولا أحداً من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال ، ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون ، ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبيٍّ ولا غيره من المخلوقين ، بل ولا أقسموا بمخلوق على الله أصلاً ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا الصلاة عندها».[2]

وقال ابن القيم رحمه الله:

«فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى ، وهذه سنة خلفائه الراشدين ، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلا عن أن يصلوا عندها ، أو يسألوا الله بأصحابها ، أو يسألوهم حوائجهم؟

فليوقِفونا على أثر واحد ، أو حرف واحد في ذلك».[3]

الوجه الثامن: أن الذي يتوجه إلى غير الله بالعبادة والدعاء قد ساوى هذا المعبود بالله عز وجل في الحب والتعظيم ، وشبّهه به ، لكونه توجه له كما توجه لله ، وهذه المساواة والتشبيه هي حقيقة الشرك ومعناه ، وقلبه وقالبه ، قال تعالى مبينا حقيقة فعل الكفار ﴿ثم الذين كفروا بربهم **يعدِلون**﴾[4] ، أي يجعلون له معادلاً ومساويًا ، وقال تعالى عنهم وهم يذكرون حالهم في الدنيا وهم في النار ﴿تالله إن كنا لفي ضلال

---

١ تِرة أي نقص.

٢ «الاستغاثة في الرد على البكري» ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

٣ «إغاثة اللهفان» ، ص ٣٦٧ – ٣٦٨ .

٤ سورة النحل: ١ .

مبين * إذ نسويكم برب العالمين﴾[1] ، قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي في تفسير هذه الآية: «في العبادة والمحبة والخوف والرجاء ، وندعوكم كما ندعوه ، فتبين لهم حينئذ ضلالهم ، وأقروا بعدل الله في عقوبتهم ، وأنها في محلها ، وهم لم يُسوُّوهم برب العالمين إلا في العبادة». انتهى.[2]

ومساواة الله بخلقه باطلة ، لأن الله ليس له كفؤ ولا ند ، ولا مثيل ولا نظير ، قال تعالى ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ ، وقال ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ أي أمثالا ونظراء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

«وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً ، يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين﴾ ، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء ، وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، **بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم – بل أكثرهم – يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذُكر الله وحده ، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحدهم رب العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث إذا حَرَد**[3] ، **وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها!** بل إذا قام المنتهِك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تتنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة.

وترى أحدَهم قد اتخذ ذِكْرَ إلٰهةُ ومعبوده من دون الله على لسانه ديدنا له إن قام وإن قعد ، وإن عثر وإن مرض ، وان استوحش ، فذِكر إلٰهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه ، وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله ، وشفيعه عنده ، ووسيلته إليه ، **وهكذا كان عُباد الأصنام سواء.**

---

١ سورة الشعراء: ٩٧ – ٩٨ .

٢ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

٣ حَرَدَ أي غضِبَ . انظر «لسان العرب».

وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، **فأولئك كانت آلهتهم من الحجر ، وغيرهم اتخذوها من البشر** ، قال الله تعالى عن أسلاف هؤلاء المشركين ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾.

ثم شهد عليهم بالكفر والكذب ، وأخبر أنه لا يهديهم فقال ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾.

فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم أنه يقربه إلى الله ، **وما أعزَّ[1] من يخلُص من هذا ، بل ما أعزَّ من لا يعادي من أنكره**».[2]

وقال أيضا رحمه الله:

فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلٰهية ، فإن من خصائص الإلٰهية التفرد بملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ، فمن علَّق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فضلاً عن غيره ، شبيهاً لمن له الأمر كله ، فأزِمَّة الأمور كلها بيديه ، ومرجعها إليه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، بل إذا فَتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد ، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد ، فمِن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلٰهية الكمال المطلق من جميع الوجوه ، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوبة والتوكل والاستعانة ، وغاية الذل مع غاية الحب ، كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكون له وحده ، ويمتنع عقلاً وشرعًا وفطرةً أن يكون لغيره ، فمن جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبّه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله ، ولشدة قبحه وتضمُّنه غاية الظلم ؛ أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلٰهية ؛ العبودية التي قامت على ساقين لا قِوام لها بدونهما ؛ غاية الحب مع غاية الذل ، هذا تمام العبودية ، وتفاوُت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين ، فمن أعطى حبه وذله

---

١ أي ما أقل.

٢ «مدارج السالكين» (١/٥٩٤ – ٥٩٥).

وخضوعه لغيره فقد شبهه به في خالص حقه ، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع ، وقبحُه مستقِرٌ في كل فطرة وعقل ، ولكن غَيّرت الشياطين فِطَر أكثر الخلق وعقولهم ، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها ، ومضى على الفطرة الأولى من سَبقت له من الله الحسنى ، فأرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم ، فازدادوا بذلك نوراً على نور ، ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾.

إذا عُرف هذا ؛ فمن خصائص الإلٰهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

ومنها التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها التوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

ومنها الحلِف باسمه تعظيماً وإجلالاً له ، فمن حلف بغيره فقد شبهه به ، هذا في جانب التشبيه.[1]

وقال الشيخ الشريف محمد بن ناصر الحازمي[2] رحمه الله:

«وقد عَلِم كلُّ عالِم أن عبادة الكفار للأصنام لم يكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع ، والاستغاثة بها عند الحاجة ، والتقرب إليها في بعض الحالات بجزء من أموالهم ، وهذا كله قد وقع من المعتَقِدِين في القبور ، إنهم قد عظَّموها إلى حدٍّ لا يكونُ إلا لله سبحانه وتعالى ، بل ربما يترك العاصي منه فعل المعصية إذا كان في مشهدِ من يعتقده أو قريبًا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله تعالى ، أو في مسجد من المساجد أو قريباً من ذلك».[3]

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله:

«فمن سوَّى بين الحي والميت بقوله: (يُطلب من الميت ما يطلب من الحي) ؛ فقد سوَّى بين ما فرَّق الله والناس بينهما ، حتى المجانين يُفرِّقون بين الحي والميت ، فلو قصد مجنون بيت إنسان ليطعمه فوجده ميتا وأهله عنده ، لعدل إلى الطلب من أهله الأحياء الحاضرين عنده ولم يلتفت إلى الميت».[4]

---

١ «الداء والدواء» لابن القيم ، ص ٢٠٨ – ٢١١ .

٢ انظر ترجمته في «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر» (٢/٧٢٣) للحسن بن أحمد عاكش الضمدي ، تحقيق: د. إسماعيل بن محمد البشري ، الناشر: مكتبة جامعة الشارقة.

٣ «إيقاظ الوسنان على بيان الخلل في صلح الأخوان» ، ص ٣٧ ، الناشر: دار الشريف – الرياض.

٤ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ٨٢ .

وقال أيضا: «ويقال لهذا المساوي بين الأحياء والأموات: من المعلوم أن أهل الدنيا يستقضون حوائجهم بعضهم من بعض ؛ برهم وفاجرهم ، مسلمهم وكافرهم ، وقد استعار النبي ﷺ أدراعاً من صفوان بن أمية وهو مشرك ، واستعان في بعض غزواته بأناس من المشركين ، وما زال المسلمون يَستقضون حوائجهم من المسلم والذمي والبر والفاجر ، فيلزم المساوي بين الأحياء والأموات أن يساوي بين أموات المذكورين كما كانوا في الدنيا كذلك.[1]

وقال أيضا: ويقال أيضًا لهذا المُساوي بين الحي والميت: لو أَعطى إنسان آخر مالاً وقال: أودِعه عند ثقة ، فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر وقال: هذا وديعة عندك لفلان ، واستحفَظه إياه فضاع ؛ لعده الناس مجنوناً جنوناً لا يرفع التكليف ، وألزموه بالضمان ، ويلزم هذا الذي ساوى بين الحي والميت أن يقول: هو مصيب فيما فعله ولا ضمان عليه ، وربما أنه لا يلتزم هذا خوفاً من الفضيحة عند الناس ، وحينئذ يقول له الوكيل في الإيداع: أنا ما فرطت على مذهبك في التسوية بين الحي والميت ، لأنك تقول: ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت ، وأنا طلبت من الشيخ عبد القادر حِفظ هذه الوديعة وهي حاجتي عنده ، وأنت تُجوِّز طلب الحاجات من الأموات فكيف تُخطِّئني؟!»[2]

الوجه التاسع: أن الله عز وجل لا يقبل عملاً دخله الرياء ، لأنه سبحانه وتعالى غني عن أن يكون له شريك ، فيكون الشرك في الدعاء مردود أيضا ، لأن بابهما واحد ، وهو التقرب للمخلوقين ، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عملا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ.[1]

وقد بَيَّن النبي ﷺ أن الرياء شرك أصغر ، يحبط العمل الذي خالطه ، فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأصغر.

قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأصغر يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: الرِّيَاءُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمُ:

اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدنيا ، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً.[3]

---

١ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ٨٨ .

٢ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ٨٤ – ٨٥ .

٣ أخرجه أحمد في «المسند» (٤٢٨/٥ ، ٤٢٩) ، وقال محققوه: إسناده حسن.

فإذا كان الرياء شركاً يحبط العمل ؛ فكيف بالدعاء الخالص لغير الله؟

لا شك أنه أشد خطرًا وضررًا.

وإذا كان المرائي يقال له يوم القيامة: (اطلب ثواب عملك ممن عملت لهم) ، فالذي يدعو غير الله يقال له ذلك يوم القيامة ، بل يتبرؤون منه.

نسأل الله العافية من الشرك ، دقيقِه وجليله.

الوجه العاشر: أن الله قد صرَّح في كتابه بأنه لا يستجيب الدعاء إلا الله وحده ، فوجب الإيمان بذلك ، وترك دعاء من لا يستجيب الدعاء ، وإلا كان الراد لهذه الآيات كافرا بها ، قال تعالى ﴿أمن **يجيب** المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾[1] ، وقال ﴿قل أرءيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾[2]، وقوله تعالى ﴿له دعوة الحق **والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء** إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبسط فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[3].

فمن قال إن أهل القبور يجيبون دعاء من دعاهم فهو على خطر عظيم ، وهو الكفر بآيات الله ، لأنه لم يصدق بخبر القرآن الناص على أنه لا يجيب الدعاء إلا الله وحده.

---

١ سورة النمل: ٦٢ .

٢ سورة الأنعام: ٤٠ – ٤١ .

٣ سورة الرعد: ١٤ .

الوجه الحادي عشر: ومن أعظم وجوه بطلان دعاء المخلوقين **تصريح الله سبحانه بأن دعاء غيره باطل** ، وفي هذا كفاية وشفاء لمن أراد الحق ، وذلك في قوله تعالى في سورة الحج ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾[1]، وقوله تعالى في سورة لقمان ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾[2].

أما دعاء الله فقد وصفه الله بأنه حق كما في قوله تعالى ﴿له دعوة الحق﴾[3].

الوجه الثاني عشر: أن الله قد حكم على من دعا غيره أنه لا أضل منه فقال ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾[4].

قال البيضاوي[5] رحمه الله في تفسيره: «هذا إنكار أن يكون أحدٌ أضل من المشركين ، حيث تركوا عبادة السميع البصير المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم ، فضلاً أن يعلم سرائرهم ، ويراعي مصالحهم.

﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾: لأنهم إما جمادات ، وإما عِبادٌ مسخرون مشتغلون بأحوالهم».[6]

الوجه الثالث عشر: أن ترك دعاء الله من أسباب غضب الله ، هذا إذا كان الداعي لا يدعو غير الله إذا دعا ، فكيف بمن يدعو غير الله إذا دعا؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من لم يسأل الله يغضب عليه.[7]

---

١ الآية ٦٢ .

٢ الآية ٣٠ .

٣ سورة الرعد: ١٤ .

٤ سورة الأحقاف: ٥ .

٥ هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، أبو الخير ، ناصر الدين ، البيضاوي ، كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والعربية ، نظارا صالحا متعبدا زاهدا شافعيا. انظر «طبقات المفسرين» للداوودي ، ص ١٧٣ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ، سورة الأحقاف: ٥ ، باختصار وتصرف يسير.

٧ رواه الترمذي (٣٣٧٣) ، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٥٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

الوجه الرابع عشر: أن الله توعد من دعا غيره بالنار ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى ، قال النبي ﷺ: من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار ، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تخرج عنق من النار يوم القيامة ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول: إني وُكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد ، **وبكل من دعا مع الله إلها آخر** ، وبالمصورين.[2]

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله:

لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله ، من النهي والتحذير عن فعله ، وكُفر فاعله ، **والوعيد عليه بالخلود في النار** ، وقد أُفردت هذه المسألة بالتصنيف ، وحكى الإجماع عليها غير واحد من أهل العلم ، وذكروا أنها من ضروريات الإسلام؟[3]

قلت: ومما يُستأنس به في هذا الباب قول الشاعر:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجة وسَلِ الذي أبوابه لا تُحجبُ

اللهُ يغضبُ إن تركت سؤاله وبُنَيَّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

الوجه الخامس عشر: أن هؤلاء الذين يدعون الأنبياء والصالحين يقرون بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شئ ، وهذا يستلزم أن يوحِّدوه بالعبادة كما وحَّدوه بالربوبية ، والدعاء من أعظم أنواع العبادة.

قال تعالى ﴿يا أيها الناسُ **اعبدوا ربكم** الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ ، فكما أن الله لا شريك له في ربوبيته فكذلك لا شريك له في أحقيته وحده بالعبادة ، لأن توحيد الربوبية يقتضي توحيد الألوهية ويدل عليه.

---

١ رواه البخاري (٤٤٩٧) ، وأحمد (٣٧٤/١).

٢ رواه الترمذي (٢٥٧٤) ، وصححه الألباني رحمه الله.

٣ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٢٤ ، باختصار.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله: وكثيرا ما يقرن تعالى توحيد الإلٰهية بتوحيد الربوبية لأنه دال عليه ، وقد أقر به أيضا المشركون في العبادة.[1]

الوجه السادس عشر: أن دعاء غير الله محرمٌ بالنظر إلى ما أدى إليه ، وهو اعتقاد الربوبية في أولئك المدعوِّين من دون الله استقلالا أو مشاركةً مع الله ، قال الشوكاني في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»:

«اعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية ؛ ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ومن المعروفين بالصلاح من الأحياء ؛ **من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل** ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالا ، ويصرخون بأسمائهم ، **ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع** ، ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ، وهذا إذا لم يكن شركا فلا ندري[2] ما هو الشرك ، وإذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفرٌ». انتهى باختصار يسير.

وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

«إن شرك مشركي هذه الأمة تجاوز الشفاعة والوساطة التي كان يعتقدها مشركوا العرب إلى الملك وتدبير الكون والإحياء والإماتة ، فقد وُجد في هذه الأمة من يعتقد أن تدبير الكون بأسره يعود إلى أقطابٍ أربعة!

وقد بلغ من جهل الخرافيين من المسلمين بتوحيد الله أن مثل هذه النصوص من آيات التوحيد لم تصُد الجاهلين به منهم عن دعوى قدرة الأنبياء والصالحين – حتى الميتين منهم – على كل شيء من التصرف في نفعهم وضرهم ، مما يجعله الله من الكسب المقدور بمقتضى سننه في الأسباب ، **بل يعتقدون أن منهم من يتصرفون في الكون كله ، كالذين يسمونهم بالأقطاب الأربعة** ، وإن من بعض كبار علماء الأزهر في هذا العصر من يكتب هذا في مجلة الأزهر الرسمية (نور الإسلام) ، فيفتي بجواز دعاء غير الله من الموتى والاستغاثة

---

١ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» ، أول تفسير سورة الصافات.

٢ في المطبوع: تدري ، وأظنه تصحيفا.

بهم في كل ما يعجزون عنه من جلب نفع ودفع ضر ، وألف بعضهم كتاباً في إثبات ذلك وكَون الميتين من الصالحين ينفعون ويضرون بأنفسهم ويخرجون من قبورهم فيقضون حوائج من يدعونهم ويستغيثون بهم».[1]

وادعاء الربوبية للمعبودين قد وقع فيه بعض قدماء المشركين ، كما قال قوم عاد لهود عليه السلام ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾[2] ، أي أصابتك آلهتنا بسوء ، فهم ينسبون التأثير الكوني وتدبير الأمور لتلك الآلهة ، وفي زماننا هذا يظن بعض القبوريون أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فإنهم ببركتهم يرزقون وينصرون ويندفع عنهم الأعداء والبلاء ، وأن السيدة نفيسة خفيرة[3] مصر والقاهرة ، والدسوقي ، والبدوي ، وهكذا ، والشيخ عبد القادر قطب بغداد وخفيرها ، وفلان خفير الشام والحجاز ، ووضعوا لكل بلد خُفَراء.[4]

وذكر زاهد الكوثري[5] أن أرض الشام يحرسها من الآفات والبلايا أربعة من الأولياء الذين يتصرفون في قبورهم![6]

---

١ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٣٤٢ – ٣٤٥ ، باختصار وتصرف ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة.

٢ سورة هود: ٥٤ .

٣ قال ابن منظور في «لسان العرب»: خفير القوم مُجيرهم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده.

٤ نقلا من «حوار مع الصوفية» ، ص ٥٦ ، لأبي بكر العراقي كما في «دمعة على التوحيد» ، ص ٧٨ ، الناشر: المنتدى الإسلامي – لندن.

٥ هو محمد زاهد بن الحسن الحلمي ، المعروف بالكوثري ، ولد سنة ١٢٩٦ هـ ، قبوري جهمي مشهور ، معروف بردوده على أئمة أهل السنة في باب الاعتقاد وربما سبهم ، كابن خزيمة وسفيان الثوري والأوزاعي وابن بطة العكبري وعثمان الدارمي وابن المديني والدارقطني وعبد الله بن الإمام أحمد ونعيم بن حماد ، وأما ابن تيمية وابن القيم فحدث عن طعنه فيهم ولا حرج ، يصاحب ذلك سكوت أو تأييد لأئمة البدع والضلال ، كالجهم بن صفوان وغيره.

كان ماتوريديا حنفيا متعصبا ، يدعو إلى الاستعانة بالموتى والتعلق بهم ، رد عليهم علماء كثر ، وقد ألفت رسالة علمية في بيان معتقده الباطل باسم: «زاهد الكوثري وآراؤه الاعتقادية ، عرض ونقد» للأستاذ علي الفهيد ، وللدكتور محمد الخميس كتاب بعنوان «بيان مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف» ، وللشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعليقات كثيرة على مقالات الكوثري ، وقد تابعه على ضلاله تلميذه عبد الفتاح أبو غدة ، عافانا الله من التقليد الأعمى والتعصب المقيت.

انظر للتوسع مقدمة كتاب «تعليقات العلامة محمد بن مانع على مقالات الكوثري وبعض كتبه» للشيخ الذاب عن دين الله سليمان بن صالح الخراشي ، حفظه الله.

توفي الكوثري عام ١٣٧٥ هـ غير مأسوف عليه.

٦ انظر «جهود علماء الحنفية لإبطال عقائد القبورية» ، ص ٤٦١ .

وهي عندهم وسائل دفاع جوي ، فضريح (علي الروبي) بالفيوم بمصر أنقذ المدينة من الدمار خلال الحرب العالمية الثانية ، ببركته التي حولت مسار القنابل إلى بحر يوسف![1]

وعندما يستدعي الموقف الإمداد بـ (قوات خاصة) لمنازلة عدو شديد البأس يطلب القبوريون المدد من أصحاب الأضرحة أيضاً ، فعندما أغار التتر على بلاد الشام كان القبوريون يخرجون يستغيثون بالموتى عند القبور ، ولذا قال بعض شعراء القبورية:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكُمُ من الضرر[2]

وذكر السيد رشيد رضا[3] أنه انتشر بين أهل مراكش عند حلول النوائب بهم وتعدي الأجانب عليهم ؛ الاجتماع حول قبر الشيخ إدريس في فاس ، طالبين أن يكشف ما نزل بهم من الشدة تاركين ما تقتضيه حال العصر من التربية والتعليم والإعداد العسكري للأعداء.[4]

وترتفع الخرافة إلى ذروتها حينما يعمد القبوريون إلى تعيين تخصصات للأضرحة ، فطلب الشفاعة هو مطلب الجميع ، غير أن بعض (الأولياء) مشتهر بتحقيق رغبات النساء ، كالزواج للعوانس ، والإنجاب للعاقرات[5] ، وآخر لشفاء أمراض الأطفال ، وآخر لشفاء أمراض الروماتيزم[6]!

---

١ «موالد مصر المحروسة» ، ص ٥٣ ، نقلا من «دمعة على التوحيد» ، ص ٧٩ .

٢ ذكره ابن تيمية في «الرد على البكري» ، ص ٦٣١ .

٣ هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، ولد سنة ١٢٨٢ هـ ، من العلماء بالحديث والأدب والتفسير والتاريخ ، له جهود مشكورة في محاربة عبادة القبور والتعلق بالخرافة ، وهو صاحب «مجلة المنار» المصرية ، والتي أخذت على عاتقها محاربة البدع والخرافات التي أضرت بالمسلمين ، وقد كان للسيد رشيد زلات لا يوافق عليها بسبب تأثره بالمدرسة العقلية ، توفي سنة ١٣٥٤ هـ ، انظر ترجمته في كتاب «مشاهير علماء نجد وغيرهم» ، ص ٤٨٦ ، تأليف عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، وكذا في كتاب «الأعلام» للزركلي.

٤ قاله محمد أحمد درنيقة ، كما في «الانحرافات العقدية» ، ص ٢١٨ . انظر «دمعة على التوحيد» ، ص ٨٠ .

٥ «الانحرافات العقدية» ، ص ٣٣٦ ، انظر ص ٨٤ من «دمعة على التوحيد».

٦ من مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» ، خالد أبو الفتوح ، انظر ص ٨٢ من «دمعة على التوحيد».

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ، رحمه الله تعالى:

وأما بلاد مصر وصعيدها وفيومها وأعمالها فقد جمعت من الأمور الشركية والعبادات الوثنية والدعاوى الفرعونية مالا يتسع له كتاب ولا يدنو له خطاب ، لا سيما عند مشهد أحمد البدوي وأمثاله من المعتقَدين المعبودين ، فقد جاوزوا بهم ما ادعته الجاهلية لآلهتهم ، وجمهورهم يرى مِن تدبير الربوبية والتصريف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة ما لم ينقل مثله عن أحد من الفراعنة والنماردة.

وبعضهم يقول يتصرف في الكون سبعة ، وبعضهم يقول أربعة ، وبعضهم يقول قُطبٌ يرجِعون إليه ، وكثيراً منهم يرى الأمر شورى بين عدد ينتسبون إليه ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾.[1]

ثم قال: «وفي حضرموت والشحر وعدن ويافع ما تستكُّ[2] عن ذكره المسامع ، يقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس ، شيء لله يا محيي النفوس!»[3].

قلت: وفضلا عن كون هذا الفعل يدل على جهل فاعله بحق الله تعالى بتفرده بعبادة الدعاء ؛ فإنه يدل أيضا على عدم يقين فاعله باختصاص الله تعالى بصفةِ «الشافي».

الوجه السابع عشر: ومن أعظم الأدلة على بطلان دعاء غير الله أن تلك المعبودات التي تُدعى من دون الله عاجزة من جهة العلم ، وبيان ذلك أن الموتى لا يعلمون شيئا من حاجات الناس ولا أحوالهم ، وقد قرر الله ذلك في مواطن كثيرة من القرآن كقوله تعالى ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء **وما أنت بمسمع من في القبور**﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

العبد المخلوق لا يعلم مصلحتك حتى يُعَرِّفه الله تعالى إياها ، ولا يَقدِر على تحصيلها لك حتى يُقدِّره الله عليها ، ولا يريد ذلك حتى يَخلُق الله فيه إرادة ومشيئة ، فعاد الأمر كله لمن ابتدأ منه ، وهو الذي بيده الخير

---

١ «الدرر السنية» (١/٣٨٣).

٢ أي تَصُمُّ وتضيق. انظر «لسان العرب».

٣ «الدرر السنية» (١/٣٨٤).

كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، فتعلُّق القلب بغيره رجاءً وخوفاً وتوكلاً وعبوديةً ضررٌ محض لا منفعة فيه ، وما يحصل بذلك من المنفعة فهو وحده الذي قدّرها ويسّرها وأوصلها إليك.[1]

وقد أتى التصريح من النبي ﷺ أنه لا يعلم شيئا مما سيحصل بعد مماته في حديث الحوض ، فكيف بمن دونه ﷺ من الموتى ، قال ﷺ: إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ، ثم إن أول من يُكْسى يوم القيامة إبراهيم ، ثم يجاء برجال فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي ، فيقال: **لا تدري ما أحدثوا بعدك** ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنتُ عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.[2]

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله:

ففي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ أنه **لا يعلم بعد موته شيئاً** من أعمالهم ولا أحوالهم ، بل قد كان في حياته شهيدًا عليهم بأعمالهم الظاهرة ، والتزامهم العلني بمتابعته أو عدمها ، فلما توفاه الله كان هو وحده الرقيب عليهم والعليم بأحوالهم وأعمالهم.

وبالتأمل يظهر الفرق بين الكلمتين ، أي: كلمة (الرقيب) وكلمة (شهيد) ، فالمعبّر بها في حق النبي ﷺ كلمة (شهيد) وهي مأخوذة من المشاهدة ، وهي الرؤية البصرية ، فقوله: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم﴾ أي: حال حياتي في حال مشاهدتي لهم ، علِمتُ من أحوالهم ما يجعلني أشهد عليهم بما رأيت وسمعت وعلِمت من أحوالهم وسلوكهم ، من إيمان ومتابعة ، أو كفر ومنابذة.

أمّا بعد وفاتي فقد فات ذلك بغيابي عنهم ، ولم يبق إلا علمك بهم ورقابتك عليهم ومشاهدتك لأحوالهم وضمائرهم ونياتهم ، ذلك لأنك على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط ، فهم خلق من خلقك ، ينفذ فيهم أمرك وتحيط بهم قدرتك ورقابتك ، وتحصي أعمالهم بعلمك الذي لا يفوته شيء ، فكلمة (رقيب) تفيد السيطرة التامة والهيمنة الكاملة والعلم الشامل الذي يحصي دقائق الأمور فضلاً عن جلائلها ، وصغار الأعمال فضلاً عن كبارها.[3]

فإذا كان هذا هو حال النبي ﷺ ، لا يعلم من أحوال الناس شيئا ؛ فكيف بغيره من الأموات؟

---

١ «إغاثة اللهفان» ، ص ٦٦ – ٦٧ .

٢ رواه البخاري (٣١٩٧) ، ومسلم (٥٢٣٥) ، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣ «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ ، باختصار يسير.

أفيجوز أن يقال إنهم يعلمون أحوال الناس؟! حاشا وكلا.

ومما يدل أيضا على أن الأصل في الأموات عدم السماع والإدراك لما يدور خارج الحياة البرزخية ؛ قوله تعالى عن عزير عليه السلام – وكان نبياً من أنبياء بني إسرائيل – ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام﴾.

فهذا نبي كريم ، لبث مائة عام ميتاً ، فلم يدر بما يدور حوله البتة ، ولا كم لبث في قبره ، فكيف يصح أن يقال إن الأموات يسمعون نداء من ناداهم؟

وقال الشيخ محمد سلطان المعصومي الحنفي[1] رحمه الله في كتابه «المشاهد المعصومية عند قبر خير البرية»: ومن عرف ما وقع له ﷺ من أن جرو الكلب الميت كان تحت سريره وهو لا يدري ، فلما تأخر جبريل عليه السلام وبين أن سبب تأخره أن تحت سريره كلب ؛ علِم بذلك فأخرجه[2] ، وكذا واقعة خلع نعله في الصلاة[3]، وكذا واقعة فقد عائشة في السفر عن هودَجِها[1] ، فهو ﷺ **لم يعلم ما غاب عن بصره في حياته إلا إذا أعلمه الله تعالى بالوحي ، فكيف يعلم ما غاب عنه بعد موته وهو في عالم البرزخ؟**

---

١ هو أبو عبد الكريم ، محمد سلطان بن محمد أورون بن ملا مير سيد المعصومي الخُجندي ثم المكي ، من قرية خُجندة في روسيا ، كان سلفي العقيدة ، ورحل رحلات طويلة في طلب العلم ، حتى إنه أخذ عن مئة شيخ ، ألف الكثير من الكتب والرسائل جاوزت التسعين كتابا. انظر ترجمته لنفسه موسعة في كتابه «حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد» ، وكذا في مقدمة كتابه «حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين» ، وهي مختصرة.

له كتب في العقيدة والتوحيد كالكتابين المذكورين ، وكذا كتاب «تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين» ، توفي سنة ١٣٧٩ هـ ، رحمه الله رحمة واسعة.

٢ روى مسلم (٢١٠٤) عن عائشة أنها قالت: واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في ساعة يأتيه فيها ، فجاءت تلك الساعة ولم يأته ، وفي يده عصا فألقاها من يده ، وقال: ما يخلف الله وعده ولا رسله ، ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره ، فقال: يا عائشة ، متى دخل هذا الكلب ها هنا ؟ فقالت: (والله ما دريت) ، فأمر به فأخرج ، فجاء جبريل ، فقال رسول الله ﷺ : واعدتني فجلست لك فلم تأت.

فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك ، إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة.

٣ روى أبو داود في «سننه» (٦٥٠) عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان ذات يوم يصلي بأصحابه ، فبينما هو في الصلاة إذ خلع نعاله ، فخلع القوم نعالهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال لصحبه: ما حملكم على إلقاء نعالكم؟

فقالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا.

فقال رسول الله ﷺ: إن جبريل ﷺ أتاني فأخبرني أن فيهما قذرا – أو قال: أذى – .

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ لم يعلم ما غاب عنه ، وهو في هذا الحديث القذر الذي كان في نعاله ، حتى أخبره جبريل.

والحديث صححه الألباني ، وكذا الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٣١٣) ، رحمهما الله.

أما يعلم هؤلاء الغلاة أنه حينما ترِد طائفة من أمته عن حوضه الكوثر وتُطرَد فيقول ﷺ: يا رب ، إن هؤلاء من أمتي! فيقول الله تعالى: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

فقد صرح الله تعالى بأنه ﷺ لا يعلم ما يقع في عالم الدنيا.

فمن يزعم أنه ﷺ يعلم الغيب بعد موته ، أو يُعين من استعان به ، أو يغيث من استغاث به ؛ فقد خالف الكتاب وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم ، فلا شك أن هذا وأمثاله صار محروما من هداية الله وتوفيقه ورحمته وجنته ، ولكن من كمال جهله ونهاية غلوه لا يشعر بذلك، فقد أعماه التقليد ، فلعنة الله على من أحدث هذه البدع الشركيات ، والخرافات والضلالات ، أعاذنا الله منها بفضله ومنِّه وإحسانه. انتهى باختصار.

وقال أيضا: فالميت أيّا كان قد انقطع عمله في هذه الحياة الدنيا ، وهو لا يعلم ما يقع ويجري في الدنيا من الأعمال والأقوال ولو عند قبره ، لأن روح الميت إما في عليين إن كان من السعداء ، كالأنبياء والمؤمنين المفلحين ، أو في سجين وأسفل السافلين إن كان من المشركين والكفرة والملحدين ، وقد تحولوا عن هذه الدار الدنيا ، ودخلوا في عالم البرزخ ، وحال وحُكم عالم البرزخ غير حال عالم الدنيا البتة.

ولو فرضنا أنه يعلم بالواقع ، فإنه لا يقدر على الجواب والرد كما تفيده الآيات الصريحة ، فتنبه.

ولا شك أن الميت – أيّاً كان – محتاج إلى رحمة الله تعالى ، ودعاء الأحياء لهم[٢] بالرحمة والمغفرة ينفعهم ، وكذا صدقة الأحياء لهم ، فالنتيجة من زيارة القبر حصول العبرة والاعتبار ، وتذكر الموت والآخرة للزائر ، وحصول ثواب الدعاء والصدقة للميت ، وهذا سر الترغيب في زيارة القبور لا غير ، فمن فعل غير ذلك أو اعتقد غير ما قلنا فقد خالف الله ورسوله ، وعكس الأمر كما لا يخفى. انتهى كلامه بتصرف يسير.

---

١ قصة الهودج رواها البخاري (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها ، والشاهد منها أن عائشة رضي الله عنها خرجت مع النبي ﷺ في غزوة ، فلما كانوا ببعض الطريق ذهبت تلتمس عقدا لها ، فلما رجعت فإذا هم قد رحلوا وتركوها ، ظنا منهم أنها كانت في هودجها ، وكانت إذ ذات صغيرة ليست ذات لحم ، فلم يشعروا أنها ليست فيه لخفة وزنها ، فلحقتهم مشيا على أقدامها حتى أدركتهم في الظهيرة ، والشاهد هو أن النبي ﷺ لو كان يعلم ما غاب عنه لعلم بأن زوجته وأقرب الناس له قد ذهب الجيش وتركها.

٢ هكذا بضمير الجمع ، والصواب إفراده ، فعله سبقُ قلمٍ ، وكذلك الضميرين بعده.

وقال الشيخ حافظ الدين محمد بن محمد شهاب ، المعروف بابن البزاز الكردي الحنفي[1] رحمه الله في «الفتاوى البزَّازية»: من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم ؛ يَكفر.[2]

والحاصل أن من تتبع الكتاب والسنة فإنه سيجد من الأدلة ما لا يحصى على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات لا يعلمون شيئا من الغيب ، بل إن كل ما آتى الله البشر من قدرات وحواس تعينهم على المعرفة والإدراك كالأذن والعين فإنها تتلاشى وتضمحل ، ولا يبقى إلا عَجَبُ الذَّنب – وهو الفقرة الأخيرة في ظهر الإنسان – ، فهل يقال بعد هذا إن الأموات يعلمون أحوال الأحياء؟ الجواب لا قطعاً ، ومن قال خلاف هذا فقد قال على الله بغير علم.

الوجه الثامن عشر: ومن أدلة بطلان دعاء غير الله أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة القدرة ، فإن المعبودات التي تعبد من دون الله ليست قادرة على نفع عابديها ، لأن تلك المعبودات إن كانت من الأحياء فإنها لا تقدر إلا على فعل ما كان في طاقة البشر ، وهذا يتحصل بدون دعاء ، وإن كانت من الأموات فإنها لا تقدر على شيء البتة ، قال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ ، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ ، فمن دونه لا يملك شيئا من النفع والضر من باب أولى.

وقال تعالى ﴿قل أندعو من دون الله **ما لا ينفعنا ولا يضرنا** ونرد على أعقابنا بعد أن هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران﴾.

وقال تعالى ﴿يدعو من دون الله **ما لا يضره وما لا ينفعه** ذلك هو الضلال البعيد * **يدعو لمن ضره أقرب من نفعه** لبئس المولى ولبئس العشير﴾[3].

أي: يدعو من دون الله ما يضره إن ترك عبادته ، وما لا ينفعه إن عَبَدَه.[4]

---

١ حافظ الدين محمد بن محمد الكردي ، الحنفي ، المشهور بابن البزازي ، له كتاب مشهور في الفتاوى ، يسمى «الفتاوى البزازية» ، وله كتاب في أبي حنيفة ، انظر «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٣١٤/٧) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢ انظر «البحر الرائق» ، (١٤٣/٥) ، و «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر» (٥٠٥/٢٠).

٣ سورة الحج: ١٢ .

٤ انظر للفائدة ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة.

وقال تعالى ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر **هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته** قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾.

وقال تعالى ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يُصحبون﴾[1] ، قال الشنقيطي رحمه الله:

والمعنى: أَلَهُم آلهة تجعلُهم في مَنَعَةٍ وعِزٍ حتى لا ينالهم عذابنا؟

ثم بيَّنَ أن آلهتهم التي يزعمون لا تستطيع نفع أنفسها فكيف تنفع غيرها بقوله ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾.

وقوله في هذه الآية الكريمة ﴿ولا هم منا يُصحبون﴾ أي يُجارون ، أي ليس لتلك الآلهة مَّجيرٌ يجيرهم منا ، لأن الله يُجير ولا يُجار عليه ، كما صرَّح بذلك في سورة «قد أفلح المؤمنون» في قوله ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون﴾. انتهى كلامه باحتصار.

وقال تعالى ﴿أيُشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون * والذين تدعون من دونه **لا يستطيعون نصركم** ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون * إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين * ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾، أي اجتمعوا أنتم ومن تدعونهم من دون الله على إيقاع السوء بي من غير إمهال ولا إنظار ، فإنكم لن تستطيعوا شيئا ، لأن ذلك ليس بأيديكم ، بل بيد الله وحده لا شريك له ، القادر على كل شيء.

فتأمل ما في الآية الأخيرة من التحدي لمن تعلق بغير الله.

وقال ابن جرير[2] رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء﴾:

---

١ سورة الأنبياء: ٤٣ .

٢ هو العالم المجتهد المحدث الفقيه المقرىء المفسر ، علامة وقته ، محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري ، مات سنة ٣١٠ ، انظر ترجمته في «السير» (٢٦٧/١٤) ، و «وفيات الأعيان» (١٩١/٤-١٩٢).

والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء ، لأنها لا تعلم شيئا ، **ولا تقدر على شيء** ، يقول جل ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، فيجزي محسنكم بالإحسان ، والمسيء بالإساءة ، لا ما لا يقدر على شيء ، ولا يعلم شيئا.[1]

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾:

والذم إنما توجه إلى من دعا مَن هذه صفته ، سواء كان بشراً أو ملَكاً أو صنماً ، وهو من لا ينفع من دعاه، ولا يضر من لم يدعه.[2]

وقال البيضاوي[3] الشافعي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمٰن بضر لا تُغن عني شفاعتهم شيئا ولا يُنقذون﴾:

أي لا تنفعني شفاعتهم ، ﴿ولا ينقذون﴾ بالنصر والمظاهرة ، ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ ، فإن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال بَيِّن لا يخفى على عاقل. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله في معناها: إن العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت حاجته إليه ، وإنما إذا أرادني الرحمٰن الذي فطرني بضرٍّ لم يكن لهذه الآلهة من القدرة ما ينقذوني بها من ذلك الضر ، ولا من الجاه والمكانة عنده ما يشفع لي إليه لأتخلص من ذلك الضر ، فبأي وجه يستحق العبادة؟ وإني إذاً لفي ضلال مبين إن عبدت من دون الله مما هذا شأنه.[4]

ومن الأدلة أيضا على عجز المخلوقين ؛ أن الصحابة رضوان الله عليهم – الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم الضر ، فقد عُذِّبوا أيما عذاب قبل الهجرة النبوية وبعدها ، وأصابتهم جراحات كثيرة في الغزوات وغيرها ، بل قد قُتِل كثيرٌ منهم في الغزوات ، وما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم الضر.

وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم الضر ، فكم من نبي قد قُتِل؟

---

١ «تفسير ابن جرير» ، سورة غافر: ٢٠ .

٢ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ٨٦ .

٣ تقدمت ترجمته.

٤ «الصواعق المرسلة» ، الفصل العشرون ، ص ٤٩٧ ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

وكذلك نبينا محمد ﷺ الذي هو أفضل من الجميع ؛ لم يستطع أن يدفع عن نفسه الضر ، ففي غزوة أحد جُرِح وجهه ﷺ ، وكُسِرت رَبَاعيته[1] ، فكانت فاطمة تغسل الدم وعلي يسكب عليها ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقتها ، ثم ألصقتها بالجرح فاستمسك الدم.[2]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كُسِرت رَبَاعِيَتُه يوم أحد ، وشُجَّ في رأسه ، فجعل يَسْلِت الدم عنه ويقول: (كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله) ، فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.[3]

بل إنه في تلك الغزوة جُحِشت ركبته ﷺ ، أي تَقشَّر جلدها ، وجُرِحت شَفَتُه السفلى من باطنها ، وكُسِرت البيضة — أي خوذة الرأس – على رأسه ، ووَهى منكبه من ضربة ابن قَمِئة.[4]

فإذا حصل هذا البلاء للنبي ﷺ ولم يستطع دفعه وهو حي ، فمن باب أولى أنه لا يستطيع دفع الضر عن غيره وهو في قبره ، وكذلك الأمر بالنسبة لسائر الأموات ممن ليسوا بأنبياء ، فهم من باب أولى لا يقدِرون على شيء.

بل إن هناك ما هو أعظم من ذلك ، وهو أن النبي ﷺ سُحِر ، سَحَره لبيد بن الأعصم ، حتى أنه كان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله[5] ، ولم يستطع دفع البلاء عن نفسه.

وقد وردت أخبار كثيرة في ربط النبي ﷺ الحجر على بطنه من الجوع ، فهل يصح بعد هذا أن تُطلب الحاجات منه أو ممن هو دونه بعد الموت؟

بل أعظم من ذلك بكثير ، أن النبي ﷺ أكل من الشاة المسمومة فكانت سبب وفاته ، فأي ضرر دفع عن نفسه قبل أن يأكل ، وأي ضرر دفع عن نفسه بعد أن أكل؟!

---

١ الرَّباعية هي السن بين الثنية والناب ، وهي أربعة أسنان ، ثنتان في الفك الأعلى ، وثنتان في الفك الأسفل. انظر «المعجم الوسيط».

٢ انظر ما رواه البخاري (٤٠٧٥) ومسلم (١٧٩٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

٣ رواه مسلم (١٧٩١).

٤ انظر للفائدة ما جمعه ابن حجر من الروايات في هذا الباب في «الفتح» (٤٢٣/٧) ، كتاب المغازي ، باب قوله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.

٥ انظر تفصيل ذلك في «صحيح البخاري» (٣٢٦٨) ، ومسلم (٢١٨٩) ، وابن ماجه (٣٥٤٥) ، و «مسند أحمد» (٥٧/٦).

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مصلِيَّـةً[1] ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها ، وأكل رهطٌ من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : (ارفعوا أيديكم) ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: أسممتِ هذه الشاة؟

قالت اليهودية: من أخبرك؟

قال: أخبرتني هذه في يدي – للذراع.

قالت: نعم.

قال: فما أردتِ إلى ذلك؟

قالت: قلت إن كان نبيا فلن يضره ، وإن لم يكن استرحنا منه.

فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها ، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة.[2]

قلت: وكل هؤلاء – الصحابة ونبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء – هم أفضل الخلق وأقربهم إلى الله تعالى ، وهم أفضل قطعا ممن يَلجأ إليهم بعض الناس من أصحاب القبور ويدعونهم ويطلبون منهم كشف الضر وجلب النفع ، كالحسين والبدوي وابن العربي والتيجاني وغيرهم ، ومع هذا فلم يملكوا أن يدفعوا عن أنفسهم الضر أو يجلبوا النفع ، فتبين من هذا أن دعاء من هو دونهم من المقبورين وغيرهم باطل ، وليس في الدنيا أحد يستحق أن يتوجه إليه الناس بالدعاء إلا الله وحده ، وصدق الله عز وجل القائل ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾[3].

وقد بين لنا النبي ﷺ هذه الحقيقة – حقيقة فقر المخلوقين – بيانا عمليا ليزيل من قلوب الناس عقيدة التعلق بالمخلوقات ويُخلصوا التعلق بالله عز وجل ، فقد قام ﷺ على جبل الصفا حين أنزل الله عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فقال: يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – ، اشتروا أنفسكم ، **لا أغني عنكم** من الله شيئا.

يا عباس بن عبد المطلب ، **لا أغني عنك** من الله شيئا.

---

١ مصلية أي مشوية.

٢ رواه أبو داود (٤٥٠٩) ، وصححه الألباني ، ورواه أحمد (٣٠٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه محققو «المسند» ، وأصل القصة في البخاري (٥٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ، إذ لو كان يعلم الغيب لما أكل من الشاة وفيها سم ، فليت غلاة الصوفية يعقلون أنه لا يعلم الغيب إلا الله!

٣ سورة الأنعام: ١٧ .

يا صفية عمة رسول الله ﷺ ، **لا أغني عنك** من الله شيئا.

ويا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، **لا أغني عنك** من الله شيئا.[1]

فإذا كان سيد المرسلين لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين ، والتي هي أقرب الخلق إليه ، فكيف بمن هو أبعد منها؟ بل كيف يظن ذلك بمن هو دون النبي ﷺ في المنزلة؟!

ولما حضرت عمه أبا طالب الوفاة ؛ جاء إليه النبي ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال ﷺ لعمه: يا عم: قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله ، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا ، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.[2]

ففي هٰذين الحديثين رد قوي على من يعتقد أن النبي ﷺ يقدر على شيئ من المنافع الأخروية ، حيث أن النبي ﷺ – وهو أفضل الخلق على الإطلاق وأعظمهم عند الله منزلة وأقربهم إليه وسيلة — لم يقدر على نفع أقرب الناس إليه من قرابة وعشيرة ، فكيف يُظن ذلك بمن هو دون النبي ﷺ كالصالحين ونحوهم؟

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله: من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عُبد مع الله ، فإن جميع ما يُعبد من مَلَكٍ وبشرٍ ، ومن شجر وحجر وغيرها ، كلهم فقراء إلى الله ، **عاجزون** ، ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق ، وهو الرازق لكل مرزوق ، المدبر للأمور كلها ، الضار النافع ، المعطي المانع ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، وإليه يَرجع كل شيء ، وله يَقصِد ويَصمِد[3] ويخضع كل شيء، **فأي برهان أعظم من هذا البرهان** الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله؟ فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنه الحق ، وعلى بطلان الشرك.

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمَسَّهم به رحِمًا فكيف بغيره؟

فتبًّا لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين ، لقد سُلب عقله بعدما سُلب دينه.[4]

---

١ رواه البخاري (٤٤٩٣) ، ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ رواه البخاري (٤٤٩٤) ، ومسلم (٢٤) عن المسيب بن حزن رضي الله عنه.

٣ أي يلجأ.

٤ «القول السديد في مقاصد التوحيد» ، باب قول الله تعالى ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾.

ومما يُستدل به أيضا في هذا المقام – مقام إثبات عجز المخلوقين – قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾.[1]

قال ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خَلقِه: ادعو أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم ، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم ، أو تحويله عنكم إلى غيركم ، فتدعوهم آلهة؟ فإنهم لا يقدرون على ذلك ، ولا يملكونه ، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم. انتهى.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

يقول تعالى: قل للمشركين بالله الذين اتخذوا من دونه أندادا يعبدونهم كما يعبدون الله ، ويدعونهم كما يدعونه ، مُلزِما لهم بتصحيح ما زعموه واعتقدوه إن كانوا صادقين: ادعوا الذين زعمتم آلهة من دون الله ، فانظروا هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم الضر ، فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم من مرض أو فقر أو شدة ونحو ذلك ، فلا يدفعونه بالكلية ، ولا يملكون أيضا تحويله من شخص إلى آخر ، ومن شدة إلى ما دونها ، فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي شيء تدعونهم من دون الله؟ فإنهم لا كمال لهم ، ولا فِعال نافعة ، فاتخاذهم نقص في الدين والعقل ، وسَفَهٌ في الرأي.

ومن العجب أن السَّفه عند الاعتياد والممارسة وتلقِّيه عن الآباء الضالين بالقبول يراه صاحبه هو الرأي السديد والعقل المفيد ، ويرى إخلاص الدين لله الواحد الأحد الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة هو السَّفه والأمر المُتعجَّب منه ، كما قال المشركون ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾.[2]

وقال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير»:

﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ ، أي لا يستطيعون ذلك ، والمعبود الحق هو الذي يقدر على كشف الضر ، وعلى تحويله من حال إلى حال ، ومن مكان إلى مكان ، فوجب القطع بأن هذه التي تزعمونها آلهة

---

١ سورة الإسراء: ٥٧ .

٢ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

ليست بآلهة ، ثم إنه سبحانه أكد عدم اقتدارهم ببيان غاية افتقارهم إلى الله في جلب المنافع ودفع المضار فقال ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾.[1]

وقد أوضح الله لنا أتم إيضاح ، وبيَّن أحسن بيان هذه الحقيقة — أي حقيقة عجز المخلوقين – في قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ ، فكل ما يعبد من دون لا يستقل بملك شيء ، ولا يشاركه فيه ، ولا يعين الله في تدبير شيء من شئون الكون ، ولا يشفع لأحد يوم القيامة إلا بإذن الله ، ومن كانت هذه حاله فإن دعائه وطلب الحاجات منه من أسفه السفه وأبطل الباطل.

ومن الأدلة القوية أيضا في هذا الباب قوله تعالى في مطلع سورة الفرقان ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾.

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

ذَكَرَ جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه متصفة بستة أشياء ، كل واحد منها برهان قاطع أن عبادتها مع الله لا وجه لها بحال ، بل هي ظلم مُتناهٍ وجهلٌ عظيم ، وشركٌ يخلد به صاحبه في نار جهنم ... والأمور الستة التي هي من صفات المعبودات من دون الله:

الأول منها أنها لا تخلُقُ شيئا ، أي لا تقدِر على خلق شيء.

والثاني منها أنها مخلوقة كلها ، أي خَلَقَها خالِقُ كل شيء.

والثالث أنها لا تملك لأنفسها ضرا ولا نفعا.

الرابع والخامس والسادس أنها لا تملِك موتا ولا حياة ولا نشورا ، أي: بعثا بعد الموت.

وهذه الأمور الستة المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت مبيَّنةً في مواضع أُخَرَ من كتاب الله تعالى.[2]

ثم ساق آيات كثيرة فيها ذكر صفات المخلوقين وبيان عجزهم ، ومن ثمَّ تقرير بطلان عبادتهم مع الله.

---

١ وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية.

٢ «أضواء البيان» ، تفسير سورة الفرقان: ٣ ، باختصار.

وقال ابن القيم رحمه الله:

«المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر ، ولا عطاء ولا منع ، ولا هُدى ولا ضلال ، ولا نصر ولا خذلان ، ولا خفض ولا رفع ، ولا عز ولا ذل ، بل الله وحده هو الذي يملك له ذلك كله ، قال تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يُمسِك فلا مُرسِل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[1] ، وقال تعالى ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾[2] ، وقال تعالى ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾[3] ، وقال تعالى عن صاحب يٰس ﴿ءأتخذ من دونه آلهة إن يُرِدْنِ الرحمٰن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون﴾[4] ، وقال ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾[5] ، وقال تعالى ﴿أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمٰن إن الكافرون إلا في غرور * أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجو في عتو ونفور﴾[6] ، فجمع سبحانه بين النصر والرزق ، فإن العبد مضطر إلى من يدفع عنه عدوه وينصره ، ويجلب له منافعه ويرزقه ، فلا بد له من ناصر ورازق ، والله وحده هو الذي ينصر ويرزق ، فهو الرزاق ذو القوة المتين ، ومن كمال فطنة العبد ومعرفته أن يعلم أنه إذا مسه الله بسوء لم يرفعه عنه غيره ، وإذا ناله بنعمة لم يرزقه إياها سواه.

وقد قال تعالى عن السحرة ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾[7] ، فهو سبحانه وحده الذي يكفي عبده وينصره ويرزقه ويكلَؤه[8]».[9]

ومن طريف ما يُمَثَّل به في باب عجز المخلوقين ما ذكره الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله حيث قال:

---

١ سورة فاطر: ٢ .

٢ سورة يونس: ١٠٧ .

٣ سورة آل عمران: ١٦٠ .

٤ سورة يٰس: ٢٣ .

٥ سورة فاطر: ٣ .

٦ سورة الملك: ٢٠ – ٢١ ، ومن الجدير الاستشهاد به في هذا السياق قوله تعالى ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾.

٧ سورة البقرة: ١٠٢ .

٨ أي يحفظه.

٩ «إغاثة اللهفان» ، ص ٥١ – ٥٢ ، باختصار.

لو أن ملِكاً أتاه مظلوم فسأله وسأل عبده أيضا – المملوك له العاجز – ليردَّا له مظلمته ، هل يُجوِّزه العقل؟ أو لو أن غنياً كريماً ينفق من أصناف المال ، وله مملوك لا يقدر على شيء ، فجاء محتاج فطلب المملوك العاجز وترك الغني ، هل يجوِّزه العقل؟

وهل يرضى أحد أن يساوي مملوكه معه في حقه؟

أو لو أن ملكاً قاهراً له عبيد لا يقدرون على شيء ، ثم يلوذ أحد العبيد بعبد مثله عاجز ، ويدع الملك القادر ، هل يجوزه العقل؟

ولو أن شخصاً مر على مقبرة ومعه دابة فوقعت في حفرة ، فنادى أهل القبور: يا فلان ، يا فلان ، أعينوني على دابتي ، وعنده رجل حي قوي تركه ولم يدْعُه ، هل يجوزه العقل؟ ونحو ذلك من الأمثلة المعروفة في حق العاجز المملوك مع القادر ، بل كل عاقل يضحك منه ويقبحه ويوبخه ، وإذا كان هذا يُستقبح من مخلوق يترك مخلوقاً أقدر ، فكيف بمن ترك الحي القيوم القادر الذي بيده ملكوت كل شيء ، ودعا في كشف الكربات وإغاثة اللهفات من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً؟[1]

وقال أيضا رحمه الله مناصحا أحد من قرروا دعاء غير الله:

فإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب إذا دعوته أنا ؛ فهذا إن كان حياً حاضراً وسألته أن يدعو الله لك ، وأما الميت – نبياً كان أو غيره – فسَفَهٌ وتيهٌ أن تدعوهم وقد ذهبت حواسهم وخرجوا من الدنيا ، وارتفعت أرواحهم إلى الجنان ، أو ما شاء الله ، وفارقت أبدانهم ، وتدَع الحي القيوم.[2]

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله:

ومن العجيب أنه لو جاء إنسان إلى ميت على وجه الأرض شهيداً أو غيره يطلب منه أن يدعو له فضلاً أن يطلب منه أن ينصره على عدوه أو يكسوه لقال الناس: هذا مجنون ، فإذا صار رميماً في بطن الأرض زين لهم الشيطان ودعاة الضلال من الإنس الإستغاثة به وطلب الحاجات منه.

والعامي السليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته ،كما حُكي لنا أن رجلاً من أهل مكة يُنسب إلى علم قال لرجل عامي من أهل نجد: أنتم ما للأولياء عندكم قدْر ، والله يقول في الشهداء إنهم أحياء عند ربهم يُرزقون.

---

١ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٦٧ – ٦٨ ، بتصرف يسير.

٢ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٣١ – ٣٢ .

قال له العامي: هل قال يَرزقُون – يعني بفتح الياء – أو قال: يُرزَقون – يعني بالضم –؟ فإن كان يعني بالفتح فأنا أطلب منهم ، فإن كان يعني بالضم فأنا أطلب من الذي يرزقهم.
فقال المَكِّي: حِجاجُكم كثيرة ، وسكت.[1]

الوجه التاسع عشر: ومن أدلة بطلان دعاء غير الله أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة المُلك ، وبيان ذلك أن المعبودات التي تُعبد من دون الله لا تستقل بملكِ شيء ولو كان حقيراً ، فكيف يصح طلب الأشياء منها؟ قال تعالى ﴿والذين تدعون من دونه **ما يملكون** من قطمير﴾ ، والقطمير هو الغشاء الرقيق الذي يحيط بنواة التمر ، **أما الله تعالى فيملك الكون ملكا مطلقا** ، كما قال تعالى ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ ، وقال تعالى ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.
ومن الأدلة على نفي الملك عما سوى الله قوله تعالى في سورة سبأ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما له فيهما من شرك﴾ ، أي لا يملك أحد مع الله شيئا استقلالا ولا مشاركةً ، بل كل شيء لله تعالى ، أما المخلوقون فملكهم قاصر ومؤقت ومحدود ، أي محدود على ما تملكوه فقط من بيت ودابة ونحوه ، ومؤقت لكون ما يملكه الإنسان ينتقل بعد وفاته للورثة ، ثم لا ينسب له شيء بعد ذلك البتة ، وقاصر لأنه لا يجوز له أن يتصرف فيه إلا بحدود ما ورد في الشرع ، فلو أراد الإنسان أن يحرق بيته مثلا لكان هذا حراما عليه ، ولو أراد أن يضرب عبده بدون سبب لكان هذا حراما عليه ، أما الله فيتصرف في ملكه كما يشاء ، ولا يكون هذا نقصا في حقه ، من إحداث زلازل وفيضانات ، وإغناء فقير وإفقار غني ، ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾ ، وكل هذا لحكمة يعلمها الله عز وجل ، ولله الحكمة البالغة.
فالله له الأولى والآخرة ، وله ميراث السماوات والأرض ، سبحانه وتعالى.

الوجه العشرون: ومن أعظم الأدلة على بطلان دعاء غير الله أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة الخلق ؛ فإن الله تعالى خالق كل شيء ، وهو الذي أوجد خلقه وأبرزهم من العدم إلى الوجود ، أما المعبودات التي تعبد من دون الله فلا تستطيع أن **تخلق** شيئا ولو حقيراً ، فدعاؤهم والتعلق بهم باطل إذن ، لأن المخلوق محتاج إلى خالقه ، ومن كان محتاجا فلا يستحق أن يُعبد ، بل عليه هو أن يعبد

---

١ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١١٨ – ١١٩ .

الله ويسأله حاجته على الدوام ، قال تعالى في بيان بطلان عبادة من ليس بخالق ﴿أفمن **يَخلُقُ كمن لا يَخلُقُ** أفلا تذكرون * وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم * والله يعلم ما تسرون وما تعلنون * **والذين يدعون من دون الله لا يخلُقون شيئا وهم يُخلقون** * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾[1].

وضرب الله تعالى مثلا في آخر سورة الحج فقال ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله **لن يخلقوا ذبابا** ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾.

وقد احتج إلياس عليه السلام على قومه بهذا الدليل العقلي – أي دليل عدم القدرة على الخلق – على بطلان دعاء غير الله ، قال تعالى عنه ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ ، و «بعل» هو اسم صنمٍ كانوا يعبدونه.[2]

وهذا الدليل ظاهر بحمد الله.

الوجه الحادي والعشرون: ومن أعظم الأدلة على بطلان دعاء غير الله أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة التدبير ، فإن جميع ما يعبد من دون الله لا يدبر شيئا في السماوات أو الأرض ، بل المدبر والمؤثر هو الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ ، وقد نفى الله عن نبيه ﷺ أن يكون له من تدبير الأمر شيء ، فقال ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ، فكيف بمن دون النبي ﷺ ؟!

وقد ثبت في سبب نزول قوله تعالى ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ أن النبي ﷺ قنت على بعض الأحياء من العرب ودعا عليهم باللعنة ، فأرشده الله إلى أن الأمر كله بيد الله سبحانه ، فقد يستجيب الله دعاءه فيلعنهم ، وقد يتوب عليهم ، ففي صحيح البخاري عن سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع

---

١ سورة النحل: ١٧ – ٢١ .

٢ وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير سورة يونس في تفسير الآيات من قوله تعالى ﴿قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ إلى قوله ﴿فأنى تؤفكون﴾.

وانظر كذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى في سورة الرعد ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾.

في الركعة الآخرة من الفجر يقول: اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا ، فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ إلى قوله ﴿فإنهم ظالمون﴾.[1]

وفي رواية لأحمد أنه كان يلعن الحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، فتاب الله عليهم كلهم.[2]

ولفظ ابن جرير: وهداهم الله للإسلام.[3]

قال ابن كثير: اعترضَ بجملةٍ دلت على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له ، فقال تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ، أي: بل الأمر كله إلي. انتهى.

ثم قال الله بعدها ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله:

أي: الجميع ملك له ، وأهلها عبيد بين يديه ، ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ ، أي: هو المتصرف فلا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. انتهى.

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحنفي في رده على من يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، قال رحمه الله:

فأما قولهم: (إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم) فيرده قوله تعالى ﴿أءله مع الله﴾ ، ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ، ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ ، ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه ، **فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا وإحياء وإماتة وخلقا**.

وقد تمدح الرب بانفراده **بملكه** في آيات كثيرة من كتابه ، كقوله تعالى ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾.

---

١ رواه البخاري (٤٥٥٩) ، أو باختصار.

٢ رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (٩٣/٢) ، وصححه محققو «المسند».

تنبيه: في هذا دليل على أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب ، إذ لو كان يعلم الغيب لما دعا عليهم أصلا.

٣ «جامع البيان في تأويل القرآن» ، تفسير سورة آل عمران: ١٢٨ ، و «المعجم الأوسط» (١٠١/٣).

وأما قول من قال بأن للأولياء التصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ، قال جل ذكره ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقوله ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ ، وقال في الحديث: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... الحديث.

وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وأن أرواحهم ممسكة ، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره بحركة ، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟ فإنه سبحانه يخبر أن الأرواح عنده ، وهؤلاء **الملحدون** يقولون إن الأرواح مطلَقةٌ متصرفة! ﴿قل أءنتم أعلم أم الله﴾.

وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامات فهو من أعظم المغالطة ، لأن الكرامات شيء من الله تعالى يكرم به أولياءه وأهل طاعته ، لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم ابنة عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني.

وأما قولهم (فيستغاث بهم في الشدائد) ؛ فهذا أقبح مما قبله وأبدع ، لمصادرة قوله ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله﴾ ، ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ ، فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره ، وأنه المنفرد بإجابة المضطر ، وأنه المستغاث به لذلك كله ، وأنه القادر على دفع الضر ، القادر على إيصال الخير ، فهو المتفرد بذلك ، فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي.

والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه ، كقولهم: يا آل زيد ، يا للمسلمين ، بحسب الأفعال الظاهرة بالفعل.

وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير ، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه ؛ فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره.

وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات ، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي وولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيرا ؛ فقد وقع في وادي جهل خطر ، فهو على شفا جرف من السعير.

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات ؛ فحاشا لله أن تكون أولياء الله تعالى بهذه المثابة ، فهذا ظن أهل الأوثان كما أخبر الرحمٰن ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ ، ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، ﴿أءتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمٰن بضر﴾ ، فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولي وغيره على وجه الإمداد منهم ؛ شرك مع الله تعالى ، إذ لا قادر على الدفع غيره ، ولا خيرَ إلا خيره.[1] انتهى.

الوجه الثاني والعشرون: ومن وجوه بطلان دعاء المخلوقين أنها عاجزة من جهة الرزق ، وقد أنكر الله تعالى في كتابه على من عبد من لا يرزقه ، قال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون﴾[2] ، كما صرح الله تعالى في كتابه بأن جميع النعم والأرزاق منه وحده لا شريك له ، وهو المتفرد بإنعامها على عباده ، فلا يصح إذن أن تُطلب من غيره ، قال تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ وقال ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه﴾ وقال ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ، فالله سبحانه هو الرازق وهو المعطي حقيقة ، وهو الذي ساق الأرزاق إلى من شاء ومنعها عمن شاء ، فالواجب طلبها منه وحده وعدم طلبها من غيره ، ولهذا قال ﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾.

ومما يُستدل به على فقر المخلوقين أن النبي ﷺ لم يغنِ أحدا ممن جاءه يطلبه مع شديد حاجتهم ، وهو النبي المؤيد من ربه ، الشفيق على أمته ، فطلب الأشياء ممن هم دون النبي ﷺ في المنزلة باطل من باب أولى.

فقد أتاه بعض الصحابة في غزوة تبوك ليحملهم ، فلم يجد ما يحملهم عليه من الدواب ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع ألا يجدوا ما ينفقون من مالٍ لشراء دابة تحملهم للغزو ، قال تعالى في حقهم ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾.[3]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في رهط من الأشعريين نستحمِلُهُ[4] ، فقال: والله لا أحْمِلُكُم ، وما عندي ما أحملكم عليه ، قال: فلبثنا ما شاء الله ، ثم أُتِي بإبل ، فأمر لنا بثلاث ذودٍ

---

١ «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، باختصار وتصرف يسير.

٢ سورة النحل: ٧٣ ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية في كتابه «أضواء البيان».

٣ انظر تفسير ابن جرير لسورة التوبة ، الآية ٩٢ .

٤ أي نطلب منه أن يوفر لنا ما يحملنا من الإبل ويحمل أثقالنا. «شرح النووي على صحيح مسلم»

غُـرِّ الذَّرى[1] ، فلما انطلقنا قلنا – أو قال بعضنا لبعض –: لا يبارك الله لنا ، أتينا رسول الله ﷺ نستحمله فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا ، فأتوه فأخبروه فقال: ما أنا حملتُكم ولكن الله حملَكم.[2]

وقال تعالى ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق﴾[3] ، فنكَّر الرزق أولا ، ثم عرَّفه ثانيا ، فدلت الأولى على نفي أن يكون شيء من تلك المعبودات يملك شيئا من الرزق ولو حقيرا ، لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم ، وعرف الرزق في الثانية ، أي ابتغوا عند الله الرزق كله ، فالله هو الرازق وحده دون ما سواه.

قال ابن القيم رحمه الله:

«المخلوق لا يقصِد منفعتك بالقصد الأول ، بل إنما يقصد انتفاعه بك ، والرب تعالى إنما يريد نفعك لا انتفاعه بك ، وذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة ، بخلاف إرادة المخلوق نفعك ؛ فإنه قد تكون فيه مضرة عليك ولو بتحمُّلِ مِنَّتِهِ.

فتدبر هذا ، فإن ملاحظته تمنعك **أن ترجو المخلوق أو تعامله دون الله ، أو تطلب منه نفعا أو دفعا أو تُعلِّق قلبك به** ، فإنه إنما يريد انتفاعه بك لا محض نفعك ، وهذا حال الخلق كلهم بعضهم مع بعض ، وهو حال الولد مع والده ، والزوج مع زوجته ، والمملوك مع سيده ، والشريك مع شريكه ، فالسعيد من عاملهم لله تعالى لا لهم ، وأحسن إليهم لله ، وخاف الله فيهم ولم يخَفهم مع الله ، ورجا الله بالإحسان إليهم ولم يرجُـهُم مع الله ، وأحبهم لحب الله ولم يحبهم مع الله ، كما قال أولياء الله ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا﴾[4]».[5]

فإذا تقرر لدينا فقر المخلوقين ، فكيف يصح أن تطلب منهم الحاجات ، ويترك دعاء الغني الذي بيده ملكوت الأرض والسماوات؟

---

١ الذَّود هي الإبل ، والغُرة هي البياض ، والذَّرى جمع ذُروة وهي أعلى الشيء ، فقوله: (ثلاثُ ذودٍ غُـرِّ الذَّرى) أي ثلاثة إبل بيض الأسنمة ، فإن ذروة البعير سنامه. انظر شرح الحديث في شرح النووي للحديث على صحيح مسلم.

٢ رواه مسلم (٤٢٦٣) وابن ماجه (٢١٠٧) والنسائي (٣٧٨٩).

٣ سورة العنكبوت: ١٧ .

٤ سورة الإنسان: ٩ .

٥ «إغاثة اللهفان» ، ص ٦٦ .

وقد وصف الله نفسه بأنه الغني الرزاق الوهاب المنعم الباسط الجواد المحسن الكريم المعطي النافع المُقِيت[1] الصمد[2] المنان المرجو المرغوب القادر المدبر القيوم – أي الذي يقوم به أمر السماوات والأرض – فمن توجه لمخلوق مثله لم يتصف بواحدة من هذه الصفات وطلب منه حاجاته وترك من له الأسماء الحسنى والصفات العلى ؛ فهذا قد باع نفسه وعبد هواه.

خلاصة

وبناء على ما تقدم من وجوه عجز المخلوقين الخمسة ، العجز في العلم والقدرة والتدبير والخلق والملك والرزق، فإن توجه الداعي لغير الله مستلزم لسوء الظن بالله العظيم ، قال ابن القيم رحمه الله:

الشرك مبني على سوء الظن بالله ، ولهذا قال إبراهيم – إمام الحنفاء – عليه السلام لخصمائه من المشركين ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين﴾[3] ، وإن كان المعنى: (ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به وقد عبدتم معه غيره وجعلتم له ندا؟) ، فأنت تجد تحت هذا التهديد: (ما ظننتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره؟).

فإن المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزيرٍ أو ظهيرٍ أو عونٍ ، وهذا أعظم التنقيص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته وكل ما سواه فقير إليه بذاته.

وإما أن يَظن أنه سبحانه إنما تتِم قدرته بقدرة الشريك.

وإما أن يظن بأنه لا يَعلم حتى يُـعْلِمَهُ الواسطة.

أو لا يرحم حتى تجعلُه الواسطة يرحم.

أو لا يكفي وحده.[4]

---

١ أي الذي يعطي الناس أقواتهم أي أرزاقهم ، وقيل: معناها الحفيظ ، وقيل غيرها.

انظر ما رواه ابن جرير الطبري في تفسير هذه الصفة عند الكلام على قول الله تعالى ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾. النساء: ٨٥ .

٢ أي الذي تلجأ إليه الخلائق في حاجاتها.

انظر ما رواه ابن جرير الطبري في تفسير قول الله تعالى ﴿الله الصمد﴾.

٣ سورة الصافات: ٨٦ – ٨٧ .

٤ أي لا يكفي عبده وحده.

أو لا يفعل ما يريد بالعبد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع المخلوق عند المخلوق ، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع وانتفاعه به وتكثُّره به من القلة وتعزُّزه به من الذلة.

أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن تَرفع تلك الحاجات إليه ، كما هو حال ملوك الدنيا ، **وهذا أصل شِركِ الخلق.**

أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم حتى ترفع الوسائط إليه ذلك[1].

أو يظن أن للمخلوق عليه حقا ، فهو يُقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ، ويتوسل إليه بذلك المخلوق كما يَتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يَعِزُّ عليهم ولا يمكنهم مخالفته.

وكل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها ، ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله تعالى وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك بسبب قِسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به ، فينقُّص ويضعُف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه إلى من عبَده من دونه ؛ (لكفى في شناعته)[2].

فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه ، والتنقص لازم له ضرورةً ، شاء المشرك أم أبى ، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته ألا يغفره ، وأن يخلِّد صاحبه في العذاب الأليم ، ويجعلُه أشقى البرية ، فلا تجد مشركا قط إلا وهو متنقص لله سبحانه وإن زعم أنه يعظمه بذلك.[3]

الوجه الثالث والعشرون: ومن وجوه بطلان دعاء غير الله أن تلك المعبودات التي تعبد من دون الله أو مع الله لا تدوم لعابديها ، بل ستفنى وتندثر في الأرض ، وهذا من وجوه عجزها ، فدل هذا على بطلان عبادتها ، إذ لو كانت عبادتها حقا لدامت! فأين قبور الصالحين التي كانت تعبد في الجاهلية؟ وأين الأشجار والأحجار التي كان الناس يسألونها البركة قبل قرن واحد من الزمان؟ هي إما زالت وإما ستزول كما زال غيرها بأمر الله الكوني القدري ، قال تعالى ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[4].

---

١ أي: ترفع الدعاء إلى الله.

٢ ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة الفقي ، ص ٦٢ .

٣ «إغاثة اللهفان» ، ص ١٠٣- ١٠٤ ، باختصار يسير.

٤ سورة الرحمٰن: ٢٦ – ٢٧ .

وقد أشار إبراهيم عليه السلام إلى هذا الدليل العقلي في معرض دعوته لقومه عباد الكواكب ليبين لهم أن عبادة غير الله باطلة ، قال تعالى عنه ﴿فلما جن عليه الليل رآى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رآى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رآى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[1] .

ففي هذه الآيات نبه إبراهيم عليه السلام قومه إلى فناء معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله وعدم ديمومتها ليبرهن لهم بذلك على بطلان عبادتها.

أما الله تعالى فإنه حي قيوم ، دائم باق ، لا يزول ولا يفنى ، كما قال تعالى ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ، فهو المستحق وحده للدعاء والعبادة دون ما سواه.

الوجه الرابع والعشرون: ومن وجوه بطلان دعاء الموتى أن الكتاب والسنة ينصان على أن الميت ليس له اتصال بالدنيا البتة ، بل هو غافل عنها ، سواء كانت روحه في عليين أو كانت في سجين ، فكيف يقدر مَن كانت هذه حاله أن يجيب الطلبات ويقضي الحاجات؟! قال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾.

وبناء على هذا فالداعي للميت – في الحقيقة – لا يدعو أحدا ، **وإنما يُكلم نفسه!** إذ إن حياة المؤمن في قبره لا تقتضي ما تقتضيه الحياة الدنيوية من إدراك بالحواس الخمسة ، بل هو في حياة برزخية غيبية ليست من جنس حياة الإنسان في الدنيا ، وهو بكل حال غافل عما يدور في الدنيا كما دلت عليه الآية الكريمة.

الوجه الخامس والعشرون: أن مقتضى فِعل الذين يدعون غير الله من الموتى أو الجمادات أنهم يعتقدون أن الموتى في مرتبة أعلى من مرتبة الأحياء ، لكونهم – في الغالب – لم يَدعونهم إذ كانوا أحياء ، فلمَّا ماتوا شرعوا في دعائهم ، وهذا مخالف لما دل عليه الشرع والعقل والفطرة السليمة من أن الأحياء في مرتبة أعلى من مرتبة الأموات ، قال تعالى في سورة فاطر ﴿وما يستوي الأعمى والبصير *

---

١ سورة الأنعام: ٧٦ – ٧٩ .

ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * **وما يستوي الأحياء ولا الأموات** * إن الله يسمع من يشاء وما أنت بسمع من في القبور﴾[1] ، فواعجبا من أحياء يستغيثون بأموات!

الوجه السادس والعشرون: ومن أدلة بطلان دعاء غير الله ؛ أن الذين يُعبدون من دون الله سيخذلون من كانوا يعبدونهم يوم القيامة ويتبرؤون منهم ، سواء الراضون منهم بعبادتهم أم غير الراضين ، فهذا عيسى عليه السلام سيتبرأ من النصارى الذين كانوا يعبدونه كما قال تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال **سبحانك** ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ ... إلى قوله ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾[2].

بل جميع المعبودات التي تعبد من دون الله ستتبرأ من عابديها ويلعنونهم ويكونون عليهم ضدا ، أي خُصماء وأعداء ، بخلاف ما كانوا يرجون منهم ويؤمِّلون ، قال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم **ويكونون عليهم ضدا**﴾[3].

وقال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس **كانوا لهم أعداء** وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم. اهـ.

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة **يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا** ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾[5].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: أي يتبرأ كُلٌّ من العابدين والمعبودين من الآخر ، وإذا حُشِر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ، فكيف تتعلقون بِمَن يُعلَم أنه سيتبرأ من عابديه ويلعنُهم ، وأن مأوى الجميع – العابدين والمعبودين – النار ، وليس أحد ينصُرهم من عذاب الله ، ولا يدفع عنهم عقابه. اهـ.

---

١ سورة فاطر: ١٩ – ٢٢ .

٢ سورة المائدة: ١١٦ – ١١٧ .

٣ سورة مريم: ٨١ – ٨٢ ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة.

٤ سورة الأحقاف: ٥ – ٦ .

٥ سورة العنكبوت: ٢٥ .

وقال تعالى ﴿إذ تبرأ الذين اتَّبعوا من الذين اتُّبِعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: وحينئذ يتمنى التابعون أن يُردُّوا إلى الدنيا فيتبرؤوا من متبوعهم ، بأن يتركوا الشرك بالله ويُقبلوا على إخلاص العمل لله ، وهيهات ، فات الأمر ، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار ، ومع هذا فهم كَذَبةٌ ، فلو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنما هو قولٌ يقولونه وأمانيَّ يتمنونها حنقا وغيظا على المتبوعين لمَّا تبرؤوا منهم ، والذنب ذنبهم ، فرأْسُ المتبوعين على الشر إبليس ، ومع هذا يقول لأتباعه لما قُضِي الأمر ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُم﴾. اهـ.

ففي حين أن حجة غالب الذين يدعون أصحاب القبور أو غيرها أنها تقربهم وتشفع لهم عند الله ؛ فالحق أن تلك المعبودات لن تقربهم وتشفع لهم عند الله يوم القيامة ، بل ستتبرأ منهم ، ويكون تقربهم لها وبالا عليهم، قال تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون * ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء **وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾[2]، قال ابن كثير رحمه الله: أي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى ، وكفروا بهم ، وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم.

وقال تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء **لقد تقطع بينكم** وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾[3].

وقال تعالى ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا * فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾[4] ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ ، أي فقد كذَّبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يُقرِّبونكم إلى الله زلفى ... وقوله ﴿فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ أي لا يقدِرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسِهم. اهـ باختصار.

---

١ سورة البقرة: ١٦٦ .

٢ سورة الروم: ١٣ .

٣ سورة الأنعام: ٩٤ .

٤ سورة الفرقان: ١٧ – ١٩ .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

«ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يحشر الكفار يوم القيامة وما كانوا يعبدون من دونه ، أي يجمعهم جميعًا فيقول للمعبودين: ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ، فزينتم لهم أن يعبدوكم من دوني ، أم هم ضلوا السبيل؟

أي كفروا وأشركوا بعبادتهم إياكم من دوني من تلقاء أنفسهم من غير أن تأمروهم بذلك ولا أن تُزيِّنوه لهم.

وأن المعبودين يقولون: سبحانك ، أي تنزيهاً لك عن الشركاء وكل ما لا يليق بجلالك وعظمتك.

﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ ، أي ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحداً سواك ، لا نحن ولا هم ، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك ، بل فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ، ونحن بُرآء منهم ومن عبادتهم.

ثم قال ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ ، أي طال عليهم العمر ، ﴿حتى نسوا الذكر﴾ ، أي نسوا ما أنزلته عليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك.

﴿وكانوا قومًا بورًا﴾ ، قال ابن عباس: أي هلكى.

وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري: أي لا خير فيهم». انتهى كلامه رحمه الله.[1]

وقال تعالى في تبرؤ المعبودات من عابديها يوم القيامة ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون * قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

يقول تعالى مخبرا عما يُوَبِّخ به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول ﴿أين شركاءي الذين كنتم تزعمون﴾ ، يعني أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد ، هل ينصرونكم أو ينتصرون؟

---

١ وانظر ما قاله رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون﴾. (سورة النحل: ٨٦).

٢ سورة القصص: ٦٢ – ٦٣ .

وقوله ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ يعني الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ ، فشهِدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرءوا من عبادتهم ، كما قال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِـزًّا *كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾. اهـ باختصار.

وقال ابن القيم رحمه الله:

«اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته هو ولا بد ، عكس ما أمَّله منه ، فلابد أن يُخذل من الجهة التي قَدَّر أن يُنصر منها ، ويُذم من حيث قَدّر أن يُحمد ، وهذا أيضا كما أنه ثابت بالقرآن والسنة فهو معلوم بالاستقراء والتجارب ، قال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزا *كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾[1] ، وقال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾[2] ، أي يَغضَبون لهم ويُحارِبون كما يغضب الجُندُ[3] ويحارِب عن أصحابه[4] ، وهم لا يستطيعون نصرهم ، بل هم كَلٌّ[5] عليهم ، وقال تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب﴾[6] ، أي: غير تخسير ، وقال تعالى ﴿فلا تدع مع الله إلٰها آخر فتكون من المعذبين﴾[7] ، وقال تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلٰها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾[8] ، فإن المشرك يرجو بشركِه النصر تارة ، والحمد والثناء تارة ، فأخبر سبحانه أن مقصوده ينعكس عليه ، ويحصل له الخذلان والذم ، فصلاح القلب وسعادته

---

١ سورة مريم: ٨١ – ٨٢ .

٢ سورة يٰس: ٧٤ – ٧٥ .

٣ الجُند أي العسكر ، جمع أجناد. انظر «لسان العرب».

٤ أي في الدنيا كانوا يدافعون عن آلهتهم ويغضبون لها سواء كانت أصناما أو قبورا أو غيرها.

٥ الكَلُّ هو من كان عِبأً على غيره ، والمعنى أنهم في الآخرة سيكونون نقمة عليهم وبلاء إذ لم ينصروهم كما كانوا يظنون ويحسِبون. انظر معنى «الكَـلْ» في «المعجم الوسيط».

٦ سورة هود: ١٠١ .

٧ سورة الشعراء: ٢١٣ .

٨ سورة الإسراء: ٢٢ .

وفلاحه في عبادة الله سبحانه والاستعانة به ، وهلاكه وشقاؤه وضرره العاجل والآجل في عبادة المخلوق والاستعانة به».[1]

قلت: وصدق الله القائل ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾.

الوجه السابع والعشرون: ومن أدلة بطلان دعاء غير الله ما قصه الله علينا في القرآن من اعتراف الكفار وهم في النار بأن دعاءهم لغير الله ليس بشيء ، قال تعالى عنهم ﴿أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا **بل لم نكن ندع من قبل شيئا** كذلك يضل الله الكافرين﴾.

الوجه الثامن والعشرون: أنه دعاء أصحاب القبور يلزم منه مضاهاتهم[2] بالله عز وجل في صفة السمع السمع والعلم ، وذلك أن الموتى يجتمع لدعائهم جماعات كثيرة ، يدعون بلغات مختلفة ، ويطلبون أغراضاً متعددة ، من أماكن متفرقة ومتباعدة ، وفي أزمان شتى ، ولولا أن الداعين لهم يعتقدون فيهم أنهم يسمعون القريب والبعيد وأنهم يعلمون حاجات جميع الناس لما دعوهم أصلاً ، وفي هذا تشبيه لهم بالله عز وجل في صفة السمع والعلم ، وهذا كفر ، قال نُعيم بن حماد الخزاعي[3] – شيخ البخاري – رحمهما الله: من شبّه الله بخلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها.[4] تشبيها.[4]

وذكر اللالكائي عن عبد الرحمٰن بن أبي حاتم قال: قال إسحاق بن راهويه[5]:

---

١ «إغاثة اللهفان» ، ص ٦٣ – ٦٤ ، باختصار يسير.

٢ أي شابهه وفعل مثل فعله. انظر «المعجم الوسيط».

٣ هو الإمام العلامة الحافظ الفرَضي صاحب التصانيف ، حدّث عن جماعة منهم عبد الله بن المبارك ، وروى عنه جماعة منهم البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، قال الذهبي: كان من كبار أوعية العلم.

انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٩٥/١٠) و «تذكرة الحفاظ» (٦/٢).

٤ رواه الذهبي في «العلو» رقم ٤٦٤ ، وخرجه في «سير أعلام النبلاء» (٦١٠/١٠) من طريق آخر ، وذكره في كتاب «العرش» ص ٩٣ – ٩٤ وصححه.

٥ هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي ، ثقة حافظ مجتهد ، مات سنة ٣٨ . انظر ترجمته في «السير» (٣٥٨/١١).

مَن وصَفَ الله فشبَّه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العـظيم ، لأنه وصفٌ لصفاته ، إنما هو استسلام لأمر الله ولِما سن الرسول ﷺ .[1]

والواجب إفراد الله تعالى بكمال صفات السمع والعلم ، لأن الله ليس كمثله شيء كما أخبر في كتابه.

١ «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ، رقم (٩٣٧).

الوجه التاسع والعشرون: أن المخلوقات لا تستوي مع بعضها البعض ، فكيف يصح مساواتها بخالقها وهو الله عز وجل ، فيُطلب منها كما يُطلب من الله ، ويُلجأ لها كما يُلجأ إلى الله؟!

وقد ضرب الله هذا البرهان العقلي في سورة النحل فقال تعالى ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾.

ففي هاتين الآيتين ضرب الله مثلين ، المثل الأول مثلُ العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ، والسيد الحر الغني الذي ينفق ماله سرا وجهرا ، هل يستوون؟ الجواب لا قطعا ، مع أن كلاهما عبدٌ لله سبحانه.

والمثال الثاني رجل أبكم لا يسمع ولا ينطق ، ولا يقدر على شيء ، أي ليس عنده مال قليل ولا كثير ، بل هو كَلٌّ على مولاه ، أي عاجز عن خدمة نفسه لدرجة أن مولاه هو الذي يخدمه ، هل يستوي هذا ومن هو سليم الحواس يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، فأقواله عادلة وتصرفاته مستقيمة؟ الجواب لا قطعا.

فإذا كانت المخلوقات لا تستوي مع بعضها البعض ، فكيف يصح تسويتها مع خالقها جل وعز ، بأن يُطلب منها كما يطلب من الله ، ويُلجأ لها كما يلجأ إلى الله ، كما لو أن صفاتها متطابقة مع صفات الله ، وقدرتها كقدرة الله؟ تعالى الله عن ذلك علوا عظيما.

وقال بعض المفسرين إن المثل الثاني هو مثلُ الله ومثلُ ما يُعبد من دونه ، فمثَّل الله المعبودات التي تُعبد من دونه – من الأصنام والموتى – بالعبد الأبكم الذي لا يقدر على شيء ، وضرب مثلا لنفسه بالسيد الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، وكلا القولين صحيح ويدل على المقصود ، وهو بيان الفرق بين الله وبين خلقه ، وإظهار عدم استحقاق المخلوق – أيًّا كان – لأيِّ لون من ألوان العبادة.

ولما فرغ الله من ذكر المثلين قال ﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ ، ففي هذا توبيخ للمشركين لما عبدوا المخلوق الناقص العلم بحاجات الناس ، وتركوا عالم غيب السماوات والأرض.

فالحاصل هو الاستدلال بعدم تساوي الأحياء مع بعضهم البعض على عدم تساويهم مع الله في مسألة اللجوء والتعلق ، وكذا الاستدلال بعدم تساوي الأحياء مع الأموات على عدم تساويهم مع الله في مسألة اللجوء والتعلق ، فعلى هذا فإن طلب الحاجات من الموتى من أبطل الباطل وأسْفه السّفه.

الوجه الثلاثون: أن دعاء غير الله يستلزم صرف عبادات أخرى يتضمنها الدعاء لغير الله ، كعبادة الخوف والرغبة والرهبة والرجاء والخشوع والخضوع ، وهذه عبادات قد أمر اللهُ العبد بإخلاصها له تعالى ، وصرفها لغير الله شرك ، قال تعالى ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ ، وقال تعالى ﴿وإلى ربك فارغب﴾.

كذلك فإن الدعاء يتضمن الخوف من الله والرجاء لما عند الله ، وهي عبادات أيضا قد أمر الله بها وأثنى على أهلها كما في قوله تعالى ﴿وخافونِ إن كنتم مؤمنين﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿ويرجون رحمته﴾[2].

فكون هذه الأعمال متلازمة ومصاحبة للدعاء يدل على وجوب صرفه نفسه لله تعالى ، وبطلان صرفه لغيره.

الوجه الحادي والثلاثون: ومن أدلة بطلان دعاء المخلوقين أن الأنبياء ومن تبعهم على الحق من الصالحين[3] لا يرضَون بأن يَصرِفَ لهم الناس شيئا من العبادات ، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم ، لا دعاء ولا استغاثة ولا ذبحا ولا نذرا ولا سجودا ولا غير ذلك ، ومن أمثلة ذلك أنه لما قدم معاذ من الشام **سجد** للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟

فقال: أتيتُ الشام ، فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم[4] وبطارقتهم[5] ، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك.

فقال رسول الله ﷺ : فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.[6]

وقد تكرر هذا الفعل عدة مرات أمام النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ ينكره في كل مرة أشد الإنكار.[7]

ومن إنكار الأنبياء على من عبدهم ما قصه الله عن عيسى عليه السلام ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما كان لي أن أقول ما ليس بحق إن كنت

---

١ سورة آل عمران: ١٧٥ .

٢ سورة الإسراء: ٥٧ .

٣ الصالح هو القائم بما أمره الله به ، المنتهي عما نهاه الله عنه.

٤ الأساقفة جمع أُسقُف – بضم الهمزة – ، وهو رئيس النصارى في الدين. انظر «لسان العرب».

٥ بطارقة جمع بِطريق ، بكسر الباء ، ويقال بطريك ، وهو لقب يطلق على المقدمين عند النصارى. انظر «لسان العرب» و«المعجم الوسيط».

٦ رواه ابن ماجه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه (١٨٥٣) ، والحاكم (١٧٢/٤) ، والطبراني في «الكبير» (٢٠٨/٥) ، وقال الألباني: حسن صحيح ، وانظر «الصحيحة» (١٢٠٣).

٧ انظر ما رواه الدارمي عن قيس بن سعد وعن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يسجد لأحد. وكذا ما رواه الترمذي (١١٥٩) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني كما في «الإرواء» (٥٤/٧).

قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾.

وهذا علي رضي الله عنه لما أُتِي بالزنادقة – الذين غلوا في حبه وتعظيمه حتى عبدوه – أمر بتحريقهم بالنار.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله معلقا على فعل علي رضي الله عنه بالزنادقة الذين عبدوه وعلى بعض الأحاديث الواردة في إنكار النبي ﷺ على بعض من غلا فيه:

«فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه ، وإنما يُقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوًا في الأرض وفسادًا كفرعون ونحوه ، ومشائخ[2] الضلالة الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد والفتنة بالأنبياء والصالحين واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم».[3]

وروى البيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمع عنده النصارى والأحبار فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام:

أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟

فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الربيس: (وذلك تريد يا محمد وإليه تدعو) ، أو كما قال.

فقال رسول الله: معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ولا أمرني ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾.[4]

بل إن عبادة المخلوقين فيها استخفاف بهم ، لأنهم أنزلوهم في غير منزلتهم ، أرأيت رجلا قال لصاحبه: أنت ملِك!

---

١ انظر «فتح الباري» شرح حديث (٦٩٢٢).

والأثر رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (الناشر: دار الفكر – بيروت) (٤٢/٤٧٥-٤٧٦) في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/٣٤٢-٣٤٣) (الناشر: مؤسسة الرسالة) ، وانظر ما قاله السمعاني في كتاب «الأنساب» (٥/٣٩٦) (الناشر: دار الكتب العلمية) في النسبة إلى (النصيري).

٢ لعل الصواب: مشايخ ، جمع شيخ. انظر «لسان العرب» ، مادة: شيخ.

٣ «مجموع الفتاوى» (٢٧/٨١).

٤ (٥/٣٨٤) ، وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير الآية الكريمة.

حتما سيشعر ذلك الصاحب أنه يسخر منه ويُقلِّل من شأنه ، فكذلك الذي يعبد الصالحين ، فإنه في الحقيقة يتنقصهم ويحتقرهم ، وإنما يُوقرهم الذي يقتدي بهم في فعل الخير ويدعو لهم ، لا الذي يدعوهم وينزلهم منزلة الرب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

الوجه الثاني والثلاثون: أن الرسول ﷺ كان ينهى الناس عن مجرد المبالغة في مدحه وتعظيمه ، فكيف بمن أشركه أو أشرك غيره مع الله في الدعاء؟!

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: **لا تطروني** كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[1]

بل إن النبي ﷺ كان ينهى عما هو أقل من ذلك مما فيه نوع غلو فيه ، فإنه لما صلى جالسا صلى خلفه الصحابة قياما ، فنهاهم عن ذلك ، وقال: إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم ، يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا.[2]

ففي هذا الحديث نرى أمر النبي ﷺ للمأمومين بالجلوس إذا جلس الإمام ، مع أن في هذا إخلالا بالركن ، ولكن لأجل المشابهة لما يفعله الكفار لكبرائهم في تعظيمهم لهم نهى عن ذلك ، فكيف بمن توجه لميت بالعبادة نفسها؟![3]

وقال أنس رضي الله عنه: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك.[4]

فإذا كان النبي ﷺ ينهى عن الوقوف له تعظيماً له ، فكيف لو رأى من يدعوه كما يدعو رب العالمين؟

وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى.

قلنا: وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طَولا[5].

---

١ رواه البخاري (٣٤٤٥).

٢ رواه مسلم (٩٢٨).

٣ انظر (٧٤/٢) من «الدرر السنية».

٤ رواه الترمذي (٢٧٥٤) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

٥ أي أعظمُنا عطاءً وعلُواً على الأعداء ، انظر شرح الحديث في «عون المعبود».

فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان.[1]

ففي هذه الأحاديث وغيرها نرى حماية النبي ﷺ لحمى التوحيد وسده لطرق الشرك بأن نهى صحابته عن مدحهم إياه بما فيه من الخصال التي هي حق في شخصه ﷺ ، فهو سيد ولد آدم ، وخير الناس وأفضلهم ، ولكن لما كان ذلك المدح قد يُفضي إلى الغلو فيه ﷺ نهاهم عن ذلك ، وعدَّ هذا من استجراء الشيطان لابن آدم.

والشاهد أنه لما كانت المبالغة في مدح النبي ﷺ مخالفة شرعية ؛ فمن باب أولى دعاؤه أو دعاءُ غيرِه ، لأن دعاء المخلوق أعظم غلوا من الافراط في مدحه ، بل هو أعظم مظاهر الغلو.

الوجه الثالث والثلاثون: ومن أدلة بطلان دعاء المخلوقين أن أولئك المدعوين من الأنبياء والصالحين والملائكة هم أنفسهم عبيد لله يتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة ، ومن كان عبدا فإنه لا يستحق أن يُعبد أو يَتقرب الناس إليه ، قال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾[2]، أي تلك المعبودات التي تدعونها من دون الله من الملائكة والمسيح ونحوهم ؛ هم أنفسهم يرغبون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم ، ويتقربون إليه بالعمل الصالح ويتنافسون ليعلموا أيهم أقرب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة ، ﴿ويرجون رحمته﴾ كما يرجوها غيرهم ، ﴿ويخافون عذابه﴾ كما يخافه غيرهم ، ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ ، فهو إذا حقيقٌ بأن يحذَرُهُ العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم.[3]

وقد كان النبي ﷺ يؤكد دائما على هذه العقيدة — عقيدة أنه عبد لله – حتى لا تقع أمته في عبادته ، فقد كان يستفتح خطبه بقوله: وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا **عبده** ورسوله.

وقد وصفه الله بأنه عبد لله في غير ما آية من كتاب الله ، كما في قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى **بعبده** ليلا﴾ ، وقوله ﴿فأوحى إلى **عبده** ما أوحى﴾ ، وقوله ﴿وأنه لما قام **عبد الله** يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ ،

---

١ رواه أبو داود (٤٨٠٦) ، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٦) ، وأحمد (٢٤/٤ – ٢٥) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١) ، وصححه الألباني.

٢ سورة الإسراء ، الآيتان ٥٦ – ٥٧ .

٣ انظر تفسير الآية في «زبدة التفسير من كلام العلي القدير» ، بتصرف يسير.

ومن المعلوم أن العبد لا يُعبد ، كما أن الرسول لا يُكَذَّب ، فإذا كان النبي ﷺ كذلك ؛ فمن باب أولى لا يُعبد من هو دون الرسول ﷺ ، كالأولياء والصالحين من المقبورين وغيرهم ، والله أعلم.

الوجه الرابع والثلاثون: أن أولئك المدعوين من الأنبياء والصالحين هم أنفسهم محتاجون للأحياء ، بدعائهم والاستغفار لهم ، لأن الميت قد انقطع عمله ، كما قال عليه الصلاة والسلام: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له.[1]

فهذا محمد ﷺ – أفضل البشر وأقربهم عند الله منزلة – طلب منا أن نصلي عليه ، حيا وميتا ، والصلاة عليه هي الدعاء له بالرحمة ، قال ﷺ : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول **ثم صلوا علي** ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم **سلوا الله لي الوسيلة** فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن **سأل لي الوسيلة** حلت له الشفاعة.[2]

وكذلك علَّمنا النبي ﷺ بأن ندعو له ولكل عبد صالح في السماء والأرض ، كما في دعاء التشهد في التحيات: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا **وعلى عباد الله الصالحين** ... الحديث.

ثم قوله في التشهد الأخير: اللهم **صل على محمد وعلى آل محمد** ... الحديث.

ومن ذلك أيضا أن النبي ﷺ علَّم أمته أن يدعوا للميت بالرحمة والمغفرة في عموم الأحوال ، وفي صلاة الجنازة، وبعد الدفن خصوصا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى على جنازة يقول: اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تُضلنا بعده.[3]

وعن عثمان رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل.[4]

---

١ رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ رواه مسلم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

٣ رواه أبو داود (٣٢٠١) وابن ماجه (١٤٩٨) ، وصححه الألباني.

ورواه أحمد (٣٦٨/٢) ، والترمذي (١٠٢٤) بدون زيادة: اللهم لا تحرمنا أجره ... الحديث.

٤ رواه أبو داود (٣٢٢١) عن عثمان رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

فإذا تقرر أن الميت بحاجة الحي فلا يصح إذا أن يُطلب من الموتى شيئا من المصالح الدينية أو الدنيوية.

الوجه الخامس والثلاثون: ومن وجوه بطلان دعاء الموتى أن النبي ﷺ مدح من لم يسأله شيئا من الأمور الدنيوية ، وفضَّله على من سأله ، بل ذم كثيراً ممن سأله السؤال الجائز مما يقدر عليه ، وعلَّمهم ترك سؤال الناس ليربيهم على تمام التعلق بالله وحده ، فماذا يقال لمن توجه للنبي ﷺ أو لغيره بطلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا رب العالمين؟

فقد أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفِدَ ما عنده ، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدَّخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغنِ يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاءً خيرا وأوسع من الصبر.[1]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من نزلت به فاقة **فأنزلها بالناس** لم تُسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة **فأنزلها بالله** ، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل.[2]

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال: ألا تبايعون رسول الله؟ وكنا حديثَ عهد ببيعة.

فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله.

ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟

فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله.

ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟

قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك؟

قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا ، – وأسرَّ كلمة خفية – ، **ولا تسألوا الناس شيئا.**

فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يُناوله إياه.[3]

---

١ رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

٢ رواه الترمذي (٢٣٢٦) ، وأبو داود (١٤٥٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

٣ رواه مسلم (١٠٤٣).

ولما سقط خطام ناقة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ أناخ ناقته وأخذه ، فقالوا له: أفلا أمرتنا نُناولَكَهُ؟ فقال: إن حِبِّي[1] رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئا.[2]

الوجه السادس والثلاثون: ومن الأدلة على بطلان دعاء غير الله أن العبد كلما كان أكثر توحيدا وذلاً لله وافتقاراً إليه كان أعز له وأعظم لقدره ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «العبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارًا إليه وخضوعاً له ؛ كان **أقرب إليه وأعز له وأعظم لقدره** ، فأعظم الخلق أعظمهم عبودية لله ، وأما المخلوق فكما قيل: «احتج إلى من شئت تكن أسيره ، واستغنِ عمن شئت تكن نظيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره».

فأعظم ما يكون العبد قدرا وحرمة عند الخلق إذا لم يَحتج إليهم بوجه من الوجوه ، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم كنت أعظم ما يكون عندهم ، ومتى احتجت إليهم – ولو في شربة ماء – نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم ، وهذا من حكمة الله ورحمته ليكون الدين كله لله ، ولا يُشرك به».[3]

وقال أيضا: «وكل من علّق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه أو يرزقوه أو أن يهدوه ؛ **خضع قلبه لهم** ، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك ، وإن كان في الظاهر أميراً لهم مدبراً لهم متصرفاً بهم ، فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر ، فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له ؛ يبقى قلبه أسيراً لها ، تتحكَّم فيه وتتصرف بما تريد ، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها ، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ، لاسيما إذا درت بفقره إليها وعشقه لها ، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها ، فإنها حينئذ تَحكَّم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ، بل أعظم ، **فإنَّ أسْر القلب أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن** ، فإن من استُعبد بدنه واستُرق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص ، وأما إذا كان القلب – الذي هو المِلك – رقيقاً مستعبداً مُتيماً لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض ، والعبودية لما استعبد القلب».[4]

---

١ الحِب بكسر الحاء هو المحبوب. انظر «النهاية».

٢ رواه أحمد (١١/١) ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

٣ «مجموع الفتاوى» (٣٩/١).

٤ «مجموع الفتاوى» (١٨٥/١٠ – ١٨٦).

وقال أيضا رحمه الله: «**ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات** إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ، ولا يستعين إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه الله ، ولا يعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا الله ، ولا يبغض شيئا إلا لله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، **فكلما قوي إخلاص دينه لله كمُلت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات** ، وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك».[1]

ومما تقدم يتبين أن عبادة غير الله لا يجني منها فاعلها إلا الذل في الدنيا والآخرة ، أما من أخلص العبادة لله تعالى فإنه عزيز ، وذلك لأن الله تعالى شرع دين الإسلام ليُخلص الناس من عبادة البشر إلى عبادة رب البشر ، ومن الرق لمخلوقين إلى الرق للخالق ، وهذه قمة العزة ، فمن دعى غير الله فقد تذلل له ولم يَعِز ، ثم هلك في الآخرة بعدما يتبرأ منه من كان يعبُدُه ، وأما من عبد الله فقد عزَّ نفسه عن الناس في الدنيا ، ونجا في الآخرة مع الناجين ، ففي إفراد الله بجميع أنواع العبادة تحصل العزة في الدارين ، وصدق الله إذ يقول ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾[2].

وفائدة أخرى تحصل من إخلاص العبادة وهي الكِفاية ، أي كِفاية الله له ،وذلك أن العبد إذا أخلص العبادة لله كفاه الله ووقاه الشرور والآفات ، كما قال تعالى ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ ، فكلما زادت العبودية زادت الكفاية والوقاية ، **أما الذي ينزل حاجته بمخلوق مثله فإنه لا يزال محتاجًا فقيرًا معذبًا لا يحصل له مطلوبه** ، وقد كانت العرب إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا استعاذوا بعظيم ذلك الوادي من الجن من أن تصيبهم الشرور ، فلما رأت الجن ذلك زادوهم خوفاً ورعباً كما قال تعالى ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ ، وهذا من براهين التوحيد ليكون الدين كله لله ، ولا يشرك معه أحد.

الوجه السابع والثلاثون: ومن أدلة بطلان دعاء غير الله اعتزال الأنبياء لمن وقعوا في دعاء غير الله ولو كان الفاعل لذلك أقرب قريب للدلالة على بطلان هذ الفعل ونكارته ، فهذا إبراهيم قال لقومه

---

١ «مجموع الفتاوى» (١٠/١٩٨).

٢ سورة فاطر: ١٠ ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة في كتابه «أضواء البيان».

﴿**وأعتزلكم** وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ ، ففي هذا تنبيه إلى أنه بادَءهم بذِكر اعتزالهم أولاً ، ثم عطف عليه باعتزال معبوداتهم.

قال عماد الدين بن كثير ، رحمه الله ، في معنى قوله ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾:

«يقول تبارك وتعالى ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله ، المخالف لملة إبراهيم الخليل ، إمام الحنفاء ، فإنه جرَّد توحيد ربه تبارك وتعالى ، **فلم يدعُ معه غيره ، ولا أشرك به طرفة عين** ، وتبرأ من كل معبود سواه ، وخالف في ذلك قومه ، حتى تبرأ من أبيه ، فقال ﴿يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ ، وقال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾ ، وقال تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ ، وقال تعالى ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين * شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ ، ولهذا وأمثاله قال تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾: عن طريقته ومنهجه ، فيخالفها ويرغب عنها ، ﴿إلا من سفه نفسه﴾ ، أي ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره ، بتركه الحق إلى الضلال ، حيث خالف طريق من اصطُفي في الدنيا للهداية والرشاد ، من حداثة سنِّهِ إلى أن اتخذه الله خليلا ، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء ، فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملته ، واتبع طريقة الضلالة والغي فأي سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا؟ كما قال تعالى ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ ». انتهى.[1]

وقد قرن الله بين اعتزال المشركين ومعبوداتهم في موضع آخر من القرآن في سورة الكهف فقال عن أصحاب الكهف ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ ، وهذا هو حقيقة التوحيد وعلامة الإيمان الصادق.

وهذا النبي محمد ﷺ لما فتح مكة حطّم جميع الأصنام التي كانت تُعبد وتُدعى من دون الله ، من التي كانت في جوف الكعبة والمحيطة بها وغيرها ، وتبعه على هذا أئمة الهدى.

الوجه الثامن والثلاثون: أن من حقِّ المُنعِم شكرَه على نعمه ، وشكر الله لا يكون إلا بعـــبادته عبادة خالصة ، ليس له فيها شريك ، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (حق

---

١ «تفسير القرآن العظيم» ، سورة البقرة: آية ١٣٠ .

الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)[1] ، فمن عبد غير الله فقد شكر غير الله ، **وجحد نعمة الله عليه.**

وقد ضرب نبي الله يحيى بن زكريا ﷺ مثلا للمشرك الذي يصرف العبادة إلى غير الله بالعبد الذي يعمل ويؤدي الغلة إلى غير سيده ، فعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر عن يحيى بن زكريا أنه مثّل منْ عَبد غير الله بمثالٍ فقال: إن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورِق[2] أو ذهب ، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده ، فأيكم يسُره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.[3]

الوجه التاسع والثلاثون: ومما يدل على بطلان دعاء غير الله وأن فِعله كفر ؛ أنه لما جحدت بعض أحياء العرب فريضة الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه قتال ردة ، فكيف لو رأى من يقول بجواز صرف لب العبادة وخالصها – وهو الدعاء – لغير الله؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه[4] ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر: فكيف **تقاتل الناس** وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا «لا إله إلا الله» ، فمن قالها فقد عَصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟

فقال: والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه ، فعرفت أنه الحق.[5]

---

١ رواه البخاري (٢٨٥٦) ، ومسلم (٣٠).

٢ الورِق هي الفضة.

٣ رواه الطيالسي في المسند (١١٦١) وأحمد في «المسند» (١٣٠/٤) ، والترمذي (٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح ، ورواه أبو يعلى في المسند (١٥٧١) ، وابن حبان (٦٢٣٣) ، وغيرهم ، وقال الشيخ ابن باز رحمه الله في إجابة شفهية: (حديث جيد رجاله ثقات) ، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني كما في «صحيح الترمذي» (٢٨٦٣).

٤ أي: وكان خليفة على المسلمين.

٥ «صحيح البخاري» ، (١٣٩٩ ، ١٤٠٠).

ولهذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله:

«فإذا كان منعُ الزكاة مِن منعِ حق «لا إله إلا الله» ؛ فكيف بعبادة القبور ، والذبح للجن ، ودعاء الأولياء وغيرهم مما هو دين المشركين؟!»[2]

الوجه الأربعون: أن دعاء الميت والتوجه إليه أشد من مجرد اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ، وقد ثبت – بل استفاض – عن النبي ﷺ أنه لعن الذين يتخذون قبور الأنبياء مساجد ، أي يُصَلُّون عندها ويدعون الله تعالى ، فإذا كان من اتخذها مسجدا يُصلِّي فيه لله تعالى ويدعوه فيها ملعونا ؛ فالذي يقصدها ليدعو غير الله فيها ويتضرع فيها لغير الله ، ويخضع ويخشع فيها لغير الله أحقُّ باللعنة ، وهذا من دلائل بطلان دعاء غير الله.[3]

الوجه الحادي والأربعون: أنه لا يستقيم أن يكون للعبد أكثر من سيد يملكه ، لأن أوامر ونواهي السادة ستختلف عليه ، فمن باب أولى ألاَّ يستقيم أن يكون له أكثر من إله يعبده ، قال تعالى ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا﴾ ، أي هل يستوي العبد الذي له سيد واحد بالعبد الذي له أكثر من سيد؟ فكذلك لا يستوي المشرك الذي اتخذ مع الله آلهة أخرى والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا **إلها واحدا وهو** الله تعالى ، فأين هذا من هذا؟

ولما كان هذا المثل ظاهرا بيِّنا جليا قال ﴿الحمد لله﴾ أي الحمد لله على إقامة الحجة على كل من أشرك ، ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ، أي: بسبب عدم العلم وقعوا في الشرك.[4]

---

١ الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به وبمؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود.

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

٢ انظر «الدرر السنية» (٢/٤٧).

٣ نقلا من «الرد على الإخنائي» ، لابن تيمية رحمه الله ، ص ٤٦٦ ، بتصرف يسير.

٤ بتصرف من تفسير ابن كثير لسورة الزمر ، الآية ٢٩ .

الوجه الثاني والأربعون: أن الإنسان لا يرضى على نفسه أن يشاركه أحد من عبيده فيما يملكه ، فكيف يرضى على الله أن يشاركه أحد من عبيده فيما يستحقه من خالص حقه ، وهو عبادته وحده لا شريك له؟ قال تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ ، وقال تعالى ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾ ، وقال تعالى ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

«فمِن أقبح الظلم أن يعطي العبد حق الرب لغيره ، أو يُشرِّك بينه وبينه فيه ، ولا سيما إذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه ، كما قال تعالى ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواءٌ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ ، أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به ، وهو الإلٰهية التي لا تنبغي لغيري ، ولا تصلح لسواي؟

فمن زعم ذلك فما قدَرني حق قدري ، ولا عظَّمني حق تعظيمي ، ولا أفردني بما أنا منفرد به وحدي دون خلقي.

فما قَدَرَ الله حق قدره مَن عبَد معه غيره ، كما قال تعالى ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾[1] ».[2]

ثم قال:

«فهذه إشارة لطيفة إلى السِّر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله ، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه ، وأنه يوجب الخلود في العذاب ، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه ، بل يستحيل على الله سبحانه أن يشرع لعباده عبادة إلٰه غيره ، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله ، وكيف يُظن

---

١ سورة الحج: ٧٤ .

٢ «الداء والدواء» ، ص ٢١٢ – ٢١٣ ، بتصرف يسير ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير الآية المتقدمة.

بالمنفرد بالربوبية والإلٰهية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك ، أو يرضى به ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا».[1]

الوجه الثالث والأربعون: أن القلـوب لا تصلُح إلا بإفراد الله بجميع العبادات ، لاسيما الدعاء ، وإذا تعلق بغير الله وأحبه فوق الحد الشرعي ضرَّه ذلك ، قال ابن رجب الحنبلي[2] رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»[3]:

«لا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه ، وتمتلئ من ذلك ، **وهذا هو حقيقة التوحيد ، وهو معنى قول «لا إلٰه إلا الله»** ، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلٰهها الذي تألـهُهُ وتعرفه وتحبه وتخشاه هو الله **وحده** لا شريك له ، ولو كان في السماوات والأرض إلٰه يؤلَّـه سوى الله لفسدت بذلك السماوات والأرض ،كما قال تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾، فعُلِم بذلك أنه لا صلاح للعالم العلوي والسفلي معاً حتى تكون حركات أهلها **كلها لله** ، وحركات الجسد تابعة لحركات القلب وإرادته ، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده ؛ فقد صلح وصلَحت حركات الجسد كلها ، وإن كانت حركة القلب وإراداته لغير الله تعالى ؛ فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب».

وقال ابن القيم رحمه الله: «تعلُّق العبد بما سوى الله تعالى مضرةٌ عليه إذا أخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته ، غير مستعين به على طاعة الله ، فإذا نال من الطعام والشراب والنكاح واللباس فوق حاجته ضره ذلك ، ولو أحب ما سوى الله ما أحب فلا بد أن يُسلَبَه ويفارقه ، فإن أحبه لغير الله فلابد أن تضره محبته

---

١ «الداء والدواء» ، ص ٢١٧ – ٢١٩ ، وبنحوه قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله في «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٣٣ – ٣٤ .

٢ هو زين الدين أبو الفرج ، عبد الرحمٰن بن أحمد البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي ، من علماء الشام الأفذاذ ، عاش في القرن الثامن الهجري ، بلغ عدة شيوخه أربعين شيخا ، منهم ابن القيم وابن عبد الهادي رحمهما الله ، برَز في الحديث والفقه فصار من أعلام المذهب الحنبلي ، له مؤلفات عديدة أبرزها «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ، و «القواعد الفقهية» و «شرح علل الترمذي» و«جامع العلوم والحكم» ، و «ذيل طبقات الحنابلة». جمع بعض الباحثين رسائله المتفرقة في مجموع يقع في خمسة مجلدات ، ونشرتها دار الفاروق الحديثة بمصر. ترجم له ابن حجر رحمه الله في كتابه «إنباء الغمر» وابن العماد في «شذرات الذهب». توفي ابن رجب رحمه الله في دمشق سنة ٧٩٥ هـ .

٣ شرح الحديث السادس.

ويُعذَّب بمحبوبه إما في الدنيا وإما في الآخرة ، والغالب أنه يعذب به في الدارين ، قال الله تعالى ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[1] ، وقال تعالى ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾[2]».[3]

الوجه الرابع والأربعون: ومن وجوه بطلان دعاء المخلوقين هو أن فاعلي ذلك ليسوا واثقين ولا مطمئنين لما يفعلونه ولا ثابتين عليه ، فتراهم يتنقلون بين معبوداتهم ، فتارةً يدعُون ميتاً ، وتارةً يدعُون ميتاً آخر ، وآخرون يدعُون غير الله في الرخاء وإذا أتت الشدة أخلصوا الدعاء لله وحده ونسُوا ساداتهم ومن كانوا يعبدونهم ، كحال المشركين الأولين الذين قال الله فيهم ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾.

ومع شعور هؤلاء بهذه المخادعة النفسية إلا أنهم ماضون في دعاء غير الله ، بسبب التقليد وشدة الحاجة وضعف التعلق بالله العظيم ، ثم إن المضطر إذا كان ضعيف الإيمان أو عديمه ؛ فإنه لا يفكر إلا في قضاء حاجته بأي وسيلة ، شرعية كانت أو شركية!

وهذا التنقل بين المعبودات والاضطراب بينها من براهين بطلان عبادتها ، بينما الذي يفرد الله بالعبادة والدعاء **دائما** لا يقع في شيء من ذلك ، بل هو مطمئن لما يفعل ، إن أجاب الله دعاءه فالحمد لله أن حصل له ما أراده ، وإن لم يحصل عوّضه الله في الآخرة ، أو دفع عنه من السوء في الدنيا ، كما قال النبي ﷺ : «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجل له دعوته ، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها.

قالوا: إذا نُكثِر.

قال: الله أكثر».[4]

فالحمد لله على نعمة الهداية إلى التوحيد.

---

١ سورة التوبة: ٣٤ – ٣٥ .

٢ سورة التوبة: ٥٥ .

٣ «إغاثة اللهفان» ، ص ٥٤ .

٤ رواه أحمد (١٨/٣) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند»: إسناده جيد.

قال الشيخ محمد الأمين المختار الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ الآيات[1]:

بيّن جل وعلا في هذه الآيات الكريمة أن الكفار إذا مسهم الضر في البحر ، أي اشتدت عليهم الريح فغَشِيتهم أمواج البحر كأنها الجبال ، وظنوا أنهم لا خلاص لهم من ذلك ؛ ضل عنهم ؛ أي: غاب عن أذهانهم وخواطِرهم في ذلك الوقت كل ما كانوا يعبدون من دون الله جل وعلا ، فلا يدعون في ذلك الوقت إلا الله جل وعَلا وحده , لعِلمهم أنه لا يُنقذ من ذلك الكرب وغيره من الكروب إلا هو وحده جل وعلا ، فأَخلصوا العبادة والدعاء له وحده في ذلك الحين الذي أحاط بهم فيه هَول البحر , فإذا نجاهم الله وفرّج عنهم ووصلوا إلى البر رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر كما قال تعالى ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾.

وهذا المعنى المذكور في هذه الآية الكريمة أوضحه الله جل وعلا في آيات كثيرة ...

ثم إنّ الله جل وعلا بيّن في هذا الموضع الذي نحن بصددِه سخافة عقول الكفار وأنهم إذا وصلوا إلى البر ونجَوا من هول البحر رجعوا إلى كفرهم آمنين عذاب الله مع أنه قادر على إهلاكهم بعد وصولهم إلى البر بأن يخسف بهم جانب البر الذي يلي البحر فتبْتلعهم الأرض أو يُرسل عليهم حجارة من السماء فتهلكهم ، أو يُعيدهم مرة أخرى في البحر فتُغرقهم أمواجه المتلاطمة ، كما قال هنا منكِراً عليهم أمنهم وكفرهم بعد وصول البر ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً﴾ ، وهو المطر أو الريح اللذين فيهما الحجارة ، ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارةً أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم﴾ ، أي بسبب كفركم. انتهى.

الوجه الخامس والأربعون: أن محبة العابد لمعبوده الذي يعبده من دون الله ليست إلا محبة مؤقتة ، سَرَعان ما تنقطع إذا انتقل إلى معبودات أخرى ، أو تعرضت تلك الآلهة إلى الفناء والاندثار ، أما العابد لله وحده فيحب الله دائما ، بل إن محبته وتعلقه بالله تقوى عند الكروب وبعدها ، وهذا من براهين التوحيد ، لتكون العبادة خالصة لله دوما.

---

١ سورة الإسراء: ٦٧ – ٦٩ .

الوجه السادس والأربعون: أن الأمور العظيمة كإنزال الغيث وكشف العذاب لا تحصل إلا بدعاء الله وحده ، قال الله تعالى ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بغتة **أغير الله تدعون إن كنتم صادقين** * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ ، أما دعاء غير الله من أصحاب القبور وغيرهم فإنه لا تحصل به إلا الأمور الحقيرة التي تقوم بها الجن والشياطين ، التي تستمع لدعاء ذلك الداعي عند القبر فتجيبه وتخاطبه لتغويه ، ليظن ذلك الداعي أن صاحب القبر نفسه هو الذي أجاب دعاءه ، أو أنه توسط له عند الله ليجيب دعاءه.

بل ربما خرق الله العادات بسبب **دعاءٍ قام به مضطر لله وحده** ، كما حصل لزكريا عليه السلام لما دعا الله أن يرزقه الولد ، وكان زكريا كبيراً وامرأته عاقراً لا تلد ، فاستجاب الله دعاءه.

وروى البيهقي في «دلائل النبوة»[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جهَّز جيشا واستعمل عليه العلاء ابن الحضرمي رضي الله عنه ، فلما كانوا ببعض الطريق أصابهم حر شديد ، فجَهِدوا وجَهِدت دوابهم ، فدعا الله بالسقيا ، فثارت سحابة وسُقُوا حتى امتلأت الغُدُر[2] والشِّعاب ، فلما أتوا عدوهم – وقد جاوزوا خليجا في البحر إلى جزيرة – وقف على الخليج وقال: (يا عليُّ ، يا عظيم ، يا حليم ، يا كريم) ، ثم قال: (أجيزوا باسم الله) ، قال أنس: فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ، فأصبنا العدو غِيلة[3] ، فقَتلنا وأسرنا وسبينا ، ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته ، فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا.

فالحاصل أن من البراهين الدالة على استحقاق الله وحده للدعاء كون الأمور العظيمة والخوارق والكرامات لا تحصل إلا بدعاء الله وحده لا شريك له.

الوجه السابع والأربعون: أن الذين يدعون أصحاب القبور إنما يُستجاب لهم في النادر ، والغالب تخلف الإجابة ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الذي أجاب دعاءهم هو الله وحده ، وإنما استجاب لهم نادرا مكرا بهم ، واستدراجا لهم ، ليتمادوا في الضلال جزاءً لهم على إعراضهم عن دعائه أول مرة ، والله خير

---

١ باب «قدوم ضمام بن ثعلبة» (٥٢/٦).

٢ الغُدُر جمع غدير.

٣ أي خِفية. انظر «النهاية».

الماكرين ، قال تعالى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[1] ، وقال تعالى ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين﴾[2].

وأما الموحدون الذين يدعون الله وحده فإنه يستجاب للواحد بعد الواحد ، ولا تكاد تسقط دعوة واحد منهم إلا لمانع ، وهذا من براهين التوحيد أيضا ، لتكون عبادة الدعاء خالصة لله.

الوجه الثامن والأربعون: ومن أدلة بطلان دعاء غير الله ؛ إنكار واستغراب بعض الكفار لِما يفعله عبَّاد القبور عندها من دعائها والتقرب لها ، قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله:

«وقد كان كثير من اليهود والنصارى يعيبون على من يدَّعي الإسلام ما يُفعل عند تلك المشاهد ، ويقولون: إن كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي ، وإن كان نهاكم عنه فقد عصيتموه ، والعامة والخاصة – بل اليهود والنصارى والمشركون – يعلمون أن محمد ﷺ إنما بُعث بالأمر بعبادة الله وحده ، والنهي عن عبادة ما سواه ، وتكفيره[3]».[4]

وقال الكاتب الأمريكي «لوثروب ستودارد» وهو من المؤرخين **المستشرقين** الذين وصفوا انتشار قصد القبور والسفر إليها في القرن الثامن عشر الميلادي في العالم الإسلامي ، قال وهو يصف العالم الإسلامي من الناحية السياسية والاجتماعية:

«وأما الدين فقد غَشِيته غاشية سوداء ، فأُلبست الوحدانية التي علَّمها صاحب الرسالة سِجْفا[5] من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلَت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين ، يخرجون من مكان إلى مكان ، يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويُرغِّبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، **ويُزيِّنون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور** ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، **وانتشرت الرذائل ، وهُتِكت سِتر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، وعلى الجملة فقد بُدِّل المسلمون**

---

١ سورة الأنفال: ٣٠ .

٢ سورة الأعراف: ١٨٢ – ١٨٣ .

٣ أي تكفير العابد لما سوى الله.

٤ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ١١ .

٥ سِجفا أي سترا وغاشية. انظر «المعجم الوسيط».

غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يَدهى الإسلام ؛ لغضِب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، **كما يُلعن المرتدون وعبدة الأوثان**».[1]

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله: فقد سمعنا من غير واحد من اليهود أنهم يعيبون على المسلمين ما يُفعل عند هذه المشاهد[2] ، يقولون: إم كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي ، وإن كان نهاكم عنه فقد عصيتموه.

فيا سبحان الله ، ما أعجب هذا!

اليهود ينكرون هذه الأمور الشركية ويقولون: (لا يأتي بها نبي) ، وكثير من علماء هذا الزمان يُجَوِّزون ذلك ، ويوردون الشبه الباطلة عليه ، وينكرون على من أنكره. اهـ.[3]

الوجه التاسع والأربعون: ومن وجوه بطلان دعاء غير الله ما خلَّفه تعظيم القبور والأضرحة من أثر سيء على الأمة الإسلامية في أمور مهمة تتعلق بعمارة الأرض ، والتي أمر الله بها في قوله ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ ، وقوله ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾.

وبيان هذا الوجه أن رغبة الناس في تعلم العلوم الطبية قد قلت في بعض المجتمعات التي ينتشر فيها التعلق بغير الله ، لأنهم صاروا يرَون الطب الحقيقي هو الاستشفاء على يد الموتى بالتقرب لهم بما هو من خصائص الله تعالى ، بدعائهم والذبح لهم والنذر ونحو ذلك ، وفي هذا يقول الباحث علي الزهراني حفظه الله:

وهكذا انصرف الناس إلى خدمة الأموات بإعمار أضرحتهم وبناء القباب عليها ، وصرفوا جهودهم وأموالهم، وكان ذلك على حساب الاهتمام بخدمة الأحياء بالتربية والتعليم ، وتوفير وسائل العيش الكريم لهم ، وتقوية الأمة التي كان أعداؤها في الخارج يتربصون بها الدوائر.[4]

---

١ «حاضر العالم الإسلامي» ، (٢٥٩/١ – ٢٦٠) ، باختصار يسير.

٢ أي ما يُفعل عندها من ألوان التوجه لغير الله ، من الخضوع لها ودعائها والنذر لها وتقبيل أركانها.

٣ «الانتصار لحزب الله الموحدين ، والرد على المجادل عن المشركين» ، ص ٤٠ ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

٤ «الانحرافات العقدية» ، ص ٣١٠ ، نقلا من ص ٨٥ من «دمعة على التوحيد».

بل قد هيَّأ هذا الانحراف العقدي الخطير الناس في القرن الهجري الماضي لهيمنة الغزو العسكري الصليبي ، لأن أهل البلد اعتمدوا على الموتى لحفظ بلادِهم ، فوكَلهم الله إليهم ، ومن ذلك – مثلا – أن الإنجليز لما أدركوا دور الفكر الصوفي القبوري في تخدير مشاعر الناس وصرف الأنظار عن مزاحمتهم أو حتى الإنكار عليهم باسم التوكل والإيمان بالقدَر والزهد وترك مباهج الحياة والانصراف عن الدنيا ؛ اجتهدوا في دعم الفكر القبوري ليطرحوا المسلمين أرضا ، ويستبشروا بموقف خُنوعي خُضوعي للمحتل الأجنبي بخلفيات قدَرية إتكالية استسلامية ، "ولهذا حرصت سلطات الاحتلال في مصر وغيرها على إطلاق يد الطرق الصوفية في ممارسة أنشطتها ، وقد ساعد على ذلك سيطرة سلطات الاحتلال على وزارة الداخلية ، مما مكنها بالتالي من السيطرة على تلك الطرق ومعرفة تحركاتها وأساليبها وتوجيهها إلى الوجهة التي تضمن للمحتل خدمات أكثر ، فما كان من سلطات الاحتلال إلا أن احتضنت الطرق الصوفية في البلاد التي بسطت سلطانها عليها"[1] ، فسهُلت السيطرة عليها.

ومن أمثلة ذلك أيضا عند الفرنسيين ما ذكره مصطفى كامل بطل الوطنية المصرية في كتابه «المسألة الشرقية»، فقد ذكر قصة غريبة ، قال:

ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس: أن رجلاً فرنسياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي ، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية ، وعُين إماماً لمسجد كبير في القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنساويون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه ، فدخل (سيد أحمد) الضريح ، ثم خرج مهوِّلاً بما سينالهم من المصائب ، وقال لهم: إن الشيخ ينصحكم بالتسليم ، لأن وقوع البلاد صار محتماً ، فاتبع القوم البسطاء قوله ، ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع ، بل دخلها الفرنساويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١م.[2]

وقال الشيخ عبد العزيز بن فيصل الراجحي حفظه الله:

---

١ من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، نقلا من كتاب «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٥ .

٢ «التصوف بين الحق والخلق» ، محمد فهر شقفه ، ص ٢١١ ، نقلا من مقال «أفيون الشعوب الإسلامية ، النتائج والآثار» كما في ص ٧٧ – ٧٨ من «دمعة على التوحيد» ، وقد تقدم ذكر هذه القصة وما بعدها وإنما أعدتها لمناسبتها في هذا الملحق.

وقد سعى النصارى الصليبيون في القرن الماضي في نشر هذه الخرافات ، وصرفوا الناس عن دينهم إلى الوثنية ، وعما يجب عليهم تجاه أولئك المستعمرين ، بتزيين ما يفعلونه عند القبور.

حتى إن بعض الجزائريين أخبرني أن الفرنسيين لما استولوا على الجزائر كانوا يعمدون إلى بعض المشاهد والأضرحة التي يُنسب أصحابها إلى الصلاح ، فيجمعون الناس لها ثم يوجهون المدفع إليها ، مظهرين لهم أنهم يريدون إصابته وتدميره ، وقد ملؤه بارودا دون ذخيرة – مكرا – ، ثم يطلقون عليه ، فيدوي صوت المدفع ، حتى يخال الحاضرون أنه قد أصابه ، ثم ينظرون فإذا هو باق مكانه ،فيزيد تعلقهم به واعتقادهم فيه!

وذكر الشيخ أحمد بن حسن الباقوري المصري الأزهري (ت ١٤٠٥هـ) في فتوى له في النهي عن زخرفة القبور وبناء القباب والمساجد عليها أن أحد كبار الشرقيين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا ، فكان مما ذكره له أن المستعمرين كانوا يضطرون إلى تحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد لهم فيه حاجة وغاية ، فكانوا يسعون جاهدين في صرف القوافل عن اتجاهها الأول إلى الاتجاه الجديد ، فلا يستطيعون ذلك ، حتى اهتدوا إلى حيلة جعلت تلك القوافل تغير اتجاهها إلى وجهتهم المرادة ، فأقاموا عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في ذلك الطريق المراد سلوكه ، ثم أشاعوا الشائعات أن في تلك الأضرحة أولياء صالحين ، وأنه قد شوهد من كراماتهم كذا وكذا ، فانتشرت الإشاعات في الآفاق ، وذاعت الأخبار في كلِّ مصرٍ وعراقٍ ، فصارت تلك الطرق عامرة مأهولة!

وقد ذكر هذه القصة الشيخ الألباني رحمه الله ، وعزاها إلى الباقوري كما في «تحذير الساجد» ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .[1]

وقد قام أولئك الدراويش برد الجميل لأولئك المحتلين الغزاة ، فكانوا يُضفون الشرعية على وجودهم ، ليُسوِّغوا للناس بقاءهم ، ووصل الأمر إلى أن بعض مشايخ الصوفية في مصر قاموا بجمع توقيعات أثناء ثورة ١٩١٩ م تطالب ببقاء الإنجليز في مصر! وكان من هؤلاء شيخ الطريقة (السمانية): محمد إبراهيم الجمل.[2]

فالحاصل أن تعظيم القبور والأضرحة قد كان سببا رئيسا لتسلط الأعداء على المسلمين ، وتعطيل عمارة الأرض بالإسلام بما يزيد عن قرن ، والله المستعان.

---

١ «مجانبة أهل الثبور ، المصلين في المشاهد وعند القبور» ، ص ٣٣٧ – ٣٣٩ ، وقد تقدم ذكر هذه القصة وما بعدها وإنما أعدتها لمناسبتها في هذا الملحق.

٢ من مقال «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» ، لعبد العزيز مصطفى ، نقلا من «دمعة على التوحيد» ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

الوجه الخمسون: أن عمدة من يدعون غير الله إما شبهات حديثية ، كأحاديث ضعيفة أو موضوعة مكذوبة ، أو شبهات عقلية ، أو تجارب وضعية ، أو قصص أو حكايات أو منامات ، وهذه كلها لا يُعتمد عليها لا في فروع الدين ولا في أصوله ، قال ابن تيمية رحمه الله:

«وأما أولئك الضُّلال ، أشباه المشركين النصارى ، فعُمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، أو منقولات عمَّن لا يُحتج بقوله ، إما أن يكون كذبًا عليه ، وإما أن يكون غلطًا منه ، إذ هي نقل غير مُصَدَّق عن قائل غير معصوم ، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرَّفوا الكلم عن مواضعه ، وتمسكوا بمتشابهه ، وتركوا محكمه ، كما يفعل النصارى».[1]

قال مقيده عفا الله عنه: ومن الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ ؛ حديث: (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور) ، وقد أورده ابن كمال الباشا في كتابه «الأربعين» ، الحديث الثالث.

ويروى بلفظ: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور.

ويروى أيضا بلفظ: فاستعينوا بأهل القبور.

قال ابن تيمية كما في «التوسل والوسيلة»[2]: «هذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه ، لم يروه أحد من العلماء بذلك ، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة». اهـ.

قلت: وكذا حديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به) ، فإنه باطل لا أصل له ، وقد حكم بوضعه ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى»[3] ، وقال في موطن آخر: والحديث الذي يرويه بعضُ الكذابين: (لو أحسنَ أحدُكم ظَنَّه بحجرٍ لَنفَعَه الله به) كَذِب مُفترى باتفاقِ أهلِ العلم ، وإنما هذا من قولِ عُبَّادِ الأصنام الذين يُحسِنون ظنَّهم بالحجارةِ وقال تعالى لهم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ، وقال تعالى ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ، وقال الخليل ﴿يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغنِي عنك شيئا﴾ ، وقال تعالى عن عُباد العِجل ﴿ألم يروا أنه لا يُكلمهم ولا يهدِيهم سبيلا﴾ ، وذكر تعالى عن الخليل أنه قال لقومه ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكِفون﴾...

---

١ «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢ /٥٨٧).

٢ ص ٢٩٧ .

٣ (٢٤/٣٣٥).

فهؤلاء المشرِكون كانوا قد أحسنوا ظنهم بالحجارة فكان عاقبتهم أنهم في النار خالدون ، وإنما يُحسِن العبد ظنه بربه ... وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يموتن أحدُكم إلا وهو يحسن الظن بالله)[1]. انتهى كلامه.[2]

وقال ابن القيم رحمه الله في معرِضِ ذكره لأسباب الافتتان بالقبور: «ومنها[3] أحاديث مكذوبة مختلقة ، وضعها أشباه عُبّاد الأصنام من المُقابِرِيَّةِ[4] على رسول الله ﷺ ، تُناقض دينه وما جاء به ، كحديث: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور) ، وحديث (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه) ، وأمثال هذه الأحاديث التي هي **مناقضة لدين الإسلام** ، **وضعها المشركون** ، وراجت على أشباههم من الجهال الضُّلال ، والله بعث رسوله بقتل من حسَّن ظنه بالأحجار ، وجنّب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق».[5]

وقال أيضا في معرض ذكره لجملة من الأحاديث الموضوعة:

«وحديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) ، وهو من وضع المشركين ، عباد الأوثان».[6]

وقال ابن حجر العسقلاني: «لا أصل له».[7]

وقال الشيخ الألباني: «موضوع».[8]

وأورده الشيخ مرعي الكرمي في كتابه «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة»[9] ، والفُتّني في كتابه «تذكرة الموضوعات»[10] ، وكذا الأزهري في كتابه «تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد

---

١ رواه مسلم (٢٨٧٧).

٢ «جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية» ، المجموعة الخامسة ، ص ١٠٤ – ١٠٦ ، باختصار ، تحقيق محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

٣ أي من أسباب الفتنة بالقبور.

٤ أي عُبَّاد القبور.

٥ «إغاثة اللهفان» (٣٨٧ – ٣٨٨).

٦ «نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول» ، ص ١٣٢ .

٧ ذكره الملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» ، وهو المعروف بـ «الموضوعات الكبرى» برقم ٣٧٦ ، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ، الناشر: المكتب الإسلامي.

٨ «السلسلة الضعيفة» (٤٥٠).

٩ رقم ١٨٨ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٠ ص ٢٨ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – لبنان.

المرسلين»[١] ، وكذا السخاوي كما في «المقاصد الحسنة»[٢] ، والملا علي القاري في «موضوعاته»[٣] ، و«كشف الغطا»[٤] للعجلوني.

فالحاصل أن هذا الحديث لم يرد في أي من كتب الحديث المعتبرة ، بل ليس له إسناد أصلا ، وإنما يتوارد على ألسنة المعتقدين في أهل القبور جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، وإنما هو حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ .

ثم إنه وما جاء في معناه من الأحاديث يخالف أصل الدين ، فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن أصل الدين عبادة الله وحده ونبذ عبادة ما سواه.

وللعلم فإنه يروى غير ما ذكرنا من الأحاديث المكذوبة في باب التألـه لغير الله ، وليس المقام مقام استقصائها، فالواجب الحذر على كل حال ، فكل ما خالف أصلا من أصول الدين فهو مكذوب على النبي ﷺ ، فإن دين الله ليس به تناقض.

الوجه الحادي والخمسون والأخير: ومن وجوه بطلان دعاء غير الله أن فاعل ذلك قد حرم نفسه من فرح الله بإقباله إليه ، وانطراحه بين يديه ، بدعائه مباشرة ، واستعاض عن هذا بالانطراح بين يدي مخلوق مثله ، ليس له من الأمر شيء ، ولا يقربه من ربه بشيء ، ومن المعلوم أن الله أشد فرحا من عبده بإقباله إليه ولو بلغت ذنوب عبده عنان السماء ، قال الله عز وجل في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ : يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، **وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.**[٥]

---

١ ص ١٢٨ ، تحقيق محيي الدين مستو ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

٢ رقم ٨٨٣ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان.

٣ رقم ٣٧٦ .

٤ رقم ٢٠٨٧ ، تحقيق أحمد القلاش ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥ رواه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥).

خاتمة الملحق

وبناء على ما تقدم من الأدلة النقلية والعقلية تبين لنا أن دعاء غير الله باطل ، وشرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، يستوي فاعله مع اليهود والنصارى وعُبَّاد الأصنام ، ولو صلى وصام وزعم أنه مسلم.

تم الكتاب بحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات ، نفع الله به كاتبه وقارئه وناشره ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ،،،

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي

صبح الاثنين ، ١٦ جمادى الأولى لعام ١٤٣٥ هجري.

ثبت لأهم المراجع مما لم يذكر في هوامش الكتاب

- **عقيدة – كتب العقيدة المسندة**

الشريعة ، محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق الوليد بن سيف النصر ، توزيع المكتبة المكية – مكة

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، هبة الله اللالكائي ، تحقيق د. أحمد الغامدي ، ط دار طيبة – الرياض

كتاب السنة ، عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت

كتاب الاعتقاد ، أحمد أبي الحسين البيهقي ، تحقيق أحمد أبي العينين ، ط دار الفضيلة – الرياض

العلو ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق: أشرف عبد المقصود ، ط مكتبة أضواء السلف – الرياض

- **كتب في العقيدة – عام**

شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح بن عثيمين ، ط دار ابن الجوزي – الدمام

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق أسامة بن عطايا العتيبي ، ط دار الصميعي – الرياض

القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح بن عثيمين ، ط دار ابن الجوزي – الدمام

مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع عبد الرحمٰن بن قاسم وابنه محمد ،ط دار القاسم — الرياض

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط ٥ ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض

الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمٰن ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد الرحمٰن بن عبد الكريم اليحيى ، الناشر: دار الفضيلة — الرياض

النبوات ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، دار أضواء السلف – الرياض

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ابن تيمية ، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبد الرحمن القاسم ، دار القاسم – الرياض

المنتقى من منهاج الاعتدال ، شمس الدين الذهبي ، انتقاء: محب الدين الخطيب ، ط المكتبة السلفية – مصر

الرد على الإخنائي ، ابن تيمية ، تحقيق أحمد بن مونس العنزي ، دار الخراز – جدة

الاستغاثة في الرد على البكري ، ابن تيمية ، تحقيق عبد الله السهلي ، ط ١ ، ط مدار الوطن – الرياض

تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية ، ابن كثير ، تحقيق محمد بن علي عجال ، ط١ ، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة

الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ، ابن تيمية ، تحقيق: محمد الحلواني ومحمد شودري ، ط رمادى – الدمام

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ابن تيمية ، تحقيق: د. ربيع بن هادي المدخلي ، الناشر: مكتبة لينة – مصر

التوسل ، أنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٥ ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع ، محمد نسيب الرفاعي ، ط المكتبة المكية — مكة

فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال ، أبو بكر بن محمد عارف خوقير ، ط دار المسلم – الرياض

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، ط المكتب الإسلامي – بيروت

إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة

مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل ، ط دار طيبة – الرياض

الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم ، ط دار القاسم – الرياض

مسائل الجاهلية ، تحقيق وشرح: يوسف بن محمد السعيد ، ط دار المؤيد – الرياض

حقوق النبي ﷺ على أمته ، د. محمد بن خليفة التميمي ، ط أضواء السلف – الرياض

آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي

- **كتب في التبرك الشرعي والبدعي**

التبرك المشروع والتبرك الممنوع ، علي بن نفيع العلياني ، ط مدار الوطن – الرياض

التبرك أنواعه وأحكامه ، د. ناصر بن عبد الرحمٰن الجديع ، ط مكتبة الرشد – الرياض

- **كتب في الزيارة الشرعية والبدعية**

أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة ، أحمد بن يحيى النجمي ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة

تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة ، صالح بن غانم السدلان ، ط دار بلنسية – الرياض

زيارة القبور عند المسلمين ، سالم بن قطوان العبدان ، ط دار غراس – الكويت

شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور ، مرعي الحنبلي ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة.

- **كتب في رد الشبهات**

تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان ، محمد بن ناصر الشثري ، ط دار الحبيب – الرياض

الصواعق المرسلة الشهابية على الشبة الداحضة الشامية ، سليمان بن سحمان ، تحقيق: عبد السلام بن برجس ، ط دار العاصمة – الرياض

تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس ، عبد الله أبابطين ، تحقيق: عبد السلام بن برجس ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت

شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ، محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، عناية عبد السلام بن برجس ، ط مدار الوطن – الرياض

- **كتب في حكم اتخاذ القبور مساجد**

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، محمد بن ناصر الدين الألباني ط٤ ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

شرح الصدور في تحريم رفع القبور ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق وتخريج: محمد صبحي حسن حلاق ، ط ١ ، الناشر: دار الهجرة – اليمن

النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين ، الشيخ حمد بن ناصر آل معمر ، تحقيق عبد السلام بن برجس ، ط دار العاصمة – الرياض

جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ، د. شمس الدين الأفغاني ، ط دار الصميعي – الرياض

مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور ، عبد العزيز بن فيصل الراجحي ، مكتبة الرشد – الرياض

الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات لنعمان بن محمد الآلوسي ، تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط المكتب الإسلامي – بيروت

- **كتب في حكم الغلو بالصالحين**

السيف المسلول على عابد الرسول ، عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم

هذه مفاهيمنا ، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

قطر الولي على حديث الولي ، أحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق: السيد يوسف أحمد ، الناشر: دار الكتب العلمية

سيف الله على من كذب على أولياء الله ، صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي ، تحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي رضا ، الناشر: مدار الوطن — الرياض

الأجوبة الجلية على الأسئلة الكويتية ، حمود بن عبد الله التويجري ، ط مكتبة المعارف – الرياض

دمعة على التوحيد ، (مجموعة بحوث علمية في مظاهر الغلو بالقبور في العالم الإسلامي) ، ط المنتدى الإسلامي – لندن

أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، د. ناصر بن عبد الله القفاري ، ط مدار الوطن – الرياض

«معجم اصطلاحات الصوفية» ، عبد الرزاق الكاشاني ، تحقيق وتعليق: د. عبد العال شاهين ، الناشر: دار المنار — القاهرة.

- **كتب الحديث وما يلحق بها**

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق جماعة من المحققين ، ط دار الغرباء الأثرية – المدينة

سنن النسائي الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت

صحيح ابن خزيمة ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي – بيروت

سنن الدارمي ، عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق د. مصطفى بن ديب البغا ، الناشر: دار القلم – دمشق

المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق أيمن صالح شعبان والسيد أحمد إسماعيل ، الناشر: دار الحديث – القاهرة

المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي. ط الأولى دار الكتب العلمية – بيروت

السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد بن عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت

شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ، ط المكتب الإسلامي – بيروت

عجالة الراغب المتمني في تخريج عمل اليوم والليلة لابن السني ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، ط دار ابن حزم – بيروت

الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، الناشر: مكتبة دار الباز ، مكة

المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي – بيروت

مسند أبي عوانة ، أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني ، تحقيق أيمن عارف الدمشقي ، ط دار المعرفة – بيروت

مسند أبي داود الطيالسي ، أبي داود الطيالسي ، تحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي ، ط دار هجر – مصر

الأحاديث المختارة ، الضياء المقدسي ، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش ، طبع دار خضر — بيروت

الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق سمير بن أمين الزهيري ، ط مكتبة المعارف – الرياض

تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، تحقيق: عمر بن غرامة العمري. ط دار الفكر– بيروت

شعب الإيمان ، أبي بكر البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم الأصفهاني ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية – بيروت

فضل الصلاة على النبي ﷺ ، إسماعيل بن إسحاق القاضي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

دلائل النبوة ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت

الزهد ، أحمد بن حنبل ، تحقيق يحي بن محمد الأزهري ، ط ٢ ، الناشر: دار ابن رجب — مصر

الزهد ، هناد ابن السري ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي — الكويت

كتاب العظمة ، أبو الشيخ ، عبد الله بن محمد الأصبهاني ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله النمري ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، ط دار ابن الجوزي — الدمام

المدخل إلى السنن الكبرى ، الحافظ البيهقي ، تحقيق د. محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي ، ط دار أضواء السلف - الرياض

الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، ابن النجار ، محمد بن محمود البغدادي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، سنة ١٤٢٤ ، ط مكتبة دار الزمان — المدينة.

- **كتب الأحاديث الضعيفة**

كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات ، ابن الجوزي ، تحقيق د. نور الدين بن شكري ، ط دار أضواء السلف - الرياض

العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، ابن الجوزي ، عناية خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت

المسند الضعيف ، محمد بن عمرو العقيلي ، تحقيق كامل عويضة ، ط مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة

المقاصد الحسنة في ما اشتهر على الألسنة ، محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، ط دار الكتاب العربي - بيروت

اللآلىء المصنوعة من الأحاديث الموضوعة ، جلال الدين السيوطي ، تخريج: صلاح محمد محمد عويضة ، ط دار الكتب العلمية – بيروت

التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث ، د. بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط دار الهجرة – الثقبة

نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، ابن القيم ، تحقيق: عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي ، ط دار العاصمة – الرياض

- **كتب السيرة**

سيرة ابن إسحاق ، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق محمد حميد الله

الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد الزهري ، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق محمد العلاوي ، ط دار ابن رجب – مصر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله السمهودي ، ط دار إحياء التراث العربي — بيروت.

- **كتب الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة**

الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق مشهور حسن سلمان ، ط٢ ، الناشر: دار ابن القيم — الدمام.

البدع والنهي عنها ، ابن وضاح القرطبي ، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم ، ط مكتبة ابن تيمية – القاهرة

كتاب الحوادث والبدع ، أبو بكر الطرطوشي ، تحقيق علي بن حسن الحلبي ، ط دار ابن الجوزي – الدمام

الباعث على إنكار البدع والحوادث ، أبو شامة المقدسي ، تحقيق بشير عيون ، ط دار المؤيد – الرياض

- **كتب الفقه**

المغني ، ابن قدامة المقدسي ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط دار هجر – مصر

زاد المعاد ، ابن القيم ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت

الجنائز ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة المعارف ، طبعة سنة ١٤١٢ هـ

- **كتب الإيمانيات**

الداء والدواء ، ابن القيم ، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد ، ط ٩ ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام

مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل ، ط دار طيبة – الرياض

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والريادة ، ابن القيم ، تحقيق: علي بن حسن ، ط دار ابن عفان – الخبر

كتاب الدعاء ، عبد الله الخضيري ، الناشر: مدار الوطن – الرياض

- **كتب التاريخ والتراجم**

تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق: بشار عواد معرف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي– بيروت

البداية والنهاية ، عماد الدين ابن كثير ، ط دار ابن كثير – دمشق

سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت

تاريخ الإسلام ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت

- **كتب الرجال**

العلل ومعرفة الرجال ، أحمد بن حنبل ، دار الخاني ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، دار القبس – الرياض

المغني في الضعفاء ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق حازم القاضي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت

كتاب المجروحين من المحدثين ، ابن حبان البستي ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط دار الصميعي – الرياض

الكامل ، ابن عدي ، عبد الله بن أحمد الجرجاني ، تحقيق محمد أنس مصطفى الخن ، ط الرسالة العالمية – بيروت

موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني ، إعداد جماعة من المحققين ، ط عالم الكتب – بيروت

مقدمة
مقدمات في التوحيد
● تعريف التوحيد
● أقسام التوحيد
○ النوع الأول من أنواع التوحيد: توحيد الربوبية
○ النوع الثاني من أنواع التوحيد: توحيد الألوهية أو توحيد العبادة
○ توحيد الأسماء والصفات
● تقسيم آخر للتوحيد
مقدمات في العبادة
● عبادة الله سبحانه وتعالى هي الغاية من خلق الجن والإنس
● تعريف العبادة
● ركنا العبادة
● تحقيق العبادة
● شروط قبول العبادة
● نوعا العبادة
مقدمة في بيان حقوق الصالحين ، وبيان ما يضادها
● حقوق النبي ﷺ السبعة عشرة
● طاعة النبي ﷺ وأحوال الناس فيها
● الصلاح والفسق أمران نسبيان
● حقوق الصالحين
● تعريف الولي والوِلاية
● لوازم الوِلاية
● تفاوت أولياء الله في الولاية
● والولاية لا تحصل بالدعاوى
● أفضل الأولياء

- أولى الناس بوصف الولاية
- الأولياء ليس لهم ميزة
- الأولياء ليسوا بمعصومين
- الوِلاية والصلاح أمر قلبي غيبي لا يعلمه إلا الله
- مفاهيم خاطئة عن الوِلاية
- حقيقة معاداة أولياء الله
- ذِكر طرف من قصص الخرافة والخرافيين في مسألة الكرامة والوِلاية
- تعريف الكرامة
- الإيمان بالكرامات من عقيدة المسلمين
- الكرامات ليست دليلاً على كمال الولاية لله وإنما تحصل بحسب الحاجة
- كرامات الأولياء تعتبر من جملة آيات الأنبياء
- كرامات الأولياء لا يُقصد بها التحدي ، بخلاف آيات الأنبياء
- الكرامات قد تكون للابتلاء
- حصول الكرامة لأحد لا يُسَوِّغ الغلو فيه
- الناس في الكرامات ثلاثة أصناف
- الفرق بين الكرامات الإلٰهية والأحوال الشيطانية
- وجوب الحذر من الأحوال الشيطانية ، وبيان أن الكرامات لا تكون بالحيل الطبيعية ولا في أماكن البدع
- كيف يُـميَّز المسلم بين الخوارق الشيطانية والكرامات الرحمانية
- كرامات الله لأولياء الله كثيرة
- مجاوزة الحد الشرعي في تعظيم الصالحين (الغلو فيهم)
- فصلٌ في النهي عن الغلو
- أحوال الناس في تعظيم الصالحين
- تحذير النبي ﷺ أمته من الغلو
- فصلٌ في اتبِّاع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

المظهر الأول: اتخاذ القبور مساجد

- فصل في بيان معنى كلمة «مسجد»
- معنى جملة: اتخاذ القبور مساجد
- أحوال الذين يتخذون القبور مساجد مع القبور
- فصل في بيان علة النهي عن الصلاة عند القبور
- فصل في بيان أدلة النهي عن اتخاذ القبور مساجد
- فصل في ذكر أقوال بعض أئمة الإسلام في حكم الصلاة عند القبور
- صور اتخاذ القبور مساجد ، وبيان تحريم ذلك أيًّا كان مكان القبر من المصلي
- فصل في بيان حكم الصلاة عند القبور من جهة صحتها أو بطلانها
- استثناء
- شبهة والجواب عنها

المظهر الثاني: بناء المساجد على القبور

- بيان أدلة النهي عن بناء المساجد على القبور
- بيان أن بناء المساجد على القبور محرمٌ في المذاهب الأربعة ، بل قد أجمع العلماء على تحريمه
- شبهات والجواب عنها

المظهر الثالث: بناء الغرف والقبب ونحوها على القبور

- واجب المسلمين تجاه المساجد المبنية على القبور
- خلاصة في بيان المفاسد المترتبة على اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها
- فائدة
- خاتمة لمظاهر اتخاذ القبور مساجد الثلاثة المتقدم ذكرها وهي:
- (اتخاذ القبور مساجد ، بناء المساجد على القبور ، بناء الغرف والقبب على القبور)

المظهر الرابع: رفع تراب القبر

المظهر الخامس: اتخاذ السرج على القبور

المظهر السادس: مظاهر متنوعة من مظاهر تعظيم القبور
المظهر السابع: دفن خواص الناس في قبور خاصة وليس في مقابر المسلمين
المظهر الثامن: دعاء أصحاب القبور • تأصيلات علمية تتعلق بعبادة الدعاء • مكانة الدعاء بين سائر العبادات • فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره • فصل في بيان بعض أنواع الدعاء (الاستغاثة ، الاستعاذة ، الاستعانة)
المظهر التاسع: طلب الدعاء من صالحي الموتى • الأدلة الشرعية والعقلية على تحريم طلب الدعاء من صالحي الموتى • شبهات والجواب عليها • فائدة في مراحل الروح
المظهر العاشر: التوسل بالموتى من الأنبياء والصالحين • مقدمة تأصيلية لفهم التوسل الشرعي • أنواع التوسل الشرعي • بيان التوسل البدعي وأدل بطلانه • كلام جامع في معنى الوسيلة وأنواع التوسل • شبهات والجواب عليها • خلاصة في الأحاديث الواردة في فضل التوسل بجاه المخلوقين من الأنبياء والصالحين

المظهر الحادي عشر: دعاء الله عند قبور الصالحين

- فصل في بيان أن تحري إجابة دعاء الله عند القبور باطل
- ذَكر قول الإمام مالك وغيره من العلماء في مسألة تحري الدعاء عند القبور
- فصل في بيان الأسباب الشرعية لإجابة الدعاء
- فائدة في أسباب إجابة الدعاء من كلام ابن القيم رحمه الله
- شبهات والجواب عنها
- خاتمة الفصل وخلاصته

المظهر الثالث عشر: اتخاذ القبور أعيادا

- توضيح معنى (اتخاذ القبور أعيادا) وحكمه
- أدلة النهي عن كثرة معاودة القبور
- شبهات والجواب عليها

المظهر الرابع عشر: العكوف عند القبور

المظهر الخامس عشر: الذبح لأصحاب القبور

- الذبح عبادة
- الذبح عبادة وقربة ، لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل
- أدلة تحريم الذبح لغير الله
- مظاهر معاصرة للذبح لغير الله
- فصل في بيان أنواع الذبح
- استطراد

المظهر السادس عشر: الطواف حول القبور

المظهر السابع عشر: الحلف بالصالحين

- مقدمة في أدلة تحريم الحلف بغير الله
- فصل في بيان إجماع العلماء على تحريم الحلف بغير الله
- ذكر أنموذج من نماذج الحلف بأصحاب القبور
- شبهة والجواب عليها
- فائدة

المظهر الثامن عشر: النذر لأصحاب القبور

- تأصيل ، النذر عبادة ، وصرفه لغير الله شرك
- أقسام النذر
- النذر لغير الله من المسائل التي أجمع علماء المسلمين على تحريمها

المظهر التاسع عشر: اتخاذ الله واسطة بين المخلوق والمخلوق

المظهر العشرون: خوف السر من أصحاب القبور

المظهر الحادي والعشرين: تصوير الصالحين على هيئة تماثيل

- أدلة النهي عن تصوير ذوات الأرواح على هيئة تماثيل

المظهر الثاني والعشرين: التبرك بقبور الصالحين

- مقدمة تأصيلية
- فصل في بيان أقسام التبرك المشروع والتبرك الممنوع
- ذِكرُ شيءٍ من مظاهر التبرك الممنوع
- فصل في بيان أدلة النهي عن التبرك بالقبور بالتمسح بها وتقبيلها
- تنبيهات في مسألة التبرك بالجمادات
- شبهات والجواب عليها
- خلاصة القول في مسألة التبرك

المظهر الثالث والعشرين: تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء أو صلوا عندها

- أدلة النهي عن تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء أو صلوا عندها
- تقريرات لبعض أهل العلم في باب تحريم تعظيم الأماكن التي مر بها الأنبياء
- تنبيهان
- ضوابط وكلمات جامعة في باب تعظيم بعض الأماكن
- شبهات والجواب عليها
- خلاصة

المظهر الرابع والعشرين: دعوى الربوبية في الصالحين

المظهر الخامس والعشرون: ادعاء علم الغيب ، من الكهان وغلاة الصوفية وأشباههم

- تمهيد: اختصاص الله بعلم الغيب
- الحكمة من إطْلاع الله نبيه ﷺ على بعض المغيَّبات
- مِمَّنْ يدَّعي علم الغيب الكهان والعرافون
- مصادر الكهان في ادعاء علم الغيب
- ادِّعاء غلاة المتصوفة لعلم الغيب
- ممن يدَّعي علم الغيب المنجِّمون
- باب في النهي عن إتيان الكهنة والعرافين والمنجمين
- التفصيل في حكم سؤال الكاهن
- استثناء – حكم اختبار الكاهن من قِبَلِ ولي الأمر أو نائبه
- حكم الإخبار عن بعض الأمور المستقبلية بطريق الحساب
- تكذيب الكهنة والعرَّافين بالدليل العقلي
- مما يلتحق بالكهانة ؛ الطرق وقراءة الفنجان والعيافة والطِّيرة
- أمثلة من الواقع على نسبة علم الغيب لغير الله
- خلاصة البحث

ذكر أحاديث ضعيفة تفيد اتصال الموتى بعالم الأحياء

- **أحد** عشر حديثا ضعيفا في تقرير عرض الأعمال على الموتى
- أحاديث تفيد شعور الموتى بمن حولهم من الأحياء وسماعهم لهم وبيان حال تلك الأحاديث
- ذِكر حديث ضعيف في التقاء أرواح الموتى بعضها ببعض واستخبارها عن أرواح الأحياء

تنبيه على حديثين موضوعين يُقرران الغلو بالنبي ﷺ

الكلام على ما يسمى بالأبدال والنقباء والأوتاد والنجباء والأقطاب

- الأبدال
- النقباء
- النجباء
- الأوتاد
- الأقطاب
- كلام جامع لابن تيمية رحمه الله في الأبدال والنجباء والنقباء والأوتاد والأقطاب
- توضيح مصطلح «المحَدَّث»

المراحل التي مر بها الفكر القبوري

- المرحلة الأولى – نشأة الناس على التوحيد ثم طرأ فيهم الشرك
- المرحلة الثانية – انتشار الشرك في الأرض بعد نشوءه
- المرحلة الثالثة انحسار الفكر القبوري ببعثة النبي محمدا ﷺ
- المرحلة الرابعة – ظهور الحكات الباطنية
- المرحلة الخامسة ، ظهور أضرحة الرؤيا
- المرحلة السادسة – ظهور القبور المكذوبة
- المرحلة السابعة – مرحلة نسج كرامات مكذوبة حول القبور المعظمة
- المرحلة الثامنة والأخيرة – اختلاق شخصيات مكذوبة ثم إنشاء أضرحة على قبورهم

وصف مختصر لواقع الفكر القبوري في الأمة الإسلامية

عوامل بقاء الفكر القبوري

١. الانتفاع المادي من قِبل سدنة القبور
٢. الانتفاع المعنوي المتمثل بالوَجاهة (والشرف) اللذان يتمتع بهما القائمون على قبور (الأولياء) من السدنة ونحوهم
٣. تعظيم بعض الحكام للقبور
٤. تَبنِّي بعض (علماء) تلك البلاد لهذا الفِكر والدعوة إليه
٥. استفادة الحكام من مشائخ القبورية في تطويع الدين حسبما شاءوا لتحقيق مصالحهم الشخصية
٦. الاستغلال الحزبي السياسي لحشد التأييد الشعبي
٧. دعم المستعمرين (المُخرِّبين) لهذا الفكر لتحقيق مآربهم الاستعمارية
٨. دعوى المحافظة على (التراث)
٩. تناقل التراث العلمي (الهدام) الذي يقرر الغلو بالقبور جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، في الكتب والرسائل وغيرها
١٠. قلة العلم وكثرة الجهل
١١. تقليد الآباء والأجداد

أثر تعظيم القبور والأضرحة على الأمة من الناحية الدنيوية

التحذير من الوقوع في الشبهات

- تعريف الشبهة
- لكل شبهة جواب
- الشبهات تتجدد ولا حدَّ لها
- عند ظهور الشبهات تتجلى حكمة الابتلاء للمؤمنين ، ويظهر الدين
- أقسام من يُروِّج الشبهات
- أخطر الشُّبه هي الشُّبه المتعلقة بالاعتقاد
- وجوب الحذر من الشبهات وعدم الاستشراف لها
- واجب ولاة الأمر من العلماء والأمراء تُجاه من يروجون الشبهات
- علاج الشبه يكون بالرجوع إلى العلماء الربانيين ، المتبعين للكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح

- أهل الباطل يخلِطون شبههم بشيء من الحق ليروج بين الناس
- عناية العلماء في القديم والحديث برد شُبَهِ أهل الباطل
- ثبت يتضمن أهم الكتب التي تُعنى بالرد على الشبهات المتعلقة بتوحيد العبادة

مظاهر إهانة القبور

- الأول: الجلوس على القبر أو الوطأ عليه
- الثاني: المشي بين القبور بالنعال
- الثالث: قضاء الحاجة فيها
- الرابع: نبش القبور
- الخامس: سبُّ الموتى

بيان الوجوه الخمسين لبطلان دعاء غير الله

- الوجه الأول: أن الله سبحانه أمر بأن تصرف العبادات كلها له وحده ، الدعاء وغيره ، فمن صرف شيئاً منها لغير الله على سبيل المشاركة أو الاستقلال فقد أشرك بالله العظيم
- الوجه الثاني: أن القرآن والسنة قد خصا الدعاء بتأكيد الإخلاص فيه ، والنهي عن صرفه لغير الله
- الوجه الثالث: أن الله والملائكة وأولي العلم شهدوا بأنه لا يستحق العبادة غير الله
- الوجه الرابع: أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته
- الوجه الخامس: أن عبادة غير الله انحراف عن الفطرة التي خلق الله الناس عليها ، وهي عبادة الله وحده
- الوجه السادس: أن هذا الفعل هو فِعْلَ المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ سواء بسواء
- الوجه السابع: أنَّ دعاء غير الله من الأنبياء والصالحين لو كان صواباً لأمَر به الله – تعالى الله عن ذلك – ، ولَفَعله النبي ﷺ وصحابتُه رضي الله عنهم
- الوجه الثامن: أن الذي يتوجه إلى غير الله بالعبادة والدعاء قد ساوى هذا المعبود بالله عز وجل في الحب والتعظيم
- الوجه التاسع: أن الله عز وجل لا يقبل عملاً دخله الرياء

- الوجه العاشر: أن الله قد صرّح في كتابه بأنه لا يستجيب الدعاء إلا الله وحده ، فوجب الإيمان بذلك
- الوجه الحادي عشر: تصريح الله بأن دعاء غيره باطل ، وفي هذا كفاية وشفاء لمن أراد الحق
- الوجه الثاني عشر: أن الله قد حكم على من دعا غيره أنه لا أضل منه
- الوجه الثالث عشر: أن ترك دعاء الله من أسباب غضب الله ، هذا إذا كان الداعي لا يدعو غير الله إذا دعا ، فكيف بمن يدعو غير الله إذا دعا؟
- الوجه الرابع عشر: أن الله توعد من دعا غيره بالنار
- الوجه الخامس عشر: أن الذين يدعون الأنبياء والصالحين يُـقِـرُّون بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شئ ، وهذا يستلزم أن يوحِّدوه بالعبادة كما وحَّدوه بالربوبية ، والدعاء من أعظم أنواع العبادة
- الوجه السادس عشر: أن تلك المعبودات التي تُدعى من دون الله عاجزة من جهة العلم
- الوجه السابع عشر: أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة القدرة
- الوجه الثامن عشر: أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة الـمُلك
- الوجه التاسع عشر: أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة الخلق
- الوجه العشرون: أن تلك المعبودات التي تدعى من دون الله عاجزة من جهة التدبير
- الوجه الحادي والعشرين: أن تلك المعبودات عاجزة من جهة الرزق
- الوجه الثاني والعشرون: أن تلك المعبودات التي تعبد من دون الله أو مع الله لا تدوم لعابديها ، بل ستفنى وتندثر في الأرض ، وهذا من وجوه عجزها ، فدل هذا على بطلان عبادتها ، إذ لو كانت عبادتها حقا لدامت!
- الوجه الثالث والعشرون: أن الكتاب والسنة ينصان على أن الميت ليس له اتصال بالدنيا البتة ، بل هو غافل عنها ، سواء كانت روحه في عليين أو كانت في سجين ، فكيف يقدر مَن هذه حاله أن يجيب الطلبات ويقضي الحاجات؟!

- الوجه الرابع والعشرون: أن مقتضى فِعل الذين يدعون غير الله من الموتى أو الجمادات أنهم يعتقدون أن الموتى في مرتبة أعلى من مرتبة الأحياء ، لكونهم — في الغالب – لم يبدعونهم إذ كانوا أحياء ، فلمَّا ماتوا شرعوا في دعائهم ، وهذا مخالف لما دل عليه الشرع والعقل والفطرة السليمة من أن الأحياء في مرتبة أعلى من مرتبة الأموات
- الوجه الخامس والعشرون: أن الذين يُعبدون من دون الله سيخذلون من كانوا يعبدونهم يوم القيامة ويتبرؤون منهم ، سواء الراضين منهم بعبادتهم أم غير الراضين
- الوجه السادس والعشرون: ما قصه الله علينا في القرآن من اعتراف الكفار وهم في النار بأن دعاءهم لغير الله ليس بشيء
- الوجه السابع والعشرين: أن دعاء أصحاب القبور يلزم منه مضاهاتهم بالله عز وجل في صفة السمع والعلم
- الوجه الثامن والعشرون: أن المخلوقات لا تستوي مع بعضها البعض ، فكيف يصح مساواتها بخالقها وهو الله عز وجل
- الوجه التاسع والعشرون: أن دعاء غير الله يستلزم صرف عبادات أخرى يتضمنها الدعاء لغير الله
- الوجه الثلاثون: أن دعاء غير الله محرمٌ بالنظر إلى ما أدى إليه ، وهو اعتقاد الربوبية في أولئك المدعوِّين من دون الله استقلالا أو مشاركةً مع الله
- الوجه الحادي والثلاثون: أن الأنبياء ومن تبعهم على الحق من الصالحين لا يرضون بأن يُصرف لهم الناس شيئا من العبادات ، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم
- الوجه الثاني والثلاثون: أن الرسول ﷺ كان ينهى الناس عن مجرد المبالغة في مدحه وتعظيمه ، فكيف بمن أشركه أو أشرك غيره مع الله في الدعاء؟!
- الوجه الثالث والثلاثون: أن أولئك المدعوين من الأنبياء والصالحين والملائكة هم أنفسهم عبيد لله يتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة ، ومن كان عبدا لله فإنه لا يستحق أن يُعبد أو يَتقرب الناس إليه
- الوجه الرابع والثلاثون: أن أولئك المدعوين من الأنبياء والصالحين هم أنفسهم محتاجون للأحياء ، بدعائهم والاستغفار لهم ، لأن الميت قد انقطع عمله

- الوجه الخامس والثلاثون: ومن وجوه بطلان دعاء الموتى أن النبي ﷺ مدح من لم يسأله شيئا من الأمور الدنيوية ، وفضَّله على من سأله ، بل ذم كثيراً ممن سأله السؤال الجائز مما يقدر عليه ، وعلمهم ترك سؤال الناس ليربيهم على تمام التعلق بالله وحده ، فماذا يقال لمن توجه للنبي ﷺ أو لغيره بطلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا رب العالمين؟
- الوجه السادس والثلاثون: ومن الأدلة على بطلان دعاء غير الله أن العبد كلما كان أكثر توحيدا وذلاً لله وافتقاراً إليه كان أعز له وأعظم لقدره
- الوجه السابع والثلاثون: اعتزال الأنبياء لمن وقعوا في دعاء غير الله ولو كان الفاعل لذلك أقــرب قريب ، فدل هذا على بطلان هذ الفعل ونكارته
- الوجه الثامن والثلاثون: أن من حق المُنعِم شكرِه على نعمه ، وشكرُ الله لا يكون إلا بعبادته عبادة خالصة
- الوجه التاسع والثلاثون: ومما يدل على بطلان دعاء غير الله وأن فِعله كفر ؛ أنه لما جحدت بعض أحياء العرب فريضة الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه قتال ردة ، فكيف لو رأى من يقول بجواز صرف لب العبادة وخالصها – وهو الدعاء – لغير الله؟
- الوجه الأربعون: أن دعاء الميت والتوجه إليه أشد من مجرد اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ، وقد ثبت بل استفاض عن النبي ﷺ أنه لعن الذين يتخذون قبور الأنبياء مساجد ، أي يُصَلُّون عندها ويدعون الله تعالى ، فإذا كان من اتخذها مسجدا يُصلِّي فيه لله تعالى ويدعوه فيها ملعونا ؛ فالذي يقصدها ليدعو غير الله فيها ، ويتضرع فيها لغير الله ، ويخضع ويخشع فيها لغير الله أحقُّ باللعنة ، وهذا من دلائل بطلانِ دعاء الله
- الوجه الحادي والأربعون: أنه لا يستقيم أن يكون للعبد أكثر من سيد يملكه ، لأن أوامر ونواهي السادة ستختلف عليه ، فمن باب أولى أن لا يستقيم أن يكون له أكثر من إله يعبده
- الوجه الثاني والأربعون: أن الإنسان لا يرضى على نفسه أن يشاركه أحد من عبيده فيما يملكه ، فكيف يرضى على الله أن يشاركه أحد من عبيده فيما يستحقه من خالص حقه ، وهو عبادته وحده لا شريك له؟

- الوجه الثالث والأربعون: أن القلوب لا تصلُح إلا بإفراد الله بجميع العبادات ، لاسيما الدعاء ، وإذا تعلق بغير الله وأحبه فوق الحد الشرعي ضره ذلك
- الوجه الرابع والأربعون: أن فاعلي ذلك ليسوا واثقين ولا مطمئنين لما يفعلونه ولا ثابتين عليه ، فتراهم يتنقلون بين معبوداتهم ، فتارةً يدعون ميتاً ، وتارةً يدعون ميتاً آخر
- الوجه الخامس والأربعون: أن محبة العابد لمعبوده الذي يعبده من دون الله ليست إلا محبة مؤقتة ، سَرَعان ما تنقطع إذا انتقل إلى معبودات أخرى ، أو تعرضت تلك الآلهة إلى الفناء والإندثار ، أما العابد لله وحده فيحب الله دائما
- الوجه السادس والأربعون: أن الأمور العظيمة كإنزال الغيث وكشف العذاب لا تحصل إلا بدعاء الله وحده
- الوجه السابع والأربعون: أن الذين يدعون أصحاب القبور إنما يُستجاب لهم في النادر ، والغالب تخلف الإجابة
- الوجه الثامن والأربعون: إنكار واستغراب بعض الكفار لِما يفعله عبَّاد القبور عندها من دعائها والتقرب لها
- الوجه التاسع والأربعون: ما خلَّفه تعظيم القبور والأضرحة من أثر سيء على الأمة الإسلامية في أمور مهمة تتعلق بعمارة الأرض
- الوجه الخمسون: أن عمدة من يدعون غير الله إما شبهات حديثية ، كأحاديث ضعيفة أو مكذوبة ، أو شبهات عقلية ، أو تجارب وضعية ، أو قصص أو حكايات أو منامات ، وهذه كلها لا يُعتمد عليها لا في فروع الدين ولا في أصوله
- الوجه الحادي والخمسون والأخير: أن الداعي لغير الله قد حرم نفسه من فرح الله بإقباله إليه ، وانطراحه بين يديه ، بدعائه مباشرة ، واستعاض عن هذا بالانطراح بين يدي مخلوق مثله

- خاتمة الملحق
- ثبت مراجع الكتاب
- فهرست مواضيع الكتاب